وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـوث والمعلومات

من إصـدارات

مركز البحوث والمعلومات

2023 – 2022

www.saba.ye/ar

الجمهورية اليمنية – صنعاء حي الحصبة

هاتف 01-563333

البريد الإلكتروني: albhwth3@gmail.com

الموقع الإلكتروني https://www.saba.ye/ar

الآراء الواردة في هذه الإصدارات لا تعبرّ بالضرورة عن رأي الوكالة

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

من إصـــدارات

مركز البحوث والمعلومات

2023 – 2022

حقوق الطبع والنشـــر محفوظة

www.saba.ye/ar

بسم الله الرحمن الرحيم

المعلومة الصادقة والمحتوى الرصين

تُعَدُّ البحوث والتقارير والقراءات والتحليلات الصادرة عن **"مركز البحوث والمعلومات"** بوكالة الأنباء اليمنية(سبأ)، من أهم الأدوات التي يستخدمها "المركز" لتوثيق واستقراء ونشر أبرز أحداث ومخرجات الواقع حولنا وامتداداتها التاريخية والمستقبلية، ومواكبة التفاعلات المصاحبة لذلك بهدف تبسيط ما يصعُب على القارئ العادي، وتلخيص ما يَكثُرُ على النخبة وذوي الاختصاص.

وهو ما يُعتبر فرصة مجانية سانحة يقدمها "المركز" للجمهور وللباحثين والأكاديميين والطلاب والمهتمين على حدٍ سواء، كما هو المجال مفتوح للجميع للإسهام بكتاباتهم الجادة والرصينة عبر نافذة "المركز"، تشاركاً في تعميم المعرفة، واكتشاف المواهب والإبداعات المختلفة في هذا الإطار.

يأتي هذا الإصدار السنويّ بمثابة ترجمة فعليّة لاستنطاق مجريات الأحداث، وتوثيقاً هاماً لمن يهمهم ذلك، ولمن فاتهم الاطلاع على ما سبق نشره عبر نافذتيّ " تقارير وتحقيقات" و" إصدارتنا" في الموقع الإلكتروني لوكالة الأنباء اليمنية(سبأ).

لعلّ الجميع يُدرك ما مرّ بشعبنا الكريم وشعوب المنطقة، من أحداثٍ مختلفة في العام المنصرم،على اختلاف مشاربها السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية ، وما رافق ذلك من تطورات متسارعة ، وبالأخص في ثلثه الأخير، والذي حمل فاتحة النصر من خلال الخطوة المباركة عملية "طوفان الأقصى" وما صاحبها – وما يزال - من مواقف متباينة برزت ما بين خذلانٍ ونجدة، لعلّ أهمها الموقف التاريخي لشعبنا اليمنيّ الأبيّ تحت قيادة العَلَم المجاهد السيد عبدالملك بدرالدين الحوثي يحفظه الله ، بمسارعته لنصرة إخواننا في فلسطين الحبيبة وما يتعرّضون له في " غزّة" الصمود من وحشيّة عدوان وإبادة جماعية ينفذها العدوّ الصهيوني ، ويقف خلفه العدوّ الأمريكي ومن حالفه بلسانٍ أعجميّ و عربيّ.

لهذا كان لا بدّ من مواكبة وتوثيق وتقديم خلاصة تلك التطورات وجمعها في إصدارٍ واحد ليسهُل العودة إليها، وهو ما قام به الإخوة في مركز البحوث والمعلومات مشكورين لإثراء معرفة الباحثين عن المعلومة الصادقة والمحتوى الرصين.

في الختام، نشدّ على أيدي الزملاء في "المركز" لمواصلة جهودهم التنويرية، ونحثّهم على تطوير أدوات مواكبة الأحداث محلياً وعربياً وعالمياً، للوصول إلى خلاصةٍ معرفيّة يُشار إليها بالبنان.

وإلى إصدارٍ قادمٍ بإذن الله.

محمد عبدالقدوس الشرعي

نائب رئيس مجلس الإدارة -نائب رئيس التحرير

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

الأهمية المرحلية للمدونة السلوكية

مركز البحوث والمعلومات

زيـــد المحبشي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)

WWW.SABA.YE/AR

المقـــدمة

تكتسب المدونات السلوكية أهمية كبيرة في ترسيخ الأخلاقيات المهنية، وإعادة الاعتبار للوظيفة العامة، وإعادة ثقة المواطنين بها، ومكافحة الفساد المالي والإداري، والانفلات والتسيب الوظيفي، ومعالجة الاختلالات والرتابة المكتبية، والقضاء على البيروقراطية القاتلة في المؤسسات الحكومية.

وفي هذا السياق يمكن فهم أهمية دعوة قائد الثورة السيد «عبدالملك الحوثي» لضرورة وجود مدونات سُلوكية لضبط المسؤولية الاجتماعي: «المسؤوليات يجيب أن تُضبط بمدونات سلوكية وجانب رقابي يساعد على تقوى الله سبحانه وتعالى وتفعيل مبدأ الثواب والعقاب، والتفريق بين المُحسن والمُسيئ، والملتزم المؤدي مسؤولياته على نحوٍ صحيح والمُفرط، أو الخائن في أداء مسؤولياته وأعماله».

مسئولية أخلاقية ومجتمعية :

تلعب الأخلاقيات المهنية دور كبير في تعزيز المسؤولية الاجتماعية، وهي بمثابة طوق النجاة لحفظ الأمم والمجتمعات والدول، وضمان سيرها واستمراريتها، لسبب بسيط هو ارتباط تقدم المجتمعات وازدهارها بمدى التزامها بالأخلاق الفاضلة من عدمه.

والاخلاق من الأساسيات التي دعا إليها ديننا الحنيف ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم، يقول الله تعالى في الآية الرابعة من سورة القلم: «وإنك لعلى خُلقٍ عظيم»، ويقول رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وفي هذا تأكيد جلي وواضح على أهمية الأخلاق في ضبط السلوك الإنساني والمعاملات بين بني الإنسان.

وإذا غابت الأخلاق أصبح المجتمع يسير وفق قانون «الغاب»، وساده التوحش والتسلُّط والفوضى والأنا الهادمة، وضاعت حقوق المستضعفين، وانهارت الدول.

والأخلاق عامل مهم من عوامل بناء الشخصية الإنسانية الرسالية، ويختص هذا الجانب بمنظومة مترابطة من القيم والمُثل والعادات والأعراف والمعايير، تساعد في

الوصول بالذات الإنسانية الى الحالة «السوية»، ونقصد بذلك «مدى اتساق السلوك مع المعايير الأخلاقية في المجتمع وقواعد السلوك السائدة فيه».

وهذا يضعنا أمام ما يُسمى بـ«المسؤولية الاجتماعية»، ونعني بها: «مسؤولية الفرد الذاتية عن الجماعة أمام نفسه، وأمام الجماعة، وأمام الله، والشعور بالواجب الاجتماعي، والقدرة على تحمُّله والقيام به»، وسنحاول الحديث عن هذه المُفردة في سياق هذه القراءة السريعة للمدونة لارتباطها الوثيق بها.

وهناك مشكلة كبيرة تعترض عملية تعزيز «المسؤولية الاجتماعية»، بسبب عدم توافر «قواعد مُحددة» تُوجه سلوك الموظف العام، وتضمن معاملته للمستفيدين من الخدمات المُقدمة من الجهة التي يعمل بها على مبدأ أخلاقيات المهنة، والمساواة بين الجميع.

وهذا يجعل من هامش مرونة الموظف الحكومي في التعامل مع المواطنين واسع جداً، وبالتالي زيادة احتمالات الفساد المالي والإداري والرشوة والاختلاس والمحسوبية وتغول الشللية واستغلال الوظيفة العامة لخدمة المصالح الشخصية، خاصة وأن الموظف لا يتم تدريبه أو تثقيفه على تقديم الخدمات العامة بروح عالية من النزاهة والمساومة بين المواطنين.

من هنا تأتي أهمية المدونات السلوكية في ترسيخ الأخلاقيات المهنية، وإعادة الاعتبار للوظيفة العامة، وإعادة ثقة المواطنين بها، ومكافحة الفساد المالي والإداري، والانفلات والتسيب الوظيفي، ومعالجة الاختلالات والرتابة المكتبية، والقضاء على البيروقراطية القاتلة في المؤسسات الحكومية.

وفي هذا السياق يمكن فهم أهمية دعوة قائد الثورة السيد «عبدالملك الحوثي» لضرورة وجود مدونات سُلوكية لضبط المسؤولية الاجتماعي: «المسؤوليات يجب أن تُضبط بمدونات سلوكية وجانب رقابي يساعد على تقوى الله سبحانه وتعالى وتفعيل مبدأ الثواب والعقاب، والتفريق بين المُحسن والمُسيئ، والملتزم المؤدي مسؤولياته على نحوٍ صحيح والمُفرّط، أوالخائن في أداء مسؤولياته وأعماله».

والغاية السامية من ذلك استكمال البناء المؤسسي وبناء الدولة اليمنية الحديثة التي دعت إليها الرؤية الوطنية، وجعل جبهة البناء الداخلي تسير في خط موازي للجبهة

العسكرية، وتعزيز انتصارات المجاهدين في جبهات العزة والكرامة بتحصين الداخل مؤسسات وأفراد، من عوامل الاختراقات الخارجية، والاختلالات الداخلية.

وتعمل الكثير من الدول العربية بهذه المدونات، منها الأردن ومصر والجزائر والكويت والبحرين، ..، وقائمة طويلة من الدول العالمية الكبيرة والمنظمات الأممية والشركات التجارية العابرة للقارات، إذن فهي ليست من ابتكارات «حكومة الإنقاذ» كي يستشيط البعض غضباً، وليست موجهة ضد أحد، بل هي لخدمة الصالح العام، وإن لم تخنِ الذاكرة فقد سبق للخدمة المدنية قبل أحداث م2010 إصدار كُتيب تضمن قائمة من الحقوق والواجبات والضوابط القانونية الخاصة بعمل الموظف العام وتوزيعه على موظفي الدولة في حينه، ولا تختلف المدونة الحالية عنه سوى في نقاطٍ بسيطة فرضتها ضرورة المرحلة وما تتعرض له اليمن من عدوان «سعودي - إماراتي» آثم.

المكونات والمضامين:

حكومة الإنقاذ وسلطة المجلس السياسي الأعلى بصنعاء وترجمة لتوجيهات قائد الثورة دشنت في 7 نوفمبر 2022 بحضور رؤساء المجلس السياسي الأعلى والحكومة والبرلمان والشورى ومجلس القضاء الأعلى «مدوّنة السلوك الوظيفي وأخلاقيات العمل في وحدات الخدمة العامة»، لتدخل بذلك حيز التنفيذ، وتكتسب الصفة الإلزامية، ولتكون دليلاً ومُرشداً وضابطاً، وبوصلة يهتدي بها الموظف العام في أداء مهامه، ومدخلاً للإصلاح الإداري الشامل.

تتكون المدونة من ستة أبواب، تحدث المُقنن في الأول عن التسمية والأهداف والإطار المرجعي ومُؤشرات القياس وضمانات التطبيق، وشمل الثاني الحديث عن المبادئ والقيم والعوامل المُساعدة في أداء المسؤولية العامة، والثالث عن المسؤوليات والواجبات، والرابع عن ضوابط التعامل مع البيانات وتكنولوجيا المعلومات والاتصال والإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، واختص الخامس بالحديث عن ضوابط تعزيز النزاهة ومكافحة الفساد والتعامل مع المال العام والمؤسسات العامة والشكاوى والبلاغات، وتضمن السادس الأحكام العامة المتعلقة بالأداء الوظيفي.

تُمثِّل هذه الرُزنامة «مجموعة القيم والسلوكيات التي يجب على الموظفين اتباعها أثناء أداء مهماتهم وتنظيم العلاقة فيما بينهم من جهة ومع جمهور المستفيدين من جهة ثانية».

وتعكس في مجملها احترام الموظف العام قواعد «العمل السليم» أو ما يُمكن تسميته بـ «الحُكم الصالح» أو «الإدارة الرشيدة» في مؤسسات الدولة بتلاوينها، والإخلاص الحقيقي للخدمة العامة، باعتباره «خادم» للمواطنين، واحترام مفهوم المواطنة، والاستعداد الطوعي للعمل بموجب قيم العدالة والفضيلة والنزاهة ومبادئ الشفافية ونُظم المساءلة، واحترام سيادة القانون وأحكامه، واحترام زملائه ومسؤوليه ومرؤوسيه.

وهي واحدةٌ من عدة خطوات إصلاحية تعتزم قيادة الدولة في صنعاء تدشينها في العام 1444 هـ، وفقاً لفخامة رئيس المجلس السياسي الأعلى «مهدي المشاط» من أجل الارتقاء بالعمل المؤسسي.

الحيثيات والأسباب:

أتت حكومة الإنقاذ في مرحلة فارقة من تاريخ اليمن بما يحوطها من عدوان خارجي غاشم وأزمات داخلية متراكمة ومتفاقمة ومتناسلة، عجزت السلطات المتعاقبة عن حلحلت عُقدها، وأخطرها غول الفساد المالي والإداري، ما ألقى على عاتقها مسؤولية جسيمة لا تُحسد عليها.

وهناك قائمة طويلة من الأسباب التي أدت إلى حدوث الاختلالات الإدارية في مؤسسات الدولة، واستفحال داء الفساد المالي والإداري، وتحول الوظيفة العامة من عمل مُقدس لخدمة الناس إلى بؤرة للفساد والإثراء السريع على حساب المستضعفين، بما لذلك من آثار كارثية على سلوك وأخلاقيات الموظف العام، وخصوصاً الطبقات الإدارية القيادية من الفئات الوسطى وما فوق، أهمها:

1 - غياب المعايير والضوابط الأخلاقية في العمل الحكومي، وعدم سلامة المناخ التنظيمي والأدوات التنظيمية التي يقوم عليها.

2 - انخفاض العائد المادي من الوظيفة العامة، وعدم تناسُبه مع مُتطلبات الحياة

المعيشية للموظفين، بالتوازي مع ازدياد سوء الأوضاع الاقتصادي.

3 - غياب القدوة الحسنة والالتزام من القيادات السياسية المتعاقبة.

4 - تأثير القيم والأخلاق الاجتماعية التي تُشجع على الانحراف، بما في ذلك تعصب الموظف الحكومي لأبناء أسرته أو قبيلته أو محلته أو حزبه .. إلخ.

5 - ضعف الرقابة الإدارية وعدم وجود الجزاء الرادع والتهاون في مُحاسبة الموظف المخالف للقوانين.

ناهيك عن التداعيات الكارثية لسنوات العدوان الثمان على وضع الموظف الحكومي وتردي الأحوال المعيشة، ما أوجد بيئة خصبة للفساد.

حكومة الانقاذ بإمكانياتها المعدومة تسعى جاهدة في حدود المُمكن المُتاح لإصلاح ما يمكن إصلاحه بما لا يضر بالموظف العام، وبما يُساعد في ذات الوقت على تجويد الخدمات العامة المُتاحة، انطلاقاً من إصلاح النفوس وتهذيب السلوك الوظيفي وصولاً إلى الإصلاح المالي والإداري الشامل.

الأهداف والغايات:

تُعتبر «المسؤولية الاجتماعية» المدخل الرئيسي لخلق «السلوك الوظيفي القويم» وتهذيب الأخلاق الإنسانية، وهي لغة: «ما يكون به الانسان مسؤولاً أو مُطالباً به عن أمورٍ أو أفعالٍ أتاها»، واصطلاحاً: «وعي الفرد المرتبط بأساس معرفي بضرورة سلوكه نحو الجماعة وله تأثير في تحديد مجرى الأحداث التالية»، وفي مفهوم الباحث الفلسطيني «أسامة محمد خليل الزيناتي»: «مسؤولية الفرد عن نفسه ومسؤوليته تجاه أسرته ومجتمعه وعمله ووطنه ودينه، ويتم ذلك من خلال فهمه الحقيقي لدوره في المجتمع»، وعدم فهم دور الفرد في المجتمع واحدة من الإشكاليات التي تحول دون تفعيل مبدأ العمل بروح «الفريق الواحد».

ويعتبر الكاتب «مقداد يالجن» أخلاقيات العمل في كل المعاملات زينة الموظف وحليته الجميلة، وبقدر ما يتحلَّ بها يُضفي على نفسه جمالاً وبهاءً، وقيمة إنسانية، وهي ضمانة لتحقيق السعادة والطمأنينة والاستقرار النفسي.

وتُعـرّف «أخلاقيـات العمـل»، بأنهـا: «مجموعـة مـن المبـادئ والمواقـف والمعايـير والقيـم والأعـراف والتقاليـد، التـي تُوجـه السـلوك وصناعة القـرار»، وهي جُزء متأصـل في العمل المهنـي للموظفـين العموميـين، ومرجعـاً للسـلوك المطلـوب منهـم، ومقيـاس بيـد المجتمـع في تقييـم أدائهـم سـلباً وإيجابـاً، ومضبطـة لضـمان أن تكـون تصرفـات موظفـي الدولـة بتلاوينهـم في خدمـة المصلحـة العامـة والصالـح العام.

ويحـصر الكاتب «سـعد الدين مسـعد هـلالي»، «الصفات الأخلاقيـة» الواجب توافره في الموظـف الحكومـي وموظفـي القطـاع الخـاص وكل مـن يرتبـط علمـه بخدمـة الناس، في خمس مجموعـات، هي:

1 - الطهـارة والقُدسـية: تتمثـل في حسـن السـيرة والسـلوك وجـودة الأداء والاتقـان والإخـلاص والتفـاني في العمـل.

2 - الاستقامة: تقتضي المشورة والوفاء والصدق.

3 - التعاون: تستلزم تعميق معاني الأخوة والاحترام والصبر.

4 - الأمانة: تشمل عدم افشاء السر والاستغلال والكذب.

5 - المحبة: تشمل معاني التواد والإحسان والإيثار.

ويربـط الباحـث «سـعيد الغامـدي» «الأخلاقيـات المهنيـة» بعاملـين في غايـة الأهميـة والخطـورة، هـما:

1 - التركيـز عـلى المفهـوم الشـامل للأخـلاق، وذلـك مـن أجـل الحيلولـة دون إصابـة الموظـف بـ «الإفصـام الأخلاقـي»، فيعيـش في عملـه بخُلـقٍ معـين يـرى أن فيـه تحقيقـاً لمصلحتـه، ويعيـش خـارج عملـه بخُلـقٍ مغايـر لمـا هـو عليـه في عملـه.

2 - ترسـيخ مبـدأ الثـواب والعقـاب، كي لا تتحـول أخلاقيـات العمـل الى مجـرد تصرفات نفعيـة.

وقـد حـرص المُقنـن اليمنـي عـلى اسـتيعابها وتضمينهـا في بنـود المدونـة السـلوكية، كـما أنهـا مـن البديهيـات التـي لا يمكن تجاوزهـا في بناء الذات الانسـانية الرسـالية بإجماع كل العقـلاء، وتجذيـر الهويـة الإيمانية لمجتمـع يمن الأنصار، وبنـاء الدولة اليمنيـة الحديثة،

وصولاً إلى بناء منظومة متكاملة من النزاهة في العمل العام، وهي الغاية الأساسية لبناء قطاع عام فعّال يحظى باحترام المواطنين، وتحصين المجتمع ضد ظاهرة الفساد، وتوفير الآليات الفعّالة للتعامل مع ظواهره.

وتسعى «المدونة السلوكية» لتحقيق روزنامة من الأهداف، أبرزها:

1 - إرساء معايير ومبادئ وقواعد سلوكية إيمانية وأخلاقية واضحة بدلاً من الإرتجال والاجتهادات الشخصية، تُعزز القيم المهنية، والأخلاقية، وتضبط السلوك المهني الشخصي الذي يجب أن يتحلى به المؤتمنون على مصالح الدولة، وتبني الهوية الإيمانية لموظفي الدولة، من أجل تأدية واجباتهم الوظيفية على أُسسٍ من العدل والاستقامة والنزاهة والموضوعية والحيادية والشفافية والتعاون والايثار والكفاءة والإخلاص والولاء لله ولرسوله ولقيادتهم الجهادية المؤمنة وللوطن.

2 - تصحيح مفهوم الوظيفة العامة باعتبارها خدمة للناس، وإحساناً إليهم، ومسؤولية تُجسّد من خلالها العبودية لله، بعيداً عن التسلط والاستغلال النفعي الشخصي.

3 - رفع كفاءة وفاعلية أداء وحدات الخدمة العامة، وتجويد خدماتها، وزيادة الإنتاج.

4 - تعزيز الثقة والمصداقية المتبادلة والاحترام المتبادل بين المواطنين، وموظفي وحدات الخدمة العامة، والتمسك بالأخلاق السامية في التعامل مع المرؤوسين ومُتلقي الخدمة، بما لذلك من أهمية في تحقيق الطمأنينة والتماسك، والقضاء على الفوضى والمشاكل بين الأفراد، وتخفيف حدة الصراعات الإدارية داخل المؤسسات الحكومية.

5 - ترسيخ أُسس الرقابة الذاتية، وتوفير أداة قوية وفعّالة للرقابة الذاتية الداخلية بالمؤسسة الحكومية، وتفعيل مبادئ الإدارة الرشيدة على أرض الواقع.

6 - إيجاد وتنمية وخلق ثقافة مُؤسسية تدعم القيم المهنية، وتُنمّي روح المسؤولية،

وتُغرس مكارم الاخلاق لدى الموظف العام، وتجعله ينأى بنفسه عن مواطن الشُبهات التي تنال من كرامة الوظيفة الحكومية وهيبتها.

7 - بناء علاقة متوازنة بين مفهوم السلطة والمسؤولية، والحقوق والواجبات، والتمكين الحقيقي لإعمال قواعد المحاسبة، والجوانب الأخلاقية والمادية/ الاقتصادية، بما يحفظ الحقوق، ويحول دون التعسف أو إساءة استعمال السلطة أو تكبيل الحريات الشخصية.

8 - حماية العاملين من ضغوط الرؤساء وتعليماتهم غير النظامية كمصدر للسلوك غير الأخلاقي، وحماية سمعة مؤسسات الخدمة العامة وصورتها أمام جمهور المستفيدين، وتحويل المناخ التنظيمي إلى مناخ تعاوني وإنساني مُثمر، بما يجعل من البيئة الوظيفية العامة أكثر شفافية ونزاهة.

النتائج والثمار:

يترتب على المدونة في حال التطبيق الدقيق لمُفرداتها، العديد من الآثار الإيجابية في المدى القصير والمتوسط والبعيد، من ذلك:

1 - تحسن المجتمع بصورة عامة، وإعادة الحياة إلى جسده المُثقل بالجراح والآلام.

2 - تحسين جودة الخدمات التي تُقدمها مؤسسات الدولة بمختلف مسمياتها لمواطنيها.

3 - تلاشي الممارسات غير العادلة في مؤسسات الدولة، وتمتع الناس بتكافؤ الفُرص، وجني كل موظف ثمرة جهده، واسناد العمل للأكثر كفاءة وعلماً.

4 - توجيه موارد الدولة لما هو أنفع، وتضييق الخناق على المحتالين، والوصوليين، وراكبي الموجة، والانتهازيين، وتوسُع الفُرص أمام المجتهدين والوطنيين المخلصين.

5 - دعم الرضى والاستقرار المجتمعي.

6 - خلق بيئة مُواتية للعمل بروح الفريق الواحد، وزيادة الإنتاجية، وثقة الموظف بنفسه وبجهة العمل وبالمجتمع.

7 - تقليل القلق والتوتر بين الموظفين.

8 - تقليل تعرُّض مؤسسات الدولة للخطر، من خلال تراجع معدل المخالفات والجرائم والمنازعات.

من هنا يمكن القول أن المدونة السلوكية مضبطة أخلاقية ومرجعية قانونية وترياق وقائي من الفساد المالي والإداري، والتسيب والانفلات والتسلُّط الإداري، والتغول البيروقراطي، ومفتاح ناجع لمكافحة هذه الأثافي، وصمام أمان لحماية الجبهة الداخلية من محاولات العدوان العبري المُستميتة لتوظيف وتجيير واستغلال الاختلالات الداخلية في المؤسسات الحكومية في المناطق المحررة من أجل تحقيق ما عجزت عنه ترسانته العسكرية.

المراجـــع:

1 - أسامة محمد خليل الزيناتي، دور الأخلاقيات المهنية في تعزيز المسؤولية الاجتماعية في المستشفيات الحكومية الفلسطينية، رسالة ماجستير، أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسات العليا بالتعاون مع جامعة الأقصى، 2014.

2 - بلال خلف السكارنة، أخلاقيات العمل، دار المسيرة للطباعة والنشر، الأردن، الطبعة الأولى، 2009.

3 - حامد عبدالسلام زهران، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، مصر - القاهرة، 1987.

4 – زيد يحيى المحبشي، مبدأ المكاشفة، بحث مخطوط، 2013.

5 - سعد الدين مسعد هلالي، المهنة وأخلاقياتها: دراسة فقهية مقارنة بالقوانين الكويتية، مجلس النشر العلمي، الكويت، 2006.

6 - سعيد مقدم، أخلاقيات الوظيفة الحكومية، دار الامة للطباعة، الجزائر، 1997.

7 - فهد احمد عطا الله الضمور، دور الثقافة التنظيمية في تعزيز أخلاقيات العمل لدى موظفي البلديات في الأردن، الأردن، 21 يوليو 2022

8 - مقداد يالجن، علم الاخلاق الإسلامية، عالم الكتب، الطبعة الاولى، 1993.

9 - الدكتور محمد عبدالكريم الحسيني، التدوين القانوني: أصوله وضوابطه، 22 فبراير 2021.

10 - تدابير الوقاية من الفساد المتعلقة بقواعد سلوك وأخلاقيات الموظفين العموميين في القانون الجزائري، 2019.

11 - موقع قناة وصحيفة المسيرة، صنعاء تدشّن بدء العمل بمدونة السلوك الوظيفي، 7 نوفمبر 2022.

12 - مدونة السلوك الوظيفي، وأخلاقيات العمل في وحدات الخدمة العامة، وزارة الخدمة المدنية والتأمينات، صنعاء، نوفمبر 2022.

13 - مدونة السلوك الوظيفي للعاملين بالجهاز الإداري للدولة بجمهورية مصر العربية.

14 - مدونة السلوك الوظيفي وأخلاقيات الوظيفة العامة للمملكة الأردنية الهاشمية.

15 - مدونات الأخلاقيات: الاحتياجات والأغراض، مركز النزاهة، وزارة الدفاع النرويجية، أغسطس 2019.

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

30 نوفمبر
2022
1967
العيدان 55 للاستقلال

الصندوق الأسود
للاحتلال البريطاني في اليمن

مركز البحوث والمعلومات

زيد المحبشي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

المقـــدمة

55 عاماً مـرت عـلى رحيـل آخـر جنـدي بريطـاني مـن المحافظـات اليمنيـة الجنوبيـة والشرقيـة، فـما الـذي تغـيّر في تلـك المناطـق؟.

الإحتـلال لم يكـن في يـومٍ مـن الأيـام جنـة الشـعوب الوارفـة، بـل جحيـم يحـرق حيـاة الشـعوب لعقـود بعـد رحيلـه، وتكـوي نـيران ألغامـه أجيـالاً قادمة مـن أبناء تلك الشـعوب المنكوبـة والمظلومة.

بريطانيا رحلت عن اليمن، لكن هل رحلت آثار احتلالها البغيض؟ للأسف لا.

رحـل الإنجليـز في 30 نوفمـبر 1967، عسـكرياً، لكـن كـوارث تراكمات سـنوات احتلالهم الــ 129 لا زالـت ماثلـة للعيـان، رحلوا عسـكرياً، وعـادوا اليوم عبر عيالهـم غير الشرعيين في جزيـرة العـرب «السـعودية والامـارات»، ليسـتكملوا مـا بـدأوه في القرن السـادس عشر الميلادي.

الأهـداف الاسـتعمارية لم تتغيّر، والجزر اليمنية لا زالـت تحتلّ الصدارة فيها، ومبررات الإحتـلال هي الأخرى لم تتغيّر.

مفـــارقات:

مـن المفارقـات العجيبـة مغـادرة آخر جنـدي بريطاني اليمـن من جزيرة «سـقطرى» في 30 نوفمـبر 1967، ووضـع أبنـاء لنـدن غـير الشرعيـين اليـوم الجزيـرة في مقدمـة بنـك الأهداف الاسـتعمارية.

والمفارقـة الثانيـة دخـول قوات الاسـتعمار البريطـاني مدينة «عـدن» في 19 يناير 1839، عـبر مينـاء «صـيرة»، تحـت ذريعـة مكافحـة «القرصنـة» المنسـوجة خيوطهـا في دهاليـز وزارة المسـتعمرات البريطانيـة، ودخول قـوات الأبناء غير الشرعيين «السـعودية والإمارات» في مـارس 2015، المدينـة مـن بوابة ميناء «البريقـة»، تحت ذريعة محاربـة «المد الايراني» الموجـود في عقليـات قـادة تحالف العار العـبري فقط.

والمفارقـة الثالثـة، حنـين القـادة الجنوبيـين الموالـين للاحتـلال «السـعودي – الاماراتي»

لأيام الاستعمار البريطاني، غير آبهين بدماء عشرات الآلاف من اليمنيين الذين ارتقوا خلال مسيرة النضال المقدس ضد ذلك الاستعمار البغيض، ما نجد مداليله في مسارعة عضو المجلس الرئاسي الموالي لتحالف عاصفة الخزي والعار ورئيس «المجلس الانتقالي الجنوبي» لتعزية البريطانيين في رحيل الملكة «إليزابيث الثانية»، واصفاً إياها برمز «الحكمة والتسامح»، ومؤكداً الحرص على ترسيخ ما أسماها «العلاقات التاريخية» التي تربط شعب الجنوب بالمملكة المتحدة الصديقة، وهو تمجيد مُخزي لفترة كالحة من تاريخ اليمن وحنين مفضوح لها.

«محمد قاسم نعمان» - رئيس مركز اليمن لدراسات حقوق الإنسان، وأحد المشاركين في النضال ضد الاستعمار البريطاني، في معرض رده لم يخفِ امتعاضه من هكذا تصرف أرعن: «إن الذين يمجدون الفترة التي وجد فيها البريطانيون في عدن، إما شباب لم يعرفوا ما الذي كان يحصل في عدن والجنوب في حينه، أو بعض كبار السن كرد فعل للواقع الذي نعيشه الآن وهو مُتعب كثيراً»، والمؤكد هنا أن «الاستعمار بكل أشكاله يمس حق الانسان وحريته وحياته كإنسان، ولم يكن هناك استعمار احترم الإنسانية، وطبيعة الاستعمار على الدوام السعي فقط لحماية مصالحه».

والأكثر فضاعة استنساخ المستعمرون الجدد كل الأدوات والوسائل القذرة التي مارستها «أمهم» الشمطاء خلال سنوات احتلالها البغيض، ولذات الأهداف، وفي هذا يؤكد فخامة الرئيس «مهدي المشاط» في كلمته بمناسبة الذكرى المجيدة الـ 55 لعيد الاستقلال الوطني الـ 30 من نوفمبر، أن تزامن هذا الحدث العظيم مع الذكرى السنوية للشهيد له دلالته في تذكيرنا بعظمة الشهداء الذين صنعوا يوم الجلاء في الثلاثين من نوفمبر، ومن يصنعون اليوم بدمائهم الزكية الطاهرة «يوم جلاء» للمستعمر الجديد: «درس الـ 30 من نوفمبر لم يعد درساً للتاريخ وكفى، فها هو مستعمر الأمس ذاته، وبتحالفات أوسع وأقبح، جاء غازياً على أمل استعادة أمجاده، والفرق أنه يُداري سوأة صنيعه باستعمال قفازات من أنظمة عربية عميلة وخائنة، وبالتواطؤ مع أقذر مرتزقة عرفتهم البشرية».

كم هو مؤسف «أن تتزامن هذه المناسبة ونحن نرى الأميركي يتنقل بين المحافظات

الخاضعة للاحتلال برفقة جنوده، في مشهد مكرر، لم يغب من ذاكرة الانسان اليمني منذ الاستعمار البريطاني القديم، وليس هذا فحسب بل إن المحتل اليوم أكثر صلفاً ووقاحة وجُرأة، لدرجة أنه يتيح لنفسه الحق أن يتدخل في شؤون بلادنا في كل مجلس ومحفل ليدين ويندد، في مفارقة ساخرة بأن أصحاب البلاد قاموا بمنعه من نهب ثرواتهم، بل ويرى أن دفاع الشعب عن مقدراته إجراء خاطئ بالنسبة له ولمصالحه، في وقاحة لم يتجرأ عليها محتل قبله»، وهذا يجعل اليمنيين اليوم أكثر إصراراً على المضي قدماً في مسيرة التحرر والاستقلال، وتطهير اليمن من المستعمرين الجدد.

في هذه القراءة سنكتفي بالحديث عن تعاطي الاستعمار البريطاني مع ملف الجزر والموانئ اليمنية، وأهم جرائمه في اليمن، والوقوف على بعض جرائم الأبناء غير الشرعيين بحق اليمنيين اليوم.

ميناء ومدينة «المخا»:

احتلت الجزر والسواحل اليمنية أهمية خاصة في بنك الأهداف البريطانية بسبب الموقع الاستراتيجي الهام الذي يتمتع به اليمن، كمحطة ترانزيت وهمزة وصل بين أوربا وآسيا، وقاعدة للتحكم السياسي في صراع عمالقة العالم، ناهيك عن الثروات الزاخرة بها بلاد السعيدة.

يعود الاهتمام البريطاني بعدن إلى العام 1609، حاولت حينها إقامة علاقات تجارية مع حكامها، لكن الاحتلال العثماني المسيطر يومها على اليمن رفض العرض، لذا اضطرت للبحث عن مكان بديل، ووقع الاختيار على «المخا.

وكان الوضع السياسي الداخلي في اليمن حينها يمر بمرحلة مُزرية من الضعف والوهن والتشضي، والاحتراب، فاستغلت بريطانيا ذلك، وأرسلت في ذات العام الكابتن «اسكاندر شابي» بسفينة تجارية الى «المخا»، وسمحت سلطاتها لهم بالنزول وممارسة أعمال التجارة.

وفي العام 1610 وصلت سفينتان بريطانيتان إلى المخا بقيادة «السير هنري ميدلتين»،

واستقبله حاكمها العثماني بالترحاب، لكن كل ذلك تغير بعد مرور يومٍ واحدٍ فقط، وانقلبت الحفاوة إلى تعذيب ومتاعب، وتم القبض على السير ورجاله وإرسالهم إلى صنعاء مكبلين، بعد أن قتلوا 8 من بحارتهم.

في صنعاء أمر الحاكم العثماني بإطلاق سراحهم وتحذيرهم من العودة إلى سواحل اليمن ثانية، وعاد «السير» إلى «المخا» في 5 مارس 1611، ومنها لاذوا بالفرار، وحين تنبه العثمانيين لذلك، كان «السير» قد سيطر على البحر المواجه للمخا، وأرسل للعثمانيين انذاراً يطالبهم فيه بدفع 18 ألف ريال مقابل الخسائر التي تكبدتها البعثة البريطانية، أو هدم المخا بمدافع السفينتين، فاضطر حاكم المخا دفع المبلغ وإعادة البضاعة المنهوبة من السفينتين.

ولم تهتم السلطات البريطانية في الهند بتحذير حاكم صنعاء فأرسلت 3 سفن إلى المخا بقيادة «جون ساريس»، ورحب حاكمها بهم، ووجه حاكم صنعاء بحرية مزاولة الأجانب التجارة في المخا والسماح ببناء الانجليز مصنعاً فيها.

تتابعت بعدها زيارة الأساطيل والسفن البريطانية إلى المخا تحت شعار «التنشيط والتبادل التجاري»، وهي نفس الأسطوانة التي كانوا يستخدمونها في كل المناطق التي استعمروها، ليتغير صفو هذا الود في العام 1817 على خلفية اعتداء 300 جندي يمني على دار المقيم البريطاني والمصنع الإنجليزي بالمخا وضرب البحارة والعمال الهنود من رعايا بريطانيا.

على إثر هذه الواقعة طلبت حكومة الانجليز في الهند من إمام صنعاء المهدي «عبدالله بن المتوكل أحمد بن منصور بن علي» معاقبة حاكم المخا، لكن الامام لم يهتم لذلك، فجهز الانجليز فرقة عسكرية وأرسلوها إلى المخا من أجل إرغامه على تنفيذ مطالبهم وتوقيع معاهدة تُعطي الانجليز والتجار التابعين لهم جملة من الامتيازات في اليمن تُعزز حرية التنقل وحق الحماية البريطانية لرعاياها، وقابل حاكم المخا ذلك بالرفض، بينما كانت بريطانيا تسعى من وراء هكذا اتفاق إلى تسهيل تمرير مخططها بوضع اليد على ميناء المخا، وفي العام 1820 قصف الاسطول البريطاني المخا بالقنابل ودخل جنودهم المدينة.

حدث بعدها تواصل بين إمام صنعاء والانجليز، توافق الطرفين على عزل حاكم المخا وتنصيب آخر، وتقديم الجديد اعتذار للبريطانيين، والتوقيع على المعاهدة، وفي العام التالي اكتشفت بريطانيا وجود أخطاء في الترجمة العربية لبعض بنود المعاهدة، فحاولت التواصل مع الامام لتصحيحها، لكنه رفض ذلك، فقرر الانجليز توجيه اهتمامهم الى عدن.

جزيرة ميون «بريم»:

تقع في مدخل «باب المندب»، وتُمثل شُرطي المرر فيه، ولأهميتها في التحكم بهذا المضيق الاستراتيجي الهام أوصت لجنة بريطانية في العام 1797، كانت مُكلفة بالبحث عن أيسر الطرق للوصول إلى المستعمرات البريطانية في الهند الشرقية، بالتركز على البحر الأحمر، وفي ضوء ذلك قامت القوات البريطانية في العام 1799 باحتلال جزيرة «ميون» اليمنية، لكنها سرعان ما غادرتها في سبتمبر 1797، بعد 4 أشهر فقط من احتلالها، بسبب طقسها الحار.

في بنك الأهداف أراد الاحتلال من وراء التواجد في «ميون» اتخاذها مخازن للأسطول البحري البريطاني.

وفي العام 1800 وافق مجلس حكومة «بومباي» على مبادرة قائد القوة المعنية باحتلال «ميون»، على بناء قاعدة عسكرية في عدن لأهميتها البحرية والتجارية والعسكرية والسياسية، واتخاذها قاعدة لإيقاف تحركات المصريين في الجزيرة العربية، والفرنسيين والروس تجاه الإمبراطورية البريطانية في الهند.

وبعد العدوان العبري «السعودي - الإماراتي» حولت الأخيرة جزيرة «ميون» إلى قاعدة بحرية وعسكرية لها، وأنشئت فيها مصنعاً لتصدير الأسماك، وقامت بتدمير مواقع الاصطياد الخاصة بأبناء الجزيرة، في محاولة لا إنسانية لإجبارهم على مغادرتها تماماً كما عمل الاستعمار البريطاني في جزيرة «سقطرى» في مطلع العام 1835.

جزيرة «كمران»:

بعد انتهاء الصراع مع «فرنسا» وانسحابها من «مصر» عملت لندن من خلال شركة الهند الشرقية على احتكار التجارة في البحر الأحمر، ووجهت مبعوثها «سير هيوم بوفام» إلى قادة القوى المحلية بما فيهم قادة صنعاء لعرض التحالف معهم، فرحب سلطان «لحج» ورفض إمام «صنعاء» العرض، بالتوازي مع قيام سفن الاحتلال البريطاني برحلات استكشافية في البحر الأحمر وخليج عدن للبحث عن المواقع المناسبة للتمركز العسكري والاقتصادي واقامت مستعمرات بريطانية هناك، فوقع الاختيار بعد جزيرة «ميون» على جزيرة «كمران».

فاحتلها الانجليز بترخيص من الاستعمار العثماني، كما حصلوا على تراخيص أخرى لمواقع في البحر الأحمر لاستعمال أحدها كقاعدة للقوات البريطانية، وأوفدوا مبعوثاً إلى المنطقة بكامل الصلاحيات لعقد أحلاف مع زعمائها.

جزيرة «سقطرى»:

لم تكن بعيدة عن بنك الأهداف البريطانية لما تمثله من أهمية جيوسياسية جعلتها على الدوام موضع تنازع بين القوى الاستعمارية، والهدف الأول لإيجاد موطئ قدم لهم في منطقة جنوب البحر الأحمر، لذا قررت لندن في 12 نوفمبر 1834 الالتقاء بحاكم المهرة «عامر الطوعري» لإقناعه بعقد اتفاقية تجارية تتيح للندن انشاء مخزن للفحم الحجري على جزيرة «سقطرى».

وتحت مظلة الاتفاقية أرسلت لندن العديد من ضباطها لاستكشاف الجزيرة خلافاً لمضامينها، وفي ضوء تقاريرهم قررت لندن وحكومتها في «بومباي» احتلال الجزيرة من خلال تقديم عروض مالية مُغرية لحاكم المهرة من أجل التنازل عنها وبيعها مقابل «10 آلاف كراون ألماني» - الكراون يساوي 21 جنيه استرليني، وكانت واقعة حينها تحت سلطته.

وأرسلت بريطانيا في نفس توقيت التفاوض السياسي قوة عسكرية لاحتلالها في حال رفض حاكم المهرة التنازل، أي وضعه تحت سياسة الأمر الواقع، وبالفعل رفض

«الطوعـري» العـروض، ولـوّح باللجوء إلى اسـتخدام القـوة للدفاع عن الجزيـرة، فقررت بريطانيـا التفـاوض مـع الزعماء المحليـين في المهرة أملاً في العثور على مـن يلبي رغبتها، وبالفعـل تماهـى مـع غاياتهـا الشـيطانية ابـن شـقيق «الطوعـري»، وكان مـن المُفـترض أن يـرث أبـاه في حكـم المهـرة لـولا صِغـر سـنه، وكانـت أمه تحثـه على بيـع الجزيـرة من أجل الحصـول عـلى المـال، وما أشـبه خونة اليـوم بخونـة البارحة.

وعندمـا علـم «الطوعـري» بذلـك، قـرر منـع المبعـوث البريطـاني مـن التواصـل مـع الزعـماء المحليـين، فقابلـت بريطانيـا هـذا الإجـراء بالتوجه الى إعـمال الخيار العسـكري، واحتلـت الجزيـرة، وأبلـغ وفدهـا الـذي كان حينهـا لا يـزال يفـاوض «الطوعـري» في «قشـن» بـأن الجزيـرة أصبحـت تحـت سـيطرتهم.

وصلـت الحملـة العسـكرية إلى «حديبـو» في 5 يناير 1835، وتم تعيـين الكابتن «بيلي» حاكـماً عسـكرياً، وصدرت التوجيهـات بإخلائها من سـكانها المحليين.

محليـاً، اسـتنفر «الطوعـري» القبائـل المهريـة، وجمـع 1500 مُجنـد، وقـرر التصـدي للاحتـلال واسـتعادة الجزيـرة، مـا دفـع الانجليـز إلى اسـتخدام الحيلـة فاشـتروا مالـك القـوارب «عيـسى بـن مبـارك» وكان مُكلفـاً بنقـل القـوات اليمنيـة إلى الجزيـرة، وأوعـزوا لـه العمـل عـلى إضعاف معنويـات المقاتلـين اليمنيين وتخويفهـم من لجوء الإسـتعمار إلى حصـار المهـرة وتدمـير السـفن التجاريـة التابعـة لأبنائهـا، ويذكـر الباحـث «عبدالله بـن عامـر» أن «مبـارك» كان مُحتكـراً لعمليـة النقـل البحـري بـين المهـرة وجزيـرة سـقطرى، ولهـذا رأى الإنجليـز فيـه ورقـة رابحـة لتجنـب المواجهـات العسـكرية وخلخلـة جيـش «الطوعـري» مـن الداخـل.

ومـن الطـرق القذرة التي أعملتها بريطانيا للفوز بالجزيـرة محاولة إقناع «الطوعري» باسـتئجار أجـزاء منهـا، في حـال رفـض البيـع، وفي حـال تـم الاتفـاق عـلى الاسـتئجار فالخطـوة التاليـة التنـازل النهـائي عنهـا، بنفـس الطريقـة التـي تعامـل بها المرتـزق الآفل «عبـد ربـه منصـور هـادي» في تأجـير جزيـرتي ميـون وسـقطرى للمحتلـين الجدد.

لكـن حالـت عنايـة اللـه دون مـرور هـذا المخطـط الشـيطاني، فأصيـب جنـود الاحتـلال بأمـراض «الإسـقربوط» و«البربـري» وحصـدت أرواح العـشرات منهم، فقـررت بريطانيا

إلغاء مشاريع الإستئجار والشراء، والإكتفاء بإعمال الاتفاقية التجارية مع «الطوعري»، ومغادرة الجزيرة في يونيو 1835، والاستعاضة عنها باستكشاف مدينة «عدن» واتخاذها قاعدة عسكرية واقتصادية بديلة.

وفي العام 1876 اضطر سلطان المهرة الدخول تحت الحماية البريطانية مقابل مبلغ مالي، وتحولت «سقطرى» في حدود العام 1886 إلى محمية بريطانية، وأنشأوا فيها خلال الحرب العالمية الثانية «قاعدة جوية».

وفي 30 نوفمبر 1967، غادر الإنجليز الجزيرة، وسحبوا منها كل معداتهم بما فيها المولد الوحيد فيها، وهو أسلوبهم المُتبع في كل المناطق اليمنية التي احتلوها، ويذكر المؤرخون أنها عادة ما كانت تعمل على إنشاء مرافق خدمية وتنموية هامشية وهشة في مستعمراتها عندما تحس بأن تلك المناطق قاربت على الخروج من تحت سيطرتها، وسحب كل مقوماتها عند الرحيل، وتركها أطلال خاوية على عروش في حقد غير مشهود في تاريخ الدول الاستعمارية.

ويتعامل الاستعمار الاماراتي اليوم مع اليمنيين الوافدين إلى جزيرة «سقطرى» باعتبارهم عمالة وافدة، وقامت بتغيير كل ما يتعلق بالهوية اليمنية فيها بما في ذلك لوحات السيارات اليمنية، وتتحدث التقارير الصحفية أن الزائرين لها بمجرد أن تطأ أقدامهم أرضها تصلهم رسالة إلى هاتفهم المحمول مفادها: «مرحباً بك في أرض الإمارات العربية المتحدة»، يعني احتلال مكتمل الأركان وبوقاحة غير معهودة.

ولم تكتفِ بنت بريطانيا المدللة في جزيرة العرب «الإمارات»، بسلخ الهوية الوطنية للجزيرة بل وسارعت لنهب نفائسها الخضراء والبحرية والتاريخية، وإنشاء المصانع – منها مصنع لتصدير الأسماك - والمنتجعات السياحية، ومواقع استخباراتية مشتركة مع السعودية وأميركا والكيان الصهيوني.

مدينة «عدن»:

أوفدت لندن في القرن الـ 19 الميلادي مبعوثيها إلى الحُكام المحليين لإقناعهم بعقد اتفاقيات ومعاهدات تعاون تجاري، ووقعت في 6 سبتمبر 1802، أول معاهدة مع

سلطان لحج، وأرسلت ضباطها لاستكشاف الجزر والمدن اليمنية، وفي ضوء تقاريرهم خلُص الحاكم البريطاني في بومباي «سير روبرغرانت» إلى أن «عدن» لا تُقدّر بثمن بالنسبة لدولته اقتصادياً واستراتيجياً وعسكرياً، في وقتٍ ظهر فيه العديد من الفاعلين الدوليين الطامحين والطامعين في السيطرة على «عدن» بما فيهم الأميركان، حيث أرسلوا قواتهم إلى «سقطرى» لكن سرعان ما انسحبوا منها بسبب فشلهم في الحصول على امتيازات تجارية وعسكرية من الحكام المحليين، لذا قررت بريطانيا في أواخر العام 1837 تعجيل احتلال عدن لقطع الطريق على الأميركان.

توجهت «لندن» إلى سلطان لحج «محسن بن فضل بن عبدالكريم العبدلي» - تولى الحكم بعد وفاة عمه السلطان أحمد عبدالكريم في يوليو 1827 - لإقناعه بإقامة محطة تجارية في عدن مقابل مبالغ كبيرة وامتيازات خاصة له وأسرته وحاشيته، واستخدم الانجليز لإقناعه كل وسائل الترغيب والترهيب، بما فيها الرفع للسلطات في لندن بسيل من التقارير الملفقة والاتهامات الباطلة، تتهمه بإهانة البريطانيين والأوربيين، والتعرّض للسفن الإنجليزية، ونهبها، منها سفينة «دريا دولت»، والهدف من هذا إقناع سلطات الاستعمار في لندن بتعجيل الحسم العسكري واحتلال عدن بالقوة.

وفي 15 يناير 1838 أرسل «بن فضل» رسالة إلى حاكم الانجليز في «بومباي» عرض فيها دفع تعويضات مالية عما جرى لسفينة «دريا دولت»، وتوافد الضباط الانجليز إلى عدن للتفاوض حول عرض «بن فضل»، واستغلوا ذلك بالتجوال في المدينة من أجل بث الشك والفرقة بين سكانها وسلطانها، والإيحاء لسكانها بأن عدن أصبحت تابعة للإستعمار البريطاني.

كما استغل المبعوث البريطاني خلافاً سلطوياً بين سلطان لحج والسلطان الفضلي للضغط من أجل التنازل عن عدن مقابل حمايته من القوى المحلية المُناصبة له العداء، وحاول السلطان تصفير مشاكله مع محيطه المحلي، غير أن الأخطاء التي رافقت محاولته، أتاحت للمبعوث البريطاني فرصة ذهبية لاستثمارها في قلب الطاولة عليه، لكنه فشل فأرسل إلى سلطانه في لندن برسالة يُخبرها بأن سلطان لحج تنازل عن عدن رغم أنه لم يتنازل.

وفي فترة لاحقة اتهمه بعدم تنفيذ وعوده، ووضع الجميع تحت الأمر الواقع مُعلناً بأن عدن أصبحت من الممتلكات البريطانية، وأبلغ القوى الإقليمية بذلك، وبالتالي التوجه للحسم العسكري، وبعد مرور 70 يوماً من الحصار الخانق تمكن الانجليز من احتلالها في 19 يناير 1839.

وتعود إشكالية السفينة «دريا دولت» الى العام 1837، وهي هندية ترفع العلم البريطاني، جنحت بالقرب من ساحل عدن، ادعى البريطانيون أن سكان عدن هاجموها ونهبوا بعض حمولتها وأن ابن «سلطان لحج وعدن» كان من المحرضين على نهبها، وفي العام ذاته غرقت سفينة بريطانية قرب الشواطئ اليمنية فادعت بريطانيا أن الصيادين اليمنيين قاموا بنهب تلك السفينة، وطلبوا من سلطان سلطنة لحج «محسن العبدلي» التعويض أو تمكين بريطانيا من السيطرة على ميناء عدن.

وكان موقف السلطان «محسن العبدلي»، واضح في رفض المساس بالسيادة اليمنية، والموافقة على دفع تعويضات لبريطانيا، لكن الأخيرة لم تكن تلهث وراء التعويضات بل استغلال هذه القصص المفبركة لتسويغ وتبرير السيطرة على المدينة وميناءها الاستراتيجي.

ومن المفارقات العجيبة أن عم «محسن العبدلي» ويُدعى «أحمد عبدالكريم العبدلي» كان على النقيض تماماً، يذكر المؤرخون أنه عرض على البريطانيين إقامة حلف هجومي دفاعي مشترك، للاستقواء به ضد جيرانه «الفضلي» و«العقربي»، وفي عرضه لذلك الحلف، ذهب تقريباً إلى حد التنازل الكامل عن البلد لصالح الإنجليز، لكن «سير هيوم بوفام» رفض ذلك الطلب، فأي ذُلٍ وأي رُخصٍ وأي هوان هذا!.

والمفارقة الثانية أن السلطان «محسن العبدلي» رغم محاولته التعايش مع الغزاة وتوقيع اتفاق صداقة مع البريطانيين في العام 1839، لكنه لم يسلم من تآمر الإنجليز، ولم يشفع له اتفاق الصداقة لديهم، بل سارعوا لنسج خيوط المؤامرة للإطاحة به عبر ابنه «أحمد»، ومستشاره «حسن عبدالله عاطف» وقريبه «سيد محمد حسين»، وفي هذا درس بليغ لفرقة «حسب الله» فيما يسمى بالمجلس الرئاسي بقيادة المستر «رشاد العليمي» الموالي للتحالف العبري، وما ينتظرهم من مستقبل مظلم ومُخزي.

فـرد عـلى ذلك بشـن عدت حملات على عدن، وانضمت إليه القبائـل الفضلية والعقربية، وكاد الإنجليـز أن يخرجـوا مـن عـدن، لكـن ومـن خلال جواسيسـهم في لحج، عرفـوا باكراً بذلـك، فتصـدوا لتلـك الحمـلات وأحبطوها، وبسـبب خيانة أولئـك الجواسـيس والعملاء استشـهد في تلـك الحمـلات المئـات مـن اليمنيـين عـلى أبـواب مدينـة عـدن، في إحداهـا استشـهد 24 زعيـماً قبليـاً، وبعـد وفاة السـلطان عـام 1847، تـولى الحكم إبنـه «أحمد».

وعمـل الاحتـلال عـلى مصـادرة أسـلحة المقاومة الشـعبية، والقضـاء على من تبـقَ منهم، وتدمـير تحصيناتهـم، وبـث الجواسـيس والعمـلاء في أوسـاط الأهـالي، ويؤكـد المـؤرخ «عبداللـه بـن عامـر» اسـتخدام الإنجليـز يهـود عـدن في التجسـس عـلى سـكانها.

ومـن يومهـا تحولـت عـدن والمناطق اليمنيـة الجنوبيـة والشرقية إلى حقل من الأشـواك والألغام.

مخاضات التحرر الوطني:

رغـم كل محـاولات الاسـتعمار لتكبيـل اليمنيـين وتجريدهـم مـن كل عوامـل القـوة وأسـلحة المواجهـة، لم يسـتقرّ للشرفـاء والأحرار مـن أبناء تلك المناطق حـال، فقد كانوا في غليـان ومواجهـات مسـتمرة ضـد العـدو، بالتوازي مـع إعمال العـدو كل أسـاليب الترغيب والترهيـب والتركيـع وشراء الذمـم والـولاءات وبـث الشـقاق والفرقة والفتن بين سـلاطين تلـك المناطـق، وضربهـم ببعضهـم، وإحيـاء العنصريـات المناطقيـة والجهوية.

وفي القـرن العشريـن شـهدت المناطـق الجنوبيـة والشرقيـة مـن اليمـن سلسـلة مـن الانتفاضـات الشـعبية «1936 - 1962»، لكنهـا كانـت متفرقـة ومتناثـرة وغـير منظمـة وينقصهـا التكتيـك العسـكري والتدريبـي والتقنيـة العسـكرية المتطـورة، مـا حـال دون نجاحهـا، ومـع ذلـك فقـد كان لهـا أثـر كبـير في إضعـاف الـروح المعنويـة للبريطانيـين والقـوات النظاميـة المحليـة الموالـية للاسـتعمار.

وأهـم تلـك الانتفاضـات، انتفاضـة العـام 1956، والتي كان لها أثر كبـير في تفتح الحس الوطنـي وإرعـاب العـدو وعملائـه، الأمـر الـذي جعـل العـدو يحشـد كل قواتـه لمطـاردة المنتفضـين، فاضطـر الثـوار للمغـادرة إلى مدينـة «قعطبـة» في شـمال اليمـن، وجعلها

مؤخـرة وقاعـدة لانطـلاق عملياتهـم ضـد الاسـتعمار وعملائـه.

ومـن أحـرار تلـك الإنتفاضـة «علي عنـتر»، كان قائـداً لإحدى الفـرق الفدائيـة، وتمكن مـن مهاجمـة موقـع الضابط السـياسي البريطاني في منطقـة «الصفـراء»، وأظهر خلالها شـجاعة نـادرة وموهبـة قياديـة فـذة أذهلـت كل رفاقـه، حـين رفـض إطـلاق النـار عـلى المواقـع مـن بُعـد، وأصرّ عـلى الاقـتراب مـن نوافذ المواقـع، وإصابة مـن بداخله مـن جنود الاسـتعمار بصـورة مباشرة، والإنسـحاب بنجاح، وحينها قال الأب الروحـي لثور 14 أكتوبر المناضـل «راجـح غالـب لبـوزة» مُفاخـراً: «لـو أننا نملـك مائة مـن أمثال عنـتر لدمرنا كل معسـكرات بريطانيـا في الجنوب».

ومن العوامل التي حالت دون نجاح الفعل الثوري:

1 – تشـتت الفعـل الثـوري: حيـث كانـت كل قبيلـة تقـاوم العـدو بمفردهـا، دون التنسـيق مـع القبائـل الأخـرى.

2 - إنعـدام الإمكانيـات الماديـة، وبدائيـة ومحدوديـة الوسـائل المسـتخدمة في عمليـة المقاومـة.

3 - غياب العمل السياسي والتنظيمي، ووجود خلفية لانقلاب المنقلبين ..ألخ.

هـذه العوامـل مجتمعـة كان لهـا أثـر كبـير في فشـل المقاومـة الشـعبية وامتصاصهـا، ما سـهل عـلى العـدو تأمـين وتحصين عـدن، والتمدد في المناطـق الجنوبية الأخـرى، وضمان البقـاء فيهـا لأكثر مـن 13 عقداً، تحت شـعارات مظللة من قبيل «الصداقـة» و«الحماية»، بمـا تحمله مـن خُبث ولُؤم اسـتعماري.

وهـي شـعارات زائفـة خادعـة فصّلهـا الإسـتعمار على مقـاس الخونـة والعمـلاء والمرتزق مـن أبنـاء تلك المناطق، بينما كان نصيب الشـعب اليمني الحر التنكيل والشـقاء والحرمان، كـما يذكـر المناضـل «عـلي شـائع هـادي» – وهـو أحـد ثـوار الجبهـة القوميـة - في إحـدى محاضراتـه عـن الاسـتقلال الوطني.

وسـاعدت التحـولات في المناطـق الشـمالية والغربيـة مـن اليمـن في خمسـينيات القـرن العشريـن الميـلادي في تنامـي التمـردات القبليـة في ريف جنـوب اليمن ضـد البريطانيين،

كما عمل الإمام «أحمد يحيى حميد الدين» في العام 1957 على تحريض بعض قبائل الضالع ولحج لاستهداف الجنود والمسؤولين الانجليز، ناهيك عن الدور الذي لعبته التحولات المفصلية بشمال اليمن في سبتمبر 1962، في تصاعد الشعور الوطني، والتحول من المواجهات الشعبوية المقطعة وغير المنتظمة الى المواجهات المنظمة، واندلاع شرارتها في 14 أكتوبر 1963، وعلى مدى أربع سنوات من النضال انتزع اليمنيون في تلك المناطق استقلالهم وحريته، ومغادرة أخر جنود الاستعمار البريطاني البغيض تلك البقاع الطاهرة من وطننا الحبيب في 30 نوفمبر 1967م.

ومما ساعد الثوار على نجاح الفعل الثوري وتنجيز الاستقلال والتعجيل برحيل الاستعمار استيعاب الوطنيين الأحرار الدروس، والإتجاه نحو مأسسة الفعل الثوري، وظهور حركات وطنية سياسية حاضنة ومنظمة وراعية وموجهة لذلك الفعل الآخذ بالتنامي والاتساع والشمولية، وتنوع الأدوات المستخدمة في مقارعة الاحتلال لتشمل إلى جانب المواجهات العسكرية المظاهرات والاحتجاجات والإضرابات العمالية، ..، والأهم من ذلك كما يذكر المؤرخ اليمني محمد سعيد عبدالله «محسن»: «القضاء على العملاء والخونة، من خلال توجيه الضربات القوية للعملاء اليمنيين والأجانب من الهنود والصوماليين، الذين كانوا يلعبون دوراً كبيراً في مراقبة ومتابعة الفدائيين، ورصد تحركات المشكوك فيهم، ورفعها إلى المخابرات البريطانية، إضافة إلى ما يسمعونه ويلاحظونه في الشوارع والأماكن العامة».

ووصل الفعل الثوري ذروته في 20 - 21 يونيو 1967 فشبت النار في معظم المناطق الجنوبية والشرقية، وتهاوت الأسر الحاكمة العميلة تباعاً، وحاصر الثوار مقر القيادة البريطانية في عدن، وأرغموا العدو على الجلاء تحت قوة الثورة وزحفها.

الصندوق الأسود للاحتلال البريطاني:

على مدى 129 عاماً، مارس الاستعمار البريطاني كل أساليب القهر والاستعباد والتفرقة والفتن، وعمل على طمس كل ما يتعلق بالهوية اليمنية، وقولبت التاريخ اليمني، وفصل تلك المناطق عن امتداداتها التاريخية اليمنية، وتمزيق الوحدة اليمنية

والنسيج اليمني، وتعميق اليأس في أوساط أبناء الشعب اليمني من عودة التحام جسدهم الواحد، بدءاً بسياسة «فرّق تَسُد» ومروراً بسياسة معاهدات واتفاقيات الحماية وانتهاءاً بسياسة التقدم نحو الأمام وإعمال نظام الانتداب والاستشارة، تبعاً لمقتضيات التجزئة ومتطلبات كبح جماح نمو الوعي الوطني، الواصلة ذروتها في 1954 بإنشاء «اتحاد إمارات الجنوب العربي»، بدعم وتواطؤ رابطة أبناء الجنوب والجمعية العدنية، أملاً في تمديد سيطرة الاستعمار السياسية والعسكرية على المنطقة أكبر مدة ممكنة، ومنع حدوث أي تطور سياسي محلي، وضمان بقاء مفاعيله الاستعمارية بعد رحيله.

وهو كيان سياسي أرادت بريطانيا من خلاله قطع الطريق على دعوات الاستقلال، لكن الخلافات بين السلاطين والمشائخ الموالين للاستعمار حول رئاسة الاتحاد حالت دون إعلانه حتى عام 1959.

والأكثر خطورة وقذارة التركيز على سلخ هوية الأجزاء الجنوبية والشرقية من اليمن، عن هويتها التاريخية والجغرافية، عبر تغليب الثقافات والهويات المحلية وتغذية النزعات الانفصالية وتعميق هوة الخلافات والصراعات البينية، لضمان طمس الثقافة والهوية الوطنية اليمنية وتكبيل ووأد أي هبة شعبية تحررية، وتدجين الهوية الوطنية لصالح الهوية المحلية المصطنعة، وتعميق الهوة بين علاقات أبناء هذه المناطق وهويتهم الوطنية الأم، وتعميق النزعة الانفصالية التي وجدت في الجمعية العدنية ورابطة أبناء الجنوب العربي ضالتها المنشودة على أمل الحلول مكان الاستعمار بعد رحيله لتنفيذ مخططاته، وتأليف المؤرخين البريطانيين في مقدمتهم «إنجرامز» العديد من الكتب لترسيخ هذا التوجه الشيطاني.

ومن أبرز ما حمله صندوقها الأسود لليمن في تلك الحقبة المظلمة:

1 - مضاعفة واقع التخلف والتفكيك والانقسام، واثارة الشقاق، وزرع الفتن، وتعزيز التعصب القبلي، وتفريخ العشائر والمشائخ والمشيخات، وتشجيع الأنساب القبائلية، وإثارة نعراتها من أجل تعزيز الشعور بالانعزالية، وخلق حركات وطنية وسياسية متناهشة ومتخاصمة وهشة، وبرامج وعقائد غربية علمانية متضادة ومتصادمة، بما يضمن ديمومة وتناسل عوامل التفرقة والتجزئة،

والفتن والاختلاف والتشاحن، بما لذلك من تبعات كارثية لا زلنا نكتوي بمفاعليها إلى اليوم.

وشقه المناطق الجنوبية إلى شقين: شرقية وغربية، فكوّن إدارة لمحميات عدن الشرقية - حضرموت والمهرة، وإدارة لمحميات عدن الغربية - لحج وأبين وشبوة، وجعل بينهما قطيعة سياسية وادارية واقتصادية، ومنع الوفاق بين مختلف الأطراف اليمنية، وإنشاء كيانات سياسية هزيلة ومقسمة، ودق إسفين الشقاق بينها، وإغراقها في الصراعات البينية، وبلغ عدد السلطنات والإمارات في الجنوب نحو 21 إمارة وسلطنة ومشيخية، مستقلة عن بعضها، ومتناحرة فيما بينها، حتى أصبح الاستعمار هو الرابط الوحيد الذي يجمعها بدلاً عن الروابط الوطنية والدينية والثقافية.

2 - إنشاء جيوش وقوات أمن محلية على أسس قبلية وعشائرية ومناطقية، وإغراقها في العصبيات الحزبية والسياسية، بنفس الطريقة التي يعمل بها الاحتلال الاماراتي والسعودي اليوم في المناطق المحتلة.

3 - تحويل عدن إلى سوق للعمالة الرخيصة، ووكر للتآمر والدسائس على شمال اليمن، وفتح أبواب الهجرة الأجنبية إليها، ومحاربة العنصر الوطني، بغرض التهيئة لهندسة مشاريع سياسية مستقبلية للمنطقة مرتبطة بالاستعمار البريطاني.

4 - تشجيع نمو «برجوازية كمبرادورية» طفيلية مرتبطة بالمصالح البريطانية، وإقامة عدد من المشاريع الاقتصادية الهامشية، من قبيل تشجيع الاستعمار زراعة القطن في أبين 1947 ولحج في 1954، وزراعة الفواكه الأوربية، وبناء مصفاة عدن في عام 1954، وقيام شبكة واسعة من مشاريع البناء، لتلبية احتياجات القوات البريطانية في عدن.

5 - تدمير المدن والقرى، وتشريد السكان المدنيين الآمنين، وإحراق ردفان بعملية عسكرية دانها حتى قائد الاستعمار البريطاني آنذاك.

6 - ممارسة كل أساليب التعذيب الوحشي والمخيف ضد الاسرى والمعتقلين اليمنيين، وقتل وأسر الحكام والمشائخ المحليين، ودعم من يؤيدهم حتى يسهل القضاء عليه بعد انتهاء تاريخ صلاحيته.

7 - جعل اللغة الانجليزية اللغة الرسمية في جميع المعاملات الرسمية، وتعيين رؤساء الإدارات ونوابهم من الانجليز، وبقية الكوادر والكُتّاب من أبناء الجاليات الأجنبية الذين يجيدون الإنجليزية، واستبدال القضاء الشرعي الإسلامي، بقضاء وضعي علماني باللغة الانجليزية في جميع المجالات، وبناء الكنائس في مناطق مرتفعة عن المساجد.

8 - نشر المحرمات من خمور ودعارة وقمار وسباب وأخلاق منحطة، وعدم الاهتمام بالتعليم في مسعى للتغريب الأخلاقي، والإعلامي والثقافي، والتجهيل التعليمي، والتسطيح الديني، والإلهاء الاجتماعي.

جرائم أبناء الإ ٰ بليز غير الشرعيين:

لم تكن بريطانيا بعيدة عن مفاعيل عدوان تحالف العاصفة على اليمن، رعاية ودعماً ومشورة وتوجيهاً ومباركة وتغطية على جرائم ذلك العدوان الآثم، وشمل ذلك كل أنواع الدعم التسليحي واللوجستي والاستخباراتي، بصورة جعلت الأمم المتحدة تضعها على استحياء إلى جانب أميركا وفرنسا على قائمة الشركاء في جرائم الحرب في اليمن.

وتتحدث التقارير الإعلامية عن بيع شركة الصناعات العسكرية والجو فضائية البريطانية، السعودية أسلحة وخدمات عسكرية بنحو 6/17 مليار جنيه استرليني منذ العام 2015 وحتى الان، وتواجد 6700 موظفاً بريطانياً في السعودية.

وعملت دول العدوان العبري على استنساخ كل قذارات الصندوق الأسود لحقبة الاحتلال البريطاني، بما في ذلك تقسيم الجيوش المحلية، وتسمياتها المناطقية، وتغذية النزعات الإنفصالية، وانتهاج سياسة تدميرية لمؤسسات الجنوب الحيوية ومنشآته بصورة فاقت ما عمله الإحتلال البريطاني، وتجميد الحركة التجارية في ميناء عدن، وتحويل مطار عدن الدولي إلى ثكنة عسكرية، والإستيلاء على المنشآت الإيرادية في المناطق الجنوبية المحتلة، وتولي أبو ظبي تصدير النفط اليمني بطريقة غير مشروعة من حضرموت وشبوة، والسيطرة على الجزر اليمنية وسواحل البحر العربي والبحر الأحمر، ومنع الاصطياد في المياه اليمنية، ما أفقد 4 ملايين يمني مصدر دخلهم.

وأصبحت مدينة عدن في ظل الاحتلال العبري من أكثر المدن رعباً في العالم، وانتعشت عمليات الاغتيالات بواقع 3 عمليات يومياً، وتصفية القيادات السياسية والدينية اليمنية المناهضة للإحتلال العبري في عدن والمحافظات الجنوبية.

ناهيك عن إنشاء أكثر من 10 سجون سرية شبيه بسجن «أبو غريب» في مدينة عدن، تمارس فيها قوات الإحتلال كل القذارات بحق اليمنيين، كما بنت الإمارات سجون في إحدى المناطق النائية في ارتيريا لذات الغرض، يُشرف عليها ضباط صهاينة، وقد تحدثنا عن ذلك في سلسلة من القراءات عن تبعات وأسرار العلاقات الصهيونية الإماراتية في فترات سابقة.

المراجـــــع:

1 - أحمد صالح الجبلي، حالة المنطقة عشية الاحتلال البريطاني لعدن، موقع خيوط، 14 أكتوبر 2020.

2 - أمذيب صالح احمد، اليمن الجنوبي في فخاخ الفتن البريطانية من الاحتلال إلى الاستقلال، موقع عدن الغد، 3 أبريل 2021.

3 - حمزة علي لقمان، معارك حاسمة من تاريخ اليمن، مركز الدراسات اليمنية، الطبعة الأولى، 1978.

4 - ذكرى أحمد الحسني، استقلال جنوب اليمن: الاحتلال باقٍ بنُسخة أبشع، موقع صحيفة الاخبار اللبنانية، 15 أكتوبر 2018.

5 - زيد يحيى المحبشي، الوحدة اليمنية القلب ينبض جنوباً، قراءات، مركز البحوث والمعلومات، أغسطس 2009.

وكذا: 30 نوفمبر عيد الجلاء للاستعمار البريطاني من عدن، مركز البحوث والمعلومات، 28 نوفمبر 2019.

ما الذي تبقى من ثورة 14 أكتوبر المجيدة؟، مركز البحوث والمعلومات، 14 أكتوبر 2020.

6 - سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن، دار العودة - بيروت، الطبعة الثانية، 1988.

7 - عبدالله بن عامر، تاريخ اليمن مقبرة الغزاة، الجزء الثاني، مطابع دائرة التوجيه المعنوي، الطبعة الأولى، 2019.

8 - علي شائع في رحاب الخالدين، مركز البحوث الحزبية، الحزب الاشتراكي اليمني، طبع دار الهمداني.

9 - علي عنتر في رحاب الخالدين، مركز البحوث الحزبية، الحزب الاشتراكي اليمني، الطبعة الأولى، مارس 1986.

10 - محمد سعيد عبدالله «محسن»، عدن كفاح شعب وهزيمة امبراطورية، دار ابن خلدون – بيروت، الطبعة الثانية، 1989.

11 - محمد أنعم، جرائم عملاء الاستعمار من «هينس» إلى «هادي»، الميثاق نت، 19 أكتوبر 2017.

12 - موقع عربي بوست، الاستعمار البريطاني في اليمن، 14 سبتمبر 2022.

13 - موقع المهرية نت، ثورة 14 أكتوبر .. هكذا حقق اليمنيون استقلالهم من الاحتلال، 14 أكتوبر 2021

14 - موقع نور نيوز، على خلفية وفاتها.. ملكة بريطانيا وحقبتها الدامية، 9 سبتمبر 2022

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

وضع المرأة في أمريكا والغرب

شعارات زائفة وواقع سيئ

مركز البحوث والمعلومات

أنس القاضي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)

WWW.SABA.YE/AR

ملخـــص:

تقبـع المـرأة في الولايـات المتحـدة الأمريكية في أسـفل الطبقات والشرائـح الاجتماعية في البلـد، فهـي الشريحـة الأضعـف في نظـام التفـاوت الطبقـي الرأسـمالي، فعـلى الرُغـم من المظاهـر البراقـة لحريـة المـرأة عـلى صعيد الحقـوق المدنيـة إلا أن أنها تعيـش ضروب من «العبودية الحديثة»، إذ تعاني شـتى أنواع الاسـتغلال والاسـتعباد والإذلال والعدوان والقهر والتعنيـف الجسـدي والنفسـي والجنسـي، في حضـارة قائمـة عـلى عـزل القيـم والأخـلاق والتعاليـم الدينيـة بمـا فيهـا «المسـيحية» عـن حيـاة المجتمـع لصالح قيمـة الربح، وسـيادة الفلسـفة النفعيـة والعلاقات السـلعية في كل شيء.

أُعِـدّ هـذا التقريـر، الـذي يبحـث في وضـع المـرأة الأمريكيـة بصـورة سريعـة ويقـدم عناويـن عنهـا، بالاسـتناد إلى معلومات رسـمية وحزبيـة من الداخل الأمريـكي، ولهذا فهي تحمـل الكثـير مـن المفاهيـم الخاصـة التـي تشـير إلى ظواهـر في المجتمع الأمريـكي، وهي ظواهـر، تعكـس معانـاة المـرأة في الولايـات المتحـدة، ودول الغـرب عموماً.

فمفاهيـم مثـل «الأمهـات العازبـات»، تشـير إلى النسـاء اللـواتي حملـن مـن علاقـات جنسـية غـير شرعيـة ممـن يعيشـون مـع بعـض بـدون زواج (وهـي غـير مشروعـة وفـق تعاليـم الشريعـة المسـيحية ذاتهـا، ولا يعـدان زوجـان رسـمياً مـن وجهـة نظـر القانـون)، وكذلـك مفهـوم «الشريـك»، و«الشريـك الحميـم»، التـي تشـير إلى مثـل هـذه العلاقـة غـير المنضبطـة شرعيـاً وقانونيـاً، كـما نجد حديـث عن حمـل الطالبـات، والمراهقـات، وعن الإجهـاض الاختيـاري لعـدم القـدرة عـلى الإنفـاق عـلى المولـود سـواء كان مـن زوجـين أم مـن علاقـة جنسـية غـير مشروعـة أو لعـدم التفكـير بتربيتـه وبنـاء أسرة، هـذه المفاهيـم والظواهـر، الناتجـة عـن الفـوضى في العلاقـات الجنسـية، تشـير إلى معاناة المـرأة في هذه البلـدان، والتـي تفتقـد إلى الحمايـة التـي يوفرهـا نظـام الأسرة سـواء الأسرة في الشرق أو الغـرب، فـالأسرة توفـر الحمايـة والدعـم والتعـاون، وهـي شـكل تنظيم اجتماعـي مهم في تاريـخ وحـاضر الإنسـانية ومسـتقبلها، ومعانـاة المـرأة الأمريكية في ظل عـدم وجود أسرة هـي الأشـد مقارنـة بالمـرأة التـي تعيـش ضمـن نطـاق الأسرة.

كـما تتضمـن المعلومـات مـن الداخـل الأمريـكي، مفاهيـم مثـل «الأسـيويات»، والنسـاء

«الملونات» و «السود»، والقصد بذلك النساء المهاجرات إلى الولايات المتحدة، إذ يعشن في وضع أدنى من النساء البيض ذوات الأصول الأوربية، وتعاني النساء الآسيويات والملونات من عنصرية وظلم في أجور العمل، ويمثلن النسبة الأكبر في صفوف الفقيرات والعاطلات عن العمل والقاطنات في الملاجئ، كما تبرز أيضاً مفاهيم المثليات، والمتحولات جنسياً، ورغم دعم الغرب لهذه التوجهات الجنسية الشاذة في العالم، إلا أن النساء الأمريكيات(الشواذ والمتحولات جنسياً) يتعرضن للاضطهاد والقمع من المجتمع الأمريكي ومن المؤسسات الحكومية الأمريكية إذ غالباً ما يتم التعامل معهن بتمييز.

فالمرأة الأمريكية عموماً الطبيعية والشاذة، البيضاء من الأصول الأوربية، أو السود والملونات، جميعهن مُضطهدات ومظلومات من النظام الاقتصادي الاجتماع القائم، والأكثر مظلومية فهن ضحايا العنف الجسدي والجنسي والاستغلال الاقتصادي والكراهية، ولا تخرج من ذلك إلا شريحة بسيطة من النساء المقتدرات مالياً، وهؤلاء بدورهن يُمارسن الاضطهاد ضد بقية النساء، وفي واقع الحال فحقوق المرأة والمساواة الدستورية بين الرجل والمرأة، لها وجود فقط في القضايا السياسية والحريات المدنية، إلا أن هذه الحقوق غير موجودة في واقع الحياة الاجتماعية الاقتصادية الملموسة يومياً، كما أن الرجل الأمريكي أيضاً مجرد من الحقوق الاجتماعية الاقتصادية، وإن كان الظلم الواقع عليه أقل، أما المرأة فهي الشريحة الأضعف في المجتمع الأمريكي.

السياسات العدوانية الاستغلالية التي تمارسها الولايات المتحدة على المستوى الداخلي، هي نموذج لما تمارسه بشكل أكبر على المستوى الدولي، فطبيعة النظام الأمريكي تحدد سياسته العدوانية، مع المرأة والرجل معاً في الداخل والخارج، فعلى المستوى الدولي لاتزال السياسات العدوانية الأمريكية تلقي بويلاتها على المرأة اليمنية والعراقية وكذلك المرأة الأفغانية بعد تسليم أمريكا السلطة لحركة طالبان، وكذلك المرأة الإيرانية والكورية والكوبية والفينزويلية بسبب العقوبات الاقتصادية والحصار، وغيرها من نساء العالم.

اتساع دائرة المُضطهدين والمضطهدات من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، هي ظاهرة عولمية، إذ باتت الولايات المتحدة اليوم تمارس قهر المرأة على المستوى العالمي، وخصوصاً

المرأة في الدول التي تتدخل الولايات المتحدة الأمريكية عسكريا فيها وكذلك الدول التي تعاني من الحروب الاقتصادية الأمريكية والحصار.

وفي اليمن، بلغت النساء الضحايا بصورة مباشرة بالغارات الأمريكية منذ العام 2015م خلال 2800 يوماً 11498 امرأة شهيدة و 21955 امرأة جريحة، بالإضافة إلى عشرات آلاف النساء اللواتي يعانين وأطفالهن من سوء التغذية، بسبب الحصار المستمر، ناهيك عن النساء اللواتي سُرحن من أعمالهن بفعل تدمير البنية التحتية الاقتصادية، وكذلك موظفات القطاع الحكومي اللواتي فقدن أجورهن بسبب الحرب الاقتصادية على الجمهورية اليمنية.

حضارة الرق الحديث

قامت الليبرالية الغربية بصياغة المرأة وتقديمها كسلعة جنسية عبر مختلف وسائل الدعاية والتعليم والتثقيف، وما كانت تدعو له الليبرالية في بداياتها قبل قرون من تحرير المرأة في مواجهة النظام الاقطاعي والكنيسة في أوروبا وأمريكا، أنتهى به الأمر إلى تبرير استعبادها الحديث في إطار النظام الرأسمالي الاحتكاري، الذي يضع الربح فوق الإنسان، وتبرز المرأة هنا كسلعة في بيوت الدعارة، أو كمروجة لسلعة مُعينة في السوق عموماً، إذ يتم عرض جسدها العاري في الترويج لمختلف السلع، بما في ذلك سلع لا علاقة لها بالجانب الصحي أو مستحضرات التجميل، كالخمور والسيارات.

تستغل الرأسمالية الجنس أبشع استغلال، سواء على صعيد تحويل اهتمامات الجماهير عن مشاكلها الواقعية، أو عن طريق خلق حاجات استهلاكية جديدة من أجل الربح، كمجلات وكتب الجنس، وأفلام الخلاعة، وملاهي التعري، ودور الدعارة، لأنها تعتبر أعمالاً مربحة يستغل فيها الرأسمالي مشاكل العامل النفسية الناتجة عن القمع والاضطهاد، ويوفر مجالاً مغرياً لنسيان همومه، والانغماس في اللهو مشترياً بذلك لحظات ينسى فيها واقعه المزري والبئيس»[1].

1) المرأة والجنس في المجتمع الرأسمالي . سعيد الوجاني. الحوار المتمدن-العدد: 6514 – 2020. متوفر على الرابط: https://www.ahewar.org

ومنذ ظهورها التاريخي، كان استغلال المرأة والأطفال والمهاجرين، في الولايات المتحدة الأمريكية لا نظير له في التاريخ الرأسمالي، فقد مورست شتى أشكال الاستغلال الظالم، إذ كان الرأسماليون الأمريكيون يعتصرون حياة العاملات والعمال دون رحمة، لتبزغ لاحقاً ناطحات السحاب على أجساد العاملات والعمال، وجماجم السكان الأصليين، والعبيد الذين جرى اصطيادهم من إفريقيا ليستخدموا في الكدح العضلي في المزارع والمحاجر، في ظروف لا إنسانية، فمنذ الوهلة الأولى وحتى اليوم في طورها الرأسمالي الاحتكاري «الإمبريالي» ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية كوحش يعيش على امتصاص الدماء واستعباد البشر، من الرِق الواقعي إلى الرق الحديث وعبودية العمل المأجور، واستعباد واستغلال شعوب المُستعمرات الحديثة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.

الإعتداءات الجنسية

تعيش المرأة وضعا مأساوياً في القضايا الجنسية، فهي الطرف الأضعف والمُستغل غالباً في الممارسات الجنسية خارج الزواج والتي لا تعتبر من وجهة نظر القانون مجرّمة، كما أنها تقدم خدمات الامتاع الجنسي للرجال مقابل المال من أجل أن تغطي تكاليف الحياة، وهو أمر مريع يحط من كرامتها الإنسانية، إلى جانب استغلالها في العلاقات (غير المشروعة من وجهة النظر الدينية المسيحية السائدة) التي لا يجرّمها القانون، فهي ضحية أخرى ضمن الجرائم التي تعد مجرّمة قانونياً.

وفي طليعة هذه الجرائم، العنف الجنسي والاغتصاب، التي تبلغ نسبة معدلات عالية، في الولايات المتحدة الأمريكية ترتكب جريمة اغتصاب واعتداء جنسي كل 68 ثانية، منهم طفل كل 9 دقائق!!! وفقاً لإحصائيات العام 2022م وفي الوقت نفسه، فإن 5 فقط من كل 1000 جانٍ ينتهي بهم المطاف في السجن»، هذه الاحصائية العام المنصرم صادرة عن الشبكة الوطنية لمكافح الاغتصاب، (RAINN) وهي منظمة أمريكية غير ربحية مناهضة للاعتداء الجنسي، تعد الأكبر في الولايات المتحدة[2].

(2 Every 73 seconds, an American is sexually assaulted. https://www.rainn.org

ووجود مثل هذه الشبكة في حد ذاته يُشير بوضوح إلى أن ظاهرة الاعتداء الجنسي تجاوزت المعدلات التي تُعد جرائم جنائية يمُكن أن تحدث في أي بلد، وبلغت مستوى أن تكون ظاهرة شائعة.

وفقاً للشبكة فالنساء في سن 18-24 معرضات بشكل كبير لخطر العنف الجنسي، والعنف الجنسي في الحرم الجامعي؛ فوفق الاحصائيات:

يتعرض 13% من جميع الطلاب للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي من خلال القوة الجسدية أو العنف أو العجز (بين جميع طلاب الدراسات العليا والجامعية).

بين طلاب الدراسات العليا والمهنيين، فإن 9,7% من الإناث و2,5% من الذكور يتعرضون للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي من خلال القوة الجسدية أو العنف أو العجز.

بين الطلاب الجامعيين، 26,4% من الإناث و 6,8% من الذكور يتعرضون للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي من خلال القوة الجسدية أو العنف أو العجز.

5,8% من الطلاب تعرضوا للملاحقة منذ دخولهم الكلية.

الطالبات في سن الجامعة (18-24) أقل عرضة بنسبة 20% من غير الطالبات من نفس العمر للتعرض للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي.

تلقت حوالي 1 من كل 5 ناجيات في سن الجامعة مساعدة من وكالة خدمات الضحايا.

20% فقط من الطالبات الضحايا، من سن 18-24، يبلغن سلطات إنفاذ القانون.

السجينات في الولايات المتحدة

هناك 231000 امرأة محتجزة في الولايات المتحدة، لا تزال النساء يمثلن نسبة أكبر من الأشخاص في السجون مقارنة بالعقود السابقة، علاوة على ذلك، في العديد من الولايات، تستمر معدلات سجن النساء في الارتفاع بشكل أسرع من الرجال، يتم استخدام السجن الجماعي لتخزين النساء المهمشات، بما في ذلك أولئك الذين يعانون من الفقر واضطرابات تعاطي المخدرات وانعدام الأمن السكني.

عدد هائل من النساء المسجونات لم تتم إدانتهن حتى: ربع النساء خلف القضبان لم

يحاكمن بعد، علاوة على ذلك، فإن 60% من النساء في السجون الخاضعة للسيطرة المحلية لم تتم إدانتهن بجريمة وينتظرن المحاكمة[3].

بين عامي 1980م و 2020م، زاد عدد السجينات بأكثر من 475%، حيث ارتفع من إجمالي 26326 في عام 1980م إلى 152854 في عام 2022م كان عدد السجينات أعلى بخمس مرات تقريباً في عام 2020م منه في عام 1980م، سجن النساء الأمريكيات من أصل أفريقي كان ما يقرب من ضعف معدل النساء البيض في عام 2020م.

على غرار البالغين، من المرجح أن يتم سجن الفتيات الملونات أكثر من الفتيات البيض. تزداد احتمالية تعرض الفتيات من السكان الأصليين للسجن بأربعة أضعاف، كما أن الفتيات الأميركيات من أصول أفريقية أكثر عرضة بثلاث مرات من الفتيات البيض للسجن[4].

تدفع الولايات المتحدة بسياساتها نحو السجن الجماعي للنساء، ارتفع عدد النساء المحتجزات بسبب انتهاكات قوانين الولاية والقوانين المحلية بشكل كبير منذ أواخر السبعينيات، تُظهر هذه الاتجاهات بوضوح أن السياسات الحكومية والمحلية دفعت إلى السجن الجماعي للنساء[5].

قضية السجينات الأمريكيات هي جزء من قضية عامة وباتت عملياً جزء من الاستغلال الرأسمالي ومصدراً للدخل فالرسوم والغرامات ترتفع ولا يمكن للفقراء المسجونين دفعها، فبحسب موقع «مبادرة سياسة السجون-غير الحكومية»، بالإضافة إلى 1.6 مليون شخص مسجونين في السجون الفيدرالية وسجون الولايات، هناك أكثر من 600000 شخص محتجزون(لا مسجونون بحكم قضائي) في أكثر من 3000 سجن محلي في جميع أنحاء الولايات المتحدة، أكثر من 70 بالمائة من هؤلاء الأشخاص في السجون المحلية محتجزون قبل المحاكمة، - بمعنى أنه لم تتم إدانتهم بعد بجريمة ويُفترض قانوناً أنهم أبرياء.

3) Women's Mass Incarceration: The Whole Pie 2019 . October 29, 2019 : موقع مبادرة سياسة السجون https://www.prisonpolicy.org

4) Incarcerated Women and Girls. May 12, 2022 . المصدر سابق

5) The Gender Divide: Tracking Women's State Prison Growth . January 9, 2018. المصدر السابق

أحد الأسباب التي تجعل عدد السكان غير المدانين في الولايات المتحدة كبيراً جداً هو أن البلد لديه إلى حد كبير نظام الكفالة المالية، حيث المبدأ الدستوري المتمثل في البراءة حتى تثبت إدانته لا ينطبق إلا على الأثرياء. مع الكفالة المالية، يُطلب من المدعى عليه دفع مبلغ معين من المال كضمان مُتعهد له بحضور جلسات المحكمة في المستقبل. إذا كان المدعى عليه غير قادر على جلب المال بنفسه أو من خلال ضامن الكفالة التجارية، يمكن حبسهم منذ القبض عليهم حتى يتم حل قضيتهم أو رفضها في المحكمة.

نجد أن معظم الأشخاص غير القادرين على الوفاء بكفالة يقعون ضمن أفقر ثلث المجتمع، باستخدام بيانات مكتب إحصاءات العدل، وجدنا أنه في عام 2015، بلغ متوسط الدخل السنوي للأشخاص المسجونين 15109 دولارات أمريكية قبل سجنهم، وهو أقل من نصف (48%) متوسط دخل الأشخاص غير المسجونين من نفس الأعمار،الناس في السجن هم أفقر بشكل كبير من نظرائهم غير المسجونين.

يجب على الولايات والحكومات المحلية الكف عن حبس الأشخاص بسبب عدم سداد ديون العدالة الجنائية التي لا يمكنهم تحملها، وهي ممارسة اعتبرت مراراً أنها غير دستورية من قبل المحكمة العليا الأمريكية[6].

انتهاكات حقوق الإنسان

بحسب المفكر التقدمي الأمريكي ناعوم تشومسكي فالولايات المتحدة الأمريكية لا تقبل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فالإعلان يتضمن ثلاثة مكونات متساوية في الأهمية: الحقوق السياسية المدنية، والحقوق الاقتصادية الاجتماعية، والحقوق الثقافية، قبلت الولايات المتحدة أساساً المكون الأول من الثلاثة.. وأدانت رسمياً المكون الثاني المتمثل بالحقوق الاقتصادية الاجتماعية... ويمتد الرفض الأمريكي لإعلان حقوق الإنسان في المبدأ والممارسة إلى مجالات أخرى خذ مثلاً حق العمل»[7].

6) Detaining the Poor. May 10, 2016 . المصدر السابق

7) نعوم تشومسكي، « العالم إلى أين»، (دار الساقي بيروت 2018م، ط1) 205، 206

تنتهك على نطاق واسع في الولايات المتحدة الأمريكية حقوق المرأة، وخاصة المرأة العاملة والضعيفة، فحسب تشديد الحزب الشيوعي الأمريكي: «جميع النساء عرضة لعدم المساواة بين الجنسين، الهجمات المستمرة على برامج الرعاية الاجتماعية، والقيود المفروضة على الرعاية الصحية والحقوق الإنجابية، والفوارق في الأجور على أساس الجنس تؤثر بشدة على جميع النساء، وخاصة الأمهات العازبات، والنساء المضطهدات قومياً وعرقياً، وجميع نساء الطبقة العاملة»[8].

كما تشهد الولايات المتحدة الأمريكية أزمة عميقة في الجانب الصحي، أشار إليها تشومسكي، فرغم أن تكاليف العلاج باهظة فإنها سيئة، فمعدل وفيات الأطفال في الولايات المتحدة أكبر منها في كوبا واليونان وهي دول نامية، ولا تعود الأزمة إلى وجود تخلف علمي أو ضعف اقتصادي كما هو الحال في البلدان النامية التي تعاني من مشاكل صحية، ولكن منطق الربح والرأسمال الاحتكاري هو السبب، فشركات التأمين تعمل على جمع المال لا تأمين الرعاية الصحية.

وجاء في تقرير منظمة «هيومن رايتس ووتش» للعام 2022م: «بسبب التغطية غير المتكافئة للرعاية الصحية في أنحاء الولايات المتحدة، نشأت بيئة في البلاد تموت فيها النساء في بمعدلات أعلى بكثير من النسب المسجلة في البلدان الغنية نسبيا، من أسباب يمكن الوقاية منها في حالات وفيات الأمومة وسرطان عنق الرحم، تحظر قاعدة «تكميم الأفواه» الصادرة عن إدارة ترامب، والتي دخلت حيز التنفيذ في أغسطس/آب، الأطباء الذين يتلقون أموال فيدرالية لتنظيم الأسرة (الباب العاشر) من إعطاء النساء معلومات عن المجموعة الكاملة من خيارات الحمل المتاحة.. في سياستها الخارجية، انتهكت إدارة ترامب القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي، وقوّضت المؤسسات المتعددة الأطراف، ولم تستخدم نفوذها إلا قليلاً لتعزيز حقوق الإنسان في الخارج.

رغم أن الإدارة فرضت عقوبات على بعض الأفراد والحكومات المسيئة، إلا أنها تعاونت

8) الحزب الشيوعي الأمريكي الحزب الشيوعي الأمريكي «البرنامج السياسي»،(13 إبريل 2020م) متوفر على الرابط: https://cpusa.org

أيضا مع الحكومات والقادة الذين لديهم سجلات حقوق مروعة، وأشادت بهم علنا.

وافقت الإدارة على بيع معدات عسكرية متطورة إلى السعودية على رغم مسؤولية البلاد عن العديد من جرائم الحرب في اليمن، ولم تحقق الإدارة بشكل مناسب في العمليات العسكرية التي قتلت المدنيين في سوريا وأفغانستان والصومال.

وشددت نيكول أوستن-هيلري، مديرة برنامج الولايات المتحدة في هيومن رايتس ووتش: يتعين على حكومة الولايات المتحدة أن تتصرف على جميع المستويات لتقلب الموازين لصالح حقوق الإنسان للجميع وليس للمعاناة الإنسانية في الولايات المتحدة»[9].

قانون الأسلحة وقتل المرأة

بحسب معهد التقدم الأمريكي، فالعنف ضد المرأة هو أزمة عامة، والبنادق تجعل جرائم العنف ضد المرأة أكثر فتكاً بشكل استثنائي.

تُقتل معظم النساء اللواتي يمُتن بسبب العنف المسلح في سياق الشريك الحميم أو العنف المنزلي، في الواقع، فإن وجود سلاح ناري في المنزل أثناء حادث عنف منزلي يزيد من خطر الموت بخمسة أضعاف، بالإضافة إلى ذلك، تم ارتكاب أكثر من 50 % من جميع جرائم قتل النساء ذات الصلة بالشريك الحميم بسلاح ناري.

على الرغم من عدم ارتكاب جميع أشكال العنف باستخدام الأسلحة النارية ضد النساء في سياق العنف المنزلي، إلا أنه يمثل نسبة كبيرة من العنف المرتكب ضد هذه الفئة السكانية.

يؤثر العنف المنزلي على جميع الأشخاص بغض النظر عن العرق أو الجنس أو التوجه الجنسي أو الوضع الاجتماعي والاقتصادي.

ومع ذلك، فإن مجموعات معينة من الناس تعاني من معدل غير متناسب من العنف المنزلي.

9) هيومن رايتس ووتش،» الولايات المتحدة: السياسات العقابية تقوّض الحقوق «، 14 يناير 2022م، متوفر على الرابط: https://www.hrw.org

النساء ونساء الأقليات العرقية والإثنية والأشخاص ذوي الإعاقة أكثر عرضة للعنف المنزلي، والبنادق لا تؤدي إلا إلى تفاقم هذا الضرر.

والنساء السود على سبيل المثال، يواجهن أعلى معدل للقتل باستخدام الأسلحة النارية في جميع الأجناس في الولايات المتحدة.

تواجه النساء في جميع أنحاء البلاد معدل قتل بأسلحة نارية يبلغ 1.49 % جريمة قتل لكل 100 ألف امرأة، لكن النساء السوداوات يواجهن معدل 3.92% - أكثر بثلاث مرات من معدل قتل النساء البيض، حيث يبلغ 1.07%[10].

الإعتداء على المرأة

العنف ضد المرأة من القضايا الشائكة في الولايات المتحدة الأمريكية، فعلى أساسٍ من استضعاف المرأة والتمييز بحسب الجنس تكون المرأة ضحية للعنف، سواء داخل الأسرة أو خارجها، ويمتد العنف من الاعتداء بالضرب إلى الاعتداء الجنسي، وهي مشكلة معقدة تتضح من خلال الموازنات التي تخصصها الحكومة الأمريكية للتعامل مع هذه القضية التي باتت ظاهرة عامة.

في سبتمبر من العام الماضي 2022م أعلنت وزارة العدل الأمريكية عن منح قرابة 22 مليون دولار في شكل منح قادمة لمعالجة ومنع الاعتداء الجنسي والعنف المنزلي والعنف في المواعيد الغرامية والمطاردة في حرم الجامعات.

بحسب مساعدة المدعي العام الأمريكي فانيتا جوبتا: « تشير الدراسات إلى أن واحدة من كل خمس نساء شملهن الاستطلاع تعرضن للاعتداء الجنسي أثناء وجودهن في الكلية». «نحن بحاجة إلى دعم حرم الجامعات بالموارد اللازمة لخلق ثقافة الحرم الجامعي التي لا تتسامح مع الاعتداء الجنسي أو العنف في المواعدة[11].

---

10) Weak Gun Laws Are Harmful to Women and Survivors of Domestic Violence OCT 31, 2022، : مركز التقدم الأمريكي، متوفر على الرابط: https://www.americanprogress.org

11) Justice Department Announces $21.72 Million to Reduce Sexual and Domestic Violence on Campus, Support Children and Youth and Engage Men and Boys as Allies . Thursday, September 22, 2022 . موقع وزارة العدل الأمريكية : https://www.justice.gov

وفي أكتوبر من العام 2022م احتفت الولايات المتحدة بشهر أكتوبر باعتباره شهر التوعية بخطورة العنف ضد المرأة، وبحسب وزارة العدل الأمريكية؛ فالعنف المنزلي خطير ومنتشر ولا يبقى أثره داخل المنزل؛ حيث ينتشر في أماكن العمل والمدارس ومجتمعات بأكملها.

وكان قد أعلن المكتب المعني بالعنف ضد المرأة (OVW) عن تمويل منح مبلغ 70 مليون دولار في السنة المالية 2022م، بما في ذلك 39 منحة يبلغ مجموعها 29،916،258 دولاراً في إطار برنامج تحسين استجابات العدالة الجنائية للاعتداء الجنسي والعنف المنزلي والعنف في المواعدة وبرنامج منح المطاردة[12].

وقبل ذلك في أغسطس من ذات العام، أعلنت وزارة العدل الأمريكية عن تقديم منح بقيمة 35.7 مليون دولار للدول لدعم ضحايا الاعتداء الجنسي، بحسب الوزارة، سيساعد تمويل المنحة عشرات الآلاف من الناجين من العنف الجنسي على الوصول إلى الخدمات الأساسية[13].

ظلم واستغلال المرأة العاملة

أعاد إطلاق سراح بريتني غرينر، نجمة كرة السلة الأمريكية الإفريقية المسجونة في روسيا - على خلفية قضية ممنوعات - الحديث عن ظلم المرأة في الولايات المتحدة، من بين القضايا التي أثارتها قضية جرينر سبب اضطرارها للعمل بدوام جزئي في روسيا في المقام الأول، لقد حصلت على أجر للعمل في روسيا أكثر مما كانت عليه في الولايات المتحدة، وهي واحدة من أفضل نجوم كرة السلة للسيدات الأمريكيات أجراً.

يعكس عدم المساواة في الأجور بين النساء والرجال في الألعاب الرياضية عدم المساواة الأكبر والمدمر في جميع الدخول، حيث تكسب النساء أقل من الرجال في الولايات المتحدة، والنساء السود من بين أكثر النساء أجوراً غير عادلة[14].

12) Justice Department Observes National Domestic Violence Awareness Month . 28, 2022 . موقع وزارة العدل الأمريكية: https://www.justice.gov

13) Department of Justice Announces $35.7 Million in Grants for States to Support Victims of Sexual Assault . August 19, 2022 . موقع وزارة العدل الأمريكية: https://www.justice.gov

14) Welcome home, Brittney BY:ERIC BROOKS| DECEMBER 17, 2022 موقع الحزب الشيوعي الأمريكي متوفر على الرابط: https://www.cpusa.org

زيف المساواة

قانونياً المرأة متساوية من حيث الحقوق والواجبات مع الرجل، ولم تأتِ هذه المساواة القانونية (النظرية) إلا بعد نضال طويل نسوي ونقابي، ولكن واقعياً وفي الحياة الاجتماعية تنعدم هذه المساواة، ابتداء من دخل العمل، ففي البلدان الرأسمالية يحصل المرء من الحقوق بقدر ما يملك من المال.

لايزال التمايز بين الرجل والمرأة في العمل على أساس النوع الاجتماعي سائداً، تشكل النساء الآن 47 في المائة من القوة العاملة في الولايات المتحدة، وفقاً لإحصاءات وزارة العمل (DOL) في عام 2015م.

على الرغم من أن ما يقرب من نصف القوى العاملة في الولايات المتحدة، لا تزال النساء يعانين من آثار التقاطع بين الرأسمالية وتفوق الذكور وكراهية النساء في مكان العمل من خلال أجور أقل من نظرائهن من الرجال وأعداد أقل من الوظائف ذات الأجور المرتفعة والقوة العالية والمكانة المرموقة.

غالبية المناصب المهنية والإدارية التي تشغلها النساء تكون في مجال الرعاية الصحية والتعليم - وهي مناصب لا تعتبر عالية القيمة ولا تحصل على أجر جيد، مثل مديري الموارد البشرية، حيث تشكل النساء 74 في المائة، أو 71 في المائة من مديري الخدمات الاجتماعية.

في المتوسط، في عام 2015، كسبت النساء 726 دولاراً في الأسبوع، بينما كسب الرجال 895 دولاراً لنفس الفترة الزمنية، هذه الفجوة في الأجور موجودة حتى عندما يعمل الرجال والنساء في نفس المجال.

وفي حين أن الأمريكيين من أصل أفريقي يشكلون 12 في المائة من إجمالي سكان الولايات المتحدة، فإنهم يمثلون 39 في المائة من المشردين، و 45 في المائة من الأشخاص الذين يعيشون في ملاجئ، وتشكل النساء السوداوات عدداً كبيراً من هؤلاء الأشخاص الذين يعيشون في الملاجئ ؛ في لوس أنجلوس، على سبيل المثال، ما لا يقل عن 40 في المائة من الأشخاص الذين يعيشون في ملاجئ هم من النساء السود[15].

(15) Half but not equal: The status of working women in the U.S. APRIL 5, 2018. موقع الحزب الشيوعي الأمريكي : https://www.cpusa.org

النساء الأمريكيات وفيروس كورونا

إن حقيقة كون المرأة الحلقة الأضعف، فإن ذلك يجعلها أكثرعرضة من غيرها لتأثيرات وتداعيات الكوارث الطبيعة والإنسانية، بما في ذلك الأزمات الاقتصادية والعنصرية وغيرها من القضايا الاجتماعية التي يتضرر منها الرجل ولكن بصورة أقل، فمن الأزمة المالية في العام 2008م وصولاً إلى أزمة كورونا 2020م، كانت المرأة العاملة الأمريكية الضحية في المقام الأول.

مع انتشار جائحة كورونا في العام 2020م، كانت الشرائح الاجتماعية الأكثر ضعفاً هي الشرائح الأشد تضرراً من الوباء، وفي مقدمة هذه الشرائح الاجتماعية الضعيفة، شريحة النساء، والنساء السود، فخلال الوباء، كانت النساء أول من فقد وظائفهن وخاصة النساء ذوات البشرة الملونة.

تعمل الأمهات غالباً كمعلمات وممرضات مسجلات وسكرتيرات ومساعدين صحيين ومنظفات منازل، وجميع هذه الوظائف تأثرت بشدة بالوباء حيث كنُّ من بين 15 مليون أسرة تعولها امرأة عازبة، فيجب عليهم الآن التوفيق بين البطالة، التي تعاني منها الأمهات غير المتزوجات من معدلات أعلى، أو أن يتمكنوا من تحمل تكاليف رعاية الأطفال وترتيبها أثناء ذهابهم لتغطية وردية أخرى من RN في المستشفى.

وفقاً لمكتب الولايات المتحدة لإحصاءات العمل، فقدت النساء وظائفهن بمعدلات أعلى من نظرائهن من الرجال.

في ذروة أزمة Covid-19 في أبريل 2020، أصبحت ما يقرب من 11 مليون امرأة عاطلة عن العمل.

تعيش النساء في خوف مع من يسيئون إليهن(خصوصاً مع وضع الحجر الصحي)، يمكن أن يقع الأشخاص من جميع الأجناس في علاقات مسيئة، ولكن من المرجح جداً، بل إنها أكثر فتكاً بالنساء، أضف الظروف الوبائية إلى مشهد خالي بالفعل من المساعدة للناجيات من العنف المنزلي، وكانت النساء أكثر عرضة للإيذاء العاطفي واللفظي والجسدي وأيضاً أقل عرضة لترك شركائهن[16].

16) For women, inequity and a shredded safety net . MARCH 26, 2021. موقع الحزب الشيوعي الأمريكي، متوفر على الرابط: https://www.cpusa.org

إعداد
مركز البحوث والمعلومات

وكالة الأنباء اليمنية سبأ
WWW.SABA.YE

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

إضـــــاءة

في الذكـرى الإسـلامية المباركـة ذكـرى مولـد الصدّيقـة الطاهـرة سيّدة نسـاء العالمـين فاطمـة البتـول الزهـراء بِضعَـة رسـول اللـه صـلّى اللـه عليـه وعـلى آله وسـيّدة نسـاء أهل الجنـة، نبـارك لـكلّ المؤمنـات في أرجـاء العـالم الإسـلامي كافّـة بهـذه المناسـبة العزيـزة، والتـي هـي بحـق جديـرةٌ بأن تكـون يومـاً عالميا للمـرأة المسـلمة، ومحطّة تربويـة وثقافية للاسـتلهام لـكل معـاني السـموّ والفضـل والمجـد، فحـقّ لأمتنا الإسـلامية أن تفخـر بأرقى وأسـمى نمـوذج للمـرأة التـي جسّـدت الكـمال الإنسـاني والإيمـاني في كل أبعـاده وجوانبـه ، فكانـت الرقـم الأول للمـرأة في ذلـك منـذ بدايـة الوجـود البـشري وإلى قيـام السـاعة، ومُنِحَـتْ وسـاماً ربَّانيـا على لسـان رسـول الله محمـد صلى اللـه عليه وعلى آلـه باعتبارها سـيّدة نسـاء العالمـين والمؤمنـين وأهـل الجنة.

لقـد قـدّم الإسـلام نموذجه الأرقـى والمتميّز والقدوة في الواقع الإنسـاني للمرأة المسـلمة، وأثبـت أنّـه رسـم لهـا الطريـق للارتقـاء في سُـلَّم الكـمال الايمـاني والارتقاء الإنسـاني على نحـوٍ حقيقـي وسـليم وصحيـح وعظيـم ومقـدس، وليـس كـما يفعـل أعـداء الإنسـانية اليـوم وعـلى رأسـهم أربـاب الفسـاد والرذائـل بقيـادة أمريـكا وإسرائيـل الذين يسـعون إلى الانحطاط بالمرأة والإفسـاد لها وتحويلها إلى سـلعة رخيصة للاسـتغلال السـياسي، ووسيلة لهـدم الأخـلاق والقيـم، وعنوانـاً لتفكيـك المجتمع وبعثرتـه والتمزيق لنسـيجه الاجتماعي.

السيد القائد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي

ملخـــص:

ليس من السهل الحديث عن الصدّيقة السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الحديث عنها يتطلّب منّا أن نعرف من هي أولاً، وندرك ما كانت عليه ثانياً، وفي المقام الثالث نفقه ما ينبغي أن تكون عليه نساءنا حاضراً ومستقبلاً، تأسّياً واقتداءً بسيدة نساء العالمين، سيدة نساء أهل الجنة، أم أبيها صلوات الله عليه وعلى آله وسلم .

إننا وفي خضمّ مواجهة الشيطان الأكبر ومن حالفه من الأعراب وهم يحثّون الخُطى سيراً بالمرأة إلى هاوية الردى عبر مخططاتهم القديمة المتجددة، وعبر استهدافهم وتربصهم بالنساء المسلمات تحت عدة عناوين في ظاهرها الرحمة والحرية والمساواة وفي باطنها المسخ والتفسّخ والاستغلال البشع للمرأة والوصول بها مفازة العمى والضلال .

لهذا فالجميع بحاجةٍ ماسّة لإبراز النموذج الأكمل للمرأة المسلمة، وهي الزكية الزهراء لتكون ضوءً يُبدّد عتمة دروب النساء المسلمات، ودرعاً حصيناً يتّقين به سهام الغدر والمؤامرات المحيطة بهنّ من أعداء الإسلام.

عن الزهراء الطاهرة الرضية منذ إشراقتها، مروراً بشذراتٍ من ضوع وضوء حياتها، ثم رحيل جسدها الطاهر وديمومة بقاء ذكرها، واستلهام سيرتها سُلّماً للكمال الإنساني كنموذجٍ أكمل وأمثل للمرأة المسلمة في يومها العالمي، كان إعداد هذه المادة المتواضعة بحقها (سلام الله عليها) محاولةً لإنارة ظلام الواقع، ومحراباً تتطاول إليه الأعناق المسافرة في رحاب الطهر والمجد والنقاء .

من هي البتول الزهراء ؟

وُلِدَت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد إخوةٍ وأخوات سبقوها، وجاءت هي الأخيرة

أنثى أيضًا، في مجتمعٍ كان ينظُر إلى الأنثى باعتبارها عارًا وهُوْنا، وكانت إشراقة الزهراء متزامنةً مع إشراقةِ فجرِ الإسلامِ الذي جاء ثورة تغييرٍ كثيراً من هذه المفاهيم والتصوُّرات الخاطئة، وكان يهدِف فيما يهدِف إليه إلى تغيير نظرة المجتمع بطريقةٍ فعليةٍ ملموسةٍ، تُثبِتُ الحقيقةَ وتنوِّرُ البصيرةَ، وكانت الزهراء أداة مغيِّرة من أدوات الحكمة الإلهية لذلك الواقع المرير، ليس في كونها أنثى يحتفي بها والدُها النبي، بل أيضا في تسيّدها على نساء الأمة، ونساء العالمين، ونساء الجنة، ثم بعظيمِ دورِها الذي أنجزَتْه في حياة والدها وبعد وفاته.

تختلف المصادر في تحديد عام ولادتها؛ فهناك من يقول: إنها ولدت بعد البعثة بخمس سنوات، وهناك من يقول: إنها ولدت قبل البعثة بخمس سنوات، وهناك من يروي أنها ولدت في عام البعثة، ويُشكِل على أصحاب القول الأول أنهم يثبِتون أنها تزوَّجت في السنة الثانية للهجرة وسنُّها تسع سنوات، وأنجبت ولدَها الحسن عليه السلام وسنُّها عشر سنوات، وهذا يستبعد حصوله، لا سيما وهناك روايات عن أهل البيت تبين أن سنَّها كان عند الزواج ما بين 15 سنة، و18 سنة، ففي رواية عن الإمام القاسم بن إبراهيم أن عمرها عند الزواج كان أربعَ عشرة سنة، لكنه أيضا يُحْمَل على سن خطبتها، وليس البناء بها، وأن البناء لم يتم إلا وهي في خمس عشرة سنة، ويرجِّح ذلك أنه تم في رواية تحديدُ عمر زفافها تحديدا دقيقا، وهي خمس عشرة سنة، وخمسة أشهر، ونصف، وإذا كانت قد توفِّيَتْ وعمرُها ثلاثٌ وعشرون سنة بحسب رواية الباقر عليه السلام وأن الإمام عليا عليه السلام بنى بها في السنة الثانية من الهجرة فهذا يعني أن عمرها عند الزواج كان خمس عشرة سنة وخمسة أشهر تقريبا كما ذُكِرَ في تلك الرواية المفصَّلة، وعلى هذا فالذي يترجّح أنها وُلِدت في عام البعثة، أو بعده بقليل على أقل تقدير.

وبهذا يتبين أن نور فاطمة ' أشرق على الحياة يوم أشرق الإسلام؛ ليدفِن الإسلامُ كلَّ مآثر الجاهلية، ويحيي القيم والأخلاق والتعاملات الفاضلة، ويئِدَ ذلك الموقفَ البشِعَ والمنحرِفَ من المرأة، ولكأن الإسلام برسوله يريد تغيير هذه النظرة المنحرِفة بالمقال وبالفعال، وبالوجدان والسلوك.

رزق الله نبيه صلى الله عليه وآله أولادا ذكورا وإناثا، وشاء الله أن يموت الذكور صغارا، وتبقى البنات التي يزعم الجاهليون أن وجودَهن أسوأُ من عدمهن، فسماه القرشيون (أبتر) بسبب هؤلاء البنات، لكن الله أراد أن يقول لهم: إن هذه البنت التي بسببها وموت إخوتها الذكور سمَّيتم الأب (أبتر)، فإنه لا بد أن يرزقه الله ويعطيه (الكوثر).

اختصت الزهراء في حال ولادتها بخصوصية إرضاع أمها خديجة لها، وبرعاية رسول الله لها رعاية خاصة وإعدادها إعدادا خاصا، ثم إناطتها بأعمالٍ وأدوارٍ استثنائية كما سيتبين ذلك.

كيف كانت نشأتها ؟

يقول السيد القائد سلام الله عليه: (فاطمة الزهراء تربت في جو عظيم في بيئة عظيمة لا مثيل لها عند والدها رسول الله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ - في حُضن أمها الصديّقة خديجة ونشأت نشأة عظيمة مميزة وبقابلية عالية يربيها الرسول وهي في نفسها لديها قابلية عالية جِدًّا فارتقت ارتقاءً عظيما من وقت مبكر في بداية شبابها وقد بلغت مراتب إيمَانية عالية جِدًّا إنْسَانية عظيمة تزوجت بالإمام علي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- زوّجها الرسول -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- عليًّا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- الذي هو كما قال عنه رسول الله -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في منزلته من رسول الله بمنزلة هارون من موسى وفي اقترانها بالإمام علي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كوّنت مع الإمام علي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أسرةً عظيمةً كانت لبنةً في وسط المجتمع البشري وأسرةً في وسط المجتمع الإسْلَامي تقدمت في مرتبتها الإيمَانية والأَخْلَاقية وبلغت مرتبة عالية وعظيمةً في ذلك.

تلك الأسرة النبوية المكونة من رسول الله -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- الأب والوالد والمربي والإمام علي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- التلميذ للرسول والجندي لهذا الرسول والذي هو منه بمنزلة هارون من موسى فاطمة الزهراء -عَلَيْهَا السَّلَامُ- بنت رسول الله -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- سيدة نساء المؤمنين ونساء العالمين ونساء أهل الجنة

التـي بلغـت هـذه المرتبة كمرتبة إيمَـــانية فيما بلغته من إيمَـــان وقيم ومبادئ وأَخْـــلاَق ومعـارف إلهيـة وإلى آخـره، والحسـن والحسـين أبنـاء عـلي وفاطمـة وبقيـة أولاد فاطمـة الزهـراء -عَلَيْـــهَا السَّـــلاَمُ- هـذه الأسرة شـكلت نـواة طيبـه، أسرة صالحـة قدمـت نموذجاً ارتقـى بالإيمَـــان والأَخْـــلاَق والقـرب مـن اللـه -سُبْحَـانَـــهُ وَتَعَـالَى- فكانـت خـير نموذج وقـدرة في العبوديـة للـه، في العبوديـة للـه - سُبْحَـانَـــهُ وَتَعَالَى-.)

وقـد قدِمَـت السـيدة فاطمـة الزهراء إلى هـذه الدنيا مع قدوم الإسـلام، وكان العاص بن وائـل السـهمي قـد عـيَّر رسـولَ اللـه بأنـه أبتر؛ وهـا هو قد رزقـه اللـه مولودًا آخـر؛ لكنه أنثـى، والأنثـى مما تغيـظُ الجاهليين، فبشّره اللـه وأعطاه الكوثـر، (إِنَّا أَعْطَيْنَـاكَ الْكَوْثَرَ)، والكوثـر يشـمل مصاديـقَ عديـدة، وعلى رأسـها ذريته المباركـة الطيبة التي مـلأت الآفاق.

ورد مـن معـاني الكوثـر: الذريـة الكثـيرة؛ وبالتالي فالزهـراء هي مبدأ الكوثـر، أو رمزه، أو سـببه الـذي أُعْطِيَـه رسـول الله ، ويعني الكوثـر أيضا الخير والبركـة، والكثرة والامتلاء وكـثرة الذريـة، وبهـذا جعلها اللـه محل البركـة، وعنوان العطـاء، ومصدر الذريـة المباركة، وأم الأبـرار الهداة الأعلام.

كانـت خديجـة أم المؤمنـين إذا وَلَـدَت ولـداً دفعَتْـه إلى مـن يُرْضِعُـه، فلـما ولَـدَت فاطمة لم تُرْضِعْهـا امـرأةٌ غيرُهـا، ولعـل اللـه أراد إكرامهـا بذلـك أولاً، ثـم أيضـا للخـوف عليهـا مـن غائلـة أعـداء النبـي محمد ، فخديجـة تعلم أن دعوة زوجها إلى الإسـلام ستسـبِّب لهم المتاعـب، وتثـير عليهـم العـداوات؛ ولهذا من الأفضـل أن تكون وليدتُهـا الجديدة في مأمنٍ من غائلـة تلـك الاحتمالات.

نشـأت فاطمـة في حِجـر أمهـا، تُرْضِعُهـا مـن أخلافهـا، وتفيـض عليهـا مـن حنانها، وفي رضاعـة الأم مـا فيهـا من أثـرٍ جميلٍ، وعائدةٍ حسـنة، على صحـة هذه الوليـدة المباركة، كما هـو معـروف في علم الطـب اليوم.

نشـأت سـلام اللـه عليهـا عـلى يـد أمهـا خديجـة، وأبيهـا محمـد ، في وقـت كان الإسـلام أيضـا ينشـأ ويظهـر وينمـو عـلى يـد الرسـول الكريـم ، وبمسـاعدة مـالِ أمهـا خديجـة وعونهـا؛ ولـكأن الإسـلام والزهـراء صنـوان جـاءا إلى الدنيـا عـلى ميعـاد.

ترعرعـت في كنَـف أبويـن طاهريـن، تحفُّهـا تعاليـم جبريـل، وهـو روَّاح بهـا غـدَّاء إلى

والدها، في بيتٍ طالما ملأتْ أجواءَه نسماتُ الوحي، وآياتُ التنزيل، نشأت وأبوها يعوِّذها وذريتَها من الشيطان الرجيم، وكان ذلك دأبَ المرسلين والأولياء المخلصين، ثم هو المصطفى الذي كان يعوِّذ ولديها الحسن والحسين، ويقول: (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة)، ويقول: (إن إبراهيم كان يعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق).

نشأت في بيتٍ ينطلق في أمرٍ جلل، ويسعى لإحداث تغييرات كبرى في ذلك العالم، وضمن آثارٍ وردودِ أفعالٍ مؤلمة وقاسية، ورغم صعوبة مواقف أهل هذا البيت وعِظَم مسؤوليتهم؛ إلا أنها نعِمت بحنانِ قلبَي أبوين كبيرين، ومربيين عظيمين، وهل هناك أعظم من الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله مربيا، وهل يشابه حنانُ أبٍ على ولدٍ حنانَه على الزهراء، المرأة الاستثنائية التي هي كوثره ، وأم أعلام الهدى من ذريته، حنانٌ يعلِّم الوقارَ، ويبني النفوس، ويغذِّي العقول، ويُعِدُّها لأدوارٍ عظيمةٍ لا يقوى عليها في الإسلام إلا أهلُ هذا البيت.

«لقد نشأت نشأةَ جِدٍّ واعتكاف، نشأةَ وقارٍ واكتفاء، وعلمت مع السنين أنها سلسلةُ شرفٍ لا منازِع فيه من واحدة من بنات حواء فيمن تراه»، نشأت في بيتٍ ربَّتُه تاجرةٌ ذكيةٌ وعاقلة حصيفة، لها علاقاتها الواسعة، وأموالها الطائلة، ورئيس هذا البيت قد كُلِّف بمهمة عظيمة جليلة ومقدسة، أن يُخْرِج الناس من الظلمات إلى النور، ويتردَّد على هذا البيت أصدقاءُ وصديقاتُ العائلة ومن تربطهم به علاقات التجارة والدعوة.

وتَفَتَّحت عين فاطمة مع تفتُّح عين الإسلام، لتجد هؤلاء تحت ظلال هذا البيت الطاهر، الذي بدأ لتوه التبشيرَ بالدين الحق، الدينِ الذي من شأنه أن يُثير حنَق الظالمين والمستكبرين وكبراء القوم في مكة وجُلِّ العالم.

تعلَّمتِ الزهراء في هذا البيت وفي هذه البيئة تعليمَها الأولي، كالقراءة والكتابة، والحساب، والمعارف الأولية، فمن أمها التاجرة تتعلَّم الحساب، ورياضة الأذهان، ومن عليٍّ - الذي كان نزيلا على هذا البيت أغلبَ سني عمره الأولى - تتعلم القراءة والكتابة، ومن الرسول تعلَّمتِ السمْتَ والهدْيَ والدل.

تعلّمت الزهراء في دار أبويها ما لم تتعلَّمْه طفلة غيرها في مكة، آيات من القرآن،

وعادات يأباها مَنْ حولهم، «سمعت القرآن الكريم من أبيها النبي ، وسمعته من باب مدينة علم المصطفى علي ، وصلَّت به، ووعت أحكام فرائضه».

ها هي الآن تكبرُ وترى أهل هذا البيت وهم يتحدثون في أمر جلل، وكيف يواجهه كبراء القرشيين المستهزئين، وهي تراهم (أباها وأمها وابن عم أبيها علياً) يصلون (سبع سنين) لا يراهم أحد إلا هي، وهي التي نمَت على أصداء الوحي، وتنفَّسَتْ نسائمَ الهدايةِ الأولى، ونالت بركات حضور جبريل عليه السلام صباحَ مساء.

ولا نستبعد أن رسول الله الذي نزلت عليه آياتٌ تأمر بالقراءة وتحث على العلم، أنه قد دفعها إلى معلِّمات أخريات، فهناك رواية تقول بأنه جعلها عند أم هانئ بنت أبي طالب، لرعايتها والقيام بشأنها، وتقول أم سلمة: إن رسول الله فوَّض أمْرَ ابنته الزهراء إليها، فكانت تؤدِّبها، وتدلها، فقالت: «وكانت واللهِ آدَبَ مني، وأعرفَ مني بالأشياء كلها». وكلمة الأدب تعني التعليم الأولي، الذي تدل عليه صراحة كلمة «أعرف مني».

ثم وهل هناك معلِّم يفوق معلم البشرية جمعاء تربية وتعليما، فما ظننا بفتاة تربَّت وترعرعت على يد أعظمِ معلمٍ للبشرية؛ لا غروَ أنها بلغت مبلغا عظيما في ذلك.

سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء أهل الجنة، وبنت محمد مدينة العلم، وزوج علي باب مدينة العلم، لا يجوز أن تكون إلا متعلِّمة ثم عالمة، ووصف السيدة عائشة لها بأنها كانت أكثر الناس شبها برسول الله في هديه وسمْتِه ودَلِّه كما سيأتي، يشير إلى المرتبة العالية التي وصلت إليها الزهراء في جانب المعرفة بالهدي الإلهي.

إن صفات فاطمة وأخلاقها وقيمها ومبادئها ومواقفها العظيمة التي اتخذتها بعظمةِ نفسٍ ورجاحةِ عقلٍ وقوةِ موقفٍ - تشير إلى نوعِ المعارف القرآنية، والأحكام النبوية، والإعدادات التربوية والنفسية التي تلقتها الزهراء على يد أعظم أساتذة العالم على مر التاريخ قاطبة.

صِدْقُها وشجاعتُها، وقوة نفسها، وزهدها، وأدبها، ومعرفتها للأشياء كلها، وحبها للعمل، إلى درجة أنها كانت (تدق الدرمك بين يديها حتى مجلت يداها)، بل نوع

تربيتها وطريقة حياتها ومعيشتها على النحو الذي كان عليه الرسول الكريم يشير إلى استثنائيتها نشأة وتعليما وعلما وسلوكا ووجدانا وجهادا.

إنها نموذج المرأة في الإسلام وفي الإنسانية، وكيف يجب أن تكون؛ ولهذا كانت في كل شيء مثارَ إعجابِ زوجة أبيها عائشة، وكذلك مثار إعجاب زوجات النبي الأخريات، ولِمَ لا تكونُ بنتُ اليوم نشأة وتعلما ووجدانا كما كانت فاطمة تلك البنت الصغيرة؟!.

جهاد الزهراء

عاشت الزهراء ظروفَ الإسلامِ الأولى في مكة، ورأت أباها كلَّ يومٍ يحمل على عاتقه مسؤولية تبليغ الإسلام بإصرار عجيب، وتعلمت منه قُوَّتَه في ذلك، وإصرارَه وأنسَه بالله، واستشعرت معية الله له، وذاقت معه طعمَ الألم في سبيل الله، ومسَّت خشونة الحياة في مرضاته، بقدر ما تغلغلت في أعماقها لذة الطاعة لله، والانشراح مع السعي في ذات الله.

«كم مرةٍ شاهدَتْه يتحدث في الناس كأبٍ رؤوفٍ رحيمٍ يدعوهم برقة وعطف، وهم يُبْعِدونه عنهم بعنف وخشونة، ولا يجيبونه إلا بالسباب والشتيمة، فيعود وحيدا فريدا»، فتعلَّمت معنى أن تكون وحيدة لا يؤنِسُها إلا الحق الذي تحمله.

هؤلاء الملأ من قريش تعاهدوا يوما أن يفتكوا بأبيها ، وكلٌّ منهم كان قد أخذ دورا معينا في ذلك، وكانت البنت تسمعهم، فهُرِعت إلى أبيها تبكي، فقال لها: (ما يبكيك يا بنية؟)، قالت: يا أبه مالي لا أبكي، وهؤلاء الملأ من قريش يُعاهِدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فما منهم رجل إلا وقد عرف نصيبَه من دمك، فأراد أبوها أن يُذيقَها حلاوةَ المواجهة للطغاة بشجاعة في الموقف الحق، فقال لها: (يا بنية، ائتيني بوضوء)، فتوضأ، ثم خرج إلى المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا، فطأطأوا رؤوسهم، بل وتناول قبضة من التراب فحصبهم بها، وقال: (شاهت الوجوه)، فما أصاب رجلا منهم حصاة من حصاته إلا قتِل يوم بدر كافرا.

وفي مرة من المرات حدث موقفٌ سجَّله عبدُالله بنُ مسعود، قال: «بينما كان رسول

الله يصلِّي عند البيت وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس، وفيهم عقبة بن أبي معيط الأموي، وكان أسفهَ قريش، فأطال رسولُ الله السجودَ، فقال أبو جهل: أيُّكم يأتي جزورا لبني فلان، قد نُحِرَتْ بأسفل مكة، فيجيء بفرثها فيضعه في كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقاهم عقبة، فلما سجد الرسول ألقاه ما بين كتفيه، فاستضحكوا، وجعل بعضُهم يميل على بعض».

قال ابن مسعود: «وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحْتُه عن ظهر رسول الله ، والنبي ساجد، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحَتْه عنه، ثم أقبلت عليهم توبِّخُهم وتُغْلِظ عليهم، وتدعو عليهم، فلما قضى النبي صلاتَه، رفع صوته، ثم دعا عليهم، قال ابن مسعود: فلقد رأيتُهم قُتِلوا يوم بدر، وأُلْقُوا في القُليب».

هذه الرواية تُثْبِتُ أن فاطمة تلك الأنثى التي تنتمي إلى الجنس المحتقَر عند أولئك الأعراب القرشيين، هذه الأنثى الجويرية قوِيَتْ على ما لم يَقْوَ عليه رجلٌ كابن مسعود، وصرَخت صرخة الدين والعزة والكرامة في وجوه أولئك الطغاة الذين تجرَّأوا على إيذاء أشرفِ الخلق وأطهرِهم وأكرمهم.

بل إن الرواية تشير إلى أن رجلا أسرع بإبلاغ فاطمة بما عمله المشركون، فمن هو ذلك الرجل؟ ولماذا ذهب إلى فاطمة الصغيرة، وقصَدَها دون سواها من الرجال والنساء؟ لتأتي فتصرخ في وجوههم وتنصر والِدَها الرسولَ ؟.

ليس بمستبعد أنه بلغ من حرص الزهراء سلام الله عليها، على نصرة أبيها الرسول أن كلَّفت مَنْ يُبَلِّغها بكلِّ ما يسوء والدَها لتأتي هي أنثى صغيرة فتنصُرُ الرسولَ بما لم يستطع الذكورُ الكبارُ أن يفعلوه، وهذا ما يجب أن تعيَه فاطمة اليوم، فإنه بإمكانها أن تنصُرَ إسلامَ محمد كما نصرت فاطمة أباها، نصرة لدين الله الذي جاء به.

كانت سلام الله عليها على علاقة خاصة بوالدها صلى الله عليه وآله وسلم، وهي بضعة منه في كل شيء، حتى في جهاده صلى الله عليه وآله وسلم، ودلّت حوادث عديدة ومنها حادثة أبي لبابة بأنها بالفعل كانت تمثل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وليس صُدفة أن يكون والدها النبي المجاهد حريصا على أن يكون آخر عهده

بهـا حـين يتحـرك للسـفر وإلى الجهـاد، وإذا قـدِم كانـت هـي أول النـاس به عهـدا، ولكأنه كان حريصـا عـلى أن تعيـش معـه بيئـة الجهـاد وتشـاركه فيـه ذهابـا وإيابا.

سـاهمت فاطمـة ' في جهـادِ والدهـا في مكة، وسـجَّل لها التاريخُ رغم صغرِ سـنِّها مواقفَ رائعـة تُسْـعِد فتياتنـا اليوم الـلاتي هن بنـات المجاهدين، والشـهداء، وأخواتُهـم، وزوجاتُهم، وأمهاتهـم، وتملأ جوانحَهـن بصيرة وأمـلا ومعنوية عالية.

فاطمـة بنـت الرسـول المجاهـد هـي تلك التي وطّـد أبوها معهـا علاقة الإسـلام مع بناته العظيـمات، ألم يعتـبرْ رسـولُ اللـه السـلامَ عليها وعليـه في حياتهما وبعـد مماتهما ذا خيرٍ كبـير، ولُطـفٍ عظيـم، يتسـبَّب في اكتسـاب الأعمالِ الصالحـة، ومن ثم دخـول الجنة؟، وألم يجعـل غضبَهـا غضبًا للـه، وإرضاءَها إرضـاءً لله تعالى؟.

هـي تلـك التـي خيرَّهـا أبوها وهي أشـد ما تكـون محتاجة بـين خمس أعنـز وردَت للتو، أو كلـمات علَّمـه إياهـن جبريـلُ قُبَيـل مجيئهـا إليـه، فاختـارت كلـمات جبريـل عـلى أعنُزِ الدنيـا، وهكـذا المـرأة المجاهـدة تتَّجـه لتغذيـة الـروح أكـثر مـن تغذيـة الجسـد، ومـا أروعَ تلـك الكلـمات التـي حَمَلَهَـا جبريـل، وتعلَّمَتْها فاطمـة الزهـراء، إنها: (يـا أول الأولين، ويا آخـر الآخريـن، ويـا ذا القوة المتـين، ويا راحم المسـاكين، ويا أرحم الراحمـين)، والأروع أنها لمـا عـادت إلى عـلي وسـألها عـما وراءهـا؟ قالـت: خرجْـتُ مـن عنـدك إلى الدنيـا، وأتيتُـك بالآخـرة، فـيردُّ عـلي عليه السـلام عليها قائـلا: (خير أيامـك، خير أيامـك)، أوليس الدعاء للـه ومناجاتـه تعالى هـو خـير زاد للمجاهدين؟!.

وحـين طلبـا منـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم خادمـا يعينهـما عـلى شـؤون البيـت، وقـد مجُلـت يداهـما أراد لهما الرسـول صلى الله عليه وآله وسـلم أن يعيشـا حيـاة الكفاح، وروحية النضـال، ودلَّهـما عـلى ما هـو خيرٌ لهما مـن خادم، دلَّهـما على التسـبيح والتحميـد والتكبير.

فاطمـة بنـت النبـي المجاهـد هـي التـي ندّت بهـا حالـة في إحدى المـرات إلى متـاع الدنيا البسـيط والمبـاح، فوضَعَـتْ في يـومٍ مـن الأيام على عنقها قِـلادةً من ذهب، كان قد اشـتراها لهـا عـلي عليـه السـلام مـن نصيبِه مـن الفيء، ولما زارها النبي صـلى الله عليه وآله وسـلم ورآهـا، قـال لهـا: (لا يَغرَّنـك الناسُ أن يقولـوا: بنت محمد، وعليك لبـس الجبابرة) ، فماذا فعلت فاطمـة المجاهدة؟.

لقد استيقظت بسرعة وتذكَّرت أنها بنتُ النبي محمد، وأنها أمُّ أبيها، وليست بنت الذهب والفضة، ولا بنت الموضات، فعادت بسرعة لتكون بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقطعَتها، وباعتها، واشترت بها رقبة، فأعتقتها، فسُرَّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

سُرَّ صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه تأكَّد أن فاطمة عادت لتكون بالفعل بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم النبي المجاهد، وتركت ما يحل لها ويباح، طلبا لعظيم ما عند الله، وحفاظا على روحيتها المحمدية الجهادية الثائرة الزاهدة، عادت لتكون بالفعل كمحمد، وبنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا أهل بيته الأطهار المجاهدون، كأفضل وأبهى بشر يعرجون إلى مدارج العلياء، ويتسنَّمون مواطنَ الروح الفاضلة، وكلما اجتذبتهم الدنيا إليها عادوا إلى الأخرى من بوابةِ إسعادِ عباد الله، وأعظمُ ذلك عتق الرقاب.

ظلَّت فاطمة في المدينة بنتَ محمدٍ النبي المجاهد، كما كانت في مكة، وبعد أن تزوَّجت بعلي المجاهد ظلَّت كما كانت قبل الزواج، وشاركت في جميع المجالات الجهادية المتاحة للمرأة في تلك الظروف، فقد هرِعت مع أخريات من المدينة إلى أحد بعد المعركة لمعالجة الجرحى، فعالجت أباها النبي المجاهد، واستطاعت أن توقِف نزيف دم وجهه.

لقد جاءت هي وأربع عشرة امرأة إلى أُحُد يحمِلْنَ الطعامَ والشرابَ على ظهورهن، ويسقين الجرحى، ويداوينهم، وإذا عرفنا أنهن جِئْنَ بعد معرفتهن بهزيمة جيش المسلمين وإشاعات مقتلِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم واحتمال هجوم جيش المشركين على المدينة؛ فإنه يتبيَّن لنا مقدارُ شجاعتهن وثقتهن بالله تعالى، وهن يتقدَّمْن إلى أرضِ المعركة على بعد بضعة كيلوهات شمال المدينة، ولا يَخَفْن من غائلة انحراف جيش المشركين نحو المدينة أو نحو طريقهن.

وعند فتح مكة خرجت مع أبيها وزوجها، وتحكي السير أنه قد ضُرِب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خِباء بالبطحاء، وجلس فيه يغتسل، وكانت فاطمة معه تستره، وأمرها فسكبت له غسلا فاغتسل.

وكانت تهتم بأمر المجاهدين، وتتألم كثيرا لفقد بعضهم، كما تألّمت عند ورود

استشهاد ابن عم أبيها وأخي زوجها جعفر بن أبي طالب، مشارِكة لأهله في عزائهم، وتخفيفا لمصابهم. وأمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تتخذ لأسماء بنت عميس طعاماً ثلاثة أيام، وأمرها أن تقيم عندها ثلاثة أيام هي ونساؤها لتسليها عن المصيبة.

ولأنها بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي ما فتِئ يربي أمته على مكارم الأخلاق، وعلى المبادرة إلى الجهاد، فلا شك أنها بذلت ما أمكنها، وآية ذلك أنها ربَّت أعظمَ فتيَين سيدَين مجاهدَين شهيدَين، سوَّدَهما اللهُ على شبابِ أهلِ الجنة، ومنها انطلقت أعظمُ سيدة هاشمية من فتيات الجهاد، وهي زينب الكبرى.

كان الجهاد يحتل مكانة مقدَّسة في وعي فاطمة، كما هو شأنه في الإسلام، أليست هي القائلة في خطبتها في وجه أبي بكر، وهي تعدِّد حُكْمَ تشريعاتِ الإسلام، فقالت: (والجهادَ عزًا للإسلام)، ويدل على وعيها الجهادي أنها قرنت الجهاد الذي منه القتال في سبيل الله، بالصبر، وبالأمر بالمعروف، وتعليل ذلك بـ(عز الإسلام).

ظلَّت الزهراء وفية لأبيها ولحركته الجهادية، وظلَّت بنتَ محمدٍ كما أراد صلى الله عليه وآله وسلم، بل ولكأن العناية الإلهية أرادت لها أن تكون قريبة إليه في الدنيا والآخرة، وهو ذلك الذي كان يشتاق إليها دائما، ويجعلُها آخِرَ مَنْ يودِّع إذا سافر، وأولَ من يستقبِل إذا قدِم، فكانت بالفعل هي آخرَ مَن ودَّعهم في حياته، وكانت هي أيضا أولَ من استقبل منهم في الآخرة؛ إذ كانت أول أهل بيته لحاقًا.

ولما اشتدَّ به المرض قبيل وفاته قالت: واكرباه لكربك يا أبتاه، فقال: لا كرب على أبيك بعد اليوم، ولما أسرّ إليها أنه سيغادر الحياة بكت، لكنه لمَّا أعلمها أنها أول اللاحقين به وأنها سيدة نساء المؤمنين ضحكت.

ظلت فاطمة - كما أرادها والدها - بِنْتَ محمد، صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولهذا لما منعَتْها سلطةُ الخلافة ما نحَلَها أبوها في فدك، وميراثَها في المدينة وخيبر، اعتبرَت ذلك تفريقا بين فاطمة وأبيها محمد، فقالت: (أترث أباك يا ابن أبي قحافة ولا أرث أبي؟!).

أليست هي فاطمةَ بِنْتَ محمد!! فكيف يريدون محمدا بلا فاطمة، وكذلك كيف يريدونها فاطمة بدون محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟!

خصوصية أسماءها وألقابها

قال الإمام الحسن بن بدر الدين (ت670هـ): «وروينا عن الصادق عليه السلام : لفاطمة ثمانية أسماء: الصدِّيقة، والزهراء، والطاهرة، والزكية، والرضية، والمرضية، والبتول، وفاطمة».

أما اسمها فاطمة فهو مشتق من الفطْم بمعنى القطع، يقال : فطمت الأُمّ صبيها، وفطمْت الرجلَ عن عادته، إذا قطعته عنها. واسم (فاطمة) مشهور عند العرب، ومتداوَل بينهم بكثرة، وقد بلغَ عدد الصحابيات المسميات بفاطمة 24 صحابية، لكن لشرعية الاسم في حق الزهراء، فهذا يعني أن فاطمة عليه السلام قد منَعت نفسها ابتداءً من مواقعة المعصية، وكذلك مِن كثير من الأشياء المباحة، فمنعها الله من النار انتهاءً وجزاءً.

إن هناك خصوصية جزائية واستثنائية تكريمية من الله لها تُسلِّط الضوء على سبب التسمية أيضا؛ إذ أنه فطمها وفطم أولادها ومحبيها من النار، ممن كان منهم على التوحيد والإيمان، والعمل الصالح؛ فقد روى الإمام الرضا بسنده عن آبائه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما سُمِّيَت ابنتي فاطمة؛ لأن الله تعالى فَطَمَهَا وفَطَمَ مَنْ أحبها من النار).(وفي رواية أخرى من طريق أهل البيت عن الإمام عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُوْلُ: (إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةَ لأَنَّ اللَّهَ فَطَمَهَا وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ النَّارِ لِمَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ بِالتَّوْحِيْدِ وَالإِيْمَانِ بِمَا جِئْتُ بِهِ).

وهذا يبيّن أن التسمية لفاطمة ' كانت تسمية توقيفية، من الله عز وجل، أوحى بها إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ الأمر الذي يبيِّن أيضا أن مولدها كان بعد نزول الوحي، وهو يرجِّح ما ترجَّح سابقا من أنها وُلِدَت في عام البعثة.

ولا شكَّ أن من يُحِبُّها بصدقٍ وإخلاصٍ ومعرفةٍ فإنه يعني أنه محبٌّ لقيم الحق والشجاعة والعفاف والشرف، ومكارم الأخلاق، التي تحلَّت بها الزهراء سلام الله عليها، ومن يكون كذلك فإنه «يقترن بحب خصال الخير وعقائد الحق التي كان ينطوي عليها قلبُها الطاهر، مع الانقطاع عن كلِّ ما يمتُّ إلى الشر بصلة من الظلم والبغي

والعـدوان»، وهـذا مـا يؤهلـه لأن يكـون مفطوما من النار، ويسـبِّب لـه أن يتجنَّب المعاصيَ المسـخِطةَ للـه تعـالى، ويسـارِع في مرضاته.

وأمـا لقـب الزهـراء: فهـو مـن الزّهـر، والأَزْهَـرُ مـن الرجـال: الأَبيـض العتيـقُ البيـاض النَّـيِّرُ الحَسَـنُ، وهـو أَحسـن البيـاض، كأَنَّ له بَرِيقـاً ونُوراً يُزْهِـرُ كما يُزْهِـرُ النجم، والأنثى مـن ذلـك: زهـراء. قـال ابـن الأثـير: «في صفتـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم (أنـه كان أَزْهَـرَ اللَّـون)، والأَزْهَـر: الأبيـضُ المُسْـتَنِير، والزَّهْـر والزَّهْـرة : البيـاضُ النـيرِّ وهو أحسـنُ الألـوان»، وإذا عرفنـا مشـابهة فاطمـة لأبيهـا اتضـح لنـا بشـكل جيـد مأخـذ تسـميتها أو تلقيبهـا بالزهراء.

وقال ابن الأثير أيضًا: «ويراد به إشراقُ نورِ إيمانها، وإضاءته على إيمان غيرها».

وقال المناوي: «سُمِّيَتْ بالزهراء؛ لأنها زهرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم».

وارتجزت بعضُ أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زفافها ' قائلة:

فاطمـةٌ خيرُ نسـاءِ البشـرِ *** ومن لها وجـهٌ كوجهِ القمـرِ

فضَّلَكِ اللهُ عـلى كـلِّ الـورى *** بفضـلِ مـن خُصَّ بآيِ الزُّمَـرِ

و«يسـتفاد مـن جملـة الأحاديـث والأخبـار أنّ فاطمـة ' عُرِفَـتْ بالزهـراء لجـمال هيئتهـا والنـور السـاطع في غُرّتهـا ، فهـي مُزْهِـرة كالشـمس الضاحيـة، ومشرقـة كالقمـر المنـير»

وأمـا لقـب البتـول: فالبتـل في اللغـة هـو القطْـع، والتبتـل هـو الانقطـاع إلى اللـه، والإخـلاص إليـه إخلاصـا، وسُـئِل ثعلب وهو مـن أئمة اللغة: لِـمَ قيل لفاطمة بنت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وآله وسـلم البتـول؟ فقـال: «لانقطاعها عن نسـاء أَهل زمانها ونسـاء الأُمـة عفافـاً وفضـلاً ودينـاً وحسـباً». وأضاف صاحـب القامـوس: ولانقطاعها عـن الدنيا، أمـا الخطَّـابي فقـد قـال: «فأمـا فاطمة فإنما قيـل لها البتـول؛ لأنها منقطعـة القرين نبلا وشرفـا». وهـو معنـى ما ذكره ثعلب، وأضـاف ابن منظور أيضـا: «وامرأَة مُبَتَّلـة الخَلْق أَي منْقطعـة الخَلْـق عـن النسـاء، لهـا عليهـن فضلٌ؛ مـن ذلك قـول الأَعشى:

مُبَتَّلة الخَـلْقِ مِثْلُ المَهَـــاةِ *** لمْ تَرَ شَمْسـاً ولا زَمْهَـرِيرا

وهـي معـانٍ تتوافـق ومـا كانت عليـه فاطمة مـن العبادة للـه، والإخلاص لـه، والانقطاع إليـه، والسـيادة والفضل على نسـاء العالمين.

وما ذكره البعض من كونها لا تحيض، فهذا لم يصح في روايات أهل البيت ، وكذلك لم يُعجبْني قولُ الإمام الزمخشري رحمه الله: إنما سمِّيَت بذلك تشبيها بمريم البتول، المنقطِعة عن الرجال؛ لأن مدلولات المعنى اللغوي حاضرة بقوة في الزهراء فاطمة ' أصالة من دون تشبيه.

وأما ألقاب الصديقة، والطاهرة، والزكية، والرضية، والمرضية، فإنها ألقاب تشير إلى أوصافها العظيمة، من الصدق، والطهارة، والزكاء، والرضا منها وعليها.

ضوع وضوء وصفها

شاء الله أن تكون هذه الأنثى امتدادَ أبيها، وتحمِل في جيناتها أعلام الهدى الذين يخلِّفون الرسولَ في أمته قائمين بالحق؛ ولهذا منحها الله خصوصيةً استثنائية أخرى، ألا وهي شَبَهُها القويُّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى في مِشيتها، ويمكنُ استيحاء شخصيتها الجسمانية والخِلقية من صفات والدِها الرسولِ الأنور، ذي الجبين الأزهر، صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقب الزهراء يبين جمالَ هيئتها، ويشي بالنور الساطع من غُرّتها، وهي صفات تُلقِم حجرا أفواهَ أولئك المستشرقين الذين حاولوا تصويرَها بأنها لم تكن كذلك.

قالت أمُّ أنسِ بنِ مالك: «كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر، بيضاءَ مُشرَبةً حُمْرة، لها شَعرٌ أسود، من أشدِّ الناس برسول الله شبها»، قال عبدالله بن أنس بن مالك، أحد رواة سلسلة الخبر، كانت والله كما قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيامٍ شعرها *** وتغيب عنه وهو جثْلٌ أَسْحَمُ

فكأنها فيه نهارٌ مُشرِقٌ *** وكأنه ليلٌ عليها مُظْلِمُ

الزهراء في القرآن الكريم

تحدَّث القرآن الكريم عن الزهراء باعتبارها من أهل بيت نبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وذوي قرباه ونسائه، ومن الأبرار الزاكين.

1 - يقول الله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)، تقول الروايات المتكاثرة: إنه لما أنزل الله هذه الآية دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وعليا والحسن والحسين، فَجَلَّلَهم بكساءٍ يماني، وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي)، وبعد نزول هذه الآية مكث صلى الله عليه وآله وسلم مدة طويلة يأتي منزل فاطمة كل غداة فيقول: (الصلاة الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

وأما الرجس الذي أذهبه الله عنهم، وطهرهم تطهيرا، فهو «الفعل الرديء النجس من المعاصي والأدناس، والأسفاه التي تكون في بعض الناس، فأمر الله سبحانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمر أهل بيته بتقواه وطاعته، وترْكِ النجس من جميع معصيته، بما أذهب عنهم من كل رجس أو دنَس، وبعَّدهم من كل معصية ونجَس».

إن هذه الآية تؤكِّد أن الله أراد أن يُذهب عن السيدة فاطمة الزهراء وأهل بيتها كلَّ رجس، وما أراده الله كان، وأكَّد ذلك بإرادته تطهيرهم تطهيراً؛ وبالتالي فهم معصومون عن ارتكاب الآثام.

2 - قوله تعالى: (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)[آل عمران:61]، وتُسَمَّى آيةَ المباهلة، عندما كابر نصارى نجران الحجة، أمر الله بدعوتهم إلى المباهلة، أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت آية المباهلة، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، وقال: (هؤلاء أهل بيتي). وهنا يتبين أن القرآن الكريم عبرَّ عن الزهراء بـ(نساءنا)، حيث مثلت نساء الأمة باعتبارها سيدة نساء هذه الأمة، وأكرِم بها من فضيلة ومنقبة، ولكونها كذلك صح إطلاق لفظ الجمع عليها.

3 - قوله تعالى: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)[الشورى:23]، روي أنها لما نزلت قالوا: يا رسول الله، من قرابتُك الذين أمرَنا الله بمودتهم؟ قال: (علي وفاطمة

وولدهما)، وذوو القربى هم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأول تلك الذرية ورمزها ونهر كوثرها هي الزهراء؛ يقول فقيه القرآن العالم المجاهد بدر الدين الحوثي: «والحكمة في ذلك أن الناس إذا أحبوهم اتَّبعوهم، فتعلَّموا منهم، واهتدوا بهداهم، بخلاف ما إذا أبغضوهم، فإنهم يتباعدون عنهم، ويتنكَّرون لإرشاداتهم، ويتركون الاقتداء بهم».

4 - هي من الأبرار الذين وردت آياتُ سورة الإنسان في فضلهم، وما أعد الله لهم من الإكرام؛ وذلك لمَّا نذَرَت مع أهل بيتها بالصيام، فلما حان وقت إفطارهم جاءهم مسكين ويتيم وأسير يسألونهم، فأعطوهم أقراص إفطارهم، فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً، عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً، يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً، وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً، إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً، وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً، مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً، وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً، وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا، قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً، وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً، عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً، وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً، عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً، إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً)[سورة الإنسان:5-22] .

نزلت هذه الآيات في أهل البيت هؤلاء، ووصفتهم الآيات بأنهم أبرار، ويوفون بالنذر، ويخافون اليوم الآخر، ويُطْعمون الطعام على حاجته، ولوجه الله، وبغير جزاء ولا شكور، وأنهم يخافون يوما عبوسا قمطريرا، ولهذا جزاهم الله بالفضل العظيم والخير العميم.

إذن الفضل جاءهم من قبل أعمالهم، حيث بادروا بأفعال طيبة وخيِّرة مواكبة لانفعالاتٍ

اعتقادية، وذات دلالة ضميرية، في ما بينهم وبين الله عز وجل، من الصيام وإيفاء النذر، والخوف من الله واليوم الآخر، وعذابه، وتترْجَمَت هذه الاعتقادات إلى أفعال سلوكية، فأطعموا الطعام على حبه؛ لهذا مدحهم الله ذلك المدح، وجازاهم ذلك الجزاء.

5 - امتنّ الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه أعطاه الكوثر، قال تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر)[الكوثر:1-3].

قال الإمام زيد: «الكوثر: هو الخير الكثير»، وقال الإمام القاسم بن إبراهيم: «الكوثر هو العطاء الأكبر»؛ قال السيد المجاهد بدر الدين الحوثي: «وهو عام لنعم الله التي أنعم بها على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم». وذكر أيضًا أنه لا مانع من تفسيره بكثرة الذرية إلى جانب كلِّ ما يشمله عموم اللفظة من المصاديق الكثيرة؛ ولا شك أن الزهراء هي رمز الكوثر، ومُنطلَقُه.

الزهراء في أحاديث النبي الكريم وأثره

يمكن إجمال بعض فضائلها التي وردت في كلام المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ومواقفه في التالي:

1 - أن الله يغضب لغضبها، ويرضى لرضاها، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: (إن الله تعالى يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها).

2 - أنها بَضعة منه صلى الله عليه وآله وسلم، يؤذيه ما آذاها، ويُغضِبه ما أغضبها، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطمة بَضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني)، وفي رواية أخرى: (فإنما هي بَضعة مني يريبُني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها)، وفي رواية: (إنما فاطمة شِجنة مني يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها).

والبَضعة بالفتح: القِطعة من اللحم، وقد تُكسر، أي أنها جزء منه صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن القطعة من اللحم جزءٌ منه، والشِّجنة بضم الشين وكسرها: الرحِم المشتبِكة، وأصلُها شُعبة من غُصنٍ من غصون الشجرة.

وهـذا الحديـث برواياتـه المتعـددة يبـيِّن خطـورة إغضاب فاطمـة أو إيذائهـا، أو إقباضها وأن ذلـك بمثابـة إغضـاب رسـول اللـه أو إيذائـه، أو إقباضـه صـلى اللـه عليه وآله وسـلم، وكان صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم بهـذا يُعطـي درسـا عظيـما وكبـيرا في أهميـة الالتـزام بالمبـادئ الدينيـة، والأحـكام الشرعيـة، ويُحَـذِّر من خطـورة الانحراف الذي دليـل انحرافه إغضـاب فاطمـة سـلام اللـه عليها.

كـما يشـير إلى رمزيـة فاطمـة ‘؛ لكونِهـا أمَّ ذريتـه الذيـن بهـم صـلاح الأمـة وهدايتهـا، وأكـد الرسـول صـلى اللـه عليه وآله وسـلم أنها قطعة منـه، وأن حكم هذه المـرأة حكمه في مجتمـعٍ كان يهـين المـرأةَ ويحتقِرُهـا، ويعتبرهـا عارًا.

3 - وصفهـا الرسـول صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم بالسـيادة، فمـرة بأنهـا سـيدة نسـاء هـذه الأمـة، ومـرة بأنهـا سـيدة نسـاء العالمـين، وثالثـة بأنهـا سـيدة نسـاء أهـل الجنـة، ووردت أحاديـث كثـيرة بذلـك في كتـب المسـلمين جميعـا، وصـار هـذا معروفـا عنـد المسـلمين، وأوصافهـا بأنهـا (سـيدة نسـاء المؤمنـين)، وأنهـا (سـيدة نسـاء هـذه الأمـة)، وأنهـا (سـيدة نسـاء أهـل الجنـة)، تعـبرِّ عـن علـوِّ مقامهـا، وأنّهـا تفـرّدت بهـا لفرادتهـا فضـلاً وبركـة، وتفردهـا عمـلاً وإنجـازًا.

إنهـا نمـوذج المـرأة المؤمنـة؛ إذ هـي سـيدة نسـاء هـذه الأمـة، وهـي نمـوذج المـرأة العالميـة إذ هـي سـيدة نسـاء العالمـين، وهـي نمـوذج المـرأة التـي تبتغـي طريـق الجنـة؛ إذ هي سـيدة نسـاء أهـل الجنـة، فنسـاء هذه الأمـة يجِـدْن في الزهـراء نموذجَهـن القرآني، الـذي ينبغي التـأسي بـه في جميـع مجـالات تحركهـا، وهنـاك من المفاهيـم والقضايـا والمبادئ الإنسـانية والفطريـة مـا يجعـل المـرأة العالميـة، تجِـد ضالَّتهـا المنشـودة في نمـوذج الزهراء سـلام الله عليهـا، وهنـاك فيهـا سـلام الله عليهـا من المواصفـات الإيمانية مـا تجد فيها المـرأة المؤمنة التـي تبتغـي الجنـة طريقهـا إليها.

إنهـا نمـوذج الحريـة والكرامة والعلـم والعدل والإنصـاف والتواضع والإنسـانية والإيثار والتفضـل وقـوة الموقـف، واعتـداد المـرأة بكرامتهـا الآدميـة، وحسـن التربيـة، بمـا يغني أيَّ امـرأةٍ اليـومَ عـن الاتجـاه إلى نمـوذجٍ آخَر، وهـي تتوق إلى جميـل المبادئ، وروعـة العفاف، وقـوي المواقف.

4 - وردت أحاديثُ كثيرة تضعها سلام الله عليها ضِمنَ أربعِ نسوةٍ من العالم فُقْن نساء العالم خيرية وأفضلية من أول الدهر إلى آخره؛ فمنها حديث عكرمة عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، امرأة فرعون)، وحديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد)، ومنها رواية عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (خيرُ نساءِ العالمين أربعٌ، مريم بنت عمران، وابنة مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

وبمقارنة هذه الأحاديث بما قبلها فالذي يتضح أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنصِّه على هؤلاء الأربع إنما أراد التعريف بأفضل نساء الجنة والعالم كنماذج متعددة في أمم مختلفة، بينما حين خصَّ فاطمة بتلك الأوصاف العظيمة، فإنه إنما أراد أنها سيدة النساء في هذا العالم، وفي الجنة، وعلى جميع النساء بما فيهن أولئك الثلاث النساء الفاضلات، وهن مريم وخديجة وآسية سلام الله عليهن.

إنها النموذج الأنثوي للكمال البشري، الذي يُضْرَب مثالا في القدوة الصالحة، فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نموذج الرجال، وهذه المرأة التي هي قطعة منه، نموذج النساء، إنها خصوصية هذه الأنثى المصطفاة واستثنائيتها.

5 - كان صلى الله عليه وآله وسلم يُفضِّل الزهراء، ويعتبرها أحب النساء إليه إطلاقا، وهي محبة من نوع خاص؛ فعن بريدة قال: (كان أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة، ومن الرجال علي بن أبي طالب). ودخل جميع بن عمير على عائشة فسألها: أي النساء كانت أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالت: فاطمة، قال: قلت: فمن الرجال؟ قالت: زوجها؛ إذ كان ما علمته صوّاماً قوّاماً.

إن هذه المحبة التي حازت المرتبة الأولى عند هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله

وسلم لهذه الأنثى الكريمة هي التي دل عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما أعلن تمسكه بإجراء أحكام الله حتى بأحب الخلق إلى قلبه وهي فاطمة، عندما قال: (والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها)، وهو بهذا يشير بوضوح إلى أن الحق أقوى من أحب الخلق إليه، وهي فاطمة صلوات الله عليها.

6 - أشبهت أباها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هديِه وسمتِه؛ لذا كان من الطبيعي أن تكون أحب النساء إلى قلبه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنها كانت امتدادَه الشريف، ونهرَ كوثره الجاري عبر الزمن، ولأنها بضعة منه، وغصنٌ أزهر من شجرته المغدِقة، وأم ذريته الطاهرة، ووالدة أعلام الهدى الميامين من أهل بيته.

من الطبيعي أن تكون كذلك وهي تشبهه في كل شيء، تشبهه في كلامها، وحديثها، وصدق لهجتها، وفي سمتها، وفي هديها، وقعودها وجلوسها، تقول عائشة: «ما رأيت أحدا أشبهَ كلامُه وحديثُه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة»، وتقول: (ما رأيت أحدا كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها)، وفي رواية: (ما رأيت أحدا أشبه سمتا، ودلا، وهديا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة بنت رسول الله في قيامها وقعودها)، وقد لاحظَت عائشة مشابهة فاطمة لأبيها حتى في حالة المشي، قالت وقد روت مجيء فاطمة' إلى أبيها قبيل وفاته: (لا والله ما تخفَى مشيتُها عن مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، أو (تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، هذه المشابهة العميقة توحي وتشير إلى قوة التأثر والاهتداء والاقتداء من فاطمة بأبيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

7 - خصَّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتعاملاتٍ مميزة وكثيرة، أراد من خلالها ترجمة تلك الفضائل القولية إلى احترامٍ وتبجيلٍ فعليّ، فمنها:

أ- أنه كان إذا دخلت عليه قام إليها، فقبّلها، ورحّب بها كما كانت هي تصنع به.

ب- كان يقبلها دائما، تقول السيدة عائشة: (كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبِّل فاطمة)، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يشم منها رائحة الجنة، فإذا اشتاق إلى رائحة الجنة شمَّ ريح فاطمة، وفي الحديث: (فاطمة حوراءُ إنسية، كلما اشتقتُ إلى الجنة قبَّلْتُها).

ج- كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا سافر يجعلُها آخِرَ الناس به عهدًا، وإذا قدم قدِم إلى بيتها أولا، فكانت أول الناس به عهدا، كما روى ذلك ابن عمر، خلا أنه في بعض الروايات كان إذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه.

د - كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا بكت يمسح الدموع من عينيها بطرف ثوبه، واستمر على ذلك حتى مرض موته؛ إذ لما بكت وسمع صلى الله عليه وآله وسلم صوتها «ففتح عينيه، ثم رفع يده، فمسح خدها من الدموع». ولعله كان يعِزُّ عليه أن يراها باكية؛ لأنها بضعة منه، وأراد أن يعلِّم أمته أنه لا يجوز أن تصنع أو تفعل ما مِنْ شأنه أن يُبْكي فاطمة، وأن تعمل هذه الأمة على أن لا تُغْضِبَها، وأنه يجب أن تكون مع ما يُسْعِدُها ويجفِّف دموعَها.

هـ - وكانت تضع خدّها على خده، ومرة وضعت خدَّها على خده، فبكت حتى اخضلَّت لحيتُه ووجهُه بدموعها.

و- وكان إذا دعاها أجلسها بالقرب منه، وأسرّ إليها دون مَنْ سواها، ولما دنا أجله دعاها إليه، فجاءت (فوضع رأسه في حجرها ساعة)، وخصها بحديثٍ أسرَّه إليها فقط، وخصَّها به دون نسائه، فرأيْنَها تبكي مرة، ثم تضحك أخرى، ولم يعلمْن سبب ذلك إلا بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم من خلالها.

ز- وفي ذلك الحديث الذي أسرَّه إليها وحدها أخبرها أنه مُرْتحِل عن الدنيا عما قريب، فبكت، ثم لما بشَّرها بأنها أول أهل بيته لحوقا به، وقال لها: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو نساء هذه الأمة) ضحكت.

ح- وكثيرا ما ذكَّرها بنعمة السيادة، مثل قوله لها: (أما ترضين أن تكوني سيدة..).

ط - ولقد كان حريصا في كل مرة أن تعيش فاطمة على طريقة أبيها، بعيدة عن بهرج الدنيا وزينتها، وعندما رأى على بيتها ستارة مزيَّنة ومنقوشة عاد ولم يدخل، فسرعان ما بادرت هي، بإزالتها، وأرسلتها إلى أبيها كي يبيعها، ويتصدق بقيمتها، بينما بقيت قرائبه الأخريات يعِشْنَ فيما شئن من متاع الدنيا؛ لأنها كانت شيئا وكن شيئا آخر.

ي- وتـردَّد صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم بعـد نـزول آيـة التطهـير شـهورا عـلى بيتهـا وبيـت عـلي كل غـداة، يناديهـم: (الصـلاة الصـلاة، إنمـا يريـد اللـه ليذهـب عنكـم الرجـس ويطهركـم تطهـيرا).

ك- وأمـر بسـد أبـواب بيـوت الصحابـة الـمُشْرَعة إلى المسـجد، إلا بـاب عـلي وفاطمـة ، إنـه التفضيـل والاصطفـاء لعظيـمِ الـدور وشريـفِ وجليـلِ الوظيفـة التـي يهيئهـا اللـه ورسـوله لهـذه الأسرة الطيبـة.

ل- وزوّجهـا صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم وصيَّـه وخليفتـه مـن بعـده، مَـنْ وصفـه بقولـه: (سـيد في الدنيـا والآخـرة).

م- كناهـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم (أم أبيهـا). وسـتأتي بعـض النقـاط حـول هـذه الكنيـة ودلالاتهـا.

ن- أوصى الرسـول بهـا وولديهـا اللذَيْـنِ هـما امتـدادُه حتـى يـوم الحـشر، وسـماهم الوصيـة العظمـى، وقـال: (أوصيكـم بالوصيـة العظمـى، بفاطمة والحسـن والحسـين خـيرا).

8 - وتـولى اللـه أمـر زواجهـا، فـكان زواجهـا بأمـر اللـه، وقـد قـال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: (إنمـا أنـا بـشر مثلكـم، أتـزوّج فيكـم، وأزوِّجكـم، إلا فاطمـة فإنهـا نزل تزويجهـا مـن السـماء).

9 - وجعـل ولديهـا سـيدي شـباب أهـل الجنـة، وإمامـين قامـا أو قعـدا، ومـن ذريتهـا أعـلام الهـدى الميامـين.

10 - وفطمهـا وفطـم أولادهـا ومحبيهـا مـن النـار، ممـن كان منهـم عـلى التوحيـد والإيمـان، كـما تقـدم.

11 - وانقطـع نسـل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم إلا منهـا، وقـد وصـف القـرآن ابنيهـا بأنهـم أبنـاء الرسـول صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم؛ إذ قـال في آيـة المباهلـة: (فَقُـلْ تَعَالَـوْاْ نَـدْعُ أَبْنَاءنَـا وَأَبْنَاءكُـمْ)، وهنـاك الكثـير مـن الأحاديـث الدالـة عـلى أبوتـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم للحسـن والحسـين، وهـي أبـوة حقيقيـة، ويـدل عـلى ذلـك قولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: (وأنـا عصبتهـما)،

وفي ألفاظ الخبر (كل بني أنثى لأبيهم إلا ابني فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم)، و(إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم).

إن الله سبحانه وتعالى كرَّم فاطمة بأن حفظ الله ذرية أبيها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في ذريتها، وجعل عَقِبه من عقبها، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم). (الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري).

12 - هي من الرسول وقطعة منه (بضعة)؛ ولذا كان حكمها حكمه، ومن مصاديق ذلك أنه لما ربط أبو لبابة نفسه في المسجد، وأقسم أن لا يحله أحد إلا رسول الله، وجاءت فاطمة بعد نزول توبته لتحُلَّه فأبى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما فاطمة مضغة مني)، فحلّته.

ولهذا كلِّه فضَّلها علماء الشيعة بمختلف مذاهبهم على جميع النساء حتى على مريم العذراء البتول ’، وكذلك فضّلها من علماء السنة كثيرٌ من المحققين، ومنهم التقي السبكي، والجلال السيوطي، والبدر الزركشي، والتقي المقريزي، والبلقيني، والسهيلي؛ لأنها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وذهب الألوسي في تفسيره إلى أنها أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات على الإطلاق.

ملامح عن مكانتها العلمية

عندما تنشأ الزهراء في بيت النبوة البيت الذي كانت آيات القرآن الكريم تنزل فيه. وفي الوقت نفسه كانت تحظى بعناية خاصة وإعداد فريد من قبل أبيها رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فمن الطبيعي أن تشأ فاطمة الزهراء على مستوى عال ومتميز في العلم والمعرفة؛ أضف إلى ذلك أنها سيدة نساء العالمين» ونساء هذه الأمة، ونساء أهل الجنة. وهذا بالتأكيد ليس عبارة عن وسام منحها أبوها رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)هكذا لأنها ابنته بل لأنها جديرة بهذا الوسام وأهلٌ له بفطرتها ولما تحمله من مؤهلات إيمانية وخلقية ومعرفية.

ونستطيع القول بأن الأمة وبالذات المرأة خسرت الكثير والكثير من علمها ومعرفتها نتيجة لإقصائها عن أن تكون هي القدوة والأسوة والرمز والمثل للمرأة المؤمنة كما أراد ذلك الله ورسوله. وتم ترميز أخريات ممن كانوا يسيرون في فلك السلطة الحاكمة وتقديمهن بدلا عنها فالشيء المعروف تاريخياً بأن السيدة الزهراء تعرضت للإقصاء والتغييب كما أقصي وغُيّب زوجها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بل وصل الحال في عهد بني أمية إلى أن يصبح الحديث عنهم جريمة عقوبتها الإعدام، وأن تختم خطب الجمعة بلعنهم، وهم من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ومن أوصى الرسول أمته بالتمسك بهم مع القرآن الكريم.

ومع هذا فإن ما روي عن مشاركاتها العلمية ورواياتها وفقهها وخطبها واحتجاجاتها يشير إلى علمها الواسع وحصافتها الفائقة رغم معاجلة الموت لها بعد وفاة أبيها، وإذ لم يتح لها أبداً أن تقدم من المعرفة والعلم ما كان يمكن أن تقدمه. غير أن مشاركاتها وأراءها في أهم القضايا العلمية والسياسية والاجتماعية في تلك المدة القصيرة بُعيد وفاة النبي بيّن أي امرأة عالمة كانت الزهراء، وأي زوجة كان الله قد اختارها واصطفاها لباب مدينة العلم، وأم لأعلام الهدى ومصابيح الدجى.

وقد مر عن أم سلمة قولها عن فاطمة عليها السلام: وكانت والله آدب مني وأعرف بالأشياء كلها. وكقول عائشة: إنها ما رأت مثلها يشبه رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في كلامها وحديثها وفي سمتها، وهديها، ولا شك بأن المشابهة للرسول في الحديث والسمت والهدي لا بد أن يكون له علاقة بالجانب المعرفي كأفضل امرأة تشبه الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في الناحية العلمية.

شذرات عن عبادتها

لقد كانت السيدة الزهراء نسخة لأبيها رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) روحاً وأخلاقاً وتقوى وعبادة وصلة بالله وانسجاماً مع تعاليمه، فكان يسود بيتها المتواضع روحانية الإيمان، وبساطة العيش وقناعة النفس، وصفاء الروح، كمَثَلٍ حيّ للبيت المسلم الذي يعيش الأجواء الإسلامية، ويتنفّس في جو إسلاميّ خالص، وهكذا

انطلقت لتكون مَثلاً أعلى للمرأة المسلمة، في قداستها وطهرها وعبادتها المنقطعة النظير.

يقول الحسن البصري حول عبادة الزهراء النموذجية: ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة (عليها السلام)، إنها كانت تقوم حتى تتورم قدماها.

لقد كانت تتضرّع لربها من أجل الآخرين، وتحاول أن تطلب الخير للمؤمنين والمؤمنات.. قبل أن تطلبه لنفسها.. يقول الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) «رأيت أمي فاطمة في محرابها ليلةً، فلم تزل راكعةً ساجدةً حتى اتضح عمودَ الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنينَ والمؤمنات وتُسميهم وتكثرُ من الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء؛ فقلت لها : يا أُمّاه لم لا تدعينَ لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بُنَيّ الجارُ ثم الدار».

وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: قلت لفاطمة: إنه قد أجهدك الطحين، فلو أتيت رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فتسأليه خادماً، فأتته (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فذكرت له ذلك فقال: «أَعَلْمَكُما ماهو خير لكما من ذلك إذا آويتما إلى فراشكما فسَبّحا الله ثلاثاً وثلاثين، واحمداه ثلاثاً وثلاثين، وكبراه أربعاً وثلاثين فتلك مائة على اللسان، وألف في الميزان». قال علي كرم الله وجهه: فما تركتها منذ سمعتها من رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم). قال له رجل ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين.

رحيل الجسد وبقاء النموذج الأكمل

بعد وفاة رسول الله لم يفارقها الحزن عليه، فكانت أول الملتحقين به من بيت النبوة بعد 6 أشهر فقط من رحيله، وأوصت الإمام علي عليه السلام بأن يدفنها سِراً، وألا يحضر ذلك أحدٌ من أعيان القوم.

ودُفنت سلام الله عليها بالبقيع ليلاً، بوصية منها، ورشّ قبرُها وقبور استّحدثت حوله، وقبرها في البقيع في مقبرة أهل البيت، حيث دُفِن بجوارها سبطها الحسن عليه السلام وآخرين من ذريتها.

ولما ماتت سلام الله عليها دخل علي عليه السلام قبرها وهو يقول:

لكل اجتماعٍ من خليلين فـرقة وكل الذي دون الممـات قليلُ

وإن افتقاديَ فاطماً بعد أحمدٍ دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ

وعـن جابـر بن عبدالله، قال: سـمعتُ رسـول الله (صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم) قبل موتـه بثـلاث، وهـو يقول لعلي: (سـلام الله عليك أبـا الريحانتين، أوصيـك بريحانتيّ من الدنيـا فعـن قليـل ينهـدُّ ركنـاك، والله خليفتـي عليك)، فلم قبض رسـول اللـه (صلى الله عليـه وعـلى آلـه وسـلم) قـال علي: هـذا أحـدُ ركنيّ الذي قـال رسـول الله (صلى اللـه عليه وعـلى آلـه وسـلم)، فلـما ماتـت فاطمـة عليهـا السـلام قـال عـلي عليه السـلام: هـذا الركن الثـاني الـذي قال لي رسـول اللـه (صلى اللـه عليه وعلى آله وسـلم).

وهـذه الروايـة تبـين مقـدار الفاجعـة التـي تلقاهـا الإمـام عـلي عليـه السـلام بفقـده هذيـن الركنـين، كـما تبيّن مقـدار الفراغ الـذي تركته فاطمـة الزهراء في حياته سـلام الله عليهـما، ومـدى قـوة العلاقـة بينهما.

ومع ذلك فقد كان سلام الله عليه يزور قبرها في كل أسبوع مرة، وينشد:

إلى الله أشكو لا إلى الناس إنني أرى الأرض تبقـى والأخـلاء تذهبُ

أخـلاي لو غيرُ الحـِمام أصابكم عتِبتُ ولكن ما على الموت مُعتبُ

وهكـذا طـوى الموتُ سـيدةَ نسـاء العالمـين، وذهبـت إلى بارئها ليبقـى نموذجها حيـاً خالداً في نسـائنا المجاهـدات العالمـات الـلائي يواجهـن الحيـاة بـكل قـوة وتحـدٍّ وشـموخ مهـما تكالبـت عليهـن الأحـداث، واشـتدت الأزمـات.

أم أبيها .. ولماذا؟

أُضفـيَ عـلى هـذه المـرأة الاسـتثنائية كنيـة اسـتثنائيّة وفريـدة لم نعهدْها لامـرأة أخرى؛ إذ كنّاهـا الرسـول صـلى اللـه عليـه وآله وسـلم والدُها بـ(أم أبيهـا)، وروي ذلك عـن الباقر عليـه السـلام، قـال النـووي في كتـاب تهذيب الأسـماء واللغـات: وذُكِـر أن النبـي صلى الله عليـه وآلـه وسـلم كناهـا أم أبيهـا، وقـال: «فيه مـا ينـوِّه بمقامها غايـة التنويـه»، إلى قوله: «فحيـث نزَّلها أكـرمُ الخلائـق مـن نفسـه الكريمة منزلـة أكرم الخلـق عليه».

غير أن تنزيله صلى الله عليه وآله وسلم لها في الحديث المشهور (فاطمة بضعة مني)، أو (فاطمة شجنة مني)، ليس أقلَّ من هذا التنزيل؛ حيث نزّلها هناك كجزء من نفسه، وهو النبي المرسل، الذي لا ينطق عن الهوى، فهل أراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون هذا وصفا شرعيا يترتَّب عليه أحكامٌ أخرى؟

قبل أن نحاول الإجابة على ذلك نجيب على السؤال القائل: لماذا قال عنها: (أم أبيها)، ولم يقل: (أمي)، أو (أم محمد)، أو (أم الرسول) أو (أم النبي)، ويبدو أنه إنما أراد القطع على سؤالِ الاستغراب القائل: كيف تكون أم محمد، أو أم الرسول، وهو في الواقع أبوها؟

إن علاقة فاطمة بوالدها الرسول علاقة مزدَوَجة؛ ففيها من الحيثيات ما جعلها ابنته، وهذه هي الحقيقة العرفية والشرعية، وقد أرادها في محطات كثيرة أن تكون ابنته كذلك، ولكن فيها أيضا من الحيثيات الكثيرة ما يجعلها بمثابة أمه، أو مثلَ أمه صلوات الله عليهم أجمعين.

كثيرٌ من تصرفاتها معه تشير إلى حنانها وعطفها عليه كحنانِ وعطفِ الأمهات على أولادهن، فقد كانت تهتم به اهتمام الأم بولدها، فمنذ أيام طفولتها كانت تدفع عنه أذى المشركين، وتخفّف آلامه وتضمد جروحه، وتمسح الدم عن وجهه في الحرب، وإذا عاد من سفرٍ بادرت إلى استقباله واعتنقته وقبّلت بين عينيه، وكانت تتأثر لحاله وتحنو عليه.

«لقد شاهد الناسُ هذه البنت الصغيرة، وهي تقف إلى جانب أبيها البطل، تزيل عنه الأذى، وتنثر مقلتاها أمزانَ القلق على مصيره، وتتحرك بلطف مواسيةً له في المصاعب كلها، بكلمات وتصرفات بريئة وحنونة، بروعة وجمال وجلال».

في غزوة أحد أسرعت إليه فضمدت جروحه، ومسحت عن وجهه الدم، ولما ندم المشركون أنهم لم يقضوا نهائيا على المسلمين بعد هزيمتهم، وأزمعوا العودة، نزل أمر الله للمسلمين بالإسراع في مواجهتهم على ما بهم من الجراح وفراق الشهداء، وهنا بادرت (أم أبيها) لتجهيز (ولدها) بالسلاح، وأعدَّته له، كفعل المؤمنات اليوم مع أبنائهن وهن يجهزْنَهم إلى الجبهات.

وكانت تُقْبِل عليه بأقراصِ الخبز إذا جاع، كما فعلت يوم الخندق، وفي فتح مكة

ضَرَبَتْ لـه خيمتَه، وهيَّأت له ماءً للاستحمام والاغتسال ليزيل عن جسده غبار الطريق، ويرتدي ثيابا نظيفة يخرُج بها إلى المسجد الحرام كما تجهِّزُ الأمُّ ولدَها.

وكان إذا عاد من سفره بادر إلى بيتها، فتتلقاه على باب البيت، وتبكي إذا رأته «شعِثا نصِبا، قد اخلولقَتْ ثيابُه»، فكان رسولُ الله يطمئِنُها، وقد قال لها مرة: «لا تبكي، فإن الله قد بعث أباك بأمرٍ لا يبقى على وجه الأرض بيتٌ ولا مدرٌ، ولا حجرٌ، ولا وبرٌ، ولا شعرٌ، إلا أدخله الله به عزا أو ذلا، حتى يبلغ حيث بلغ الليل»، ولكأنه هنا يخاطب بهذه الكلمات أمهات المجاهدين الذين يبتغون العزة من الله لا من أعدائه.

ومنذ توفي صلى الله عليه وآله وسلم ما رؤيت ضاحكة ولا متبسِّمة، إلا يومَ صنعت لها أسماءُ بنتُ عميس النعْشَ قُرْبَ وفاتها، وسمعت بلالا يؤذِّن حتى إذا بلغ: (أشهد أن محمدا رسول الله) شهقت وسقطت لوجهها وغشي عليها حتى ظن أنها فارقت الحياة، وقيل: إنها كمدت عليه، فلم تلبث بعده إلا قليلا. ويحمل أيضا على أنها كمدت على ما أصاب الإسلام من مخالفات خطيرة.

وكانت تتمثل بعد وفاته بهذه الأبيات:

قد كان بعدك أنباء وهينمة *** لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ

إنا فقدناك فقدَ الأرضِ وابلَها *** واختلَّ قومُك فاشهدْهم فقد نُكِبوا

فسوف نبكيك ما عِشْنا وما بقيَتْ *** من العيون بتهمالٍ له سُكُبُ

هذه مواقف ومصادر توحي بأن فاطمة الزهراء بالفعل هي (أم أبيها).

غير أن أمرا هاما يجب التركيز عليه في مصداق هذا اللقب، ولعله هو المقصود منه صلى الله عليه وآله وسلم، حيث تعيدنا سببية نزول (إنا أعطيناك الكوثر)، من أنها نزلت عليه حين عيرَّه العاص بن وائل السهمي بأنه أبتر، ليس له ذكور، فرزقه الله هذه الأنثى التي منها الذرية الكثيرة والمباركة، والتي سماها القرآن الكوثر، والذي يعني الكثرة والامتلاء والبسط والامتداد والحياة المستمرة، وهذا لم يحصل إلا في ذريته منها سلام الله عليها.

ذكر السيد العلامة الحجة مجد الدين المؤيدي تفسيرا لطيفا دلالة لكنيتها (أم أبيها)؛ إذ قال: «وإذا كانت فاطمة بمنزلة الأم كان المختار بمنزلة الولد، فيكون عقبُها كما لو

كانت أُمًّا له صلوات الله عليه وآله وسلم، وأعقبت منه، فإن أولاده حينئذ أولادها لا محالة، وهذه دقيقة جليلة».

ويشهد لذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كل بني أنثى ينتمون إلى أبيهم إلا ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهما)، وفي رواية (إلا بني فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم)، وفي أخرى: (إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم)، وفي رواية: (ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم).

قال في الروض النضير بعد أن ساق الأخبار الدالة على أبوة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لولد فاطمة عليها وعليهم السلام: «قال بعض المحققين من العلماء: ظاهرُ كلامِ أئمتنا أنه حقيقة، وأن حكمه في ذلك يخالف حُكْمَ غيره ... ويدل على كونها حقيقة قولُه صلى الله عليه وآله وسلم: (وأنا عصبتهما).

وقد جعل القرآن الكريم ولد البنت عيسى بن مريم عليها السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام؛ إذ قال: (وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)[الأنعام:84].

إن هذا هو تفسير (أم أبيها)، فتلك الأنثى التي ابتدأت بأنها (بنت محمد)، انتهت وانتهى بها الإسلام إلى أن تكون (أم أبيها) محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وليكون أعلام الهدى وأئمة الجهاد والتقى من أهل بيته قرناء القرآن، والثقل الأصغر من ذريته؛ إذ هم من ذريتها.

وبهذا يكون الله قد حفظ ذريته صلى الله عليه وآله وسلم في ذريتها، وجعل عقبه من عقبها، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري).

وبعد هذا أليست الزهراء (أم أبيها)؟

لماذا فاطمة ؟

أما لماذا فاطمة وليس أيًا من إخوتها وأخواتها، فإنه لاستثنائية فاطمة، ورمزيتها في الإسلام، وكيف أن رسول الله رمْزُ الإسلام وعنوانه كلما أراد الأعداء تشويهَه وإيذاءَه أو

تشويهَ دينه جاءت فاطمة أو أعلام الهدى من ذريتها ليزيلوا ذلك الإيذاء، ويُصلحوا ذلك التشويه.

وما أعدلَ ما نراه من فاطمة اليوم في اليمن صغيرة وكبيرة وهي تقتدي بفاطمة الزهراء قوةً ومبادَرةً وصراخا في وجه الباطل، والطاغوت، والاستكبار والعدوان!

ما أعظم ذلك الموقف بتلك اليدين الحانيتين الصغيرتين، وهما ينفيان عن رسول الإسلام القذارات التي رماها عليه سفهاء قريش وكبراؤها! وما أعظم ذلك القلب الكبير موقفا، والصغير حجما! وما أكرمَ وأعزَّ ذلك اللسانَ وهو يصرخ في وجوه عتاولة الاستكبار والاستهزاء، فتَخْرَسَ ألسنتُهم، وتتوارى شخوصُهم المتعاظمة زورا وزيفا!.

إن فاطمة ' في ذلك الجو الجاهلي، بثقافته المضادة للمرأة لكونها أنثى، كانت رسالة السماء إلى أولئك الأقوام الذين ما فتئوا يحتقرون الأنثى، فكانت «شكل تحرير المرأة في هذا الدين من الظلم الجاهلي، وارثة كل مفاخرِ أهلها، وصاحبة مبادئِ أسلافِها في المجتمع الذي لم يكن يرى غسل عار البنت إلا بوأدها حية، وأفضل الأصهار الذي يتمناه كلُّ أب هو القبر، كان محمد صلى الله عليه وآله يعلم ماذا تفعل به يد القدر، وفاطمة تعرف من تكون، ولهذا وقف التاريخ مدهوشا أمام تعامل محمد مع ابنته الصغيرة، وركع أمام مديحه غير العادي لها. معاملة كهذه، تعني شيئا أكثر من التدليل والحب الأبوي الذي يمكن أن يفيض به قلبُ أبٍ على ابنته، أن يقبِّل يدَ ابنته، وابنته الصغيرة، هذا التصرف يعتبر ضربة ثورية انهالت على العوائل والعلاقات غير الإنسانية للبيئة، حيث هناك نبي الإسلام يقبِّل يد فاطمة».

«هذا التصرفُ يبيّن بوضوح لأعين كبار الصحابة وسياسيي المسلمين وعامتهم عظمةَ فاطمة، ويعلِّم كلَّ الناس كيف يتحرَّرون من العادات والأوهام التاريخية والتقليدية، ويُعَلِّم الرجل أن يَنْزِل من عرش جبروته وتجبُّره الفظّ، وتفرعنه أمام المرأة، مشيرا إلى المرأة أن ترتفع عن ذلتها وحقارتها القديمة والجديدة، في كونها ألعوبة في الحياة، إلى قمة الجلال والعظمة والعفة الإنسانية».

فهل نتعلم نحن الرجال من الرسول كيف نفرِّق بين ما هو عادة اجتماعية، وما

هـو حكـم إسـلامي في مـا يتعلـق بالمـرأة، وهل تتعلـم المـرأة اليوم كيـف تتمـرد وتثور على الصـورة الشـائهة والنمـط المتَّسـخ الـذي يحـاول أعـداء الفطـرة ترسـيخَه لهـا، بـأن تكـون مجـردَ تسـلية للذكـور، ومجـرد قالـبٍ جنـسي محمـوم تنتهـي إليـه فحولتهم؟

لماذا تم تغييب السيدة فاطمة الزهراء؟

إذا كان الأسـتاذ العقـاد يقـول في كتابـه فاطمة الزهراء والفاطميـون: «في كلِّ دين صورة للأنوثـة الكاملـة المقدَّسـة، يتخشَّـع بتقديسـها المؤمنـون، كأنمـا هي آيـة الله فيـما خلق من ذكـرٍ وأنثـى، فإذا تقدَّسـت في المسـيحية صورةُ مريـم العذراء، ففي الإسـلام لا جَرَم تتقدّس صـورة فاطمـة البتـول»، فـلا نجـد مـا يسـوّغ أو يـبرِّر لواضعـي الاسـتراتيجية التربويـة في اليمـن تغييـبَ فاطمـة الزهـراء عـن المناهـج التربويـة في التعليـم الأسـاسي والثانـوي والجامعـي طـوال عقـود ماضيـة غـير الخضـوع والانسـياق لمـا تمليـه الرغبـات الخارجيـة التـي تـرى في نمـوذج الطهـارة والعفـة خطـرا يوجـب إخراجَه مـن مناهجنا.

بصراحـة لا نسـتطيع أن نفهـمَ أنـه لا يوجَـد درسٌ واحـد في دروس التاريـخ ولا التربيـة الإسـلامية ولا العربيـة ولا الوطنيـة والاجتماعيـات في مناهـج المدارس التربويـة؟! إلا بأنه بسـبب اسـتلاب القـرار التربـوي والسـياسي بـل والسـيادي للبلـد مـن قبـل أنظمـةٍ تديـن بالـولاء لليهـود والنصـارى المعتديـن وأوليائهـم المنافقين.

لقـد تـم التغييـبُ المُمَنْهَـج والمتعمَّـد لنمـوذج فاطمـة الزهـراء، وكان هـذا أحـدَ تطبيقـات اسـتراتيجية التجهيـل لشـعبنا ونسـائنا، غيَّبوهـا في المناهـج، وغيّبوهـا في المؤلفـات، وفي الصحافـة، وفي الحلقـات، وفي خطـب الجمعـة، والمناسـبات، ليس هذا في اليمـن فقط، بل في مختلـف الشـعوب الإسـلامية والعربيـة.

والخطـورة أنهـم غيَّبوهـا عـن نصـف مجتمعنـا والـذي يتحكـم في النصف الآخـر تربية واتجاها، غيَّبوها وهي سـيدة نسـاء العالمين، وسـيدة نسـاء هذه الأمة، ولا أدري ماذا سـيكون حـال هـؤلاء النسـوة وهـن لا يعلمـن عـن سـيدتهن إلا ما بقي مـن قصص وأمثـال وعبارات ورثْنهـا عـن الأمهـات والجـدات مما شـذّ وندر وضمـن دوائر اجتماعيـة ضيقة.

فلـم تكـن السـيدة فاطمـة الزهـراء بالشـخصية العاديـة التـي نمـر عـلى سـيرتها مـرور الكـرام بـل هـي النمـوذج الأسـمى والقدوة التـي قدمها الإسـلام للمـرأة المسـلمة كي تنتهج

نهجها كونها أعدت لذلك ونشأت وترعرعت في كنف أبيها المصطفى الذي أولاها بالتربية الإيمانية النبوية لتكون نموذجا يحتذى به وخير قدوة للمرأة المسلمة وهي من قال عنها (فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها) وهي من تحمّلت مع أبيها مشاق الدعوة فكانت له خير المواسي والمناصر حتى أسماها «بأم أبيها».

ولأن أعداء الأمة يعلمون الدور الكبير للمرأة في تنشئة الأجيال وأنها هي التي ستبني أمة قادرة على هزيمتهم وهم أيضا يعلمون جيداً أن السيدة «فاطمة عليها السلام» هي النموذج الأرقى والقدوة المثلى للمرأة المسلمة التي ستنهض بالأمة وتنشئ جيلاً يهزم كل مخططات الأعداء، فعمدوا إلى تغييب سيرتها من المناهج التي يشرف عليها اليهود وبشيطنة أعداء المسلمين والإسلام، وأيضا غُيبت من المؤلفات والكتب ووسائل الإعلام المختلفة وقدموا لنا نماذج دينية أقل ما يقال إنها نماذج لاتسمن ولا تغني من جوع.

للأسف غيَّبوها وهي التي أحضرها القرآن الكريم، وكرِهوا وجودَها وهي التي كان يشتاق النبي صلى الله عليه وآله إلى محضرِها ورائحتها، غيَّبوها نموذجا ومثالا فحضرت أمثلة الانحراف، ونماذج الاتِّساخ، غيَّبوها علما ومعرفة وشجاعة وجهادا لتكون المرأة هي المفتونة بإبراز محاسنها لذئاب البشر، ولصوص الشرف، غيَّبوا كمالاتها الفطرية والإنسانية لتكون المرأة الصالحة هي امرأة ليلة الجمعة، على حدِّ وصف الدكتور شريعتي، والتي لا تعني شيئا للرجل إلا في تلك الليلة، بينما تقضي بقية وقتها الطويل في القيل والقال، وزراعة النمائم وحصد الشقاق والطلاق في المجتمع.

غيَّبوها عن الواقع الحضاري الأصيل لتحضُر أنواعٌ مختلفة من النساء، أكثرها رواجا تلك المرأة المسلَّعة جنسيا بغرض الربح المادي، وتهييج السعار الحيواني، وإفساد الحياة الاجتماعية للشعوب المسلمة، والزج بها في أسواق الرذيلة والتفسخ الاجتماعي.

وتتحمَّل مجتمعاتنا الإسلامية بما فيها النخب الدينية جزءا من هذه المسؤولية التقصيرية حيث خلطت فهما إسلاميا بآخَرَ من العادات والتقاليد، وجعلوا كل ذلك دينا يدينون الله به، فحُرِمَت المرأة من حق التعليم، حتى إذا أوجدوا هوة واسعة بين جيلها القديم والمعاصِر وصل المجرمون المنحرِفون إلى بعض النسوة لاستغلال ردة فعلها المندفِعة والدفع بها في الاتجاه السلبي وبما يخدم أعداء الإسلام.

وكانت نتيجة ذلك الإفراط والتفريط أن تَقَزَّم دورُ المرأة في شراكتها مع الرجل في صنعِ وخلقِ الحياة الجادَّة، ومظاهرِها الواعية والملتزِمة، وانخفض سقف طموحات البعض منهن إلى مستوى سحيق، أو شطحت طموحات البعض الآخر، وانحرفت إلى مساراتٍ مغايرة للفطرة الإنسانية وتعاليم الدين الحق؛ الأمر الذي انعكس سلبا على أداء المجتمع لوظائفه التي ينبغي أن يقوم بها.

لهذا لا مناص من العودة إلى الأصالة الإسلامية لمواجهة التحديات الراهنة بوعيٍ وبصيرةٍ، وإدراك لطبيعة الصراع والتفاعلات الحضارية.

الزهراء .. النموذج الأكمل والأمثل للمرأة المسلمة

يقول السيد القائد عبدالملك بدرالدين الحوثي سلام الله عليه :(نتحدَّثُ في هذه المناسبة عن أرقى وأسمى نموذج قدمه الإسْلَام للمرأة الصالحة للمرأة المؤمنة، عن أرقى نموذج عالمي، فاطمة الزهراء.

فالإسْلَام هو يلحظ هذا الدور ويقدم النماذج الراقية جِدًّا، نموذج فاطمة الزهراء -عَلَيْهَا السَّلَامُ- امرأة، أنثى هذه المرأة التي قال عنها رسول الله " -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-" أنها سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء أهل الجنة، وهذا التعبير ليس مجرد أوسمة للافتخار أَو ألقاب فارغة من المضمون، لا، تعبير الرسول -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- تعبيرٌ بالحق وليس مجرد ألقاب تُمنح لهذا وذاك، سيدة نساء العالمين يعبرّ عن أنها بلغت في مرتبتها الإيمَانية والإنْسَانية والأَخْلَاقية وفي سلّم الكمال الإنْسَاني والإيمَاني والأَخْلَاقي إلى أعلى مرتبة في النموذج للمرأة وفي الواقع النسوي، يعني في واقع النساء هذه المرأة هي أكمل امرأة في إيمَانها في موقعها في موقع القدوة لكل النساء، تتطلع إليها المرأة في كُلّ جيل وفي كُلّ عصر كيف كانت كأنثى وكامرأة في ماهي عليه من طهارة وعفة وتبتل إلى الله وإيمَان فيما بلغته في القيمة الإنْسَانية والأَخْلَاقية والتربوية والمعرفية في كُلّ المجالات تستفيد تنشدْ تتأثر بنموذج عظيم التأثر به يزيدها صلاحًا يجلّي في واقعها قيمة تلك القيم وأثر تلك القيم في الإنْسَان وفي حياته في الإنْسَان في روحيته وفي سلوكه وفي ممارساته في ما

يترتب على ذلك من منزلة عظيمة وعالية عند الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهي على المستوى العالمي النموذج (رقم 1) الذي تتطلع إليه المرأة كامرأة في موقع القدوة والذي ينظر إليه البشر إلى أنه في الصدارة في سلّم الكمال الإنْسَاني والأَخْلَاقي والإيمَاني، ثم عندما يقول سيدة نساء المؤمنين؛ لأَنَّها مواصفات إيمَانية اعتبارات إيمَانية مرتبة إيمَانية بلغت بها ذلك المستوى ثم عندما يقول سيدة نساء أهل الجنة؛ لأَنَّ هناك البعض من الناس قد يأتي له لقب من هنا أَو هناك في هذه الدنيا يتعصب له به قومه أَو شعبه أَو أصحابه ولكنه لقبًا غير واقعي، يوم القيامة التي هي خافضة رافعة لا يبقى أثر لتلك الألقاب التي لا واقع لها ليست مطابقة للحقيقة، خلاص تنتهي وتتلاشى؛ لأَنَّ تلك المرتبة مرتبة إيمَانية وواقعية تنتقل أيضًا في عالم الآخرة لتكون حاضرةً في عالم الجنة في موقعها العظيم في مرتبتها العالية وهي مرتبة إيمَانية مرتبة أَخْلَاقية مرتبة إنْسَانية مرتبة متقدمة).

ويقول أيضا السيد القائد سلام الله عليه : (عندما ننظر إلى النموذج للأسرة المسلمة الذي يجبُ أن تحذوَ حذوَه كُلّ أسرة هذا هو النموذج نموذج نتعلم منه كيف نعبّد أنفسنا لله فنتفانى في طاعته وفي الالتزام بأمره وبتوجيهاته في المحبة له فنتحلى بالقيم والأَخْلَاق الإيمَانية فنسير في هذه الحياة في واقعنا البشري من واقع المحبة والروابط العظيمة والنظرة بمحبة وإعزاز للناس من حولنا هذه الأسرة التي لم تتعامل مع الناس من هذا الموقع في القدوة لا بتكبر ولا بظلم ولا بإساءة، كانت أسرة جسّدت إيمَانها حتى في علاقتها بالناس هذه الأسرة التي تقدم طعامها وهي جائعة وصائمة عند وقت الإفطار عند وقت تناول العشاء للمسكين واليتيم والأسير وتؤثرهم على نفسها وتبيت جائعة ثم يقولون: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) هذه الأسرة تقدم النموذج للأسرة المؤمنة يوضح لنا حديث الكساء ما بلغته هذه الأسرة في إيمَانها بالله واستقامتها وطهارتها وقد دعا لهم الرسول صلوات الله عليه وعلى أله بعد أن شملهم بكساء يماني فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) وتقدم لنا الآيات المباركة في سورة الإنْسَان كيف كانت إنْسَانية هؤلاء الناس وهم يؤثرون بطعامهم المسكين واليتيم والأسير لوجه الله -سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى- لنتعلم من ذلك أن السمو هو السمو بالأَخْلَاق السمو بالإيْمَان أن الارتقاء وأن الشرف هو بالإيْمَان وبالأَخْلَاق بالارتقاء الإيْمَاني والروحي بالتزام الإيْمَاني بالعبودية لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالاستقامة على منهج الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هذا الذي يرتقي بالإنْسَان فاطمة الزهراء -عَلَيْهَا السَّلَامُ- برغم ما بلغته من مرتبتها الإيْمَانية ومقامها العظيم عند الله من موقعها كسيّدة نساء المؤمنين ونساء العالمين عاشت ظروف هذه الحياة وقامت بمسؤولياتها في المنزل والأسرة ومع زوجها وقبل ذلك في ظل ورحاب أبيها رسول الله -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بشكل طبيعي سيدة نساء العالمين كانت تعد هي وجبة الطعام لم تعتزل على كرسي تقول خلاص أصبحت سيدة نساء المؤمنين كيف أعجن كيف أخبز كيف أعد الطعام كيف أكنس المنزل كيف أغسل الثياب كيف كيف، لا.

كانت تقومُ بكل واجباتها المنزلية تعد الطعام تعجن تخبز تعد الطعام بشكل كامل تقدمه تكنس البيت تنظفه تقوم بكل مسؤولياتها تربي أبنائها كُلّ مسؤولياتها هذه وعمل بشكل رئيسي وعظيم وبارز في تربية أبنائها الحسن والحسين وزينب -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- نتعلمُ من هذا درسًا مهمًّا عاشت حياتَها في الظروف الاعتيادية للحياة في عسرها ويسرها وفي شدتها ورخائها عاشت في مراحل وظروف صعبة جِدًّا وظروف متواضعة حتى مراسم الزواج لم تكن مكلفةً ولم تكن ضخمةً ولم تكن بمبلغ كبير ولم تكن تكلفة الوليمة هائلة كُلّ شيء كان متواضعا جِدًّا في كُلّ هذا دروس؟ الدروس الاجتماعية من حياة هذه الأسرة في حياة رسول الله -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في واقعه مع زوجاته أمهات المؤمنين ومع ابنته فاطمة الزهراء ومع هذه الأسرة التي كانت مرتبطة به فاطمة وعلي والحسن والحسين في هذا الواقع بكله دروس كثيرةً جِدًّا على المستوى الأسري وعلى المستوى الاجتماعي نحتاج إليها كمسلمين وتفيدنا في الحفاظ على القيم والمبادئ والأَخْلَاق والسمو بها وأَيْضًا تفيدنا في تحمل الصعوبات في هذه الحياة وتحمل أعباء هذه الحياة وفي مواجهة التحديات في الصراع مع الأَعْدَاء.

لا بد لنا في معركة اليوم من تعزيز المبادئ والقيم؛ لأَنَّ التماسك المبدئي والأَخْلَاقي هو الذي يحفظ للأُمَّة ثباتها وتماسكها حتى في معركتها العسكريّة حتى في مواجهتها

بـكل أشـكال المواجهـة مـع أعدائهـا لـو فقـد المجتمـع مبادئـه لـو فقـد قيمـه وأَخْـــلاَقه لو نجـح أعدائـه في التأثـير عـلى تفكيره وعلى نفسـيته في ضرب قيمـه وأَخْـــلاَقه تتحكم به ولهـان وضعـف واسـتعبد وقهـر وتمكّـن أعدائه من السـيطرة التامـة عليه.

مـن أَهَـــمّ الـدروس التـي يجب أن نعززها هـي نظرتنا من خلال ما يقدمه لنا الإِسْـلاَم وإلى كيـف يجـب أن نكـون في واقعنـا الأسرة كأسرة ثـم المجتمـع كمجتمـع مجتمـع تقـوم بُنيتُـه بشـكل عـام على أسـاس مـن هذه المبادئ مـن هذه القيم مـن هذه الأَخْـــلاَق مجتمع موحَّـد الأسرة فيـه متوحـدة والمجتمـع بكلـه المكـون من هـذه الأسر يتوحد وتجتمـع كلمته بنـاءً عـلى هـذه المبـادئ عـلى هـذه القيـم العظيمـة المؤثـرة المفيـدة التـي لا يتسـع المجـال للحديـث عنها).

خـــتاماً:

أردت أن أقول: فاطمة هي بنت خديجة الكبرى (عليها السلام)

وجدت أنها ليست فاطمة..

أردت أن أقول: فاطمة هي بنت محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)

وجدت أنها ليست فاطمة..

أردت أن أقول: فاطمة هي زوجة علي (عليه السلام)

وجدت أنها ليست فاطمة..

أردت أن أقول: فاطمة هي أم الحسنين (عليهما السلام)

وجدت أنها ليست فاطمة..

أردت أن أقول: فاطمة هي أم زينب (عليهما السلام)

وجدت أنها ليست فاطمة..

كلا! فهذه كلها هي، وليست هي كلها!

«ففاطمة هي فاطمة»!

* الدكتور/ علي شريعتي

المصـــــادر:

1 - نـص خطـاب السـيد عبدالملـك بـدر الديـن الحـوثي بمناسـبة اليـوم العالمـي للمـرأة المسـلمة – ذكـرى ولادة السـيدة الزهـراء 1440هـ

2 - كتاب (تلك هي فاطمة الزهراء) إعداد الدكتور حمود الأهنومي

3 - كتـاب (في رحـاب فاطمـة الزهـراء دروس وعـبر) إعـداد الأسـتاذ يحيـى قاسـم أبـو عواضة

4 - كتاب (فاطمة هي فاطمة) للدكتور علي شريعتي

5 - كتاب (فاطمة الزهراء والفاطميون) للأستاذ عباس محمود العقاد

6 - صحيفة الثورة – العدد 21233

7 - نـص رسـالة السـيد عبدالملـك الحـوثي للمـرأة المسـلمة في ذكـرى ولادة السـيدة فاطمـة(ع) 20/ جمـــاد الآخـــر / 1439هـ

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

اللوبي الصهيوني يمعن في الإساءة للمقدسات الإسلامية

مركز البحوث والمعلومات

رجب 1444هـ / يناير 2023م

ليست المرة الأولى للوبي الصهيونية اليهودية في السويد وغيرها , أما السويد فقد تعددت إساءاتها للإسلام بدءاً بتعسفاتها ومضايقاتها للجاليات الإسلامية وليس انتهاءً بانتهاكها الخسيس لقدسية القرآن العظيم حين سمحت - وبحماية الشرطة - للمتطرف الدانماركي السويدي "راسموس بالودان" بحرق نسخة من المصحف الشريف خلال مظاهرة في العاصمة السويدية ستوكهولم.

هذه الواقعة الشنيعة أثارت عاصفة من الغضب وردود فعل واسعة في العالم العربي والإسلامي وأيقظت غفلة شعوب المليارى مسلم لمواجهة هذا التعدّي الصارخ ضد أقدس كتاب على وجه الكون .

ورغم تقاعس غالبية حكام المسلمين عن إظهار ردة فعل قوية إزاء هذا الإنتهاك الجسيم بحكم ولائهم للصهيونية اليهودية إلا أن انتفاضة دولاً إسلامية وعربية برزت لترسم خارطة الطريق في مواجهة اللوبي الصهيوني العالمي وهو يشرف ويموّل وينفذ مثل هذه الأعمال الدنيئة في إطار محاربته للإسلام وأهله .

اليمن .. غضبٌ عارم :

أثارت واقعة حرق المصحف الشريف في السويد ردود غضب واسعة حملت الكثير من الإدانة والاستنكار باعتبارها عملاً إجرامياً يقف وراءه ويموله وينفذه اللوبي العالمي للصهيونية اليهودية .

ففي يمن الإيمان والحكمة أدانت واستنكرت كافة المستويات الرسمية والشعبية هذا الفعل الإجرامي البائس.

واعتبر مجلس النواب في بيان أصدره ، أن ذلك التصرف المتطرف الذي تم بحراسة مشددة من قوات الأمن السويدية اعتداءً سافراً وإساءة موجهة للإسلام ومشاعر المسلمين في العالم.

وأكد أن حكومة السويد تتحمل تبعات ذلك الاعتداء والتصرف وما سينتج عنه من ردود أفعال..

وأشار البيان إلى أن ما يشهده الغرب من أعمال مسيئة ومعادية للمقدسات الإسلامية

يعكس ما وصلت إليه الحكومات الغربية من انحطاط أخلاقي وسياسي في التعامل مع القيم والمقدسات الإسلامية.

وأوضح البيان أن الإساءة للأديان والمعتقدات والمقدسات الإسلامية جريمة، لافتاً إلى أن على الحكومات الغربية أن تعي أن تلك التصرفات لا تندرج في إطار الحريات الفردية والتعبير عن الرأي لما ينتج عنها من ردود أفعال عدائية وإثارة للكراهية بين شعوب العالم.

وطالب البيان البرلمانات في الدول العربية والإسلامية والأحرار في العالم بإدانة واستنكار تلك التصرفات والرد الحازم على الأعمال العدائية ضد المقدسات الدينية.

كما طالب البيان السلطات السويدية والدنماركية بالتحقيق في هذه الجريمة، ومحاسبة المسؤولين من الجماعات المتطرفة، والاعتذار عن ذلك وعدم تكراره في المستقبل .

وشدد المجلس على ضرورة توحيد الجهود لإيجاد مواثيق وقرارات مُلزمة تجرِّم كافة أشكال الكراهية والتطرف وكافة الأعمال المسيئة للأديان والمقدسات ومحاسبة مرتكبيها.

من جهته أدان ناطق حكومة الإنقاذ الوطني، وزير الإعلام ضيف الله الشامي، بشدة إحراق زعيم حزب "الخط المتشدد" الدنماركي اليميني المتطرف راسموس بالودان، نسخ من القرآن في العاصمة السويدية ستوكهولم.

واعتبر ناطق حكومة الإنقاذ هذا العمل المشين، جريمة استفزازية لمشاعر المسلمين في العالم ، وتعبر في الوقت ذاته عن مدى الحقد والإجرام التي يكنها أعداء الأمة على الإسلام والمسلمين.

وأشار إلى أن استمرار أعداء الأمة في إحراق نسخ من المصحف الشريف، يعكس مساعيهم الشيطانية على محاربة التعاليم والقيم والأخلاق والسلوكيات التي جاء بها القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فيما أدانت وزارة الخارجية، بأشد العبارات إحراق زعيم حزب "الخط المتشدد" الدنماركي، اليميني المتطرف "راسموس بالودان"، نسخة من القرآن أمام السفارة التركية في العاصمة السويدية ستوكهولم، وسط حماية مشددة من رجال الشرطة، التي منعت

اقـتراب أي أحـد منـه أثنـاء ارتكابـه هـذه الجريمـة النكراء.

واعتـبرت وزارة الخارجيـة، في بيـان صـادر عنهـا ، إقـدام المتطـرف الدنمـاركي عـلى إحـراق نسـخة مـن القـرآن الكريـم جريمـة وتحريضـاً مسـتفزاً لأكثر مـن ملياري مسـلم في مختلـف قـارات العـالم، ونتيجـة لاسـتمرار الخطـاب الشـعبوي في أوروبـا القائـم على الكراهيـة عـلى أسـاس المعتقـد أو العـرق أو الديـن.

وحـذر بيـان وزارة الخارجيـة من نتائج مثل تلك الاسـتفزازات.. مؤكـداً أن هذا الخطاب الشـعبوي يُعتـبر أحـد أشـكال العنـف والإرهـاب الـذي تدّعـي دول الغـرب محاربتـه في أدبياتهـا وقوانينهـا أمـام العالم.

وأدانـت هيئـة رئاسـة مجلـس الشـورى الإسـاءات الغربيـة المتعمـدة والمتكررة للمقدسـات الإسـلامية، وآخرهـا إحـراق نسـخة مـن القـرآن الكريم في السـويد.

وقـد اسـتنكرت الهيئـة العامـة للأوقـاف مـا حـدث في السـويد مـن إحـراق لنسـخة مـن القـرآن الكريـم.

وأشـارت الهيئـة في بيـان صـادر عنهـا إلى أن هـذا العمـل الـدنيء يعـد انتهـاكاً سـافراً لحرمـة الديـن الإسـلامي واسـتفزازاً متعمـداً للمسـلمين، ويعطـي مـؤشراً عـلى المسـتوى الخطـير الـذي وصلـت إليـه معـاداة الإسـلام في السـويد وفي أوروبـا بشـكل عـام.

وعـبر بيـان الهيئـة عـن إدانتـه لهـذه الانتهـاكات .. داعيـاً الشـعوب الإسـلامية إلى تفعيل سـلاح المقاطعـة واتخـاذ مواقـف جـادة ورافضـة من شـأنها الحـد مـن الاعتـداءات المتكررة التـي تطـال أبرز المقدسـات الإسـلامية.

فيـما اعتـبرت وزارة الإرشـاد وشـؤون الحـج والعمـرة، ان هـذه الجريمة تعـبر عن مدى الحقد والهمجية والاسـتهانة والاسـتفزاز لمشـاعر المسـلمين واسـتهداف أعظم مقدسـاتهم.

وأوضحـت أن هـذه الخطـوة الحاقـدة والتواطؤ معهـا يمثل حرباً صريحة على الإسـلام والمسـلمين ، لافتة إلى أن ذلك الاسـتفزاز يسـتوجب تحركاً إسـلاميا عالمياً وكبيراً لتأديب كل من يتمادى وتسـول له نفسـه المسـاس بالمقدسـات الإسلامية.

فيـما أكـد مجلـس القضـاء الأعـلى أن هـذه الجريمـة ومـا سـبقها مـن إسـاءات تـأتي في سـياق التطـاول عـلى المقدسـات الإسـلامية، بتخطيـط مـن اللـوبي الصهيـوني ورعايـة

سويدية، ما يستلزم من جميع المسلمين شعوبا وأنظمة الرد القوي والتحرك الفعال تجاه هذا العمل الإجرامي ومن يقف وراءه.

وأدانت قبائل اليمن إحراق نسخة من القرآن الكريم في السويد، معتبرة ذلك عملاً عدائياً يستهدف الإسلام والمسلمين.

وأكدت قبائل اليمن في بيان صادرعن مجلس التلاحم ، أن هذه الأعمال الدنيئة تعكس حالة التخبط والفشل الأخلاقي والسياسي التي وصلت إليها حكومات الغرب.

وحمل البيان الحكومة السويدية، تبعات هذه الأعمال الدنيئة واللامسئولة.. داعياً كافة أبناء وقبائل وعشائر الأمة الإسلامية لتحمل مسئوليتهم بردود حازمة لردع هذه الأعمال العدائية التي تستهدف مقدسات الأمة.

فيما دعت اللجنة المنظمة للفعاليات بالعاصمة صنعاء للخروج الشعبي عصر اليوم الاثنين، للتنديد بإحراق أدوات اللوبي اليهودي الصهيوني في السويد نسخة من القرآن الكريم.

وحددت اللجنة ساحة باب اليمن للخروج الشعبي.. مؤكدة على أهمية المشاركة الواسعة للتعبير عن الغضب والرفض لإساءات أعداء الإسلام المتكررة للمقدسات، وأخرها جريمة إحراق نسخة من القرآن الكريم في السويد والتي تمثل حربا على الإسلام واستفزازا لمشاعر المسلمين.

إدانات إسلامية وعربية واسعة :

وفيما تتجه أنظار العالم الإسلامي للخروج الشعبي في اليمن يومنا هذا الإثنين للتنديد بإحراق أدوات اللوبي الصهيوني اليهودي في السويد نسخة من القرآن الكريم، فقد أدانت وزارة الخارجية الايرانية ، بشدة جريمة الاساءة الى حرمة واحراق نسخ من القران الكريم التي حدثت في السويد مؤخرا.

ونقلت وكالة الانباء الايرانية ارنا عن المتحدث باسم وزارة الخارجية الايرانية "ناصر كنعاني" في تصريح له السبت أعرب فيه عن أسفه حيال هذه الجريمة النكراء، قائلا : للاسف هناك عدد من الدول الاوروبية التي لا تزال تسمح للعناصر المتطرفة الاستمرار

في التحريض ضد المقدسات والقيم الاسلامية، وذلك خلافا لشعارتها الجميلة في الدفاع عن حقوق الانسان، لكنها تضمر معاداة الاسلام لديها.

واعتبر متحدث الخارجية، ان تكرار التعرض الى حرمة الكتاب السماوي لما يبلغ مليارا ونصف المليار انسان مسلم، مثالا واضحا على (مخطط) نشر الكراهية والترويج للعنف ضد المسلمين كافة؛ مردفا بان هذا السلوك لا يمت باي صلة الى حرية التعبير.

فيما ندد حزب الله بشدة بما حصل من حرقٍ للقرآن الكريم في السويد، واستنكر هذا الفعل الإجرامي المقيت بحق الدين الإسلامي والرموز الإسلامية المقدسة.

وجاء في بيان لحزب الله نقله موقع المنار أمس الأحد: إن هذه الخطوة تأتي في سياق مسلسل التطاول المشين على رسول الله الأعظم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى مراجع المسلمين ورموزهم ومقدساتهم، وهو إساءة بالغة لأمة الإسلام على امتداد العالم من شرقه إلى غربه، لا يمكن السكوت عنها على الاطلاق.

وحمل حزب الله في بيانه الحكومة السويدية المسؤولية الكاملة عن هذا الفعل القبيح.. داعيا إلى المبادرة فورا لمعاقبة المرتكبين والعمل لمنع تكرار مثل هذه الجرائم.

وطالب حزب الله في ختام بيانه الحكومات الإسلامية والمرجعيات والهيئات والمؤسسات الإسلامية بالتنديد بهذه الإساءة الكبيرة والعمل لتكوين رأي عام عالمي يحول دون حصول مثل هذه الانتهاكات الخطيرة مجددا.

من جهته أدان وزير الخارجية الكويتي الشيخ سالم عبد الله الجابر الصباح، إقدام متطرف على حرق نسخة من القرآن الكريم في السويد.

وعبر في تصريح نقلته وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، عن "إدانته واستنكاره الشديدين لقيام أحد المتطرفين بحرق نسخة من المصحف الشريف أمام مبنى سفارة الجمهورية التركية في العاصمة ستوكهولم"، منبها إلى أن هذه الأحداث "من شأنها تأجيج مشاعر المسلمين حول العالم وتشكل استفزازًا خطيرًا لهم".

فيما أدانت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بأشد العبارات، قيام أحد غلاة التطرف والإرهاب العالمي بحرق المصحف الشريف أمام سفارة تركيا بالسويد.

وقالت الحركة إن هذا السلوك الإجرامي هو عدوان بحق الإسلام والمسلمين، وهو

سلوك يغذي الإرهاب، ويمثل منتهى حالات التطرف والعداء للإسلام، وإن سماح السلطات السويدية بهذه الجريمة ومنحها الغطاء يعبر عن تقصد الإساءة للإسلام واستخفاف بمشاعر المسلمين في كل أنحاء العالم.

وأكدت إن تكرار هذه الممارسات العدوانية تحت أعين العالم، يمثل تهديداً لكل القيم الإنسانية وتنكراً لكل المبادئ التي تحث على احترام الدين ورموزه ومقدساته.

من جهتها أكدت حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية "حماس" على لسان المتحدث باسمها حازم قاسم: إن "حرق المصحف استفزاز لمشاعر كل المسلمين، وعدوان سافر على عقيدتهم"، مضيفا: "هذا سلوك متطرف من شأنه نشر التحريض والكراهية وايجاد بيئة خصبة للتشدد".

وطالب قاسم المجتمع الدولي بـ"تحمل مسؤولياته لوقف مثل هذه الأعمال المستنكرة والمدانة ونبذ كافة أشكال الكراهية والتطرف ومحاسبة مرتكبيها"، داعيا حكومة السويد لـ"تقديم الاعتذار للمسلمين على هذه الجريمة".

ليست الإساءة الأولى :

تكررت الإساءات المتعمدة من اللوبي الصهيوني العالمي بحق الإسلام ومقدساته بهدف الانتقاص من عظمته والحد من انتشاره والتأثير سلباً في عزيمة وإرادة الشعوب الإسلامية وإخماد روح الاعتزاز بالهوية الإيمانية لما يقارب من ملياري مسلم في أنحاء المعمورة .

ولم تقف إساءات اللوبي الصهيوني للإسلام والمسلمين عند حدّ , إذ وصلت إساءاتهم لأعظم رمزين إسلاميين وهما القرآن الكريم والنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ففي العام 2005م وتحديداً في 30 سبتمبر نشرت الصحيفة الدانماركية "ييلاندز-بوستن" إثناعشر رسماً كاريكاتورياً تحت عنوان " وجه محمد" .

وفي 18 أغسطس 2007م ، نشرت الصحيفة السويدية " نيريكس اليهاندا" رسم مسيء للنبي محمد على جسم كلب لرسام الكاريكاتور السويدي لارش فيلكس.

وقام المتطرف الدانماركي السويدي "راسموس بالودان" بأعمال حرق نسخ من القرآن

الكريم، في مختلف مدن الدانمارك منذ عام 2017م .

وفي عام 2019م قام المتطرف السويدي "راسموس بالودان" بإحراق مصحفاً شريفاً ملفوفاً في لحم خنزير مقدد , ليشترك لاحقاً مع خمسة آخرين بإحراق نسخة من القرآن الكريم في بروكسل في نوفمبر 2020م .

وبعد أن منحته السويد جنسيتها أقدم "بالودان " في إبريل من العام الماضي 2022م مع أنصار حزبه بإحراق نسخ من القرآن الكريم , وصولاً إلى إحراقه نسخة من المصحف الشريف مطلع هذا الأسبوع أمام السفارة التركية في العاصمة السويدية ستوكهولم.

وقبلها في سبتمبر من عام 2020م نشرت مجلة (شارلي إيبدو)، الفرنسية الساخرة، رسوما كاريكاتورية مسيئة لرسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم , وأعقبها في إبريل من العام 2021م قيام السياسي اليميني الهولندي المتطرف "خيرت فيلدرز" زعيم حزب الحريات اليميني، بنشر مقطع فيديو على حسابه في "تويتر" عنون له بعبارة " لا للإسلام لا لرمضان ، لا للإسلام " .

إشارات هامة:

وإننا إذ ذكرنا بعضاً من جرائم إساءات اللوبي الصهيوني للإسلام ومقدساته , نشير إلى أن من الواجب على الأمة الإسلامية أن تدرك حجم المؤامرات عليها , ويجب أن تعي أن هذه الإساءات الصهيونية الإجرامية المتكررة لقياس ردة فعلها ليتمادي اللوبي الصهيوني اليهودي أكثر وأكثر إن قوبلت إساءاته بردة فعل ضعيفة .

ونشير أيضاً إلى أن هذه الأعمال الدنيئة هي واحدة ضمن خطوات عديدة يعدها ويمولها وينفذها اللوبي الصهيوني في إطار مخطط تطاوله على مقدسات المسلمين وعلى رأسها القرآن الكريم والنبي الأكرم صلوات الله عليه وعلى آله .

ونؤكد على أن الإساءة للأنبياء والرسل والقرآن الكريم , هدفها في الأساس تغييب ما حملته شرائعهم ورسائلهم الإلهية من قيم عظيمة ومبادئ وأخلاق سامية تهتدي بها الأمم , على عكس ما تريده الصهيونية اليهودية من نشر الفساد والإنحلال , ومحو الأخلاق في المجتمعات الإسلامية .

يفعلـون كل ذلـك لتلتحـق الأمـة الإسـلامية بركب الإنفـلات الأخلاقي في الغـرب , تلك المجتمعـات المنحلـة والمتفككـة أسريـاً ومجتمعيا والتـي لا تحكمها قيَم ومبـادئ مُثلى نتيجة كفرهـم باللـه وابتعادهـم عـن هـدي جميـع أنبيائـه ورسـله وصـولاً لخاتمهـم محمد صلى اللـه عليـه وعلى آله وسـلم .

وقـد يدركـون ولا يدركـون العواقـب الوخيمـة مـن عقوبـاتٍ إلهيـة في الدنيـا والآخـرة نتيجـة جرائمهـم وإسـاءاتهم المتكـررة للأنبيـاء والمصحـف الشريـف.

ومـا تلـك الفـوضى الأخلاقيـة , وانفـراط عِقـد القيـم والمبـادئ في أمريـكا وأوروبـا , والإحصائيـات المرعبة في اسـتهداف الإنسـان وتحديـداً المرأة والطفل إلا بعـض نتاج أعمال مـن يقودهـم مـن لـوبي صهيـوني عالمـي يسـعى حثيثـاً لإفسـاد كل المجتمعـات لتسـهل لـه السـيطرة الكاملـة عـلى الجميـع وقيادتـه للهاويـة .

ما الذي يجب حالياً على الأمة الإسلامية ؟

ولأن الإسـاءة للقـرآن الكريـم دليـل عظمته وشـموليته , فإن بعضاً مـما يجب على الأمة الإسلامية:

-أن تتخـذ موقفـاً قويـاً وحاسـماً عـلى كافـة المسـتويات لمنـع تكـرار مثـل هـذه الانتهاكات الإجراميـة بحـق المقدسـات الإسـلامية .

-أن تحـذو الشـعوب العربيـة والإسـلامية حـذو الشـعب اليمنـي في الخـروج المشرّف للسـاحات إدانـةً واسـتنكاراً لهـذا الفعـل الإجرامـي .

-أن تتحـرر الشـعوب العربيـة والإسـلامية من سـيطرة الصهيونيـة اليهودية عـلى العالم , وأن تتّعـض مـما يحـدث في الغـرب مـن فسـاد وضـلال واسـتعباد جـراء إحـكام سـيطرة اللـوبي الصهيـوني عليهم .

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

التجلِّيات التاريخية لجُمعة رجب في اليمن

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشي

رجب 1444هـ / يناير 2023م

"يكفي اليمن شرفاً أن يسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شكراً لله تعالى على إسلام أهله، دلّ مصدره ببرهانٍ ساطع على سِعة مداركهم وسلامة عقولهم ومعرفتهم الحق الواضح، وتمييزه عن الباطل، فكانوا أسرع الأمم انقياداً إلى الدين الإسلامي، والإيمان به، بدون احتياج إلى حرب أو مُناقشات جدلية، وإنما عرفوا الحق فأذعنوا له، وسلّموا إليه طائعين"... العلامة "محمد بن علي الاهدل":

يحتفل اليمنيون في الجمعة الأولى من شهر رجب الأصب بدخول أجدادهم في الإسلام على عهد رسول الله دون غزوٍ أو قتال، بل حُباً وعشقاً وطواعية.

وتُقام في هذا اليوم المُبارك احتفالات الذكر والصلوات والإبتهالات في العديد من المناطق اليمنية بمختلف توجهاتها وانتماءاتها المذهبية والسياسية، وتتجلّى فيه الهوية الإيمانية بأسمى صورها.

هذه الإحتفالات ليست وليدة اللحظة أو دخيلة على اليمنيين، بل اعتادوا إحيائها كابراً عن كابر منذ مئات السنين، وكلها حمدٌ وشُكرٌ وتسبيحٌ وتهليلٌ ووعظٌ وإرشاد، ولا يوجد فيها ما يدعو للتشنيع والتبديع كما ترى قوى التكفير الظلامية، وأي شيءٍ أعظم من تعظيم شعائر الله، وشكر الله على نعمة الإسلام من أعظمها وأجلّها.

قطعاً إحياء هكذا شعائر يُنغّص على القوى التكفيرية الظلامية حياتهم، لأن فيها إعادة وصل لما انقطع بين أحفاد الأنصار وأجدادهم، وتجديد للعهد على استكمال مسيرة أجدادهم في الدفاع عن الإسلام ورفع رايته وتنقيته من شوائب التدجين "الصهيو - وهابي"، وإعادة بياضه المُتلاشي إلى محجَّته الناصعة.

في هذه القراءة سنكتفي بالوقوف على التجلّيات التاريخية لإسلام اليمنيين، ووفادة الإمام علي عليه السلام الى اليمن، وما كان لها من فضل في إخراج اليمن من مُستنقع الظلام الجاهلي إلى نور الدوحة المحمدية، وفي تقديرنا فالوقوف على السرديات التاريخية ومقاربتها أكثر أهمية من الكتابات الإنشائية، على صعيد إنعاش ذاكرة أحفاد الأنصار، وإعادة الاعتبار للهوية الإيمانية.

سابقة الإسلام والوفود:

أجمع المؤرخون على إسلام السواد الأعظم من اليمنيين في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عكس غيرهم من الأقوام، وتحديداً خلال الفترة 6 - 10 هـ، على دفعات، فُراداً وجماعات.

بعضهم أسلم في اليمن دون الهجرة، والبعض ذهب إلى المدينة المنورة إما لإشهار إسلامهم كـ"عمرو بن معدي كرب الزُبيدي" و"المهري بن الأبيض" و"فروة بن مُسيك المرادي"، و"رُهاء" و"بجيلة" و"أزد" و"غامد" و"بارق" و"طيّء"، أو سبق لهم الإسلام وأرادوا إخبار النبي بذلك كـ"دوس" و"نخع" و"غافق" و"تُجيب" و"صدف" و"خولان" و"كندة"، أو لإخباره بأن قومهم أصبحوا على دين الإسلام كإرسال الحميريين "مالك بن مرارة الرُهاوي".

ومنهم من أسلم والرسول في مكة المكرمة، كما هو حال "عمار بن ياسر بن عامر العنسي المذحجي" وأمه وأبيه.

ومنهم من أسلم بعد هجرة الرسول الى المدينة وقبل فتح مكة المكرمة، كما هو حال "الأوس" و"الخزرج" و"الأزد"، وغالبيتهم أعلن إسلامه في عام الوفود 9 هـ.

وشهدت السنوات التالية لفتح "مكة" 8 هـ، انتشار الإسلام بين أكثرية القبائل اليمنية، حيث شهدت السنتين التاسعة والعاشرة اسلام جميع القبائل اليمنية، وبعثوا الوفود إلى المدينة المنورة.

وفي حجة الوداع كان هناك حضور كثيف للوفود اليمنية من "صُداء" و"تُجيب" و"رُهاء"، وفي هذا تأكيد جلي على حُسن إسلامهم وأدائهم لفرائضهم.

ووجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أول رسالة إلى رؤساء قبيلة "حمير" وكانت لها اليد الضاربة في اليمن، منهم: "المهاجر بن أمية المخزومي"، وأبناء "عبدكلال الحميري"، "النعمان" و"الحارث" و"نعيم" و"مروح" و"عريب"، وهم أقيال "رعين"، و"معافر" و"همدان"، فأسلم كثيرٌ من زعمائها، وبعثوا برسالة مع "مالك بن مرارة الرهاوي"، وأجاب عليهم رسول الله وولاهم على بلدانهم، ومنهم "أبو زرعة بن سيف

بـن ذي يـزن" وغـيره، ثـم أرسـل إلى ملـوك "حمـير" ولاة ومُعلمين تحت قيـادة الصحابي الجليـل "مُعـاذ بـن جبل" سـنة 9 هـ، وجعله مُعلِّماً لولايـة "الجند".

وأرسـل إلى أسـاقفة "نجـران"، و"بنـي معاويـة" مـن "كنـدة" في "حضرمـوت"، و"بنـي ربيعـة بـن ذي المراحـب"، مـن "حمـير" بحضرمـوت، ..، إلخ، ووصـل أول مبعوث للرسـول إلى اليمـن في محـرم 7 هـ.

عـلى صعيـد الوفـود، شـهدت المدينـة المنـورة وصـول 27 وفـداً مـن القبائـل اليمنيـة، بلغ عـدد أعضائهـا كـما يذكـر "ابـن سـعد" في طبقاتـه نحـو 1070 رجـلاً، منهـم 50 رجلاً من قبيلـة "أشـعر"، و70 أسرة مـن "دوس"، و400 رجـل مـن "بجيلة"، و200 مـن "نخع"، و15 مـن "طـيّء"، و500 مـن "صـداء" - شـارك منهـم 100 رجـل في حجـة الوداع.

ولم يكـن وصـول هـذه الوفود في العـام 9 هـ فقط، بل توزّعت عـلى الفترة "6 - 11 هـ"، وكان وفـد قبيلـة "نخع"، آخرها قُدوماً على رسـول اللـه، في 15 محرم 11 هـ.

وكانت "همدان" و"دوس" أول القبائل اليمنية إسـلاماً والرسـول لا يزال في مكة المكرمة، تبعتهـم بطـون كثيرة من "سـعد العشـيرة" و"مذحج" و"الأشـاعرة" بتهامـة، ..، وبعد عودة الرسـول مـن غـزوة تبـوك وصـل الى المدينـة وفـدٌ كبـيرٌ مـن "همـدان"، يتقدمهـم أقيـال ووجهـاء وأعيـان القـوم من "خـارف" و"يام" و"شـاكر"، وغيرهم.

وحـرص الرسـول عـلى توجيه الوفـود بتحطيـم أصنامهم وهـدم معابدهم بعـد عودتهم إلى ديارهـم، ومن أشـهر تلـك الأصنام:

1 - "عُميأنُس" بخولان.

2 - "معبد فَلْس" بآل حاتم من طيئ.

3 - "ذي الخلصة" ببجيلة.

وكان "ذؤيـب الخـولاني" أول مـن أعلن إسـلامه من اليمنيين كما يذكـر صاحب "الإصابة والإسـتيعاب"، فسـماه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم "عبداللـه"، وأراد مُدّعـي النبـوة "الأسـود العنسي"، إحراقـه بالنار، فلـم تضُره.

وأول من أسلم من كبار زُعماء حمير "أبو زرعة بن سيف بن ذي يزن".

وأول سابق إلى الإسلام وشهيد فيه بمكة أبو عمار "ياسر بن عامر العنسي المذحجي".

التعامل الراقي للرسول مع اليمنيين:

اتّسمت مُعاملة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع القبائل اليمنية الزائرة للمدينة بالرحمة والمُداراة، والاستقبال الحسن.، ومنح بعضهم الهدايا كـ"خولان" و"بجيلة" و"غامد" و"تُجيب".

وأرسل الكتب إلى بعض زعمائهم كـ"أبي ظبيان الغامدي الأزدي".

وعقد تحالفات مع بعضهم، كزعماء "حمير" و"زُبيد" و"مُراد" و"همدان" و"خثعم" و"طيّء".

واختار أمراء وولاة من بين وفودهم على مناطقهم، أمثال: "وائل بن حجر بن سعد الحضرمي"، و"قيس بن سلمة الجُعفي"، و"فروة بن مُسيك المرادي"، و"أبو موسى الأشعري"، و"صرد بن عبد الله الأزدي"، و"جرير بن عبد الله البجلي"، و"قيس بن حصين الحارث" .. ألخ.

وترك لهمدان أرضهم، وأرسل من يُعلِّم القبائل اليمنية القرآن وأمور دينهم وأخذ الزكاة من المسلمين والجزية من أهل الكتاب، ومن لا زالوا على دينهم وهم قلة سرعان ما التحقوا بالركب النبوي الطاهر.

ومن طريف ما يذكر المؤرخون أن بعض القبائل كانت غارقة في الصراعات والحروب كما هو حال "مذحج" و"همدان"، فأرسلوا بعض رجالهم إلى رسول الله لطلب الدعم والمُساندة ضد بعضهم، لكن أسلم رُسلهم، وعادوا إلى قومهم مبشرين بالدين الجديد، واستل الإسلام السخائم والأحقاد والضغائن من قلوبهم.

هذا التعامل الراقي من حضرته الشريفة مع الوفود اليمنية، ترك أثر كبير في نفوس زعمائهم، ظهرت تجلّياته في حُسن إيمانهم، وتسابقهم لإعلاء كلمة الله في أنحاء المعمورة، وتقدُّمهم صفوف الفاتحين، ورفعهم لواء الدين، فكانوا بشهادة الكثير من المؤرخين عمود الإسلام وقوته.

يـروي ابـن جرير في تفسـير قوله تعالى: "ورأيـت الناس يدخلون في ديـن الله أفواجا"، أنهـا في اليمنيـين، قـال "عبدالله بـن عبـاس": بينـما رسـول اللـه بالمدينـة، إذ قـال: "اللـه أكـبر اللـه أكـبر، جـاء نصر اللـه والفتـح وجاء أهـل اليمن".

قيل يا رسول الله: وما أهل اليمن.

قال: "قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان والحكمة يمانية".

ويذكـر الكاتـب التايلانـدي "برمـود صمـدي" أن الإسـلام عندمـا دخـل اليمـن وجـد تربـة خصبـة في شـعب نشـأ عـلى الزراعة والتجـارة، فكانـوا من أكثر الشـعوب صـبراً على مـا تتطلبـه الزراعـة مـن عنـاء وصـبر ومُكابـدة، بالإضافـة إلى مـا تتطلبـه التجـارة مـن مُصابـرة لأجـل تنميـة رأس المـال والربح، لذا لم يكـن اليمنيون عالة على الإسـلام، بل كان في طليعـة الشـعوب التـي جابـت دول الـشرق والغـرب جهـاداً للكافريـن واسـتيطاناً للبـلاد المفتوحـة وإعـزازاً لديـن الله.

وكان لهـم نصيـبٌ وافـر مـن الشـهادة النبويـة الكريمة بأنهـم أصحاب "إيمـان وحكمة"، فكـم نحـن بحاجة لاستشـعار ذلـك وفهمه واسـتيعابه.

الإمام علي في اليمن:

يختلـف المؤرخـون حـول عـدد مـرات ذهـاب الإمـام عـلي عليـه السـلام إلى اليمـن، وهـل كانـت كلهـا في عهـد رسـول اللـه صـلى الله عليـه وآله وسـلم أم بعضها في عهـده وبعضها بعـد وفاتـه، والمؤكـد ذهابـه إلى اليمـن عِـدة مـرات، وزار مناطـق عديـدة شـملت في بعض الروايـات "همـدان" و"زبيـد" و"مذحـج" و"نجـران" و"عـدن لاعـة" بحجة و"عـدن أبين" وغيرها.

وكان لتلـك الزيـارات عظيـم الأثـر في جـذب اليمنيـين إلى الإسـلام دون حـرب أو قتال، بـل حُبـاً وطواعيـة وامتثـال للحـق وأربابـه، وبفضلهـا ترسّـخت محبّـة أهل البيـت عليهم السـلام في قلـوب اليمنيـين، وتقدّمـوا صفـوف الفاتحـين، وبعـد انتهـاء عـصر الفتوحـات الإسـلامية كانـوا في طليعـة المُدافعـين والمنافحـين عن أئمة الحـق، والمُؤازريـن والمُناصرين والمُعاضديـن لهم.

ذهب الإمام علي عليه السلام إلى اليمن في بعض التقديرات 4 مرات، بعض المؤرخين قال أنها كانت في عهد رسول الله، وبعضهم قال 3 منها على عهد رسول الله وواحدة في عهد أبوبكر.

ويذكر إبن سعد في طبقاته أن للإمام سريتين إلى اليمن، إحداهما في رمضان 10 هـ.

وذكر الجندي أن له 4 خرجات إلى اليمن، إحداهما في أيام أبي بكر.

ويُرجِّح الباحث "حمود الأهنومي" رواية ابن سعد، ويرى أن خروجه الأول في الفترة "رجب - ذي القعدة 9 هـ"، إلى قبائل "مذحج"، و"زبيد" - ومساكنها "خولان بن عامر" بصعدة، ووصل إلى منطقة "كُشر".

وخروجه الثاني إلى قبيلة "همدان" في بداية سنة 10 للهجرة وليس في رمضان 10 هـ، الموافق ديسمبر 631 م، كما يذكر بن سعد، أرسله النبي قائداً وأميراً وقاضياً ومُرْشِداً، وكانت وفوداً من "همدان" شاملة "حاشد" و"بكيل" وصلت المدينة المنورة في سنة 9 هـ وأشهرت إسلامها، إلا أن الأغلب أو القبائل الأقوى لم تشأ الدخول في الإسلام، بل وعاندت "خالد بن الوليد" - وصلت سريته في ربيع الأول 10 هـ إلى بني "عبد المدان" بنجران ومانعته 6 أشهر، فلم يستجيبوا له - حتى جاء علي عليه السلام.

وبعضهم قال أنه ذهب إلى اليمن مرتين فقط في عهد رسول الله، وبعضهم 3 على عهد رسول والبعض رأى أنها عدة مرات، ونكتفي هنا بالوقوف على تحديد فترات الخرجات، وما نراه أن له أربع خرجات إلى اليمن في عهد النبي وخامسة في عهد أبو بكر لا تزال محل جدل وبحث.

الخروج الأول:

يُرجِّح الباحث القاضي "عبدالوهاب المحبشي" بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي عليه السلام إلى اليمن للمرة الأولى في الفترة المحصورة بين "ذي القعدة 7 هـ - رمضان 8 هـ" لعدم وجود ذكر للإمام في أحداثها بالمدينة المنورة، وحديث كُتب السِير عن سرايا كثيرة للإمام في هذه الفترة، وهذا يؤكد بأنه كان في اليمن لتعزيز إسلام "باذان" وأصحابه.

الشاهد الأخر وجود توثيق يؤكد بناء جامع الامام علي في سوق "الحلقة" بصنعاء القديمة في سنة 8 هـ.

وما نميل إليه أن وصوله صنعاء كان في الجمعة الأولى من شهر رجب الأصب سنة 8 هـ، ومن يومها صار هذا اليوم عيداً عند اليمنيين يحتفلون به كل عام.

نزل عليه السلام بمنزل امرأة يمنية تُسمّى "سعيدة البزرجية"، وقام بتعليمها القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والفرائض الدينية، وصلّى في منزلها، وخطب في الناس من على سطحه، فقررت المرأة تحويله إلى مسجد، قُربة إلى الله، وأسمته بمسجد "الإمام علي عليه السلام"، يقع اليوم في سوق "الحلقة"، وسُميت المنطقة بسوق "الحلقة" لأن الناس تجمّعوا حول الإمام بشكل "حلقة"، وهو يقرأ عليهم كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد فراغه من قراءة كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أسلمت همدان جميعاً، فصلّى بهم العصر في نفس الموضع، وكتب من فوره بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قرأ صلى الله عليه وآله وسلم الكتاب خرّ ساجداً، ثم رفع رأسه، فقال:"السلام على همدان"، كررها ثلاثاً.

ثم قال: "نِعم الحي همدان، ما أسرعها إلى النصر، وأصبرها على الجهد، منهم أبدال، وفيهم أوتاد الإسلام"، وفي كلامه صلى الله عليه وآله وسلم شهادة لليمنيين بأنهم أهل صبرٍ وجلَد وثبات، وأنهم يمثلون عمود الإسلام وقوته.

وقيل أن وصول الإمام علي إلى صنعاء في ذي الحجة 7 هـ، بصورة سرية، وتم خلال زيارته بناء مسجده بها كما تقدم.

وشَهِد العام 7 هـ إسلام "باذان"، وتحديداً في رمضان منه، وكان والياً على اليمن، وهذا العام يُمثل أيضاً تاريخ بداية الإسلام في "صنعاء".

بينما يرى العلامة "محسن الأمين"، وصول الإمام علي إلى صنعاء من بلاد "همدان" للمرة الأولى في نهاية العام 8 هـ، وكانت زيارته الرابعة إلى "مذحج" في رمضان 10 هـ.

ويرى البعض أن تحديد إحياء جمعة رجب يعود لوصول الصحابي الجليل "معاذ بن جبل" إلى "الجند"، في سنة 7 هـ.

ويذكر المؤرخ اليمني "محمد بن يحيى الحداد"، أن مُعاذاً عندما قَدِمَ إلى اليمن، دخل من "صعدة"، وأمر أهلها ببناء مسجد لهم، ثم انصرف إلى "صنعاء"، واجتمع بأهلها، وألقى عليهم كتاب رسول الله، وأمرهم ببناء جامع لهم في بستان "باذان"، وهو ما يُعرف اليوم بالجامع الكبير، وفي أواخر جمادى الآخرة وصل إلى "الجند" بتعز، واجتمع له الناس في أول جمعة من رجب، وخطبهم وبيّن لهم رسالة الإسلام التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لكنه لم يوضح ما إذا كان وصوله إلى صنعاء في حياة "باذان" أم بعد رحيله.

وأمر ببناء مسجده المعروف بمسجد "الجند"، وبعد اكتمال بنائه أُقيمت فيه صلاة الجمعة، والتي صادفت أول جمعة من شهر رجب.

الخروج الثاني:

عقب غزوة "حُنين" شوال 8 هـ، وعاد إلى المدينة قبل سفر النبي إلى "تبوك" رجب 9 هـ.

وتذكر كُتب السِير أنه خرج إلى "نجران" في سنة 9 هـ، لجمع صدقاتهم وجزيتهم، وبعد رجوعه إلى المدينة وصل وفد "نجران"، وحدثت قصة المُباهلة الشهيرة.

كما وصلت بعد عودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من "تبوك" وفود يمنية كثيرة، من "همدان"، و"مراد"، و"عمرو بن معدي كرب الزبيدي"، و"المعافر"، ووصلت رسالة ملوك حمير كما عرفنا سابقاً، وهذه قرينة على أن تلك الوفود ثمرة طبيعية لخروج الإمام إلى اليمن بعد فتح "مكة" وقبل غزوة "تبوك"، وهذا يعني أن الخروج الثاني لم يكن إلى نجران بل تجاوزها إلى صنعاء ومخاليفها ومحيطها لرعاية أسرة الخروج الأول إلى "باذان".

الخروج الثالث:

عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من "تبوك" في شعبان سنة 9 هـ، وقدِمت عليه الوفود اليمنية فيها، فأرسل مع "همدان" خالداً، وأقام فيهم 6 أشهر "رمضان 9

هـ - صفر 10هـ"، وذهب الإمام علي عليه السلام إلى اليمن في صفر 10 هـ، كما يرى القاضي "المحبشي"، وتمكّن خلال هذا الخروج من تثبيت الإسلام كدين عام لأهل اليمن، ولا يُستبعد أنه زار أيضاً عدن في أقصى الجنوب خلال هذه الزيارة، أو التي تليها، وبدأ بناء أساس الجامع الكبير من الصخرة الململمة كما يتواتر على ألسنة الناس جيلاً بعد جيل.

الخروج الرابع:

تذكر الروايات أن النبي دعا الإمام في رمضان سنة 10 هـ، فعمّمه بيده، وأمره بالخروج إلى "اليمن" قاضياً، فقال الإمام: "إنك تبعثني إلى قوم ذوي أسنان وأنا شاب ولا علم لي بالقضاء"، فمسح النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صدره، وقال: "اللهم اهد قلبه وثبت لسانه".

قال عليه السلام: "فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين"، فخرج إلى اليمن وبقي فيها حتى قَدِمَ بحُجاج اليمن في حجة الوداع.

الخروج الخامس:

في عهد خلافة "أبو بكر"، وفيها دخل "عدن أبين" للمرة الثانية، وخطب على منبرها، وكانت زيارته الأولى لها على الأغلب خلال خروجه الثالث إلى اليمن، ومع ذلك يظل هذا الخروج محل جدل بسبب اعتزاله وتفرُّغه للعبادة خلال خلافة "أبو بكر".

المراجـع:

1 - العلامة "أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي"، اللآلئ المُضيئة، الجزء الأول.

2 - الشيخ "أصغر مُنتظر القائم"، دور القبائل اليمنية في الدفاع عن أهل البيت في القرن الأوّل الهجري، مطبعة إسراء، الطبعة الأولى، 2010.

3 - "برمود صمدي" - كاتب تايلاندي، اليمنيون: عراقة في الدعوة إلى الإسلام، موقع إسلام ويب، 18 أغسطس 2001.

4 - العلامة الدكتور "حمود عبدالله الأهنومي"، إسلام أهل اليمن على يد الإمام علي عليه السلام، موقع رابطة علماء اليمن.

5 - "زيد المحبشي"، اليمنيون يحتفلون بإسلام أجدادهم في الجمعة الأولى من رجب، مركز البحوث والمعلومات، 26 فبراير 2020.

وكذا: اليمن تحتفل بعيد رجب الأصب، 17 فبراير 2021.

6 - القاضي الأديب "عبدالوهاب المحبشي"، الإمام علي واليمن والإيمان صورة ثلاثية الأبعاد، موقع رابطة علماء اليمن، 5 أبريل 2018.

7 - العلامة "محسن الأمين العاملي"، أعيان الشيعة، الجزء الاول.

8 - المفكر المصري "محمد أبو زهرة"، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم.

9 - "محمد يحيى الحداد"، التاريخ العام لليمن، الجزء الثاني، شركة دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الأولى، 1986.

10 - الدكتور "محمد أمين صالح"، تاريخ اليمن الإسلامي، مكتبة الكيلاني - القاهرة، الطبعة الأولى، 1975.

11 - العلامة "محمد بن علي الأهدل الحسيني"، نثر الدر المكنون في فضائل اليمن الميمون، مطبعة زهران - القاهرة، الطبعة الأولى.

12 - موقع "أخبار الشيعة"، اليمنيون يُحيون أول جمعة من رجب بذكرى حلول أمير المؤمنين عليه السلام بينهم، 18 فبراير 2021.

موجهات عملية وتوعوية عن الهـوية الإيمانية في بُعـدها الأخلاقي والتحرّري والحضاري

مركز البحوث والمعلومات

إعداد/ محمد محسن الفرح

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)

www.saba.ye/ar

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم اهدنا وتقبل منا يارب العالمين

مفهوم الهوية:

الهوية هي نمط حياة، نمط حياة تعتمد على عقائد، تعتمد على مفاهيم تعتمد على أعراف.. على عادات، على تقاليد، على -كذلك- أفكار معينة، ثقافات معينة، وتمثل عاملاً مهماً جدًّا في اجتماع أمة، في ترابط أمة، لتتجه في هذه الحياة اتجاهاً واحداً، تجمعها تلك العقائد، تلك المنظومة من العقائد والأعراف والتقاليد والسلوكيات، والاهتمامات والعادات

كل المجتمعات البشرية والأمم على هذه الأرض من بني آدم لها هوية، لها انتماء، لها موروث من الأفكار، والعقائد، والعادات، والتقاليد، والسلوكيات، لها نمط معين في حياتها، وطريقة معينة في حياتها، تختلف هذه باختلاف الأمم من أمةٍ إلى أمة، حتى في الوقت الراهن، مثلاً: ما عليه الحال في الصين، ما عليه الحال في اليابان، ما عليه الحال في الهند، ما عليه الحال في أوروبا بشكلٍ عام، أو في أوروبا الشرقية وروسيا، ما عليه الحال في أمريكا، ما عليه الحال في أمريكا اللاتينية... في مختلف أمم الأرض وبلدانها، هناك هوية لكل أمة من الأمم، وكما قلنا: موروث معين من العقائد، من الأفكار، من العادات، من التقاليد، من السلوكيات، من طريقة معينة تسير عليها في حياتها.

هوية الشعب اليمني

فما هو موروثنا نحن كشعبٍ يمني؟ وما هي هويتنا؟ وما هو انتماؤنا الذي نبني عليه مسيرة حياتنا وطريقة حياتنا؟ هذا الموروث وهذه الهوية هو ما ورد في النص النبوي الشريف: ((الإيمان يمان، والحكمة يمانية))، هذا ما يجب أن نعيه، أن نفهمه، أن نعي دلالاته الواسعة، وأن نرسِّخه في واقع حياتنا؛ حتى نبني مسيرة حياتنا على

أساسه، مسيرة حياتنا في كل المجالات؛ لأن الهوية، والانتماء، والموروث الفكري والسلوكي والأخلاقي، هو يمتد في أثره وفي طابعه إلى واقع الحياة في كل مجالاتها، في كل أنحائها.

على مدى الأجيال الماضية كان شعبنا اليمني المسلم العزيز يمتاز بهذه الميزة: كان للإيمان أثره المباشر في الروحية، في الأخلاق، في المواقف، في العمل، في السلوكيات، في العادات، في التقاليد، حضر هذا الإيمان وتُرجِم في الواقع العملي لآبائنا وأجدادنا الكرام جيلاً بعد جيل إلى عهد رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- وعلى نحوٍ مترسخٍ ومتميز، ولأنه متميز أتى هذا النص المعبِّر عن هذا التميز: ((الإيمان يمان)).

هذه العبارة عبارة عظيمة، عبارة كبيرة، عبارة مهمة، عبارة جليلة؛ لأنه لو قال مثلاً: (الشعب اليماني شعبٌ مؤمن). لم تكن هذه العبارة لتصل في عمقها ودلالتها إلى مستوى عبارة: ((الإيمان يمان))، وكأنَّ هذا الشعب منبعٌ يتدفق منه الإيمان، وكأنَّ هذا الشعب بيئةٌ ينبت فيها الإيمان، ينمو فيها الإيمان، وهذا شرفٌ كبير؛ لأن الإيمان- أيها الإخوة، أيها الآباء الكرام- هو الانتماء الراقي والعظيم للبشرية الذي يمثِّل صلةً بينها وبين الله سبحانه وتعالى، وهو أعظم شرف بين كل الانتماءات، بين كل الموروثات في المجتمع البشري من العادات، والتقاليد، والعقائد، والأخلاق، الانتماء: هو صلة بين الإنسان وبين الله سبحانه وتعالى، وهو شرفٌ عظيم، ويترتب عليه في الدنيا والآخرة النتائج العظيمة والمهمة. لقاء الجامع الكبير.

أهمية الحفاظ على الهوية

هذا الموضوع موضوع في غاية الأهمية، أنا أقول لشعبنا العزيز: هناك شعوب أخرى لديها في هويتها في معتقداتها في أفكارها في ثقافاتها قسم كبير من الخرافة، ومع ما وصل البشر إليه في هذا العصر من تقدم ومن تطور حتى في العلوم وغير ذلك لا تزال تتشبث بتلك الخرافات.

وهي خرافات!!، لم تتنصل منها ولم تتنازل عنها، شعب هنا أو هناك، معروف يعني، معروف اليوم بل هناك دول من الدول الكبرى، في مصاف الدول الكبرى تعتمد في

هويتها الثقافية والفكرية وفي عاداتها وأعرافها على قسم كبير من الخرافات، هي متشبثة بها بكل تشبث، لا تفرط فيها أبداً، لأنها تعي ماذا يعني أن تفرط فيها، كيف يمكن لها أن تسقط كأمة، أو كشعب، أو كدولة، أو كبلد معين، له اليوم حضوره في الساحة العالمية، إذا فقدت خصوصيتها الثقافية، خصوصيتها الفكرية، خصوصياتها في الحياة التي تستند إلى عقائد معينة، إلى أعراف معينة إلى عادات معينة، إذا فقدتها خلاص، تتفكك، تتبعثر، تسقط، تنمحي، تذوب، تتلاشى، تبتلعها الكيانات الأخرى، الدول الأخرى، وتسيطر عليها وتستحوذ عليها، فهي تجعل من تشبثها بهويتها المعتمدة على قسم كبير من الخرافة، ولربما يعرفون.. يعرف الكثير من مفكريهم، من كبارهم، من قادتهم، يعرفون أنه عبارة عن خرافات، ولكن يقدسون تلك الخرافات ويتشبثون بها، للحفاظ عليهم ككيان، كأمة، كبلد، كدولة، كشعب، حتى لا يتفكك، يتبعثر، يتلاشى، ويتمكن الآخرون من السيطرة عليه.. يرون في التشبث بها حفاظا على كيانك ككيان.

ما بالك حينما تكون هذه الهوية هوية عظيمة في أصلها، وإن شابها شيء ما من الخلل والدخيل ولكن في أصلها، في ما هي عليه، فيما فيها من عقائد، من أفكار، من ثقافات، من سلوكيات، الأصل هذا أصل عظيم، والذي دخل يمكن أن ينقى؛ لأنه لم يصل بعد إلى القضاء على الأصالة هذه، الأصالة ممتدة حاضرة، موجودة، قائمة اليوم، والدخيل واضح، ولا يزال إلى حدٍّ ما يعاني من الضعف، يعاني من الهشاشة، يعاني من الغرابة، نشعر به كدخيل على هويتنا وعلى ثقافتنا، على حياتنا، على عاداتنا، على أعرافنا وسلوكياتنا، التي توارثناها جيلا بعد جيل، منذ صدر الإسلام الأول».

جمعة رجب 1439

الأنشطة العملية والأهداف المتعلقة بترسيخ الهوية الإيمانية وما يترتب على ذلك في واقع الحياة

الأهداف والموجهات المتعلقة بالهوية الايمانية بشكل عام:

- ترسيخ عظمة وقداسة هويتنا الايمانية «الإيمان يمان، والحكمة يمانية» والوعي بدلالاتها الواسعة، وضرورة ترسيخها في واقع حياتنا؛ وبناء مسيرة

حياتنا على أساسها، في كل المجالات.

- ترسيخ أهمية الهوية في الحفاظ على تماسك الشعوب والأمم ونهضتها واستقلالها وأهميتها كضمانة للمجتمعات من التفكك والبعثرة والتلاشي وإدراك خطورة التفريط فيها وما يترتب عليه من تبعات.
- تقديم الدروس والعبر من واقع الأمم الأخرى في كيف ارتباطها بهويتها وإبراز الشواهد من واقع الشعوب الأخرى على مدى تشبثهم بهويتهم ومستوى التمسك بها رغم ما يوجد فيها من الأباطيل والخرافات.
- تقديم الإحصائيات عن التعليمات التي يلتزمون بها ويعملون على توريثها للأجيال اللاحقة وكيف يحافظون عليها، ويحمونها من كل المؤثرات رغم مأساويتها وسوئها وصعوبتها وتعارضها مع الفطرة الانسانية وتصادمها مع سنن وأحداث الحياة وعدم صلتها بالله تعالى.
- تقديم المقارنات الذهنية عن عظمة هويتنا الإيمانية في مقابل الهويات الأخرى وتميزها الواضح وخصائصها كتعليمات وتوجيهات أتت من الله ملك السماوات والأرض، وهو أحكم الحاكمين، والرحمن الرحيم الذي كل تعليماته وتوجيهاته وأوامره من منطلق رحمته.
- تنقية وفلترة المفاهيم الخاطئة والثقافات المغلوطة والعادات والتقاليد الدخيلة على حياتنا، على عاداتنا، وعلى أعرافنا وسلوكياتنا، التي توارثناها جيلا بعد جيل، منذ صدر الإسلام الأول.
- إبراز دور الهوية الايمانية في مواجهة مشاكل الحياة وتحدياتها ومسؤولياتها وأثرها في مواجهة الأزمات والأخطار والمعاناة والاستهداف المكثف الذي تواجهه أمتنا الاسلامية على كل المستويات.
- إبراز دور الهوية في مواجهة الاستهداف الشامل للأمة من قبل أعدائها وسعيهم المستمر إلى إضعافها والسيطرة عليها وسلبها كل عناصر القوة.
- دور الهوية الايمانية كصلة بالله -سبحانه وتعالى- بكل ما لهذا من مدلول مهم وعظيم، الإِيْمَان يجعلنا على اتصال بالله، اتصال بهدايته، برعايته،

بتوجيهاته، بتعليماته، بمعونته، بتوفيقه، بكل ما يمكن أن يكون لهذه الصلة من تأثير كبير جداً في الإنسان نفسه، في الأمة كأمة، والمجتمع كمجتمع، في الواقع بنفسه. ، فالله -جلَّ شأنه- (مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)، معهم بكل ما تعنيه هذه العبارة المهمة جداً، معهم يهديهم، هو وليهم، (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا) [محمد: من الآية11]، مولاهم يتولاهم برعايته، بتوفيقه، بمعونته، بنصره، بتأييده، برعايته الشاملة، بألطافه الكبيرة، بكل ما يمثل هذا من أهمية، سواءً في معادلات الصراع، في مواجهة مشاكل هذه الحياة، في تحدياتها... إلى غير ذلك.

- إبراز دور الايمان وأثره في خلق القوة المعنوية التي تحمي الإنسان من الإخفاق، ومن الانهيار، واليأس، وتحمي الإنسان من الإحساس بالهزيمة، ومن الشعور بالهزيمة، تحفظ لهذا الإنسان تماسكه وثباته وقوته.
- إبراز أهمية الهوية الايمانية ودورها في معالجة الإشكالات النفسية والمعنوية التي يعاني منها أبناء الأمة من اليأس، والهزيمة النفسية، والشعور بالحقارة، والإكبار والإعظام للأعداء، والانبهار بهم، والاحتقار للأمة.
- إبراز أثر الهوية الإيمانية في بناء العلاقة الداخلية فيما بين المؤمنين، ومن أهم القيم: هي الرحمة، والرحمة كعنوان أساسي في هويتنا وفي هذا الانتماء، (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: من الآية29] بكل ما يعنيه مدلول الرحمة، وبكل امتدادات هذه الرحمة في واقع الحياة، من علاقة وتعاون، وتكافل، وتآخٍ، وتتعامل بالمعروف بكل ماله من أثر في تعزيز الروابط بين أبناء هذه الأمة (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) [التوبة: من الآية71].

أبعاد الهوية الايمانية ودلالاتها الأخلاقية والحضارية والتحررية.

أولا- الهوية في بعدها الأخلاقي والإيماني:

الأخلاق هي أساس حضارة الأمم وحافز نهضتها، وهي الضامن لبقاء الحضارة واستمراريتها وتأثيرها الإيجابي فيما ينفع البشرية، والأخلاق هي التي تصون المجتمع

من التفكك وتبني الأسرة على القيم العظيمة وحالة الترابط الشرعي، وتحفظ للرجال والنساء عفتهم وكرامتهم، وعندما تدنس النفوس، وتذهب مكارم الاخلاق، تتفكك الأسرة وتتلاشى العائلة، وتتغيّر نظرة الإنسان إلى الحياة، ويتبدَّل واقعه العملي والحياتيّ، و يعيش كالحيوان لا يفكر إلا في شهواته ويصبح إنساناً تائهاً وكل اهتمامه في اللهث وراء الرذيلة وبالتالي يسهل تجنيده لخدمة العدو ويصبح قابلاً لارتكاب الجرائم الأخلاقية والأمنية.

ولهذا يركز الأعداء على استهداف الأمة في هويتها الايمانية بكل ما يحمله الإيمان من ارتباط قوي ووثيق بالله -سبحانه وتعالى-، ومن مبادئ مهمة واخلاق سامية، وما يرتبط به من معنويات عالية وثبات وصمود، ومن تحلٍّ بالقيم العظيمة الإلهية، واستهداف برنامجه التربوي الذي يرسخ مكارم الأخلاق والخصال الحميدة، فمن أعظم ما يصنعه الإيمان هو تزكية وتطهير النفس البشرية من الآفات التي تدنسها، والسمو بها عن الرذائل.

وفي هذا السياق يعمل الأمريكيون والإسرائيليون، على تدنيس النفوس وضرب زكائها، من خلال الترويج للمفاسد والرذائل، وتمييع قضية الحلال والحرام في المعاملات والأخلاق، والفكر والسياسة، وإحلال مفهوم اللذة والمنفعة والربح المادي محلها، وتشجيع الإنفلات في العلاقات بين الجنسين، والفوضى في الاختلاط، والانسلاخ عن كل الروابط الشرعية والأخلاقية التي تحمي المجتمع المسلم وتحافظ عليه، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾ (البقرة:109)

ويسعون بكل ود ورغبة لاستبدال الجو الإيماني المحافظ، بالجريمة والمنكرات، من خلال برامج وأنشطة وسياسات عدة وأساليب ناعمة، مستغلين مختلف الوسائل الحديثة.

فمن خلال الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي يسعون إلى اختراق البيئة المحافظة في المدارس والجامعات، والتأسيس لعلاقات غير مشروعة وروابط غير منضبطة، بغية ضرب القيم والأخلاق الإيمانية التي تصون المرأة وتحافظ عليها لتكون عفيفة طاهرة شريفة، وتكون نواة لأسرة عظيمة، وكذلك ضرب القيم والأخلاق التي تحمي الرجل

ليكون إنساناً زكياً صالحاً شريفاً، وهذا الشكل من الاستهداف يعتبر خطيرا جداً لأنه يهدف إلى:

أولاً: إبعاد الأمة الإسلامية عن إيمانها، وإبعادها عن تأييد الله ونصره ومعونته وهدايته وتسديده.

ثانياً: العمل على إفساد المرأة كمدخل إلى إفساد المجتمع وتدمير النظام الأسري في الإسلام، وتفكيك النسيج الاجتماعي والقضاء على اللبنات الاجتماعية، فيصبح في النهاية مجتمعاً مبعثراً ومشتتاً لا تجمعه أواصر، ولا تربطه أية روابط أو علاقات، سوى العلاقة الحرام التي لا قداسة ولا رحمة فيها ولا ثمرة طيبة لها.

ثالثاً: نشر الرذائل والفواحش وإغراق أبناء الأمة في المتاهات والضياع، فلا تبقى لهم تلك القيم الإيمانية ومنها العزّة، والإباء، والكرامة ومكارم الأخلاق، واستهداف الجانب المعنوي للأمة حتى لا يقفوا موقفاً شجاعاً، ولا يبقى لديهم استعداداً للتضحية والشهادة، وإبعاد أبنائها عن أيّ مشروع أصيل، وتحويل أنظار الشباب والجماهير عن القضايا الإسلامية والعربية الكبرى والعادلة، وخلق تيارات شعبية وشبابية لا تعرف عن الإسلام سوى الإسم والرسم، وبهذا تكون قد فقدت كل المقومات التي تحصنها من استعباد الأعداء وهيمنتهم وقهرهم، ولن يقفوا موقفاً شجاعاً.

رابعاً: تدنيس النفوس وإفسادها بكل ما يترتب على ذلك من انحطاط ومسخ للمسلم وتحويله إلى إنسان تافه وسيئ، فاقد للشرف والكرامة وسمو النفس، ومن ثم يمكن أن يطوعه الأعداء ويستغلونه في التجسس والخيانة فيصبح خادماً وعميلاً وجندياً يعمل لصالحهم، ويحولونه الى عنصرٍ مفسدٍ في الأرض.

يقول الشهيد القائد - رضوان الله عليه-: «اليهود هم يشتغلون، يشتغلون معنا كثيراً ليوجدوا في قلوبنا مرض، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾ (المائدة: من الآية64) إلى أين يتجه هذا الفساد؟ ما هو بيتجه إلى النفوس أولاً؟ ثم ينعكس بشكل أعمال، إفساد في الأرض؛ لأنه حتى ما يحصل من إفساد في الأرض إنما يأتي عن طريق الإنسان نفسه»(1).

1) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي؛ «الدرس الأول من دروس سورة المائدة»، (صعدة: 2002/1/13م).

خامساً: ضرب الهوية الإيمانية للأمة، بكل ما يرتبط بها من عوامل للبناء الحضاري، ودوافع أخلاقية وقيمية للتحرر من التبعية، والخروج من حالة التخلف والبؤس.

ومن المهم التذكير ببعض الموجهات والتوصيات الهامة، التي ينبغي التحلّي والإلتزام بها حتى نستطيع مواجهة هذه التحديات ونُفشل العدوّ في حربه الناعمة واستهدافه للهوية الإيمانية وهي كالتالي:

1. التمسك بهويتنا الإيمانية والنظر إليها كنعمة من الله تعالى وفضل شرفنا الله به، والاعتزاز بها كأعظم وأقدس وأشرف هوية، لا يوجد على وجه الأرض أعظم من الهوية الإيمانية، وإدراك أهميتها كضمانة لفلاحنا وعزتنا وكرامتنا، والتمسك بهذه الهوية بكل ما تضمنته من عقائد ومفاهيم وتقاليد وأفكار ونمط حياة وسلوكيات واهتمامات، والحفاظ عليها والالتزام بها، وتنقيتها من الشوائب وصيانتها من الإختراق أو التبديل، والوعي بدورها في ميدان الصراع وعلاقتها بالبناء والنهضة، فالإنسان إذا فرط في هويته سيفقد حضارته.
2. العمل على كل ما يحافظ على التقيُّد بالتعاليم الإسْلَامية، وبالأَخْلَاق والقيم الإيمَانية؛ وإبراز دورها وأثرها في صيانة مجتمعنا من التفكّك الأسري والضياع ومساوئها في تمزيق النسيج الإجتماعي الإسْلَامي.
3. ترسيخ الوعي بسوء الإنفلات في الروابط والعلاقات بين الرجل والمرأة وبعده عن الحضارة وتقديم صورته الحقيقية كخسّة، ودناءة، وانحطاط، وتدمير للمجتمع المسلم والأسرة المسلمة.
4. إبراز جوانب الفشل والأزمات النفسية والإختلالات الإجتماعية في الواقع الغربي - بسبب الرؤى والثقافات المنفصلة عن الدين والأخلاق والقيم -التي بُني عليها الواقع الغربي وتقديم الشواهد والإحصائيات المتعلقة بهذا الجانب.
5. وضع برامج ومسارات لتحصين أنفسنا وأسرنا ومجتمعاتنا من الإستهداف الأخلاقي والثقافي لأبعاد المجتمع من جميع الوسائل والأساليب الشيطانية التي تُسقط الإنسان.
6. تعزيز برامج التربية على القيم الأخلاقية والقيم الإيمانية للشباب والشابات

في المدارس والجامعات والمعاهد بكل ما يرتبط بها من عفة وطهارة ومن صيانة للعرض وتنزّه عن الرذائل وحشمة للمرأة، وخلق بيئة محافظة تصون المرأة وتحافظ على أخلاقها، وتصون شرفها من الوقوع في الرذيلة ومن التورّط في الجرائم الأخلاقية.

7. العمل على المحافظة على الزيّ واللباس المحافظ وكلما يجعل المرأة اليمنية محتشمة داخل البيوت وخارجها والتذكير على ما كان الآباء والأجداد يربون عليه يحافظون عليه، وما ارتبط به من تقاليد وأخلاق وسلوكيات.

8. ترسيخ حالة العداوة لليهود والنصارى - أمريكا وإسرائيل - بحيث يبقى الإستحضار المستمرّ لعدائهم، وإدراك ما يفعلونه تجاه هويتنا وأخلاقنا واعتبارها حرباً بكل ما تعنيه الكلمة، وأنهم لا يقومون بذلك من أجل قرة أعين شبابنا ومن أجل راحتهم إنما لأنهم يعرفون أن من أوقعوه في الرذيلة ودنّسوه وفرّغوه من قيمه الأخلاقية سيصبح إنسانًا تافهًا وتائهًا وضائعًا، لا قيم له ولا أخلاق ولا شرف ولا حميّة ولن يبقى لديه أيّ اهتمام بشأن الناس ولا بمعاناتهم ولن يبقى لديه أيّ اهتمام في مواجهة التحديات والأخطار. «فالإفساد وسيلة من وسائل الإستعباد، ووسيلة خطيرة جدًا من وسائل السيطرة والتحكم، ومن وسائل الهوان.

9. الوعي بالمخاطر الجسيمة والأضرار البالغة لفساد اليهود وإضلالهم والانجرار وراء مؤامراتهم اليهود وفسادهم ومستوى الخسارة والضرر التي تطال الإنسان بدءاً من تدمير علاقته بالله ثم ما يلحقها من تدمير لنفسه ثم ما يترتب على ذلك من آثار تصل إلى أن يصبح الإنسان شريكاً في كل ظلم يطال البشرية كلها.

10. تعزيز حالة التأسّي والإقتداء بالنماذج التي قدمها الإسلام كأعلام وقدوات للشباب ولجميع فئات المجتمع وفي الواقع النسوي خلق حالة من الإنشداد والتأسي والإقتداء بفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء أهل الجنة، كنموذج للمرأة في كل جيل وفي كل عصر.

11. التحذير من خطوات الشيطان والإدراك لخطورة المعاصي لله، التي يحاول أن ينزلق من خلالها بالإنسان شيئاً فشيئاً حتى يوصله إلى الذنوب الكبيرة ومن أكبر المخاطر على البشر جميعاً، هي حالة التهاون، بالمقدمات التي توصل إلى المعاصي الكبيرة، الله سبحانه وتعالى يؤكد في القرآن نهياً متكرراً {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} يكررها في القرآن الكريم. وكذلك الوعي بأهمية الإلتزام القويّ بالتوجيهات الإلهية ويحذر من الإتباع للخطوات الإستدراجية ويحذر المقدمات ويحذر التهاون أمام الأمور التي يستبسطها.

12. تقوية الإهتمام بالجوانب العبادية ومواجهة حالات الإهمال واللامبالاة تجاه الوسائل التي تزكيّ نفسية الإنسان وترتقي بالإنسان عن الرذائل وعن الأمور التي تدنّسه، وأهمها الإلتجاء إلى الله تعالى وطلب التزكية منه والإستعانة به {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النور: من الآية 21].

13. الحرص على إقامة الصلاة، والحفاظ عليها بشكل صحيح، وباهتمام كبير وبتقديس ووعي بأهميتها باعتبارها من أهم وسائل التزكية للنفس يقول الله سبحانه وتعالى {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}[الأعلى: الأية 14-15] فالصلاة لها أثر كبير في تطهير نفسية الإنسان إذا أقامها كما يريد الله، بحيث تكون صلاةً قيّمة، و في رواية عن الرسول صلوات الله عليه وعلى آله بهذا المعنى – «لا يزال الشيطان متهيباً مذعوراً من ابن آدم ما حافظ على الصلوات الخمس فإذا فرط أو قصر فيهن تجرئ عليه فألقاه في العظائم» بمعنى أن الصلاة تشكل سلاحاً فعالاً لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

14. الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الأحزاب: الآية 41-42] الإكثار من ذكر الله بالقلب واللسان في أوقات متعددة، بأنواع الذكر، كالاستغفار، و التسبيح، والدعاء، وتلاوة القرآن ، والمراجعة لهدى الله، وبالتأمل والتفكير في دلائل

عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته، وهذا مما يساعد الإنسان على الإستقامة و على سموّ النفس، وطُهر المشاعر، وعلى الإبتعاد عن الوساوس الشيطانية، لأن الشيطان يترقّب حالة الغفلة لدى الإنسان، كما لو كان في جبهة قتال، وعندما لا يجد انتباهاً، ولا استعداداً للمواجهة سينفذ ويتسلل من خلالها.

15. تشجيع الزواج وتيسير تكاليفه باعتباره الإطار المشروع للعلاقة بين الرجل والمرأة فكان الزواج هو اللبنة الأولى لبناء المجتمع البشري والضمانة للحفاظ عليه من التلاشي والتفكك والضياع، والتناسل المشروع المرتبط بتعليمات الله وتوجيهاته.

16. إبراز دور الزواج في حلّ الكثير من المشاكل النفسية والاجتماعية وبناء الأسرة الصالحة والذرية الطيبة والمجتمع المتماسك والمتعاون من خلال روابط القرابة والرحامة والنسب ليكون ذلك عاملاً مهماً للإستقرار ويهيّئ المجتمع للقيام بدوره ومسئولياته التي فرضها الله عليه على أساس من القيم وزكاء النفوس.

17. إدراك أن الزواج القائم على تعليمات الله هو الذي يتلاءم مع الفطرة وينسجم مع مكارم الأخلاق ومع تكريم الله للبشر لأنه يصون الرجل والمرأة ويحفظ لهم زكاءهم وكرامتهم وإنسانيتهم ويحصنهم من الإنزلاق إلى الرذائل ويمنعهم من الإنحراف إلى السُبل السيئة والطرق المنحطّة {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً} (الإسراء ـ من الآية 32) ويحميهم من المخاطر المترتبة على ذلك بما فيها الأمراض والأوبئة التي دمرت أغلب المجتمعات نتيجة للمفاسد الأخلاقية ، وبالذات أن هذه الأمة تواجه أعداء مفسدين قال الله عنهم بأنهم (يسعون في الأرض فسادا) {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} (النساء: من الآية44) ويمتلكون مختلف الوسائل والأساليب المؤثرة التي يستهدفون الشباب والشابات في أخلاقهم وفي شرفهم وعفتهم وطهارتهم.

18. محاربة العادات السلبية التي أوصلت كثيراً من البنات إلى درجة العنوسة ومنها غلاء المهور وارتفاع تكاليف الزواج وحالة النظر إلى المرأة كسلعة والنظر إلى المهر كثمن لها.

19. محاربة ظاهرة أكل المهور والذي يُعد من أحد أسباب غلاء المهور وتقديم المفاهيم والمسميات القرآنية له وكيف قدمه كعطيّة وليس ثمناً وفي ذلك تكريم لها قال تعالى {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} فتعليمات الله تقضي بأن يقدم للمرأة بكل سهولة ويعتبر أخذه من الظلم ومن أكل المال الحرام.
20. العملُ على تيسيرِ الزواج، وتشجيعِه والتعاون مع المتزوجين والتخلي عن التكاليف والمظاهر التي تؤدي إلى صعوبة الزواج.
21. التشجيع على الزواج بالأرامل والعانسات ومعاملة الزوجات المتعددات على أساس العدل والمعاشرة بالمعروف {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} (النساء: من الآية19) ذكر أيضا في آية أخرى: {فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} (النساء: من الآية129).
22. الحث على تعاون الجميعُ، سواء الدولةِ، أو المجتمع، وكذلك العلماء، والوجاهات، للضغطِ في اتجاه تخفيفِ تكاليفِ الزواج، وتيسيرِ عمليةِ الزواج، ومحاربة العاداتِ والتقاليدِ التي ترتبطُ بها التكاليفُ الماديةُ المرهقة وهذا ما ينسجم مع هويتنا وانتماءنا للإسلام، ولنا في رسولُ اللهِ صلوات اللهِ عليه وعلى آلِه القدوة، عندما زَوّج ابنتَه سيدةَ نساءِ العالمين، فاطمةَ الزهراء، بالمهر اليسير.
23. أن ندرك بأن الدين ليس قيوداً وليس أحمالاً على الناس وأن التشريعاتُ الإلهيةُ تقوم على اليسر والتخفيف وهي التي ستصون المجتمعِ المُسلم، وتحميه من أي اختراق للأعداء، واللهُ قالَ عن تشريعاتِه في القرآن الكريم {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا} (النساء ـ 27،28).
24. إدراك أهمية الهوية الايمانية في صيانة المرأة وصيانة المجتمع من الجرائم والفساد الأخلاقي وفي تكثير النسل وبالذات مع الحروب واستمرار حالات الصراع والتي يكون الرجال فيها معرضين للتلاشي بنسب مرتفعة.

ثانياً- الهوية في بعدها الحضاري

يقول السيد القائد -يحفظه الله- : «الإِيْمَان إنما هو منظومة متكاملة، منظومة من المبادئ، من القيم، من الأخلاق، من الالتزامات العملية، وأنه يبني لهذه الأمة بُنيةً مستقلة نتاجها حضارة عادلة، حضارة متميزة، حضارة تقوم على أساسٍ من تلك المبادئ والقيم، الإِيْمَان هو للحياة، ليس شيئاً ثانوياً، ليس خاصاً بالمساجد، ليس مجرد شعائر وطقوس، الإِيْمَان هو للحياة بكلها وبكل ما فيها، ولذلك أتى القرآن الكريم ليقدم لنا الإِيْمَان».

ويقول «الأمة هي أمة عندما تبقى لها ثقافتها، روحها، أخلاقها، قيمها، هنا يبقى لنا استقلالها، لو فقدت الأمة هذه القيم، وتأثرت بأعدائها، وأعداؤها يأتون لها بأوبئتهم، الغرب هو يصدِّر لنا ليس الحضارة، يصدِّر لنا أوبئته، مفاسده، رذائله، ثم يسميها حضارة، هل هو يصدِّر لنا القدرات العملية؟ هل هو يصدِّر لنا ما يمكننا أن نتفوق؟ أم أنه من لاحق حتى في العراق وفي بلدان أخرى العلماء ليقتلهم؟.

في العراق آلاف العلماء في مختلف العلوم: في الفيزياء، والكيمياء... ومختلف العلوم الحضارية، عندما دخلت أمريكا العراق كان من أولوياتها ملاحقة أولئك العلماء وقتلهم، قتل أولئك العلماء، من لم يتمكَّنوا من استقطابه؛ قتلوه، هم لا يريدون لنا أن نمتلك عناصر القوة وأسباب الحضارة الحقيقية، أن نكون أمة تصنِّع، وتنتج، وتبني لها واقع حياتها على أساسٍ قويٍ ومستقل. لا، هم يريدون أن يصدِّروا إلينا الرذائل، المفاسد، الاختلاط والعلاقة الفوضوية بين الرجال والنساء، كل الأوبئة، أن ينتشر في بلداننا مرض الإيدز، وكل المفاسد والأوبئة والأمراض؛ حتى نكون أمة هزيلة، مائعة، فاسدة، ضائعة، تفقد كل عناصر القوة، وفي مقدمتها: القوة المعنوية، قوة الإرادة، قوة الموقف، ألَّا نكون أمةً غيورة، ألَّا نكون أمة تمتلك العزة والإحساس بالكرامة، لو فسد الإنسان لم يعد في نفسه أي كرامة، لو فسد الإنسان وماع، أصبح إنساناً مائعاً، تافهاً، رذيلاً، يسعى وراء المنكرات والفواحش والرذائل، وأصبح إما مدمناً على الخمر، أو مدمناً على المخدرات، هل يمكن أن يكون عنصراً قوياً في أمته؟ هل يمكن أن يكون عنصراً يمتلك القوة المعنوية، والإرادة القوية، والغيرة، والحمية، والإباء، والعزة،

والشعور بالكرامة؟ أم أنه سيكون إنساناً تافهاً». محاضرة الجامع الكبير.

ويمكننا إدراك أهمية الإيمان كدافع للعمل والنهضة والتحرر والبناء وأثر الهوية الايمانية على المستوى الحضاري والعلمي من خلال الآتي:

- يمثّل الإيمان دافعاً كبيراً للأمة للعمل والتحرك، ودافعاً لمواجهة التحديات والأخطار، ودافعاً للنهضة الحضارية التي الأمة في أمسِّ الحاجة إليها؛ حتى لا تبقى أمةً تحتاج إلى أعدائها في كل شيء: في قوتها، في غذائها، في ملبسها، وتبقى أسيرةً لهذا الاحتياج، خانعةً لتحكمهم، لضغوطهم، لأساليبهم في حصار هذه الأمة، وفي التحكم بها، وفي الحصار لها، وفي الحظر الاقتصادي عليها، أمةً تبني هي حضارةً متميزة وراقية وعادلة، وقائمة على أسس ومبادئ عظيمة تجعل منها حضارة متميزة.

- لإستفادة من الدافع الذي يوفّره الإِيمَان وأثره الذي يجعل الإنسان ينطلق في تحمل المسؤوليات بعيداً عن الكسل والملل والفتور. «إِيمَانه بالله، رجاؤه في الله، خوفه من الله، وعيه بحقيقة هذه الحياة، إِيمَانه باليوم الآخر، إِيمَانه بالجزاء والحساب... كل تلك المنظومة المتكاملة في مبادئها، في أخلاقها، في برنامجها العملي، تصنع عند الإنسان هذا الدافع الكبير جداً.

- الاستفادة من الهوية الايمانية في معالجة الحالة التي يعيشها الكثير من أبناء أمتنا الذين يعانون من اليأس، و الهزيمة النفسية، و يعانون من الشعور بالحقارة، وينظرون إلى الأعداء نظرة الإكبار والإعظام ، والانبهار بهم، والاحتقار للأمة، ومن يعانون أيضاً من الكسل، من الفتور، و انعدام الروح العملية، ويعيشون حالة التنصل عن المسؤولية، «هذا العنصر المهم الذي هو الإِيمَان بمفهومه الحقيقي ومنظومته المتكاملة، هو يمثل الدافع الذي يُحيي في الإنسان روحاً عملية، يعرف قيمة العمل في هذه الحياة، وبالذات العمل الصالح في كل شؤون ومجالات هذه الحياة».

- العمل على تحصين الأمة من الأفكار والثقافات التي يروّج لها الغرب باسم الحضارة والتقدم والحداثة وحمايتها من الأنشطة العملية التي تستهدف الشباب والنساء بالدرجة الرئيسية بهدف إفسادها وإدراك حقيقة ما يُراد من وراء تغيير الهوية للأمة وتفكيك الأسر وتمزيق المجتمع.

- إبـراز حاجتنـا إلى الهويـة الإيمانيـة في النهضـة الحضاريـة، وفيـما يجعـل الأمـة غير محتاجـة لأعدائهـا في قوتهـا، وفي غذائهـا وملبسـها، وفي كل احتياجاتهـا، وتبقـى أسـيرةً لهـذا الاحتيـاج، خانعـةً لتحكّمهـم، لضغوطهـم، لأسـاليبهم في حصـار هـذه الأمـة، وفي التحكـم بهـا، وفي الحصـار لهـا، وفي الحظـر الاقتصـادي عليهـا، أمـةً تبنـي هـي حضـارةً متميـزة وراقيـة وعادلـة، وقائمة على أسـس ومبادئ عظيمـة تجعل منها حضـارة متميزة.

- إبـراز دور الهويـة الإيمانيـة ومـا تقدمـه مـن الحلـول لـكل مـا يعـاني منه أبنـاء الأمة مـن الكسـل والفتـور، وانعـدام الـروح العمليـة، وحالـة التنصّل عن المسـؤولية، ومـا يقدمه الإِيمَـان مـن الدافـع الـذي يُحيـي في الإنسـان روحـاً عمليـة، يعـرف قيمـة العمـل في هذه الحيـاة، وبالـذات العمـل الصالـح في كل شـؤون ومجـالات هـذه الحياة.

- إبـراز الـدور العمـلي للإيمـان في بنـاء الأمـة البنيـة المسـتقلة التـي بالتأكيـد نتاجها حضـارة ومتميـزة، وحضـارة تقـوم عـلى أسـاسٍ مـن تلـك المبـادئ والقيـم ومقارنتها بالحضـارات الأخـرى والكـوارث والمـآسي والويـلات التـي صنعتهـا للبشريـة.

- إبـراز دور الإيمـان وأثـره في مـا يخلقـه من اندفـاع للنهـوض بالمسـؤولية الحضارية، وبمـا يبنـي الأمـة لتكـون قويـة في اقتصادهـا وتكون أمـةً منتجـة، تصنع، وتـزرع، وتنتج كل احتياجاتهـا الإنسـانية دون أن تحتـاج إلى أعدائهـا وتمتلـك عنـاصر القـوة الماديـة إلى جانـب القـوة المعنويـة، كجزء أسـاسي مـن دينها، وهذا يدخـل ضمن التوجيهـات الإلهية في قـول اللـه -سـبحانه وتعـالى- (وَأَعِـدُّوا لَهُمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِنْ قُـوَّةٍ) [الأنفال: مـن الآية60].

- أهميـة الهويـة الإيمانيـة في تحقّـق العـزة بـكل مـا تعنيه، مـن الإنعتاق من حالـة الذلّ والهـوان والتحـرّر مـن التبعيـة والإرتهان والخنوع والإستسـلام لأعـداء الأمة.

- العمـل عـلى احتـواء الكـوادر مـن الطـلاب والبعثـات الدراسـية والأطبـاء والخـبراء والكفـاءات العلميـة المختلفـة والإهتـمام بهم وترسـيخ الهوية لديهم والتصدّي لكل أشـكال الإسـتقطاب ومـا يُسـمّى سرقـة الأدمغـة وهجـرة العقـول.

- اسـتقطاب الكفـاءات والكـوادر والمبدعـين في الداخـل والاهتـمام بهـم مـن الحكومـة وحمايتهـم والتفاعـل معهـم ومـع مـا يقدمونـه وتهيئـة المنـاخ المناسـب لإبداعاتهـم.

- تقـدم التسـهيلات للكفـاءات الموهوبـة والمبدعـة مـن الطـلاب النوابـغ، وتقديـم مـا

يحفّزهم على البقاء والاستقرار في البلد.. وقد أشارت دراسة صادرة عن إدارة السياسات السكانية والهجرة بجامعة الدول العربية خلال السنوات الأخيرة إلى أن مجموع عدد الكفاءات العلمية العربية في الخارج يصل إلى مليون و91 ألفا و282 كفاءة علمية، وجاءت الجزائر في مقدمة أكثر الدول هجرة لكفاءاتها البشرية يليها المغرب بـ207 آلاف و117 كفاءة، ثم مصر بـ147 ألف كفاءة و835، فلبنان بـ110 آلاف و960 كفاءة، والعراق بـ83 ألفًا و465 كفاءة، وتونس بـ68 ألفًا و190 كفاءة، فيما تعد كل من سلطنة عمان وقطر الأقل من حيث عدد الكفاءات البشرية المهاجرة منهما بإجمالي 1012 و1465 كفاءة على الترتيب.

- فهم النموذج الحضاري الراقي للإسلام في بنائه للإنسان والحياة، وفيما يحققه في واقع الحياة من عدل وخير وسعادة للبشرية عندما نلتزم بمبادئه وأخلاقه ونعي مفاهيمه, وأن ندرك أن ما وصل إليه الواقع البشري بفعل اليهود من الفساد والفوضى في الروابط بأنه بعيداً كل البعد عن الحضارة والحرية والتقدم ولا يعبر عنها بل هو سقوط وانحطاط إلى حالة الحيوانات في الغابات وأسوأ من ذلك، وفي هذا السياق يجب أن يكون هنالك انشداد وتأسّي واقتداء بالنماذج والقدوات الدينية وفي مقدمتهم الأنبياء وأعلام الهدى الطاهرين.

على المستوى الاقتصادي يستهدفنا العدو في هو يتنا لأنه يريد للأمة الإسلامية الضياع، والضعف والبؤس وتعيش حالة التخلف وعدم البناء الحضاري.

ومن المهم في هذا السياق الإلتفات إلى التالي:

- تقديم الرؤية الإسلامية عن الاقتصاد وترسيخ الوعي بالفوارق بينها وبين الرؤى الغربية التي جعلت المال غاية وإبراز مساوئ تلك الرؤى وما خلّفته من كوارث وويلات في واقع البشرية.
- على المستوى الاقتصادي: أن ندرك أهمية ما يعنيه الانتماء الإيمَاني في الجانب الاقتصادي؛ ونحن كأمةٍ مؤمنةٍ مسلمةٍ معنيون أن نسعى لتحقيق الاكتفاء الذاتي، وتحقيق ما يُسمّى بالأمن الغذائي.
- أن يكون لأصحاب رؤوس الأموال أنشطة في تشغيل رؤوس أموالهم في الإنتاج

الداخـلي، وفي تحقيـق الاكتفـاء الـذاتي.

- مواجهـة الظواهـر السـلبية كالعجـز والكسـل والاحبـاط التـي تحـول دون انتاجـه لمتطلبـات حياتـه ومسـتلزماتها.
- العمـل عـلى ايجـاد البدائـل التـي تحـد مـن الاسـتيراد الخارجـي وإدراك مخاطرهـا في تعزيـز التبعيـة وابقـاء البلـد رهينـةً للخـارج.
- تعزيـز الإدراك والفهـم بـأن الجانـب الاقتصـادي جـزءاً أساسـياً مـن الانتـماء الإيمَـاني والدينـي وأن النهضـة الاقتصاديـة جـزء مـن مسـؤوليتنا الدينيـة وبالتـالي العمـل عـلى توفـير كل عوامـل القـوة وتحقيـق الاكتفـاء الـذاتي.
- أن تتحمّـل الحكومـة والمسـؤولين، وأبنـاء الشـعب عامـة المسـؤولية في ترسـيخ أهميـة الجانـب الاقتصـادي وعلاقتـه بالإيمـان وأن يكـون ذلـك توجهـاً عامـاً.
- تنفيـذ البرامـج والخطـط، والسياسـات التـي اعتمـدت في الرؤيـة الوطنيـة والمتعلقة بالجانـب الاقتصـادي والتعـاون الفعـلي بـين الحكومـة والشـعب، وبـين المسـؤولين وبـين أصحـاب رؤوس المـال والأعـمال، بـين أبنـاء الشـعب بشـكلٍ عـام يكـون لهـا أولويـة التنفيـذ.
- التوعيـة المسـتمرة عـن المقاطعـة للبضائـع الأمريكيـة والإسرائيليـة وتشـجيع التجـار والمسـتوردين عـلى إيجـاد البدائـل لهـا.
- تشـجيع ودعـم الإنتـاج المحـلي وتقديـم التسـهيلات التـي تسـاعدهم عـلى ذلـك ومنـع الاسـتيراد الخارجـي والإغـراق في بعـض السـلع والمنتجـات، التـي تـضرب الجهـاز الإنتاجـي الداخـلي وتضعفـه وتشـل قدرتـه عـلى المنافسـة والمقاومـة.
- تشـجيع الصناعـات الابتكاريـة ودعمهـا عـلى حسـاب الصناعـات التجميعيـة التـي تقـضي عـلى الإبـداع الـذاتي وتحـول البلـدان إلى آلات ناسـخة وتعـزّز التبعيـة وتـضرّ بالاقتصاد الوطني.

ثالثاً- البعد التحرري للهوية الايمانية

يقـول السـيد القائـد -يحفظـه اللـه- : «الإيمَان بمفهومـه القرآني الصحيـح وبمنظومته

الكاملة هو عنصر خلاص، عنصر حرية، هو عاملٌ أساسيٌ لتماسك الأمة، هو عاملٌ رئيسيٌ تحتاج إليه الأمة لتواجه كل هذه التحديات وكل هذه الأخطار، ولتصحح وضعيتها، ولتنقذ نفسها في واقعها، وفي مواجهة التحديات والأعداء؛ فلذلك نحن بحاجة إلى العناية بالهوية الإيمَانية، إلى أن نرسِّخها؛ لأنها عملية تربوية، وعملية تعليمية، وعملية نحتاج إليها كعادات وتقاليد ونمط حياة».

- العزة من القيم الايمانية التي تدفع الى الاستقلال والتحرر من التبعية

«عندما نعود إلى الإيمَان كمنظومة متكاملة في مبادئه، في قيمه، في أخلاقه، ونجد أن واحداً من أهم قيم هذا الإيمَان هو العزة، (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [المنافقون: من الآية8]، ونعرف ما معنى أن نكون أعزاء، ما يعنيه لنا هذا في واقع حياتنا، في علاقتنا بالآخرين، في معركتنا مع الآخرين، ندرك قيمة هذا الإيمَان، وماذا يراد لنا منه، ماذا يريده الله لنا به؛ لأن الله هو الغني، غنيٌ عنا، غنيٌ عن إيمَاننا، لكن نحن من نحتاج إلى الإيمَان؛ لأن الإيمَان تتحقق به العزة، الإيمَان في مبادئه وقيمه وأخلاقه تتحقق به العزة، يحقق لنا العزة بكل ما تعنيه، لا نعيش حالة الذل والهوان لصالح أعدائنا، لا نعيش حالة التبعية والارتهان والخنوع لهم والاستسلام لهم. لا، نعيش حالةً من العزة والمنعة والكرامة؛ وبالتالي نتحرر من كل حالات الذلة والهوان والاستسلام والخنوع لأعداء الأمة.

هذه الحالة التي نرى عليها من يوالون أمريكا وإسرائيل، نراهم أمام أولئك في حالةٍ من الذلة، في حالةٍ من الخزي، في حالةٍ من الهوان، أولئك ينظرون إليهم باحتقار، يسمونهم بأسماء متعددة متنوعة، من مثل: البقرة الحلوب... وغيرها، يمتهنونهم، يسخرون منهم، يستغلونهم بشكلٍ واضح ومكشوف، ويتعاملون معهم بلا احترام، بلا كرامة، بلا مقدار، بلا قدر.

ولذلك نحن معنيون في أن نلتفت إلى هذا الانتماء في مدلوله العظيم، وما يحققه لنا مما تطمح إليه النفس البشرية، أوليس من مصلحتنا أن نكون في عزة؟ عزة من الله -سبحانه وتعالى- بتأييده، بمعونته، بنصره، عزة بكرامة وعظمة قيم هذا الدين، هذا الإيمَان فيما يعنيه، فيما يتركه من أثر، فيما يصون به هذا الإنسان».

وفي هذا السياق من المهم إدراك الاتي:

- إحياء دور المبادئ الإِيمَانية المهمة في الإسلام، كمبدأ الاستقلال بمفهومه الإِيمَاني، المنبثق عن مبدأ التوحيد الذي يجعل من هذه الأمة أمةً مستقلةً حرةً، لا تعيش حالة التبعية لأعدائها في اتجاهاتهم، وفي أفكارهم، وفي برامجهم، واهتماماتهم.
- العمل على إحياء المبادئ والمفاهيم والقيم الإِيمَانية العظيمة التي غابت في سلوكياتنا وتصرفاتنا، وغابت عن واقع هذه الأمة وخطورة الآثار التي ترتبت على غيابها، ونبذ كل البدائل التي حلت مكانها وتقديم الشواهد على ذلك من واقع الحياة. فمثلا عندما غابت العدالة، أتت الشرعنة للظلم، والشرعنة للطغيان من علماء السوء وأتت حالة الانحراف التي نراها ماثلةً أمامنا في كيانات، في أنظمة، في حكومات، في جماعات تنتمي لهذه الأمة كالتكفيريين وكيف يفعلون كلما هو محرم في هذا الدين، ويرتكبون أبشع الجرائم، من الظلم وتوالي أعداء الأمة، وتفعل الأفاعيل الشنيعة والفظيعة التي لا تنسجم مع هذا الدين، مع الإِيمَان في كل مضمونه، في مبادئه، في قيمه، في أخلاقه، في شرعه ونهجه.
- الهوية الإيمانية ومبادئها المهمة التي تحتم علينا أن نكون أمة مستقلة وأن لا نعيش حالة التبعية لأعدائنا، بأي شكلٍ من أشكالها، لا تبعيةً ثقافيةً ولا فكرية، فنحن أمة لنا مفاهيمنا، لنا فكرنا، ولنا ثقافتنا المنبثقة من آيات الله -سبحانه وتعالى- ومبدئ الإيمان هو الذي يبنينا كأمةٍ مستقلة، ويحصننا من العبودية والإذلال والاستعمار لصالح أعداء الأمة
- تعزيز الوعي بعظمة المبادئ الايمانية ودورها العملي كمبدأ الاستقلال المنبثق من الإيمان والذي يعتبر مبدأ بنَّاء، يجعلنا نتجه في هذه الحياة بشكلٍ عملي وبنَّاء، ويحمينا من خطر أعدائنا ويحررنا من حالة التبعية، ويمثل عنصر قوة، يجعلنا ندرك ما معنى أن نكون أقوياء كأمةٍ لتستطيع أن تحقق لنفسها هذا الاستقلال الذي يحاربنا عليه العدو ليضمن السيطرة علينا، السيطرة

التامة والشاملة علينا.

- تقديم المفاهيم الصحيحة للحرية والاستقلال في الخطاب السياسي والعمل على الخروج من حالة التبعية والهيمنة الأمريكية والغربية. وكشف مخاطر الهيمنة الخارجية وتأثيراتها على الفكر والثقافة والهوية، وعلى التوجه والقرار وعلى مختلف شؤوننا في الحياة،
- تقديم المفاهيم الصحيحة التي تعكس الرؤية القرآنية عن المرأة وعن العدالة والقسط، وعن الشريعة الإسلامية بشكل عام. وكذلك الرؤية العلمية والحضارية...الخ، وتقديم المفاهيم القرآنية الصحيحة للحرية وحقوق الإنسان، وفضح عناوين الأعداء المخادعة.
- تقديم الإِيمَان وأثره في واقع الحياة وتصحيح المفاهيم المغلوطة التي تقدم الدين حالة من الرهبنة أو المسكنة وتصحيح النظرات التي تفصل الدين والقيم عن واقع الحياة وشؤون الإنسان المختلفة «الإِيمَان هو للحياة، ليس شيئاً ثانوياً، ليس خاصاً بالمساجد، وليس مجرد شعائر وطقوس، الإِيمَان هو للحياة بكلها وبكل ما فيها.»
- تعزيز النظرة إلى القرآن الكريم ككتاب هداية شاملة وكنظام للحياة ومشروع شامل يواكب المستجدات والأحداث ومواجهة النظرات التي تقدمه مجرد كتاب لتعليم الصلاة والصيام والعبادات والمعاملات وكتاب للآخرة وتجميع الحسنات يقول الله تعالى بأن القرآن {هُدىً لِلنَّاسِ} بمعنى أنه سيهديهم في كل القضايا، وفي كل الميادين والمجالات وأمام كل الاحتمالات، ويمكن الاستهداء به في كل الظروف.
- تعزيز الوعي بالخصائص والفوارق التي امتازت بها الرؤية القرآنية عن بقية الرؤى وما تتميز به من الأصالة والواقعية وتقديم المقارنات الذهنية والعملية التي تجلي سوء الرؤى التي هي صناعة بشرية وكيف أنتجت المشاكل وعززت الظلم وغيبت القسط والعدل وفشلت في تقديم الحلول لمشاكل البشرية فهي لا تغفل أي قضية مما له صلة بتربية الإنسان والمجتمع

وتحقيق التقدم المادي والمعنوي والنهوض العلمي والحضاري وتحقيق الرخاء الاقتصادي كما أنه يشخّص العوائق والمشكلات التي تعترض طريق التكامل الاجتماعي والفردي ويعمل على رفعها.

- ترسيخ المفاهيم الهامة عن الإسلام وما يرتبط به من العزة والنصر والسعادة للمسلمين في الدنيا والآخرة بما في ذلك إلغاء كافة أنواع التعدّي والظلم والنهب والفساد.
- السعي إلى تقديم النموذج العملي على أن الإسلام هو المشروع الوحيد الذي يصلح الشؤون الفردية والاجتماعية والمادية والمعنوية والثقافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية.
- تقديم الإيمان كمنظومة متكاملة، من المبادئ، ومن القيم، ومن الأخلاق، ومن الإلتزامات العملية. ومحاربة كل أشكال الفصل بين شؤون الحياة وأحداثها وواقعها العملي وبين القيم والمبادئ والأخلاق.
- تعزيز الوعي بأن الأنظمة القائمة في الواقع العربي وفي أغلب بلدان الأمة الإسلامية هي نماذج لا تُعبرّ عن الإسلام ولا تعكس صورته الحقيقية وأنها أنظمة في أقل أحوالها فاشلة وبعضها أنظمة عميلة ومسلوبة القرار.
- الشدّ إلى تجربة الرسول -محمد صلوات الله عليه وعلى آله- خاتم الأنبياء العظيمة في الحكم كنموذج للتجربة العملية والأداء العملي الناجح والفعال في المشروع الإلهي وتقديم الدراسات والابحاث عن تجربة الرسول والاستفادة منها.
- التركيز في النشاط السياسي وفي الخطاب السياسي والعمل التثقيفي والتوعوي على ترسيخ أهمية الحفاظ على هويتنا والوعي بهذه الهوية وما يرتبط بهذا الوعي من استعدادات في الواقع العملي
- التركيز على طبع النشاط السياسي بالطابع القرآني من حيث الاهتمامات والأنشطة ومن حيث المصطلحات والمسميات فنحن أمة لديها مشروع عظيم ولديها منهج ولديها مصطلحات ولديها أولوياتها واهتماماتها وخصوصياتها.

يقول الشهيد القائد – رضوان الله عليه- «ونحن إذاً نواجه بحرب في كل الميادين، حرب على مفاهيم مفرداتنا العربية، إذا لم نتحرك نحن قبل أن تترسخ هذه المفاهيم المغلوطة بمعانيها الأمريكية، بمعانيها الصهيونية، والذي سيكون من وراءها الشر، إذا لم نتحرك ستكون تضحيات الناس كبيرة، ستكون خسارة الناس كبيرة»(2).

- طبع الخطاب السياسي بالطابع القرآني سواء في البيانات أو التصريحات أو برنامج أو خبر يصدر عن المؤسسات والقنوات ينبغي على النخب السياسية والنخب الثقافية والأكاديمية والإعلامية أن يكون هنالك تركيز في المناسبات والفعاليات ومختلف الأنشطة الثقافية وعند الحديث عن الأحداث والمتغيرات والقضايا المهمة التحدث بطريقة تربط المسألة بالدين وبما يؤكد أن الدين يتناولها بالشكل الصحيح الواقعي والحق الذي تحتاج إليه البشري.
- اعتماد الرؤية القرآنية في التحليل السياسي وفي التوصيف والتقييم للأحداث والوقائع المرتبطة بالقيم والمبادئ والمسؤوليات الدينية.
- إبراز هشاشة الأنظمة والرؤى السياسية الوافدة من الغرب والشرق، وانفصالها عن القيم وقابليتها للاختراق، وإبراز مساوئها وعدم أهليتها لأن تكون نظاماً عالمياً.
- إبراز الدور القذر للأنظمة والكيانات العميلة للأمريكيين الذين يعملون كأدوات لها لضرب الشعوب وتنفيذ المؤامرات بحق شعوب أمتنا على المستوى السياسي، على المستوى العسكري، على المستوى الاقتصادي، على المستوى التعليمي والتثقيفي، في السياسة الإعلامية، وفي الأنشطة الاجتماعية؛ ودورهم في تفكيك المنظومة القيمية والأخلاقية للأمة.
- تعزيز الوعي بحقيقة العدوان على اليمن وأهدافه السيئة -ومنها الاحتلال وسلب السيادة ونهب الثروة -ومواجهة كل أشكال التضليل التي تصوّر الحرب بأنه مشكلة داخلية وحرباً أهلية ونزاع داخلي يمني يمني.

٢) محاضرة الارهاب والسلام

- التأكيد المستمر على أن الحرب أمريكية إسرائيلية وأن ما يُسمّى بالتحالف العربي مجرد أدوات وأن العناصر اليمنية التي تساندهم مجرد مرتزقة.
- مواجهة الاستقطاب والتحشيد الداخلي والذي يتم لصالح العدو سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الإعلاميين والوجاهات والسياسيين.
- التواصل المستمر بالمكونات والاحزاب السياسية والمنظمات الحقوقية والمدنية ورسم برنامج عملي موحد لمواجهة العدوان وترسيخ الهوية الايمانية الجامعة كقاسم مشترك بين جميع اليمنيين وكلمةٍ سواء تلتقي حولها كل المكونات.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

المقاطعة الاقتصادية ..
سلاح ردع وشهادة انتماء

مركز البحوث والمعلومات

رجب 1444هـ / فبراير 2023م

" المقاطعة الإقتصادية، المقاطعة للبضائع مهمة جداً ومؤثرة جداً على العدو، هي غزو للعدو إلى داخل بلاده, وهم أحسوا أن القضية عندهم يعني مؤثرة جداً عليهم, لكن ما قد جرأت الحكومات العربية إلى الآن أنها تعلن المقاطعة، تتخذ قراراً بالمقاطعة, لأن الأمريكيين يعتبروها حرباً، يعتبروا إعلان المقاطعة لبضائعهم يعتبرونها حرباً؛ لشدة تأثيرها عليهم" الشهيد القائد السيد حسين بدرالدين الحوثي.

لم يكن ليجرؤ أذيال اللوبي الصهيوني في السويد وهولندا والدانمارك على تكرار إساءاتهم للمقدسات الإسلامية , إلا لإدراكهم خنوع وتبعية معظم قادة الدول العربية والإسلامية للصهيونية العالمية اليهودية , وخذلانهم المتكرر للدين الحنيف , والوقوف إلى صف اللوبي الصهيوني دون أدنى خجل .

وما يشهده الغرب من تكرار أعماله العدائية ضد مقدسات المسلمين يعكس ما وصلت إليه حكومات الدول الغربية من إفلاس أخلاقي وسياسي، وفشلها الذريع في إدارة شؤون بلدانها.

لقد تعددت وتنوعت أساليب اللوبي الصهيوني وأذياله في محاولات الإساءة للمقدسات الإسلامية ,إذ تعرّض القرآن الكريم لمحاولات التحريف خلال القرن الماضي لكنها لم تفلح، وكذا محاولات الترجمة الخاطئة والطباعة المحرّفة، ومحاولة تقليده ومحاكاته بسيئ الكلام وركيكه لكنه لم يُزحزح عن مكانته، بل إن كل ذلك أكد معجزته الباقية منذ 1400 عام, "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

والملاحظ أن العدو غيّر سلاحه في العقد الأخير، من خلال تعامله تجاه رموز الإسلام من تعدّي وسبّ للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، تحت مسمّى التعبير عن الحريات، وهو ما شهدناه علناً في السويد، عقب إقدام السياسي السويدي- الدنماركي زعيم حزب ستارم كوكس "الخط المتشدد" اليميني المتطرف راسموس بالودان، بحرق نسخة من القران الكريم في 21 يناير الماضي قرب السفارة التركية في العاصمة السويدية ستوكهولم، تحت حماية مشددة من الشرطة التي منعت الاقتراب منه.

وبحماية من الشرطة جدد بالودان استفزازه للمسلمين في الـ 27 من الشهر نفسه بحرق القرآن أمام سفارة تركيا لدى العاصمة الدنماركية كوبنهاغن، بعد لحظات من

حرقه أمام مسجد تابع لـجمعية الجالية الإسلامية، محاولاً استفزاز المسلمين المنصرفين من صلاة الجمعة.. ليعيد إلى الواجهة وبشدة قضية "الإسلاموفوبيا" في أوروبا، وهو ما يجدد مخاوف الجاليات المسلمة والعربية، المقيمة في السويد، وفي أوروبا بشكل عام.

ولم تكن هذه الجريمة هي الأولى للمتطرف بالودان، فقد سبق أن قام مع أنصار حزبه بإحراق نسخ من المصحف الشريف، في إبريل العام الماضي، ما أدى إلى اندلاع مواجهات واسعة، في أنحاء متفرقة من السويد، واشتبك حينها شبان مسلمين مع أنصار حزبه بالحجارة، وأُحرقت عدة سيارات بعضها يعود للشرطة.

وأعقبت جريمة السويد قيام الهولندي إدوين واجنسفيلد زعيم جماعة بيجيدا المتطرفة المناهضة للإسلام، بإحراق نسخة من القرآن الكريم بعد تمزيقها وتدنيسها في لاهاي، بعد نحو ثلاثة أشهر من توقيفه أثناء قيامه بحرقه أيضاً، ونقل فعلته الاستفزازية التي وقعت أمام البرلمان بمشاركة مقطعاً مصوراً عبر تطبيق تويتر.

وأثارت هذه الحادثة البشعة والدنيئة احتجاجات في عدة دول عربية وإسلامية، وأصدرت العديد من الحكومات تنديدات بما جرى ويجري من تعدٍ على رموز المسلمين، باعتبارها عملا استفزازيا لمشاعر مليار و700 مليون مسلم حول العالم ونشر أفكار إرهابية متطرفة تعكس حقد وغل دفين ضد المسلمين، ومشهد مخزي مؤلم وغير مقبول بل ويتعارض مع كافة القيم والمبادئ الإنسانية والأخلاقية.

قائد الثورة .. إعلان موقف

وكإجراء عمليّ إزاء هذه الحادثة المستفزة دعا قائد الثورة السيد عبدالملك بدر الدين الحوثي في كلمة ألقاها بمناسبة عيد جمعة رجب، إلى مقاطعة بضائع ومنتجات البلدان التي تتبنّى رسمياً فتح المجال أمام التصرفات العدائية المُسيئة للقرآن الكريم والإسلام والمسلمين.. كون العالم الاسلامي هو السوق الكبيرة لمنتجات الدول الغربية.. معرباً عن أسفه بأن يصل واقع المسلمين لأن يكون هناك 50 دولة إسلامية لا تستطيع الاجتماع على إجراء موحد دبلوماسيا أو اقتصاديا لقضية بحجم إحراق القرآن الكريم.. مؤكدا أن اللوبي الصهيوني اليهودي يتصدّر أكبر نشاط معادٍ للإسلام والقرآن والمسلمين

في الساحة العالمية، وأن على المسلمين بأن يوحدوا صفهم للضغط على البلدان التي تفتح المجال للاستهدافات العدائية للإسلام.. وأضاف أن لو كان لدى اليمن أي علاقة دبلوماسية أو سفير من السويد أوالدول المتبنية رسمياً الإساءة للإسلام والمسلمين لتم طرده، ولكان هناك موقف أكبر من ذلك على المستوى العملي.

اليمنيون يتصدّرون

وتحت شعار "غضب شعب الإيمان ضد من أحرقوا القرآن" شهدت المحافظات اليمنية سلسلة من التظاهرات الاحتجاجية تنديداً بتلك الجريمة، عبرت عن غضب الشعب اليمني ورفضه لإساءات أعداء الإسلام المتكررة للمقدسات.

ورفع المشاركون في المسيرات الشعارات الرافضة للإساءة للمقدسات الإسلامية، ورددوا هتافات تدعو للتحرك الإسلامي تجاه كل من تسول له نفسه التعدي على مقدسات الأمة.

كما أصدرت مختلف القيادات اليمنية في مختلف المناطق، ردود غضب واسعة على الجانبين الرسمي والشعبي حملت في مجملها الكثير من الإدانة والاستنكار للعمل المشين باعتباره عملاً إجرامياً يقف وراءه ويموله وينفذه اللوبي العالمي للصهيونية اليهودية.

وشددوا على أن حكومة السويد تتحمّل تبعات ذلك الاعتداء والتصرف وما سينتج عنه من ردود أفعال، معتبرين أن ما تشهده الدول الغربية من أعمال مسيئة ومعادية للمقدسات الإسلامية يعكس ما وصلت إليه الحكومات الغربية من انحطاط أخلاقي وسياسي في التعامل مع القيم والمقدسات الإسلامية.. وأن تعي حكومات الغرب أن تلك التصرفات الهوجاء لا تندرج في إطار الحريات الفردية والتعبير عن الرأي لما ينتج عنها من ردود أفعال عدائية وإثارة للكراهية بين شعوب العالم.. مطالبين السلطات السويدية والدنماركية بالتحقيق في هذه الجريمة، ومحاسبة المسؤولين من الجماعات المتطرفة، والاعتذار عن ذلك، وعدم إعطاء الضوء الأخضر لمثل هذه الاستفزازات الشيطانية.

من جانبه طالب مفتي الديار اليمنية العلامة شمس الدين شرف الدين، الشعوب الإسلامية للتحرك والثورة للدفاع عن القرآن الكريم في وجه كل منتهك لحرمة الله، داعياً في الوقت نفسه شعوب الأمة للثورة على داعمي الشذوذ والذين فتحوا معابد الكفر في بلاد الإسلام والمسلمين.. مهيباً بعلماء المسلمين للقيام بمسؤولياتهم في توجيه الأمة بالشكل الصحيح لتحريك الغضب على انتهاك حرمات الله، وأن يقوموا بواجباتهم تجاه هذه المسؤولية.

كما دعا الدول الإسلامية لقطع العلاقات الدبلوماسية مع السويد وكل دولة تعلن عدوانها على المقدسات الإسلامية.. وقال "لا يجوز لولاة أمر المسلمين أن يتفرجوا على الاعتداء على القرآن الكريم دون اتخاذ إجراءات صارمة".. مطالباً دولة السويد باتخاذ الإجراءات الكفيلة لمنع تكرار هذه الممارسات الخبيثة، وإلا فهي مسؤولة عن كل ما قد يصيبها من كل غيور على الدين الإسلامي.

محاولات تبرير

ومن المؤسف أن هناك من يبرر جريمة إحراق المصحف الشريف بأنها حريات شخصية، ولا شأن للتنظيمات الحزبية أو الحكومية فيها وهي بريئة منها، لكننا وجدنا العكس من ذلك، فغوغائية المشهد تتجلّى أكثر وضوحاً خصوصاً عندما نرى ما يحدث من تناقض في العالم الغربي الذي يدعو إلى احترام حقوق الإنسان، فهو يجرّم مثلاً حرق أي رمز من رموز المثليين على اعتبار أنه يشكل تحريضاً ضد مجموعة من المواطنين ولا يجرّم من يقدم على حرق القرآن الكريم الذي يعد من أهم معتقدات المسلمين ومن أولويات مقدساتهم التي يجب الدفاع عنها ومن المسلّمات التي لا تقبل الطعن والتشكيك .

لذلك يتضح جلياً أن هذه الأفعال موجهة ضد الإسلام والمسلمين فقط، ولم توجّه ضد المسيحية والكنيسة أو اليهودية والسامية، فبعد جريمة إحراق القران الكريم في السويد والدنمارك نهاية الشهر الماضي، لم نجد إدانة دولية قوية لها ولا حتى ردود فعل شعبية غربية تجاهها، وهو ما يؤكد رضى شعوب الغرب بأفعال حكامها.. لأن

ما يتحدثون به يختلف عما يؤمنون به، وإلا لكان هناك قوانين وتشريعات تجرّم وتفرض عقوبات على من يقدم على حرق القرآن الكريم وتمنع التطاول على الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم احتراماً لمشاعر المسلمين.

وهو عكس ما يبديه المسلمون من احترام لمعتقدات الآخرين، فلم يسبق أن أقدم مسلمو العالم على إهانة أي رمز من رموز الشرائع السماوية أو المعتقدات الدنيوية للغرب , احتراماً لهذه الشرائع ولمعتنقيها، وهذه هي الأخلاق التي حثّ عليها القرآن الكريم الذي يتم حرقه.. ولذلك يتوجب على المسلمين أن يكثفوا مطالبهم وأن تعلو أصواتهم بكافة السبل المتاحة نحو ضرورة سنّ قوانين دولية عمليّة تجرّم الإساءة للمقدسات الدينية، وعدم قبول سياسة الكيل بمكيالين التي تنتهجها الدول الغربية عندما يتعلق الموضوع بالمس بمقدسات الإسلام ومشاعر المنتسبين له، ويجب أن يتم أخذ خطوات فعلية للحد من هذه الممارسات التي تخدم أجندات الجماعات المتطرفة واتخاذ موقف حازم تجاه كل من يدعم هذا التوجه تحت ذريعة مسميات أو شعارات غير حقيقية للأسف.

الحلّ المناسب

ويبدو أن العلاج المناسب لهذه الظاهرة الدنيئة يكمن بالمقاطعة الفعلية لمنتجات تلك الدول، وليس بالشعارات والبيانات والشجب والاستنكار التي تصدرها عادةً الدول الإسلامية عقب كل حادثة، وبما أن معظم الحكومات عميلة، فتقع مسؤولية الرد على الجماهير المسلمة لأنها النواة والشرارة التي ستحرق اقتصاد المتجبرين.

وهذا ما أقرّته حكومة الإنقاذ الوطني في صنعاء، متخذةً جملة من التدابيرِ الاقتصادية لمواجهة الحملات العدائية الأخيرة التي تبنتها الحكومات السويدية والدنماركية والهولندية، وذلك في مسار المقاطعة الاقتصادية كخيار أولي يليه جملة من الخيارات الرادعة.

صنعاء .. إجراءات عمليّة

لأن صنعاء بموقفها الثوري والرسمي قد تصدرت العواصم العربية والإسلامية في اتخاذ إجراءات عملية لمقاطعة بضائع الدول المسيئة للقرآن الكريم , فقد أقر مجلس الوزراء بحكومة الإنقاذ استجابةً لدعوة قائد الثورة ، عدداً من القرارات المتصلة بالمقاطعة الاقتصادية للبضائع الأمريكية والإسرائيلية والسويدية والهولندية والدنماركية، رداً على انتهاكاتها للمقدسات الإسلامية.

وأكد المجلس على السير بخطوات المقاطعة من خلال منع استيراد وعدم منح تصاريح جديدة للاستيراد بالتنسيق مع القطاع التجاري.

واعتمد المجلس توصيات تضمنت إجراءات آنية ومتوسطة وبعيدة المدى، والبدء في البحث عن أسواق بديلة لاستيراد البضائع وتحديدًا من الدول غير المعادية للإسلام والمحترمة لخصوصيات الدول الأخرى وثقافتها.

وتتضمن التدابير والإجراءات، المقاطعة الاقتصادية والتوعية الشاملة بالتزامن مع نشاط توعوي إعلامي إرشادي ثقافي بأهمية سلاح المقاطعة والتحرك الرسمي والشعبي الواضح المعبر وبقوة عن التمسك والتعظيم للمقدسات الإسلامية وفي المقدمة القرآن الكريم، والإدانة والرفض لهذا النهج العدائي الذي تمارسه عدد من الدول الغربية ضد الإسلام والمسلمين والرموز الدينية، باعتبار ذلك استهدافاً للمسلمين بصورة عامة واليمنيين بشكل خاص.

من أين نبدأ ؟

نظراً لجهل غالبية المسلمين بمسميات الشركات التابعة للوبي العالمي للصهيونية اليهودية , الراعي الرسمي للإساءة للمقدسات الإسلامية , سنرفق صوراً ونماذج لأسماء أبرز الشركات الداعمة والمتبنية العداء للإسلام والمسلمين والتي يجب علينا جميعاً مقاطعتها بشكل مستمرّ , نظراً لأهمية تأثير المقاطعة الاقتصادية قبل السياسية , وما ستجلب على تلك الدول من خسائر ماليّة مهولة ستصيبها مع استمرارية المقاطعة في مقتل .

وكما أثّرت حملات مقاطعة سابقاً , مثلما حدث مع فرنسا , فلا شيء سيؤثر على الدول المسيئة للإسلام والداعمين لهم كالمقاطعة الاقتصادية , ذلك أنهم عَبَدة للمال , وأوهن من أن يصمدوا أمام المقاطعة الفعليّة .

وربما لا يعلم الغالبية من الشعوب الإسلامية عن وجود بدائل كثيرة لتلك البضائع , تنتشر في كافة الأسواق العربية والإسلامية غير أنها لا تحظى بالترويج كالذي تدعمه الشركات الكبرى المسيئة للإسلام بحكم سيطرتها العالمية على الإعلام وتوجيهه لمسارات تخدم اقتصادها وأهدافها الخبيثة .

ويمكننا البدء بتنفيذ المقاطعة مع استمرارية تثقيف الجميع بمسمياتها والجهات الداعمة لها .. وتوعية المجتمعات بالبحث عن البدائل حتى لا يبقى عذراً لأحد .

نماذج لشركات ومنتجات سويدية وهولندية ودانماركية وصهيونية وأمريكية :

- شركة فولفو , وتشتهر بتصنيع الشاحنات والحافلات وقطع الغيار وغيرها
- شركة إتش أند أم للملابس
- شركة أريكسون , وتعمل في مجال تكنولوجيا المعلومات
- شركة أسترازينيكا .. للأدوية البيولوجية العالمية
- شركة إلكترولوكس وتعمل في مجال الأجهزة المنزلية
- شركة أوريفليم لصناعة مستحضرات التجميل
- شركة إيكيا لبيع الأثاث
- شركة تترا باك,وتعمل في مجال معالجة الأغذية وحلول التعبئة والتغليف
- شركة سبوتيفاي للخدمات موسيقية
- ستوريتيل , هي دار نشر سويدية، وواحدة من أكبر خدمات الاشتراك في العالم لبث الكتب الصوتية والإلكترونية
- شركة سكانيا , وتعمل في مجال النقل البري والبحري وصناعة الشاحنات والمحركات
- شركة كلارنا , وتعمل في تقديم خدمات الدفع والتسوق
- معجون كلوس آب
- سيارات بوليستار

- زيوت محركات شل

-أحذية All Star

- ملابس إتش آند إم

- ماركة نايك

- أجبان دايلي دايري وجبنة ليكفورد الهولندية وجميع أصناف لانشون المعلب

- شركة أهافا

- شركة كوكا كولا

- شركة بيبسي

- مجموعة موندليز الدولية

- شركة شتراوس

- شركة تنوفا

- شركة أوسم

- شركة عليت

- شركة برغات

- شركة يعفورا

- شيكولاتة سنيكرس

- شيكولاتة مارس

- شركة نسكافيه للمشروبات الدافئة

- شكولاتة كيت كات

- شركة لوريال لأدوات التجميل

- شركة بروكتر آند جامبل, ومن أهم منتجاتها : حفاظات بامبر : أولويز ،فوط نسائية ، كريست معجون أسنان , صابون تايد ، صابون آريال ، صابون بونكس ،فيري سائل جلي ,شامبو بانتين ، برت بلاس .- شركة ستاربكس

- شركة نستلة .

ختاماً .. ما جدوى المقاطعة ؟

بعد انطلاق حملة إسلامية واسعة لمقاطعة المنتجات السويدية والهولندية؛ حذر رئيس الوزراء السويدي، أولف كريسترشون، من دعوات مقاطعة دول إسلامية للبضائع السويدية .

وقال في حديث نقله التلفزيون السويدي: " من الواضح أن هذا قد يكون سيئاً للغاية بالنسبة للشركات السويدية".

ونظراً للأرباح الخيالية المهولة التي يجنيها أعداء الإسلام من استهلاك المسلمين لمنتجاتهم , تبقى المقاطعة الاقتصادية هي السلاح الفتّك الذي سيعصف بهم , ويلقّنهم درساً لن ينسوه.

وقد بيّن الشهيدَ القائدَ مقدار الخسائر التي ستلحق بالعدو في حال مقاطعة منتج "السجائر" فقط كمثال ، حيث يقول:"بإمكاننا مثلا أن نستعيض بدل التدخين السجائر هذه – وكم يستهلك الناس من أموال كثيرة في السجائر – يمكننا أن نترك التدخين نهائيا, أو أن نستعيض عنها [بالتتن] ونعود إلى [المدايع] من جديد, ونترك التدخين تماما.. وكم سيخسرون فيما لو ترك الناس التدخين بمفرده. احسب كم سيستهلك أبناء هذه المنطقة من أموال في الشهر الواحد في التدخين وحده؛ لتعرف فيما بعد وأنت أمام سلعة واحدة من منتجاتهم كيف ستكون خسارتهم من منطقة واحدة" .

وبهذا تكون المقاطعة الاقتصادية سلاح ردع يرعب العدوّ ويصيبه في مقتل , وهي شهادة انتماء لأصالة الهوية الإيمانية وهي تذود عن أقدس كتاب أنزله الخالق جلّ في عُلاه .

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

الشهيد القائد ومدرسته القرآنية التجديدية الإحيائية

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشي

رجب 1444هـ / فبراير 2023م

"أنا لا أعدكم بشيء، ولكني أعدكم أن لا أمثلكم في باطل"، بهذه الكلمات الوجيزة خاطب الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي ناخبيه في الانتخابات البرلمانية التي جرت عام 1993م ، بما تحمله من معاني نبيلة، وقيم صادقة، وواقعية ومسؤولية وشفافية، على عكس الشعارات المُعتادة من المتنافسين في الماراثونات الانتخابية الدنيوية بمختلف مسمياتها، ومُجافات تلك الشعارات للواقع.

كانت كلمات "السيد" نابعة من القلب، والترجمة العملية لتعامله مع محيطه ومجتمعه في كافة مراحل حياته، ولا عجب فهو العالم العارف بالله، قبل أن يكون مُمثلاً لناخبيه في البرلمان، وحفيد الهادي إلى الحق مُحيي الفرائض والسنن الإمام يحيى بن الحسين عليه السلام، وابن تُرجمان القرآن المرجع العَلَم شيخ الزيدية في زمانه السيد الأجل بدر الدين، وسليل الأطايب.

إذن فنحن أمام شخصية استثنائية في تاريخ اليمن المعاصر، تدخّلت في تكوينها وصقلها العناية الربانية، لحكمة إلهية، أتت في مرحلة فارقة من تاريخ الأمة، أصبح الإسلام فيها غريباً، وصار المسلمون في أوطانهم غُرباء، وتحول يمن الأنصار إلى مرتع لقوى الاستكبار العالمي والجماعات التكفيرية ، فكان لا بُد من قائم حق، يُعيد إحياء ما اندرس من معالم الدين، ويعيد الحياة والفاعلية ليمن الأنصار الموقع والتاريخ والإنسان، بعد ثمانية عقود ونيّف من الموات والتبعية للدرعية، واستلاب الإرادة اليمنية والقرار اليمني، واستباحة سيادة البلاد ونهب ثرواتها والانبطاح لقوى الشر والاستكبار العالمي.

لم يتعمّر سلام الله عليه طويلاً فمولده بـ"الرويس" من أعمال محافظة صعدة في شعبان 1379 هـ، واستشهاده في 26 رجب 1425 هـ، وما بينهما 46 خريفاً، شهدت اليمن خلالها ولادة مدرسة قرآنية تجديدية إحيائية حسينية، لها سماتها وخصائصها، وهي واحدة من المدارس الإحيائية التي زخر بها الفكر الزيدي خلال تاريخه العريض، وإحدى أبرز وأهم المدارس الإحيائية في القرنين الأخيرة في عالمنا العربي المكلوم، لكنها تفرّدت عن سابقاتها بالحياة والديناميكية وعالمية النظرة والرؤية، والتشخيص الدقيق للأمراض والأزمات العاصفة بالأمة الإسلامية، وتقديم الحلول الناجعة في زمن العقم

السياسي والفكري والمذهبي.

ترك لنا سلام الله عليه عشرات الخُطب والملازم، هي ثمرة سنوات من الخلوة والتأمل في كتاب الله، جسّدت مُتجمعة الجانب النظري لمدرسته القرآنية الفريدة في مبانيها ومعانيها وغاياتها ومقاصدها، وقدّمت رؤية واعية لمشكلات وتفاعلات الواقع على كافة الأصعدة محلياً وعربياً ودولياً، وكشفت حقيقة العدو التاريخي لأمة الضاد، وما يُحاك ضدها من مخططات استعمارية وتدميرية.

هذا العدو للأسف يعمل الأعراب اليوم على كسب رضاه ولو على حساب أمتهم وشعوبهم ودينهم وشرفهم وكرامتهم وسيادتهم، وتقديم فروض الولاء والطاعة له، في صورة مُزرية ومُخزية ومُهينة، تجعل الأمة على يقين بصوابية توجه الشهيد القائد، وصوابية رؤيته التحذيرية من مغبة الابتعاد عن كتاب الله والركون إلى أعداء الله، والتفريط في الثوابت والمقدسات، وما يترتب على ذلك من ذل وهوان واستلاب لأوطاننا وثرواتنا ومقدراتنا وكينونتنا وإنسانيتنا وحريتنا وكرامتنا ومقدساتنا.

كما حرصت مدرسته سلام الله عليه على تصحيح المفاهيم المغلوطة التي حاول أعداء الإسلام غرسها وإشاعتها، سواء من خلال المنابر الإعلامية بمسمياتها المختلفة، أو من خلال مشائخ التكفير والتابو، أو من خلال التنظيريين العلمانيين والاستشراقيين والليبراليين، أو من خلال المُبشرين، أو من خلال السموم التي تبثها المنظمات الدولية في مجتمعاتنا وهي أكثر خطراً وفتكاً لتلبُّسها بشعارات أموية براقة.

وما يُحسب لتلك المدرسة المُقدّسة أيضاً إحياء "الشعور بالمسؤولية"، في زمن الخمول والخنوع والتميُّع، وإحياء "المبادئ الإنسانية"، في زمن الغاب والرأسمالية المتوحشة.

عاش سلام الله عليه مع القرآن وللقرآن، ما جعل أعداء القرآن يضعونه على قائمة أعدائهم الوجوديين، وأتى بعد فترة من خمول علماء الزيدية وتقوقعهم في المحاريب، وانفصالهم عن واقع الناس، وعن تفاعلات محيطهم الاجتماعي والسياسي والفكري المحلي والإقليمي، وقضايا وطنهم وأمتهم، رغم ما يُحتّمه واقع الفكر الزيدي الثوري التحرري من تصدُّر المشهد، والوقوف ضد سلبياته، ومقارعة المظالم الناجمة عن ولاته، والحفاظ على بيضة الدين من التحريف والتأويل والتدجين.

وكأبيه وأجداده سلام الله عليهم لم يستطع سيد شهداء المسيرة القرآنية المُباركة الصمت أمام ما يشاهده من مظالم وقضايا وأزمات وتضليل فكري وديني وانبطاح وتدجين وخنوع وذل وهوان لأمة أراد الله لها العِلِّية والتمكين إن هي تمسّكت بالعترة والقرآن الكريم، وأراد لها حُكامها الركوع والخضوع لشياطين البيت الأسود وخنازيرهم في فلسطين المحتلة، فقرر سلام الله عليه منذ وقتٍ مُبكر تشمير السواعد وقيادة مسيرة الجهاد الفكري والعملي على كافة الأصعدة وبمختلف الوسائل، ومقارعة الباطل والمبطلين، وإعادة الأمة الى القرآن، وإعادة القرآن إلى حياة الأمة كما أراد الله، ليكون دستور حياة تعيشُه الأمة في كافة مناشط الحياة، وتُبدِّد بنوره دياجير ظُلمات الظَلَمَة المتفرعنين، لا كتاب جامد تنسج عليه العناكب خيوطها في رفوف خزائن المساجد المنسية والمهجورة.

قاد سلام الله عليه ثورة فكرية ثقافية شاملة ضد الثقافات المغلوطة والوافدة والدخيلة والعقائد الباطلة التي تُؤسس وتُشرِّع للطغيان والظلم، وثار على الثقافات المنحرفة التي أوصلت المئات من الطواغيت إلى سِدة الحكم، وهيئت لهم الساحة ليحكموا الأمة بالقهر والغلبة والنار والحديد والمكر والخداع والحيل.

واستخدم في ثورته كل الوسائل المشروعة، بدءاً بتنوير العقول وهو حجر الأساس، من خلال إنشاء العديد من المدارس التنويرية الدينية والرسمية، كما استخدم منبر البرلمان خلال تواجده فيه، بعد فوزه في انتخابات عام 1993 على لائحة حزب الحق، ومن خلاله عمل على محاربة العقود الربوية وصفقات الديون الإفقارية، وكان قد شارك في تأسيس الحزب عام 1990 ليكون نافذة سياسية لمحاربة الطغيان والفساد السلطوي وإرساء قيم الحق والعدل.

ويومها بدء نظام صنعاء يشعر بخطر هذا المُجدد القادم من جبال "مران" النائية على مستقبل نظامه ومصالح أولياء نعمته في البيت الأسود، فعمل على إفراغ الحزب من محتواه، وتكبيل تحركات "السيد" البرلمانية والسياسية، ليقرر "السيد" في العام 1996 مغادرة الحزب والبرلمان.

هذا التحرر أتاح له الحركة بحرية، ومع هذا التحرر بدأة مرحلة جديدة في تاريخ

المدرسة القرآنية، سواء فيما يتعلق بكشف المخططات الأميركية والصهيونية في المشرق العربي وتداعياتها على مستقبل الأمة وكينونتها، أو ما يتعلق بتوسيع النشاط الثقافي والتوعوي والإرشادي والتنويري، أو فيما يتعلق بمقارعة الظلمة والظلم ومظالم النظام الحاكم، وفي مقدمتها رفضه سلام الله عليه العدوان الآثم على المحافظات الجنوبية والشرقية صيف عام 1994، وما ترتب على ذلك الموقف الديني والإنساني والأخلاقي والوطني من تبعات جعلت النظام يُرسل في 16 يونيو 1994 حملة عسكرية غاشمة لمعاقبته وأنصاره في "مران" و"همدان"، لم تُوفِّر شيئاً في طريقها، فطالت نيران حقدها حتى منزل السيد ووالده في مران، واعتقلوا العشرات من أبناء تلك المناطق لأكثر من عام، في حقد يزيدي غير مسبوق في تاريخ اليمن المعاصر.

ولم يكتفِ نظام صالح والإصلاح بذلك، بل وحاولوا مراراً تصفية "السيد"، لكن عناية الله حالت دون ذلك، ليُقرروا في العام 2004 التوجه للقضاء عليه في عرينه، بتوجيه وتخطيط أميركي صهيوني، في سابقة مُشينة، بعد أن أحسّ الأميركان والصهاينة بتعاظم وتوسع المشروع القرآني وخطورته على أجندتهم الإستعمارية في المشرق العربي.

وكان لهم ذلك في 26 رجب 1425 هـ، بعد حرب ظالمة دامت أكثر من 80 يوماً، فأحرقوا "السيد" وأسرته ومجموعة من رفاقه الجرحى بالقنابل في أحد كهوف جبل مران، بطريقة أعادت نكئ الجروح الكربلائية من جديد، ذكرتنا بما جرى لأبي عبدالله الحسين بن علي سلام الله عليه في كربلاء العراق، لكنهم لم ينالوا من فكره القرآني الرباني، بل أصبح فكره بعد رحيله حديث الناس، ومهوى الأفئدة الباحثة عن الحياة القرآنية الحرة والكريمة، وأصبحت له دولة وصوت مُؤثر في أحداث المنطقة سلماً وحرباً، ورسم مستقبلها.

وبعد سنوات معدودة تهاوى ذلك النظام الظالم، واعترفت حكومة صنعاء في 21 أغسطس 2013 رسمياً بعدم مشروعية حروب صالح والإصلاح الظالمة ضد "السيد" وأبناء صعدة، واعتذرت عن ذلك الفعل المُشين، وسلّمت في 5 يونيو 2013 الجثمان الطاهر لذويه.

لقد انتصر دمُك الطاهر وفكرك القرآني المُستنير سيدي، وأصبحت صرخة المستضعفين

التـي أطلقتهـا في زمـن الصمـت والعقـم العربي تتردد على لسـان كل المظلومـين والمعذبين والمسـتضعفين في العـالم، ومدرسـتك لم تعـد حبيسـة جبـال مـران، بـل صار لهـا جامعات ومعاهـد وكليـات ودولـة، وأنصـارك أصبحوا حديـث كل العـالم ومفخرة كل الأحـرار، فنم قريـر العين، لروحك السـلام.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

الثقافات الدخيلة وخطرها على الهـــوية اليمنية

مركز البحوث والمعلومات

رجب 1444هـ / فبراير 2023م

تعتمد الهوية على عقائد ومفاهيم وأعراف وعادات وتقاليد وأفكار معينة، ولها معاني سامية وعميقة وانتماء بكل أبعاده الثقافية والاجتماعية والمعنوية والمادية، تعمل على مساعدة الإنسان في تحديد سلوكه، حسب ارتباطه بالأرض التي ترعرع فوق ترابها والمجتمع الذي ينتمي إليه، ليتميز عن غيره بالأخلاق والمواقف التي شهدها في حياته، وزرعت فيه حب الكرامة والحرية والعدالة وعلاقته مع المجتمع المحيط به، عبر تراكم تاريخي شكّل مع الزمن معالم هويته التي يتفاخر بها ويدافع عنها بكل قوته.

ولا شك أننا كيمنيين سبقنا الكثير من شعوب العالم في احترام الإنسان والعقل والأخلاق ورسخنا قيم الحرية والكرامة والمساواة وبنينا هويتنا اليمنية عن طريق تراكم للعادات والتقاليد المرتبطة بالنبل والشهامة والنجدة واحترام حقوق الفرد والجماعة، بل وعمل الفرد منذ القدم على حفظ وتنظيم الحقوق الأساسية كمقياس للكرامة الوطنية المبنية على أساس التعايش، ليتحقق مفهوم العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع.

ولأن "الإيمان يمان والحكمة يمانية" كما روي عن النبي صلوات الله عليه وعلى آله، فإن هوية هذا الشعب هي هوية إيمانية، مرتبطة بإيمانه ومبادئه وقيمه وأخلاقه وتشريعاته وتعليماته، والتي نبني عليها ثقافتنا وانتماءنا وأخلاقنا ومواقفنا وسيرتنا في هذه الحياة، بما يُمثّل عمود الهوية الإيمانية اليمنية والانتماء الحقيقي لها، وهذه هي أشرف وأسمى هوية.

هناك الكثير من الشعوب والأمم في مختلف بقاع الأرض تتمسك بهويتها المعتمدة على كثير من الخرافات والأباطيل وهو حاصل إلى حد اليوم، أما نحن اليمنيون فكما ذكر قائد الثورة السيد عبدالملك الحوثي في أحد خطاباته، أن هويتنا إيمانية ترتبط ارتباطاً مباشراً برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبرسالته الخاتمة للرسالات السماوية رسالة الإسلام، فهي هوية مشرّفة وعظيمة ولها أهمية كبيرة في واقع الحياة وثمرة طيبة بقدر ارتباطنا بها، حتى تتحقق لنا نتائج مهمة في واقعنا التربوي والأخلاقي والعملي.

وخلال هذه المرحلة تبرز الحاجة الملحة للهوية الإيمانية وترسيخها في وجدان

الشعب اليمني، في ظل ما يتعرض له من حرب ممنهجة تستهدف طمس هويته وتمزيق نسيجه المجتمعي.. فالبعض من الشباب على حافة السقوط بسبب تتبعه الثقافات الغربية الدخيلة والمنحطة التي تراها بعض الأسر عادية، مثل قصات الشعر ونوعية الملابس التي يرتدوها، لتصبح تلك الثقافة القبيحة سلوك يُتّبع ومنهج أساسي في حياتهم الشخصية حتى يسهل استقطابهم إلى حضن كهفهم المظلم تحت مسمى الحرية وتعليمهم كل أنواع العادات المتنافية مع قيم ديننا الإسلامي وبيئتنا المحافظة، وأصبحت تلك الأفكار الضالة وشعاراتها هي الوسيلة في الإصلاح والتحديث نحو التطور والمواكبة للعصر الحديث الذي يتماشى مع الغزو الفكري القادم من الدول الأوروبية والغرب وعلى رأسهم أمريكا واللوبي الصهيوني .

وفي تحدٍّ كبير للهوية الإيمانية الثقافية اليمنية تستميت الثقافة الدخيلة بقوة في الاستحواذ على عقول الكثير من الشباب كونهم الفئة المستهدفة، وللتأثير على الخصوصية الحضارية للأجيال القادمة، نتيجة لتأثير الإعلام الغربي والثورة التكنولوجية ودورها الكبير في انتشار تلك الثقافات من خلال ما تبثّه من سموم، كونها وسيلة جاهزة لترويج الكثير من الأفكار والممارسات الدخيلة على مجتمعنا اليمني، والمستوردة من خارج حدود الوطن والتي لا تُمثّل ثقافتنا اليمنية الأصيلة.

فمؤسساتها الاعلامية تعمل بفاعلية ونشاط دؤوب، للهيمنة على العالم الاسلامي ثقافيا، من خلال المواضيع والبرامج التي تبثها قنواتها المتعددة , وتترجمها وسائل التواصل الاجتماعي من خلال ترويج الأفكار المسمومة التي تهدف إلى تغيير أنماط السلوك والعادات والقيم المجتمعية، والتي بدورها تهدم بنيان الأسرة الواحدة بما تجلبه من سلوكيات خاطئة تؤثر على العلاقات الأسرية والمجتمعية، بل وتعمل على تحجيم الثقافات الأصيلة الموروثة ووصفها بالثقافات القديمة والبالية التي لا تصلح لهذا العصر، لأنها لا تلبي متطلبات الشباب ولم تمنحهم الحرية الكاملة في أن يمارسوا جميع ما يحلمون به – حسب زعمهم- ، لتصبح فئة واسعة من أفراد المجتمع -خصوصا الشباب- تعيش في عالم افتراضي بين جنبات الأفلام والدعايات والرسائل والألعاب التي تبث سمومها وترسخ قيمها في عقولهم.

لذلك فإن خطورة هذه الأجهزة المفتوحة على ثقافات العالم أعمق وأكبر مما نظن، فالحروب أصبحت تُدار اليوم بهذه الوسائل دون الحاجة للأسلحة الفتاكة.. فعدة أشخاص يعملون على إدارة تلك الأنظمة الإلكترونية كفيلة بأن تحرّك الشعوب وتغيّر الأفكار وتشعل الحروب.

كما يلعب التمويل الذي تمنحه الدول الغربية للقنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي، دور كبير في تسويق الثقافات الدخيلة على المجتمعات المحافظة التي تربّى عليها الأبناء والآباء، ويعزفون خصوصا على وتر المال لتشكيل الدافع والحافز لنشر تلك الأفكار والثقافات.

ولا حلّ للمجتمع ولشبابه بشكلٍ خاص سوى العودة إلى هويتهم الإيمانية وثقافتهم اليمنية الأصيلة والتي تشكّل حاجزاً منيعاً أمام كل التحديات التي تواجههم لطمس الهوية السمحاء.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

أمريكا ودورها المباشر
في الحرب على المشروع القرآني

مركز البحوث والمعلومات

رجب 1444هـ فبراير 2023م

" المشروع القرآني منتصر، وأتى ليبقى، وعندما قتل المجرمون شهيد القرآن في الحرب الأولى ظنوا أنه انتهى، وأول ما حرصوا عليه أن يبشروا السفير الأمريكي في صنعاء بذلك "

" الواقع أثبت أن المشروع القرآني كلما حورب ازداد قوة وتعاظما وتجذرا، وهو حاضر اليوم بمستوى الساحة الإقليمية كلها بفاعلية عالية "

قائد الثورة في كلمته بمناسبة الذكرى السنوية للشهيد القائد1444هـ

منذ تلقّى العميل "علي عبدالله صالح" رسالة شكر من قائد القيادة المركزية الأمريكية " جون أبي زيد" في العاشر من سبتمبر 2004م , يهنئه ويشكره على قتله للسيد حسين بدرالدين الحوثي ويدعوه لاستمرار التعاون المشترك , اتضحت الصورة القاتمة لمن لم يكونوا مدركين حقيقة المؤامرة الكبرى بين نظام العميل "صالح " والأمريكان ترتيباً وتنفيذاً لشن الحرب على صعدة للقضاء على المشروع القرآني من خلال استهدافهم المباشر للشهيد القائد والمؤمنين معه .. فكيف كان ذلك؟

التحضيرات الأولى :

تحت دعوى حضوره " قمة الثمان الصناعية" بولاية جورجيا الأمريكية في يونيو 2004م التقى العميل صالح بالرئيس الأمريكي حينها جورج بوش ونائبه ديك تشيني ووزيري الدفاع والخارجية رامسفيلد وكولن باول ,بالإضافة لمسئولين في الـ CIA والـ FBI,لاستكمال التحضيرات للحرب على صعدة التي كان قد بدأها العميل صالح في لقائه بقائد القيادة المركزية الأمريكية " جون أبي زيد" في 20 مارس 2004م , سبق ذلك زيارة قام بها السفير الأمريكي بصنعاء حينها " أدموند هول" إلى صعدة , ووجه حكومة العميل "صالح " بسحب السلاح الخفيف والمتوسط من الأسواق المحلية كعملية استباقية لنزع سلاح أبناء المجتمع وشل قدرتهم على المقاومة في الحرب التي يجري التحضير لها بسابق إصرار وترصّد .

وتأكيداً لهذه التحضيرات واللقاءات المكثفة بين نظاميّ العميل صالح والشيطان

الأكبر ,عاد صالح من زيارته تلك لأمريكا نافشاً ريشه لينفّذ بعد وصوله لصنعاء بأيامٍ قليلة حربه العدوانية على صعدة الإنسان والشجر والحجر, وليثبت صدق ولائه لأسياده الأمريكان , في وحشيةٍ لم تشهد لها المنطقة مثيل .

السرّ الحقيقي للعدوان الأمريكي على صعدة :

منذ انطلاقة صرخة الحق, شعار الحريّة والعزة والكرامة على لسان الشهيد القائد السيد حسين بدرالدين الحوثي في السابع عشر من شهر يناير 2002م على رواق مدرسة الإمام الهادي بمرّان صعدة, لم يهدأ لدول الإستكبار والضلال بال , ولم يصلُح لعملاء الأمريكان والصهيونية محليين وأعراب أيّ حال .

منذها, أشعلت دول الاستكبار حروبها بشكلٍ علنيّ بعد أن استمرّت لعقودٍ كثيرة تُخفي حربها ضد الإسلام والمسلمين مختبئةً خلف عملائها وجلاوزة الأنظمة العميلة لتفتك بالشعوب الإسلامية واحدة إثر أخرى .

ففي زيارته لصعدة أوائل العام 2004م أخذ السفير الأمريكي بصنعاء "أدموند هول" بيده بخّاخ طلاء وقام بخدش "الشعار" المطبوع على جدران المدينة, خوفاً وهلعاً لإدراكه بمدى تأثير شعار الصرخة على نظامه المتصهين .

وقد ذكر الشهيد عبدالكريم جدبان رحمه الله – وهو أحد الوسطاء الذين أرسلهم "صالح" إلى الشهيد القائد - في تصريح له أن "الرئيس" قال له بالحرف الواحد " كلمهم يتركوا الشعار وإلا سأزيل جميع العمائم"

والحقيقة أن " الشعار " لم يكن موجهاً ضد نظام صنعاء بل هو في أساسه ضد أنظمة دول الاستكبار العالمي وعلى رأسها أمريكا و"إسرائيل " بالإضافة لمقاطعة بضائعهما, إلا أنه سبّب حرجاً بالغاً لنظام العميل "صالح" أمام الأسياد , وأكد ذلك في أحد خطاباته من أن سبب الحرب على صعدة هو " الشعار" , بل ذهب "صالح" لأبعد من ذلك في رسالة بعث بها إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش مؤكدا أنه لا يوجد خلاف مع من أسماهم بـ"الحوثيين" سوى أنهم يعادون الولايات المتحدة ويرفعون شعار الموت لأمريكا.

في السياق ذاته أكد الشهيد القائد رضوان الله عليه لصحيفة صوت الشورى في

عددها (489) والصادر بتاريخ 30يونيو2004م أن رسالة من "الرئيس" وصلته مفادها " أن نتوقف عن ترديد الشعارات ضد أمريكا وإسرائيل أو أنه سيسلط علينا من لا يرحمنا "

ورغم الدور المباشر لأمريكا في قتل السيد حسين , بعد أن فشل نظام "صالح " في الإجهاز عليه بعد شهرين من شن الحرب الأولى على صعدة في يونيو2004 , تمثل بوصول قائدين عسكريين أميركيين إلى العاصمة صنعاء بهدف مساعدة النظام على حسم المعركة تحت ذريعة محاربة الإرهاب , إلا أن " صالح" حاول تجيير الانتصار له وأشاد بقادة عسكريين وأمنيين منهم وزيري الدفاع والداخلية وكذلك قائد المنطقة العسكرية الشمالية الغربية "علي محسن الأحمر" وقائد القوات الجوية محمد صالح وكذلك قوات الامن المركزي ورئيسها يحيى صالح, للتقليل من الدور الأمريكي , مما أثار حفيظة النظام الأمريكي وفقا لوثيقة نشرتها ويكليكس عام 2014م.

وثيقة ويكليكس كشفت عن رسالة أرسلها السفير "توماس كراجيسكي" إلى الخارجية الأمريكية أشار فيها إلى إن نظام "صالح" قلل من الدور الأمريكي في قتل السيد حسين،رغم المساعدة المباشرة التي قدمتها أمريكا لتنفيذ العملية.(تفاصيل أكثر في نص الوثيقة الحادية عشر)

كما كشفت وثائق هامة تم الإفصاح عنها بعد انتصار الثورة المباركة في الحادي والعشرين من سبتمبر 2014م ، عن التحضيرات والمشاركة العسكرية المباشرة لأمريكا في الحرب على الشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي والحروب الظالمة على محافظة صعدة بدءً من يونيو 2004م.

وأوضحت الوثائق السرية، مدى التنسيق لزيارة قائد القوات الأمريكية في منطقة القرن الإفريقي لليمن ولقائه بقادة وزارتي الدفاع والداخلية بالعاصمة صنعاء خلال الحرب الأولى على الشهيد القائد.

وعرضت الوثائق، محضراً لاجتماع اللجنة الأمنية العليا، المتضمن التوجيه بالقضاء على المجاهدين في بعض مناطق صعدة خلال 72 ساعة قبل وصول قائد القوات المركزية الأمريكية إلى اليمن بأيام.

كما كشفت الوثائق، معلومات بطلب وزير الخارجية اليمني، من إيطاليا بتقديم الدعم للحرب على السيد حسين بدر الدين الحوثي أسوة بفرنسا وأمريكا، وكذا رسالة شكر موجهة من قائد القيادة الأمريكية يشكر فيها " صالح" على قتل الشهيد القائد ودعوته إلى استمرار التعاون المشترك بينهما.

وأكدت سلسلة من الوثائق السرية حقيقة الدور الأمريكي في المشاركة الجوية من خلال طائرات الاستطلاع والرصد التي شاركت في الحرب الأولى على السيد حسين بدر الدين الحوثي، ثم استمرت وزادت كثافتها خلال الحروب الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة على صعدة.

فيما أوضحت ثلاث وثائق مرسلة من العميل " صالح" اثنتان منها لوزير الداخلية – رئيس اللجنة الأمنية العليا بتاريخ 15 / 19 يونيو 2005م، عن الهدف الحقيقي لشن سلطة صالح الحروب على محافظة صعدة، بإسكات الأصوات المرددة لشعار الصرخة, فيما كشفت الثالثة عن رسالة وجهها "صالح" إلى رئيس دولة الإمارات خليفة بن زايد آل نهيان، بتاريخ 25 أغسطس 2008م، طلب "صالح" دعماً من الإمارات في الحرب على الشهيد القائد ومحافظة صعدة.

تفاصيل الوثائق السرية للدور الأمريكي

الوثيقة الأولى:

تكشف وثيقة سرية من دائرة الاستخبارات العسكرية في صنعاء أن الجنرال أبو زيد قائد القوات المركزية الأمريكية قام بزيارة غير معلنة لقيادة القرن الأفريقي بتاريخ 8/9 / 2004م ، وغادرها بنفس اليوم إلى جهة غير معلنة.

وتكشف الوثيقة نفسها بأن الجنرال سمويل هالن، قائد القوات الأمريكية في منطقة القرن الأفريقي سيقوم بزيارة إلى اليمن خلال الفترة 21-22 / 8 / 2004م سيلتقي فيها قيادات وزارة الدفاع ووزارة الداخلية بالعاصمة صنعاء.

الوثيقة الثانية:

قبل تلك الزيارة وحرصاً من النظام على تحقيق انتصار قبل وصول القائد الأمريكي كشفت وثيقة لوزارة الدفاع مركز القيادة والسيطرة بتاريخ 2004/8/16م ورقم (501257) تحت عنوان سري جداً تتضمن محضر اجتماع للجنة الأمنية العليا لمناقشة نتائج اللقاء مع قائد المنطقة العسكرية الشمالية ومحافظ صعدة وبعد نقاش أكدوا على استكمال ما أسموه تنفيذ مهمة تصفية الجيوب المتبقية للمتمردين خلال 72 ساعة في المناطق سلمان / قرعين/ الجِنِي / الجميمة / كنية وكذلك إرسال سرية من مكافحة الإرهاب في صعدة مع طائرات هيل لتنفيذ أي مهمة طارئة وبالنظر إلى تاريخ الاجتماع يوم 2004/8/15م وتاريخ وصول قائد القوات المركزية الأمريكية يوم 21 – 22 /2004/8م، فإن سلطة صنعاء حاولت أن تحرز تقدماً ونصراً قبل وصول القائد الأمريكي بيومين.

الوثيقة الثالثة:

تتضمن محضر لقاء بين وزير الخارجية اليمني والسفير الإيطالي بتاريخ 2004/7/5م وتتضمن طلب دعم إيطالي للحرب على السيد حسين داعياً إيطاليا لتحذو حذو فرنسا وامريكا في الدعم، وتقول الوثيقة ..

"وأشار الأخ الوزير ... إلى أنه يتقدم إلى الحكومة الإيطالية للحصول على سترات واقية ضد الرصاص

لحماية الجنود، مشيرا إلى أن الحكومة "اليمنية" تلقت الدعم من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبعض الدول العربية".

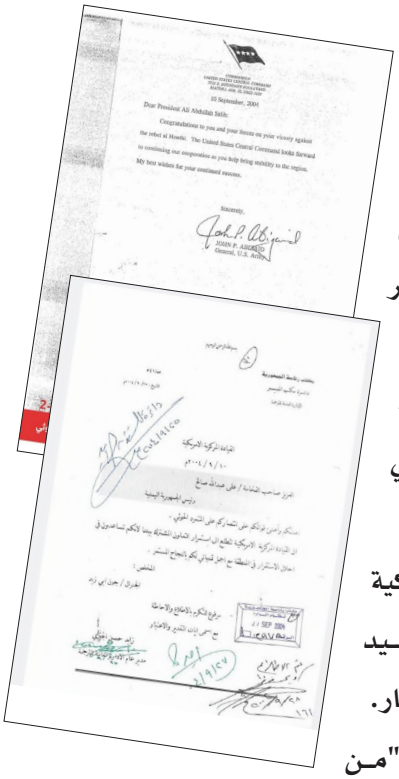

الوثيقة الرابعة:

شكر أمريكي لعلي صالح على قتل الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي ليدلل على ولائه وإنجازه للمهمة التي كلف بها من قبل الأمريكيين حدد علي عبدالله صالح يوم العاشر من سبتمبر 2004 أي قبل موعد الذكرى الثالثة لأحداث 11 سبتمبر بيوم واحد، أعلن علي عبدالله صالح تمكنه من الشهيد السيد حسين بدر الدين الحوثي وقتله في منطقة سلمان.

وفي نفس اليوم وجه قائد القوات المركزية الأمريكية جون أبي زيد، شكره لعلي عبدالله صالح على قتل السيد حسين بدر الدين الحوثي، وتهنئته بما قال إنه انتصار.

وفي الرسالة الموجهة بتاريخ 10 سبتمبر 2004م، "من جون أبو زيد قائد القوات المركزية الأمريكية إلى العزيز صاحب الفخامة علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية اليمنية"، قال فيها " أهنئكم وأهنئ قواتكم على انتصاركم على المتمرد الحوثي، إن القيادة المركزية الأمريكية تتطلع إلى استمرار التعاون المشترك بيننا لأنكم تساعدون على إحلال الاستقرار في المنطقة مع أسمى آيات التقدير والاعتبار".

الوثيقة الخامسة :

في الوثيقة التي تحمل رقم (750) وتاريخ 2004/10/21م المرفوعة من دائرة الدفاع والأمن بمكتب رئاسة الجمهورية إلى مدير المكتب تحت عنوان التعاون العسكري اليمني الأمريكي تذكر تفاصيل تسليم أمريكا خرائط جوية لصعدة.

ورد في الوثيقة تحت عنوان الخرائط المسلمة من الجانب الأمريكي "في يوم 25 /10/ 2004م، قام مساعد الملحق العسكري الأمريكي لدى بلادنا بإيصال الخرائط التي طلبها الأخ/ رئيس هيئة الأركان العامة الخاصة بمنطقة صعدة إلى دائرة الاستخبارات العسكرية العامة وعددها (19) خريطة خاصة ببعض مناطق م/ صعدة".

وتضيف الوثيقة بأن الولايات المتحدة ترغب في مساعدة وزارة الدفاع اليمنية بتصوير المناطق الجديدة التي ترغب بتصويرها باستخدام طائرة الاستطلاع الأمريكية نوع (يو2-)، وأن الصور الجديدة ستكون أوضح وذات مقياس رسم أكبر، وطلب تحديد أكثر من مائتي منطقة؛ لأن ذلك سيكون أفضل من ناحية التكاليف عند القيام بتصويرها مرة واحدة (على أن يكون الرد في أقرب وقت ممكن).

الوثيقة السادسة :

برقم (102) وتاريخ2005/2/8م تتضمن ملخصاً لأهم ما جاء في محضر لقاء وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان العامة اليمني مع قائد القيادة المركزية الأمريكية جون أبي زيد حول تدريب القوات اليمنية، وطلب الجانب اليمني إعادة تصوير مناطق صعدة بطائرات الاستطلاع الأمريكي.

حيث جاء في الوثيقة، أنه بتاريخ2005/1/31م رفع الأخ/ رئيس هيئة الأركان العامة برسالة إلى المكتب أرفق

بهـا صـورة مـن محـضر لقائـه والأخ وزيـر الدفـاع مـع الجـنرال جـون أبي زيـد -قائـد القيـادة المركزيـة الأمريكيـة يـوم 4 يناير 2005م.

وكان مـن أهـم مـا طرحـه القائـد الأمريـكي في اللقـاء عـدة ملفـات عسـكرية منهـا (بخصـوص طلـب بلادنـا للقيام باسـتطلاع جـوي أمريكي إبان مشـكلة الحـوثي، فإنه أفاد بأنـه قـد تحـدث شـخصيا مـع الرئيـس بـوش بشـأن ذلـك وحصـل عـلى الموافقـة بذلـك).

ثـم تحـدث "وزيـر الدفـاع اليمني حينها بقولـه" إن الجانب اليمني لا يـزال يريد أن يتم هـذا الأمـر بالنسـبة لوضـع الخرائـط لبعـض المناطـق، وسـيحدد المناطق التـي يريد وضع خرائـط لها.

ويضيـف رئيـس هيئـة الأركان العامـة بأنـه جـرى تصوير عدد مـن المناطـق بنوعين من الطائـرات خاصـة منهـا المناطـق الخطرة .. وقال "قد تسـلّمنا من الملحق العسـكري خرائط لصعـدة وديسـكات غـير أننـا لم نسـتطع تحويلهـا إلى خرائـط، لذلـك فنحـن نحتـاج إلى الخرائط مع صورها".

محضر لقاء
طائرات الاستطلاع الأمريكية قامت بعمل خرائط جوية وتحديد الإحداثيات

الوثيقة السابعة :

وفي سـياق التحضـير للحـرب السادسـة دخلـت المانيـا إلى جانـب أمريـكا في المسـح الجـوي وتصويـر الخرائط بذريعـة اختطـاف الألمـان الذي اتضح فيما بعـد أنها كانت مجـرد ذريعـة لشـن الحرب السادسـة.

ففـي وثيقـة بتاريـخ 6 /2009/7م تحت عنوان محضر لقـاء بنائـب رئيس الـوزراء لشـؤون الدفـاع والأمن وزير الإدارة المحليـة مـع السـفير الألمـاني تحـدث فيهـا نائـب رئيـس الـوزراء بأنـه طلـب المسـاعدة مـن الجانـب الألمـاني وقامـت الطائـرة الألمانيـة بالتصويـر ويتسـاءل هـل سـلمت النتائـج للفريـق الأمنـي للاسـتفادة منهـا، فيجيـب السـفير الألمـاني نعـم سـلّمت قبـل عشرة أيـام للأمـن القومـي ووزير

الداخلية، ثم يتحدث نائب رئيس الوزراء حينذاك بقوله "هناك طائرة أمريكية سوف تصل لتنفيذ بعض المهام المتعلقة بالموضوع، وهذا ربما يساعد في كثير من الأشياء التي تقوم بها، والوضع يستدعي وجود تعاون إضافي من الجانب الألماني".

الوثيقتان الثامنة والتاسعة:

كشفت الوثيقتان الموجهتان لوزير الداخلية - رئيس اللجنة الأمنية العليا بتاريخ 15 / 19 يونيو 2005م، عن الهدف الحقيقي لشن سلطة صالح الحروب على محافظة صعدة، بإسكات الأصوات المرددة لشعار الصرخة.

وتطرقت الوثيقتان إلى ممارسات سلطة صالح، ضد كل من يردد شعار الصرخة باحتجازهم وسجنهم وتوقيفهم وإحالتهم إلى القضاء، إرضاءً لأمريكا وليس كما كانت تردده السلطة الظالمة حينها أن الحروب على صعدة سببها التمرد والإمامة.

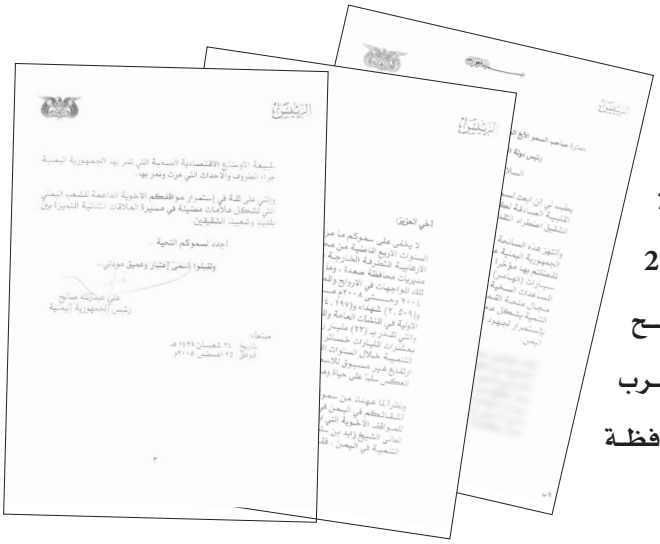

الوثيقة العاشرة :

تضمنت هذه الوثيقة التي وجهها صالح إلى رئيس دولة الإمارات خليفة بن زايد آل نهيان، بتاريخ 25 أغسطس 2008م، طلب صالح دعماً من الإمارات في الحرب على الشهيد القائد ومحافظة صعدة.

ووفقاً للوثيقة، اعترف نظام صالح بالخسائر المالية والبشرية الكبيرة التي قدمتها في الحروب على محافظة صعدة خلال الفترة -2004 2008م، خدمة لأمريكا وتنفيذاً لأجندتها في إجهاض مشروع المسيرة القرآنية.

الوثيقة الحادية عشر :

في هذه الوثيقة التي نشرتها ويكليكس كشفت فيها عن رسالة أرسلها السفير "توماس كراجيسكي" إلى الخارجية الأمريكية أشار فيها إلى إن نظام "صالح" قلل من الدور الأمريكي في قتل السيد حسين ، رغم المساعدة المباشرة التي قدمتها أمريكا لتنفيذ العملية.

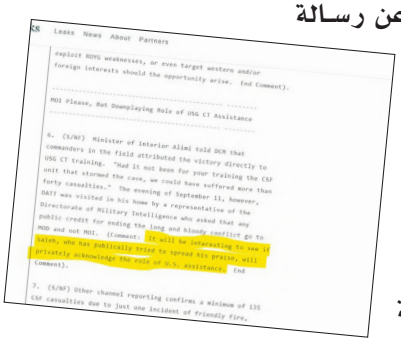

يقول السفير في الرسالة : " قاد فريق مكافحة الإرهاب المدرب من قبل حكومة الولايات المتحدة العملية ، مما أسفر عن مقتل الحوثي وإطلاق النار على عضو واحد من وحدة مكافحة الإرهاب ، واثنين من أفراد قوات الأمن المركزي العادية".

وتحت عنوان " التقليل من دور مساعدة حكومة الولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب" يقول السفير الأمريكي: " صرح وزير الداخلية العليمي لـ نائب رئيس البعثة الأمريكية في اليمن أن القادة الميدانيين نسبوا الانتصار مباشرة إلى التدريب الأمريكي . "لولا تدريبكم لوحدة الأمن المركزي التي اقتحمت الكهف ، لكنا خسرنا أكثر من أربعين ضحية" , ومع ذلك ، في مساء يوم 11 سبتمبر ، تمت زيارة الملحق العسكري للولايات المتحدة في منزله من قبل ممثل دائرة المخابرات العسكرية الذي طلب أن يذهب الفضل العام لإنهاء الصراع الدموي الطويل إلى وزارة الدفاع وليس إلى وزارة الداخلية" .

وذيّل السفير الأمريكي رسالته بتعليق كتب فيه "سيكون من المثير للاهتمام معرفة ما إذا كان صالح ، الذي حاول علانية نشر مدحه ، سيعترف بشكل خاص بدور المساعدة الأمريكية".

(وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ) :

نخلُص من كل ما سبق أن الحرب على صعدة واستهداف الشهيد القائد والمؤمنين معه , وشن حروباً عدوانية متعددة بدأت في يونيو2004م مروراً بستة حروب لاحقة , وتوّجت بحربٍ سابعة بتحالفٍ عالميّ تقوده أمريكا وربيبتها " إسرائيل " وتنفذاه بمعيّة أدواتهما من الأعراب , كل ذلك لإسكات صوت الحق ومحاولة لإطفاء نور الهدى , قد باءت بالفشل.

" وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ" جزعاً أمام صلابة رجال الرجال الذين لقّنوا دول الاستكبار وأدواتهم دروساً لن ينسوها , أدركوا أن كل ما فعلوه وما أنفقوا وحشدوا له من أقوى الأسلحة الفتاكة – بنظرهم - قد ارتدّ عليهم بالخزي والخسران .

وصدق الشهيد القائد حين قال :

" أقول لكم أيها الاخوة اصرخوا، ألستم تملكون صرخة أن تنادوا: [الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام] ، أليست هذه صرخة يمكن لأي واحد منكم أن يطلقها؟

بل شرف عظيم لو نطلقها نحن الآن في هذه القاعة فتكون هذه المدرسة، وتكونون أنتم أول من صرخ هذه الصرخة التي بالتأكيد – بإذن الله – ستكون صرخة ليس في هذا المكان وحده، بل وفي أماكن أخرى، وستجدون من يصرخ معكم – إن شاء الله – في مناطق أخرى:[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام] ، هذه الصرخة أليست سهلة، كل واحد بإمكانه أن يعملها وأن يقولها؟ ، إنها من وجهة نظر الأمريكيين – اليهود والنصارى – تشكل خطورة بالغة عليهم ."

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

الرئيس الشهيد صالح الصماد ..
أيقونة وعي .. ومنار هُدى

مركز البحوث والمعلومات

شعبان 1444هـ فبراير 2023م

" في الذكرى السنوية للأخ العزيز الرئيس الشهيد/ صالح علي الصَّمَّاد "رَحْمَةُ اللَّهِ تَغْشَاه"، نستذكره - وهو الحاضر في وجداننا، وفي وجدان شعبنا، وفي مسيرة عملنا وجهادنا - نستذكره نموذجاً إيمانياً يجسِّد هوية شعبه، والانتماء الإيماني لشعبه، نموذجاً للصدق والوفاء، ونموذجاً للصبر والتضحية والعطاء، نموذجاً في سعيه الدؤوب لما فيه مرضاة الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، والخدمة لشعبه، والمناصرة لقضايا أمته." قائد الثورة في كلمته بالذكرى السنوية للشهيد الرئيس صالح الصماد 1444هـ

صبرٌ وسؤدد :

لا ندري من أين نبدأ الحديث عن " المواطن الصالح " و" الرئيس المكافح" الشهيد الرئيس صالح الصماد " رحمة الله تغشاه ", فهو كـ " البحر من أيّ النواحي أتيتَهُ" علماً وفقهاً وفهماً وسعةً ودرايةً وأخلاقاً وفطنةً وإيماناً وثباتاً ووفاءً وحِلْماً ومثاليةً وزهداً وتواضعاً واستقامة .

صبر فنال , وصمدَ فظفر , واجتهد فوصل , وسعى بيقين المؤمن فاستلم الجائزة , جائزة الشهادة وسؤدد الخلود , وهل هناك جائزة أرقى من الشهادة ..!

المسيرة الناصعة :

تميزت حياة الشهيد الصماد بصدق انتمائه للمشروع القرآني العظيم , وبانطلاقته الجدّية منذ وعى عظمة مسئوليته تجاه الهدف الأنبل للمشروع منذ بواكير حياته ,حيث تميّز بوفائه وثباته على المشروع القرآني في مرحلته الأصعب حضوراً وتفانياًوبذلاً لجهدٍ كبيرعزّز به الأولويات المهمة إزاء مجتمعه وصولاً إلى التصدّي البارز للعدوان على وطنه .

فقد تميّز الشهيد الرئيس في مرحلة العدوان بحضوره الأبرز تحشيداً للشعب , وتطويراً للقدرات والإمكانات الرسمية للدولة نهوضاً بها للتصدي للعدوان , توازياً مع تفانيه في خدمة الشعب , وسعيه الدؤوب لتوحيد الصف الداخلي , إذ كان يملك

قدرة فائقة في لملمة الفرقاء وإيجاد الحلول للتقارب وتوحيد الجهود باتجاه التصدي للعدوان , مما جعله هدفاً أساسياً للاستهدافمن العدوّ إذ شكّل خطراً كبيراً عليه .

لونان لا ثالث لهما :

منذ جسّد الرئيس الصماد شعار ثورة الحادي والعشرين من سبتمبر المباركة " يدٌ تحمي ويد تبني" رسم الملامح الأساسية لبناء الدولة الحديثة , دولة النظام والقانون , دولة العدل , دولة المؤسسات , دولة الجيش القوي والبناء الفتيّ.

منذ جسّد ذلك واقعاً ملموساً أصبح يُعرف به وتتعلّق الآمال بحبل نجاته – بعد الله – أيقن الجميع في الداخل والخارج مقدار عظمة هذا الرجل وتألق مشروعه التنفيذي المُستمدّ من عظمة المشروع القرآني بلورةً في واقع الدولة , واقتراباً في حياة المواطن .. حيث لا ألوان باهتة, بل هما لونان لا ثالث لهما , لون الحماية ولون البناء .

حياةٌ متجدّدة :

نعم رحل " الصماد" جسداً , لكنّ روحه باقية وخالدة بقدر ما أحدثه من حراكٍ هائل في ضمير الطبقة المسؤولة وفي وجدان الشعب , بل وفي أعين خصومه وأعدائه الذين بذلوا كل ما بوسعهم للنيل منه ظناً منهم إن أجهزوا عليه يكونوا قد أخمدوا ضوء العزيمة ومسارات الإصرار والطموح المشروع لأبناء هذا الوطن .

هذه الحياة المتجددة التي حظى ويحظى بها شهيدنا الرئيس جعلت منه أيقونة نصر , أيقونة وفاء , أيقونة عزة وكرامة , أيقونة نكران للذات , أيقونة وفاق, أيقونة ثبات , أيقونة الهمم العالية والموقف المسؤول .

أراد العدوّ أن يمحو أثره , وأراد الله أن يُحيي مآثره , وأن يُعلي ذكره , وأن يجعله فناراً تهتدي به العقول الحائرة في موقع المسئولية , وتقتدي به النفوس التواقة للوصول إلى جادّة الحق والعدل والحرية.

المسئول الأول :

كان الرئيس الصماد نموذجاً رائداً في تحمّل المسئولية , مسئولية الرجل الأول في رئاسة البلد , ذلك المنصب الذي جاء إليه دون سعياً منه , بل تسنّمه بعد إلحاحٍ شديد بدافع استشعاره للمسئولية من منطلقه الإيماني , لذلك تميّز بالاهتمام بعمله و بنشاطه الدؤوب خدمة لشعبه الذي عرف عنه سعة صدره رغم ما واجهه - بحكم مسئوليته الكبيرة - في الكثير من التحديات والصعوبات والمشاكل وتحمّل الكثير من الهموم؛ علاوة على ما واجه من لوم وانتقاد وإساءات.

لحن الجهاد :

منذ اللحظة الأولى لتسلّمه منصب " الرئيس" , واصل الشهيد الصماد اهتمامه المستمرّ في جعل التصدي للعدوان أول اهتماماته من خلال التعبئة الشعبية الواسعة والنشطة , والمساندة المستمرة للجيش ودعمه المعنوي الكبير لرجال الرجال في ميادين الجهاد .

تلك الجهود الكبيرة للشهيد الصماد والشهداء الذين تحركوا بكل جد وبتضحية كبيرة وأنجزوا وحققوا الشيء الكثير والكبير, بالرغم من حجم العدوان وإمكاناته الهائلة بالمعيار الدنيوي , وهجماته الحاقدة على كافة المستويات ومن كل النواحي عسكريا وسياسيا وإعلاميا واقتصاديا وفي كل مجال اعتقد فيه العدوّ أن ينال من صبر وثبات هذا الشعب العظيم .

صدقٌ وسعي :

كان الشهيد الصماد يدرك بوعي كبير أن التحرك يسبقه إيمان وصدق ودافع , لهذا صَدَق الوعد , وسعى بكل ما استطاع لحماية إنسانه وبناء وطنه , رافضاً كل مغريات الحياة , متحمّلاً كل العوائق والاتهامات والمزايدات , ماضياً نحو هدف كبير بحجم المشروع القرآني وقد اتخذه منهجاً لا يساوم عليه ولا يقبل النيل منه .

ولأنه كان نموذجا يُحتذى به في التضحية والفداء لشعبه والمصداقية مع الله , تكسّرت كل سهام العدوّ على صخرة يقينه , وتلعثمت كل خطابات الكراهية أمام فصاحة بيانه وصدق لسانه , وتهاوت كل مؤامرات العدو ومرتزقته أمام سلاح صموده ورباطة جأشه , ونُبل سريرته .

محور المسئولية :

أدرك الشهيد الرئيس عظمة مسئوليته فانطلق بها نحو غدٍ مشرق , باذلاً كل ما بوسعه وما لا يستطيع عليه أي مسؤول في التحرّك الجاد والعقلانيّ للوثوب بشعبه لتحقيق خطواتٍ عملاقة رسّخت المعنى الحقيقي لرجل الدولة , وألهمت من جاء بعده حاملاً ذات الهدف للاستمرارية المسؤولة للوصول للغاية المنشودة برفعة عزة وكرامة اليمن الحبيب .

ففي مرحلة رئاسته للدولة , كان الرجل المثالي المتجرّد من تبعات الانبهار بالمنصب والركون عليه واستثماره مادياً ومعنوياً , بل رحل عنه وهو لم يملك حتى بيتاً , أو يتخذ لنفسه استثماراً مهما كان صغيراً , كما فعل من وصلوا للمنصب قبله نهباً لأموال الشعب , وامتلاكاً لمدن وشركات تجارية استثمارية , وعمّروا القصور , وخرجوا من مناصبهم يحملون الخزي والعار والأوزار الكبيرة جرّاء ظلمهم لشعبهم الذي أفقروه ونهبوا ثرواته .

الثبات الواعي :

لم يكن الشهيد الصماد يؤدي دوراً رسمياً وحسب , بل كان ثباته الواعي أمام متغيرات الأحداث دافعاً أساسياً لانطلاقته الخالدة وهو يتخطّى العقبات صوب الحلم المنشود , ممعناً بيقين المؤمن الصابر أن ذلك الثبات على المبدأ هو المعيار الحقيقي لتحقيق ما يصبو إليه .

درب الشهادة والخلود :

" علوَّ في الحياةِ وفي المماتِ .. لحقٌّ أنتَ إحدى المعجزاتِ"

كانت الشهادة في سبيل الله حُلماً يسعى إليه الشهيد الصماد وتحقق له , والخلود عملاً صالحاً فاستحقه عن جدارة , وسيظل أيقونة وعي , ومنار هُدى , ومدرسةً يتتلمذ على منهج صمودها الأجيال تلو الأجيال , ومزاراً تستلهم منه القلوب طمأنينة الحق والنصر , والعقول وعياً وفكر , وذوي المناصب منهجاً وصبر , وأما العدوّ سيرى فيه – شاء أم أبى – خلاصة الثبات والعزة والإنتصار .

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center
وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

شهداء .. وشهيد

قصة إنسانية من واقع العدوان على اليمن

نقلها من الميدان :
محمد الغفاري

سلسلة : قصص إنسانية من واقع العدوان على اليمن
1

• ملخص القصة :

في الساعات الأولى من فجر يوم الخميس الـ17من سبتمبر2015م قام تحالف العدوان الأمريكي السعودي بقصف منازل المواطنين الآمنين بمدينة صنعاء - حي الجراف الشرقي - بغارةٍ أولى وثانية وثالثة ورابعة.. وبين غارةٍ وأخرى يتصاعد شهداء إلى السماء, ويتكوّم جرحى , وتتهدّم منازل, ثم ينجو» مصطفى» .

وما بين شهداء وشهيد , وجرحى ومنازل , دعونا نتعرّف على ما حدث من جرائم بشعة في تلك الليلة الحزينة, وما هي قصة الشهداء؟ ومن هو الشهيد ؟ وأين «مصطفى» ؟

• معلومات الجريمة :

- بدأ القصف في تمام الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم الخميس الـ17من سبتمبر2015م .. حيّ الجراف الشرقي بصنعاء.
- تم تدمير خمسة منازل وتضرر عدد كبير من المنازل المجاورة.
- بين غارةٍ وأخرى خمس إلى عشر دقائق , وكل غارة تحصد عدداً من الشهداء والجرحى .
- الغارة الأولى استهدفت منازل « الشامي» و « المهدي» والبعداني» وأدت إلى استشهاد وإصابة عدد من المدنيين.
- الغارة الثانية استهدفت منزل « الحميري» مما أدى إلى استشهاد أربعة بينهم الطفل إياد ياسر الحميري ووالده.
- الغارة الثالثة استهدفت منزل «المؤيد» وحاصرت الأسرة من الخروج من بين الأنقاض، ودمرت بقية المنزل المجاور وأدى ذلك إلى استشهاد «حسين البتامي» وهو من المسعفين ,واستشهاد امرأتين, وإصابة ثالثة بجرح بليغ في العمود الفقري , ومسنّ بإصابة بالغة, والناجي الوحيد ممن كانوا في هذا المنزل طفل رضيع لم يكمل شهره الأول.
- الغارة الرابعة حصدت منزلي «العقيلي» و»درعان» واستشهد وجرح على إثرها عدد من النساء والأطفال والمسعفين.

من صـــور تدمير المـنازل

• قصة غـــــدر :

يتذكر «عباس المؤيد» وهو إبن وأخ الشهيدتين والجرحى وخال الطفل :

(لـن أنـسى تلـك الليلـة , ليلـة الجريمـة البشعة التـي فارقـتُ فيهـا جـزء مـن أسرتي كشـهداء , وأُصبـتُ بـألم جـراح البقيـة منهـم ..

كنـتُ خـارج المنـزل وحـين علمـتُ بقصـف منزلنـا ومنـازل الجـيران نـزل الخـبر عـليّ كالصاعقـة , فهرعـت للمنـزل لأشـاهد مـا حـدث وأودع الشـهداء ..

فبعدمـا سـمعت أسرتي ضربـة الغدر الأولى والتي كانت في أحد المنازل المجاورة استعدوا مسرعـين للخـروج مـن المنـزل , إلا أن قائـد طائـرة العـدوّ لم يمنحهـم الوقـت الـكافي للخـروج والنجـاة بحياتهـم ليعاجلهـم بغـارة غدرٍ ثانية عـلى منزلنا ومنزل مجـاور لنا ما أدى إلى تدمـير منـزل جيراننـا ونصـف مـن منزلنـا , فحاولت أسرتي الخـروج مرة أخرى غـير أن ركام الفجيعـة منعهـم مـن ذلـك فاسـتنجدوا بأخـي الأكبر ليأتي بسُـلّم يسـتعينون بالنـزول عليـه في كومـة الأنقـاض .. لكـن لم يكـد ينتهـي الإتصـال بأخي حتـى حلّت بهم ضربـة الغـدر الثالثـة, وعـمّ السـكون ..وانجلى الغبـار على استشـهاد أمي وأختـي الكبرى , وإصابـة أبي , وأختـي الصغـرى أصيبـت بكسر في العمـود الفقـري في حـين نجـى طفلها الرضيـع « مصطفـى « الـذي لم يكمـل شـهره الأول آنذاك ..

مجـرد وصـول أخـي الأكـبر إلى جـوار منزلنـا لإخـراج العائلة , غـدر بهم طـيران العدوّ للمـرة الرابعـة مـما أدى لإصابتـه وإصابـة عدد من المسـعفين ..

أمـا الطفـل « مصطفـى» فهـا هـو الآن في الثامنـة مـن عمـره, ويعيـش بفضـل الله مع والديه ..

ومـا زلـت أتسـاءل , لمـاذا تـم اسـتهدافهم ومـا هـو ذنبهـم ؟ ذهبـوا وتركـوا بداخلنـا ألم فراقهـم ووحشـية العـدوان المنهـج عـلى بلادنـا لتدمـير كل شيء جميل في هـذه الحياة .. لتبقـى الحصيلـة فواجـع وفقـدان وألم وتدمـير).

• شـــــــهداء :

في تلـك الواقعـة الأليمـة استشـهد عـشرة أبريـاء مـن الرجـال والنسـاء والأطفـال, مـن بينهـم شـهيد سنتوسـع في سرد قصـة اسـتهدافه في الفقـرة التاليـة.

أولئـك الشـهداء لا ذنـب لهـم سـوى أن ممالـك العـدوان الباغـي تتلـذذ بسـفك الدمـاء وهتـك الحُرمـات، ولا أدلّ عـلى ذلـك مـن أن هـذه الجريمـة تزامنـت مع احتفـالات العالم الإسـلامي بعيـد الأضحـى المبـارك .

• شـــــهيد :

الإسـم : بـلال محمـد عبـد اللـه محمـد شرف الدين، مـن مواليـد أمانة العاصمـة صنعاء – مديرية الثـورة – 1990م

العمل : مصور ومراسل لقناة المسيرة الفضائية

تاريـخ الاستشـهاد: صبـاح يـوم الجمعـة 18 / 9 / 2015م عـلى إثـر إصابتـه في جريمـة اسـتهداف حـيّ الجـراف الشرقـي «محـور قصتنـا» بعـد أن هـرع ليـؤدي واجبـه الإنسـاني كمسـعف, والإعلامـي كموثّـق لهـذه الجريمـة النكـراء .

منـذ نعومـة أظافـر شـهيدنا بـلال ، وهـو ذلـك الشـغوف بالعمـل الهنـدسي , والطَمـوح للتميـز في المجـال الإعلامـي، لذلـك بعـد أن حصـل عـلى دبلـوم المعهـد الفنـي بصنعـاء تخصـص هندسـة، التحـق بالدراسـة في كليـة الإعـلام، لينضـم بعد سـنتين فيهـا إلى فريق قنـاة المسـيرة منـذ نشـأتها ..

في تقريـر تلفزيـوني للزميـل الإعلامـي (حسـين فايع) يـروي تفاصيل مهمـة من حياة الشـهيد بقولـه : « حتـى كأنـه في أجمـل قصـة عشـق بينه وبـين كاميرته ، مختـصراً حكاية بـين الشـهيد بـلال محمد عبداللـه شرف الديـن وتلك العدسـة الصغيرة ..

منـذ بـدأ عملـه الإعلامـي في بدايـة تأسـيس قنـاة المسـيرة في 2012م علـم أن أيامـه مع الحقيقـة سـتكون مُـرّاً طـوالا .. عمـل في قناة المسـيرة كمصور وممنتـج منذ البدايـة .. كان هـو السـباق لا السـابق فقط، فحمل بابتسـامته وضيـاء روحه مختصرا صورة المشـهد فنقل

بعدسته كل الفعاليات بالصوت والصورة ومن عمق الحدث ..

واكب الثورتين، صوّر أول جريمة للعدوان في بني حوات بالعاصمة صنعاء، ومنذ بداية العدوان تنقّل في أكثر من جبهة لنقل صورة المشهد من الميدان , من عدن إلى لحج، ومن إب إلى صنعاء، فكان صوت الحقيقة وصورتها في آنٍ واحد..

بلال ذو الـ25 ربيعاً، طالبٌ في كلية الإعلام في جامعة صنعاء، أجاد أبعاد الحقيقة فرسمها بعدسته صورة ونسجها بصوته كلماتٍ نطق بها في أروقة الضوء فقرأ من كل قلبه ترنيمة الشهداء الأخيرة ..

بلال أيها البدر الذي اكتمل , لا تلمنا إن تصدّع صبرنا فإن الوصال عزيز..

حبوب سنبلة تجفّ ستملأ الوادي سنابل .. يا دامي العينين والكفّين إن العدوّ زائل».

تضيف (البتول المنصور) عن الشهيد بلال :

« سأكتب لكم على شهيدٍ بذل نفسه في سبيل الله..أكتب هذه الكلمات وأنا على خجلٍ واستحياء.. لأن هذه الكلمات البسيطة لا تستطيع أن تكتب عن ذلك العظيم .. لقد حاولت جاهدةً أن أبحث عن حياة بلال لأقولها لكم..

بلال استشهد ذوداً عن رسالته التي خطها لنفسه في العمل الإعلامي .. لكنه قام بالعمل الإنساني قبل كل شيء.. ذهب ليخرج الأشلاء من تحت الركام، ذهب عندما استشعر موقفه أمام الله وأمام نفسه، ذهب دفاعا عن كرامة الانسان وحرية الانسان ..

فهنيئاً لك يا بلال ما نلت من فوزٍ عظيم, وهنيئا لك شرف الشهادة».

من صور الشـــهداء:

شهيد الإعلام «بلال محمد شرف الدين»

الطفل الشهيد إياد ياسر الحميري

- **جـــــرحى :**

فـاق عـدد الجرحـى في هـذه الجريمة النكـراء الــ 20 جريحا , وتوزعت أجسـادهم على أكـثر من مستشـفى .. ثـم تفرّقت بهم السُـبل ..

يذكـر الجريـح «خالـد الصنعاني» بأنه أصيـب في الغارة الثانية بإصابـة بالغة (كسر في الوجـه و شـظية في الرقبـة وكـسر في اليد اليمنـى) ومازال يعاني جـراء الإصابات إلى الان , مؤكـدا أن اسـتهداف المنـازل كان تحـت ذريعـة تحالـف العـدوان بوجود أسـلحة في المنازل , غـير أن الواقـع وكل أبنـاء المنطقـة يؤكـدون أنـه لم يكـن هنـاك أي مظهـر مـن مظاهـر السـلاح وإنمـا هـي منـازل لمواطنين أبريـاء لاحول لهـم ولا قوة.

من صور الجـــرحى:

• رسالة العدو للمسعفين :

العدوّ الجبان أسرف في عدوانه حدّ استهدافه للمسعفين الذين سارعوا لإنقاذ المواطنين المستهدفين بالقصف المباشر , وكأن العدوّ الغاشم يوجه رسالته البشعة لكلّ من بداخل قلبه غيرة ورحمة وحميّة وعزيمة لإنجاد المغدور بهم بأن عليهم التوقف عن القيام بهذه المهمة العظيمة , رسالة وقحة تقول : دعوا المقصوفين يموتون أو يصارعون الموت ولا تقتربوا منهم لإسعافهم , مالم فأنتم هدف مباشر لصواريخ الطيران ،وبالفعل أفرغ طيران العدوّ ما تبقّى بجعبته على رؤوس المسعفين كما في قصتنا المأساوية هذه .

• أين البقية؟

قد يتساءل القارئ أين حديث بقية أسر الضحايا من الشهداء والجرحى ..!

فالسبب أن غالبية من دمر تحالف العدوان منازلهم أو تضررت قد باعوها ورحلوا إلى مناطق متفرقة .. لكن آثار تلك الجريمة مازالت وستظل باقية .

• خـــــتاماً:

من لم يمت بغارات العدوان الأمريكي السعودي، سيموت آلاف المرات جراء حصار هذا العدوان الغاشم ..

وما بين الغارات والحصار، وقف شعب الإيمان والحكمة من بين الركام أبيّاً شامخاً ليلقّن المعتدي دروساً لم تكن تخطر له على بال .. وقد فعل .

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

المرأة المسلمة

في دائرة الاستهداف الناعم

إعـــداد:
مركز البحوث والمعلومات

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

مقـــــــدمة

سعى ويسعى الغرب الكافر وعلى رأسه النظام الأمريكي وحليفه اللوبي الصهيوني وأعوانهم من عملاء وأدوات عربية لاستهداف المرأة المسلمة وجرها نحو الإنحلال والإنسلاخ عن قيمها الإسلامية وتقاليدها العربية الأصيلة، تحت عدة عناوين وضمن أجندة يعمل عليها ومن خلالها للقضاء على الهوية الإيمانية للمرأة المسلمة ، واتخاذها كسلعة يتلاعب بها ، قاتلاً فيها روح المسئولية العظيمة التي حباها الإسلام لبناء الأجيال والقيام بدورها النبيل وفق أسسه المشرقة، وباعثاً في روح المرأة الكثير من الرغبات المنحرفة تحت مسمّيات متعددة ظاهرها الرحمة وفي باطنها ونتائجها العذاب والويلات في الدنيا والآخرة .

ومنذ الدعوة الأولى لتحرير المرأة وتخليدها على عرش الوهم على لسان إبليس الرجيم، وتزييفه للحقيقة من خلال إلباس الباطل بلباس الحق ،عمد جنوده من البشر إلى حروبهم الناعمة لاستهداف المرأة المسلمة منذ وقتٍ مبكّر، وما زالوا في غيّهم يعمهون .

المرأة في ميـزان اليهـود

يقول الشهيد القائد - رضوان الله عليه - : «اليهود هم يشتغلون، يشتغلون معنا كثيراً ليوجدوا في قلوبنا مرض، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾ (المائدة: من الآية64) إلى أين يتجه هذا الفساد؟ ما هو بيتجه إلى النفوس أولاً؟ ثم ينعكس بشكل أعمال، إفساد في الأرض؛ لأنه حتى ما يحصل من إفساد في الأرض إنما يأتي عن طريق الإنسان نفسه».

لهذا قال أحد اليهود قديماً وهو من الذين تخصصوا وتفننوا في إفساد الشعوب الإسلامية: «إن مكسبنا في الشرق لا يمكن أن يتحقق إلا إذا خلعت الفتاة المسلمة حجابها، فإذا خلعت الفتاة المسلمة حجابها كسبنا القضية واستطعنا أن نستولي على الشرق».

وجاء في بروتوكلات حكماء صهيون: «علينا أن نكسب المرأة ففي أي يوم مدت إلينا يدها ربحنا القضية».

وفي هذه البروتوكلات المنسوبة لبني صهيون، نجد أنَّ فيها حثًّاً كبيراً للنساء اليهوديات على نشر الفساد الأخلاقي، وأن تتصرَّف في جسدها كما تشاء!

إنَّ من أولى أولويات اليهود إفساد المرأة المسلمة؛ وذلك لأنَّ المرأة المسلمة في الأصل ملتزمة بحجابها وعفيفة وطاهرة، وعامَّة النساء الأخريات قد انزلقن في مهاوى الردى والفساد إلا قلَّة قليلة منهنَّ، فاستهداف المرأة المسلمة هو من ضمن استهداف المرأة عموما، وهو ما حصل وللأسف حيث تأثَّرت كثير من النساء المسلمات بدعايات الغرب والتبرج والسفور، بسبب ضعف الوزاع الديني، والانبهار بالمرأة المتحرِّرة والانصهار في الموضة التي تراها من أمم الشرق والغرب.

فاليهود يفسدون المرأة، وإزاء ذلك لهم خطَّة موازية لإفساد الرجل؛ ليكون الرجل المسلم بين امرأتين: «مسلمة أفسدوها، وعبر مسلمة منحلة!».

من مساعي إفساد المرأة المسلمة

هذه المساعي المتصهينة في ثوب الغرب المنحلّ وجنوده من الأعراب ، بذلوا ويبذلون الكثير من الجهود لتغريب المرأة المسلمة وترويضها لتكون لقمة سائغة كما يحلو لهم ، وفق أجندة كثيرة ، ومن أهمها:

- ترويج الفساد بإسم الحضارة والحقوق والمساواة:

باتت الدعاية والترويج للفساد الأخلاقي من الأساليب التي يستخدمها الأعداء في تدنيس النفوس ، وهدم الأخلاق ونشر الفساد ، ومحاولة عولمة النموذج الغربي الاجتماعي ، وفرضه على مجتمعنا المسلم ، حيث يجري الترويج للفساد الأخلاقي والنموذج الغربي تحت عناوين وشعارات متعددة ينظر البعض إليها كثقافة تُمَثِّلُ حضارة ونوعاً من التقدم والرقي والحداثة.

وتحت عنوان الحرية والمساواة تلعب وسائل الاعلام ومواقع التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت دوراً رئيسياً في ترويج الشذوذ وتبسيط الجريمة والترغيب فيها وتدمير الجو المحافظ والتغرير بالشباب والشابات، ودفع المرأة إلى التبرج والسفور ودفع الشباب إلى الانحطاط الأخلاقي، وشدهم إلى النموذج الغربي المنفلت الذي لا

تحكمه ضوابط ولا أخلاق، وبالتالي إدخال المجتمع في حالة من الفوضى في الروابط والاختلاط، وإبعاده عن هويته الإيمانية.

كما تلعب بعض المنظمات والمعاهد التي تعلم اللغات الأجنبية، وكذلك الجامعات الأمريكية، دوراً في الترويج للفساد الأخلاق، حيث تستخدم التعليم كغطاء لنشاطها الحقيقي والرئيسي داخل هذه المعاهد وتلك الجامعات بدءاً ببرامج تساعد على الاختلاط الفوضوي وتعزيز الروابط خارج إطار الضوابط الشرعية، والتدرج بالشباب حتى يوصلوهم إلى المسخ تحت العنوان الحضاري.

إضافة إلى دور الإعلام المضلل في الترويج للفساد الاخلاقي تحت العنوان الحقوقي حيث «يدأب وبحرص على تقديم صورة نمطية سيئة عن المرأة في الإسلام، واظهارها مضطهدة ومقموعة من الأب أو الزوج، كما أن أغلب النقاشات حول المرأة المسلمة تتصف بسلبية مقصودة، تصور المرأة على أنها مختنقة من حجابها ومجبرة على الزواج، وأن حريتها لا تتعدى مطبخها وذلك لإلقاء اللوم على نصوص الشريعة، والصاق التهم بالإسلام، وبالتالي يسهل عليه المناداة كذباً بشعارات من مثل (أصلحوا أوضاع المرأة) و(حرروا المرأة من تسلط الرجل) و(إلى متى تظل المرأة حبيسة المنزل)».

- ترويج الفساد تحت عنوان التحضّر:

وأيّ تحضر وأيٌّ رقي ذلك الذي نجده في المرأة الغربية أو في أولئك النساء اللاتي انسلخن عن قيمهن الإسلامية ، وسرن في الركب الغربي والأمريكي كما نجده في بعض دول المنطقة للأسف؟!!.

لذلك يؤكد السيد القائد بأن تلك المساعي التي تستخدم عناوين التحضر والرقي هي عناوين زائفة.. وهذا ما أكّدته الأحداث وكشفته النتائج الكارثية لما يسمونه حضارة وتحضر! .

ومما قاله السيد في ذلك: «المساعي الغربية لإفساد المرأة المسلمة تحت عنوان التحضر والحضارة والرقي هي عناوين زائفة، إفساد المرأة المسلمة لا يمتّ بأي صلة للحضارة، لا يمت بأي صلة للحضارة أبداً، الحضارة الحقيقية، والرقي الحقيقي ،والارتقاء في سُلّم الكمال هو بقيم الإسلام التي تحفظ للمرأة كرامتها، ودورها المسؤول والبنّاء

والمهم والفعّال والمؤثر والعظيم في واقع الحياة وبكل شرف، وبالحفاظ على عفتها وطهارتها».

دور المنظمات في افساد المرأة

تعد منظمات وهيئات الأمم المتحدة داعماً أساسيا للسياسات التي تتجه إلى افساد المرأة، فهي من تعطي الشرعية وتمنح الغطاء القانوني لاستهداف المرأة المسلمة، وتسهم إلى حدٍ كبير في نجاح مخططات ومؤامرات الأمريكيين والإسرائيليين الساعية لفرض النموذج الغربي في جميع جوانبه: السياسية والاقتصادية والاجتماعية – وغيرها- على العالم كله، وفي هذا الصدد تحرك أذرعها من منظمات مدنية وجمعيات ووسائل إعلام ومراكز دراسات وبحوث سواء كانت تابعة لها بشكل مباشر أو تابعة للأنظمة العميلة؛ وجميعها تتجه إلى المجتمعات تحت مسميات سياسية وحقوقية وانسانية واغاثية، بهدف تحقيق ما يعرف بـــ (عولمة الأسرة في الغرب) والضغط الهائل لفرض ونشر وترويج هذا الشكل والمضمون للأسرة في جميع دول العالم من خلال عدة محاور منها:

- الضغط الرسمي على الحكومات والأنظمة.
- الضغط الشعبي من خلال دعم المنظمات غير الحكومية التي تتبنى هذا النموذج الغربي.
- الضغط الإعلامي من خلال قوة النشر في الفضائيات وعلى شبكة الإنترنت لكل خصائص النموذج الغربي، بكل ما فيه من انحلال وانحراف خُلقي.
- الضغط المالي بدعم مراكز الأبحاث التي تؤكد على أهمية النموذج الغربي في الأسرة.
- الضغط من خلال هيئة الأمم المتحدة من خلال إمكانياتها وممثليها ومؤتمراتها وانتشارها من خلال فروعها في العالم كله.

وتتضح هنا عظمة الآيات القرآنية التي أكدت مسبقاً على خطورة توجهاتهم وما يسعون له، ليدرك الانسان كيف يتم التطويع والافساد عملياً وما هي أدواتهم ووسائلهم

لتنفيذ ما يريدون القيام به، فهناك قطاعات كبيرة من المسلمين لم يصلوا إلى قناعة بهذه الآيات وتطبيقاتها المعاصرة، والبعض غير مستوعب لآليات التنفيذ وكيف يتم الإفساد والتطويع والاضلال يقول الله - جل شأنه - (وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَبيل) وقوله تعالى: (يا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً من الَّذِينَ أوتُوا الْكتّاب يردوكم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كافرين) وعند قراءة هذه الآيات قد يتصور البعض- مثلا- أن يأتي الأمريكى أو الاسرائيلي فيقول للمسلم يجب أن تكفر وتنكر الله وتتبرأ من رسوله، وقد لا تحصل بهذا الشكل، فالكفر اليوم يفرض بوسائل وعناوين وأدوات معاصرة وبأساليب ناعمة، ويتم شرعنته من قبل هيئات ومنظمات الأمم المتحدة، فيصدر باسم اتفاقية أو معاهدة أو قراراً ويعطى عنواناً جذاباً حضارياً أو إنسانيا أو حقوقيا كالحرية للمرأة والعدالة والمساواة، والغاء التمييز والعنف، ثم يُفرض على الأنظمة ويترافق معه عقوبات وتهديدات ضد من يخالفه، والحكومات بدورها تتجه لتفرضه على الشعوب رغبة ورهبة، وتعمل بكل الوسائل لتعميمه والتبرير له في المنهج التعليمي وتسوّغه من خلال الفتوى والإرشاد، ويتم الترويج له في وسائل الاعلام، وعلى ضوئه تمنح التصاريح للمنظمات الأجنبية ومنظمات المجتمع المدني التي تشجع وتدعم تلك الاتفاقيات.

وبهذه الطرق وغيرها تُستهدف المرأة المسلمة في هويتها ونمط حياتها وعاداتها وتقاليدها التي تحفظ لها عفتها وطهارتها .

إشكالية التبرج لدى الفتيات

حين يخون الأمانة وليّ الأمر ، يكون التبرّج هو الطريق الأسهل للفتاة ، ويسهل عليها بعده كل الطرق المؤدية للإنحراف دون أن تدرك في بداية الطريق ، لكنها حين تعي خطورة ذلك قد تعود لطريق الحق إن وجدت من يوجهها ، وقد تتمادى في الفجور كأسوأ ما يكون إن تُرك لها الحبل على الغارب .

فحينما تنشأ الطفلة على الحجاب ستكبر وهي متعودة عليه ولا يشكل عبء أو عائق عليها في المستقبل ، بل إنها في شبابها ستكون خير داعية للحجاب ونابذة للسفور

لقناعتها الكاملة بالستر ، ومعرفتها الأصيلة بفضيلة الحجاب .

«وبما أننا نعيش عصر الفضائيات والاتصالات والعولمة وتلاقح الأفكار وغير ذلك من مظاهر التقدم العلمي والتكنولوجي، فقد انقسم المبهورون بمدنية الغرب إلى أقسام عدة: فمنهم من أنكر فرضية الحجاب بالكلية، وزعم أنه من خصوصيات العصور الإسلامية الأولى! ومنهم من أنكر غطاء الوجه وراح يدعو إلى السفور والاختلاط، زاعماً أن ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- ما يدل على تغطية وجه المرأة، وأن ذلك من قبيل العادات الموروثة التي فرضها المتشددون! ومنهم من تخبَّط فقال: إن الحجاب سجن يجب على المرأة أن تتحرر منه حتى تستثمر طاقاتها في مواكبة العصر، ومشاركة الرجل مسيرته التقدمية نحو آفاق المدنية الحديثة! ومنهم من طبق المثل القائل: «رمتني بدائها وانسلَّت» فزعم أن الَّذين يدعون إلى الحجاب ونبذ التبرج والسفور ينظرون إلى المرأة نظرة جسدية،ولو أنهم تركوا المرأة تلبس ما تشاء لتخلَّص المجتمع من هذه النظرة الجسدية المحدودة! .

وهؤلاء جميعاً قد اشتركوا في الجهل والدعوة إلى الضلال، شاءوا أم أبوْا، والأمر في ذلك كما قال الشاعر:

فإن كنتَ لا تدري فتلك مصيبـــةٌ ..... وإن كنت تدري فالمصيبةُ أعظمُ

أما حقيقة هؤلاء فلا تخفى على ذي عينين، وأما كلامهم فباطل باطل، يُبطل أولُه آخرَه، وآخرُه أولَه، قال تعالى: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}، وأما دعوتهم فمؤامرة مكشوفة على المرأة المسلمة، وعلى الأسرة والمجتمع والأمة بأسرها، ومع ذلك فقد نجح هؤلاء في السيطرة على عقول بعض نسائنا، فأغروهن بكلامهم المعسول وعباراتهم البراقة التي تحمل في طيَّاتها الهلاك والدمار، فظننَّ أن هؤلاء هم المدافعون عن قضايا المرأة وحقوقها، وجهلن أن الإسلام قد صان المرأة أتمَّ صيانة، ورفع مكانتها في جميع مراحل حياتها، طفلةً وبنتاً وزوجة وأُمًّا وجدة، ولما كان الأمر كما قال الشاعر:

لكـــلِّ ســـاقطةٍ في الحيِّ لاقطةٌ ..... وكلُّ كاسدةٍ يوماً لها ســـــوقُ

إن الحجاب عبادة من أعظم العبادات وفريضة من أهم الفرائض؛ لأن الله تعالى

أمـر بـه في كتابـه، ونهـى عـن ضـده وهو التـبرّج، وأمر بـه النبي -صـلى الله عليـه وآله و سـلم- في سـنته ونهـى عـن ضده.

ولا توجـد امـرأة في الإسـلام غـير مشـمولة بفريضـة الحجـاب الشرعـيّ.. فالحجاب هو الفيصـل بـين المـرأة المسـلمة وغيرهـا، بـل لا يمكـن تعريـف المـرأة المسـلمة والمـرأة الملتزمـة بدينهـا إلا وللحجـاب حضـور ضروريّ في هـذا التعريـف، بـل قـد تذهب المسـألة إلى أبعد حـدود؛ لأنّ المـرأة إذا تخلـت عـن حجابهـا فهـي أقـرب إلى أن تتخلّى عـن باقـي فرائـض الديـن الأخـرى، كالصـلاة، وقـد يصـل الأمـر إلى أن تتنصَّل كليـاً من دينهـا؛ لأن للحجاب آثـاراً دينيـةً كبـيرة، أهمُّهـا أن المـرأة الملتزمـة باللبـاس الشرعـي غالبـاً مـا تكـون ملتزمـة بالصـلاة وباقـي الفرائـض، كـما أنهـا تكـون مراعيـة لـلآداب والسـلوك الديني.

كيف نُفشل مخططات العدو وحربه الناعمة في استهداف المرأة ؟

يقول السيد القائد سلام الله عليه :

«ندعـو مجتمعنـا الإسـلامي وأخواتنـا المسـلمات إلى اليقظـة العاليـة تجـاه كل مكائـد الأعداء ومسـاعيهم الشـيطانيّة الخبيثة الهادفة إلى تدمير القيم والأخلاق كوسـيلة خطيرة لتدمـير مجتمعنـا الإسـلامي، الذي لـو خسر قِيَمَـهُ وأخلاقـه وبُنيته الاجتماعية المتماسـكة – مـن خلال تماسـك الأسرة المسـلمة – وجوّهـا التربوي والأخلاقي لأصبـح مجتمعاً ضائعاً ومفـككاً ومتميّعـاً وسـاقطاً ومتخلّياً عن قضاياه ومتنصّلاً عن مسـؤولياته وبالتالي يَسْـهُل عـلى أعدائـه توجيـه الضربـة القاضية له في اللحظـة التي فقد فيها كل عناصر التماسـك والقـوّة الايمانيّـة والاخلاقيـة والمعنويـة والعمليـة، وهـذا مـا يرغب بـه أعداؤه ويسـعون له كـما قـال اللـه تعـالى في كتابـه الكريم بشـأنهم {وَيَسْـعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَـاداً وَاللّـهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِـدِينَ} المائدة64.

إنّ الحفـاظ عـلى الأخـلاق الإسـلامية والضوابـط الشرعيـة، ومراعاتهـا في النهضـة الإسـلامية وحركـة الحيـاة العامّـة، والحـرص عـلى الاسـتقلال الحقيقـي، والحـذر مـن التبعيـة العميـاء والتقليـد الغبـي للإعداء تمثّل الضمانة لفشـل مسـاعي الأعـداء في أخطر حـرب يشـنونها عـلى عالمنـا الإسـلامي والتـي عُرِفَـت بالحـرب الناعمـة، والتـي تُركّـز عـلى

الغـزوِ الفكـري والثقـافي، والاسـتهداف للمجتمـع في مبادئـه واخلاقـه وقيمـه، والتـي لا بـدّ مـن التحـرّك الجـاد لتحصـين مجتمعنـا الإسـلامي وفي طليعته فئة الشـباب والناشـئة ذكـوراً وإناثـاً تجاههـا، وباعتبارهـا أخطـر بكثـير وأشـد ضراوة مـن الحـروب العسـكرية ، فتلـك تدمّـر روح المجتمـع وعقيدتـه وإيمانـه ، أمّا العسـكرية فهـي أقل خطـورة منها واذا حافظـت الأمّـة عـلى مبادئهـا وأخلاقها وقيمهـا وعملت على ترسـيخها وتفعيلهـا انتصرت بـلا شـكٍّ في معركتهـا العسـكرية وفي معركتهـا الحضاريـة أيضـاً.

ولا يفوتنـا أن نُشـيد بمجتمعنـا اليمنـي في حفاظـهِ إلى حـدٍّ كبـير عـلى أصالتـه وقيمـه، والمؤمّـل مـن العلـماء والمثقّفين وحملـة الوعي أن يقومـوا بواجبهم وينهضوا بمسـؤوليتهم في العنايـة بالمجتمـع، والعمـل الـدؤوب عـلى نـشر الوعـي والتبصـير للأمّـة تجـاه مكائـد الأعـداء للحـذر منهـا ولتنميـة القيـم والأخـلاق الإسـلامية وتربية النـشء عليهـا وتفنيد مزاعـم الأعـداء الزائفة الراميـة لهدم القيم ولتعزيـز الالتزام بالضوابـط الشرعية الإلهية الكفيلـة بصـون المجتمـع المسـلم والحفـاظ على كرامتـه وسـلامته الأخلاقية.

كـما نُشـيد بإعـزازٍ وإجـلال بالمـرأة اليمنيـة وتضحياتهـا وصبرهـا وصمودهـا في ظِـلِّ الوضـع الراهـن الـذي يعـاني فيـه شـعبنا المسـلم العظيـم مـن العـدوان الهمجـي الأمريكي السـعودي الظـالم».

دور المجتمع ووسائل الإعلام في التصدي لاستهداف المرأة المسلمة

مـن المهـم أن يكـون هنالـك تذكـير ببعـض الأسـس والموجهـات والتوصيـات الهامـة التي ينبغـي التحـلي والالتـزام بهـا حتـى نسـتطيع كمجتمـع وكإعـلام مواجهـة هـذه التحديـات الراميـة لاسـتهداف المـرأة المسـلمة، ونُفشـل العـدو في حربه الناعمـة واسـتهدافه للمجالات الإيمانيـة والثقافية،وهـي كالتالي:

1 - التمسـك بهويتنـا الإيمانيـة والنظـر إليهـا كنعمـة مـن اللـه تعـالى وفضـل شرفنـا اللـه بـه، والاعتـزاز بهـا كأعظـم وأقـدس وأشرف هويـة، لا يوجـد عـلى وجـه الأرض أعظـم مـن الهويـة الإيمانيـة، وإدراك أهميتهـا كضمانـة لفلاحنـا وعزتنـا وكرامتنا،والتمسـك بهـذه الهويـة بـكل مـا تضمنتـه مـن عقائـد ومفاهيـم وتقاليـد

وأفكار ونمط حياة وسلوكيات واهتمامات، والحفاظ عليها والالتزام بها وتنقيتها من الشوائب وصيانتها من الاختراق أو التبديل، والوعي بدورها في ميدان الصراع وعلاقتها بالبناء والنهضة، فالإنسان إذا فرط في هويته سيفقد حضارته.

2 - التقيّد بالتعاليم الإسلامية، والالتزام بالأخلاق والقيم الإيمانية؛ لأنها هي التي تحمي مجتمعنا وتصونه وتحافظ على قوته وتماسكه؛ وبجب أن نعي أن الانفلات في الروابط والعلاقات بين الرجل والمرأة ليس حضارة أبداً ولا علاقة له بالحرية، إنما هو خسة ودناءة وانحطاط وتدمير للأسرة المسلمة ،وتمزيق للنسيج الاجتماعي، إضافة إلى أهمية العمل على تحصين أنفسنا وأسرنا ومجتمعاتنا من هذا الغزو الشيطاني الخطير، وأن نحذر كل الوسائل والأساليب والعناوين الشيطانية التى تُسقط الإنسان وتخدعه.

يقول الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي - رضوان الله عليه- : « لأنهم هم – وهم في مجال أن يضربوا الأمة – يتغلغلون إلى داخلها بمختلف وسائلهم الخبيثة، {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا} (المائدة: من الآية 33) فسادًا ثقافيًا، فسادًا أخلاقيًا، فسادًا اقتصاديًا، فسادًا في البيئة، فسادًا في كل مجالات الحياة. إذًا فلا بد، لا بد للأمة – وهي في طريقها إلى أن تؤهل نفسها لتكون بمستوى مواجهة أهل الكتاب، وفي مجال أن تحصّن نفسها من خبث أهل الكتاب حتى لا تتحول إلى أمة كافرة، إلى أمة مرتدة بعد إيمانها – سواء الأمة على مستوى الأمة أو أي مجتمع داخل هذه الأمة».

3 - الاستحضار المستمر لعداوة اليهود والنصارى - يقودهم أمريكا وإسرائيل - والعمل على إثارة السخط ضدهم وترديد الشعارات التي تذكّر بعداوتهم، مع التوعية بخطورتهم وأساليبهم المخادعة وعناوينهم الزائفة، وكذلك التذكير المستمر بأن حربهم التي تستهدف هويتنا وأخلاقنا وكل ما له صلة بنا كمسلمين لا يقومون بذلك من أجل قرة أعين شبابنا ونسائنا أو من أجل تحقيق العدالة والمساواة، إنما لأنهم يعرفون أن من أوقعوه في الرذيلة ودنسوه وفرغوه من قيمه الأخلاقية سيصبح إنساناً تافهاً وتائهاً وضائعا لا قيم له

ولا أخلاق ولا شرف ولا حمية، ولن يبقى لديه أي اهتمام بشأن الناس ولا بمعاناتهم ولن يكون له أي موقف في مواجهة التحديات والمؤامرات العدائية.

فالإفساد وسيلة من وسائل الاستعباد، ووسيلة خطيرة جداً من وسائل السيطرة والتحكم؛ ومن وسائل الهوان. يقول الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي- رضوان الله عليه-: «عندما تسيرون في هذا الطريق، وتسقطون في هذا المستنقع فإنكم ستكونون وسيلة لضرب نفوسكم، وضرب أمتكم، وضرب شعوبكم، وأنكم ستكونون وسيلة لتدمير أنفسكم، وتدمير أمتكم، وأنكم ستصبحون أجسادًا لا قيمة لها يدوسونها بأقدامهم وهي تبتسم، وتقبِّل تلك الأقدام.

وهكذا متى يمكن أن تتوقع لشاب همه أن يجري وراء البنات سواء في ساحات الجامعة، أو في الشوارع، هل تتوقع لشاب نفسيته غارقة في هذا المستنقع أن يحمل همّ أمة؟!، أن يتألم إذا ما قلت له اليهود يدوسونك بأقدامهم؟! إنه لا يمانع أن تدوسه يهودية جميلة بأقدامها اللينة مباشرة!! فكيف تريد منه أن يتحرك؟ سيقبل قدما تدوسه، وهم فعلاً قد يصلون بالشباب إلى هذه».

4 - الاقتداء بالنماذج التي قدمها الإسلام كأعلام وقدوات للبشرية، وفهم النموذج الحضاري الراقي للإسلام في بنائه للإنسان والحياة، وفيما يحققه في واقع الحياة من عدل وخير وسعادة للبشرية حينما نلتزم بمبادئه وأخلاقه ونعي مفاهيمه؛ وأن ندرك أن ما وصل إليه الواقع البشري بفعل اليهود من الفساد والفوضى في الروابط، هو بعيداً كل البعد عن الحضارة والحرية والتقدم، ولا يعبر عنها، بل هو سقوط وانحطاط إلى مستوى الحيوانات في الغابات وأسوأ من ذلك، وفي هذا السياق يجب أن يكون هنالك انشداد وتأسٍّ واقتداء بالنماذج والقدوات الدينية، وفي مقدمتهم الأنبياء وأعلام الهدى الطاهرين.

وفي الواقع النسوي ينبغي لكل امرأة أن تتطلع وتنشد وتقتدي بفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء أهل الجنة، التي بلغت في مرتبتها الإيمانية والإنسانية والأخلاقية وفي سلّم الكمال الإنساني والإيماني والأخلاقي أعلى المراتب كنموذج للمرأة في كل جيل وفي كل عصر، ونموذج فيما هي عليه من طهارة

وعفة وتبتل إلى اللّه.

5 - الوعي بما كفله الإسلام من حقوق للمرأة يفوق أضعاف ما قدمته أي ثقافة أو قوانين وضعية في هذا العالم، والتفهم لتشريعاته التي وضعت المرأة في أرق مكانة، وأعطتها أسمى دور، فالإسلام لم يسلبها الحقوق كما يروج لذلك الغربيون الذين ينادون بمراجعة نصوص الإسلام بحجة موافقة العصر والتجديد والتحديث، لإنصاف المرأة وإلغاء التمييز والعنف، وغيرها من الاتهامات التي تُلصق عن خبث بالإسلام.

ومن هنا ينبغي أن يدرك الجميع رجالاً ونساءً بأن الحرية والحقوق التي ينادى لها للمرأة المسلمة هي مجرد عناوين تهدف إلى عولمة النموذج الغربي للمرأة، وتحويل المرأة المسلمة كالمرأة الغربية منفلتة من أية ضوابط أخلاقية، وتتحول إلى سلعة يستغلها المجتمع أبشع استغلال، وتهدف إلى تشويه صورة المرأة، ودورها الحقيقي في الحياة.

6 - أن تقدم مراكز الدراسات؛ المعلومات والإحصائيات التي تتحدث عن واقع المرأة في المجتمع الغربي والذي يختلف كثيراً عمًا نشاهده في وسائل الاعلام، فالكثير من نساء الغرب يعشن اليوم لوحدهن، فلا والد يتكفل بالرعاية والإنفاق، ولا زوج حنون يحميها وينفق عليها ويحافظ على عرضها وشرفها، ما أدى إلى تفشي ظاهرة العيش مع الحيوانات الأليفة التى تؤكد كثير من النساء أنها بديل أفضل من العيش مع الرجال، وأدى إلى ازدياد نسبة الانتحار.

وفي هذا السياق ينبغي التأكيد على أن التشويه المتعمد والانحراف الحاصل عن الإسلام في كل مفاصل الحياة اليوم، ومنه علاقة الرجل بالمرأة، هو الذي أتاح المجال للمطبوعين بالثقافة الغربية وأعطى الفرصة لمن يحاربون الإسلام، أن يلصقوا التهم به، كما أن دراسة ومناقشة دور المرأة المسلمة يعتبر أمراً مهماً لكل مسلم، لأنه أولا: يوضح ويصحح العديد من الأفكار والنظرات الخاطئة التي تحملها الأمم الأخرى عن المسلمين، وثانياً: لأن بعض المسلمين يعاملون نساءهم معاملة خاطئة جاهلة باسم الدين، في حين أن واقع أعمالهم هو نتيجة لعادات ثقافية وأعراف غير منسجمة مع الدين، ولا علاقة لها بالإسلام.

7 - الوعي بالمخاطر الجسيمة والأضرار البالغة لفساد اليهود وإضلالهم، ومستوى الخسارة التي تطال الانسان عندما ينجر وراء مؤامرات اليهود وفسادهم ،بدءاً من تدمير علاقته باللّه ثم ما يلحقها من تدمير لنفسه؛ وما يترتب على ذلك من آثار تصل إلى أن يصبح الإنسان شريكا في كل ظلم يطال البشرية بكلها، ومساهماً في كل فساد يعممه اليهود في الأرض، يقول الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي -رضوان الله عليه-: «ستصبح في نفس الوقت ظالماً لنفسك، وظالماً للأمة، وظالماً للبشرية؛ لأنك أصبحت واحداً ممن يسعون في الأرض فساداً، ومن يسعى في الأرض فساداً فهو يظلم نفسه، ويظلم عباد الله، ويظلم البشر جميعاً. يظلم الناس – بدل أن يكون المطلوب والمراد لله سبحانه وتعالى من عباده أن تكون نفوسهم زاكية طاهرة، وأن يعيش الإنسان مكرماً في هذه الدنيا – يعيش نفساً مدنسةً، يعيش ذليلاً، يعيش مهاناً محتقراً مظلوماً، بواسطة خبث نفسه وخبث ما حوله؛ لأن فساد اليهود يتناول كثيراً من شؤون الحياة إضافة إلى فساد النفوس.

فتكون أنت ممن يظلم نفسه، وممن يظلم البشر جميعاً، وما أوسع هذه الدائرة؛ لأن الله قال عنهم {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً}(المائدة: من الآية64) فتصبح من حيث لا تشعر شريكاً في كل عملية إفساد تنطلق من أي منطقة في هذا العالم، نحو بقية البشر من داخل أمريكا، من داخل إسرائيل، من داخل بريطانيا من داخل أي منطقة تنطلق منها مؤامرات اليهود فتصبح بتوليك لهم شريكاً في كل عمل سيئ، مفسد في هذه الأرض في أي بقعة كانت من الأرض».

8 - الحذر من خطوات الشيطان، التي يستدرج من خلالها الإنسان شيئاً فشيئاً حتى يوصله إلى الجرائم الكبيرة، ومن أكبر أسبابها حالة التهاون بالمقدمات التي توصل إلى المعاصي الكبيرة، فالله سبحانه وتعالى نهى في القرآن نهياً متكرراً عن اتباع خطوات الشيطان، يقول الله-جل شأنه- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ

اللَّـهَ يُـزَكِّي مَـن يَشَـاءُ وَاللَّـهُ سَـمِيعٌ عَلِيـمٌ}.

ويقول-جـل شـأنه- {وَلَا تَتَّبِعُـوا خُطُـوَاتِ الشَّـيْطَانِ إِنَّـهُ لَكُـمْ عَـدُوٌّ مُّبِـينٌ ، إِنَمَّـا يَأْمُرُكُـم بِالسُّـوءِ وَالْفَحْشَـاءِ وَأَن تَقُولُـوا عَـلَى اللَّـهِ مَـا لَا تَعْلَمُـونَ} وقولـه { يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا ادْخُلُـوا فِي السِّـلْمِ كَافَّـةً وَلَا تَتَّبِعُـوا خُطُـوَاتِ الشَّـيْطَانِ إِنَّهُ لَكُـمْ عَدُوٌّ مُّبِـينٌ} وهكذا يكررها في القـرآن الكريـم.

والشـيطان في عداوتـه للإنسـان يعتمـد اسـتراتيجية - التضليـل والإفسـاد- حيـث يزيـن وبسـوّل للإنسـان خطـوة معينـة ويبسـطها أمـام الإنسـان ويسـهل الجريمـة حتى يسـتدرج الإنسـان خطـوة فـإذا اسـتدرجه خطـوة إلى المعـاصي، اسـتدرجه خطـوةً أخـرى وقـد صـار أكـثر تقبـلاً وأكـثر تفاعـلا حتـى يصل بـه إلى الهاوية، ومن هنا يجب على الإنسـان المسـلم أن يكـون لديـه وعـي بأهميـة الالتـزام القـوي بالتوجيهـات الإلهيـة، ويحـذر مـن الاتبـاع للخطـوات الاسـتدراجية وبحـذر المقدمـات ويحـذر التهاون أمـام الأمور التي يستبسـطها.

9 - الحـرص عـلى الوسـائل التـي تسـاعد عـلى تزكيـة النفـس، والعوامـل التـي تحافـظ عـلى الاسـتقامة، وترتقـي بنفسـية الإنسـان عـن الرذائـل وعـن الأمـور التـي تدنسـه .

10 - تشـجيع الـزواج وتيسـير تكاليفـه؛ فمنـذ بدايـة التاريـخ جعـل اللّـه الـزواج سـنة مـن سـنن الحيـاة، ليكـون الإطـار المـشروع للعلاقـة بـين الرجـل والمـرأة، فـكان الـزواج هـو اللبنـة الأولى لبنـاء المجتمـع البـشري، والضمانـة للحفـاظ عليـه مـن التـلاشي والتفـكك والضيـاع وذلـك مـن خـلال التناسـل المشروع المرتبـط بتعليمات اللّـه وتوجيهاتـه بـدءًا مـن آدم وحـواء ومـروراً بالأنبيـاء والرسـل، (وَلَقَـدَ أَرسَـلْنَا رُسُـلاً مّـن قَبْلِـكَ وَجَعَلْنـا لَهُـمْ أزواجـاً وذريـة) وتلـك التعليـمات الإلهيـة جعلهـا اللـه حـلاً لكثـير مـن المشـاكل النفسـية والاجتماعيـة، ومـن خلالهـا تُبنـى الأسرة الصالحـة وتنشـأ الذريـة الطيبـة، ويبتنـي المجتمـع المتماسـك والمتعـاون وتتكـون روابـط القرابـة والرحامـة والنسـب ليكـون ذلـك عامـلاً مهـما للاسـتقرار، ويتهيـأ المجتمـع للقيـام بـدوره ومسـؤولياته التـي فرضهـا اللّـه عليـه عـلى أسـاس مـن القيـم وزكاء النفـس.

11 - تَفهُم معنى التعدد في الإسلام: فيما يتعلق بتعدد الزوجات أجاز اللّه للإنسان أن يتزوج بأربع نساء ولكنه لم يدعها قضية مفتوحة تخضع للتعامل المزاجي وفق أهواء النفس، بل ربطها بالعدل بين الزوجات فيقول جل شأنه:(فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) ومن أسس العدل -سواء للزوجة الواحدة أو أكثر- المعاشرة بالمعروف قال اللّه تعالى : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) ويقول -جل شأنه:- (فلا تَمِيلُوا كل الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كالْمُعَلَقَةِ).

وقضية تعدد الزوجات هي من القضايا التي يثيرها الأعداء ويستنكرونها، في الوقت الذي يبيحون فيه تعدد الخليلات، والعشيقات! والدراسات عن المجتمع الأمريكي تشير إلى أن ثلثي الرجال لهم أكثر من علاقة ولهم عشيقات خارج إطار الزواج؛ ووجود الزوجة الشرعية الثانية أكثر احتراما للمرأة من وجود الخليلة السرية؛ وبالتالي فان التعدد أصون للرجل والمرأة، فالزواج يصون المرأة وبحفظ لها كرامتها، وفي نفس الوقت يحافظ على تكاثر النسل، باعتبار الرجال معرضون للتلاشي من خلال الصراع وبالذات مع تطور وسائل الحرب والدمار.

وعندما نرى الأعداء يحاربون تعدد الزوجات إنما لينتشر الفساد وليتمكنوا من إضلال المجتمعات، يتم ذلك تلقائياً عندما ترتفع نسبة العانسات ونسبة الأرامل والمطلقات، وحربهم للتعدد يهدف إلى الحيلولة دون أن يتزوج الإنسان بعدة زوجات يحصنهن ويقوم بحقوقهن وبرعايتهن، ودون أن ينجب المسلمون ذرية كثيرة بحيث يحدوا من ازدياد الكثافة السكانية في البلدان الإسلامية .

12 - تصحيح المفاهيم المتعلقة بالمسؤوليات والوظائف العامة، والأعمال الإدارية وتصحيح المسميات التي تطلق عليها حقوقاً، وتصحيح النظرة اليها بحيث لا يكون الهدف من التنافس هو الحصول على المال والرشوة، وخطورة ذلك أنها مثلت ثغرة نفذ منها الأعداء واستغلوها، لإثارة المرأة وزرع الخلاف والتباينات والصراعات بين الرجال والنساء، بعد أن شجعوها للمطالبة بحقوقها وحصصها السياسية والإدارية.

13 - محاربة المفهوم الخاطئ الذي يسعى العدو لترسيخه: وهو أن الرجل عالم لوحده والمرأة عالم لوحدها، والاسترشاد بما قدمه اللّه في القرآن الكريم عندما صحح التصورات والمفاهيم الخاطئة التي تفصل عالم الرجل عن المرأة، حيث عمل القرآن الكريم على ترسيخ أن الناس جميعا مخلوقين من نفس واحدة، وأن الرجل جزء من المرأة والمرأة هي جزء من الرجل.

14 - كشف وفضح الدور السلبي الذي تقوم به المنظمات والهيئات الأممية المتمثل في رعاية وحماية شبكات الفساد المنظم، وإدراك ضرر بعض المنظمات وتأثيرها السلبى على الهوية الايمانية وتأثيرها في تشجيع الفساد تحت عناوين الحضارة والحقوق، ومن خلال الاتفاقيات والمعاهدات التي تقدمها كغطاء لعولمة الأسرة وتعميم النموذج الغربي في واقع الأمة الإسلامية.

ومن ذلك دور المنظمات الأجنبية والجمعيات النسوية وبعض منظمات المجتمع المدني، التي تقدم برامج في التنمية البشرية بعيدة عن ثقافة الإسلام، تهدف من ورائها إلى إفساد المرأة وإخراجها عن حيز الصيانة والضوابط الشرعية، فضلا عن الوعي بدور الإعلام ومراكز الدراسات والبحوث وبعض الناشطين السياسيين والحقوقيين وخطورة أساليبهم في إثارة المرأة المسلمة باستمرار وتصويرها بأنها مضطهدة وممتهنة، ومغلوبة على أمرها، وبالتالي دفعها إلى النضال من أجل حقوقها وتصوير الغرب كمخلّصٍ لها من التمييز والعنف والتهميش.

المصـــــادر :

1 - نص خطاب السيد القائد عبدالملك بدر الدين الحوثي بمناسبة اليوم العالمي للمرأة المسلمة - ذكرى ولادة السيدة الزهراء 1440هـ

2 - كتاب (الاستهداف الممنهج للمرأة) للأستاذ محمد محسن الفرح - تحت الطبع

3 - نص: رسالة السيد القائد عبدالملك الحوثي للمرأة المسلمة في ذكرى ولادة السيدة فاطمة(ع) 20/ جماد الآخر / 1439هـ

4 - كتاب مع السيد القائد في اليوم العالمي للمرأة المسلمة للأستاذ عبدالرحمن محمد حميدالدين

5 - « الدرس الأول من دروس سورة المائدة « للشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي

6 - قراءة في الأبعاد الفكرية اليهوديَّة في إفساد المرأة - خباب مروان الحمد

7 - كتاب فقه الحجاب في الشريعة الإسلامية .. قراءات جديدة

8 - محاضرة: لتحذن حذو بني إسرائيل - الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

أهمية الموالاة والمعاداة في حفظ دولة الإسلام من الضياع والانهيار

مركز البحوث والمعلومات
زيد يحيى المحبشي

شعبان 1444هـ / مارس 2023م

المُوالاة والمُعاداة من المفاهيم الأكثر إثارة للجدل والانقسام في أوساط علماء المسلمين في الـ 14 قرناً الماضية، وتباينهم في تفسير مفهومهما، والأحكام المترتبة عليهما، ولعلّ أحد أهم أسباب هذه البلبلة تصادم مدلولاتهما مع شهوة الأنا الإستئثارية التسلُّطية الإستحواذية لدى حكام وملوك وسلاطين المُلك العضوض، وهو ما كان له عظيم الأثر في توهين وإضعاف دولة الإسلام، وجعلها مرتعاً للغزاة والمحتلين والطامعين من طُغاة العالم.

ولا عجب عندما تتعارض الإرادة البشرية التسلُّطية مع الإرادة الإلهية أن تتهدّم أركان الدين، وتنهار حضارة الإسلام، وتتحول أمة الضاد، التي جعلها الله خير الأمم، وأمة وسطاً شاهدة على الناس، من العزة والعلِّية إلى الشتات والتقزّم والتيه، وهذا نتاجٌ طبيعي لـ:

1 - ابتعاد الأمة الإسلامية عمن أمر الله بموالاتهم وولايتهم وتولِّيهم وتوليتهم من أهل الحق المُحقِّين بنص مُحكم التنزيل، وجعله مودّتهم والولاء لهم أمنٌ وأمانٌ وحِصنٌ حصين من مهاوي السقوط والانزلاق في بركة الباطل الآسنة.

2 - رضوخ المسلمين لإرادة من أمر الله بمعاداتهم من أعد الحق وأهله، خوفاً من سياطهم وسيوفهم.

إذن فنحن أمام قاعدة إلهية ثُنائية الأبعاد، لا يُعذر بتركها أحد من المُكلّفين بإجماع كل علماء الدين من خارج بلاط سلاطين المُلك العضوض، من تمسك بها نجا في الدنيا من الذل والاستعباد والتيه والهوان، وفاز في الأخرة بالأجر الجزيل والثواب الكبير ورضا الرب الجليل.

روى الإمام الناصر عليه السلام في "البِساط" عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن الإمام علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لو أن عبداً قام ليله وصام نهاره، وأنفق ماله في سبيل الله عِلْقاً عِلْقاً وعَبَدَالله بين الركن والمقام، ثم يكون آخر ذلك أن يُذْبَحَ بين الركن والمقام مظلوماً لما صعد إلى الله من عمله وزنُ ذرةٍ، حتى يُظهر المحبة لأولياء الله والعداوة لأعدائه".

يقول الشهيد القائد السيد "حسين بدر الدين الحوثي" رضوان الله عليه في تعليقه على هذه الحديث:

هذا حديثٌ خطير، القرآن يشهدُ لهُ فيما يتعلق بخطورة المُوالاة والمُعاداة؛ ولهذا قال الله:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، أليس الله هنا يُخاطب مؤمنين؟ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ"؟، قال: "وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ"، أي: منكم أيها المؤمنون، "فَإِنَّهُ مِنْهُمْ"، يُصبح حُكمه حُكمهم، فيكون يُصلِّي وهو يهودي، يُسبِّح وهو يهودي، يصوم وهو يهودي، يُزكّي وهو يهودي.

خطيرة هذه جداً، يقول: "ومن يتولهم منكم"، منكم أيها المؤمنون، من يشملهم اسم الإيمان فإنه منهم، حُكمه حُكمهم، ومصيره مصيرهم.

فما هي الموالاة والمعاداة، وما أنواعهما، وما هي الأحكام الشرعية المترتبة عليهما، وما أهميتهما في حياتنا المعاصرة؟.

ماهية الموالاة وأنواعها:

تعددت مُسمياتها وأصلُها ومعناه واحد، منها: الموالاة، الولاية، التولّي، الولاء.

وهي تعني في لغة العرب: المحبة، المودة، النُصرة، التقرُّب، الإكرام، ..، وفي الشرع: محبة المحاسن للغير، وكراهة المساوئ مع النصيحة وعدم الخذلان حسب الإمكان، لأن من خذل لم يكن منه ضد المعاداة ضرورة، والتقرب إلى الله في الأقوال والأفعال، وخُلوص النية له سبحانه وتعالى، واتخاذ المولى، وتقديم كامل المحبة والنُصرة للمُتوليَّ، وإتباع نهجه وسيرته.

والموالاة بحسب النوع:

1 - عامة:

مثال ذلك موالاة المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض، قال الله سبحانه وتعالى:

"وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أولئك سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

2 - خاصة:

وهي ما أوجب الله سبحانه وتعالى على المؤمنين من طاعة أولي الأمر منهم ومودتهم، وتوقيرهم وسُؤالهم، والرد إليهم، والاقتفاء لآثارهم في الدين قولاً وعملاً واعتقاداً.

وبحسب الظرف:

1 - مستترة:

مثال ذلك موقف أهل الكوفة من ثورتي الإمام الحسين عليه السلام، وحفيده الإمام زيد بن علي عليه السلام، فقد كانت قلوبهم مع الثورتين، لأن قادتهما على حق، وخرجا ضد باطل طغى واستفحل شره، لكن ساعة المواجهة بين الحق والباطل تبدّلت النوايا وتحوّلت سيوفهم إلى صدر سبط الرسول وحفيده عليهما السلام، خوفاً من بطش الطُغاة والظلمة من بني أمية، ولهثاً وراء بريقٍ خادع من متاع الدنيا الفانية.

2 - بارزة:

ما نجد دلالتها في موقف الناس في موسم الحج من الملك الأموي "هشام بن عبدالملك" والإمام السجاد "علي بن الحسين" عليه السلام، يذكر المؤرخون أن "هشاماً" ذهب الى الحج وأراد استلام الحجر الأسود، لكن زحمة الناس حالت دون ذلك، رغم أنه الملك والسلطان، لكن لا هيبة لهما في ذلك المكان الطاهر، وصادف وجود الإمام "السجاد" في نفس المكان والموسم، وعند اقترابه سلام الله عليه من الحجر، أفسح الناس له تهيُّباً وتكريماً وإجلالاً وتعظيماً، فغضب جلاوزة وعبيد "هشام"، وسألوه عن هوية ذلك العبد الصالح، فرد سيدهم العفن المُتسلِّط: "لا أعرفه".

حينها برز من بين الجُموع الشاعر العربي الشهير "الفرزدق"، وقال: "أنا أُعرِّفكم به"، وردد على مسامعهم قصيدته المشهورة التي قال فيها :

"هَذا الَّذي تَعرِفُ البَطحاءُ وَطأَتَهُ وَالبَيتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ ".

وبحسب الأهمية:

1 - إيجابية:

كـولاء المسـلمين لدينهـم وكيانهم الإسـلامي، يقـول الله سـبحانه وتعـالى: "وَلاَ تَهِنُـوا وَلاَ تَحْزَنُـوا وَأَنتُـمُ الأَعْلَـوْنَ"، أي تنتمـون لأعـلى كيـان أو مجتمـع، كـما يقـول الحق سـبحانه: "وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَـاء بَعْضٍ يَأْمُـرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَـنِ الْمُنكَرِ"، فجعلـت الآيـة الأمـر بالمعـروف ولاء للإسـلام، لأن فيـه حفاظٌ على قيم الإسـلام، وترسـيخٌ لمبادئه.

2 - سلبية:

كـولاء المسـلمين لمـن يُعـادون الإسـلام أو أوليـاء اللـه، قـال الحـق تبارك وتعـالى: "يَـا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا عَـدُوِّي وَعَدُوَّكُـمْ أَوْلِيَـاء تُلْقُـونَ إِلَيْهِـم بِالْمَـوَدَّةِ وَقَـدْ كَفَـرُوا بِمَـا جَاءكُـم مِّـنَ الْحَـقِّ"، والمـودة هنـا "الـولاء المُتبادل"، وقـال سـبحانه: "يَا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّـوْا قَوْمـاً غَضِـبَ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ".

ماهية المعاداة وأقسامها:

تنوعت مُسمياتها وضابطها واحدٌ، منها: المُعاداة، العداوة، البراء، البراءة، التبرّي.

أصلهـا مـن "عدا" إذا غَشـم وظَلـم، ونقصد بها في لغة العـرب البُغض والبُعـد والكراهية والمُباينـة، ...، وفي الـشرع: محبـة المسـاوئ، وكراهـة المحاسـن، والبُعـد عـن طريـق الصـلاح والإسـلام، وإتبـاع الكافريـن والمنافقـين، والبُعد عن اللـه تعالى بالمعاصي والـشرك والنفاق.

وهي على قسمين:

1 - المُبـارأة لـكل عـاصٍ للـه تعـالى بالقلـب واللسـان مـع جـواز الـبر لـه والإقسـاط إليـه - إذا كان مُسـالماً - بـكل ممكـن.

2 - المُبارأة لمن حارب أئمة الهُدى، وظاهر على حربهم، والمعاداة لهم.

موقف الشرع منهما:

تنفرد الزيدية عن سائر المذاهب الإسلامية الأخرى بالخروج على الظالمين أياً كانوا، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإعمال مبدأ الموالاة والمعاداة، أو ما يسمى بالولاء والبراء، وتتشدد في أحكامها تشدُداً كبيراً، ولا تُجَوِّز موالاة الظالمين إلى حد تحريم مُجالستهم ومُؤانستهم ومُداهنتهم، كما تُحَرِّم مُعاداة أولياء الله ولو بمجرد الكراهية النفسية، بل وتعتبر الموالاة والمعاداة من مسائل أصول الدين، وأحد أركانه الوثيقة التي لا يُعذر بتركها أحد.

والولاء والبراء في مفهوم علماء الزيدية، ومنهم الإمام الأجل "حُميدان بن يحيى القاسمي" عليه السلام، من جُملة البلوى، أي من الأمور التي أُبتلي بها المؤمنين في هذه الدنيا الفانية من أجل التمحيص والاختبار، وهما مأخوذان من وجوب إكراه النفس على البُغضة والمُهاجرة لمن وَلِعَت نفسه بمحبته، وأَنِست بصُحبته، من الآباء والأبناء، والسادة والأخلاء، إذا كانوا مُحادِّين لله ولأوليائه، وإكراهها على ما تكره من الموادّة، والموالاة لمن عاداهم.

ووجوبهما، ظاهرٌ بما في كتاب الله من الأمر بموالاة أوليائه، وأوليائه هنا "العترة الطاهرة" ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم، والوعد على ذلك بالثواب، والنهي عن مُوادّة أعدائه، ويندرج في ذلك المناوئين والمُبغضين لأئمة الحق، والوعيد على ذلك بالعقاب.

وبما في أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأفعاله، واشتراطه للولاء والبراء على من تابعه.

قال الإمام الناصر "الحسن بن علي" عليه السلام: فيما حكاه عنه مُصنف "المُسفر":

"لا إيمان إلا بالبراءة من أعداء الله وأعداء رسول الله، وهم الذين ظلموا آل محمد، وأخذوا ميراثهم، وغصبوا خُمسهم، وهمّوا بإحراق منازلهم".

وقال الإمام الهادي "يحيى بن الحسين" عليه السلام في جوابه لأهل صنعاء:

"وإلى الله أبرأ من كل رافضٍ غوي، ومن كل حروريٍ ناصبي، ومن كل معتزليٍ غال".

وقال سلام الله عليه في "الأحكام":

"لا يجوز مُكاتبة الظالمين، ولا يحِل مُؤانستهم بكتاب ولا غيره، ..، يجب على المؤمنين إنكار المُنكر على الظالمين بأيديهم إن استطاعوا ذلك، فإن لم يستطيعوا وجب عليهم إنكاره بألسنتهم، فإن لم يستطيعوا وجب عليهم الهجرة عنهم والمعاداة للظالمين بقلوبهم وترك المقام بينهم والمجاورة لهم"، وكذلك جاء التشديد في مصنفاته، فكيف يصح التولي من جهتهم، وذلك من أعظم الإيناس لهم!، ويلزم منه مساكنتهم، وعدم الهجرة من بينهم مع ترك النكير عليهم، لأن عوائدهم جائرة بالتجبر والتكبر وعدم الرضا بالنكير عليهم.

ولا خلاف في وجوب الولاء والبراء على الجُملة، لأن أهل كل مذهبٍ يوجبونهما على أتباعهم، ويدّعون أنهم هم "الفرقة الناجية".

لكن يبقَ الخلاف في معرفة الفرق بين "ولي الله" و"عدوه"، ومعرفة الفرق بينهما فرع على معرفة الفرق بين "الحق" و"الباطل" بصفاتهما وأدلتهما التي من عرفها لم يُوالِ من تجب مبارأته، ولم يبارِ من تجب موالاته.

ومعرفة الفرق بين الحق والباطل فرعٌ على معرفة الفرق بين أدلة العقل وما يُعارضها من الشُبه المُتوهمة، وبين مُحكم الكتاب والسنة، وما يُعارضهما من المُتشابه، والآراء المُبتدعة.

وبمعرفة هذا الأصل وهذه الجملة من مُقدمات البلوى يُعرف الفرق بين الحق والباطل، وبين أهلهما، وبمعرفة ذلك كله يُستعان على معرفة البلوى بما أوجب الله تعالى على الأمة من طاعة من جعله الله ولياً لهم بعد رسول الله، وأميراً لهم في حياته وبعد مماته، ونقصد بذلك الإمام "علي بن أبي طالب" عليه السلام ومن توافرت فيهم شروط الدعوة والقيام من ذريته الطاهرة إلى يوم البعث والنشور، وما يستوجبه الشرع الشريف من موالاتهم ومعاداة من نازعهم، ولا يجوز رفض كليهما لما في ذلك من تجويز خروج الحق من أيدي جميع الأمة.

ومن التقولات المتهافتة الواجب التنبُّه لها، ادعاء البعض بأن البراء يتنافى مع كرامة الإنسانية، ومع المحبة والمودة والترابط والتعاطف بين أبناء المجتمع الإسلامي، لأنه

يعمل على تأليب القلوب على أشخاص آخرين، ونشر الكراهية والحقد بين أبناء المجتمع الإسلامي، لذا فهو غير حضاري بحسب زعمهم.

وهذا زعمٌ باطلٌ، وكلامٌ ممجوجٌ ومردودٌ عليه، لأن البراء موجهٌ في الأساس لمن يجاهرون بالعداء للإسلام والمسلمين، لكن لا مانع من إقامة علاقات صداقة مع من يحترموننا ويحترمون ديننا ومُعتقداتنا من الديانات الأخرى، يقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا"، وقال الحق سبحانه: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ".

الأهمية والغايات:

الحُب والبُغض، والولاء والبراء، والمودة والعداء، في مفهوم العلامة "محمد الرصافي المقداد" أحاسيس تنمو في البشر، وتتفاعل زيادة أو نُقصاناً، كلما طرأ على القلب طارئ، فأنت عندما تُحبُ أحداً، يكون لحبك سببٌ دفع بقلبك إلى أن يُفسح المجال لذلك الإحساس، كي يستقر فيه وينمو.

والدين كل الدين ليس إلا تولِّياً وتبرِّياً، تولِّياً لأولياء الله، وما يستوجبه ذلك من المعرفة والحب والاقتداء والإتباع والنُصرة والمؤازرة، وتبرياً من أعدائه وما يستوجبه ذلك من معرفتهم وبغضهم ومقاطعتهم ومناوئتهم وحربهم.

وإن كنت من أهل الدين، فابحث داخل قلبك عن التوِّلي والتبرِّي، فإن وجدت لهما مكاناً، فإنك على خير، وإن لم تجد أحدهما، فإنك تتأرجح بين طريقي الهداية والغواية، وإن لم تجد كليهما فكبّر على دينك وعُمرك اللذين ضيعتهما خمساً.

إذن فهما كما يرى السيد العلامة "محمد بدرالدين الحوثي" أساسٌ من أُسس الدين القويم، وقاعدةٌ عريضةٌ ارتكزت عليها دولة الإسلام يوماً ما، وعندما فقد المسلمون التزامهم بهذه القاعدة الإلهية، وركنوا إلى أعداء الله الظالمين والمُستكبرين، انهارت

دولـة الإسـلام، وتهـاوى ذلـك البنـاء الشـامخ، وتخطّفهـم المسـتعمرون، واحتلـوا بُلدانهـم، وسـيطروا عـلى ثرواتهم.

ولا خـلاف بـين علـماء أهل البيت بمختلـف مذاهبهم وتوجهاتهم ومراتبهم ومُسـمياتهم بـأن التـولّي لرسـول اللـه صلى اللـه عليه وآله وسـلم وأهل بيتـه عليهم السـلام، ومودّتهم، ومحبّتهـم، تكليـفٌ إلهـي لا عُـذر لأحـدٍ فيـه، وولائهـم، ولاءٌ للإسـلام والرسـالة المحمدية، وأمـانٌ مـن الانحـراف واتبـاع الهـوى، ورُكـنٌ وثيـقٌ مـن أركان الديـن، وأحـد أهـم العوامل المُساعدة عـلى ترسـيخ العقيدة في قلـوب المؤمنين.

ذكـر القـاضي "عيّـاض" رحمـة اللـه عليـه في "الشـفاء"، أنه صلى اللـه عليه وآله وسـلم، قـال: "معرفـة آل محمـد بـراءةٌ مـن النـار، وحُـب آل محمد جـوازٌ على الـصراط، والولاية لأهـل محمد أمـانٌ مـن العذاب".

ورُوي أنـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم، قال: "ألزمـوا مودّتنا أهـل البيت، فـإن من لقي اللـه وهـو يودّنـا، دخـل الجنة بشـفاعتنا، والذي نفسي بيـده لا ينفع عبداً عملـه إلا بمعرفة حقنـا"، والمـودة في الحديـث هـي المـوالاة والولايـة بمفهومهـا الشرعـي الواضـح المتمثل في التولّيـة والحكم.

والمـوالاة لهـم أيضـاً لا تعـنِ الحُـب المُتعـارف عليـه بـين المُتحابِّـين، بـل الالتحـام المنهجي والفكـري والسـياسي للإنسـان المسـلم في كافـة الميادين والمناشـط الحياتيـة مع قـادة وأئمة أهـل البيـت عليهم السـلام، قـال تعالى: "ذَلِـكَ الَّذِي يُبَـشِّرُ اللَّهُ عِبَـادَهُ الَّذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَـاتِ قُـلْ لَا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْـرًا إِلَّا الْمَـوَدَّةَ فِي الْقُـرْبَى وَمَـنْ يَقْـتَرِفْ حَسَـنَةً نَـزِدْ لَهُ فِيهَـا حُسْـنًا إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ شَـكُورٌ".

وهنـاك فـرقٌ كبـير بـين "الحـب"، و"الـولاء"، كي تتوضّـح الصـورة وتكتمـل الفائـدة، فـالأول يعنـي "الميـل النفـسي والقلبي" لشـخصٍ أو جهةٍ ما، بسـبب وجود صفةٍ أو شـكلٍ أو سـلوكٍ مُعـين جـاذب، بينـما يعني الثـاني "الارتبـاط المنهجـي"، والارتباط أكـبر وأعظم من الحُـب، وهـذا يعنـي اعتبار المـوالاة "رمزاً" و"مثـلاً" و"قدوة"، لأنها نهجٌ رباني شـمل الكون والحيـاة، نتيجـة التخلُّـق بأخـلاق اللـه، والتـولّي لأوليائـه، ورفـض كل أشـكال الانحـراف والازدواجيـة في شـخصية الانسـان المؤمـن، كـون الانسـان لا يسـتطيع أن يُـوازي بـين فعـل

الخيرِّ الذي يتولاه الولي، والفعل الشنيع الذي يتولاه أعداء الله، ما يجعل من الموالاة لأهل الحق شِفاءٌ ناجع لأمراض النفس، والسمو بها في سلالم اليقين والتقوى.

من هنا تأتي أهمية هذه القاعدة الإلهية في الحفاظ على دولنا وثرواتنا وسيادتنا وكينونتنا وديننا وكرامتنا وهويتنا الإيمانية من دنس وعبث الغزاة والمحتلين والمخذولين والمنبطحين والمُتصهينين من أبناء جلدتنا، وهذا لا يكون إلا بموالاة من أمر الله بموالاتهم في محكم التنزيل، وجعل موالاتهم حِصناً وأمناً لأهل الأرض من مهاوي الضلال والضياع والتيه، ونوراً يستضيئُ به الباحثين عن الحق والهُدى والحرية والكرامة والعلِّية والعزة والرفعة.

كما للعمل بهذا المبدأ الديني السامي أهمية كبيرة في تربية المسلمين على رفض الظلم من أي جهةٍ كانت، قال تعالى: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ"، وقال سبحانه: "إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ".

وعليه يمكننا القول بيقينٍ قاطع وإيمانٍ ساطع بأن الموالاة والمعاداة ثقافة إسلامية وقرآنية أصيلة، مطلوبٌ من المسلمين إشاعة هذه الثقافة التي يُشكِّل أهل البيت محورها، إذا ما أرادوا الظفر والعلِّية.

المراجع:

1 - السيد العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، اللآلئ المضيئة، الجزء الأول.

2 - مجموع الإمام القاسم بن محمد عليه السلام.

3 – الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي، الموالاة والمعاداة، اليمن ـ صعدة، شوال 1422هـ.

4 - مجموع السيد حُميدان بن يحيى القاسمي عليه السلام.

5 - الشيخ الدكتور عبدالزهراء البندر، الولاية ومفهوم التولي والتبريء، مؤسسة

الأبـرار الإسـلامية، 23 مـارس 2018.

6 - السـيد العلامـة محمـد بـدر الديـن الحـوثي، الـولاء والـبراء الأهميـة والأثـر، المنطلقـات والضوابـط، دائـرة الثقافـة القرآنيـة بالمكتـب التنفيـذي لأنصـار اللـه، 7 مـارس 2018

7 - العلامـة محمـد الرصـافي المقـداد، ولايـة اللـه تعـالى، مركـز الأبحـاث العقائديـة، تونـس.

8 - العلامة منير الخباز القطيفي، الولاء المقدس، شبكة المنير، 1 يناير 2009.

9 - موقع شبكة عريق، التولي والتبري.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

2015.. عام العـــدوان
الدموي على دُور العبادة بصنعاء

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشـــي

شعبان 1444هـ مارس 2023م

يظل العام 2015 من أكثر الأعوام دموية في السجل الأسود لسنوات العدوان العبري الثمان، استهدفت الجماعات الإرهابية التكفيرية الوهابية المُتشددة المدعومة من السعودية، والتيارات الدينية اليمنية الموالية لبلاط الدرعية، أكثر من 12 مسجداً بأمانة العاصمة صنعاء، أثناء أداء المصلين الصلاة، في بادرة خطيرة كان الهدف منها تمزيق النسيج الاجتماعي، وتلغيم التعايش المجتمعي الذي تفرد به اليمن عن غيره من البُلدان العربية والإسلامية لأكثر من 12 قرناً، وتحويله إلى مستنقع وساحة لحرب مذهبية لا تُبقِ ولا تذر، لكن وعي ويقظة وبصيرة أحفاد الأنصار أسقطت كل رهاناتهم ومخططاتهم الشيطانية التدميرية.

الجوامع المُستهدفة:

الإحسان، القبة الخضراء، قبة المهدي، المؤيد، البليلي، البهرة، الروضة، الصياح، النور، قطينة، بدر، الحشحوش.

أدوات الجريمة:

تنوعت ما بين حزامٍ ناسف وسيارة مُفخخة وانتحاريين مجبسين.

استراتيجية الجريمة:

ركّزت على تنفيذ عمليات مزدوجة، تستهدف المصلين والناجين والمُسعفين في وقتٍ واحد، بمعنى إبادة جماعية لكل الحاضرين، في حقد يزيدي دفين.

الضحايا:

أكثر من 700 إنسان، غالبيتهم من الأطفال وكِبار السن، بينهم من أُصيب بإعاقات دائمة.

نصيب بدر والحشحوش منها 555 ضحية، بينهم أُسر انتهت تماماً، وأُسر فقدت كل

أطفالها، وأُسر فقدت الوالدين معاً، وأُسر فقدت الأب والإبن والأخ وأخاه، وأُسر فقدت ثلاثة أجيال "الجد والإبن والأحفاد".

كما حصدت كوكبة من خيرت علماء اليمن، منهم:

السيد العلامة الدكتور مرتضى المحطوري، السيد العلامة عبدالملك المروني، السيد عبدالإله الكبسي، العلامة عمار اللاعي، العلامة محمد عبدالملك الغيثي.

بنك الأهداف:

تركّز اهتمام المعتدين على المساجد المُشتهِرة بمناهضتها للفكر الوهابي التكفيري الإرهابي، وفي هذا دلالة واضحة على أن تحالف البغي العبري كان يُعدّ العُدة للقضاء على شيعة اليمن، والنيل من نقاء وطُهر الإسلام المحمدي في بلد الأنصار، وتحويله إلى حظيرة لأنعام التكفير الوهابية، وساحة لسادتهم وأولياء نعمتهم في البيت الأسود وتل أبيب، وبوابة للمشروع الاستعماري الاستيطاني القديم المُتجدد بنُسختيه: الشرق الأوسط الكبير والقرن الأفريقي الكبير، بعد فشل رهانات أبقار الأميركان وقُرود الصهاينة في العراق ولبنان، وتالياً صيرورة قُرود أبقار واشنطن في المشرق العربي واسطة العقد في رسم مستقبل المنطقة والتحكم في مسارها ومصيرها، وكعبة حُكام العرب المُشرّفة، والفرقان الحق المسخ لمُنظّري التقريب البقري القُرودي بين الأديان، كتابهم المُقدّس، ومظلتهم للتعايش والسلام الكاوبوي الهوليودي، ودُعاة الحرية والكرامة من قوى المقاومة والممانعة الإسلامية عدوهم الأوحد، ومحتل أراضيهم المُقدّسة من الصهاينة اللُقطاء مُنقذ ومُحرر وصديق حميم وأخ رحيم، ويا للعجب من هكذا هول عظيم.

شواهد ذلك كثيرة، أكثرها تجلياً الاستهداف المُمنهج لدُور العبادة في اليمن من قبل طيران التحالف العبري، وتدميره أكثر من 1612 مسجداً، خلال سنوات الجمر الثمان من عدوانه الآثم على بلد الإيمان والحكمة، والمساعي المُستميتة لطمس الهوية الإيمانية لأحفاد الأنصار، ومسخ الأخلاق العربية الأصيلة.

مجازر عابرة من مسلسل دموي غير عابر:

1 - مجزرة بدر والحشحوش:

طالت استهدافات الجماعات الإرهابية في 20 مارس 2015 مسجدي بدر بجولة تعز والحشحوش بالجراف، أثناء صلاة الجمعة، نفذها أربعة انتحاريين يحملون أحزمة ناسفة، في عملية مزدوجة وضعت في بنك أهدافها تصفية المصلين والناجين والمُسعفين.

إذن فنحن أمام عملية وحشية غير مسبوقة في تاريخ البشرية، والمُلفت للنظر أن هذه الاستراتيجية الشيطانية كانت السمة الغالبة لعمليات تحالف البغي العبري في اليمن منذ انطلاقتها في 26 مارس 2015، أي بعد 6 أيام فقط من غزوة بدر والحشحوش، والتي لم تكن سوى مُقدمة لأمر جلل كان يُراد تمريره في اليمن، لكن عناية الله ويقظة المُخلصين من أبناء هذا الشعب المؤمن حالت دون مراميهم الشيطانية، وأسقطت كل مشاريعهم التدميرية، وحوّلت سهام مخططاتهم المسمومة إلى نحورهم.

ذلك العدوان الآثم تسبب في استشهاد 155 إنسان، وجرح 400 إنسان، بينهم 40 شخصاً إصابتهم بليغة، وبين كل 5 ضحايا طفل، بواقع 111 طفل بين شهيد وجريح.

واستبقت الجماعات الوهابية الإرهابية التكفيرية هذه العملية الإجرامية باغتيال المناضل والمجاهد والصحافي الكبير "عبدالكريم الخيواني"، في 18 مارس 2015، أي قبل يومين فقط من مذبحة بدر والحشحوش، وهو من الشخصيات الوطنية والثقافية المعروفة بكتاباتها النارية ضد تلك الجماعات الظلامية، منذ حادثة كول الشهيرة وفُقاعات جيش عدن أبين الإسلامي، وما تلاها من نوازل ونكبات "داعشية - قاعدية" ومؤامرات "إخونجية".

ويروي العلامة المجاهد "حمود الأهنومي" وهو أحد شهود مجزرة بدر وله كتابٌ عن شهداء المجزرتين، في مقالٍ مطوّل له عنهما، أن أستاذنا وشيخنا شهيد المنبر الدكتور المرتضى المحطوري كان مُسترسلاً في خُطبة الجمعة الدامية بالحديث عن الإعلامي المجاهد "عبدالكريم الخيواني" والثناء على شجاعته، كأول من رفع سقف الصحافة في اليمن، والتأكيد على ضرورة تطبيق الحزم وعدم التهاون مع المجرمين الذين انتزعوا روحه الطاهرة، متسائلاً بحُرقة وألم: "هل يجب أن ننتظر القتلة ليقتلونا واحداً واحداً؟".

وبينما هو يعود لتفاعله المعهود منه، ويمُهِّد للمصلين بأنه سيُخْبِرُهم بنكتة، قال إنه: "يخشى أن تنقُض الوضوء"، لكنه ما إن أكمل هذه العبارة حتى انتقضت عُرى الإنسانية، وتعرّى إسلامهم الأميركي، فتزلزل المسجد بسقوط عشرات الأبرياء بسرعة خاطفة.

هذا المسلسل الدامي من "الإرهاب اللا إنساني" أعاد للذاكرة مشهد مُماثل حدث في مدينة المحابشة من أعمال محافظة حجة أثناء ثورة 26 سبتمبر 1962، وكان أستاذنا المحطوري رضوان الله عليه أحد شهوده، كما يروي في مُستهل ورقة عمل بعنوان "الجهاد, الإرهاب, العنف, تداول السلطة"، قدّمها في مؤتمر دولي نظّمه مركز القدس للدراسات السياسية في العاصمة الأردنية، تحت عنوان: "نحو خطاب إسلامي ديمقراطي مدني"، لم أعد أتذكر سنة انتظامه.

وكان شمال اليمن يومها يتعرّض لغارات همجية من الطيران المصري، لا تُفرِّق بين ما هو مدني وما هو عسكري، ومنها غارة استهدفت الجامع "المقدس" بمدينة المحابشة، وكان الدكتور المحطوري يومها طالباً بالمدرسة العلمية في منطقة "القرانة" الواقعة جنوب المسجد المُستهدف على بعد نحو 200 متر.

استُشهد في تلك الغارة كل المتواجدين في المسجد، وعددهم 75 إنسان، باستثناء شخص واحد من بيت "سليم"، كُتبت له النجاة، كانوا يحتمون بالجامع من عربدت ذلك الطيران الأرعن، وتطايرت أشلائهم على بُعد 500 متر في الاتجاهات الأربع، في مشهد بشع يُحاكي ما جرى في بدر والحشحوش وغيرها من مساجد صنعاء في العام 2015، وما تلاها من جرائم "سعودية - إماراتية" بحق اليمنيين في سنوات العدوان العبري الثمان.

ولا يزال أبناء تلك البلاد يتناقلون مشاهد جمع الأشلاء المتناثرة لأحبتهم إلى اليوم، وقد حكى لي والدي رحمه الله عنها والدمع يقطر من عينيه وآهات وحشرجات الألم تُقَطِّعُ أوتار قلبه وتكتم أنفاسه.

والشاهد من كلام الدكتور المحطوري، وكان هدفه تقديم تعريف مُبسّط للإرهاب من الواقع المُعاش بعيداً عن التنظيرات الأميركية السُفسطائية:

"بعد اتصال من السيدة المُبجلة هالة سالم - المدير التنفيذي بمركز القدس للدراسات السياسية، بادرت إلى كتابة ورقة أُسطِّر فيها فهمي للإرهاب، والعنف، والتداول السلمي

للسلطة؛ من خلال تجربتي ومُعاناتي الشخصية التاريخية، وقد عرفت العنف عن قرب، واكتويت بنار الإرهاب الفكري، والمادي، فلا أحتاج إلى معاناة لأُنبّش عن ذكريات الإرهاب، والعنف، والاستبداد.

لقد بدأ المسلسل الدامي منذ شاهدت بأم عيني وأنا في سن الثالثة عشرة أو أكثر قليلاً حين كنت مُختبئاً في جبل شرق قريتي؛ خوفاً من الطائرات التي كانت تقصف المناطق الشمالية من اليمن أيام حرب عبدالناصر، والسعوديين في اليمن، وكانت قُرَانا آهلة بالمزارعين وحيواناتهم ليس لها أي علاقة بالنشاط العسكري، بل كُنا في الصف الجمهوري، ومع ذلك لم نسلم من القصف والترويع.

إنما المشهد الذي لا أنساه حين مرت طائرة وقت صلاة الظهر، وقذفت مسجداً في مدينة المحابشة مُكتظاً بالمصلين، وكادت الطائرة أن تُلامس سطح المسجد؛ إذ لا يوجد مُضادات، فنسفت المسجد بمن فيه، كانوا خمسة وسبعين لم ينج منهم إلا واحد.

المشهد الثاني: يوم كنا بمسجد "القُرانة" مهاجرين لطلب العلم، فأقبلت في الصباح الباكر طائرة سوداء، فألقت من الشرق شريطاً كاملاً من القنابل ذرع مدينة المحابشة الوادعة المستطيلة في سفح الجبل، فألقيت بنفسي على الأرض؛ تفادياً للشظايا كما كانوا يعلّموننا، وقد كنت متعوّداً على إرهاب كهذا، فصارت نيران جهنم الواصلة من الجو عبارة عن ألعاب تُصيبنا ببعض الذعر، لكني لم أفر بل ذهبت لمشاهدة آثار القصف، فشاهدت شيخاً عجوزاً فقيراً قاعداً ميتاً بجوار موقد لقلي نوع من الحُبُوب يعتصر منها لقمة عيش جافة له ولأسرته.

وشاهدتُ طفلاً في السادسة من عمره مرمياً في العراء، قد بُترِت رجله من فوق الركبة، وبقيت مُعلَّقة، وهو يئن وينزف، وعنده عجوز تبكي لا تدرِ ما تفعل له، وأنا مبهوت أعيش الجهل، والوحشة، والمشاعر المُؤلمة، لم أُقدِّم لهذا الطفل أي مساعدة، فماذا أفعل؟! فلا إسعاف، ولا وسائل ولو بدائية، ولا شيء، فما زلنا كما خَلَّفَنَا نبيُّ الله نوح عليه السلام.

والأكثر إيلاماً أن تسمع الجماهير المنحطة تهتف لهؤلاء الإرهابيين القتلة من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر: نفديك يا عبدالقاهر .. أو بالروح بالدم نفديك يا فندم؟!".

وللأسف ما شاهده الدكتور المحطوري في الثالثة عشرة من عمره يتكرر بكل تفاصيله وللعام الثامن على التوالي، والأكثر مرارة أن يكون أحد ضحاياه، وأن نكون أحد شهوده، لأن الشاهد فارقنا، وأبقى لنا مرارة وعذاب وألم المُشاهدة، لكن دمه ودم رفاقه من اليمنيين الأبرياء لم يذهب هدراً، فها هو اليمن يغتسل بطُهر دمائهم الزكية من خُبث ورجس وأوساخ تلك الجماعات الظلامية وفي سنوات معدودة من الفُراق الأليم.

2 ـ هكذا يستقبل التكفيريون رمضان:

استهدفت الجماعات التكفيرية في 17 يونيو 2015، عدة أماكن في صنعاء، منها: المكتب السياسي للأنصار، مسجد القبة الخضراء بشارع هائل، مسجد الكبسي بشارع الزراعة، مسجد الحشحوش بحي الجراف، أثناء أداء صلاة المغرب أخر شعبان وعشية رمضان، ما تسبب في استشهاد 30 مُصلياً، في تأكيد واضح وجلي على أن تلك القوى الإجرامية مجرد "بيادق" كما أسلفنا بيد بقر وقرود دهاقنة الشرق الأوسط الجديد.

3 ـ مجزرة جامع قبة المهدي:

غيرّت الجماعات التكفيرية في 20 يونيو 2015، أدوات الجريمة، فاستبدلت الانتحاريين والأحزمة الناسفة بسيارة مُفخخة انفجرت قُرب جامع قبة المهدي بالتحرير، ما أدى إلى استشهاد شخصين وإصابة ستة آخرين.

4 ـ مجزرة جامع البهرة:

وهي جماعة شيعية تتبع المذهب الإسماعيلي، ولها تواجد بِعدة مناطق يمنية في الشمال والجنوب، منها أمانة العاصمة صنعاء، وكان جامعها في شارع سوق "الرمّاح" هدفاً لإحدى السيارات التكفيرية المُفخخة في 29 يوليو 2015، تسببت في استشهاد 5 أشخاص.

5 - مجزرة مسجد المؤيد:

يقع في الجراف من أمانة العاصمة، استهدفته تلك الجماعات الظلامية بعملية مزدوجة في 2 سبتمبر 2015، تسببت في استشهاد 34 إنسان وجرح 94 يمني.

6 - قرابين عيد الأضحى:

لأنهم أعداءُ الإنسانية، يكرهون كل مباهج البهجة والفرح، ويُزعجهم ابتهاج المسلمين بأعياد الله، لأنها هِبات ونفحات وكرامات، ولا أعجب أن يكون عباد الله الصالحين المُؤدين صلاة عيد الأضحى بجامع "البليلي" في صافية الأمانة هدفهم التالي، مُرسلين في 24 سبتمبر 2015 أحد انتحاريهم، لانتزاع فرحة الساجدين الراكعين العابدين الحامدين الشاكرين، ما تسبب في استشهاد 10 أشخاص وإصابة 21 شخص.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

ثمانية أعوام من استهداف العدوان للنساء والأطفال

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشـــي

رمضان 1444هـ مارس 2023م

ثمان سنوات من العدوان البربري العبري على اليمن، تحول فيها بلد الإيمان والحكمة وأبنائه من أحفاد الأنصار إلى حقل تجارب لآخر ما أنتجت مصانع الأسلحة في العالم، داس خلالها تحالف البغي والعدوان على كل القوانين والأعراف الأممية الخاصة بأخلاقيات الحروب، ورمى بكل نواميس الشرائع السماوية عرض الحائط.

إذن فنحن أمام عدوٍ لا دين ولا أخلاق ولا عهد ولا ذمة له، استخدم في حربه الإجرامية ضد اليمنيين كل الأسلحة المحرمة، ولم يرعَ حُرمة لشيئ، مُستمتعاً طوال سنوات الجمر الثمان بتعذيب وقتل اليمنيين، ومُستخدماً ضدهم سياسة الأرض المحروقة، وكان للأطفال والنساء نصيب الأسد من عدوانه الظالم على كافة الأصعدة.

ورغم كل الأساليب القذرة التي استخدمها من أجل تركيع اليمنيين والنيل من كرامتهم، فها هو اليمن أكثر صموداً وقوة وصلابة وعنفواناً، وتصميماً على المُضي في مقارعة الغزاة والمعتدين، وتطهير اليمن من رجسهم وخُبثهم.

في هذا التقرير سنكتفي بتقديم قراءة رقمية مُوجزة لأهم الأضرار التي لحقت بنساء وأطفال اليمن خلال سنوات العدوان الثمان، والتوقف عند أبرز محطات وعناوين ذلك العدوان الأرعن، لأن الإحاطة بكل تفاصيل وتداعيات الأضرار التي لحقت بنسائنا وأطفالنا بحاجة لسلسلة من التقارير، وغرضنا كشف وتعرية حقيقة العدوان أمام محكمة الضمير العالمية البكماء والصماء والعمياء، وإذا تحدثت الأرقام خرُست ألسن أدعياء حقوق الإنسان.

ما لحق اليمن في سنوات العدوان الثمان وصمة عار في جبين الإنسانية ولعنة ستُلاحق أدعياء حقوق الإنسانية في محكمة الضمير العالمية لعقود قادمة.

الشهداء والجرحى:

قدّرت منظمة "انتصاف" وهي من المنظمات المختصة بشؤون المرأة والطفل ضحايا العدوان من الأطفال والنساء في اليمن منذ بدء العدوان وحتى 24 مارس 2023م بسبب الغارات والصواريخ بلغ ثلاثة آلاف و896 قتيلاً من الأطفال وألفين و 445 من النساء، فيما بلغ عدد الجرحى أربعة آلاف و298 طفلاً وألفين و869 امرأة.

إجمالي ضحايا الأطفال 8195 شهيداً وجريحاً، والنساء 5314 شهيدة وجريحة.

وبلغت نسبة الوفيات في أوساط مرضى النساء بسبب إغلاق مطار صنعاء الدولي 30%، وهي نسبة كارثية، خصوصاً وأنها شملت شريحة من المرضى يعانون من أمراض يمكن الشفاء منها لو تم السماح بسفرهم لتلقي العلاج في الخارج في الوقت المناسب.

وفي تقديرات مركز "عين الإنسانية" للحقوق والتنمية، للضحايا خلال 8 أعوام بلغ 48,349 بينهم 18,140 شهيداً و 30,254 جريحاً.

وأكد المركز أن عدد الشهداء والجرحى من الأطفال خلال 8 أعوام من العدوان 4,079 شهيدا 4,790 جريحا، فيما بلغ عدد الشهداء والجرحى من الرجال 11,603 شهداء و22,476 جريحا، فيما بلغ عدد الشهداء والجرحى من النساء 2,458 شهيدة و 2,988 جريحة.

بينما تذهب التقديرات الأممية إلى أن نسبة الضحايا في أوساط الأطفال والنساء 15% من إجمالي ضحايا الحرب في اليمن، وتحدث وزير الصحة بصنعاء عن 16000 شهيد وجريح من الأطفال والنساء.

الأمم المتحدة في تقرير لها نشرته في العام 2022 تحدثت عن مقتل أو تشويه أكثر من 10200 طفل.

أبرز مجازر العدوان بحق النساء والأطفال:

1 - مجزرة صلاح الدين السكنية بتعز، في 22 أغسطس 2015، تسبب فيها طيران العدوان بإصابة واستشهاد العشرات من المدنيين الأبرياء، بينهم أطفال ونساء.

2 - حفل زفاف قرب ميناء المخا من أعمال محافظة تعز، في 28 سبتمبر 2015، أدى إلى استشهاد أكثر من 135 مدنياً، غالبيتهم من الأطفال والنساء.

3 - حفل زفاف سنبان ذمار، في 8 أكتوبر 2015، أسفر عن استشهاد 54 مدنياً، جُلُّهم من النساء والأطفال، وإصابة 31 آخرين، بينهم 15 طفلاً و17 امرأة.

4 - تجمع نسائي حول بئر بمديرية المسراخ من أعمال محافظة تعز، في 29 نوفمبر 2015، أَدَّى إلى استشهاد 12 امرأة.

5 - استهداف موكب تشييع جنازة، في 8 أكتوبر 2016، استشهد فيها وجُرح أكثر من 750 شخصاً.

6 - مدرسة الفلاح الابتدائية شمال شرقي صنعاء، في 10 يناير 2017، أسفر عن استشهاد 3 أطفال، بينهم فتاة تُدعى "إشراق المعرفي"، كانت مُلقاة على الأرض بالزي المدرسي وحقيبتها المدرسية بجانبها، وإصابة 4 أطفال.

7 - مجزرة "أرحب" بمحافظة صنعاء، في 15 فبراير 2017، راح فيها عشرات الشهداء والجرحى بينهم نساء وأطفال.

8 - مجزرة حي فج عطان جنوب غرب العاصمة صنعاء، في 25 أغسطس 2017، فقدت فيها "بثينة" (8 أعوام) والديها وعمها و4 من أشقائها، وأثارت صورتها وهي تحاول فتح عينها اليُمنى المصابة بينما تنتفخ عينها اليسرى، الجدل على مواقع التواصل الاجتماعي والمواقع الإعلامية، وكانت خير شاهد على جرائم العدوان العبري.

9 - استهداف مجموعة من النساء في منطقة حسان بحريب القرامش من أعمال محافظة مأرب أثناء عودتهن من حفل زفاف، في 17 ديسمبر 2017

10 - حفل زفاف "يحيى جعفر" في منطقة بني قيس من أعمال محافظة حجة، في 22 أبريل 2018، أدى إلى استشهاد أكثر من 30 مدنياً، معظمهم من النساء والأطفال، وبقيت صورة الطفل الذي ظل قريباً من جسد والده نتيجة الاعتداء في الأذهان.

11 - حافلة مدرسية في سوق مزدحم بضحيان من أعمال محافظة صعدة، في 9 أغسطس 2018، أسفر عن استشهاد وإصابة أكثر من 120 طفلاً.

12 - مجزرة الحي الليبي غرب صنعاء، في 17 يناير 2022، أسفر عن استشهاد 29 شخصاً، بينهم مدير مدرسة الطيران والدفاع الجوي، وخلال تلك العملية منع طيران العدوان سيارات الإسعاف من الوصول إلى الأحياء السكنية في تلك المنطقة.

وكلها جرائم لا يمكن أن تنمحي من ذاكرة اليمنيين لعقودٍ قادمة لبشاعتها وفضاعة مُرتكبيها.

الإعاقات والتشوهات:

تسببت صواريخ وقذائف العدوان وأسلحته المحرمة وألغامه وبقايا قنابله العنقودية بعاهات وإعاقات ستظل وصمة عار في جبين الأمم المتحدة والمنظمات الدولية المدعية حماية حقوق النساء والأطفال.

وتتحدث الإحصائيات عن ارتفاع عدد الأشخاص ذوي الإعاقة من 3 ملايين قبل العدوان إلى 4.5 ملايين، منهم 6000 مدني أصيبوا بإعاقات نتيجة العدوان "السعودي - الإماراتي"، بينهم 5559 طفلاً، ومن المتوقع أن يكون العدد الفعلي أعلى بكثير.

كما تعرّضت آلاف النساء لإعاقات جسدية ونفسية، وهناك أكثر من 16 ألف حالة من النساء والأطفال بحاجة إلى تأهيل حركي.

وبلغ عدد ضحايا الألغام وبقايا القنابل العنقودية 8104 ضحية من الأطفال والنساء، بينهم 204 طفلاً، منهم 44 شهيداً في 11 محافظة، و26 امرأة، بينهن 4 شهيدات، منذ سريان الهدنة في 2 أبريل 2022 وحتى 1 مارس 2023، ناهيك عن آلاف الإصابات والشهداء بسبب الألغام والقنابل العنقودية منذ بداية العدوان الآثم على اليمن.

وتتحدث الأرقام عن استشهاد 1019 شخصاً بسبب بقايا القنابل العنقودية، بينهم 115 طفلاً و39 امرأة، واصابة 2822 بجروح.

والأكثر فظاعة ارتفاع نسبت التشوهات الخُلقية وإجهاض الأجنة بمعدل 350 ألف حالة إجهاض، و12 ألف حالة تشوه، بسبب استخدام العدوان للأسلحة المحرمة، وتسجيل 3000 حالة من الأطفال يعانون من التشوهات القلبية بحاجة للسفر للعلاج في الخارج.

النزوح مآسي لا تنتهي:

ارتفاع عدد النازحين خلال الفترة "مارس 2015 - فبراير 2023" إلى 5160560 نازح نصفهم نساء وأطفال، تضمهم 740122 أسرة، 27 % من النساء دون سن الـ 18، وهو ما يزيد احتمالات تعرضهن للعنف.

وعدد النازحين من الاطفال 1.71 مليون طفل.

21% من الأسر النازحة تعولها نساء أعمارهن أقل من 18 عاماً، بواقع 1 من 3 أسر نازحة، تعولها نساء.

60000 امرأة فقدن أزواجهن بسبب الحرب، بحسب التقارير الاممية.

417 ألف أسرة يمنية، تتولّى مسؤولية إعالتها النساء، بحسب التقارير الاممية.

الساحل الغربي والمحافظات الجنوبية المحتلة:

تنوعت وتعددت صور وأساليب جرائم العدوان العبري بحق نساء وأطفال الساحل الغربي والمحافظات الجنوبية المحتلة، وتجاوز عدد الانتهاكات في الساحل الغربي 695، منها 132 جريمة اغتصاب، و56 جريمة اختطاف، وفي المحافظات الجنوبية، وعدن خاصة 443 جريمة اغتصاب بحسب البلاغات، وما خفي أعظم وأبشع.

التعليم:

تتحدث الأرقام عن وجود 2400000 طفل خارج أسوار المدارس، من 10.6 ملايين طفل في سن الدراسة (من 6 إلى 17 عاما)، وتدمير وتضرر 3500 مدرسة، وإغلاق نحو 27% من المدارس، وتضرر 66% من المدارس، واستخدام 7% من المدارس كمراكز إيواء للنازحين.

6 - 6.1 ملايين طفل يواجهون انقطاعاً عن التعليم بحسب إحصائيات وزارة التربية والتعليم بصنعاء.

8.1 ملايين طفل بحاجة إلى مساعدات تعليمية طارئة في جميع أنحاء البلاد.

31% من فتيات اليمن خارج نطاق التعليم.

عمالة الأطفال:

تسبب العدوان العبري في تدمير البنية التحتية وانقطاع المرتبات وشلل الحياة

الاقتصادية، كما تسبب الإمعان في المجازر ضد الأبرياء في وفاة الآلاف من أولياء الأمور، ما أدى إلى إلقاء عبء كبير على كاهل الأطفال، وتحملهم مسؤولية إعالة أسرهم، وحرمانهم من حقهم في التعليم، والاستمتاع بطفولتهم.

وتتحدث الأرقام عن 1.4 مليون طفل يعملون في اليمن محرومون من أبسط حقوقهم، 34.3% منهم تتراوح أعمارهم ما بين 5 و17 عاماً، و12.6 مليون طفل يحتاجون لشكل من أشكال المساعدة الإنسانية أو الحماية، من بين كل 10 أطفال يعيش أكثر من 8 أطفال لدى أسر ليس لديها دخل كافٍ لتلبية احتياجاتهم الأساسية.

وارتفع معدل ظاهرة عمالة الأطفال خلال فترة العدوان 4 أضعاف، عما كانت عليه قبل العدوان، ومعدلات الفقر إلى 80%.

الصحة:

تتحدث الأرقام عن 2.3 - 3.6 مليون طفل دون الخامسة يعانون من سوء التغذية، بزيادة قدرها 66% خلال العامين الأخيرة.

632 ألف طفل يعانون من سوء التغذية الحاد الوخيم المهدد لحياتهم بالوفاة خلال العام 2022.

1.5 مليون من الأمهات الحوامل والمرضعات يعانين من سوء التغذية، منهن 650495 امرأة مصابات بسوء التغذية المتوسط.

وفاة امرأة و6 مواليد كل ساعتين، بسبب مضاعفات الحمل أو الولادة، وتدهور خدمات الرعاية الصحية، بحسب منظمة "اليونيسيف" يونيو 2019، والأمم المتحدة 24 نوفمبر 2019.

وفاة طفل كل 10 دقائق، بسبب سوء التغذية وأمراض أخرى يمكن الوقاية منها، و15 حامل يومياً، وامرأة كل يوم عند الولادة، بحسب أرقام الأمم المتحدة، في سبتمبر 2018.

وفاة أكثر من 288 - 300 طفل يومياً دون سن الخامسة بسبب سوء التغذية، و500 حالة وفاة من الأمهات بسبب الحمل والولادة لكل 100 ألف ولادة حية، بعد أن كان

معدل وفيات الامهات عند الولادة 148 لكل 100 ألف حالة، بزيادة تصل الى 200%.

وفاة 100 ألف طفل من حديثي الولادة، و40320 امرأة حامل، ووفيات الأطفال خلال فترة العدوان 727760.

والنساء المتوقع فقدانهن حياتهن أثناء الحمل أو الولادة 17 ألف امرأة تقريباً.

8 ملايين امرأة بحاجة لتوفير الخدمات المنقذة للحياة.

86% من الأطفال دون سن الخامسة يعانون من أحد أنواع "فقر الدم"، و46% منهم يعانون من "التقزّم".

8 من كل 10 أطفال يعانون من سوء التغذية، وفقاً لأرقام إحدى الوكالات التابعة للأمم المتحدة.

1000 طفل يمني يموتون يومياً، و150 ألف طفل يموتون سنوياً، بسبب العدوان والحصار ونقص الأجهزة والأدوية، بحسب تقارير المنظمات الدولية.

85 طفل دون الخامسة من أصل ألف طفل يموتون بسبب نوع من أنواع الأمراض التي يمكن الوقاية منها، وموت 80 مولود من أصل 1000 ولادة.

265 ألف طفل يموتون سنوياً بسبب أحد الأمراض الخمسة "الالتهاب الرؤي، الإسهال، الحصبة، الملاريا، سوء التغذية"، ولم تكن نسبة الوفيات السنوية قبل العدوان تتجاوز 80 ألف طفل.

سرطان الأطفال:

3000 طفل مصابين بالسرطان، معرضين للموت، وبحاجة للسفر الى الخارج.

71 ألف حالة سرطانية تم تسجيلها بين الأطفال منذ بداية العدوان.

80 ألف مصاب بالسرطان في اليمن، خلال سنوات العدوان نتيجة استخدام الأسلحة المحرمة دولياً بحسب وزارة الصحة بصنعاء.

9000 حالة مصابة بالسرطان تُضاف سنوياً، 15% من الأطفال، بحسب وزارة الصحة بصنعاء.

وفاة 12 ألف حالة جراء هذا المرض.

ارتفع عدد المصابين بسرطان الدم في أوساط الأطفال في الأمانة من 300 حالة إلى 700 حالة، نتيجة استخدام العدوان للأسلحة المحرمة دولياً في عطان ونقم، وإصابة 1000 طفل في بقية المحافظات.

ولنا قراءة تفصيلية عن السرطان نُشرت العام الماضي، وأكثر من 20 قراءة عن تداعيات العدوان على كافة الأصعدة، نشرتها وكالة سبأ وصحيفة السياسية في الأعوام الثلاثة الأخيرة.

المواليد الخُدّج:

ارتفاع نسبة المواليد الخُدّج إلى 8% مقارنة بالوضع قبل العدوان، بمعدل 22566 حالة، وبلغ عدد المواليد في العام 1120000، بينهم 39% يولدون خُدّج، و80 مولود يتوفون يومياً، بسبب الأسلحة المحرمة دولياً المستخدمة في العدوان على اليمن، وقلة الأجهزة والأدوية والخبرات الطبية بسبب الحصار الجائر.

ونعني بمصطلح "الخُدّج" الطفل الذي يولد قبل 3 أسابيع من تاريخ الولادة الطبيعية.

وتعظم الكارثة مع محدودية الحضانات والتي لا تتجاوز 600 حضانة، بينما الاحتياج الفعلي للقطاع الصحي 2000 حضانة، ما تسبب في وفاة 50% من المواليد الخُدّج، بفعل تداعيات العدوان والحصار

الأدوية الخاصة بالمرأة:

تسبب الحصار الظالم في انعدام أكثر من 50% من أدوية مرضى السرطان، وخاصة الأدوية الموجهة والكيماوية، وعدم توافر 70% من أدوية الولادة.

تجـــارياً:

كشفت إحصائيات وتقارير صدرت في العام 2015، أن الشركات المملوكة للنساء كانت أكثر تضرراً من العدوان مقارنة بالشركات المملوكة للذكور، رغم من أن عدد الشركات النسائية المتضررة كانت تمثل 4% فقط من إجمالي الشركات قبل العدوان.

وتحدثت دراسة أجراها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عن إغلاق 42% من الشركات المملوكة للنساء في قطاعات التجارة والخدمات والصناعة في العام 2015، بسبب الأضرار المادية التي لحقت بها جراء العدوان، إضافة إلى فقدان رأس المال ونقص الكهرباء والوقود.

ولنا تصور حجم وفداحة الضرر الذي لحق المرأة اليمنية في عالم المال والأعمال خلال سنوات العدوان الثمان.

المراجـــــع:

1 - موقع وكالة الأنباء اليمنية سبأ، منظمة انتصاف: ضحايا العدوان من الأطفال والنساء تجاوز 13 ألفاً و384 قتيلاً وجريحاً، 8 سبتمبر 2022.

وكذا: منظمة انتصاف لحقوق المرأة والطفل: أكثر من 5 آلاف امرأة ضحايا العدوان منذ ثماني سنوات، 27 نوفمبر 2022.

منظمة انتصاف: أكثر من 13 ألف امرأة وطفل ضحايا العدوان خلال 8 سنوات، 11 ديسمبر 2022.

منظمة انتصاف: 8 آلاف طفل وطفلة ضحايا العدوان خلال ثماني سنوات، 20 نوفمبر 2022.

منظمة انتصاف: 6 ملايين طالب وطالبة يعانون من انهيار نظام التعليم في اليمن، 24 يناير 2023.

منظمة انتصاف: أكثر من 3 آلاف طفل مصابون بالسرطان ومعرضون للموت، 4 فبراير 2023.

2 - أحمد داوود، الأحزمة الناسفة وغارات طيران العدوان السعودي الأميركي، شهارة نت، 2 يناير 2016.

3 - مهدي البحري، أكثر من ثلاثة آلاف طفل مصابون بالسرطان يواجهون المرض والمواقف المخزية للأمم المتحدة، وكالة سبأ للأنباء، 5 فبراير 2023.

4 - وكالة سبأ، مؤتمر صحفي لوزارة الصحة حول آثار وتبعات العدوان والحصار على القطاع الصحي، 27 أغسطس 2022.

5 - مركز عين الإنسانية، أكثر من 8600 شهيد وجريح من أطفال اليمن خلال سنوات العدوان، 22 نوفمبر 2022.

6 - موقع الحقيقة، ضحايا العدوان السعودي يتجاوز 13 ألف شهيد وجريح، 9 سبتمبر 2022.

7 - وكالة الأنباء اليمنية سبأ، المرأة اليمنية.. أدوار ملموسة في مواجهة تبعات العدوان والحصار، 11 مارس 2022.

8 - موقع العهد الاخباري اللبناني، اليمن: أرقام صادمة لضحايا العدوان والحصار، 28 ديسمبر 2022.

9 - الميادين نت، مركز "عين الإنسانية" للحقوق والتنمية: بعد 7 سنوات من العدوان على اليمن.. عدد الضحايا بلغ أكثر من 46 ألفاً، 23 مارس 2022.

10 - موقع وكالة مهر للأنباء، منظمة انتصاف تكشف عن وفاة طفل كل عشر دقائق خلال سنوات العدوان والحصار على اليمن، 4 مارس 2023.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

ثمانية أعوام من الصمود السياسي والعسكري اليمني .. تجليات لا تنتهي

مركز البحوث والمعلومات

رمضان 1444هـ مارس 2023م

ونحن نُحيي الذكرى الثامنة لصمودنا الوطنيّ في السادس والعشرين من مارس عامنا الحالي 2023م، نستطيع أن نقرأ اختلاف المشهد اليمني عما كان عليه في ذات التاريخ من العام 2015م، إذ ما كان ضرباً من الخيال في الساعات الأولى من العدوان على اليمن أصبح حقيقة يقرّ بها العدوّ قبل الحليف والصديق.

ثمانية أعوام من العدوان على اليمن لم تكن قادرة على تغيير الوضع السياسي والعسكري في صنعاء، بل أن المشهد لدى دول العدوان وأدواته المحلية يحكي لنا ضعف وتوهان فاقا الوصف، ولغة الأرقام بكل تفاصيلها تكشف أن وصف الخسارة والهزيمة التي يعيشها العدو ليست سوى غيض من فيض الحقيقة والواقع، لكن المراوغة المفضوحة التي تجيدها ما تُسمّى بدول "التحالف" ومن ورائهم داعميهم من حلف " الصهيونية الأمريكية" خلال المرحلة الأخيرة ,سعت إلى التغطية على خسارتهم الكبيرة في اليمن.

هذا الواقع بكل تفاصيله وإن بدا واضحا اليوم ونحن على مشارف العام التاسع، إلا أنه لم يكن كذلك مع بداية العدوان ، وفي تفاصيل المشهد اليمني اليوم، هناك العديد من التجليات التي لن يكتمل فهمها وإدراكها دون العودة إلى المشهد في السابق.

تشتت الأعداء:

لم يعد خافياً على أحد حجم الخلافات ما بين حلفاء الأمس المملكة السعودية والإمارات، فيما يخص حاضر ومستقبل اليمن إلى جانب عدد من الملفات الإقليمية الأخرى، وحسب العديد من القراءات والتحليلات المطلعة فإن الخلاف الأبرز يتمحور حول اليمن، وفي هذا السياق تشير صحيفة "وول ستريت جورنال"، في قراءة لها "أن أبو ظبي تخشى تهميشها من المناقشات حول مستقبل هذا البلد في الوقت الذي تواصل السعودية محادثات المباشرة مع الحوثيين بشأن إنهاء الحرب".

وحسب الصحيفة فإن السعودية وعلى لسان مسؤوليها "اعتبروا أن الإماراتيين يعملون ضد أهداف الرياض الرئيسية المتمثلة في تأمين حدود المملكة مع اليمن ووقف هجمات الطائرات المسيرة والصواريخ التي يشنها الحوثيون"، هذه التصريحات في الواقع ليست

سوى غيض من فيض الصراع القائم ما بين الطرفين، وهو واقع يخالف ما كان عليه الوضع في ما مضى وتحديداً عند إعلان السفير السعودي السابق في واشنطن "عادل الجبير" شن بلاده عملية عسكرية واسعة ضمن تحالف موسع من الدول (وفي المقدمة دولة الإمارات) تحت مبرر الدفاع عن ما يسمى بـ"الشرعية".

في ذلك الوقت اعتقد الكثير "وبتأثير من الهالة الإعلامية التابعة لدول التحالف "أن طريق السعودية والإمارات سالك نحو حسم "الحرب" عسكرياً خلال أسابيع أو أشهر على أبعد تقدير، لا سيما بعد التقارير عن تدمير أغلب الأهداف العسكرية الرئيسية التابعة للسلطات في صنعاء جراء الغارات المكثفة خلال الأيام الأولى للعدوان.

لكن مجريات "الحرب" خالفت أغلب التوقعات، بما فيها أن "الحرب" لن تطول سوى بضعة أشهر، فالمعارك على الأرض كانت تشير إلى أن ما يسمى بالتحالف "السعودي الإماراتي" ورعاتهم من " الصهيونية الأمريكية" لم يستطع تحقيق نتيجة عسكرية ملموسة، بل أن مجريات المعركة تذهب إلى تقدم قوات صنعاء عسكرياً في عدد من الجبهات الداخلية وعلى الحدود الشمالية مع السعودية.

الفشل العسكري للحلفاء ذهب بكل طرف في البحث عما يعوض ذلك الإخفاق، من خلال السعي نحو تحقيق أهدافه الخاصة، وإن كان ذلك على حساب الطرف الآخر، وما حالة الاشتباك فيما يسمى "مجلس القيادة الرئاسي" إلا برهان كاشف على حجم الصراع ما بين الرياض وأبو ظبي، وتعاظم الصراع ما بينهما مع الواقع الجديد الذي بدأ يتشكل في اليمن، والبعيد كل البعد عما كان يراد تنفيذه في بداية العدوان.

الصمود اليمني وقلب المعادلة:

لن يكون مبالغاً القول أن أحداث اليمن بحربها وسلامها انعكست بصورة مباشرة على مسار الحكم داخل المملكة السعودية، ويتضح ذلك التأثير عندما نشاهد أن النظام في المملكة وبعد ثمانية أعوام من عدوانه الظالم على اليمن يبحث عن حفظ ماء الوجه من خلال التسويق للسلام وأن السعودية تسعى إلى تحقيق الاستقرار في اليمن.

وقبل الحديث عن تفاصيل المشهد اليوم لا بد من العودة إلى الوراء والتذكير بما كان عليه الوضع في مارس 2015، حيث كانت التصريحات عن تحقيق الإنجازات العسكرية المبهرة في "حرب" اليمن هي المفضلة لدى محمد بن سلمان، اعتقادا منه أنها تعزز فرص بقائه في ولاية العهد وممهدة لوصوله للعرش، واعتبرت تلك التصريحات بمثابة رسائل للداخل أكثر منها للخارج، خاصة مع تصاعد حدة الصراع بين أصحاب النفوذ داخل الأسرة الحاكمة.

يضاف إلى ما سبق، أن إعلان العدوان من العاصمة الأمريكية واشنطن والتدخل المباشر من قبل التحالف السعودي الإماراتي، على السلطة في العاصمة اليمنية صنعاء سبقته جملة من المتغيرات المفصلية، في مقدمتها: سقوط السلطة الحاكمة في اليمن لصالح طرف يمني ليس من ضمن حلفاء وعملاء الرياض، هذا المتغير تحديدا وضع الرياض أمام صدمة استراتيجية "غير مسبوقة" في تاريخ علاقتها مع اليمن.

لم تكد الرياض تفيق من هول الصدمة الأولى، إلا وأتبعتها حكومة صنعاء بإعلان صريح "أن المستقبل في إدارة شؤون الدولة على المستويين الداخلي والخارجي سوف يخالف ما كان عليه الوضع في المراحل السابقة، لا سيما في مسار العلاقات الخارجية مع دول الجوار والعالم".

في هذا السياق، يرى العديد من المراقبين للشأن الداخلي السعودي، أن الفشل العسكري والسياسي من قبل السعودية وحلفائها في كسر إرادة اليمنيين ساهم إلى حدٍّ كبير في تزايد حدة الصراع داخل أسرة "آل سعود"، وما زاد الطين بلة اتساع نطاق الإدانات والانتقادات الدولية للمملكة عن دورها في العدوان على اليمن، بل واتهام محمد بن سلمان بالمسؤولية المباشرة في الكارثة الانسانية التي يعيشها البلد المنكوب، التي دمرت وقتلت عشرات الآلاف من المدنيين جراء القصف العشوائي فضلا عن سياسة الحصار الشاملة "بحريا وجويا وبريا" والبعيدة عن أبسط أخلاقيات "الحرب" الذي يدعيها "آل سعود".

تزايدت الضغوط على المسؤول الأول في العدوان على اليمن ،ولم يكن لوريث العرش المحتمل أن يتجاوز تلك التداعيات في بُعدها الداخلي خاصة مع احتدام الصراع مع

منافسيه المحتملين على الملك، ولم يتورع ابن سلمان بالبطش بمنافسيه، وهذا الأمر تحديدا ما يفسر حملة الاعتقالات المنهجة تجاه معارضيه لإظهار نفسه بالشخص المسيطر.

العدوّ يقرّ بفشله وخسارته:

الصمود اليمني خلال السنوات الماضية دفع نظام الرياض للبحث عن الحلول الممكنة وتجاوز الضغوط المتزايدة، ولم يكن أمام بن سلمان مع حصاده المرّ سوى البحث عن مخرج من العدوان على اليمن، لا سيما بعد أن أبدى الشعب اليمني ثباتاً أسطورياً، بمعنى آخر، ما يتم التسويق له من خلال الدبلوماسية والإعلام السعوديين فيما يخص السلام يهدف في المقام الأول إلى تجاوز التداعيات الكارثية على المملكة جراء عدوانها الهمجي على اليمن منذ ثمان سنوات.

ما يجب أن يقال في هذا اليوم، أن تفاصيل الصمود اليمني ما كان له أن يتجلى بهذه الصورة المبهرة، وفي مختلف المجالات "السياسية والعسكرية والاقتصادية والزراعية"، إلا نتيجة مباشرة وتعبيراً صادقاً عن عدالة القضية اليمنية، ومن التجليات المُلفتة لذلك الصمود أن العدو الذي سعى إلى تدميرك ومحاولات إخضاعك في البدايات الأولى قد أقرّ بفشله وخسارته بعد تورطه في المستنقع اليمني.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

ثمانية أعوام من استهداف العدوان للبنية التحتية في اليمن

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشـــي

رمضان 1444هـ مارس 2023م

ثمانية أعوام من عربدة التحالف الأعرابي الصهيو أميركي في اليمن، لم يوفروا شيئاً من حقدهم التدميري، أتوا على البنية التحتية بصورة شبه كلية، دمروا كل مقدرات اليمن الاقتصادية والخدمية، أعادونا إلى الوراء عقوداً من الزمن.

صبوا جام غضبهم اليزيدي منذ ساعات العدوان الأولى على بنيتنا التحتية، نسفوها، لكن لم ينالوا من عزيمتنا وقوة إيماننا بوطننا وحريته واستقلاله وكرامة أبنائه، وكلما دمروا مدرسة أو مصنعاً أو ملعباً أو أثراً سياحياً، زاد اليمنيون عزماً على المُضيّ لتطهير جزيرة العرب من رجس هؤلاء الدخلاء على العروبة والدين والقومية، من صنائع وأوساخ وزارة المستعمرات البريطانية وكاهنها الأقذر المستر "همفر" في بلاد العرب.

لم يعد للكلام مكان في قاموس اللغة للتعبير عن هول وفظاعة الكارثة التي صنعها أوغاد الإنجليز وأخدان الصهاينة وعبيد الأميركان في بلاد الإيمان والحكمة، لذا سنكتفي في هذا التقرير بلغة الأرقام فهي أكثر فصاحة وبلاغة في التعبير عن جرائم شُذاذ عاصفة البغي بحق اليمن أرضاً وإنساناً، وقطعاً لن نستطيع في هذه العُجالة المُستعجَلة الحديث عن كل ما اقترفوه في بلادنا لأن ذلك يحتاج إلى سلسلة من التقارير المستفيضة والتفصيلية، لذا سنركز عدسة كامرة لغة الأرقام على بعض ما لحق القطاعات والمنشآت الخدمية والاقتصادية ومرافق البنية التحتية من أضرار فادحة، وهذا كافٍ لإستجلاء حقيقة الغزاة والمحتلين، وحقيقة ما أتونا به، وما إذا كانوا أتونا ليحررونا منا كما يدعون أم ليحرروا وطناً منّا، وضمّه إلى أملاك جدهم الأسوأ "مردخاي" الدونمة.

خسائر البنية التحتية:

لا توجد تقديرات إجمالية للخسائر التي لحقت البنية التحتية في اليمن خلال سنوات العدوان الثمان، والتقديرات المُتاحة استخلاص نُشر في أبريل 2017 لدراسة مشتركة بين البنك الدولي ومنظمة الأمم المتحدة والبنك الإسلامي للتنمية والاتحاد الأوربي، قدّرت خسائر البُنية التحتية ورأس المال في اليمن بـ 15 بليون دولار، منها 7

بلايين دولار خسائر اقتصادية بالقيمة الإسمية، وأكثر من 7.3 بلايين دولار في قطاعي الإنتاج والخدمات.

وكُلفة الأضرار السكنية فقط في مدن صنعاء وعدن وتعز وزنجبار 3.6 بلايين دولار، وكلفة إعادة بناء منشآت الطاقة في المدن الأربع نحو 139 مليون دولار، معظمها لإصلاح محطات الطاقة التي تعرّضت لأضرار أو تدمير.

وأكدت حاجة 17 % من المدارس الموجودة في 20 محافظة إلى عملية إعادة بناء ضخمة، وقدّرت كلفة الأضرار التي لحقت بالمدارس بنحو 269 مليون دولار.

وزير النقل في حكومة الإنقاذ "زكريا الشامي" في تصريح له بتاريخ 27 مارس 2019، قدّر خسائر البنية التحتية ب 4.3 مليار دولار.

وفي تقرير للبنك الدولي نُشر في يونيو 2021 بلغت خسائر اليمن على مستوى البنية التحتية في 16 مدينة رئيسية "6.9 - 8.5" مليار دولار.

احتلت العاصمة صنعاء المرتبة الأولى في قائمة المدن الأشد دماراً، تليها مدينة تعز، كما تضررت بشدة كل من محافظتي عدن والحديدة.

وأُصيبت البنية التحتية بدمار واسع النطاق، شمل الطرق الرئيسية والجسور والطرق الداخلية في معظم المدن.

وفي تقديرات محلية نُشرت في 1 فبراير 2022، بلغت خسارة الاقتصاد اليمني 126 مليار دولار من ناتجه المحلي، وتصاعدت معدلات التضخم، وتدهور سعر صرف العملة الوطنية أمام العملات الأجنبية بأكثر من 300 %، وانخفضت الإيرادات إلى أدنى المستويات.

المنازل والمُنشآت الحكومية:

دمر طيران العدوان العبري "1885 – 2105" مُنشأة حكومية، و"434083 – 603110" منزلاً بحسب تقديرات منظمة "عين الإنسانية" والمركز القانونية بتاريخ 25 مارس 2023.

القطاع التعليمي:

وضع العدوان القطاع التعليمي والتربوي على قائمة أهدافه لأنها في قاموسه أسلحة دمار شامل، وطالت نيران حقده أكثر من 3500 مدرسة مدمرة ومتضررة، وتسبب عدوانه الآثم في إغلاق 27% من المدارس اليمنية، وتضرر 66% من المدارس بسبب العنف الشديد، وتحويل 7% من المدارس إلى مراكز إيواء للنازحين.

وتتحدث إحصائيات "عين الإنسانية" والمركز القانوني بتاريخ 25 مارس 2023 عن تدمير طيران العدوان "938 – 1265" مدرسة ومرفقاً تعليمياً، و"182 – 185" منشأة جامعية.

دُور العبادة:

نالت حظها من عربدة عرابيد عاصفة البغي، فدمّرت طائراتهم "999 – 1714" مسجداً، في سابقة خطيرة تنم عن حقد دفين على الإنسان اليمني والدين الإسلامي.

القطاع الإعلامي:

لأن الإعلام منارات إضاءة وتنوير ورسالته امتداد لرسالة المساجد لم يسلم من حقدهم، ودمّرت نيرانهم "41 – 61" منشأة إعلامية، في محاولة بائسة لإخفاء جرائمهم في اليمن وإسكات صوت الحق والحرية.

القطاع القضائي:

قدّرت إحصائيات نُشرت في مارس 2021 خسائر القضاء بـ 100 مليون دولار.

ودمر العدوان 49 منشأة قضائية في 15 محافظة، منها 21 منشأة قضائية تعرّضت لتدمير كلي، و28 لتدمير جزئ.

القطاع الصحي:

تتحدث إحصائيات نُشرت في أغسطس 2022 عن 537 منشأة صحية مدمرة جزئياً وكلياً، وفي إحصائيات "عين الإنسانية" والمركز القانوني المنشورة بتاريخ 25 مارس 2023 بلغت "370 – 417" مستشفى ومرفقاً صحياً، إضافة إلى تدمير 70 سيارة إسعاف، واستشهاد 66 طبيباً وأخصائياً ومساعدين وكوادر صحية، وحرمان 48 ألف موظف في القطاع الصحي على المستوى المركزي والمحافظات والمديريات من مرتباتهم، ومغادرة 95% من الكادر الأجنبي في المجال الصحي.

ناهيك عن توقف غُرف العمليات والعناية المركزة ومراكز الغسيل الكلوي وحاضنات الأطفال الخُدّج وثلاجات الموتى بسبب انقطاع الكهرباء وانعدام المشتقات النفطية، وتوقف خدمات التشخيص والعلاج بالإشعاع لمرضى السرطان جراء منع العدوان دخول أهم التجهيزات والمستلزمات كالمعجل الخطي و"الكوبالت بي ستة" والرنين المغناطيسي القائم على تقنية غاز الهيليوم واليود المُشع ومستلزمات المسح الذري، ومنعه إدخال معدات طبية حيوية.

وتراجعت الخدمات الصحية إلى المستويات الدنيا، ولم تعد تعمل سوى 51% من المرافق الصحية.

وتسبب الحصار الجائر، والإجراءات التعسفية ضد التُجار اليمنيين من قبل قوى العدوان وعبيدهم من أبناء جلدتنا في عزوف العديد من الشركات الدولية عن توريد الأدوية إلى اليمن، وانعدام 50% من الأدوية الخاصة بمرضى السرطان على رأسها الأدوية الكيماوية الموجهة والمواد المُشعة، وعدم توفر 70% من أدوية الولادة.

قطاع الشباب والرياضة:

قدّرت تقارير نُشرت في فبراير 2021 الخسائر المباشرة في قطاع الشباب والرياضة ب 650 مليون دولار، وغير مباشرة 350 مليون دولار.

واستهدف العدوان 7 استادات رياضية، و13 ملعباً رياضياً، ودمّر 23 صالة، و9 بيوت

شبابية و21 مقراً إدارياً، و6 مقرات رياضية، و12 ملعباً خفيفاً، و3 مراكز ومضامير للفروسية والهجن، ومسبحين أولمبيين، وفي التقديرات المنشورة بتاريخ 25 مارس 2023 بلغ عدد المرافق الرياضية المدمرة "132 – 141" منشأة ومعلباً رياضية، وحرمان 6000 عامل من فرص العمل في المشاريع التي كانت تُنفذها الوزارة، واستشهاد 129 من كوادر الحركة الشبابية والرياضية.

القطاع السياحي:

تسبب العدوان في شل الأنشطة السياحية وحرمان البلاد من أحد موارد الاقتصاد الوطني، كانت تُمثل نحو 3% من الدخل الوطني العام.

وبلغت الخسائر المباشرة لهذا القطاع حتى نهاية العام 2017 نحو 4 مليارات و500 مليون دولار، تُمثل فاقد عائدات السياحة اليمنية السنوية المتوقعة، وفقدان 4 ملايين و500 ألف سائح بمعدل مليون ونصف المليون سائح متوسط القدوم السياحي السنوي إلى اليمن.

وفاقد الضريبة السياحية على رحلات الطيران 10 ملايين و800 ألف دولار، بحسب مجلس الترويج السياحي، وخسائر الوكالات السياحية 9 ملايين دولار، واتحاد الفنادق 666 مليون دولار، والترويج السياحي 3 ملايين دولار متوسط سنوي كان يُنفق على هذا القطاع، والنقل البحري والبري والجوي اليمني 3 مليارات دولار، منها 2 دولار خسائر أوليه للطيران الجوي جراء استهداف المطارات والتجهيزات الملاحية والفنية وأجهزة الاتصالات والرادارات، وتوقف حركة السفر من وإلى اليمن، و900 مليون دولار خسائر أولية تكبدها قطاع النقل البحري نتيجة العدوان والحصار منها 300 مليون دولار خسائر مينائي الحديدة والمخا خلال العامين "2016 – 2017" فقط، و19 مليون دولار خسائر مباشرة تكبدها قطاع النقل البري.

خسر القطاع السياحي 5 مليارات دولار حتى مارس 2021 بحسب وزارة السياحة بصنعاء، تُمثل في فقدان العائدات السياحية السنوية.

ودمرت غارات العدوان 473 موقعاً ومعلماً أثرياً وسياحياً ومُنشأة تاريخية.

وفي إحصائيات "عين الإنسانية" والمركز القانوني المنشورة بتاريخ 25 مارس 2023 نحو "384 - 387" منشأة سياحية، و"226 - 258" موقعاً ومعلماً أثرياً.

في التفاصيل تم تدمير وتضرر 25 مدينة تاريخية، و42 معلماً أثرياً، و25 ضريحاً، و252 فندقاً، و81 مطعماً، و12 قاعة مناسبات، و28 مُتنزهاً وحديقة، و8 مقاهي وكافيهات، وإغلاق 543 وكالة سياحية بخسائر بلغت 745 مليون دولار، وتسريح 95 % من العاملين في قطاعات السياحة المختلفة يعولون أكثر من 500 ألف نسمة، وحرمان 250000 عامل في المجال السياحي من مصدر دخلهم الوحيد.

القطاع الزراعي:

تكبد هذا القطاع 147 مليار و126 مليون دولار، منها 8 مليارات و724 مليون دولار خسائر وأضرار مباشرة، و138 مليار و402 مليون دولار غير مباشرة.

الأضرار المباشرة: مباني ومنشآت الجمعيات الزراعية والمنشآت المائية والأسواق الزراعية ومراكز الصادرات والمستودعات والمخازن وأنابيب نقل المياه والمحميات والمشاتل الانتاجية والثروة الحيوانية ومناحل العسل وقطاع الدواجن.

الأضرار غير المباشرة: الإنتاج الزراعي النباتي والمشاتل الانتاجية والأسواق الزراعية ومراكز التصدير والمحلات التجارية والتبادل السلعي والناتج المحلي والموارد الطبيعية والإنتاجية.

وتتحدث إحصائيات "عين الإنسانية" والمركز القانوني المنشورة في 25 مارس 2023 عن تدمير طيران العدوان "6319 - 11350" حقلاً زراعياً، و"373 - 466" مزرعة دجاج ومواشي.

المياه والبيئة:

طالت نيران العدوان محطات المعالجة وشبكات الصرف الصحي والمنشآت والمباني والخزانات وآبار مياه الشرب والحواجز المائية، ودمرت عدداً كبيراً من المضخات، وبلغت الخسائر الإجمالية للأضرار المباشرة 406 مليارات ريال يمني لقطاع المياه.

وتضررت 1344 منشأة، منها 989 منشأة مُدمرة كلياً، و499 منشأة مدّمرة بشكل جزئي، وبحسب إحصائيات "عين الإنسانية" والمركز القانوني المنشورة في 25 مارس 2023 تم تدمير"824 - 3095"خزاناً ومحطة/ شبكة مياه.

الكهرباء والطاقة:

تجاوزت خسائر الكهرباء 23 مليار و785 مليون و896 ألف دولار، بحسب تقارير نُشرت في أغسطس 2022، شملت قطاعات التوليد والنقل والتحكم والتفتيش الفني وتكاليف فرق عمل، وإعادة تأهيل كهرباء المدن الثانوية التي تضررت جُزئياً، وتدمير المخازن المركزية، وقطاعات المشاريع الممولة خارجياً، وفرض غرامات تأخير السفن وخسائر فارق أسعار الديزل والمازوت.

وتراجع استهلاك الكهرباء بنسبة 75%، بسبب الضرر الكبير الذي لحق هذا القطاع وانعدام المشتقات النفطية.

ووجه العدوان 278 ضربة عسكرية على قطاع الكهرباء والطاقة، تسببت في استشهاد 83 وجرح 300، وتدمير "200 - 346" محطة ومولد كهرباء، وفقاً لإحصاءات نُشرت في 25 مارس 2023.

قطاع الاتصالات:

سجّل 10 مليارات و925 مليون دولار، ما يعادل 6 تريليونات و550 مليون ريال يمني، خسائر مادية أولية بحسب تقرير نشرته الوزارة في 25 مارس 2023، نصيب المؤسسة العامة للاتصالات 2 مليار دولار، والهيئة العامة للبريد 609 ملايين و757 ألف دولار، وشركة "تيليمن" ملياراً و681 مليوناً و421 ألف دولار

وطال التدمير 2106 منشآت اتصالات وبريد، وفي إحصائيات "عين الإنسانية" والمركز القانوني "488 - 617" شبكة ومحطة اتصال.

على صعيد الغارات كان نصيب قطاع الاتصالات 2760 غارة، راح فيها 79 شهيداً،

والبنية التحتية للمؤسسة العامة للاتصالات 1251 غارة، بنسبة 45% من إجمالي الغارات على قطاع الاتصالات، والهيئة العامة للبريد 79 غارة.

وتسببت تلك الغارات في تدمير العدوان 706 منشآت كلياً، و400 منشأة جزئياً، منها 27 منشأة بريدية بشكل مباشر، و20 منشأة بريدية تعرضت لأضرار جزئية، واستهداف 141 موقعاً وبرجاً تابعة لشركة "تيليمن" في 19 محافظة، واغلاق وتوقف 862 منشأة اتصالات وبريد، ما تسبب في عزل 114 قرية ومدينة يمنية عن العالم، وعجز 1642 منشأة تابعة لمؤسسة الاتصالات عن الاستفادة من خدمات الاتصالات والإنترنت، وحرمان مليون و271 ألف يمني من خدمات الاتصالات والإنترنت.

كما منع العدوان إعادة تشغيل محطات ومواقع الاتصالات المدمّرة، وإفشال إعادة الخدمة إلى المناطق المتضررة، إما من خلال استمرار حظر تجهيزات وأنظمة الاتصالات ذات الاستخدام المدني ومنع دخولها إلى اليمن، أو عبر معاودة استهداف المواقع التي تم إعادتها للخدمة.

ناهيك عن منعه استخدام كابلات الإنترنت البحرية: الكابل البحري عدن - جيبوتي والكابل البحري (AAE-1) ومحطة إنزاله في عدن، ومنع تركيب وتشغيل الكابل (SMW5) ومحطة تفريغها في الحديدة المملوكة للاتصالات اليمنية بعد أن أصبحت جاهزة للتشغيل، واحتجاز قوى العدوان 104 محطات اتصالات، و7 ملايين شريحة هاتف نقال، و20 حاوية تحمل تجهيزات ومعدات اتصالات وتراسل.

القطاع السمكي:

بلغت خسائر القطاع السمكي في البحر الأحمر خلال الفترة "مارس 2015 - يناير 2023"، نحو 12 ملياراً و649 مليوناً و872 ألف دولار، والبنية التحتية 9 ملايين و451 ألفاً و163 دولاراً، وقوارب ومعدات الاصطياد 6 ملايين و270 ألفاً و117 دولاراً، وخسائر توقف الانتاج السمكي 3 مليارات و610 ملايين و64 ألفاً و744 دولاراً، وتوقف المشاريع الاستثمارية في القطاع السمكي مليار و994 مليوناً و852 ألفاً و310 دولارات، وخسائر المخزون السمكي نتيجة الاصطياد المخالف لسفن الصيد الأجنبية 3 مليارات و675

مليـون دولار، والأنشـطة والأعـمال التجاريـة والخدميـة المرتبطـة بالقطـاع السـمكي 27 مليونـاً و788 ألفـاً و898 دولار، وخسـائر العائدات والرسـوم المسـتحقة للدولـة من الصيد التقليـدي 144 مليونـاً و402 ألـف و590 دولاراً، خسـائر شركات التصديـر السـمكي 226 مليونـاً و501 ألـف دولار، والخسـائر المتعلقـة بالعائـدات من الصادرات السـمكية 5 ملايين و552 ألـف دولار، وخسـائر تقييـم الأثـر البيئـي 2 مليـار و940 مليـون دولار.

واسـتهدف طـيران العـدوان 53 اصطيـاد وتجمع للصيادين، حصدت 273 شـهيداً و214 جريحـاً، ودمـرت طائراته وقذائفه 150 وسـيلة نقل أسـماك، و295 قـوارب صيد منها 225 في الحديـدة و70 في ميـدي بمحافظـة حجـة، وفي احصائيـات "عـين الإنسـانية" والمركـز القانـوني "474 – 485" قـارب صيد.

وخاتمة الأثافي القرصنة على 173 قارباً، واختطاف 2054 صياداً وتعذيبهم.

قطاع النقل:

خـسرت قطاعـات النقل البريـة والبحرية والجويـة خلال الفترة "مـارس 2015 - مارس 2023" نحـو 13 مليـاراً و442 مليونـاً و851 ألـف دولار، توزعـت عـلى قطاعـات الطـيران بنسـبة 51%، والبحـري 42%، والـبري ومرافقه 7%.

خسـائر النقـل الجـوي مُمثلاً بهيئة الطـيران المدني والأرصاد وشركتـي الخطوط الجوية اليمنيـة وطـيران السـعيدة 6 مليارات و870 مليون دولار و27 ألـف دولار، والنقل البحري مُمثـلاً بمؤسسـة موانـئ البحـر الأحمر اليمنيـة والهيئة العامة للشـؤون البحريـة مليارين و427 مليونـاً و577 ألـف دولار، ومؤسسـة موانـئ البحر الأحمر اليمنيـة 3 مليارات و254 مليونـاً و970 ألـف دولار، والنقـل الـبري مُمثـلا بالهيئـة العامـة لتنظيـم شـؤون النقـل الـبري والمؤسـسة المحليـة للنقل الـبري 890 مليونـاً و276 ألف دولار.

وتتحـدث إحصائيـات "عين الإنسـانية" والمركز القانوني المنشـورة في 25 مارس 2023 عن تدمير طيران العدوان "15 – 16" مطاراً، و"15 – 16" ميناءاً، و"4453 – 10279" وسـائل نقل، و"666 – 1040" شـاحنة غذاء، و"2750 – 7293" طريقاً وجسراً.

وكشف تقرير لوزارة النقل عن استهداف العدوان 2040 وسيلة نقل مواد غذائية، و390 ناقلة، و10290 وسيلة نقل مختلفة، و7293 جسراً وطريق.

المؤسسة العامة للطرق والجسور، في تقرير نُشر في أغسطس 2022 قدّرت إجمالي الخسائر بـ 3 مليارات و665 مليون دولار، منها تدمير العدوان 102 جسور، بتكلفة مليار و675 مليون دولار، وتضرر 5000 كيلومتر من الطرق، بتكلفة مليار و461 مليون دولار.

وتسببت غارات العدوان في توقف عمليات الصيانة عن جزء كبير من الشبكة، من ضمنها 10500 كيلو متر بحاجة ماسة إلى التدخل والصيانة العاجلة للحيلولة دون انهيارها بشكل كامل.

وبلغت خسائر الطُرق الريفية 11 مليوناً و215 ألف دولار، والمؤسسة العامة للطرق والجسور 168 مليون دولار بسبب قصف العدوان معداتها ومخازنها ومنشآتها وفرقها الفنية، والخسائر السنوية التراكمية للسنة الواحدة 30 مليون دولار نتيجة انخفاض النشاط الذي كانت تقوم به المؤسسة قبل سنوات العدوان من خلال البرنامج الاستثماري لتنفيذ مشاريع الطرق والجسور، وخسائر استهداف العدوان للآليات والمعدات الخاصة بالمؤسسة 32 مليوناً و400 ألف دولار، وخسائر استهداف المباني والمنشآت 5 ملايين و700 ألف دولار، وخسائر المؤسسة المباشرة جراء 54 مليون دولار، وخسائر توقف العمل 44 مليونا و700 ألف دولار، وخسائر النقص في قيمة الديون المستحقة 28 مليون دولار.

النفط والمعادن:

تقديرات الأضرار المنظورة التي لحقت بالوحدات التابعة للوزارة حتى مارس 2023 نحو 60 مليار دولار، والأضرار التي لحق بمختلف القطاعات النفطية 100 مليار دولار.

وتحدثت إحصائيات "عين الإنسانية" والمركز القانوني المنشورة في 25 مارس 2023 عن تدمير طيران العدوان "383 – 427" محطة وقود، و"285 – 390" ناقلة وقود.

القطاع التجاري والصناعي:

تكبد القطاع الاقتصادي خسائر فادحة شملت تدمير أكثر من 12 مصنعاً غذائياً واستهلاكياً وعشرات الشركات والمؤسسات والمراكز الاقتصادية والخدمية والاستثمارية العامة والخاصة.

واستهدف العدوان نحو 80 مُنشأة خاصة، بحسب نتائج الحصر التي قامت بها لجنة القطاع الخاص والصادرة نهاية عام 2018، تتصدرها المنشآت المُصنف نشاطها الاقتصادي كشركات بنسبة 38%، تُقدّر قيمة الأضرار التي لحقت بها بنحو 867 مليون دولار، وحلت المنشآت الخدمية في المرتبة الثانية بقيمة أضرار تصل إلى 212 مليون دولار.

وتحدثت بيانات رسمية صادرة عن الاتحاد العام للغرف التجارية والصناعية عام 2018 عن تجاوز نسبة المصانع المستهدفة 45% من حجم القطاع الصناعي في اليمن، والأضرار التي لحقت بها أكثر من 50 مليون دولار، وأضرار أنشطة الاستيراد والتصدير نحو 150 مليون دولار.

وقدّرت لجنة مُشكلة من الاتحاد العام للغرف التجارية والصناعية في صنعاء، بالتعاون مع الغرفة التجارية والصناعية، الأضرار التي تعرض لها القطاع الصناعي بنحو مليار و373 مليون دولار.

إجمالي خسائر تدمير البنية التحتية بحسب تقرير صادر عن قطاع الدراسات والتوقعات الاقتصادية في وزارة التخطيط والتعاون الدولي نحو 98 مليار دولار.

والتقديرات الأولية لخسائر التجارة الخارجية بسبب العدوان والحصار 36 ملياراً و285 مليون دولار، وفقاً لإحصاءات نشرها قطاع التجارة الخارجية بوزارة الصناعة والتجارة في أغسطس 2019.

قطاع الدراسات والتوقعات الاقتصادية في وزارة التخطيط والتعاون الدولي في تقرير له صدر في يوليو 2020، قدّر حجم الخسائر المباشرة وغير المباشرة التي لحقت بالقطاع الخاص، خصوصاً في السنوات الثلاث الأولى من العدوان بين "25 – 27" مليار

دولار، يتصدرها القطاع التجاري بنسبة 18%، ونسبة تأثر قطاع الصناعة التحويلية 8%، والقطاعات الاقتصادية 92%.

وكشفت إحصائيات "عين الإنسانية" والمركز القانوني المنشورة في 25 مارس 2023 عن تدمير طيران العدوان "8355 – 12088" منشأة تجارية، و"369 – 409" مصنع، و"661 – 704" سوق، و"783 – 1020" مخزن أغذية، أضف لذلك 8 صوامع غلال بحسب إحصاءات العام 2015.

المراجـــــع:

1 - موقع العرب اليوم، البنك الدولي يُقدّر خسائر البنية التحتية ورأس المال في اليمن بـ 15 بليون دولار، 25 أبريل 2017.

2 - موقع اللقاء المشترك، السياحة في اليمن بعد 1000 يوم من العدوان، 4 يناير 2018.

3 - وكالة الصحافة اليمنية، 4.3 مليار دولار خسائر اليمن في البنية التحتية جراء العدوان، 27 مارس 2019.

4 - وكالة سبأ، أكثر من 36 مليار دولار خسائر التجارة الخارجية بسبب العدوان والحصار، 14 أغسطس 2019.

5 - وكالة الأنباء اليمنية سبأ، مليار دولار حجم الخسائر جراء استهداف العدوان للمنشآت الرياضية والشبابية، 6 فبراير 2021

6 - مركز الإعلام الثوري، خسائر اليمن في بعض القطاعات خلال ست سنوات من العدوان والحصار، 28 مارس 2021.

7 - ديبريفر، تقرير دولي: خسائر اليمن في البنية الحضرية تفوق 8 مليارات دولار، 10 يونيو 2021.

8 - محمد الصلوي، خسائر الاقتصاد اليمني تربك الإحصاءات، موقع خيوط، 2 ديسمبر 2021.

9 - وكالة سبوتنيك الروسية، خسائر الاقتصاد جراء الحرب المستمرة منذ 7 أعوام كبدت اليمن حوالي 126 مليار دولار من الناتج المحلي، 1 فبراير 2022.

10 - وكالة الأنباء اليمنية سبأ، مؤتمر صحفي لوزارة الصحة حول آثار وتبعات العدوان والحصار على القطاع الصحي، 27 اغسطس 2022.

11 - وكالة الأنباء اليمنية سبأ، ثلاثة مليارات و665 مليون دولار خسائر شبكة الطرق والأشغال جراء العدوان والحصار، 29 اغسطس 2022.

12 - وكالة الأنباء اليمنية سبأ، 23 مليار و785 مليون و896 ألف دولار خسائر الكهرباء جراء قصف دول العدوان، 30 اغسطس 2022.

13 - وكالة الأنباء اليمنية سبأ، 111مليار و279 مليون و271 ألف دولار خسائر القطاع الزراعي جراء العدوان، 3 سبتمبر 2022.

14 - وكالة الأنباء اليمنية سبأ، أكثر من 12.3 مليار دولار خسائر قطاعات النقل جراء العدوان والحصار، 6 سبتمبر 2022.

15 - مركز "عين الإنسانية" للحقوق والتنمية، أكثر من 8600 شهيد وجريح من أطفال اليمن خلال سنوات العدوان، 22 نوفمبر 2022.

16 - وكالة الأنباء اليمنية سبأ، أكثر من 12 مليار دولار خسائر القطاع السمكي جراء العدوان والحصار، 9 يناير 2023

17 - وكالة الأنباء اليمنية سبأ، مؤتمر صحفي يستعرض تداعيات تحويل مراكز الإنزال السمكي إلى ثكنات عسكرية لقوى العدوان، 25 يناير 2023.

18 - وكالة الأنباء اليمنية سبأ، وزارة المياه والبيئة تُحيي الذكرى الثامنة ليوم الصمود الوطني، 25 مارس 2023.

19 - وكالة سبأ، وزارة الاتصالات تكشف عن خسائر قطاع وشركات الاتصالات والبريد في ثمانية أعوام، 25 مارس 2023.

20 - وكالة سبأ، وزارة النفط والمعادن والوحدات التابعة لها تُحيي الذكرى الثامنة للصمود، 25 مارس 2023.

21 - موقع أنصار الله، عين الإنسانية: استشهاد وجرح 48 ألف و394 مواطناً بنيران العدوان خلال 8 سنوات، 25 مارس 2023.

22 - وكالة الأنباء اليمنية سبأ، منظمة انتصاف تصدر تقريراً حقوقياً بعنوان "8 أعوام...تحت نيران العدوان"، 25 مارس 2023.

23 - منظمة انتصاف، أكثر من 13 ألف و500 شهيد وجريح من الأطفال والنساء جراء 8 سنوات من العدوان على اليمن، 26 مارس 2023.

24 – وكالة سبأ، وزارة النقل: أكثر من 13 مليار و442 مليون دولار خسائر القطاع جراء العدوان والحصار، 27 مارس 2023.

25 - وكالة سبأ، وزارة الزراعة والري تحتفي باليوم الوطني للصمود، 27 مارس 2023.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

بعد 8 أعوام من العدوان :
الزراعة في اليمن..
رؤى طموحة.. وواقع أخضر

مركز البحوث والمعلومات

رمضان 1444هـ أبريل 2023م

خلال سنوات العدوان كان الحديث يتجدد في كل مناسبة عن ضرورة المضيّ في استقلال القرار الوطني اليمني تجاه القضايا الداخلية والخارجية، وفي مختلف الظروف سلماً أو حرباً، وأن هذه الاستقلال المنتظر والغائب منذ عقود بحاجة إلى إرادة صلبة وقوية من أجل المضيّ في تحقيق السيادة الوطنية الكاملة.

نعم الحديث عن السيادة الغذائية يختلف كثيراً عن الأمن الغذائي، فالمفهوم الأول يفرض نفسه لكونه الحل الشامل للأزمات الغذائية، فيما الأمن الغذائي كمفهوم يعني أن استيراد الغذاء يمثل حلاً مناسب لمشاكل الغذاء.

والسيادة على الغذاء "بمفهومه الواسع" من المهام الرئيسية للدولة، والذي يتضمّن تحمّل أعباء توفير احتياجات المواطنين ومواجهة الاختلالات الغذائية الناتجة عن عوامل داخلية وأخرى خارجية، ولنا في الازمات الغذائية التي شهدها العالم (كورونا – الأزمة الأوكرانية) خير دليل على عدم قدرة البلدان النامية في التعامل مع ما يسمى "بالنظام الغذائي" الذي ظهر في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وكانت شواهد ذلك النظام تشير إلى مزيد من الإهمال للزراعة في اليمن والمنطقة العربية مقابل مزيد من الواردات الغذائية الغربية ولا سيما الحبوب.

وهو ما انعكس سلباً على واقع الأمن الغذائي وعزز من مسار التبعية للعالم الغربي، خصوصاً بعد أن تفاقمت ظاهرة التبادل غير المتكافئ والقائم على أكذوبة "التقسيم الدولي للعمل" وهو تقسيم "حسب عدد من الخبراء" ظالم ولا يهتم بمصلحة الدول النامية.

السيادة الوطنية

ووفقاً لهذا الطرح، فإن تحقيق السيادة الفعلية بحاجة إلى مجموعة من الركائز للمضيّ في هذا القرار الصعب، ولهذا يدرك القائمون على صناعة القرار في البلد أن السيادة على الغذاء من ركائز السيادة الوطنية المهمة وعنصراً أساسياً لتقويتها وتعزيزها، إلى جانب عدد من الركائز الأساسية الأخرى.

المعطيات السابقة فرضت نفسها على القائمين في هذا القطاع الحيوي، كون القرار الوطني المستقل لن يتحقق فقط من خلال تحقيق الأمن الغذائي "رغم أهميته" ولأن

مفهوم الأمن الغذائي يستهدف توفير المواد الأساسية خلال فترة زمنية معينة قد تصل إلى ستة أشهر، فيما الاستقلال بمفهومه الحقيقي للدولة بحاجة إلى أكثر من مجرد توفير الأغذية للسكان، فهو بحاجة إلى أن يكون ذلك الغذاء نتاج منظومة متكاملة تبدأ برؤية استراتيجية لدى الساسة وتمرّ بمراحل الإعداد ومن ثم تطبيق تلك الرؤية على أرض الواقع.

ويشير عدد من الخبراء، أن هذا الواقع ساهم في وضع الاستراتيجية والخطط الهادفة للوصول إلى تحقيق السيادة الوطنية بعيداً عن الوصاية الخارجية التي عبثت خلال العقود الماضية بكل التوجهات المخلصة داخل البلد، وبناء على ذلك الإدراك كان لا بد من المضيّ والشروع في التنفيذ من خلال برامج طموحة ومكثّفة يُخصص لها مختلف الإمكانيات المتاحة في سبيل تحقيق الاكتفاء الذاتي على الغذاء، والذي لن يتأتّى إلا من خلال النهوض بالقطاع الزراعي.

توجيهات صُنّاع القرار الوطني

في تدشينه موسم التشجير للعام 1444هـ بالعاصمة صنعاء, "أكد فخامة المشير الركن الرئيس مهدي المشاط، اهتمام المجلس السياسي الأعلى بالقطاع الزراعي، ودعمه لكل ما من شأنه التوسع في زراعة الأشجار المثمرة لتحقيق الاكتفاء الذاتي من المحاصيل والمنتجات الزراعية ذات القيمة والفائدة.

وشدد على ضرورة العمل على استعادة النشاط الزراعي في مختلف محافظات الجمهورية في إطار الدولة للاكتفاء الذاتي بشكل تدريجي من المنتجات الزراعية، وخاصة من المحاصيل النقدية التي يُعول عليها الكثير في رفد الاقتصاد الوطني والخزينة العامة".

وفي لقاء سابق لفخامة الرئيس برئيس اللجنة الزراعية السمكية العليا , "أكد الرئيس المشاط أهمية تشجيع المواطنين على زراعة القمح، خاصة في القعيان المشهورة ومنها محافظات الجوف وقاع البون بعمران وقاع جهران بذمار وغيرها من المناطق التي تشتهر بزراعة القمح، لتحقيق الأمن الغذائي.

وأكد أهمية اضطلاع اللجنة بدورها في إنشاء السدود والحواجز المائية وإعادة تأهيل السدود والكرفانات التي تأثر بفعل عامل الزمن أو قصف العدوان.

وحث على تشجيع الاستثمار في القطاع الزراعي ودعم المزارعين على التوسع في زراعة محاصيل الحبوب وعمل دراسات لإنشاء شركات مساهمة، بالإضافة إلى عمل تسهيلات للتجار ومنح مزايا لمدخلات القطاع الزراعي، من البذور، والطاقة الشمسية وغيرها.

وشدد على ضرورة الاهتمام بالجودة في المجال الزراعي، وتعزيز دور الإرشاد وبرامج التوعوية في أوساط المزارعين، بكيفية استخدام آلية الري الحديث للحد من استنزاف المياه.

وحث الرئيس المشاط على إعطاء التسويق الزراعي للمنتجات المحلية أولوية واهتمام بدرجة أولى".

بدوره أكد رئيس الوزراء الدكتورعبد العزيز بن حبتورفي مناسبة أخرى ، أن "الحفاظ على الجينات الزراعية اليمنية والعمليات البحثية لتطوير مسارات الزراعة في الأراضي اليمنية مسئولية وطنية وعمل استراتيجي هام للحاضر والمستقبل".

استعادة مكانة القطاع الزراعي

في الحالة اليمنية والتي أتت استجابة لتوجيهات قائد الثورة حفظه الله للاتجاه نحو الاستثمار في القطاع الزراعي, كان القرار أنه لا بد من الخروج من هذه الدوامة لا سيما وأن حجم المستورد من الخارج من الغذاء قارب 80% وبكلفة تبلغ مئات الملايين من الدولارات وهي في ارتفاع مستمر من عام إلى أخر.

وتشير الإحصائيات المتوفرة أن فاتورة الاستيراد في اليمن تتضمن نحو 896 صنفاً زراعياً، فيما يبلغ الاستهلاك حوالي 3،8 مليون طن أنتج منها محلياً حوالي مائة ألف طن بما نسبته 2.8%، هذا الخلل الواضح والمتراكم منذ عقود سابقة ساهم في تبني مفاهيم جديدة تتعامل من خلال رؤية بديلة تقوم على حتمية الإنتاج المحلي للحبوب والأغذية الاستراتيجية.

يُضاف إلى ما سبق، أن الخصوصية اليمنية فرضت نفسها خاصة خلال سنوات العدوان، من خلال تبنّي قرار يعمل على استعادة القطاع الزراعي مكانته ودوره الريادي في الاقتصاد، كونه من القطاعات الرئيسية في الاقتصاد اليمني، وعلى اعتباره القطاع الثاني إنتاجياً بعد قطاع النفط ولكونه يسهم بمعدل متوسط يبلغ حوالي 14% من الناتج المحلي الإجمالي، إلى جانب أن من ينشط فيه من القوى العاملة يقدر بحوالي 54%من إجمالي القوى العاملة في البلد، ويسهم القطاع في الحد من الهجرة الداخلية إلى المدن حيث أن70% من إجمالي السكان يعيشون في المناطق الريفية.

حالة وعي

ويشير عدد من المتابعين للشأن الداخلي اليمني "خلال السنوات القليلة الماضية"، إن القرارات في الجانب الاقتصادي والزراعي تؤكد أن هناك حالة رفض واعية ومحاولة جادة لوقف سياسات الاستعمار الزراعية كمرحلة أولى وفي المرحلة التالية تبنّي استراتيجيات للنهوض بالقطاع الزراعي من خلال صياغة جملة من المبادئ العامة يمكن لها أن تؤسس لمشروع زراعي وطني حقيقي.

هذا المشروع وحسب القائمين على القطاع الزراعي، يرتكز على مبدأ أولوية المزارع كفاعل أول في عملية الإنتاج، من خلال إشراكه المزارعين في تحديد السياسات الزراعية في مختلف المراحل للوصول في المحصلة النهائية إلى توفير الغذاء المناسب للشعب بعيداً عن الاستغلال, هذا من ناحية ,ومن الناحية الأخرى الحفاظ على استقلال القرار اليمني.

فالعدوان ظل كثيرا يراهن على الورقة الاقتصادية لإذلال الشعب وتركيعه ، والقطاع الزراعي في مقدمة الجبهات الداخلية التي تم استهدافها ،لكن هذا القطاع الحيوي سيكون عند مستوى المسئولية في الحرب الاقتصادية وسيكون أكثرعزيمة وإصراراً على كسر تلك المؤامرات والعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي.

وكلما أمعن العدوان في أساليبه واستهدافه لتدمير القطاع الزراعي - نظرا لما يمثل هذا القطاع من دور هام في تماسك الجبهة الداخلية رغم الاستهداف والتدمير للبنية

التحتية- كلما زاد هذا القطاع ثباتاً وصموداً لأن الشعب اليمني استطاع بفضل الله وقوته ثم بفضل قيادته الثورية الحكيمة وتضحيات أبطال الجيش في مختلف الجبهات والميادين ,أن يُفشل كل رهانات ومخططات العدوان الذي راهن على كسر صموده وحريته وكرامته.

تأسيس وتقييم

وفي هذا السياق كانت هناك قرارات مهمة في هذا المسار الطويل وفي مقدمتها: إنشاء المؤسسة العامة لإنتاج وتنمية الحبوب، بهدف تحقيق السيادة الغذائية وتحسين نسب الاكتفاء الذاتي وزيادة إنتاج الحبوب بصورة تدريجية لا سيما القمح، وتُعنى المؤسسة بتخفيض تكاليف الإنتاج وحماية إنتاج محاصيل الحبوب المحلية، إلى جانب تشجيع المزارعين ودعمهم في إدخال التقنيات الزراعية الحديثة، وتعمل المؤسسة على تحسين التسويق وتطوير السعة التخزينية للمحاصيل وعمل مخزون استراتيجي من الحبوب.

بعد تلك القرارات، كان من الضروري تقييم الاستراتيجيات القائمة ولكن بما يراعي ظروف العدوان على البلد والتي يعلمها القاصي والداني، وحسب القائمين على إدارة المسار الاقتصادي عموماً والزراعي على وجه الخصوص، فإن النتائج كشفت عن تسجيل نجاحات مُرضِية، وبأن القطاع الزراعي في الطريق الصحيح نحو تحقيق الأهداف المسطّرة وفي مقدمتها، الاكتفاء الذاتي والسيادة على غذائنا.

شروع في التنفيذ

يُضاف إلى ما سبق، شَرعَ المعنيون بتنفيذ خطوات مهمة في مسار تطوير القطاع الزراعي منها:

- التوسّع في زراعة القمح في عدد من المحافظات، خاصة محافظة الجوف كونها من المحافظات الواعدة من خلال زراعة أكثر من ستة آلاف هكتار وبواقع إنتاج يصل إلى 5-6 أطنان من محصول القمح لكل هكتار, وتم مؤخرا ادخال

تقنية الري المحوري بشكل كبير -ولأول مرة - بمحافظة الجوف وفي اليمن عامة بهذا الحجم، حيث يغطي المحوري الواحد خمسين هكتار

- مشاركة المؤسسات الزراعية الحكومية بصورة مباشرة في إدارة عدد من مزارع الحبوب، إلى جانب دعم مزارع المواطنين والجمعيات التعاونية نظرا لدورها في النهوض بالقطاع الزراعي وتنوع محاصيل المنتجات وتقنين عمليات التسويق الخاضعة للعرض والطلب حفاظاً على المنتج الوطني , من خلال توفير المعدات المختلفة (كمباينات وحصادات) للمزارعين.
- تبنّي الحكومة من خلال منتدى الاستثمار في دورته الأخيرة مناقشة الفرص الواعدة والمزايا الاستثمارية المتاحة في القطاع الزراعي وسبل التغلّب على التحديات التي تواجه الاستثمار في هذا المجال بالشراكة بين الحكومة والقطاع الخاص.
- التوسّع الحكومي في منظومة "الزراعة التعاقدية" على اعتبارها بديل ونمط مختلف من الاستثمار يواكب متغيرات المناخ والزيادة السكانية.
- العمل على تسجيل وتوثيق البصمة الوراثية للبُن اليمني في قائمة التراث العالمي بمنظمة اليونسكو، للحفاظ على الأصناف المهمة "44صنفاً تجارياً" من الاعتداء ونسبها إلى غير موطنها الأصلي.
- تشجيع وحماية الإنتاج الزراعي المحلي من خلال قرار منع استيراد البُن والزبيب والثوم والتفاح.
- تشجيع المزارعين على زراعة وتجربة محاصيل جديدة على البيئة الزراعية اليمنية، كزراعة نبات فول الصويا في مديرية المراوعة بمحافظة الحديدة.
- تبنّي الدراسات البحثية بشأن جدوى مشروع زراعة القمح في المناطق المختلفة كونه محصول قابل للتكيّف في أجواء مختلفة، خاصة في المحافظات الشرقية " الجوف – مأرب – شبوة – حضرموت" لما تمتلكه من مزايا المساحات الواسعة ووفرة المياه الجوفية.

عدوان .. وخسائر

وعندما نتحدث عن النتائج الإيجابية المعلنة لا بد من التوقف أمام ما أحدثه العدوان من تدمير للقطاع الزراعي طوال ثمانية أعوام، حيث تشير الأرقام إلى أن "الخسائر المباشرة وغير المباشرة بسبب العدوان والحصار تجاوزت 147 مليار و126مليون دولار منها 8 مليارات و724 مليون دولار خسائر مباشرة ، و138 مليار و402 مليون دولار خسائر غير مباشرة " وفق ما جاء على لسان وزير الزراعة والري المهندس عبدالملك الثور .

وتضمّنت الأضرار المباشرة: المباني والمنشآت المائية والأسواق الزراعية والمستودعات والمخازن ومراكز الصادرات الزراعية والمشاتل الإنتاجية إلى جانب الأضرار الكبيرة في ما يخص الثروة الحيوانية والسمكية، فيما تمحورت الأضرار غير المباشرة: في انخفاض الإنتاج الزراعي النباتي والمشاتل الإنتاجية، وهو ما انعكس سلباً على الأسواق الزراعية ومنتجاتها المختلفة والمخصصة للاستهلاك المحلي أو المُعدّة للتصدير إلى خارج البلد.

وبحسب ما نُشر مؤخراً عن منظمتيّ "عين الإنسانية" و"المركز القانوني" فإن العدوان دمر "6319 – 11350" حقلاً زراعياً، و"373 – 466" مزرعة دجاج ومواشي.

ولم تقتصر هذه الخسائر والأضرار التي لحقت بالقطاع الزراعي في المناطق الحرة التي تسيطر عليها حكومة الإنقاذ في صنعاء فحسب، فالصراع المستمر بين الأطراف الداخلية المساندة والمؤيدة لتحالف العدوان في مناطق سيطرتها تسبّب في إضعاف المؤسسات المعنية بالقطاع الزراعي هناك، لتبقى عاجزة عن تقديم أي معالجات في المجال الزراعي، فضلا عن عجزها التام في مواجهة كوارث السيول التي دمرت العشرات من المزارع ، وعجزها عن إيقاف الزحف العمراني على المساحات الزراعية، وسيطرة قوى النفوذ والصراع على أراضي زراعية تتبع فروع وزارة الزراعة في لحج والضالع وأبين، حسب تقارير تلك الفروع خلال الأعوام الماضية.

ختـــاماً

يبقى القول، أن الوصول إلى تحقيق الأهداف الاقتصادية والزراعية المستهدفة على المدى المتوسط والطويل، بحاجة إلى تجاوز مختلف العوائق كونها تقف حجر عثرة أمام نهضة القطاع، والضرورة تُحتّم على القائمين في الحكومة البحث في أسباب الإخفاق في التجارب المحلية السابقة للحيلولة دون تكرارها، إلى جانب الاستعانة بالخبرات الخارجية والاستفادة من تجاربهم في سبيل تحقيق النجاح والنهوض بالاقتصاد الوطني والقطاع الزراعي.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

غزوة بدر الكبرى
معركة الوجود الأولى للمسلمين

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبـــشي

رمضان 1444هـ أبريل 2023م

في تاريخ المعارك والغزوات، هناك مرحلة فاصلة ومصيرية في المواجهة العسكرية بين قلة مُستضعفة مُطاردة مُشردة مُعذبة مظلومة مسلوبة حقوقها المادية والسياسية وأكثرية طاغية مستبدة متفرعنة متجبرة، ما يجعل تلك القلة المُستضعفة أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن تكون وتسترد حقوقها وترفع راية دولتها وتكسب نفسها وقضيتها وهويتها وكينونتها وذاتها، أو تتلاشى وتنتهي، وتنتهي كل أحلامها، وتتبخر قضيتها، وتسقط رايتها، ولا تقوم لها بعدها قائمة، ما يجعل من المنازلة بين الفريقين مستميتة.

وهذا ما جرى في غزوة بدر الكبرى، صحيح أنه سبقتها غزوات وسرايا، لكنها كانت محدودة الأهداف ورقعة المواجهة، بمعنى أنها كانت تتجه نحو فئات وأهداف بسيطة، عكس غزوة بدر الكبرى، فقد كانت مفصلية من حيث نوعية الهدف ورقعة المواجهة، وقف فيها ثُلة المؤمنين في مواجهة جبروت وطغيان قريش لأول مرة، وكانت قريش من القوة والمنعة والجبروت والبطش والطغيان بمكانة ترهبها وتهابها كل قبائل جزيرة العرب، ولها سجل أسود مع المسلمين في بدايات الدعوة الإسلامية بمكة المكرمة.

تفنن طُغاة قريش خلال مرحلة الدعوة المكية في تعذيب المسلمين والتنكيل بهم، ومارسوا كل أساليب وألوان الترهيب ضدهم لإجبارهم على ترك دينهم والتخلي عن نبيهم، وسلبوا كل ممتلكاتهم ومدخراتهم، وشرّدوهم من بلادهم، ما جعل من المعركة مصيرية وفاصلة في تاريخ دولة الإسلام الوليدة، فإما أن ترتفع راية الإسلام وتقوم دولة العدل الإلهية أو تتلاشى وتتبخّر معها الدعوة المحمدية الخاتمة للرسالات الإلهية الإنقاذية لبني البشر.

إذن فهي معركة فاصلة بين الإسلام والكفر، وقف فيها الهدى والحق والحقيقة والنور والعلم والخير في مواجهة الضلال والباطل والزيف والظلام والجهل والشر، ووقفت فيها الحرية والكرامة والمساواة والإخاء والعدل والفضيلة والنجاة، في مواجهة العبودية والجاهلية والاستعباد والاستبداد والطغيان والظلم والقهر والطبقية والرذيلة والهاوية.

لقد كانت بوجيز العبارة أول معركة وجودية للمسلمين بعد انتقالهم إلى المدينة المنورة وشروع خاتم الأنبياء والمرسلين في وضع اللبنات الأولى لدولة الحق والعدل

الإلهية، وأول اختبار عملي لحصاد 15 عاماً من جهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم في البناء الروحي والمعنوي لطليعة المؤمنين الملتحقين بدين الإسلام المنقذ للبشرية من الغواية والظلال، لذا فهي منعطف تاريخي فاصل، وجد المسلمون أنفسهم فيها أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن يكونوا أو لا يكونوا، وأراد الله لهم الكينونة والعزة والرفعة، بعد أن تحققت شروط الإيمان والثقة المُطلقة بنصر الله وتأييده، والتوكل المهور بتشمير سواعد الجد والعمل والصمود والثبات، لا التواكل والتواني والتراخي كما جرى في غزوة "أحد".

صوفي تقديرنا فقد أعاد أحفاد الأنصار في اليمن بقيادة حفيد الإمام علي عليه السلام خلال مواجهتهم لعدوان تحالف العاصفة العبرية على بلادنا في سنوات الجمر الثمان الأخيرة، للذاكرة اليمنية والإسلامية كل مشاهد وإرهاصات ووقائع معركة بدر الكبرى، أسمى تجليات ذلك تمكنهم بفضل الله وتأييده وتوفيقه وتسديده من صدّ ذلك التحالف المعزز بتأييد ودعم كل طُغاة العالم والمدجج بكل ما لذ وطاب مما أنتجته مصانع الأسلحة العالمية، وتجريعه هزيمة مُنكرة لم يكن يتوقعها أحد، رغم قلة عدد المُقاتلة وبساطة الإمكانيات القتالية والمادية إن لم يكن انعدامها.

حيثيات المعركة:

بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن قافلة تجارية لقريش قادمة من الشام تضم 1000 بعير مُحمّلة بضائع تُقدّر قيمتها بـ 50 ألف دينار ذهبي، يقودها "أبو سفيان بن حرب"، ومعه "30 - 40" رجلاً.

الهدف ثمين، وفيه تعويض لبعض ما سلبه كفار قريش من المسلمين في مكة من أموال وعقارات ومُدّخرات، والأهم من هذا يُمثّل ضربة قاسية لعصب اقتصاد طُغاة قريش.

طلب صلى الله عليه وآله وسلم من أصحابه التجهز للخروج من أجل الاستيلاء عليها، فخاف بعضهم، وثقُل بعضهم، لأنهم لم يظنوا أن النبي يلقى حرباً.

كلّف صلى الله عليه وآله وسلم "أبو لبابة" بإدارة شؤون المدينة كي لا يحدث فراغ

خلال غيابه يتسلل منه الكفار والمنافقين واليهود، و"إبن أم مكتوم" لإمامة الصلاة فيها .

عندما دنا "أبو سفيان" من "الحجاز" تحسس الأخبار فعلم بما عزم عليه رسول الله، ففيرّ وجهة القافلة للتمويه، واستأجر "ضمضم بن عمرو الغفاري"، وأرسله إلى مكة لاستنفار أهلها وطلب النجدة.

وكان خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لاعتراض القافلة بوادي "ذفران" طريق مرورها، في منتصف جمادى الآخرة 2 هـ.

أقبلت قريش بكل قوتها وكبريائها وجبروتها، لإدراك وحماية قافلتها، لم يتخلّف منهم أحد سوى "أبو لهب"، لكنه استأجر مكانه "العاصي بن هشام بن المغيرة".

ورغم نجاة "أبو سفيان" بالقافلة، وطلبه من أصحابه العودة إلى مكة، رفض "أبو جهل" ذلك، وأخذته العزة بالإثم، ورأى وجود إمكانية للقضاء على المسلمين أو توجيه ضربة مُوجعة إليهم، فقرر خوض المعركة، وأصرّ على مواصلة المسير إلى "بدر"، والإقامة فيها 3 أيام، يشربون ويمرحون ويغنون وينحرون حتى تسمع بهم وبمسيرهم كل العرب فتهابهم.

أرسل رسول الله رجلين إلى "بدر" للوقوف على أخبار قريش، وعندما بلغه أنهم مصممون على المواجهة، فضّل في البداية عدم الاصطدام العسكري المباشر، فتوجه إلى قريش، قائلاً: "إني أكره أن أبدأكم فخلُّوني والعرب وارجعوا"، لكنها رفضت دعوته وآثرت الحرب، فلم يكن أمام المسلمين سوى المواجهة العسكرية.

وجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه أمام خيارين أحلاهما مُرّ، إما القتال رغم فارق العدد والعتاد، أو الرجوع إلى المدينة المنورة، وهذا يعني انهيار كل ما كسبه المسلمون من الهيبة والمهابة، بفضل المناورات العسكرية، والعروض النظامية السابقة، وبخاصة إذا تقدم العدوّ نحو المدينة في ظل هذا الانسحاب واجتاح مركز الإسلام "المدينة المنورة".

لذا اختار صلّى اللّه عليه وآله وسلم خيار المواجهة والمنازلة والمقاومة حتى اللحظة الأخيرة والنفس الأخير.

تاريخ المعركة:

وقعت في يوم الإثنين 17 رمضان 2 هـ، الموافق 13 مارس 624 م، وقيل يناير 624 م.

واستمرت من صباح ذلك اليوم إلى ساعات الظهر الأولى، وهي من المعارك القصيرة في الإسلام، حيث لم تتجاوز عدة ساعات.

مكان المعركة وتسميتها:

تُسمّى غزوة بدر الكبرى أو الثانية، وقد سبقتها عدة غزوات وسرايا، لكنها كانت محدودة، وتذكر كُتب السير غزوتين أُخريين باسم بدر، هي بدر الأولى وبدر الموعد أو الثالثة، لكن الأكثر شهرة غزوة بدر الكبرى.

اعتاد العرب على تسمية المعارك التي خاضوها بأسماء المناطق التي دارت فيها، لذا أطلقوا على هذه الغزوة اسم "بدر" نسبة لبئر ماء يعود لشخص يحمل نفس الاسم، دارت حوله المعركة.

يقع هذا البئر في وادي "بدر"، بين مكة والمدينة المنورة، وهو من أسواق العرب في الجاهلية وأحد مراكز تجمُّعهم للتبادل التجاري والمُفاخرة، كانوا يقصدونه كل عام، لذا فهو عندهم بنفس مكانة وأهمية سوق "عكاظ".

ويقع الوادي على بُعد نحو "140 - 160" كيلو متراً جنوب غرب المدينة المنوّرة، و"300 - 343" كيلو متر شمال مكة المكرمة.

وأُطلق على المشاركين من المسلمين في هذه المعركة اسم "البدريين"، وهو وسام تكريمي لثُلة المؤمنين المشاركين في ذلك الحدث العظيم والمفصلي في تاريخ الإسلام والمسلمين، وتخليداً لما سجّلوه من بطُولات، وأصبح المسلمون من بعدهم يتمنون مناداتهم بالبدريين.

المعركة في القرآن:

وصفها الله في محكم التنزيل بيوم "الفرقان"، وورد ذكرها في عدة مواضع، منها

الآيات "1 - 19" و"36 - 51" و"67 - 71" من سورة الأنفال، و"12 - 13" و"123 - 127" من آل عمران، و "77 - 78" من النساء.

وسبب وصف الله سبحانه وتعالى لها بيوم "الفرقان": "يوم الفرقان يوم التقى الجمعان"، لأنها كانت يوماً فاصلاً بين الإسلام والكفر، لذا فهي من المعارك الخالدة التي تركت بصماتها على مسيرة الدعوة الإسلامية ومستقبل الرسالة.

قوات الفريقين:

1 - المسلمون:

313 رجلاً، و70 بعيراً، وفرسان، أحدهما للزبير بن عوام، والآخر للمقداد بن عمرو الكندي، وقيل 3 أفراس.

توزعت قواتهم بواقع 82 من المهاجرين، و230 من الأنصار منهم 170 من الخزرج و61 من الأوس.

2 - الكفار:

900 - 1000 مقاتل، و700 بعير، و200 وقيل 400 فرس.

أجواء المعركة:

نزلت قريش بالعدوة القصوى من وادي "بدر"، وبعث الله السماء - أمطرت السماء، وكان الوادي ليِّناً، فأصاب الرسول وأصحابه منها ما لبَّد لهم الأرض، ولم يمنعهم عن السير، وأصاب قُريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه، فنزل الرسول بأدنى ماءٍ من القوم، وهنا تتجلى الحكمة النبوية، في أهمية الاختيار المكاني، للضغط على العدو، وتأمين عوامل القومة والمساومة قبل المواجهة.

دفع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم راية المعركة إلى الإمام علي عليه السلام، وهي راية سوداء اسمها "العقاب"، ولواء المهاجرين إلى "مصعب بن عمير"، ولواء الخزرج إلى "الحباب بن المنذر"، ولواء الأوس إلى "سعد بن معاذ".

ورفع كفه داعياً ومُناجياً ربه، ومستمداً منه العون: "اللَّهُمَّ إنْ تُهلِك هذه العِصابة لا تُعبد في الأرض".

أرسل الكفار 3 من أشرس مقاتليهم، هم: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وطلبوا من المسلمين المنازلة، فبرز لهم بنو عفراء "معاذ ومعوذ وعوف بن الحارث"، وكانوا من الأنصار، لكن قادة المشركين أنفوا ورفضوا مواجهتهم، لأنهم رأوا فيهم قُدرات قتالية لا ترقَ إلى مستواهم، وطلبوا من رسول الله إرسال 3 أخرين من كبار مُقاتليه يكونوا أكِفاء وأنداداً لهم، فاختار 3 من أقاربه، هم: الإمام علي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، وحمزة بن عبدالمطلب.

نازل عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب - 63 عاماً، عتبة بن ربيعة - جد معاوية بن أبي سفيان لأمه، وكانا أسنّ القوم.

وواجه حمزة بن عبدالمطلب - 57 عاماً، شيبة بن ربيعة، وكانا أوسط القوم سِناً.

وتولّى الإمام علي عليه السلام - 20 عاماً، مهمة منازلة الوليد بن عتبة - وهو خال معاوية بن أبي سفيان، وكانا أصغر القوم سِناً.

ضرب الإمام علي الوليد على يمينه فقطعها، فأخذ يمينه بيساره، فضرب بها هامة الإمام عليه السلام.

ويصف سلام الله عليه ذلك: "ظنَنتُ أنَّ السماءَ وقعت على الأرض"، ثم ضربه ضربة أخرى على أم رأسه فقسمه نصفين.

وبرز له حنظلة بن أبي سفيان، فضربه، فسالت عيناه ولزم الأرض، وأقبل العاص بن سعيد، فلقيه سلام الله عليه فقتله.

وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من له علمٌ بنوفل بن خُويلد".

أجاب الإمام علي عليه السلام: أنا قتلتُه.

فكبرَّ صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: "الحمدُ للهِ الذي أجاب دعوتي فيه".

بعد مقتل قادة قريش الثلاثة اشتبك الجيشان، وتسبب مقتلهم في انهيار معنويات الكفار وتفرُّق وانهزام جيشهم، وتسهيل المهمة على المسلمين للإجهاز على ما تبقَ منهم.

ويذكر المؤرخون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ كفاً من الحصى ورمى بها على المشركين، وقال: "شاهت الوجوه"، فلم يبعد منهم أحد إلا بفرك عينيه، فكانت هزيمة قريش.

الشورى والتشارك في القيادة:

بعد وقوفه صلى الله عليه وآله وسلم على نية قريش بالمواجهة، ومعرفته قوام قوتهم وعتادهم، استشار الصحابة في الإجراء الواجب اتخاذه، وكان يقصد الأنصار، لأنهم الأكثر عدداً في جيش المسلمين، ولأنهم بايعوه قبل الهجرة إلى المدينة على المُؤازرة والنُصرة والحماية.

والاستشارة إجراء غير مألوف في ذلك الزمان، أراد منه معرفة مدى استقامة أصحابه من ألسنتهم، وإشعارهم بأهمية رأيهم عنده، وأنه ليس سُلطاناً مُستبداً يُصادر آراءهم وحريتهم، وإعطائهم درساً عملياً على الاشتراك في القيادة.

وهي أول خطوة في برنامج التعبئة الروحية والمعنوية والعسكرية.

كانت كلمات الصحابة فواحة بالشجاعة والعزة والإباء والاستقامة والثقة بنصر الله والثبات.

تذكر كتب السيرة أنّ المسلمين بعد وصولهم إلى "بدر"، ومعرفتهم بمجيء قريش وقوتهم وعتادهم، جزعوا وخافوا، فاستشارهم النبي في الحرب، قائلاً: "أشيروا عليّ"، فأشار بعضهم بعدم المواجهة، لأن هذه "قريش وخُيلاؤها ما ذُلّت منذ عزّت"، وأشار آخرون بخوض المعركة، وقال المقداد بن الأسود يومها كلمته الشهيرة: يا رسول الله والله لا نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى "اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون"، ولكن نقول: "اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون".

الطابور الخامس:

كان الطابور الخامس حاضراً بقوة في تلك المعركة المصيرية، وكعادة هذه الفئة المخذولة والمُثبِّطة في كل زمان ومكان، استغل المنافقين واليهود المتخلفين في المدينة

فارق العدد في المقاتلة بين المسلمين والمشركين، وخشيتهم من انتصار الرسول والمسلمين، لبث الشائعات والفزع والرعب في أوساط سكان المدينة المنورة، فأشاعوا بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قُتل، وهُزم أصحابه في المعركة، وذلك من أجل نشر الفوضى والاضطراب واليأس، لكن مراميهم خابت وخسرت.

ولخطورة ذلك سارع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتهاء المعركة مباشرة بإرسال "عبدالله بن رواحة" و"زيد بن حارثة" إلى المدينة، لإخبار سُكانها بنصر الله لعباده المستضعفين، ليقطع الطريق على ذلك الطابور الشائه.

الإمام علي بطل المعركة الأول:

لم يكن تسليم راية "العقاب" للإمام علي عليه السلام حدث عابر، بل خُطوة مدروسة، لها دلالاتها التي لا يمكن فصلها عن عملية التهيئة للولاية التي أمر الله تبليغها للناس في واقعة الغدير الشهيرة، وهذا يعني ببساطة أن القيادة العامة في المعركة كانت للإمام علي بعد النبي، وفي ذلك تأكيدٌ جلي على قدراته سلام الله عليه، وموقعه في الإسلام، وأنه يُشكِّل الملاذ الآمن للمسلمين، بالنظر إلى البلاء الذي أبلاه في واقعة بدر، ومدى اطمئنان النبي والمسلمين لقيادته رغم صِغر سنه.

سجّل سلام الله عليه بُطولات خارقة في هذه المعركة، وكان قُطبُ رحاها وبطلها بلا منازع.

قال الإمام الباقرعليه السلام: نادى مُنادٍ من السماء يوم بدر يُقال له رضوان، لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتى إلّا علي.

نظراً لشدة نكايته بالمشركين وفريه لرقابهم، واستئثاره بقتل أكثر من نصف ضحاياهم، منهم كبار قادتهم وأشجع مقاتليهم، وأصحاب ألويتهم.

ويذكر المؤرخون أن رجلاً من بني كنانة دخل على معاوية، فقال له: هل شهدت بدراً؟.

قال: نعم.

قال: صف ما رأيت؟

قال: رأيت علي بن أبي طالب غُلاماً شاباً ليثاً عبقرياً يفري الفري لا يثبت له أحد إلا قتله ولا يضرب شيئاً إلا هتكه، ولم أرَ أحداً من الناس يحمل حملته ويلتفت التفاته، وكان له عينان في قفاه وكأن وثوبه وثوب وحش.

لا نُبالغ إذن إن قلنا أن معركة بدر وضعت الإمام علي عليه السلام في مركز الصدارة بين المسلمين، وأنه أحق الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواء على مستوى الميدان، أو ما يتمتع به من حكمة وصواب ورأي، أو من جهة قُدرته وتفانيه في سبيل المبدأ، وأنه لولاه لم تكن نتائج الحرب في صالح المسلمين.

نتائج المعركة:

لحقت بالكفار هزيمة مُنكرة، وفقدوا فيها كبار القوم وصناديدهم وأشجع شُجعانهم وأعزّ أبنائهم، وبلغ عدد قتلاهم 70 وقيل 72 قتيلاً، وأُسر منهم 70، ومن أبرز قتلاهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وأبو جهل عمرو بن هشام.

وقتل الإمامُ علي "22 - 35" شخصاً من صناديدهم، منهم:

1 - حنظلة بن أبي سفيان

2 - العاص بن سعيد بن العاص.

3 - عبدالله بن المنذر.

4 - حرملة بن عمرو.

على الصعيد الإسلامي، ارتقى 22 شهيداً، 14 من الأنصار و8 من المهاجرين، وقيل ما بين "9 - 14" رجلاً، ولم يُؤسر منهم أحد.

التعامل الراقي مع الأسرى:

عاد المسلمون بالأسرى إلى المدينة، وتعاملوا معهم بطريقة إنسانية راقية كتعاملهم مع أي واحدٍ منهم، على عكس عادة العرب في التعامل مع أسرى الحروب، ثم قبلوا

منهم الفداء، ومن لم يكن لديه ما يفدي به نفسه طلبوا منه تعليم 10 من أولادهم مقابل إطلاق سراحه.

ومن أهم المبادئ التي أرساها الإسلام في هذا الجانب:

1 - احترام الأسرى والرحمة بهم وعدم إيذائهم.

2 - عدم التنكيل بجثث قتلى العدو.

عوامل وأسباب النصر:

هناك عدة عوامل ساعدت مُجتمعة في صناعة سيمفونية النصر البدرية، أهمها:

1 - الإيمان المُطلق بالله، والتوكل عليه، والثقة بنصره وتأييده لعباده المستضعفين في أرضه.

2 - عشق الشهادة وإخلاص النية للجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله.

3 - الإيمان بالقضية والمظلومية، والاستعداد الكامل للتضحية بالغالي والنفيس في سبيل هذه الغاية السامية، والإخلاص والصدق في مواجهة العدو حتى لو كان من أقرب المقربين.

يقول الإمام علي عليه السلام: كنا مع رسول الله نُقاتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً وجِدّاً في جهاد العدو، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر حتى استقرّ الإسلام.

كما وجد الأنصار أنفسهم أمام أول تجربة في حماية رسول الله ونُصرته، والوفاء بما قطعوه على أنفسهم في بيعة العقبة، فكان قتالهم شديد الضراوة.

4 - التسديد واللطف والعناية الإلهية، بما في ذلك إمداد الله لعباده المؤمنين بالملائكة، وإرسال النُعاس والمطر، وإلقاء الرعب في قلوب المشركين، وتقليل عدد المشركين في عيون المؤمنين.

5 - التخطيط والتدبير الحربي الجيد، وإعداد العدة والرصد الواعي، ومعرفة نقاط ضعف العدو.

6 - وضع رسول الله أقاربه في الخط الأول للمواجهة، فاختار الإمام علي وحمزة

وعبيدة بن الحارث للمبارزة الأولى، ليُبرهن للمسلمين والمشركين على حدٍ سواء أنه صاحب رسالة إلهية، وليس صاحب مشروع شخصي، لذا فهو يبدأ بأهل بيته، ولا يستغلّ الناس للوصول إلى أهداف دنيوية خاصة، مُحيّداً أهل بيته وأقاربه عن المخاطر، كما يفعل الكثيرون من الملوك والزعماء السياسيين ممن يرسلون أبناءهم إلى خارج البلاد في أوقات الحروب ويقاتلون بأبناء الآخرين، وهذا الفداء والتضحية من أهم عوامل النصر.

7 - إدارة رسول الله المعركة بطريقة تُراعي العوامل المادية والمعنوية، وعبّأ أصحابه تعبئة إيمانية فائقة، وأحسّ بهم وأحسّوا به وامتزج بهم، وأصبح أغلى من أنفسهم، واستشارهم وطَيّب خواطرهم، وجعلهم هم الذين يقررون الإقدام على القتال.

8 - تحكُّم المسلمين في مُجريات المواجهة فكانوا أبطال ضرباتهم منذ بداياتها، وسبقوا العدو إلى الميدان والسيطرة على أرض القتال المناسبة، وتحكّموا في الماء، ووراء ذلك كله عناية الله بهم.

القيم والدلالات:

أسس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المعركة جملة من المفاهيم والمبادئ والأسس المهمة، منها:

1 - التأكيد على أن الغلبة للقوة الروحية وليس للقوة العسكرية كما يتوهّم أباطرة العالم المادّي، متى توافرت شروط الإيمان.

2 - أهمية دور القائد في احتواء المقاتلين ودعمهم مادياً ومعنوياً بالتشجيع والدعاء.

3 - التأكيد على أن أخوّة المسلمين الحقيقية بالعقيدة والإيمان، وجعلها أهم من الأخوّة في الدم إن كان الأخ كافراً بالله.

4 - التأكيد على أن الشورى أمان من الخطأ، وحرز من الخطر، وأن الاستبداد سبب كل الكوارث العاصفة بالبشرية عبر التاريخ.

المراجـــع:

1 - الدكتـور المرتـضى بـن زيـد المحطـوري، السـيرة النبويـة، مكتبـة بـدر للطباعـة والنـشر، نسـخة إلكترونيـة.

2 - أسـعد عبداللـه عـلي، قـراءة في أبعـاد نتائـج معركـة بـدر، شـبكة النبـأ المعلوماتيـة، يونيـو 2019.

3 - حاتـم إسـماعيل، دور عـلي عليـه السـلام في معركـة بـدر، موقـع شـبكة المعـارف الإسـلامية الثقافيـة.

4 - عبير المنظور، غزوة بدر الكبرى، انتصار ومنهج حياة، موقع مدونة الكفيل.

5 - عـلي الصـلابي، غـزوة بـدر الكـبرى .. حـدث عظيـم في شـهر رمضـان وبدايـة لانتصـارات المسـلمين، الجزيـرة نـت، 23 مايـو 2019.

6 - محسـن باقـر محمـد صالـح القزوينـي، بـدر: معركـة الوجـود، جامعـة أهـل البيـت - كليـة العلـوم الإسـلامية.

7 - محمـد أحمـد حسـين، غـزوة بـدر الكـبرى: دروس وعـبر، موقـع بوابـة السـيرة النبويـة.

8 - محمـد طاهـر الصفـار، معركـة بـدر .. بوصلـة السـماء، موقـع العتبـة الحسـينية، 15 مايـو 2019.

9 - موقع العلامة حسين الخشن، معركة بدر.. دروس وعبر.

10 - موقع حسين أنصاريان، بطولة الإمام علي عليه السلام في معركة بدر.

11 - موقع محمد نبي الرحمة، معركة بدر، 10 نوفمبر 2019.

12 - موقـع مركـز الاشـعاع الإسـلامي للدراسـات والبحـوث الإسـلامية، معركـة بـدر الكـبرى.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

تلاشي الحلم الأمريكي بعد 20عاماً على احتلال العراق

مركز البحوث والمعلومات

رمضان 1444هـ أبريل 2023م

بعد مرور عشرين عاماً على احتلال العراق، تشير الأحداث أن الغرور الأمريكي لم يعد كما كان في العام 2003، ولم يعد بإمكان الرئيس الأسبق جورج بوش الإبن أن يهمس لنفسه أو لمن حوله أنه حقق ما أراد في حربه على العراق.

هذا الواقع ليس مقتصراً على بوش أو نائبه "ديك تشيني" أو وزير دفاعه "دونالد رامسفيلد" أو مستشاره للأمن القومي "كوندوليزا رايس" أو "بول برايمر" الحاكم المدني للعراق ما بعد الاحتلال، ولكنه لسان حال من حكم ويحكم في الإدارات الأمريكية المتعاقبة، خلال سنوات ما بعد الاحتلال وإلى يومنا هذا.

أكذوبة الأسلحة

أكذوبة أسلحة الدمار الشامل التي بُني عليها احتلال العراق من قبل واشنطن وحلفائها لم تستمر طويلا، ولكن تبعات تلك الكذبة باقية إلى يومنا هذا، بما فيها الدوافع الحقيقة وراء الاحتلال الأمريكي للعراق؟ وعن ما آلت إليه الأمور بعد عقدين من الاحتلال؟!

ذهب جورج بوش الابن في اعقاب انتخابه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية إلى بسط النفوذ على العالم أجمع، انطلاقاً من أن المعطيات المختلفة تشير إلى أن التفرّد الأمريكي أصبح واقعاً، وبأنه لم يعد هناك منافس حقيقي على المستوى الدولي، وعلى مختلف الفاعلين الدوليين "دول ومنظمات" الخضوع وتمرير ما تريده واشنطن في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وفي العالم شرقاً وغرباً.

حسب العديد من القراءات التحليلية، فإن المشهد العالمي في ذلك الوقت أعطى الولايات المتحدة أكثر مما تريد أو تستحق، وكان واضحاً أن أغلب القوى في ذلك الوقت لا تريد الاصطدام والمواجهة، والقارئ لمسار الأحداث خلال تلك المرحلة يمكنه القول، أن التطورات المختلفة حول العالم كانت تسهم في مزيد من التغوّل الأمريكي على النظام الدولي من خلال فرض أجندتها على مختلف القضايا العالمية، دون مراعاة للمصالح المشتركة والقواعد المنظمة للنظام الدولي القائم.

غرور وتغوّل

عندما نتحدث عن هذا التغوّل من قِبَل واشنطن في عهد الرئيس السابق جورج بوش الابن، لا بد من الإشارة أن سقوط الاتحاد السوفيتي وتواري بقية القوى بما فيهم الحلفاء الغربيين، ساهم إلى حدٍّ كبير في تعاظم الغرور الأمريكي تجاه مختلف القضايا الرئيسية حول العالم.

هذا ما دفع واشنطن إلى اختراق القانون الدولي في أكثر من مناسبة وتجاوُز كل الخطوط الحُمر دون اكتراث للسلام والاستقرار حول العالم، وهذا ما تجلّى بصورة واضحة في مسار الغزو والاحتلال الأمريكي للعراق في العام 2003م، ومن قبله احتلال أفغانستان في العام 2001م.

أهداف ورسائل أمريكية

وبعيداً عن تفاصيل التجاوزات الأمريكية "وما أكثرها" ما قبل احتلال العراق، لا بد من الوقوف على ما كان المراد تحقيقه في "الداخل العراقي أو على مستوى منطقة الشرق الأوسط أو على المستوى الدولي" من ذلك الاحتلال من خلال عدد من النقاط أهمها:

- سعت الولايات المتحدة إلى أن يكون احتلالها للعراق بمثابة نموذج للتعامل مع الأنظمة المارقة "حسب الوصف الأمريكي"، وفي الأشهر التالية للاحتلال كان من الواضح أن التسويق الإعلامي في الداخل الأمريكي وفي العالم يريد أن يتم تجاوز تبعات الاحتلال والحرب، من خلال القول أن العراق في طريقه لكي يصبح دولة ديمقراطية.

في هذا السياق يشير الدكتور حمزة الخدام في قراءته للحملة الإعلامية الأمريكية خلال غزو العراق بقوله "أن الحملة الإعلامية بدأت قبل المعارك وسارت موازية له واستمرت بعدها واستخدمت سلاحاً سادساً في الأزمة إلى جانب الأسلحة الجوية والبحرية والضغط الاقتصادي والسياسي، ألا وهي حرب الإعلام".

هـذا المسـار الدعـائي الأمريـكي (البروباغنـدا في الإعـلام الأمريـكي والدولي) سـاهم في رفـع مسـتوى الغرور داخل الإدارة الأمريكية والاعتقـاد أن لديها القدرة الكاملة في تحقيق مـا تريـد، وهـذا تحديـدا مـا عجّل بقـرار تفكيك وحل شـامل لمختلف المؤسسـات السياسـية والعسـكرية والأمنيـة، دون اكـتراث لمـا قد تؤول إليـه الأوضاع مسـتقبلاً في العراق.

بعـد سـنوات مـن احتـلال العـراق، كان المخطـط الأمريـكي "القائـم عـلى اسـتراتيجية البقـاء في العـراق والمنطقـة" يمُهّـد إلى ما "ما بعد الانسـحاب" من خلال إبـرام الاتفاقيات مـع الجانـب العراقـي، وهـذا مـا كان مـن خـلال عـدد مـن الاتفاقيـات "اتفاقيـة الإطـار" و"اتفاقيـات التعـاون الاسـتراتيجي" وغيرها من الاتفاقـات في مختلف الجوانب السياسـية والعسـكرية والأمنية.

وفقـاً لهـذا المخطـط، سـعت واشـنطن إلى إبقـاء السـيطرة عـلى العـراق تحـت رعايتهـا وإبقـاء المسـار المسـتقبلي للعمليـة السياسـية في الداخـل العراقـي تحـت هيمنـة النفـوذ الأمريـكي، تحـت مسـمّى وعناويـن "حل الاختناقـات السياسـية في العـراق" والحرص على أقـصى الجهـود في دعـم الديمقراطيـة.

- وفي سـياق آخـر كان تعزيـز الوجـود العسـكري وإعـادة تشـكيل الـشرق الأوسـط وهيكلتـه بصـورة تتوافـق مـع المصالـح الأمريكيـة، كان مـن أهـم الأهـداف المعلنـة الـذي لم تخفيـه واشـنطن عنـد غزوهـا العـراق، وكان تغيـير الأنظمـة في مقدمـة هـذا المخطـط.

وحسـب العديـد من المراقبين للسياسـة الخارجيـة الأمريكية أن ما حـدث في العام 2011 مـن احتجاجـات شـعبية في عـدد من الـدول العربية ينـدرج تحت مخطط تغيـير الأنظمة، كونـه يخـدم مسـتقبل التواجـد الأمريـكي في المنطقـة، مـن خـلال تقسـيم الشـعب الواحـد على أسـس طائفيـة وعرقيـة ومناطقية.

وهـو مـا يدفـع بالأوضـاع إلى اشـتعال الحـروب الأهليـة داخـل البلـد الواحـد، وهـو من شـأنه إضعـاف الأنظمة الحاكمة وجعلهـا ترتمي في الأحضان الأمريكيـة بحثاً عن الحماية مـن شـعوبها، ومـع مـرور وتزايـد المخـاوف الداخليـة يتعاظـم مسلسـل التنـازل من خلال التبعيـة المطلقـة والانخـراط في تنفيـذ الاسـتراتيجية الأمريكيـة في المنطقـة والمتضمنـة:

السماح للقوات الأمريكية وغيرها من القوات الأجنبية في التواجد وإقامة القواعد العسكرية لفترات زمنية طويلة.

تهديد الأمن والسلم الدوليين

وبعيداً عن حديث الولايات المتحدة عن حربها على الإرهاب في كلٍ من العراق وأفغانستان، كان من الواضح أن الرغبة في التفرّد بالهيمنة على النظام العالمي في مختلف شؤونه بحاجة إلى أحداث كبرى، للحيلولة دون ظهور منافسين من الغرب والشرق، ولهذا لم تكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 في مدينتي نيويورك وواشنطن التي أسفرت عن مقتل نحو ثلاثة آلاف شخاص، سوى مبرر لإعلان الحرب على كل المخالفين وفق منطق "من ليس معنا فهو ضدنا".

ووفق هذا المنطق المتغطرس ذهبت واشنطن وحلفائها إلى تهديد الأمن والسلم الدوليين عندما دفعت بعشرات الآلاف من جنودها إلى احتلال العراق، دون اكتراث للعواقب المحتملة، بما فيها الخسائر البشرية والتي قُدّرت أعداد القتلى بـ 4500 جندي و33 ألف جريح إلى جانب الخسائر المادية والمقدرة بـ 800 مليار دولار بصورة مباشرة، هذه الأرقام وغيرها كان المبرر لها حسب الساسة في واشنطن "الحفاظ على الهيمنة الأمريكية على النظام العالمي الأحادي القطبية والاستمرار في وظيفة القيادة للعقود القادمة".

انهيار الحُلم الأمريكي

لكن بعد عقدين من المغامرة الأمريكية في العراق، وبقراءة واضحة للنتائج يمكن القول: أن ما ذهبت واشنطن إلى تحقيقه في العام 2003، لم يتحقق في معظمه والشاهد على ذلك تغيّر الخطاب من الوعد والوعيد تجاه المعارضين والمخالفين، إلى الحديث عن الورطة في العراق ومن قبله أفغانستان، وأصبح الحديث في البيت الأبيض اليوم عن أن وجود القوات الأمريكية في العراق "استشاري" فقط وبأعداد لا تتجاوز 2500 جندي وأن بقائهم مرهون بموافقة الحكومة في بغداد.

ولم يعد خافياً على الساسة في واشنطن أن الحقائق على الأرض تشير أن حروبهم المختلفة وسياساتهم التغوّلية من أجل تثبيت النظام الأحادي القطبية في طريقها للانهيار،وأن مواصلة الهيمنة على العالم أصبح من الماضي، لا سيما مع صعود التنين الصيني الكبير والعودة الروسية كقوة كبرى.

ختاماً، شمس الإمبراطورية الأمريكية تتوارى يوماً بعد آخر، وها نحن اليوم نشهد ترنحاً "غير مسبوق" على مستوى الداخل والخارج وتراجعاً ملحوظاً في القدرات السياسية والاقتصادية والعسكرية، ولم يتبقَ للأمريكان سوى إشعال الحرائق هنا أو هناك للحيلولة دون مزيد من التراجع، وما "الحرب في أوكرانيا" و"التصعيد في شرق آسيا" سوى شاهدين على تلاشي الهيمنة وفقدان السيطرة على مختلف القضايا في العالم.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

يوم القدس العالمي ..
صرخة في وجه التحالف الشيطاني "الصهيو - أميركي"

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشي

رمضان 1444هـ أبريل 2023

تُسمّى الجمعة الأخيرة من شهر رمضان بالجمعة اليتيمة أو جمعة الوداع، ولهذا اختارها الإمام الخميني رحمه الله لتكون يوماً عالمياً للقدس السليب واليتيم:

"أدعو المسلمين في جميع أنحاء العالم لتكريس يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك ليكون يوم القدس، وإعلان التضامن الدولي من المسلمين في دعم الحقوق المشروعة للشعب المسلم في فلسطين، وأطلب من جميع المسلمين في العالم والحكومات الإسلامية العمل معاً لقطع يد هذه الغاصبة - إسرائيل - ومُؤيديها".

أول الثمار

تم إعلان هذا الاختيار المُبارك في يوم 13 - 15 رمضان 1399هـ، الموافق 7 أغسطس 1979م، وتحديداً عقب احتلال الكيان الصهيوني الغاصب لجنوب لبنان، وكان الجنوب اللبناني يومها مرتعاً بلا راعٍ ولا حامٍ، يعاني التهميش والإهمال الحكومي، وها هو اليوم قلعة حصينة للمقاومة الإسلامية بقيادة حزب الله.

هذه المقاومة واحدة من ثمار دعوة الإمام الخميني المباركة لإعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية، وتدشين الجهاد المُقدس ضد الكيان الصهيوني الغاصب على كل الأصعدة والجبهات.

والحديث عن دور حزب الله وحركة أمل في تحرير جنوب لبنان وتكوين جبهة رديفة ومُساندة لقوى المقاومة الفلسطينية بحاجة لقراءة مستفيضة مستقلة.

التوقيت الأهمّ

الاختيار دقيق، والتوقيت في غاية الأهمية، فهو يأتي بعد شهرٍ حافلٍ بالعبادة والطاعات، وقلوب المسلمين أكثر قُرباً من الله، وأكثر إحساساً وإدراكاً للمخاطر المُحدقة بمدينة الأنبياء والبقاع المقدسة فيها، وعلى رأسها المسجد الأقصى، والمخططات الصهيونية الرامية لصهينة وأسرلة وعبرنة ما تبقَّ من المعالم الإسلامية والمسيحية في المدينة المقدسة، وطمس هويتها العربية، وجعلها مدينة خالية من العرب، وعاصمة أبدية للكيان الصهيوني اللقيط.

اختياره رحمة الله عليه لجمعة القدس أتى بعد 6 أشهرٍ فقط من عودته إلى إيران وإعلانه قيام الجمهورية الإسلامية في هذا البلد المسلم، وفي وقتٍ لم تعد فيه القضية الفلسطينية تُمثّل قضية العرب والمسلمين الأولى وهمّهم الأول، بل صار العديد من قادة العرب يتآمرون جهاراً نهاراً على الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة في استعادة أرضه وإقامة دولته الحرة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وهرول البعض مُسرعاً للتطبيع مع الصهاينة بلا كوابح أخلاقية ولا دينية ولا قومية ولا عروبية، فاتحين بازار المساومة والمتاجرة بالقضية الفلسطينية على مصراعيه، وهي متاجرة رخيصة في زمنٍ عزّ فيه الناصر.

وأراد رضوان الله عليه بذلك التأكيد على أن القضية الفلسطينية تقع على قِمّة سُلّم الأولويات للجمهورية الإسلامية الإيرانية الوليدة، والتي وضعت في بنك أهدافها منذ يومها الأول التصدّي لمخططات الصهاينة الساعية بلا كلل ولا ملل للقضاء على الشعب الفلسطيني وإزالة كافة المظاهر الإسلامية في هذه الأرض المقدسة.

خيار المقاومة

إعادة الإمام الخميني الاعتبار للقضية الفلسطينية، وتصحيح مسار النضال الفلسطيني، وتوجُهه بخطاب الاستنهاض إلى الشعوب العربية والإسلامية بعيداً عن الحُكّام والأُطر الرسمية للأنظمة المتآمرة والمسبحة بحمد أبقار البيت الأسود وقرود تل أبيب، فتح على الشعب الإيراني الحرّ ونظامه الإسلامي الوليد أبواب جهنم، وجعله على قائمة المغضوب عليهم في جنة البيت الأسود الأميركي.

وعلى مدى أربعة عقود ونيف مارس النظام الأميركي ضد إيران الإسلامية كل أنواع الضغوطات والعقوبات من أجل إجبار نظامها على التخلّي عن القضية الفلسطينية وعن دعم قوى المقاومة الإسلامية في المنطقة، واستخدمت الاستخبارات الأميركية والصهيونية كل الأساليب القذرة للتأليب ضد النظام الإسلامي الإيراني والعمل على خلخلته من الداخل وتصفية قائمة طويلة من رموزه الوطنية والعُلمائية في كافة المجالات، في محاولة عبثية مفضوحة لإسقاط هذا النظام الحرّ، لكن كل مراميهم ومساعيهم باءت بالفشل.

ومن أهم ثمار مُبادرته رضوان الله عليه انتظام القوى الإسلامية الحية والحرّة في فلسطين ولبنان تحت راية حركات المقاومة الإسلامية، بعد سنوات من دعوته، وبفضل الله وتوفيقه وتأييده أصبحت هذه القوى الحرّة اليوم من القوة بمكان، واستطاعت إحباط العديد من المخططات "الصهيو - أميركية" في المنطقة، على رأسها مشروع الشرق الأوسط الجديد والقرن الأفريقي الكبير و"إسرائيل الكبرى".

عالمية الحدث

وتُحيي العشرات من الدول والقوى والحركات والأحزاب والتجمعات والتكتلات العربية والإسلامية والدولية يوم القدس بفعاليات متنوعة، تُحاكي مظلومية القدس والشعب الفلسطيني، وتكشف خفايا وأسرار المؤامرات "الصهيو-أميركية" المتناسلة للقضاء على القضية الفلسطينية نهائياً.

هذه الفعاليات كان لها الفضل في تشكيل الوعي العربي والإسلامي المُقاوم، وتزايد قوته ومنعته، وتحصين قوى الممانعة والمقاومة، وإيصالها إلى مستوى أصبحت معه مُتحكِّمة بكل أوراق القوة في رقعة شطرنج الصراع المصيري مع ما يسمى بمحور الاعتدال "الصهيو-أميركي" في المشرق العربي.

والجميل في تلك الفعاليات المشاركة الواسعة من كل الأطياف والتوجهات والشرائح، وفي هذا تأكيدٌ جليّ على أن قضية القدس "قضية إنسانية عالمية"، تتجاوز كل الحدود القومية والعرقية والدينية والمذهبية والطائفية والفكرية والسياسية والحزبية، لأنها تهمّ كل الأحرار الرافضين لجرائم الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة وجبروت وطغيان الحامي والحاضن الأميركي في المشرق العربي.

كما تعكس تلك الفعاليات المكانة الرفيعة لمدينة القدس والمسجد الأقصى في وجدان وذاكرة المسلمين بمختلف توجهاتهم، وأهمية الحفاظ على هذه الأماكن المُقدسة وعدم التفريط بها، مهما كانت الأسباب والمُغريات والضغوطات.

رُعب العدوّ الغاصب

ويكتسب يوم القدس هذا العام أهمية خاصة، فهو يأتي مع تفاعل انتفاضة الضفة الغربية، وتصاعد المخاوف الصهيونية من تأثير ذلك على الوضع الصهيوني الداخلي الذي يشهد أزمة خانقة بين لفيف قواه السياسية المتصارعة على كعكة الحكم، هي الأسوأ منذ تشكُّل كيانه اللقيط في فلسطين المحتلة، بالتوازي مع ما تشهده المنطقة من مُتغيرات ليست في صالح الكيان العبري، أهمها عودة الدفء إلى العلاقات "السورية – السعودية"، و"الإيرانية – السعودية"، والفشل الذريع الذي سجله تحالف العاصفة في اليمن، ونجاح القوى الحُرة في صنعاء في إرغام السعودية للجلوس على طاولة المفاوضات المُباشرة، وفرض صنعاء شروطها للسلام على المعتدين من موقع القوة.

هذه المتغيرات جعلت الكيان الغاصب مرعُوباً من فعاليات يوم القدس هذا العام، فقرر رفع كامل الجهوزية الأمنية لمواجهة أي طارئ قد يتهدّد كيانه خصوصاً الجبهة الشمالية مع لبنان، تحسُّباً لمفاجآت وعد بها سيد المقاومة "حسن نصر الله" في يوم القدس.

وتنقل قناة الميادين اللبنانية عن مُعلق الشؤون العربية في القناة "13" العبرية "تسفي يحزكيلي" أنّ جهوداً قُصوى تُبذل من الأمين العام لحزب الله "حسن نصر الله" ورئيس المكتب السياسي لحركة حماس "إسماعيل هنية"، وحركة أنصار الله، من أجل ممارسة الضغط على كيانه.

وتحدّث الإعلام العبري عن وجود رغبة "لدى محور المقاومة في الربط بين ما يحصل على الأرض وبين يوم القدس"، مؤكداً بأن "التطورات التي تحصل في الشرق الأوسط تُقلق المؤسسة الأمنية، ولا يمكن فصلُها عما يحدث في إسرائيل".

اليمن .. اعتناء خاص بالقضية الأولى

يمنياً، شهدت البلاد بعد قيام ثورة 21 سبتمبر 2014 المباركة تفاعُلاً كبيراً مع فعاليات يوم القدس على مختلف الأصعدة، ويُؤكد قائد الثورة وأحد قادة محور المقاومة السيد

"عبدالملك الحوثي" حفظه الله أن قضية القدس وفلسطين المُحتلّة تعني الشعب اليمني بشكل مُباشر باعتباره واحداً من الشعوب الإسلامية الرافضة للظلم والضيم بكل صوره وأشكاله، فكيف إذا كان ذلك مُتعلقاً بأهم مُقدسات الأمة وقلبها النابض:

"قضية الأقصى والمقدسات وفلسطين شعباً وأرضاً تعنينا كأمة إسلامية بشكل مباشر، وموقع القضية يعبرّ عنه يوم القدس الذي اختاره الإمام الخميني رضوان الله عليه في آخر جمعة من شهر رمضان، ليكون ذلك بنفسه مُعبرّاً عن أهمية هذه القضية وعن موقعها وعن مرتبتها في سُلّم المسؤوليات، وعن طبيعة هذه المسؤولية باعتبارها مسؤولية إيمانية دينية تتصل بمسؤولياتنا الدينية وبالتزامنا الديني، وجُزء من مسؤولياتنا وواجباتنا التي فرضها الله سبحانه وتعالى، فهي فريضة دينية والتفريط بها خللٌ كبير في التزامنا الديني والإنساني والأخلاقي.

يوم القدس فرصةً مهمة للالتفات إلى القضية الفلسطينية التفاتةً عملية، بدلاً من الانتظار، والجمود، والتفرّج، والتعامل مع الموضوع وكأنه لا يعنِ الأمة إلا من واقع التعاطف، أن تدخل الأمة في إطار الموقف، في إطار المسؤولية والفعل، والتعبير والتحرك الجاد، وفرصةً كبيرة لتدارس هذه القضية، وتدارس ماذا تعنيه بالنسبة لنا كأمةٍ مسلمة، وفي نفس الوقت ما هي الحلول والخطوات العملية المُناسبة والصحيحة والحكيمة تجاه هذه القضية".

مؤكداً بأن الهدف من إحياء يوم القدس العالمي هو بقاء مشاعر الجهاد ورفض كيان إسرائيل "حيّة" في نفوس المسلمين، ويقظة الشعوب الإسلامية من خلال البحث عن الرؤية الصحيحة للوصول إلى النتيجة المحتومة في الوعد الإلهي بتحقيق النصر الحاسم وإنقاذ الشعب الفلسطيني المظلوم وتطهير فلسطين والأقصى من رجس الصهاينة.

فلسطين .. بوصلة المسيرة القرآنية

تحتلّ القضية الفلسطينية موقع الصدارة في كافة أدبيات حركة أنصار الله والمسيرة القرآنية المباركة منذ انطلاقتها على يد الشهيد القائد السيد "حسين بدرالدين الحوثي"،

وكانت أول ملزمة له عن يوم القدس العالمي، ولنا قراءة حولها، نشرتها وكالة سبأ العام الماضي.

وتعتبر المسيرة القرآنية المباركة "الجهاد ضد العدو الصهيوني والهيمنة الأميركية مُرتكزاً أساسياً لمشروعها، وعاملاً مُهماً في نهضة الأمة وتغيير واقعها وذلك من خلال الرؤية القرآنية التي ترتقي بالأمة في وعيها وتُحيي الروح الجهادية وتنتقل بالأمة من حالة الجمود وتَلقّي الضربات إلى موقع الفاعلية والتحرك الجاد في كل المجالات".

يوم القدس .. الصرخة المدويّة

وفي المحصلة، سيظل يوم القدس صرخة مدوية في وجه التحالف الشيطاني "الصهيو – أميركي"، تستنهض الأمة لمواجهة هذا التحالف، وتُبقي قضية القدس حيّة في الوعي الجمعي للعرب والمسلمين إلى أن يأتي النصر الإلهي بالتحرير والتنظيف لتلك البقاع الطاهرة من دنس ورجس اليهود.

وسيظل أيضاً كما يرى الدكتور "وليد القططي" حداً فاصلاً بين تيارين:

"الأول يُوّجه بوصلته نحو القدس، ويُصوّب بندقيته نحو الكيان الغاصب للقدس، ويُريد أن تكون كل البلاد فلسطين، وكل الأيام للقدس، ويتوق لرؤية كل الأمة عزيزة، ويزرع كل الأرض مقاومة.

والثاني يُوّجه بوصلته إلى كل الاتجاهات ما عدا القدس، ويُصوّب بندقيته إلى كل الأماكن ما عدا الكيان الغاصب للقدس، ويُريد أن تُحذف فلسطين من الجغرافيا، ويُحذف يوم القدس من التاريخ، ويتوق لرؤية كل الأمة ذليلة، ويزرع كل الأرض مساومة".

وعلينا أن نختار إما محور المقاومة والممانعة الرافع راية الحرية والكرامة ومقارعة التحالف الاستعماري "الصهيو – أميركي"، أو الانسياق وراء محور الاعتدال والانبطاح الرافع راية العمالة والتطبيع ومحاربة قوى المقاومة الإسلامية الحرة والمتاجرة بالمقدسات الإسلامية وقضايا الأمة المصيرية.

لا وجه للمقارنة بين محورين:

الأول مركزه "القدس" قلب فلسطين، ومشاعله كل القوى الحرة الرافضة لأن تكون أميركا قدراً جبرياً والكيان العبري اللقيط قضاءً قهرياً على الأمّة.

والثاني مركزه "أورشليم" قلب الاحتلال الصهيوني، وأدواته صهاينة العرب المطبعين وكلابهم المسعورة من الجماعات التكفيرية.

الاختيار صعب، لكن لا مجال للبقاء في المنطقة الرمادية، ولذا فنحن اليوم مطالبون أكثر من أي وقتٍ مضى بإعادة التفكير في الأحداث العاصفة بنا، بما فيها من مؤامرات تروم طمس هويتنا ودیننا ومقدساتنا، وجعلنا أمة مسلوبة القرار والإرادة والأرض والسيادة والثروة والهوية، وإعادة توحيد كل الطاقات والجهود باتجاه المعركة الحقيقية مع الاحتلال الصهيوني وقوى الاستكبار العالمي، وتجديد تأكيد القوى الحية والحرة في العالم العربي والإسلامي على دورها المبدئي والعقدي والتاريخي والمقاوم في دعم ومساندة الفلسطينيين والمقدسيين في هذه المعركة المقدّسة والفاصلة بين الحق والباطل.

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

أوساخ "توتال إنرجيز" الفرنسية في اليمن

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

مقـــــدمة:

شركة «توتال إنرجيز» الفرنسية، واحدة من أكبر الشركات الاستثمارية بقطاع النفط والغاز في اليمن، وتبسط سيطرتها الكاملة على قطاع الغاز، وتقع تحت إدارتها باليمن سبع شركات عابرة للقارات.

بدأت عملها بالتنافس مع الشركات الأميركية، واستطاعت بالمكر والخداع والتضليل الانفراد بكعكة الغاز اليمني، وأغرقت نظام «علي عبدالله صالح» بالهدايا والعطايا فباعها غاز بلاده بسعر التراب، وفتح لها بوابة السعيدة على مصراعيها للعمل بلا حسيب ولا رقيب، فامتصّت الخيرات، ودمرت الأراضي الزراعية، وسمّمت المياه الجوفية، وقتلت الثروة الحيوانية، ونشرت الأمراض الخطيرة والغير معهودة في أوساط البشر، وحولت حياة اليمنيين في مناطق تواجدها إلى جحيم لا يُطاق، ولم تكتفِ بما سبق، بل ووصلت بها الوقاحة إلى جعل منشآتها مُعتقلات سياسية للاحتلال الإماراتي، ولا زالت حلقات مسلسل قذاراتها في حق اليمنيين أرضاً وإنساناً، حُبلى بالكثير من أوساخ «إفيل» النتنة.

تعالت العديد من الأصوات المحلية والدولية المنددة بجرائم هذا القرصان النفطي النتن في العشرية الأخيرة، وظهرت العشرات من الدراسات والتحقيقات الميدانية الكاشفة والفاضحة لممارساتها غير القانونية، وتسببها في تلوثات واسعة، بما ينذر بكوارث سيتجرع اليمنيين مرارتها لعقودٍ قادمة.

ولعل أهم تلك التحقيقات الفاضحة لممارساتها غير الأخلاقية وفسادها وعبثها في أرض اليمن الطيبة الطاهرة، تحقيقٌ استقصائي أعده الكاتب الفرنسي الحر «كوينتين مولر»، لصالح منظمة السلام الأخضر غير الحكومية، نشرته صحيفة «لوبيز» الفرنسية في منتصف أبريل 2023 بعنوان «مياه توتال السوداء في اليمن»، تحدث فيه عن تسببها بعمليات تلوث واسعة في محافظة شبوة والمناطق الأخرى التي تعمل فيها كحضرموت ومأرب بتواطؤ نظام «علي عبدالله صالح».

وهو امتداد لسلسلة من التحقيقات عن فساد الحكومة الفرنسية وأدوات هيمنتها ونهبها ثروات الدول النامية والشعوب الفقيرة، وتمُثّل مادته خُلاصة لسلسلة من

الزيارات الميدانية للمناطق القريبة من مُنشآت «توتال»، والوقوف على قصص معاناة سكانها، منها: منطقة «ساه» بشبوة - وهي من أكثر المناطق اليمنية تأثراً بالتلوثات النفطية، وسيئون والمكلا وشبام في حضرموت، ومراجعة العشرات من الوثائق الحصرية عن الأعمال المشبوهة لـ «توتال»، ولقاء عددٍ من المسؤولين اليمنيين.

التحقيق يقرع ناقوس الخطر، ويعيد تظهير استخلاصات عشرات التقارير والتحقيقات والدراسات المحلية عن السجل الأسود لـ «توتال» وبني جنسها من قراصنة النفط ومصاصي دماء الشعوب النامية والفقيرة، وما كان لتلك الشركات العابرة للقارات أن تعبث بحياة الشعوب النامية وتنهب ثرواتها وتحوّل أراضيها إلى مكبات لنفاياتها السامة لو لم يكن في أوساطها من بني جنسها خونة وعديمي شرف باعوا أرضهم وعرضهم وشرفهم وثرواتهم وسيادتهم وكرامتهم لشياطين الغزاة والمحتلين مقابل وعود معسولة بمنحهم هواء الطواحين، واللا شيئ فقط للأسف الشديد.

احتكار الغاز اليمني:

تعود بداية العمليات التنقيبية والاستكشافية للنفط والغاز اليمني إلى العام 1985 يومها أعلنت شركة «هنت» الأميركية بدء استخراج النفط من مأرب، في حفل كبير حضره «جورج بوش الأب»، وأعلنت عدم وجود كميات تجارية من الغاز، في محاولة لاحتكار التنقيب في اليمن.

وفي العام 1987 أبدت شركة «أنرون» الأميركية اهتمامها بتطوير حقل «الجنة» النفطي في القطاع رقم «5»، وهو من القطاعات المشتركة بين شطري اليمن، ما أثار انتباه الشركات النفطية الأخرى، فتشكلت 7 شركات بقيادة «توتال إنرجيز» الفرنسية، هي :

هنت، إكسون، الشركة الكويتية للاستكشافات البترولية الخارجية «كوفبيك»، وشركتان روسيتان، ووقعت «توتال» و»أنرون» اتفاقية شراكة بالمناصفة في استخراج وتطوير وتصدير الغاز اليمني، على أن يتم البدء بالبحث والتنقيب في حقل «الجنة» بالقطاع «10».

وكانت «أنرون» قد وقعت اتفاقية أولية مع الحكومة اليمنية لاستخراج غاز حقل «الجنة»، رغم محاولات «هنت» عرقلة المشروع، على أن تبدأ بالتصدير من ميناء عدن في العام 1995، لكنها قررت تأخير ذلك إلى العام 1998.

في الاتجاه الأخر قدمت «توتال» عرض مُشابه إلى وزارة النفط اليمنية، بالاتفاق مع «أنرون»، واتفقا على أن أية شركة منهما تحظى بتوقيع الاتفاقية النهائية مع الحكومة اليمنية تكون شريكة للشركة الأخرى بالمناصفة.

وابلغت الوزارة «أنرون» بذلك، فرد رئيس فريقها المفاوض بعدم ممانعة شركته توقيع الوزارة الاتفاق مع «توتال» لتفادي المشاكل مع «هنت»، التي كانت تُعارض مشروع تطوير الغاز اليمني، وتدعي وقوعه ضمن امتيازها في حقل مأرب.

نجحت «توتال» في انتزاع الاتفاقية والتوقيع مع الجانب اليمني، ورفضت مشاركة «أنرون» في تطوير الغاز اليمني، بحجة عدم تنصيص اتفاقية المشاركة «أنرون - توتال» على «عدم المنافسة»، وبذلك استولت على مشروع الغاز اليمني بعملية غير أخلاقية ومنافية للعُرف التجاري والدولي، والتزمت «أنرون» الصمت، ولم ترفع قضية ضد «توتال»، لأنها شعرت بأنها مخترقة، وأن بداخل فريقها المفاوض أشخاص كانوا يعملون لصالح «توتال»، تعمدوا عدم تضمين اتفاق الشراكة المتهاوي بند «عدم المنافسة»، وهو من البنود المهمة التي ترد في معظم الاتفاقيات التجارية، حتى من قبل المبتدئين في تحرير هكذا نوع من الاتفاقيات.

ووقعت «توتال» في 21 سبتمبر 1995 مع الحكومة اليمنية مُمثلة بالشركة اليمنية للغاز الطبيعي المُسال، اتفاقية تطوير الغاز GDA، بهدف تصدير 125 مليون طن من مشروع «بلحاف» لمدة 25 عاماً، والذي يقدر بما يقارب 80 % من إجمالي الاحتياطيات الغازية في اليمن.

وفي 1996 اتفقت «توتال» و«هنت» على الشراكة في المشروع، ومنح الشُركاء أنفسهم حق الحصول على رسوم منشآت المنبع من «توتال»، لصالح شركة مأرب لخدمات المنبع تصل إلى 900 مليون دولار خلال عمر العقود، ومصادرة الحق السيادي لليمن في ملكية كل أصول القطاع «18» بمأرب.

ومن الأحواض النفطية التي باشرت «توتال» العمل فيها بموجب هذا الاتفاق حوض «المسيلة»، التابع للقطاع «10».

ويتجاوز احتياطي الغاز في القطاع «18» نحو 10 تريليونات قدم مُكعّب، تستحوذ «توتال» وشركاؤها على أكثر من 7 تريليونات منها.

ووقعت «توتال» مع الشركة اليمنية للغاز في العام 2005، اتفاقيات بيع مدتها 20 عاماً، وبدأت بإنتاج وتصدير الغاز اليمني في العام 2009.

وعلى عكس الاتفاق مع «أنرون» بتدشين تصدير الغاز في العام 1998، تعمدت، «توتال» تأخير ذلك إلى العام 2009، لأنها بالتوازي مع نسج مؤمرتها للسيطرة على الغاز اليمني، وقّعت في العام 1978 اتفاقاً مماثلاً لتطوير وتصدير الغاز القطري، لكنها لم تتمكن من مباشرة العمل في ظل حكم الشيخ «خليفة بن حمد آل ثاني»، وفي العام 1995 تمت إزاحته وتولى الشيخ «حمد بن خليفة آل ثاني» السلطة، ففضلت تأجيل ملف الغاز اليمني 14 عاماً لصالح قطر، بعد أن ضمنت السيطرة القانونية عليه .

وأعلنت في أبريل 2015 عن استخدام القوة القاهرة، وأوقفت نشاطها في اليمن، بذريعة الحرب الظالمة التي يشنها التحالف «السعودي - الإماراتي» على هذا البلد المظلوم والمنكوب، رغم عدم وجود أي مخاطر حربية أو سياسية في مناطق عملها، كما أن حقولها في شبوة بعيدة كل البعد عن مناطق الاشتباكات.

وفي «فبراير - أبريل 2022» قاد السفير الفرنسي لدى اليمن «جان ماري صفا»، تحركات واسعة، شملت عقد لقاءات مع 4 من قيادات المجلس الرئاسي اليمني الموالي للعدوان «السعودي - الإماراتي»، هم: «سلطان العرادة، عيدروس الزبيدي، طارق محمد عبدالله صالح، عثمان مجلي»، من أجل استئناف تصدير الغاز المسال من مناطق التنقيب التابعة لـ «توتال» في مأرب وشبوة وحضرموت.

وهناك حديث عن صفقة وقعتها حكومة المرتزقة مع كيان الاحتلال الإماراتي والسفير الفرنسي في اليمن لاستئناف تصدير الغاز عبر منشأة وميناء بلحاف في شبوة، ويُعطي الاتفاق الاحتلال الإماراتي حق الإشراف الكامل على عمليات التصدير والبيع وتحصيل

الإيـرادات، مقابـل وعـود سرابيـة برفد البنك المركـزي اليمني في عدن بوديعـة مالية تُوفر احتياطيـاً نقدياً بالدولار.

سـبقت هـذه الصفقـة تحـركات «أميركيـة - فرنسـية»، لإخلاء محطـة ومينـاء «بلحاف» مـن قـوات الاحتـلال الإمـاراتي، وإعـادة تشـغيل المنشـأة لتوفـير الغـاز للـدول الغربية بعد حظـر أمـيركا وأروبـا اسـتيراد الغـاز الروسي.

وفي نهايـة مـارس 2022 اسـتأنفت «توتـال» تصدير الغـاز اليمني من القطـاع «18» في منطقـة صافـر النفطية شـمالي محافظـة مأرب.

وتُشـغِّل «توتـال» 7 شركات عملاقـة في إدارة محطة «بلحاف» في محافظة شـبوة - شرق اليمـن - لإنتـاج الغـاز الطبيعـي المسـال في اليمـن، وتمتلـك فيهـا 39.62 % مـن الأسـهم إلى جانـب شركـة «هنـت» الأميركيـة للنفـط بواقـع 17.22 %، والشركات الكوريـة 21.4 %، بواقـع 9.55 % لــ «إس كي»، و6 % لــ «كوجـاز»، و5.88 % لــ «هيونداي»، و21,7 % فقط لليمـن بلـد المنشـأ وصاحب الثروة، موزعة بواقـع 16.73 % للشركة اليمنيـة للغاز الطبيعي المسـال، و5 % للهيئـة العامـة للتأمينـات الاجتماعية.

تواطؤ نظامي «عفاش» و«المرتزقة»:

تعامـل نظـام الرئيـس اليمني الأسـبق «عـلي عبدالله صالح» مـع ثروات اليمن السـيادية مـن نفطٍ وغاز باسـتخفاف، وباعها بسـعر الـتراب، دون مُراعاة لأمانة المسـؤولية، وتتحدث التقاريـر المنشـورة عـن الاسـتثمارات الأجنبيـة في قطـاع النفـط والغاز عن جرائـم فضيعة ارتكبهـا ذلـك النظـام الفاسـد لا تقـل بشـاعة عـن جرائـم الـشركات النفطيـة بحـق البيئـة اليمنيـة والإنسـان اليمنـي، لم تتوقـف عند حدود منـح تلك الشركات ثـروات البلاد بالمجان إن جـاز التعبـير، بـل ومنحهـا كامـل الحريـة للعمـل بعيـداً عـن الرقابـة عـلى أنشـطتها المشـبوهة والمُضِرة بالإنسـان اليمنـي والزراعـة اليمنيـة وثـروات البـلاد الحيوانيـة ومياهه الجوفيـة وبيئتـه وتنوعـه البيولوجي.

وأتى النظـام اليمنـي المـوالي لتحالـف العـدوان «السـعودي - الإماراتي» ليُكمـل ما اقترفه نظـام «عـلي عبدالله صالـح» بحق اليمنيـين وثرواتهم السـيادية وسـيادتهم الوطنية.

مـن ذلـك تنصيص اتفاقيـة النظام مع «توتال» عـام 1995، واتفاقيـة «توتال» و«هنت» عـام 1996، عـلى بيع الغاز اليمني، بـــ 3.2 دولار للمليون وحدة حرارية، بنقص 8 دولارات عـن السـعر العالمـي حينهـا، في واحـدةٍ مـن أكـبر وقائع فسـاد نظـام الرئيس الاسـبق «علي عبداللـه صالح».

ونـص اتفـاق العـام 2005 مع «توتـال» على بيعها المليـون وحدة حرارية مـن الغاز بدولار واحـد، وللشركـة الكوريـة كوجـاس بـــ 3 دولارات و15 سـنتاً، في حين كانت الأسـعار السـائدة آنـذاك تـتراوح بـين 11 - 12 دولاراً للمليـون وحـدة حراريـة، في عمليـة نصـب مكشـوفة، وبتواطـؤ مفضـوح مـن حكومـة نظـام «علي عبداللـه صالح»، ما ألحـق ضرراً بالغـاً باليمن.

وتوقعـت دراسـات الجـدوى الاقتصاديـة في العام 2009، رفـد قطاع الغـاز خزينة الدولة بـــ «4 - 5» مليـارات دولار سـنوياً، لكـن التقاريـر النفطيـة غـير الرسـمية قالـت أن المبالغ التـي ورّدتهـا «توتـال» لخزينـة الدولـة اليمنية خـلال الفـترة «2009 - 2013» لم تتجاوز 700 مليـون دولار فقـط، رغـم أنهـا جنـت خـلال ذات الفترة أكـثر من 25 مليـار دولار.

والأكـثر فظاعـة دخولهـا حقـل الاسـتثمار في اليمـن دون أن تدفـع فلسـاً واحـداً للبنيـة التحتيـة لمشروع الغـاز المسـال، وإنمـا تحمّلت أعبـاءه كاملة الحكومـة اليمنيـة، وهذه ثاني جريمـة يرتكبهـا نظـام «عـلي عبداللـه صالـح» بعـد جريمة البيـع المُجحـف للغاز.

والمفارقـة الثانيـة عـدم تجـاوز كُلفـة اسـتثمارات «توتـال» في البنيـة التحيـة وخطـوط اسـتخراج وتسـييل وتحميـل الغـاز إلى البواخـر 5 مليـارات دولار، وفقـاً لتقديـرات شركـة «أنـرون» الموثقـة في أرشـيف وزارة النفـط اليمنيـة، أي نحـو 2.5 % فقـط مـن الخسـائر التـي سـببتها لليمن.

وبموجـب بنـود ذلـك الاتفـاق المُجحـف، يجب عـلى أي حكومة يمنيـة تريـد إلغائه، دفع تعويضـات لــ «توتـال» تُقـدر بنحـو 200 مليـار دولار، وإذا ظـل الاتفـاق عـلى صيغـة عام 2005، فهـذا يعنـي أيضـاً تكبيـد الخزينـة اليمنية خسـائر تتجـاوز 100 مليـار دولار حتى نهايـة المـشروع، يعنـي في الحالتـين نحـن من يجـب أن يدفع ثمـن البيع المجـاني لثرواتنا، فهـل سـمعتم عـن حكومـة تعمل ضـد شـعبها كحكومة «عـلي عبداللـه صالح»؟.

وشـجعت تسـهيلات نظـام «عـلي عبداللـه صالح» الظالمـة، «توتـال» لمطالبـة اليمن بدفع

أكثر من 20 مليار دولار، تعويضات لتأخرها في تصدير الغاز اليمني لصالح تسويق الغاز القطري، فهل سمعتم عن وقاحة كهذه؟.

على أن المُفترض مطالبة اليمن بالخسائر التي تكبدتها خزينته بسبب تأخير «توتال» انتاج الغاز وتصديره من العام 1995 إلى العام 2009، والتي تُقدّر بنحو 4.7 مليارات دولار سنوياً، وإجماليها 65.8 مليار دولار، وخسائره خلال فترة توقفها الثاني غير المبرر «2015 - 2022»، والتي تُقدر بنحو 32.9 مليار دولار.

اتفاقية العام «2005» المجحفة، أثارت جدلاً واسعاً في العام 2012، وجرت مراجعة السعر إلى 3 دولارات، ووافقت مؤسسة الغاز الكورية «كوجاس» على دفع نحو 14 دولاراً لكل مليون وحدة حرارية بريطانية.

وتسبب التأخير في مباشرة أعمال التنقيب «1995 - 2009»، وتأخير تصدير الغاز «1998 - 2009»، وتوقف الإنتاج والتصدير خلال الفترة «2015 - 2022 »، بإلحاق أضرار كبيرة باليمن، وحرمان الخزينة اليمنية من نحو 98.7 مليار دولار.

وفي مارس 2022 تم الاتفاق مع الاحتلال الإماراتي على استئناف «توتال» تصدير الغاز عبر محطة ومنشأة «بلحاف»، واقترح الأميركان والفرنسيين بيعه بـ 3 دولارات فقط لكل مليون وحدة حرارية، بينما السعر العالمي يتجاوز في الوضع الطبيعي 15 دولاراً، ومع الأزمة الأوكرانية 24 دولاراً، وهذه سرقة جديدة لغازنا بموافقة الاحتلال الإماراتي وتواطؤ حكومة المرتزقة.

وبعيداً عن جدلية الأسعار، تعمدت «توتال» بعد معاودة نشاطها إهدار ثروة اليمن من الغاز الطبيعي بصورة مستفزة، من خلال حرق الغاز المصاحب بكميات كبيرة جداً تقدر بـ 35 مليون قدم مكعب يومياً، مقابل إنتاج منخفض من النفط يتراوح بين 4000 - 4500 برميل، وفقاً لمدير عام حماية البيئة في محافظة شبوة «محمد سالم مجور»، وهذا من شأنه توسيع رُقعة الانبعاثات الضارة، رغم أن العقود الموقعة بين وزارة النفط والشركات النفطية العاملة في بلادنا، تشترط معالجة الغاز عبر وحدة CPF، وإعطائه إلى الحكومة لاستثماره في الكهرباء أو الغاز المنزلي، أو تقوم الشركة مرة أخرى بإعادة حقنه في المكامن النفطية.

وعلى مدى الأعوام الماضية وحتى اليوم، تقدر الثروة الغازية التي تم حرقها بمليارات الدولارات، لم يستفِد منها أبناء شبوة إلا الأمراض والسموم.

جرائم متواصلة حرمت اليمنيين من حقهم المشروع للاستفادة من ثرواتهم الطبيعية، وحوّلت تلك الثروة إلى لعنة، يدفعون فاتورتها من قوتهم وصحتهم، في ظل أنظمة يمنية همها الارتزاق والمتاجرة والتفيُّد والتسيُّد على حساب الأرض والعرض والسيادة.

وتبقى الأنظار مُتجهة نحو حكومة اليمنيين الأحرار في صنعاء لإلغاء تلك الاتفاقيات المُجحفة والظالمة التي وقعتها الأنظمة اليمنية المتناسلة من رحم العمالة والارتزاق، والمطالبة بتأميم الغاز اليمني بحكم قضائي من غرفة التجارة الدولية في باريس، وتعويض اليمن عن الخسائر التي تكبّدها خلال الـ 21 عاماً من امتناع «توتال» تصدير الغاز، ورفضها إعادة النظر في أسعاره، لتهافت ذرائع الامتناع وإعادة النظر، ولضمان القانون الدولي حق اليمنيين في الاستفادة من ثرواتهم النفطية وبيعها بأسعار مُنصفة تتساوى مع الأسعار الدولية السائدة.

محطة «بلحاف» مُعتقلاً سياسياً:

أقدمت «توتال» في مارس 2017، على تسليم مُنشأة وميناء «بلحاف» بشبوة لقوات الاحتلال الإماراتي، فحولهما الأخير، قاعدة عسكرية ومُعتقلاً سياسياً لمعارضي احتلاله البغيض في اليمن، رغم أنهما منشأتان مدنيتان، في سابقة خطيرة، تتحمل كافة تبعاتها القانونية، لتجاهلها وتجميدها خطة اليقظة لمنع تكرار الانتهاكات.

وللتغطية على فضيحتها ادعت في أبريل 2017 تلقيها بلاغاً من الشركة اليمنية للغاز الطبيعي المسال تضمن تسليم جُزء من منشآت موقع «بلحاف» لقوات الاحتلال الإماراتي، بطلب من الحكومة اليمنية الموالية للعدوان «السعودي - الإماراتي»، وهو تبرير واهي، لا يُسقط المسؤولية القانونية عن شراكتها في كافة الجرائم التي ارتكبها الاحتلال الإماراتي بذلك المعتقل وتلك القاعدة، لمخالفتها نصوص اتفاق العام 2005 مع الحكومة اليمنية، وتعارض هذا التصرف غير المسؤول مع القوانين الدولية ذات الاختصاص.

ومنذ ذلك التاريخ تواصلت بلاغات المنظمات غير الحكومية ووسائل الإعلام عن وجود اختفاءات قسرية، واحتجازات تعسفية، وتعذيب وحرمان من الرعاية الطبية في ذلك المعتقل، لكن «توتال» بدل التحقيق استبعدته كُلياً من خطة اليقظة لمنع تكرار الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.

هذا الإجراء غير الأخلاقي يُمثِّل إدانة واضحة لشراكتها في تلك الأعمال الوحشية التي مارسها الاحتلال الإماراتي بحق المعتقلين اليمنيين، قالت وسائل الإعلام أن بشاعتها فاقت فضائع سجن «أبو غريب» الأميركي في العراق، بينما شبّهته النائبة الفرنسية «كليمونتين أويتين» بسجن «غوانتانامو» الأميركي سيئ الصيت في كوبا.

وفي يوليو 2019، اعتبر فريق الخبراء بمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، معتقل «بلحاف» جزء من شبكة أكبر من مرافق الاحتجاز في جنوب اليمن، أُرتكبت فيها انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان.

واتهم مجموعة من النواب الفرنسيين في نوفمبر 2019، «توتال»، بالتورط مع الاحتلال الإماراتي، لتغاضيها عن تحويل الأخير قاعدته العسكرية في منشأة «بلحاف»، إلى معتقل سياسي لمعارضي نفوذه في اليمن، يُمارس فيه انتهاكات جسيمة لحقوق الانسان.

فسارعت «توتال» لتبرير موقفها، نافية سيطرتها على الشركة اليمنية للغاز الطبيعي المسال، ومدعية عدم وجود موظفين أجانب لها بمحطة «بلحاف» منذ توقف نشاطها في العام 2015، باستثناء الموظفين المحليين، وأن تسليم المحطة والميناء أتى بطلب من الحكومة اليمنية الموالية للعدوان «السعودي - الإماراتي».

النائبة الفرنسية «كليمونتين أويتين» هي الأخرى لم تُخفِ استغرابها من نفي وزارة دفاع بلادها علمها بالأمر، كاشفة عن إصدار 3 منظمات حقوقية فرنسية غير حكومية تقريراً بناء على شهادات ومصادر مُتعددة، تؤكد وجود سجن انفرادي، ومركز للتعذيب داخل المجمع المُخصص لتسييل الغاز في منطقة «بلحاف»، ومُنددة بهذه الممارسات المتواصلة منذ العام 2016 على أرض اليمن – وفي هذا تأكيد على أن تسليم محطة وميناء «بلحاف» للاحتلال الإماراتي كان في العام 2016 وليس العام 2017 كما ادعت

«توتـال»، وداعيـة السـلطات الفرنسـية إلى تحمل مسـؤوليتها تجاه ذلك السـجن، وإخضاع «توتال» للاسـتجواب.

لكـن شـيئاً مـن ذلـك لم يتـم حتـى الآن، لسـببٍ بسـيط هـو شراكـة النظـام الفرنـسي في العـدوان عـلى اليمـن سـواء بالمواقـف السياسـية الداعمـة للتحالـف العـبري «السـعودي - الإمـاراتي» أو ببيعهـما الأسـلحة وتوفـير الدعـم اللوجسـتي، لـذا فتسـليم «بلحـاف» للاحتـلال الإمـاراتي كان بضـوء أخـضر وتوجيـه مبـاشر مـن النظـام الفرنـسي.

وتسـاءلت صحيفـة «لومونـد» الفرنسـية عـما إذا كانـت «توتـال» تجهل فعـلاً وجود هذا السـجن ضمـن نطـاق اسـتثماراتها، خصوصـاً أنـه لا زال هنـاك موظفـون يمنيـون يعملون عـلى صيانـة المنشـآت الصناعية.

منظمـة «منّـا» لحقوق الإنسـان، وهي منظمة غير حكومية للمنـاصرة القانونية ومقرها «جنيـف»، بدورهـا، رفعـت في 23 فبرايـر 2023، دعـوى قضائيـة ضـد «توتـال»، بالوكالـة عـن شـخصين تعرّضـا للاعتقـال السـري والتعذيـب مـن قبـل قـوات الاحتـلال الإمـاراتي خـلال عامـي «2018 - 2019» بمعتقـل «بلحـاف»، واتهمتها بارتكاب انتهـاكات ضد حقوق الإنسـان، والإخفاق في تنفيذ التزاماتها بموجب القانون الفرنسي لعام 2017 بشـأن واجب اليقظـة عـلى الـشركات، وطالبتهـا بـإدراج الموقـع في خطة اليقظـة لمنع تكـرار الانتهاكات.

ويشـترط ذلـك القانـون عـلى الـشركات الكبـيرة بـذل العنايـة الواجبـة لتحديـد المخاطر ومنـع انتهـاكات حقـوق الإنسـان، مـع توفـير المسـؤولية المدنيـة وآليـة التعويـض، لكن هذا يظـل حـبر عـلى ورق بالنسـبة للـشركات النفطيـة التابعـة لقـوى الاسـتكبار العالمي.

«كوينتين مولر» يدق ناقوس الخطر:

«نحن نعيش على الأرض الأكثر تلوثاً في اليمن».

بهـذه الكلـمات الوجيـزة لخّـص المواطـن اليمنـي «محمد عـلي سـالم سرور – 36 عاما»، مُعانـاة عـشرات الآلاف مـن اليمنيـين القاطنـين في المناطق المجـاورة لعمل «توتال» بشـبوة ومـأرب وحضرمـوت، وفظاعـة مـا ارتكبته مـن جرائم بحـق اليمنيين، هـذا المواطن المنكوب أب لطفـل لم يتجـاوز عمر السـتة أعـوام خُلق مشـوهاً بعين واحدة جاحظة وبـارزة للأمام

بسبب سموم «توتال» القاتلة للإنسان والأرض والزراعة والحيوان وكل مظاهر الحياة.

تحقيق «كوينتين مولر» أتى ليؤكد هذه الحقيقة المؤلمة ويدق ناقوس الخطر، لعلّ هناك من يصحو ضميره من قادة البلاد، مُحمِّلاً إياها المسؤولية الكاملة عن سلسلة من التلوثات القاتلة، وقيامها بإلقاء آلاف الأطنان من المواد الكيميائية السامة في المياه بمحيط المناطق التي تعمل فيها، ودفن وطمر ملايين اللترات من المياه السامة ومُخلفات الحفر في مناطق قريبة من التجمعات السكانية، والانسكابات والتسربات النفطية، وحرق الغاز بصورة لا تستجيب للمعايير واللوائح المحلية والعالمية المعتمدة، واستخدام تقنيات تشغيل غير قياسية، وعدم إعادة تدوير ومعالجة النفايات السامة.

ناهيك عن عدم توافق المنشآت التي بنتها مع المعايير الدولية للسلامة والبيئة المعمول بها في هذا الجانب، واصفاً ما قامت به في اليمن بـ «أعظم فضيحة بيئية»، ووصف ما يجري بالموت الذي يطال الأرض والحيوانات والبشر.

وقامت خلال الفترة «1996 - 2015»، ببناء بعض المنشآت القديمة، بشكل غير قانوني، ومخالف للمواصفات العالمية، ما ألحق ضرراً بالغاً بالصحة والبيئة، من ذلك بناء مئات من البرك المُستأجرة، لتجفيف مياه المخلفات، وتركها مكشوفة، ما أدى إلى تطاير جميع الكيماويات في الهواء، وما تبقَ في قعرها طين سام، ووضع مليارات اللترات من تلك المياه المُخلّفة في آبار نفط قديمة فارغة، وهذا عمل خطير وإجرامي، لإمكانية تسرُّبه إلى أحواض المياه الجوفية التي يشرب منها اليمنيون، كما أنه بعد فترة، لا تُعدّ آبار النفط مقاومة للمياه.

وامتناعها عن بناء معمل لتنظيف المنتج المُخلّف عن آبار النفط، وعدم بنائها منشآت صديقة للبيئة وتحترم صحة اليمنيين.

هذا التصرف الأرعن يؤكد بأن حياة اليمنيين غير ذي قيمة لديها، لذا عمدت منذ يومها الأول للعمل في اليمن على تدمير التربة والبيئة، وتسميم المياه، ونشرت بحماية وتواطؤ الأنظمة اليمنية المتعاقبة الأوبئة والأمراض، وتفاقمت أوضاع الناس المعيشية في مناطق تواجدها بصورة مزرية.

ويتحدث مدير عام حماية البيئة في محافظة شبوة «محمد سالم مجور» عن

انتهاكات جسيمة بحق البيئة، منها تلوث مياه الشرب في عدد من البلدات التي يمر بها الأنبوب النفطي، وأهمها مدينة «عزان» بمديرية «ميفعة»، والتخلُّص من النفايات النفطية بدفنها في مناطق التسربات، واستغفال المواطنين، واستغلال ضعف وعيهم بالتخلُّص من النفايات النفطية في أساسات المنازل الجديدة والطرقات الفرعية، مؤكداً رفع مذكرات رسمية إلى ديوان رئاسة الهيئة العامة لحماية البيئة ورئيس الوزراء والشركات النفطية العاملة، عن الأضرار البيئية التي لحقت بالآبار والمزارع، لكن لم يحدث أي تحرك لحل المشكلة.

ورصد الصحفي بالإندبندنت البريطانية «جمال شنيتر» أكواماً من المخلفات النفطية المرمية منذ أكثر من 30 عاماً بجوار أحد الأحياء السكنية قُرب المدخل الغربي لمدينة «شبوة».

وأكدت التقارير المحلية عدم مُطابقة أنابيب الشركة لمعايير السلامة والبيئة، وانعدام وجود أنظمة أمان واحتواء للانسكابات والتسربات النفطية فيها، وعدم التزامها بمعايير وإجراءات الصحة والسلامة البيئية في كل مراحل عملها منذ دخولها اليمن.

وتسبب تقادم وتهالك أنابيب النقل وعدم صيانتها في تسجيل نحو 20 نقطة تسرب نفطي خلال الفترة «2010 – 2023» في مناطق متفرقة من «شبوة»، منها 16 موقعاً للتسرب خلال الفترة «ديسمبر 2014 - أكتوبر 2020».

أكثر تلك التسربات في مناطق «لهية، غرير، البطانه، عزان»، وكلها مناطق مُكتظة بالسكان، بالتوازي مع رفض «توتال» إجراء أي عملية تنظيف أو معالجة للتربة أو اتخاذ خطوات جادّة لحماية البيئة في تلك المناطق، ورفض دفع أي تعويضات للأهالي عن الأضرار البليغة التي لحقت بهم، وتسببت بموت المئات منهم، وإصابة الآلاف بأمراض نادرة وخطيرة.

هذه الجرائم التي ارتكبتها «توتال» بحق اليمنيين ولا زالت تُعدّ مخالفة واضحة للمواد «22، 53، 57، 79، 85» من القانون رقم (26) لسنة 1995بشأن حماية البيئة، واتفاقية «بازل» التي صادقت عليها اليمن، واتفاقية الشراكة مع الجانب اليمني، وكلها تنصّ على وجوب اتباع كافة المعايير الدولية للسلامة الصحية والبيئية فيما يخُص

منع التلوث والحفاظ على البيئة، ومعالجة آثار التلوث، كما يُوجب القانون الدولي على شركات النفط دفع جميع تكاليف إزالة البقع النفطية وآثارها الناتجة عن تسربات النفط من منشآتها وناقلاتها التي تجوب بحار العالم مهما كانت باهظة، ودفع تكاليف الأضرار المدنية والمعنوية إن وُجدت.

سحر هدايا «توتال» الغامضة:

عملت «توتال» على إلهاء المسؤولين اليمنيين عن مراقبة السلامة الصحية والبيئية لمنشآتها بِسيلٍ من الهدايا الثمينة، ولم تكتفِ بذلك، بل وسعت لتحصين نفسها قانونياً من أي مُلاحقات قضائية محلية ودولية على جرائمها، من ذلك إبرامها في العام 2015 اتفاقاً سرياً مع الشركة اليمنية للغاز تضمن تسليم الأخيرة 59722603 مليون دولار مقابل «التزامات التخلي» عن آبارها ومرافقها القديمة، والتي أصبحت أقل ربحية مع مرور الوقت.

ووفقاً لهذه الاتفاقية، تتفق الجمهورية اليمنية ووزارة النفط على أنه بعد هذه الدفعة، سيتم إطلاق سراح المنتقل «توتال» بشكل لا رجعة فيه، وإعفاؤه من أي مطالبات، في خطة ذكية من «توتال» لحماية نفسها من أي هجوم قانوني بعد فرارها من البلاد في بداية عام 2015.

استفادت «توتال» من فساد نظام «علي عبدالله صالح»، فعمدت إلى شراء صمته بمنح مسؤوليه وأولادهم منح سياحية ودراسية إلى فرنسا، وتقديم ساعات سويسرية ثمينة وغيرها من الهدايا والأموال المقدمة باسم تبرعات، وبذلك تمكنت من توسيع عائداتها وأرباحها، لكن ذلك التصرف الساقط قتل مئات اليمنيين بشكل غير مباشر.

«لقد كانت حكومة علي عبدالله صالح عميلة وغارقة في الفساد، وكانت وزارة النفط تُدار بامتيازات الكُتل تماماً كالأعمال العشوائية، حيث لم تكن البيئة والصحة تشغل قلقهم، كان على وزارتي النفط والبيئة العمل معاً على فرض أنواع مُعينة من المنشآت التي تحترم صحة سكان المنطقة»، لكنهم لم يفعلوا.

هكذا رأى «كوينتين مولر» الوضع في تلك الحقبة المُظلمة من تاريخ اليمن والغصة

تخنقه، مُطالباً وزارتي النفط والبيئة العمل معاً، والأخذ بعين الاعتبار صحة الشعب أولاً، وقبل كل شيئ، عليهما مراقبة نشاطات شركات النفط الأجنبية وإلحاق العقاب بها إن تطلّب الأمر، لا بُد من تنفيذ القانون ووضع الحدود والعمل على عدم خرقه، لكن من يهتم لذلك.

هذه السياسة الشيطانية ضمنت لها التهرب من المسؤولية والملاحقة القضائية، وانعدام رقابة وزارة النفط والمعادن والهيئة اليمنية لحماية البيئة، وتهرب القضاء اليمني من النظر في القضايا المرفوعة ضدها، لأن هداياها حالت دون ذلك، وجعلتها تعمل بأريحية لم تكن تحلُم بها في بلد المنشأ.

مدير المنصة اليمنية للتغيير المناخي والبيئة YPCE «زاهر بن الشيخ أبوبكر» في حديث صحفي بتاريخ 26 أبريل 2023، لم يستبعد هو الأخر الحقائق الصادمة التي أوردها «مولر» في تحقيقه:

«هناك تواطئ واضح وصريح من قبل السلطة في قضية فساد شركة توتال الفرنسية، توتال استغلت فساد السلطة، وخاصة وزارة النفط والبيئة، لزيادة إنتاجها، الأمر الذي أدى بدوره إلى زيادة الأرباح، هذا التصرف أدى بشكل غير مباشر إلى قتل مئات المواطنين القاطنين في مناطق الامتياز.

إنَّ الحكومة السابقة غارقة في الفساد، ولم تكن البيئة وصحة المواطن ضمن أولويات عملها، وبدورها، انتهكت شركة توتال كافة القوانين والأعراف الدولية الخاصة بالحفاظ على البيئة، وعملت على الحفر العشوائي، وإعادة حَقن المخلَّفات السامة إلى طبقات المياه الجوفية التي يتغذّى منها سُكان تلك المناطق بإشراف مباشر من السلطة».

تدمير الزراعة وتسميم المياه الجوفية:

أُجريت عدة دراسات ميدانية في مناطق دفن المخلّفات الكيميائية السامة، أثبت مجتمعة تسبب تلك المخلّفات في تسمم التربة الصالحة للزراعة، وتلوث الآبار والمياه الجوفية، وقتل السحالي والقرود، والحشرات الصغيرة وكل مظاهر الحياة، وتدمير مساحات زراعية واسعة، وإلحاق أضرار بليغة بمنابع المياه.

ويؤكد أستاذ تقييم الأثر البيئي بجامعة الحديدة ورئيس مركز «الخراز» ورئيس الهيئة اليمنية لحماية البيئة سابقاً الدكتور «عبدالقادر الخراز» أن 50 - 70 % من الأراضي الزراعية في المناطق الواقعة بمحيط الشركات والمنشآت النفطية تضررت بشكل كُلي وجُزئي، وانخفض متوسط الإنتاج الزراعي بنسبة 70 %، كما يذكر مكتب الصحة العامة والسكان في محافظتي مأرب وشبوة، بسبب فُقدان التربة العناصر اللازمة للزراعة.

ويصف تحقيق «كوينتين مولر» ما يحدث في مناطق عمل «توتال» بالموت الذي يصيب الأرض والحيوان والبشر نتيجة تسرب المواد الكيماوية، ما تسبب في اختفاء النحل والطيور، وتلوث الأراضي الزراعية، وتحولها إلى أراضي قاحلة وأماكن مهجورة، بعد أن كانت تُنتج العديد من الأصناف الزراعية، ومن أكثر المناطق تضرراً منطقة «ساه».

ويؤكد المهندس الزراعي وعضو البرلمان اليمني «محسن باصرة» – وهو من أوائل الذين نددوا بالتلوث النفطي في المنطقة، في سلسلة من التقارير والمداخلات البرلمانية، تلقيه في أوائل القرن الواحد والعشرين، شكاوى كثيرة من السكان الذين يعيشون بالقرب من مرافق «توتال».

الكثير من المزارعين قرروا هجر مزارعهم، لأنها لم تعد تصلح لشيئ، فقد تسببت التلوثات النفطية في ارتفاع «الكادميوم» و«الزئبق» في التربة والمياه بمستويات أعلى بكثير من معايير منظمة الصحة العالمية، كما يذكر أخصائي التلوث في CNRS، «بيير كورجولت رادي».

ويضيف أستاذ البيئة الكيميائية المشارك بجامعة أبين «علي سالم السعيدي» بأن تركُّز المواد الكيميائية بهذا الشكل في التربة، ووجود عناصر مثل «الرصاص» و«النيكل» و«الزنك» و«الكروم» بهذه النسب العالية، يتسبب - وبدرجة كبيرة - في الإضرار بالتربة وبنيتها، وينعكس ذلك على المياه الجوفية والحياة الزراعية بشكل كبير، وأي اختلال في تركّز هذه العناصر ولو بنسب منخفضة، يسبب الإصابة بمجموعة من الأمراض، منها الأمراض العصبية والسرطانات.

وأوضحت نتائج فحوص مخبرية للتربة، أُخذت من 3 مواقع، هي «الصفاة، تمورة، لهية»، تشبُّعها بالمواد «الهيدروكربونية»، ما يعني تركُز الزيت الخام بها، ووجود حالة تلّوث واضحة وكبيرة في المنطقة المقابلة لقرية «لهية» - على ضفاف وادي حبان - تعرضت لها التربة على طول الوادي، ويمُكن مشاهدة تلوث التربة على بُعد 500 متر من أماكن التسرب، ناهيك عن وصوله لنحو متر في أعماق التربة الرملية.

التداعيات الصحية:

تعاني المناطق القريبة من مواقع الشركات النفطية العاملة في اليمن من ظهور أمراض عديدة نادرة وغير مألوفة، وتحولّت تلك المناطق إلى بؤر للأورام السرطانية، وأكثرها شيوعاً:

1 - سرطانات الرئة والجلد والعين والبروستاتا والدم والعظام والعمود الفقري.

هذه السرطانات بدأت بالتزايد بصورة ملحوظة ومرعبة منذ مارس 2008، وخصوصاً في حضرموت وشبوة، بسبب انفجار خط أنبوب «توتال» في وادي «الغبيرة»، حيث تم وضعه على الأرض لعشرات الكيلومترات، بينما تُلزم إجراءات السلامة دفنه تحت الأرض، لكنها لم تقم بشيئ من ذلك في اليمن، ولم تُكلف الحكومة اليمنية نفسها مطالبتها بذلك، لأن صحة المواطن اليمني لم تكن تعنيها ما دامت صُرة «توتال» زاخرة بما لذا وطاب من الهدايا والعطايا، ومن أسباب الإصابة أيضاً تركُز المواد الكيميائية الخطرة في المخلّفات النفطية كما يذكر تحقيق «كوينتين مولر».

وتُعدّ مديرية «ساه» من أكثر المناطق تأثراً بالتلوثات النفطية، حيث يتم تسجيل 200 حالة اصابة جديدة بالسرطان سنوياً، وفقاً لرئيس مركزها الطبي «داود صالح الجابري».

وتحدثت بعض الإحصائيات في محافظة حضرموت عن تسجيل 600 حالة إصابة بمرض السرطان بسبب الإشعاعات النفطية، ووفاة 151 حالة في العام 2014 فقط.

وارتفعت نسبة الإصابة بالأمراض المزمنة بما فيها السرطانات في مديرات مأرب وشبوة القريبة من الأنبوب النفطي وأماكن تسرّب ودفن المخلفات النفطية بواقع 7

أضعاف، مُقارنة مع غيرها من المدن، كما يذكر مكاتب الصحة العامة والسكان في محافظتي مأرب وشبوة.

ويذكر مدير عام مركز البيئة والتنمية المستدامة بجامعة 21 سبتمبر للعلوم الطبية والتطبيقية الدكتور «يوسف المخرفي» أن السرطانات وأمراض المسالك البولية والعصبية، هي الأكثر ارتباطاً بتلوث التربة والمياه والبيئة بالمخلفات النفطية بدرجة أساسية.

2 - التشوّهات الخَلقية في الولادات الجديدة، والإجهاضات المبكّرة، والتي تزايدت بصورة لافتة منذ العام 2010، وخصوصاً في مناطق عمل «توتال» بشبوة وحضرموت.

3 - الفشل الكلوي.

4 - الأمراض التنفسية والتهابات الرئة.

5 - الأمراض الجلدية والحساسية ونقص المناعة.

المراجع:

1 - جمال شنيتر، شبوة اليمنية .. عندما يتحول النفط إلى نقمة، موقع اندبندنت عربية، 30 مايو 2022.

2 - الدكتور عبدالغني جغمان، والدكتور عبدالمنعم حبتور، التلوث البيئي النفطي وآثاره المدمرة على البيئة في اليمن، شركة «أولتارا» الأوربية للاستشارات، بوخارست - رومانيا، أكتوبر 2020.

3 - كوينتين مولر، مياه توتال السوداء في اليمن، ترجمة الموقع بوست، 22 أبريل 2023.

4 - محمد الحسني، مأرب وشبوة: تقادم أنابيب النفط وإهمال صيانتها أدى إلى تسرب بعدة مواقع، الجزيرة نت، 9 سبتمبر 2021.

5 - نبيل الشرعبي، القصة الكاملة لجريمة بيع الغاز اليمني، صحيفة أخبار اليوم، 2 فبراير 2014.

6 - أريج للصحافة الاستقصائية، نفط اليمن وليبيا والعراق .. دمارٌ للبيئة وغيابُ المحاسبة، 26 يناير 2023.

7 - الحرف 28 الإخباري، تحقيق صحفي يكشف جرائم التلوث النفطي نتيجة دفن «شركة توتال» مواد سامة في المياه اليمنية، 23 أبريل 2023.

8 - العربي نيوز، فضيحة كُبرى لفرنسا في اليمن، 21 أبريل 2023.

وكذا: سفير فرنسا يطوف على أعضاء الرئاسي لهذا الهدف، 13 أبريل 2023.

9 - المركز الوطني للمعلومات، شركة توتال يمن تحتفل بالذكرى الـ 25 لتواجدها في اليمن، 8 نوفمبر 2012.

10 - الموقع بوست، نائبة فرنسية تستنكر صمت بلادها تجاه تحول منشأة غاز لتوتال باليمن إلى سجن إماراتي، 21 نوفمبر 2019.

وكذا: تحقيق حديث يكشف تورط شركة توتال الفرنسية بعمليات تلوث واسعة في اليمن، 21 أبريل 2023.

حوار مع الصحفي الفرنسي «كوينتين مولر» مُعد تحقيق المياه السوداء لتوتال في اليمن، حاوره عامر الدميني، 25 أبريل 2023

11 - صحيفة الرأي الثالث، الكشف عن تورط شركة «توتال» الفرنسية بعمليات تلوث واسعة في اليمن، 21 أبريل 2023.

12 - صحيفة الثورة اليمنية، إلغاء حق الامتياز الممنوح لتوتال وشُركائها في مشروع الغاز المسال في اليمن، 6 أكتوبر 2022.

13 - صحيفة «لا» اليمنية، لا ميديا: دراسة فنية للتلوث النفطي في محافظتي شبوة ومأرب .. «نهر سموم سوداء»، 10 يناير 2021.

14 - عين المهرة الإخباري، بن الشيخ أبوبكر: هناك تواطئ من قبل السلطة في قضية فساد شركة «توتال» الفرنسية، 26 أبريل 2023.

15 - وطن نيوز، شركة «توتال» الفرنسية تتسبب في كارثة بيئية كبرى في اليمن، 23 أبريل 2023.

16 - وكالة يونيوز للأخبار، باحث اقتصادي: هناك سباق «أميركي – فرنسي» للسيطرة على النفط اليمني، 26 أبريل 2023.

17 - مركز البيئة للمدن العربية، حين يتحول النفط إلى أذى في اليمن، 29 ديسمبر، 2014.

18 - منظمة «منّا» لحقوق الإنسان، شركة توتال الفرنسية تواجه إجراءات قانونية لارتكاب القوات الإماراتية انتهاكات في حقوق الإنسان في مجمع الغاز اليمني في بلحاف، 23 فبراير 2023

19 - موقع حلم أخضر، دراسة بيئية تكشف زيادة تسرب النفط في شبوة، 23 نوفمبر 2020.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

ذكرى المولد النبوي الشريف ١٤٤٤هـ

مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

المشـــهد
اليمني العظيم
بذكرى المولد النبوي الشريف 1444هـ

www.saba.ye/ar

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

في ذكرى النصر ..
"سيف القدس" يُضيء من جديد

مركز البحوث والمعلومات
خالد الحداء

شوال 1444هـ / مايو 2023م

تحلّ الذكرى الثانية لمعركة "سيف القدس" بين المقاومة الفلسطينية والكيان الصهيوني، والمواجهات العسكرية تتصاعد في قطاع غزة، بعد أن أقدم كيان الاحتلال على استهداف قيادات في المقاومة الفلسطينية، وتأتي المواجهة الحالية بعد حالة من الترقب سادت الداخل الصهيوني والعالم خلال الساعات الماضية، في انتظار مكان وزمان الرد على جرائم الاحتلال في الأسابيع القليلة الماضية.

وفيما تدور المواجهات اليوم لا بد من التأكيد أن تاريخ المواجهة ما بين المقاومة الفلسطينية والكيان الصهيوني يمتد إلى أكثر من قرن من الزمان، ومن الواضح أن ذلك التاريخ يؤكد ،وفي كل مواجهة مع العدو، أن المقاومة بمقدراتها المختلفة تتطور من مرحلة إلى أخرى تبعاً للتحديات القائمة على الأرض.

هذا الواقع في التصدي للكيان ودولته المحتلة ترسّخ جيلاً بعد جيل خاصة مع إدراك الشعب الفلسطيني أن واقع الأمتين العربية والإسلامية المتردي والبائس يفرض عليه التصدي والدفاع وحيداً عن الأرض المباركة ومقدساتها الشريفة بما فيها مدينة القدس والمسجد الأقصى "أولى القبلتين وثالث الحرمين".

وكانت الأحداث شاهدة خلال عقود طويلة، أن الشعب الفلسطيني لم يتهاون في التصدي للصهاينة ومن ورائهم على الرغم من المؤامرات المختلفة التي حيكت ضده، فتارة كانت المؤامرة تأتي تحت عناوين: أن لا حل أمام تصاعد الحرب والصراع في فلسطين سوى تقسيم الأرض ما بين دولة يهودية وأخرى عربية بقرارات مجلس الأمن، وتارة أخرى تكون المؤامرة من الإخوة والأشقاء: من خلال وعود عربية بالتدخل في الحرب ضد العدو ومشاركة جيوشها في تحرير فلسطين، وتارة ثالثة كانت المؤامرة تتحدث عن السلام الشامل والدائم: وحلاً نهائياً للصراع من خلال السلام مع الكيان الصهيوني "مؤتمر أوسلو 1993م" ... ولم تقف المؤامرات عند هذا الحد ولكنها مستمرة إلى يومنا هذا تحت عناوين ومسميات مختلفة وما أكثرها.

ولكن الوعي الفلسطيني بما يحاك ضده من مؤامرات كبرى، ساهم إلى حدٍ كبير في تعزيز الصمود الذاتي، وكانت المؤامرات المختلفة في كل مرة تصطدم بوعي الشعب

ومقاومته التي لم تعجزها الحيل المختلفة في التسليم والخضوع للكيان الصهيوني ومن يقف بجانبه في الغرب والشرق.

ومع اشتداد المواجهة في المرحلة الحالية لا بد أن نشير إلى أن حكاية الصمود الفلسطيني مستمرة وباقية ما بقى الاحتلال، والشواهد كثيرة أن ما بعد الصمود والصبر سوف يعقبه النصر المبهر، ولن يكون مبالغاً القول أن معركة "سيف القدس" 2021 كانت انجاز كبير ومهم، ما كان له أن يتحقق تجاه العدو الصهيوني دون مسار طويل من الصمود الاستراتيجي، الذي تخلله العمل الجاد والمستمر في تطوير قدرات المقاومة الفلسطينية في مختلف المجالات "العسكرية والتكنولوجية والنفسية ..." بالتعاون مع جبهة واسعة من المناهضين للاحتلال وفي المقدمة محور المقاومة.

والحديث عن معركة "سيف القدس" وما تحقق من إنجازات ما كان له أن يتحقق دون تضحيات من الشعب الفلسطيني ومقاومته، ومن أجل فهم أفضل لذلك الانتصار لا بد من العودة إلى مسار الأحداث قبل اندلاع المواجهات العسكرية في العاشر من شهر مايو 2021، حيث أن الوضع كان يشير أن حسابات الغالبية من النخبة الحاكمة داخل الكيان الصهيوني لم تكن تتوقع أن خطط تهجير عائلات فلسطينية من "حي الشيخ جراح" داخل مدينة القدس المحتلة، ومن ثم تصاعد وتيرة الاعتداء على المسجد الأقصى وتحويله إلى ساحة معارك مع بداية شهر رمضان في ذلك العام، ومن ثم الإعلان عن تنظيم فعالية ضخمة يقتحم من خلالها آلاف المستوطنين باحات المسجد الأقصى، سوف تنعكس وبصورة كارثية على تلك النخب ونظامهم الحاكم.

ولا بد من التذكير أن حالة الغرور التي سادت الكيان الصهيوني والتي ترى "أنه من الصعب أن تتفجر الأوضاع مع الفلسطينيين بعد سنوات من المواجهات الأخيرة في العام 2014" هذا الغرور الصهيوني كان في الواقع يعكس قراءة "إسرائيلية" للعديد من التحولات والمتغيرات سواء في الداخل الفلسطيني أوفي محيطه العربي، هذه التحولات في مجملها وحسب القراءة الصهيونية: أن من الصعب معاودة الفلسطينيين تصعيد المقاومة تجاه المخططات المختلفة تجاه مدينة القدس والأقصى الشريف.

يضاف إلى ما سبق، أن المخاوف الصهيونية في حال كانت موجودة لا بد أن توجه

نحو إيران (وحسب العديد من التقارير الإسرائيلية في تلك المرحلة) لا سيما وأن الآلة الإعلامية للكيان الغاصب، كانت تؤكد أن أكبر تهديد قد يكون على الدولة "إسرائيل" حال حدوثه لن يكون سوى من إيران أو من خلال الحدود مع لبنان، وحسب تلك التقارير المنشورة، كان الاعتقاد داخل المؤسسة العسكرية "الإسرائيلية" وجهاز المخابرات "الشاباك" بعدم حدوث تصعيد أو موجهات مع المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة.

ولكن مجريات الأحداث على الأرض ولا سيما مع الإصرار الصهيوني في استفزاز الشعب الفلسطيني في الاقتحامات المتكررة للأقصى أو محاولات التهجير من حي الشيخ جراح في القدس، كانت بمثابة الشرارة التي فجرت الصراع بطريقة غير مسبوقة.

يمكن القول أن الحسابات الصهيونية وبعد أحد عشر يوماً من المواجهات المباشرة ما بين المقاومة الفلسطينية وجيش الاحتلال الصهيوني، قد فشلت في تحقيق أهدافها المختلفة ولا سيما في الجانب العسكري، وحسب العديد من القراءات التحليلية خلال أيام المواجهة وما بعدها، فإن الرهانات الصهيونية من قبل حكومة العدو لم تكن قادرة على قراءة مجمل الوضع في قطاع غزة "عسكرياً" أو في الضفة الغربية والأرضي المحتلة عام 48 "الهبة الشعبية" ولا سيما في المدن المختلطة التي يسكنها عرب ويهود.

وبعد عامين من معركة "سيف القدس" أصبح من الواضح أن الاستثمار الأمثل لتلك النتائج انعكس ايجاباً على المقاومة بفصائلها المختلفة وعلى كل عمل مقاوم للاحتلال، وسلباً على دولة الاحتلال، ومن تلك النتائج: -

- تثبيت معادلة جديدة للصراع انطلاقاً من التصريح الشهير لـ يحيى النوار ،قائد حركة حماس في غزة، "إن ما بعد معركة سيف القدس ليس كما قبلها".
- أن المحاولات الصهيونية في العبث بالمسجد الأقصى أو في مدينة القدس الشريف سوف يمثل الصاعق والمفجر للمواجهة مع الشعب الفلسطيني ومقاومته العسكرية.
- فشل المحاولات الصهيونية في فصل الضفة الغربية والاستفراد بها بعيداً عن قطاع غزة.
- إخفاق رئيس وزراء الكيان الصهيوني، بنيامين نتنياهو، وحكومته في استعادة

سياسة قوة الردع وأدواتها المختلفة، وهو ما يؤكد أن تلك السياسة تتآكل مع كل مواجهة مع المقاومة.

والمتابع للأوضاع في داخل الكيان الصهيوني ما بعد "سيف القدس" يستطيع ملاحظة عمق الصدمة الماثلة وغير المسبوقة، لا سيما لدى النخب السياسية والقادة العسكريين، وفي مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وأن المحاولات المختلفة في تجاوز تلك الصدمة باءت بالفشل، والشاهد على ذلك الصراع السياسي: إجراء خمسة انتخابات خلال أقل من 4 سنوات، إضافة إلى الانقسامات العميقة داخل المجتمع الصهيوني ما بين اليمين واليمين المتشدد واليسار.

وبالعودة إلى الأحداث اليوم لا بد من التأكيد أن معادلة النار التي فرضتها المقاومة خلال المرحلة السابقة كانت السبب في حالة الترقب التي عاشها الكيان وحكومته خلال الساعات الماضية، قبل أن تقرر الغرفة المشتركة للمقاومة الفلسطينية تثبيت معادلة الرد على جريمة الاحتلال في اغتيال ثلاثة من قيادات سرايا القدس.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

التآمر الاستعماري القديم المتجدّد ضد الوحدة اليمنية

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشي

ذو القعدة 1444هـ / مايو 2023م

"الوحدة اليمنية دائماً وأبداً قضية اليمن الأولى ومُعضلته الكبرى، وعبر التاريخ كانت تُشكّل عاطفة وجدانية محفورة في ضمير كل اليمنيين، وكانت القوى السياسية والوطنية تستمدّ شرعيتها من تبنيها لمشروع الوحدة، ونضالها من أجل تحقيقها".

هكذا يرى الرئيس الخالد الذكر الشهيد "صالح الصماد" الوحدة اليمنية، حُلمنا الباقي والمتجدد، المحفور في وجدان كل اليمنيين بمختلف مكوناتهم وأطيافهم، وأحد أهم الأهداف السامية والثوابت المقدسة غير القابلة للمساومة والمتاجرة عبر مراحل التاريخ المختلفة من كل القوى اليمنية الحية والحرة.

الشهيد "الصماد" أشار إلى جُزئية في غاية الأهمية، هي استمداد القوى السياسية والوطنية الحرة شرعيتها من "تبنيها لمشروع الوحدة، ونضالها من أجل تحقيقها"، ومن يُعاكس هذه الحقيقة، ويضع بيضه في سلال المستعمرين، ويعمل على تقويض أحلام أبناء بلاده في التوحد فمآله الزوال والتلاشي والضعف والهوان.

صحيح أن الحكم في بعض الفترات التاريخية كان مُقسماً بين أكثر من دويلة يمنية، لكنها لم تنجح في إرساء أي شكل من أشكال الانفصال، لأن الوحدة الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والثقافية كانت أقوى وأكثر صلابة من النزعات الانفصالية الشاذّة والغريبة على اليمن وشعبه الواحد الموحد منذ فجر التاريخ في مساره ومصيره، وهذه واحدة من الحقائق المهمة التي عملت القوى الاستعمارية المختلفة على تذويبها، لكن كل محاولاتها باءت بالفشل، ما جعلها تتجه إلى وضع المعرقلات واختلاق المعضلات أمام الدول اليمنية الموحدة بهدف إغراقها في مستنقع الصراعات والحروب البينية، وكبح جماح جهودها الوحدوية، وإبقاء اليمن ضعيفاً، ومُجزئاً، ومُفتّتاً، ومُقسّماً.

وصحيحٌ أيضاً أن قضية الوحدة قد وُضِعت على بساط البحث في مراكز نضال الشعب اليمني، في كل مراحل تاريخه المليئة بالصراعات من أجل الوحدة، لكن هذا لا يعنِ عدم وجود قوى ذات نزعات انفصالية ضيقة الأفق، اتسعت في كل مراحل التاريخ اليمني، لتسير عكس تيار الوحدة تبعاً للعلاقة "البندولية"، تمدداً وانكماشاً، بين الثقافة المحلية والثقافة الوطنية، والهويات المحلية والهوية الوطنية، والصراعات المحلية ومكانة الدولة المركزية من حيث الضعف والقوة، والاستعمار والوحدة اليمنية.

ولم تكن قوى الاستعمار المختلفة بعيدة عن تغذية وغرس نزعات التشظّي والتشطير، وتقوية التوجهات والأفكار والأطروحات "الشوفينية" المغايرة لاتجاه حركة التاريخ الوحدوي اليمني، وتجذيرها، بهدف تمرير أجندتها الاستعمارية، وعلى رأسها إحكام السيطرة على باب المندب الذي يُمثل المفتاح السحري للتحكّم في التجارة البحرية بين الشرق والغرب، والتحكّم في منطقة القرن الأفريقي والبحر الأحمر وجزيرة العرب، وهذه واحدةٌ من اللعنات التي جعلت اليمن منصعاً للقوى الاستعمارية منذ العام 70 قبل ميلاد المسيح عليه السلام، بدءاً بالرومان والفرس، ومروراً بالفرس والأحباش، ووصولاً إلى البريطانيين والعثمانيين، وانتهاءً بصبيان العاصفة العبرية.

ناهيك عن لعنة الثروات البكر التي تختزنها بلاد السعيدة، وهي الغاية الثانية للقوى الاستعمارية.

في هذه القراءة السريعة سنكتفي بالتوقف على أهم مُدخلات الاستعمار "البريطاني - العثماني" ومُخرجات الاحتلال "السعودي - الإماراتي".

ومن المفارقات العجيبة هنا أن الاستعمار "السعودي - الإماراتي"، من صنيعة الاستعمار "البريطاني"، ومخرجاته مجرد استنساخ شائه لمدخلات الأب البريطاني غير الشرعي لهم وللصهاينة، والمفارقة الثانية عمل صبيان العاصفة لذات الأهداف وهي خدمة الصهيونية العالمية الطامحة إلى خلق بحر أحمر عبريّ الهوى والهوية وبسط السيطرة على مدخله الجنوبي لاعتقاد كيانيّ الاحتلال "الصهيو - سعودي" أن بقائهم الوجودي مرهونٌ ببقاء اليمن ضعيفاً مُجزئاً.

مداليل ذلك نجدها في وصية مؤسس الدولة السعودية الثالثة "عبدالعزيز بن سعود"، لأولاده وهو يحتضر، بعد أن أشار إلى موقع اليمن على الخريطة: "انتبهوا .. انتبهوا فمن هنا سيأتي هلاككم وزوال مُلككم، فلا تطمئنوا لهم وحاربوهم باستمرار وبكل الوسائل وفى كل الأوقات سلماً أو حرباً"، وكذا دعوة الصهيوني "بن غوريون" في مذكراته إلى ضرورة السيطرة على باب المندب، من أجل ضمان بقاء كيانه اللقيط في قلب الأمة العربية "فلسطين المحتلة".

وكليهما استخدما نفس السياسة والأدوات لإجهاض حُلم الوحدة اليمنية، بما في ذلك إعمال سياسة "فرّق تسُد"، وتقوية النزعات والكيانات والهيئات الانفصالية، وتغذية العصبيات المناطقية، وإحياء العنصريات والتعصبات الجاهلية، وضرب النسيج الاجتماعي.

التآمر الاستعماري "البريطاني ـ العثماني":

احتل الانجليز مدينة عدن في العام 1839 م بتواطؤ من العثمانيين، لإيقاف زحف "محمد علي باشا"، وبالتالي عودة العثمانيين إلى اليمن ثانية في العام 1849م، وفتح الباب على مصراعيه لسيناريوهات غرس مفاهيم التقسيم الجغرافي والسياسي لأول مرة في تاريخ اليمن الواحد، وإن اختلفت الأهداف.

تزامن الدخول العثماني الأول إلى اليمن في العام 1535م، مع تفرّق أيادي سبأ، ومع ذلك فقد حرص العثمانيون على إبقاء اليمن تحت رايتهم موحداً باستثناء بعض المناطق، ليتم إخراجهم في العام 1636م تحت ضغط المقاومة الوطنية المستمدة قوتها من وحدتها الوطنية، بينما كان الدخول الثاني للعثمانيين في العام 1849م متزامناً مع التمدد الانجليزي، في وقت كانت فيه اليمن قد وصلت ذروة الانقسام والتشرذم، لذا كان من الطبيعي أن تُسجل المقاومة الوطنية فشلاً ذريعاً، لأنها كانت في غياب الوحدة.

إخراج العثمانيين في المرة الأولى أعقبه قيام دولة يمنية موحدة هي الدولة القاسمية، لكنها لم تدم طويلاً بفعل الانقسام المزري بين حكامها في فترة ضعفها، والذي أغرى في نهاية المطاف الإنجليز والأتراك لاحتلال اليمن، وتوجههما منذ القرن الثامن عشر الميلادي إلى إنشاء كيانين جغرافيين وسياسيين عُرفا لاحقاً باليمن الشمالي والجنوبي، وتعميد هذا الانشطار بخط حدود النفوذ "البريطاني - العثماني" "1902 - 1904"، وتسجيله رسمياً في العام 1914 بتوقيعهما معاهدة ترسيم الحدود، وهي أول إقرار رسمي مُوثق لتقسيم اليمن سياسياً وجغرافياً، والإشارة الأولى لوجود شطرين منفصلين، رسمت الحدود بينهما دولتان دخيلتان على الشعب اليمني، وبهذا بدأت مرحلة جديدة في تاريخ اليمن الحديث عنوانها "التقسيم المصطنع من أجل تثبيت الاستعمار المستغل".

ورغم ذلك بقي اليمن موحداً في علاقاته الاجتماعية والثقافية والنضالية ضد الاستعمار "الانجليزي - العثماني"، الأمر الذي مكّنه من إجلاء العثمانيين في نهاية العام 1918، لكن عن جزء من اليمن، وبقي الجزء الآخر تحت الاستعمار الإنجليزي، وتسلّم "آل حميد الدين"، حكم المناطق الشمالية والغربية، بعد أن كانوا قد استطاعوا بفضل رفعهم شعار إعادة الوحدة اليمنية، طرد العثمانيين كمقدمة لتحرير الجنوب المحتل.

السياسة الانجليزية المتدحرجة في المناطق اليمنية المحتلة في طابعها العام اتسمت بالحرص الشديد على تعميق تمزيق الوحدة اليمنية، وتعميق اليأس في أوساط أبناء الشعب اليمني من عودة التحام جسدهم الواحد، سيما بعد خروج العثمانيين من حلبة الصراع، وتقاسم اليمن بين ثلاث سلطات لثلاثة أجزاء هي: الانجليز والأدارسة والأئمة.

في حين كانت عناوين السياسة الاستعمارية واحدة في معانيها ومبانيها منذ العام 1839 بدءاً بفرّق تسُد، ومروراً بمعاهدات واتفاقيات الحماية، وانتهاءاً بالتقدم نحو الأمام وإعمال نظام الانتداب والاستشارة، كمُعطى فرضته مُقتضيات التجزئة ومُتطلبات كبح جماح نمو الوعي الوطني، الواصلة ذروتها في العام 1959 بإنشاء اتحاد الجنوب العربي، باعتباره أخر رهانات الاستعمار لتمديد سيطرته السياسية والعسكرية على المنطقة أكبر مدة ممكنة، وقريبٌ من ذلك ما تعمل عليه قوى الاحتلال "السعودي - الإماراتي" اليوم في تقوية القوى اليمنية ذات النزعات الانفصالية.

هذا التوجه الجهنمي نتاج طبيعي للعمل الاستعماري الدؤوب والممنهج، المستمر منذ العام 1934 لسلخ هوية الأجزاء الجنوبية والشرقية من اليمن عن هويتها التاريخية والجغرافية عبر تغليب الثقافات والهويات المحلية وتغذية النزعات الانفصالية، لضمان طمس الثقافة والهوية الوطنية اليمنية، وتعميق التناقضات الداخلية، وإسكات الصوت الوحدوي اليمني.

ولهذا الغرض القذر تم إيفاد "وليم هارولد إنجرامز" "1897 - 1973" الضابط السياسي الانجليزي الشهير بذكائه ودهائه، ومهندس معاهدة الصداقة "الانجليزية – المتوكلية"، وأحد أخطر مُنظري التجزئة، والمسئول الأول عن المفاوضات حول الحدود مع الأئمة وتنفيذ سياسة التقدم نحو الأمام.

حرص منذ وصوله إلى عدن عام 1934 على تأليف عدة كتب عن اليمن، الغرض الأساسي منها سلخ حضرموت وشبوة عن اليمن، وحصر مصطلح اليمن على الأجزاء الواقعة تحت نفوذ الأئمة فقط، فيما أعاد الأجزاء الجنوبية والشرقية الأخرى إلى ما أسماه بالجنوب العربي، مُدعياً بأنه استخدم هذا المصطلح كما استخدمه الجغرافيون والمؤرخون العرب لتمييز تلك المناطق عن اليمن، في وقت كان الانجليز يطمحون إلى خلق دولة بالجنوب اليمني على النمط الغربي وتحويل عدن إلى قاعدة لإطلاق ما أسموه "العالم الحر".

يأتي هذا بعد فشل السياسات الاستعمارية المُتبعة قبل العام 1934، وإدراكهم خطورة تنامي الوعي الوطني اليمني على مخططاتهم البعيدة المدى، وبالتالي تطلب المرحلة ضرورة دق إسفين التجزئة وإشاعة التمايز التاريخي والاجتماعي والجغرافي والثقافي بين أبناء الشعب الواحد في خطوة مكشوفة لإحباط أحلام إعادة التحام الجسد اليمني.

ويكفينا للدلالة على هذا التوجه الخطير الوقوف عند مقولة "انجرامز" في كتابه "اليمن: الأئمة والحكام والثورات" صفحة 45 - 47:

"لقد وصفت اليمن ككيان طبيعي ضمن العالم العربي على الرغم من عدم اندماجها في كيان سياسي متحد .. إنها إقليم عربي مُعترف به تاريخياً وجغرافياً، وأولئك الذين يعيشون فيه أصبحوا يحملون في أعماقهم شعوراً مناطقياً مشتركاً .. إنه لم يكن لهذا الكيان على الإطلاق صفة الأمة الموحدة، بالمعنى الذي يفهمه الأوربيون من كلمة الأمة، فلم يحدث أبداً أن اعتبر اليمنيون أنفسهم بهذا المعنى حتى الوقت الحاضر .. إن العرب واليمنيون جزء أصيل منهم ميالون بطبعهم إلى الاختلاف والفُرقة والتنافس على السلطة، لذا فهم فرديون وأصحاب طفرات وفورات مفاجئة، ومفهومهم للوحدة ليس إلا فكرة غامضة وصوفية يمكن أن تتغلب عليها المغريات المادية .."

مع إطلالة العام 1952 بدأ الانجليز بترجمة سياستهم الجديدة عبر الترويج لإقامة كيانين اتحاديين فيدراليين حسب التقسيم الإداري القائم في الإمارات ومستعمرة عدن، وتوحيدها في دولة جديدة تُسمى "دولة الجنوب العربي الاتحادية"، على أن تبقى مستعمرة عدن خارج الاتحاد.

وفي العام 1954 قدموا وجهة نظرهم بشأن الاتحاد الفيدرالي وإدارته المكونة من:

1 - المندوب السامي، تكون له رئاسة الاتحاد والصلاحيات المطلقة في إدارة ملف العلاقات الخارجية والقرار الأول في حالة الطوارئ.

2 - مجلس رؤساء يضم رؤساء البلاد الداخلية في الاتحاد.

3 - مجلس تنفيذي وآخر تشريعي.

وفي 19 فبراير 1959 أُعلن رسمياً عن قيام اتحاد إمارات الجنوب العربي بالتوازي مع إعلان الإمام "أحمد حميد الدين" الانضمام للجمهورية العربية المتحدة، وهو ما جعل الجامعة العربية تنتقد اتحاد الجنوب بشدة مُحذرة من خطورته في ترسيخ التجزئة.

مصطلح دولة الجنوب العربي يظل في حقيقته مصطلح جهوي مزيف ومجافي للحقائق التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية، لذا لم يشذّ عن مخططات تدجين الهوية الوطنية وإعلاء الهوية المحلية المصطنعة، وتعميق الهوة بين أبناء هذه المناطق وبين هويتهم الوطنية الأم، وتعميق النزعة الانفصالية، والتي وجدت في الجمعية العدنية ورابطة أبناء الجنوب العربي ضالتها المنشودة على أمل الحلول مكان الاستعمار بعد رحيله لتنفيذ مخططاته.

والحقيقة أن الاستعمار وجد حينها أن قوة وجوده واستمراره ومقومات أمانه متوقفة على التجزئة، لأنها ستبقى إذا أُضّطر للرحيل، تماماً كما يعمل اليوم الاستعمار "السعودي - الإماراتي"، ما نجد دلالته في قراءة "انجرامز" لمستقبل اليمن بعد زوال الوجود المصري والبريطاني:

"سيبقى - اليمن - على عادته القديمة في الانقسام، لأن طبيعة الأثرة والفردية عند العرب كفيلة بذلك، ولأن لهفتهم للفوز بالمغانم المادية .. ستقودهم حتماً بعيداً عن التسامي الروحي .. ومعنى ذلك أن التحديث سيأخذ مدى أبعد، لكن دون أن يكون هناك اتجاه أكثر من وحدة متماسكة إلا إذا كان نكاية في حكم مكروه من الشعب أو استجابة لبريق فكرة جديدة، وإذا ولدت هذه الوحدة فلا شك أنها ستدفع اليمنيين إلى الأمام ولكن لا بُد أنه سيمر وقت طويل قبل أن يمكن لأي أفكار جديدة أو وعي اجتماعي عميق أن يتغلب على تلك الأفكار القديمة".

التآمر الاستعماري السعودي:

لأكثر من 100 عام والنظام السعودي يعمل بلا كلل ولا ملل على إجهاض جهود الوحدة اليمنية، وإبقاء اليمن مُقسماً وضعيفاً، وتحويله إلى مجرد حديقة خلفية، خوفاً على مملكتهم من التلاشي والزوال.

وتنتاب النظام السعودي مخاوف مُزمنة من قدرة الشعب اليمن وقوته في حال توحده وتمكنه من استعادة أراضيه السليبة في المخلاف السليماني، لذا كانت الوحدة على الدوام تُشكّل خطراً داهماً على هيمنة، ناهيك عن طمعه في ثروات اليمن وأرضه، وإيجاد منفذاً له على البحر العربي، بالإضافة إلى التخوف من التقارب الأيديولوجي بين القوميين في صنعاء واليساريين في عدن خلال فترة حكم الرئيس الشهيد "إبراهيم الحمدي"، وما يترتب على ذلك التقارب في حال انجاز حلم الوحدة من تهاوي الأنظمة الرجعية في الخليج، واستبدالها بأنظمة اشتراكية تقدمية.

بعد فشل الصراع "السعودي - المصري" في اليمن عقب ثورة 26 سبتمبر1962، وانتهاء ذلك الصراع بتصالح الجمهوريين والملكيين، تحول التدخل والعداء السعودي في اليمن من الطابع العسكري، إلى الطابع الاستخباراتي التآمري، فعملوا على تغذية وتمويل وتأجيج الصراعات والحروب بين شطريه، وتأزيم العلاقات "اليمنية - اليمنية".

وتصدروا قائمة المعارضين الإقليميين للوحدة اليمنية منذ المصالحة الوطنية في شمال اليمن، والمصالحة القومية في الخرطوم، وعملوا على وأد أي تقارب بين الطرفين يُؤدي إلى التسريع بتحقيق الوحدة، وتعميق الخصومة والقطيعة بين أبناء الوطن الواحد، واحتضنوا قوى المعارضة اليمنية من شماليين وجنوبيين.

وبدأ اعتراض النظام السعودي بصورة واضحة وصريحة على إعادة تحقيق الوحدة اليمنية منذ اتفاقية القاهرة الوحدوية في 28 أكتوبر 1972، واستمر حتى حرب صيف 1994، ومارس كل الأساليب القذرة لإحباط واجهاض جهود التوحد، من ذلك:

1 - اغتيال وتصفية الرؤساء اليمنيين، منهم:

أ - الرئيس "إبراهيم الحمدي" في 11 أكتوبر 1977 بعد اتفاقه مع الرئيس

"سالم ربيع علي" " سالمين" على إعلان الوحدة اليمنية في 14 أكتوبر 1977 من مدينة عدن، ليكون هذا الحدث التاريخي متزامناً مع ذكرى ثورة 14 أكتوبر، لذا قرروا التخلص منه قبل يوم واحد فقط من زيارته المقررة لعدن.

استبقوا ذلك بعدة محاولات للانقلاب عليه في 13 يوليو 1975 و16 أغسطس 1975 و20 فبراير 1976 ويوليو، وعندما عجزوا قتلوه بدم بارد.

ب - الغشمي، رغم مشاركته في تصفية الحمدي، لكن ذلك لم يشفع له لدى السعوديين فقرروا التخلص منه في العام 1978.

ج - سالم ربيع، تم إعدامه في العام 1978.

2 - ممارسة كل أنواع الضغوطات لإقالة رؤساء الوزراء كما جرى مع "محسن العيني" بعد أن عجزوا عن ترويضه، وأحياناً فرض رؤساء وزراء موالين كما جرى مع "حسن العمري".

3 - تجنيد العديد من القادة والمشيخات القبلية عملاء ومخبرين، أمثال: "عبدالله الأصنج" و"عبدالله بن حسين الأحمر"، وكانا أكثر عدائية للوحدة، من ذلك استخدام "الأحمر" في المفاوضات الوحدوية خلال الفترة "1979 - 1990" للتأثير على قرارات شمال اليمن حينها بشأن الوحدة في كل جلسات المفاوضات، وعدم تنفيذ اتفاقيات الوحدة التي وقعها مع اليمن الجنوبي.

كما استخدموا عملائهم لإشعال حرب الجبهة في المناطق الوسطى، وحرب الحدود بين الشطرين عدة مرات.

4 - الإغراءات المالية: إرسال السعودية في العام 1989 وزير ماليتها "محمد أبا الخيل" إلى عدن، ليعرض على قيادتها مساعدات مالية بقيمة 17 مليار دولار مقابل التخلّي عن اتفاقية الوحدة.

5 - الضغط الاقتصادي: في العام 1990 استغل النظام السعودي حرب الخليج الثانية، فقام بطرد 2 مليون يمني من الأراضي السعودية، بهدف الإنهاك الاقتصادي لدولة الوحدة الوليدة.

6 - إفراغ الوحدة اليمنية من محتواها وجعلها بدون قيمة تُذكر، بعد موافقة نظام "علي عبدالله صالح" على ترسيم الحدود عام 2000 "اتفاقية جدة"، تاركاً لهم عسير وجيزان ونجران اليمنية.

7 اقتطاع الأراضي اليمنية: بعد العدوان "السعودي - الإماراتي"، وتقاسم قواه النفوذ والثروة في المناطق اليمنية المحتلة، دفعت السعودية بقواتها إلى محافظتي المهرة وحضرموت، واقتطعت مساحات واسعة من الأراضي اليمنية تُقدر بـ 45 ألف كيلو متر مربع من صحراء حضرموت، وأزالت مراسم الحدود، بهدف الاقتراب من البحر العربي، وفصل حضرموت والمهرة عن اليمن، مقابل تمدد الإمارات في "سقطرى" و"شبوة".

ولم تكتفِ الرياض بذلك، بل وعملت على تعميق الهوة بين الشمال والجنوب، وليس آخرها تجاهل بيان القمة العربية المنعقدة في مدينة جدة السعودية في 19 مايو 2023 ذكر الوحدة اليمنية لأول مرة في تاريخ القمم العربية، في مؤامرة واضحة وفاضحة لعمل تحالف العاصفة على تشطير اليمن وإعادته إلى ما كان عليه قبل العام 1990.

ويذكر الكاتب اليمني "عبدالسلام قائد" في مقالٍ له بعنوان "العداء الأجنبي للوحدة اليمنية الجذور والدوافع"، نُشر بتاريخ 17 مايو 2022، عدة شواهد حية على العمل السعودي السافر لتقسيم اليمن، من ذلك:

1- تداول ناشطون على مواقع التواصل الاجتماعي صورة لاتفاقية تمديد فترة الإيداع للوديعة السعودية لليمن التي سبق تقديمها في العام 2018 لدى البنك المركزي اليمني بعدن، وفيها تظهر لافتة كُتب عليها اسم شمال اليمن قبل الوحدة "الجمهورية العربية اليمنية"، ويظهر في الصورة طرفا التوقيع.

2 - تداول ناشطون صور وثائق سعودية لمُقيمين يمنيين في المملكة كُتبت فيها هوياتهم بمسميات انفصالية أو هوياتية صغيرة، مثل: يمني شمالي، يمني جنوبي، حضرمي، وغير ذلك من المسميات.

وتهدف السعودية من هكذا تصرفات إلى جسّ نبض اليمنيين بشأن الوحدة

والانفصال واستفزازهم، ليكون أمر فصل الجنوب عن الشمال سهلاً عليهم في حال صدرت التوجيهات الصهيونية للرياض وأبو ظبي بإصدار القرار.

وختموا ذلك بتصفية قائمة طويلة من الشخصيات الوطنية ذات النفس الوحدوي، على رأسهم الرئيس الشهيد "صالح الصماد".

التآمر الاستعماري الإماراتي:

في منتصف ثمانينيات القرن العشرين دخلت الإمارات على الخط معززة بطموحات "التعملق" الإقليمي من البوابة اليمنية، ثم أتت ما تُسمى بعاصفة الحزم ليجمع صبيان بريطانيا معاول الهدم في اليمن، ويمزقوا جسده الضعيف بسهام حقدهم الدفين.

الإمارات وجدت في اليمن "بساط علي بابا" للسيطرة على موانئ القرن الأفريقي واليمن، والتموضع في جزر وسواحل تلك المنطقة المنكوبة من العالم بالحروب والصراعات والفقر وغياب الدولة المركزية القوية، والتحكم في قرارها، خدمة لأسيادهم في تل أبيب.

فأعادت ممارسة كل القذارات البريطانية في اليمن، بعد سيطرتها المباشرة وغير المباشرة على المواقع الحيوية والاستراتيجية، أغلبها ساحلية، كجزيرة سقطرى وميناء عدن، وجزيرة ميون، والتمدد في معظم الخطوط الجوية والقواعد والموانئ البحرية على طول السواحل الجنوبية والغربية.

وتعمل الإمارات بكل قوتها لمنع وجود يمن قوي، لأن ذلك يُشكل خطراً على مصالحها، ومصالح أولياء نعمتها في تل أبيب والبيت الأسود، كما تطمح في توسيع نفوذها الإقليمي عبر الممرات المائية، وبسط نفوذها على السواحل والموانئ والقنوات المائية الدولية.

وترى في انفصال جنوب اليمن بوابة السعد للتحكم والسيطرة والنفوذ، لذا كانت مواقفها منذ وقت مبكر ضد الوحدة اليمنية، ويتحدث الشيخ "عبدالله بن حسين الأحمر" في مذكراته، عن زيارة قام بها للإمارات أثناء حرب 94 ولقائه الشيخ "زايد" وموقف الأخير الرافض للوحدة.

ومن أهم فرشات العمل الميدانية لتجذير وتعميق الانقسام اليمني:

1 - تشكيل المجلس الانتقالي الجنوبي المعروف بنزعته الانفصالية، في 5 مايو 2017، ورعايته مالياً وعسكرياً وسياسياً.

2 - تشكيل ميليشيات يمنية ذات نفس ونزعة وعقيدة انفصالية تضم نحو 200 ألف مرتزق، منها:

أ - قوات الحزام الأمني بعدن - تضم نحو 30 ألف جندي.

ب - النخبة الحضرمية.

ج - النخبة الشبوانية.

د - النخبة المهرية.

هـ - النخبة السقطرية.

و - ميليشيات المقاومة الجنوبية.

ز - ميليشيات المقاومة التهامية.

3 - دعم واحتضان القوى التكفيرية السلفية أمثال كتائب "أبو العباس" في تعز، والسعي لإنشاء حزام أمني هناك، وجماعات "هاني بن بريك" في عدن.

4 - إنشاء قوات تابعة في الساحل الغربي، ومحاولة فصل المخا عن محافظة تعز.

5 - قيام مواليها في عدن ولحج بعمليات تهجير وترحيل واسعة للسكان من المحافظات الشمالية، في محاولة قذرة لتعميق الفجوة المجتمعية، وطالت تلك الإجراءات الإجرامية المسافرين في الضالع ومأرب وعدن.

6 - إطلاق دعاية إعلامية واسعة للترويج لانفصال الجنوب، وإنشاء قناتين فضائيتين تابعة للمجلس الانتقالي الجنوبي.

7 - أطلق العديد من مسؤوليها ومغرديها سلسلة من المواقف المؤيدة للانفصال.

المراجـــــع:

1 - زيد المحبشي، الوحدة اليمنية .. القلب ينبض جنوباً، قراءات، 20 مايو 2010.

2 - د. رفعت سيد أحمد، حقائق تاريخية هامة عن العداء السعودي لليمن، تنوع نيوز، الحلقة الأولى، 12 نوفمبر 2021.

3 - محمد شرف، الوحدة اليمنية.. حلم اليمنيين الذي تصر الرياض وأبوظبي على اغتياله، صحيفة الثورة، 22 مايو 2022.

4 - مذكرات الشيخ عبد الله الأحمر، الآفاق للطباعة والنشر - صنعاء، الطبعة الثانية - 2008.

5 - جريدة الشرق، الإمارات تطلق قناتين تليفزيونيتين لدعم انفصال جنوب اليمن، 21 أبريل 2019.

6 - موقع صحيفة 26 سبتمبر، السعودية والامارات .. مؤامرات مستمرة ضد الوحدة اليمنية، 22 مايو 2022.

7 - موقع المجلس الزيدي الإسلامي، نص كلمة رئيس المجلس السياسي لأنصار الله "صالح الصماد"، بمناسبة الذكرى الـ 26 لعيد الوحدة، 22 مايو 2016.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

اَلْبَهَائِيَّة .. نَبْتَة شَيْطَانِيَّة بِقُفَّازَاتٍ صَهْيُونِيَّة

مركز البحوث والمعلومات

زيد المحبشي

ذو القعدة 1444هـ / يونيو 2023م

عبادة وتأليه الإنسان من الكوارث التي مُنيت بها البشرية في تاريخها العريض، وليست "البهائية" بالنشاز عن ذلك التاريخ الشائه لعبدة البشر، لذا لا تندهش إذا زرت أحد أتباعها ووجدت على جدران منزله لوحاً مبروزاً مكتوباً عليه "بهاء يا إلهي"، فأتباع هذه الديانة الشيطانية يعتقدون بأن مُؤسسها مهدياً ونبياً وإلهاً.

بدأت البذرة الأولى لهذه الديانة الوضعية المسخ في إيران، وانتهى بها المطاف إلى أحضان اليهود في عكا وحيفا، وهناك حصلت على الرعاية والحماية من الصهيونية العالمية، التي وجدت فيها ضالتها المنشودة، ومنها انتشرت إلى أنحاء العالم، وأصبح لها في كل قارة مركزاً ومجمعاً بهائياً ومُريدين، وصار قبر مؤسسها في فلسطين المحتلة مزاراً يحج إليه الأتباع الأنعام من أنحاء المعمورة، ويتوجهون إليه في صلاتهم.

ارتبط قادتها بعلاقات وثيقة مع أعداء العالم الإسلامي، وفي مقدمتهم الإنجليز والفرنسيين والروس واليهود، وأعلنوا مساندة الإنجليز لإقامة دولة لليهود في فلسطين المحتلة، وادعى مؤسسها في إحدى نبوءاته الشيطانية تجمع اليهود في فلسطين المحتلة وإقامة دولة لهم هناك، وأحقيتهم في القدس السليبة.

وقد سبق للسيد "عبدالملك الحوثي" التحذير من هذه الحركة، في أكثر من مناسبة وأسماها بـ "الوافد الشيطاني":

"اليوم استجد في ساحتنا اليمنية نشاط جديد يأتي ضمن الحرب التي تستهدفنا في المبادئ والمفاهيم والانتماء الكلي للإسلام، هو نشاط البهائية، تحرك هذا الوافد الشيطاني إلى بلدنا يطعن في الإسلام بكل صراحة ووضوح، ويشن حرباً فكرية تضليلية ضد الإسلام كدين، ويسعى إلى إقناع البعض بالخروج والارتداد عن الإسلام، والكفر بالإسلام، ويلقى هذا النشاط اهتماماً ورعاية ودعماً ومساندة من الغرب".

وأكد رضوان الله عليه بأن نشاط هذه الحركة وانطلاقتها ومنبعها من مدينة "عكا" في فلسطين المحتلة، ونالت رعاية صهيونية كاملة:

"إسرائيل تحتضن وترعى هذا التحرك، تُؤمِّن في هذا التحرك الحرية الكاملة لينطلق من هناك، من داخل هذه الرعاية الإسرائيلية إلى بقية العالم،.. هذا ضمن

الحرب الناعمة، هذا استهداف عدواني يشتغل ضد الإسلام لإخراج الأمة من الإسلام والكفر به".

وكشف عن وجود مخططات أميركية وغربية لتهيئة البيئة العربية والإسلامية لهكذا حركات ظلامية:

"الأميركيين والغرب يضغطون على الأنظمة العربية والإسلامية لتغيير القوانين المُستمدة من الشريعة الإسلامية، من أجل صُنع بيئة مفتوحة للجرائم من دون أي عائق، ويقومون بنشر الدعوات والمذاهب غير الإسلامية ودعمها، مثل البهائية والأحمدية والإبراهيمية، من أجل تضليل المجتمع الإسلامي.

البهائية، الأحمدية، ديانات أخرى غريبة على مجتمعاتنا، مخالفة للإسلام، ثم يحاولون أن يفرضوا لها حقوقاً، ما يسمونه هم بالحقوق السياسية وغيرها، ثم يمنعون سيادة الإسلام؛ بحُجة أن هذا البلد فيه أديان مُتعددة، لا يمكن أن يبقَ الإسلام سائداً فيه، وهذه طريقة شيطانية، وغير مقبولة، وغير مُنصفة أصلاً؛ إنما هي من محاربتهم للإسلام".

فما هي عقائد البهائية وشرائعهم وأهدافهم ومخططاتهم؟ وما هو خطرهم على الإسلام والمسلمين؟ وما سر تبني الصهيونية العالمية والقوى الاستعمارية لهم منذ نشأتهم؟

هذا ما سنحاول مقاربته في قراءتين متتابعتين، نُسلط الضوء في الأولى على سياقاتها التاريخية وعلاقاتها المشبوهة مع القوى الاستعمارية والصهيونية العالمية، وأماكن تواجدها في العالم واليمن، ونتناول في الثانية مكوناتها التنظيمية، وعقائدها وأفكارها الماسونية المسمومة، وخطرها على الإسلام والمسلمين.

تاريخ أسود:

لا يمكن الحديث عن "البهائية" دون الحديث عن "البابية"، فالأخيرة مُقدِمة للأولى، وكلاهما من الفرق الخارجة عن الإسلام عقائدياً وتشريعاً، وكلاهما له نفس الأهداف والأفكار الهدامة وإن اختلفت مسمياتهما فالغاية والأهداف واحدة، وكلاهما مجرد مطية رخيصة للقوى الاستعمارية والصهيونية العالمية.

أولا: البابية:

أطلق التاجر بمدينة "شيراز" الإيرانية الميرزا "علي محمد رضا الشيرازي"، "20 أكتوبر 1819 - 9 يوليو 1850"، في 22 - 23 يوليو 1844، على نفسه لقب "الباب" - والباب تعني المتحدث الرسمي باسم المهدي المُنتظر وسكرتيره أو حاجبه - وأعلن ديناً جديداً أسماه "البابية"، وعمل على تحضير أتباعه لقدوم رسول إلهي بحسب زعمه، يُعرف باسم "بهاء الله"، ودعا إلى نظام قائم بذاته من المعتقدات والقيم، ولم يكتفِ باسم حاجب المهدي، بل ادعى لنفسه المهدوية، مستغلاً فكرة اختفاء المهدي المنتظر "محمد بن الحسن العسكري" عند إخواننا الجعفرية، وقال أن ظهوره أتى بعد اختفاء "العسكري" بألف سنة، مُدعياً ضرورة ظهور مُجدد رأس كل ألف سنة، وأصبغ على نفسه صفة القداسة والعصمة والألوهية.

أثار ادعائه الاضطراب في أوساط المجتمع الإيراني، فأمرت السلطات بإعدامه رمياً بالرصاص إخماداً للفتنة التي أثارها، وتم التنفيذ في العام 1850 بمدينة "تبريز"، والمضحك أنه بعد علمه بصدور الحكم سارع لإعلان توبته والنطق بالشهادتين والتبرؤ من "البابية".

وفي العام 1909، نُقلت جثته سراً إلى مدينة "حيفا" الفلسطينية بمساعدة اليهود، وأُقام أتباعه في العام 1953 حول قبره معبداً ومقاماً وقبة صفراء.

ويتحدث المؤرخون أن والده من جذور يهودية، أخفى نسبه ودينه، وادعى أن اسمه "محمد الشيرازي"، ولا عجب فقد سبق لمُؤسس الدولة السعودية الأولى "محمد بن سعود" ومُؤسس الحركة الوهابية "محمد بن عبدالوهاب"، إخفاء نسبهم اليهودي والتسمّي بأسماء عربية، وكلهم خرجوا من مشكاة واحدة، وكانت الغاية من زرعهم في جسد الأمة العربية والإسلامية تشويه الإسلام والقضاء عليه، وتهيئة بلاد الإسلام للقوى الاستعمارية، وشرعنة الوجود الصهيوني في فلسطين المحتلة.

استغل الروس ظهوره فسارعوا لاحتوائه وتدجينه، وأوكلوا المُهمة لأحد ضباطهم في سفارتهم بطهران يُدعى "كيتاز دالغوركي"، كما استغل الإنجليز "محمد بن عبدالوهاب" وأوكلوا مهمة احتوائه وتدجينه لأحد ضباط وزارة المستعمرات البريطانية يُدعى "المستر همفر".

ثانياً: البهائية:

بعد مقتل "الباب" لم تنتهِ حركتها، بل عاودت الظهور في ثوب جديد هو "البهائية"، على يد أحد طلابه هو الميرزا "حسين علي بن عباس بزرك النوري المازندراني"، "12 نوفمبر 1817 - 29 مايو 1892 "، مُدعياً في العام 1852، أنه "الرسول" الذي بشّر به "الباب"، وفي العام 1863 أطلق على نفسه لقب "بهاء الله"، وعلى ديانته مُسمى "البهائية".

وهو من طبقة النبلاء الأثرياء في مدينة "طهران"، سُجن عدة سنوات، ثم أُطلق سراحه، ونُفي مع عائلته إلى بغداد، وفي بغداد ضغط علماء الدين على سلطات الاحتلال العثماني لإخراجه من بلادهم بعد أن كثُرت أباطيله، فانتقل إلى "القسطنطينية" "إسطنبول حالياً"، ثم مدينة "أدريانوبل" المجاورة "أدرنة حالياً"، وفي العام 1868، نُفي للمرة الرابعة والأخيرة إلى "عكا" في فلسطين، فاستقبله اليهود بحفاوة، وأغدقوا عليه الأموال، وأحاطوه بالرعاية والحماية، وسهّلوا له الحركة، وهناك تفرّغ لنشر دعوته، وكسب الأنصار والأتباع.

وأبطل شرعية "الباب" بعد أن ادعى مواصلة مسيرته من حيث انتهى، وزعم أن "الباب" لم يكن إلا نبياً مهمته التبشير بظهوره.

أُصيب في آخر حياته بمرض عُضال، فقرر ابنه "عباس"، حبسه حتى لا يراه الناس، وتحدث باسمه إلى أن هلك في العام 1892، ودُفن في ضريح، ما يزال الوجهة الرئيسية للحجاج البهائيين كأقدس مكان لهم، ومن يومها أضحت "عكا" مقراً دائماً لأتباعه، ومكاناً مُقدساً لهم.

كان له أخٌ غير شقيق يصغُره سناً هو "يحيى صبح الأزل"، وكلاهما من طلاب "الباب"، وساد الاعتقاد بين أتباع "البابية" أن زعيمهم أوصى بالخلافة من بعده لـ "يحيى"، واستغل "بهاء الله" ذلك، فقرر الدعوة لأخيه، وبعد وقتٍ قصير خلعه ودعا لنفسه، وانقسمت جماعتهم إلى "أزلية" و"بهائية"، وامتد الصراع والانقسام إلى أولاد "بهاء الله" وأحفاده، فتدخلت الصهيونية العالمية في العام 1963 وجمعتهم تحت مظلة مجلس قيادي موحّد أسمته "بيت العدل الأعظم".

تولى القيادة بعد هلاك "بهاء الله" ابنه "عباس أفندي"، وأطلق على نفسه لقب "عبدالبهاء" و"الغصن الأعظم"، "-1844 28 نوفمبر 1921"، وسُجن مُعظم حياته، وأطلق سراحه في العام 1908، وفي الفترة "1911 - 1913" قرر التجوال في أوربا وأميركا الشمالية لنشر ديانته.

لم يعتبره أتباعه نبياً كوالده و"الباب"، بل مَثَل أعلى للكيفية التي يجب على البهائيين التصرف بها، وادعوا أن والده كان يُوحى إليه وأن الله حلّ في جسده وتجلّى للخلق من خلاله، وأن كل أفعاله وأقواله لها قوة كلام وأفعال "الله" كما يزعمون والعياذ بالله.

تولى بعده حفيده "شوقي أفندي"، وأطلق على نفسه لقب "ولي أمر الله"، "1897 - 1957".

علاقتهم باليهودية وقوى الاستعمار:

علاقة البهائية بالصهيونية وقوى الاستعمار قديمة وحميمة ووطيدة، فقد وجدت تلك القوى في هكذا حركات ظلامية غايتها المنشودة لتمرير وتنفيذ أجندتها الاستعمارية، ومع مرور الوقت صارت تلك الحركات واحدة من أهم أدوات الغزو الفكري والاستعمار "الصهيو - غربي" لبلاد الإسلام، كما وجدت البهائية ومن على شاكلتها من الحركات الضلالية كالأحمدية والقاديانية والوهابية وغيرها من الجماعات الخارجة عن الإسلام في قوى الاستعمار الحاضن والحامي والداعم والراعي لنشر وبث سمومها والطعن في دين الله الخاتم.

١ - الروس:

ربطت مُؤسس "البهائية"، "بهاء الله" وأسرته علاقة وطيدة بالروس وسفارتهم في طهران، ومنحه الروس اهتمام خاص، وسارع سفيرهم في طهران للتوسط من أجل الإفراج عنه بعد القبض عليه بتهمة التدبير لعملية اغتيال فاشلة لشاه إيران عقب مقتل "الباب"، وتم نفيه إلى العراق، ومنحته الحكومة القيصرية الروسية راتباً شهرياً، وتكفلت بالإشراف على حمل ديانته ووضعها ورضاعها، ورعايته، وهي لا تزال في مهدها.

2 - الإنجليز:

انتقلت حضانة وكفالة ورعاية "البهائية" بعد سقوط الحكومة القيصرية وانقطاع المساعدات الروسية إلى بريطانيا، بالتوازي مع رعاية وكفالة وحضانة بريطانيا للوهابية واليهود، ورداً للجميل لم يبخل البهائيون بالعمل على تمهيد الطريق لدخول الجيش الإنجليزي الغازي إلى فلسطين، وتقديم الأسرار لهم خلال الحرب العالمية الأولى، ومساعدتهم لإيجاد وطن بديل لليهود فيها وإقامة دولة ليهود العالم على أرضها الطاهرة، وتحولهم إلى جواسيس لخدمة مشاريع بريطانيا العظمى في المشرق العربي.

ولم يختلف الأمر كثيراً مع الأميركان وخصوصاً بعد سقوط نظام الشاه في إيران على يد الإمام "الخميني"، وفي هذا يقول رحمة الله عليه في حديث له بتاريخ 27 مايو 1983، رداً على دفاع الرئيس الأميركي "ريغان" في خطابٍ رسمي عن "البهائيين":

"إننا إذا كنا نفتقر إلى دليل يُثبت عمالة البهائيين وتجسسهم لأميركا، فإن دَعمَ ريغان لهؤلاء هو دليلٌ كافٍ على صحة أقوالنا".

ولا يستبعد قيام من تبقَ منهم في اليمن بممارسة نفس الدور خدمة لتحالف عدوان تحالف العاصفة، ولبعضهم علاقة وطيدة بالإمارات، وكانت مقراً لهم بعد نفيهم من جنوب اليمن في العام 1971، وعودتهم المشبوهة إلى اليمن في العام 2013، وحديث السيد "عبدالملك الحوثي" عن خطورتهم في العام 2018، على خلفية ضجة دولية مُفتعلة تتهم النظام الوطني الحر في صنعاء باضطهادهم، والمخجل أن تلك الأصوات الدولية المتباكية عليهم لم تنبس ببنت شفه لما يرتكبه تحالف عدوان العاصفة من جرائم في اليمن، والأكثر إثارة للسخرية التزامهم الصمت لما حصل لبهائية جنوب اليمن في سبعينيات القرن العشرين من تشريد ونفي.

3 - اليهود:

ساد التناغم والانسجام بين اليهود والبهائيين منذ بدايات ظهور الدعوة البابية المهدة، وتوطدت في "أدرنة" التركية و"حيفا" و"عكا" الفلسطينية.

في العام 1868 استقبل اليهود "بهاء الله" بحفاوة ومدوه بالدعم والحماية والرعاية،

وخالفوا فرمانات الباب العالي العثماني القاضية بفرض الإقامة الجبرية عليه، وأسكنوه قصراً عكاوياً يُعرف باسم "البهجة".

ودأب "البهائيون" على التبشير باجتماع اليهود في فلسطين، وإقامة دولتهم فيها، ولعبوا دوراً هاماً بالتعاون مع الإنجليز لتأسيس ودعم دولة كيان الاحتلال الصهيوني الغاصب، ومنحت الصهيونية العالمية المدعو "عباس أفندي" لقب "سير" وعدداً من الأوسمة الرفيعة في سنين الحرب العالمية الأولى، وتجول في أوربا وأميركا، واستضافته الكنيسة الإنجيلية والمحافل الماسونية والبيَع اليهودية، وشكل محافل بهائية في جميع أنحاء أوربا بمساعدة اليهود والمستعمرين، وبنى علاقات مع جمعية "تركيا الفتاة" التي تدعو إلى القومية "الطورانية"، وعُزلت فيما بعد السلطان "عبدالحميد".

واستقبل "عباس أفندي" بنفسه الجنرال "اللنبي" بعد سقوط فلسطين بحرارة، وحصل منه على وسام فارس الإمبراطورية البريطانية، وحضر المؤتمرات الصهيونية، ومنها مؤتمر "بال" عام 1911، وأيد حق اليهود التاريخي والديني المزعوم في أرض فلسطين المحتلة، وتنبأ ليهود فلسطين بمستقبل مشرق، وعندما مات سار في جنازته الحاكم الإنجليزي الصهيوني لمدينة القدس.

تولى أمر البهائية بعده ابن بنته "شوقي أفندي" وأطلق على نفسه "ولي أمر الله"، وعاش الآخر تحت رعاية الصهيونية، ونشطت حركته بعد قيام دولة كيان الاحتلال الصهيوني، وكتب في 30 يونيو 1948 إلى "بن غوريون" - أول رئيس وزراء للكيان اليهودي، يُعبرِّ له عن أطيب تمنياته من أجل رفاهية الدولة الجديدة.

وبعد وفاته تولى زعامة البهائية يهودي أميركي يُدعى "ميسن ريمي" الشهير بـ "ميسون"، وهو ثاني يهودي يقودها.

ويتم معاملة أتباع البهائية في فلسطين المحتلة معاملة اليهود منذ قيام الكيان الصهيوني اللقيط، ويرعى الصهاينة معابدهم ومحافلهم ومراكزهم، وتُصان وتُدعم كما تُرعى المعابد والكُنس اليهودية، ويساند الإعلام اليهودي البهائية، ويبرزها على أنها حركة رائدة في مجال الفكر الإسلامي، وكتب العديد من المستشرقين اليهود عنها وأذاعوا عقائدها.

ويحرم البهائيون الجهاد وحمل السلاح ضد اليهود، ويدعون للسلام معهم، وتقبل الأمر الواقع على أرض فلسطين المحتلة، ويؤيدون تجمع يهود العالم في فلسطين، وادعوا أن ذلك مما جاء في العهد القديم، كما ادعوا أن الفترة التي قضاها "بهاء الله" في السجن والمنفى بلغت 40 عاماً، وهي نفس الفترة التي قضاها بنو إسرائيل في التيه بصحراء سيناء.

هويتهم العددية والجغرافية:

قدّرت دراسة نشرها مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية في يوليو 2021، عدد أتباعها في اليمن بنحو 2000 شخص، وعلى مستوى العالم "5 - 7" ملايين، موزعين على نحو 235 دولة، تستأثر الهند بأكبر مجتمع بهائي بواقع "1.7 - 2.3" مليون.

وتحدث الكتاب السنوي التابع لموسوعة "بريتانكا" لعام 1992 عن تواجدهم في 247 دولة ومقاطعة في العالم، مُعتبراً إياهم ثاني ديانة عالمية من ناحية الانتشار الجغرافي، ويُمثل أتباعها 2100 عرق وأقلية قبلية.

ويقدّر الكتاب السنوي لعام 2005 التابع لنفس الموسوعة اتباعها بـــ 6 ملايين نسمة، بينما ذهبت بعض التقديرات أنهم بين "4 - 8" ملايين نسمة، والمؤكد أن عددهم في الوطن العربي قليل، لكن "الزوبعة" الدولية حولهم كبيرة لأهداف لم تعد خافية على أحد.

لهم تمثيل غير حكومي في منظمة الأمم المتحدة منذ بداية نشأتها، وفي الأوساط العلمية والدينية والاقتصادية في العالم.

في اليمن يدّعي أتباعها أن أول اتصال لهم كان في العام 1844 بمرور "الباب" " بميناء "المخا" أثناء ذهابه إلى مكة للحج وعودته منها، تواصلت بعدها زيارة اتباع "الباب" و"البهاء" للسواحل اليمنية ضمن رحلاتهم التجارية.

وشهدت العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي مرور بعضهم باليمن في طريقهم إلى شمال البحر الأحمر وفلسطين بعد قرار الاحتلال العثماني نفي "بهاء الله" إلى "عكا" الفلسطينية، واحتكاكهم بسكان المناطق الساحلية في المخا وباب اليمن، وبعد الحرب العالمية الثانية، استقرت موجة منهم في جنوب اليمن، وتحديداً حول ميناء عدن.

بعد نشوء جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية عام 1967، وما تلاها من تأميم للممتلكات في ظل الحزب الاشتراكي، غادر العديد منهم مدينة عدن إلى دول أخرى، أو أُعيد توطينهم في الجمهورية العربية اليمنية، وفي شمال اليمن توطنوا الحديدة وصنعاء ونالوا رعاية نظام "عفاش".

وعموماً يتواجد أتباعهم في عدن والمكلا وصنعاء وتعز والحديدة وإب وسقطرى ولحج، وهم خليط من أبناء القبائل، والقوميات غير اليمنية التي قطنت اليمن لفترات طويلة وتزاوجت مع اليمنيين.

ومن رموزهم في اليمن: كمال بن حيدرة، حامد بن كمال بن حيدرة، محمد مهدي مولوي في عدن، عبدالله أنور في صنعاء، وتم إنشاء أول محفل محلي لهم في صنعاء عام 1961 وعدن عام 1962، والمحفل الوطني الأول والوحيد في اليمن بصنعاء عام 1984 بحسب ناطقهم الرسمي "عبدالله العلفي".

واعترف نظام "عفاش" جُزئياً بهم، وسمح لهم الحصول على وثائق رسمية، وكتابة اسم ديانتهم فيها.

ولديهم مقابرهم الخاصة مثل اليهود تماماً.

المراجع:

1 - محمد علي الخطيب البهائية والاستعمار والصهيونية: علاقة حميمة منذ الولادة، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 491، السنة 43، أغسطس 2006.

2 - ميساء شجاع الدين، كيسي كومبس، عبدالله العلفي، البهائيون في اليمن، مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، 6 يوليو 2021.

3 - بوابات كنانة أونلاين، علاقة البهائية باليهودية، 22 مايو 2006.

4 - مؤسسة تحقيقات حضرت ولي العصر، البهائية، منظمة، صهيونية.

5 - الموسوعة الحرة "ويكيبيديا".

6 - موسوعة المعرفة.

7 - وكالة الأنباء اليمنية سبأ بصنعاء.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

اَلْبَهَائِيَّة وَعَقَائِدِهَا اَلْمَاسُونِيَّة اَلْمَسْمُومَة

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشي

ذو القعدة 1444هـ / يونيو 2023م

البهائية واحدة من صنائع الاستعمار الصليبي بمختلف مسمياته ومراحله التاريخية، وأحد السهام المسمومة للصهيونية والماسونية العالمية، وإحدى أدوات الغزو الفكري القذرة لمحاربة وتشويه الإسلام، وطمس معالم المسلمين، وإضعافهم، وبث الفُرقة والانقسام والبلبلة في أوساطهم، وسلخهم وإبعادهم عن عقيدتهم.

وهي ديانة وضعية مُختلقة تدعي أن لها نبيها وطقوسها ومُعتقداتها الخاصة بها، والمُتأمل في تلك المعتقدات والطقوس يجد أنها مجرد استنساخ شائه لما حفلت به اليهودية الصهيونية والماسونية من هرطقات وسموم استعمارية تضليلية إفسادية، وكلها تندرج تحت مظلة ما يُسمّى بـ "الحرب الناعمة"، وهذه الحرب من أكثر أنواع الحروب قذارة وبشاعة وتدميراً وإفساداً، لأن أسلحتها عادةً ما تكون خفية ومُتسترة بشعارات إنسانية وحقوقية خادعة، وهو ما نحاول الوقوف عليه في هذه القراءة، لتعريف أجيالنا بمدى خطورة هكذا نوع من الجماعات التي باعت نفسها ودينها وأوطانها للشيطان والمستعمرين.

محافل سرية خُنفشارية:

تنتظم البهائية في الدول التي تنتشر فيها تحت مُسمّيات وهيئات ومحافل سرية، وتتخفّى وراء قائمة طويلة من المنظمات التي غالباً ما تُمارس أعمالها تحت عناوين إنسانية وحقوقية براقة، بينما هي مجرد غطاء للتبشير والتجسّس خدمةً للصهيونية والماسونية وقوى الاستعمار الإمبريالي.

بعد هلاك قادتها المُؤسسين، قررت الصهيونية العالمية في العام 1963 تشكيل مجلس إداري أعلى يقودها على مستوى العالم، ويُنظم شؤونها، أسموه "بيت العدل الأعظم" يقع مقره الرئيسي على سفح جبل "الكرمل" في ميناء "حيفا" بفلسطين المُحتلة، يضم 9 أعضاء، يتم انتخابهم كل 5 سنوات، تتبعه مجالس مُنتخبة على المستويات المحلية والوطنية والدولية تُسمى "محافل"، وهذه المجالس تنتخب "بيت العدل"، وهو أعلى سلطة إدارية وروحية ومرجعية عالمية لهذه الفرقة الضالة، ويعتبره أنعام الأتباع هيئة معصومة ومُؤيدة من قبل الله، أُذِن لها بالتّشريع فيما ليس مذكوراً في كتب المدعو

الدعيّ "بهاء الله" وألواحه أو في كتابات ولده الدعي "عبدالبهاء"، وتشريعاته نصوص مُقدسة بحسب زعمهم.

فِرية الألوهية والحلولية:

انفردت البهائية عن غيرها من الأديان الوضعية المنحرفة بادعاء ألوهية الفرد ووحدة الوجود والحلول، وعدم الفصل بين اللاهوت والناسوت، وادعى شيطانها الماسوني النجس "بهاء الله"، حلول الله في بعض خلقه، وتجمُّع الله والرُسل والأنبياء في شخصه، وأنه وسيطٌ بين الناس والخالق، وتجلِّي الله للخلق في هيكله المرئي، وحلوله فيه، وتكلُّمه معهم بلغة بشرية.

وذهب الشيطان البهائي إلى أن الناس عرفت الله من خلاله لأول مرة، وليس من خلال آيات الله المبثوثة في الكون، وأنه من يتولى مهمة محاكمة الخلق يوم التناصف، وأن له كل صفات وأفعال وأسماء الله، وليس لله ذلك، مُتذرِّعاً بأنه لكي يُعرف الله ويراه ويشاهده الناس لا بد من هيكل وجسم يحِلّ ويتجسّد فيه، وبعد التجسُّد تستطيع الحقيقة الإلهية منح هذا الجسد كل صفات الكمال من القدرة والهيمنة ليمارس عمليات الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وبالتالي فظهوره هو ظهور الله، ووجهه وجه الله، ومشيئته مشيئة الله، وإرادته إرادة الله، وجميع صفاته وأسمائه هي بعينها صفات وأسماء الله، ومعرفته هي معرفة الله، وتكذيبه تكذيب لله ذاته، لذا فهو يستحق العبادة دون سواه والعياذ بالله.

وادعى بوضوح لا لبس فيه كما هو مدونٌ في كُتبه بأنه "الله"، وأنه خالق السماوات والأرض، وأن المُهمة الكُبرى لرُسل الله كموسى وعيسى ومحمد هي التبشير بظهور الله في جسده، تماماً كما زعم النصارى في ادعائهم بأن مُهمة الرُسل السابقين لعيسى عليه السلام التبشير بحلول الله في جسد عيسى، ولذلك سمّى البهائي الدجال نفسه "مظهر الله"، واستدل أتباعه على ألوهيته بنفس استدلالات النصارى على ألوهية عيسى، وأدعو أنه ابن الله.

وأنكر حقيقة الملائكة والجن والجنة والنار والبعث والنشور والعذاب والثواب ويوم القيامة والحياة الآخرة بعد الموت، وقال بتناسخ الكائنات، ورأى أن الثواب والعقاب يقع على الأرواح فقط، وفسّر القيامة بظهوره، وادعى أن الحياة الآخرة هي المدة بين نبي الله "محمد" صلى الله عليه وآله وسلم والمسيخ الشيرازي "الباب".

ومن خزعبلات هذه الفرقة المارقة أن الحساب يوم القيامة يكون بالفصل بين المؤمنين بالبهاء الدجال والرافضين له، وعدوا الرافضين له كافرين ومطرودين من رحمته، و"الجنة" هي الحياة الروحية البهائية والإيمان بأن "البهاء" رب السموات والأرض.

وذهبوا إلى أن عجلهم الوحيد القادر على فهم ومعرفة رموز الكتب الإلهية، لعجز أنبياء الله ورُسله عن ذلك، وأي فرية أعظم من هذه، و"أبواب الجنة" هي كِبار أتباع "الباب" الشيرازي، والنار الموت الروحاني، ورؤية الله هي رؤية الجسد الذي حلت فيه روح الله كما أسلفنا، ولقاء الله هو لقاء البهاء، والملائكة هي أئمة البهائية، وملائكة النار المشار اليهم في الآية 30 من سورة المدثر: "عليها تسعة عشر"، هم الـ 19 رجلاً الذين كفروا بالبهاء واتبعوا أخيه غير الشقيق "يحيى صُبح الأزل"، و"الدجال" هو أخيه "يحيى"، وعش رجباً ترى عجباً.

والرد على أكاذيب هذه الفرقة المارقة وتفنيدها مبسوطٌ في كتب علماء المسلمين من سنة وشيعة، وغرضنا هنا هو توضيح أكاذيب هذه الفرقة الشيطانية لا الرد عليها، لكي يعرف الناس مدى خطورتها، ومن يُنكر الله ويُنصِّب نفسه إلهاً للناس من دون الله، ويدّعي رؤية الله ويُجسِّمه ويُشبهه بخلقه ويجعله مجرد موظف عنده والعياذ بالله، فكل أكاذيبه باطلة وساقطة ولا تستحق الرد، لأن في ذلك إعلاءٌ لها ورفع لشان دعِّيها.

أكذوبة النبوة المفتوحة:

لم تكتفِ البهائية بادعاء الربوبية لعجلها النجس، بل ووصل بها الفجور للادعاء بأن رسول الله "محمد بن عبدالله" صلى الله عليه وآله وسلم، ليس خاتم الأنبياء والمرسلين، والإسلام ليس الدين الخاتم، وأنه لا بُد من استمرار ظهورُ الرُسل الإلهيين كل ألف سنة لتعليم البشرية كيفية الاستمرار فيما أسموه "حضارة دائمة التقدم"، ومن

يـدّعِ النبـوة قبـل تمـام الألـف عـام بعد ظهـور "البهـاء" فهـو كـذّابٌ مُفتـرٍ، متجاهلين أن رسـول اللـه محمـد صلى اللـه عليه وآله وسـلم خاتم الأنبياء والمرسـلين، كما بـشّر الأنبياء والمرسـلين مـن قبلـه، ونـصّ اللـه عـلى ذلـك في كتابـه، وأنـه لا نبـي بعـده، وأن الإسـلام الديـن الخاتـم لـكل الأديـان الإلهية، ولا ديـن بعده.

ومـن هرطقاتهـم، إنـكار المُعجـزات التـي أيّـد الله بهـا الأنبيـاء والمُرسـلين، وتخصيصهم نبيهـم الكـذاب وعجلهـم البهـائي بهـا، واعتـبروا ذلك مزيـة تكريميـة، وادعوا بأنـه يُوحى إليـه، وأصبغـوا عليـه صفـة القداسـة والعصمـة، وذهبـوا إلى أن ظهـور شـيخه الخنـزبي "البـاب" الشـيرازي في العـام 1844 كان بدايـة لعـصر جديـد نضـج فيـه الجنـس البـشري روحياً.

وادعـى "بهـاء اللـه" أنـه المسـيح المُخلِّـص الثالـث الـذي ادعـت اليهـود ظهـوره في أخـر الزمـان مـن أولاد داوود عليـه السـلام، ووافـق النصـارى في الإيمـان بصلب المسـيح عيسى بـن مريـم عليـه السـلام، وقـال بنبـوة "بـوذا" و"كونفوشـيوس" و"براهـما" و"زرادشـت" وغيرهـم مـن حكـماء الهنـد والصـين والفـرس.

ومـن المضحـكات أيضـاً ادعـاء "البـاب" أنـه حاجـب المهـدي المُنتظـر والمُوصـل إليـه، ثـم تراجعـه وادعائـه المهدويـة، ثـم النبـوة وأطلـق عـلى نفسـه لقـب "بـاب الديـن"، وزعـم أن الوصـول إلى اللـه لا يكـون إلا مـن بـاب النبـوة، وبعدهـا بفـترة وجيـزة زيّـن لـه شـيطانه الماسـوني ادعـاء مكانـة أرفـع مـن مكانـة الأنبيـاء هـي "الألوهيـة"، وأطلـق على نفسـه لقب "النُقطـة"، وتعنـي انبثـاق الحـق، ورأى أتباعـه أنـه أعظـم وأجلّ مقامـاً من جميع الرُسـل، وأن مـا يُوحـى إليـه مـن ديـن أتـمّ وأكمـل مـن كل وحـي ودين سـابق.

ومـن أكاذيبهـم المجوجـة ادعـاء اسـتمرارية الوحـي بعـد وفـاة رسـول اللـه "محمـد بن عبداللـه" صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم، وإنـكار ختم النبـوة بمحمد صـلى الله عليـه وآله وسـلم، وذهبـوا إلى أن المقصـود بـ "خاتـم النبيـين"، هـو "زينـة وخيـر الأنبيـاء"، كالخاتم يُزِّيـن الإصبـع، وليـس أخـر الأنبياء.

إلغاء الشريعة الإسلامية:

ادعى الدجال "بهاء الله" أن ظهوره ألغى الإسلام والشريعة الإسلامية، وأن كتابه "الأقدس" ناسخ لجميع الكتب السماوية، وأن الكتب السماوية "التوراة، الإنجيل، القرآن" لم يفهم الأنبياء معانيها لضعف عقولهم، وأنه الوحيد الذي فسّرها بصورة صحيحة، وأن الأنبياء أُختصوا بالتنزيل، وهو مُختصٌ بالتأويل، وزعم أن تفاسير العلماء للكتب الإلهية بما فيها القرآن تافهة، باردة، عقيمة، جامدة، بل مُضلة مُبعدة مُفسدة.

وكتابه "الأقدس" مزيجٌ من عقائد ومذاهب ديانات الهند القديمة، والصين، وفارس، واعتقادات الفلاسفة، والماسونية، والصهيونية.

ووصف الدجال "البهائي" المسلمين بـ "الهمج الرعاع"، وادعى أنه وجماعته الموحدون الوحيدون بين الأمم، ومن لم يؤمن بما يؤمنون به فهو مشركٌ، مطرودٌ من رحمته.

واختلقوا عبادات خاصة بهم، منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 - الصلاة:

حددوا 3 صلوات كبرى وصغرى ووسطى بتسع ركعات، كل صلاة 3 ركعات، تتوزع على الصباح والظهر والليل، وأيٍ منها تُغني عن الأخرى، وعلى الفرد اختيار أحدها.

تُؤدى صلاتهم بصورة فردية في البيوت، وقبلتهم ليس مكة المكرمة بل قبر عجلهم "بهاء الله" في "عكا"، يسبقها وضوءٌ بـ "ماء الورد"، وهذا الماء عند المسلمين لا يجوز الوضوء به، لأنه طاهرٌ في نفسه غير مُطهرٍ لغيره، ومن لم يجده فعليه الترديد خمساً "بسم الله الأطهر الأطهر".

وألغوا صلاة الجمعة، وأجازوا الجماعة في صلاة الميت فقط، وغايتهم من إبطال صلاة الجماعة تفريق وتشتيت المسلمين، وهذه واحدة من أهم أهداف الصهيونية العالمية إلى جانب إبعاد المسلمين عن القرآن الكريم وإبطال صلاة الجمعة.

2 - الصوم:

استنوا لهم صياماً خاصاً، ودعوا أتباعهم لصيام 19 يوماً في الشهر الأخير من السنة البهائية، وتحديداً خلال الفترة "2 - 20 مارس"، واختتامه بما أسموه "عيد النوروز"، وهو "العيد الأعلى" لديهم.

والصيام لديهم محصورٌ في الامتناع عن الأكل والشرب فقط من الصباح إلى المغرب، وأباحوا نكاح الزوجات أثناء الصيام.

ويبدأ تقويمهم من عام ظهور "الباب" 1844، وبداية سنتهم الجديدة 21 مارس، وهي مكونة من 19 شهراً، كل منها 19 يوماً.

في اليوم الأول من كل شهر يحتفلون بما يُسمى "عيد التاسع عشر"، ورقم 19 من الأرقام المُقدسة عندهم، وفي الفترة "21 أبريل - 2 مايو" يحتفلون بـ" عيد الرضوان"، وينتخبون خلاله قيادتهم المركزية العالمية "بيت العدل الأعظم"، ولهم 9 أيام مُقدسة، ترتبط بحياة "الباب" و"بهاء الله" و"عبدالبهاء"، يتوقفون فيها عن العمل.

3 - الحج:

حرّموا الحج إلى "مكة" المكرمة، وأوصوا بهدم بيت الله الحرام عند ظهور "المقتدر" من أتباعهم، وأوجبوا الحج إلى المركز العالمي لهم في مدينتي "عكا" و"حيفا" بفلسطين المحتلة، تضم الأولى ضريح "بهاء الله" والثانية ضريح " الباب"، إلى جانب الدار التي وُلد فيها "الباب" بشيراز، والتي نزل بها "البهاء" في العراق، والحج عندهم لمن استطاع، ومتى أراد من أيام السنة.

هدم الأسرة:

لم يُغفل فكرهم الماسوني الشيطاني الأسرة، لأنها أهم لبنة في بناء المجتمعات، وحفظها من منزلقات الرذائل يعني خلق مجتمع فاضل قوي، وهذا لا يتماشَ مع أهداف قوى الاستعمار "الصهيو - ماسوني"، لذا حرص كلبهم الماسوني البهائي على وضع التعليمات الكفيلة بتدمير وتحطيم الأسرة، فأفتى بحرمة زواج الرجل بزوجة الأب، وأباح له ما دون ذلك من أخوات وخالات وعمات، ووصلت به الوقاحة لإجازة زواج الرجل بأم الأم وابنة الأُخت والأخ.

وحرّموا لبس المرأة الحجاب تحت مُبررات ما أنزل الله بها من سلطان، ودعوا للسفور والفجور، وشيوعية النساء والأموال، وإطلاق العلاقات الكاملة بين الجنسين من دون حدودٍ ولا قيود، بما في ذلك إجازة المثلية، واعتبارها تحضُّراً ورُقياً، في مسعى

شيطاني لهدم كل القيم والأخلاق والنواميس، ونقل البشرية لحياة الإباحية البهيمية.

وادعت هذه الطائفة القميئة أن كل شيءٍ طاهرٌ بما في ذلك "ماء النطفة" رحمة من بهائهم الدجال على البرية، ولذا فالاغتسال من الجنابة، والتطهُر من النجاسة المُغلّظة والمُخففة بكل أنواعهما رجس من عمل الشيطان، فمن آمن بالبهائية فقد طهُر حد زعمهم أعماهم الله.

وأجازوا الاستماع للأغاني بأنواعها، وعدّوا ذلك عبادة، واستخدام الذهب كأواني للأكل.

وأباحوا الخمور وأكل لحم الخنزير، وأمروا بإلغاء أصول الذبح الإسلامية.

إلغاء الأديان:

يرى الدجال البهائي أن التمسك بالأديان وعدم تبديل الشرائع مرضٌ عام، ووباء، وأن الاعتقاد بأبدية الشرائع والأديان من المصائب الكُبرى التي أُبتليت بها الأمم الماضية، داعياً لوحدة الأديان والشرائع والإنسانية تحت راية ديانته المزعومة، وهذه واحدةٌ من أبرز أفكار الماسونية العالمية، واليهودية القديمة.

وبعد رحيله نادى ابنه الدجال "عبدالبهاء" بجمع كل الأديان السماوية على أصول نواميس موسى عليه السلام، واتهم المسلمين باضطهاد اليهود وقتل الكثير منهم وإحراق منازلهم ونهب أموالهم وأسر أطفالهم، وادعى أن أباه "بهاء الله" هو المُجدد لدعوة بني إسرائيل والمسيح.

وبالمجمل فالغاية من هكذا تقولات تهيئة الساحة العربية والإسلامية لمخططات استبدال الشريعة الإسلامية بالعلمانية، وجعل الأخيرة ديناً عالمياً.

وقد سمعنا خلال العام 2004 وما صاحبه من تباشير إنجيلية "صهيو - أميركية" بولادة "شرق أوسط جديد" تحت الراية الصهيونية، سُرعان ما تحطمت أحلامهم الشيطانية على صخرة المقاومة اللبنانية، والخطير في تلك المحاولة العبثية ظهور ما أسمته الماسونية العالمية "الفرقان الحق"، وعدّته كتاباً مُقدساً عالمياً تجمع نصوصه "القرآن الكريم، التوراة، الإنجيل"، مصحوباً بادعاءات كذاب البهائية الأشر بأن التوراة

والإنجيل غير محرّفة، وكتبنا عن خطورة ذلك المنحى الشيطاني يومها مقالاً مطولاً في صحيفة "الأمة" المحلية تحت عنوان "الإسلام في قفص الاتهام"، وضحنا فيه كيف انخدع العديد من أبناء الإسلام في المشرق العربي بذلك الكتاب، وخصوصاً في أوساط الطبقات التي تدعي الانفتاح المنفلت، ولم تتورّع يومها بعض صحف دول الخليج العربي عن نشر نصوص ذلك الكتاب المسخ، ولا زال العمل جاري، لجعله واقعاً عالمياً انطلاقاً من المشرق العربي.

هدم الأوطان واللغات القومية:

من أفكارهم المسمومة أيضاً إلغاء فكرة "الأوطان" تحت دعوى فكرة "الوطن العام"، والدعوة إلى وحدة "اللغة"، واستخدام لغة عالمية مُوحدة، تكون "لغة الأمم"، أسموها "النوراء": "يا قلمي الأعلى، بدِّل الفُصحى باللغة النوراء".

وغايتهم من ذلك ترك الناس لغة القرآن الكريم "العربية"، من أجل إضعاف الصلة بين المسلمين و"الأممية"، وهذه واحدة من أهم أهداف ومُخططات الماسونية الخادعة لفصل الأمم عن تراثها وتاريخها وحضارتها، وإلغاء شخصيتها وكينونتها، والقضاء على مقوماتها، وبخاصة الأمة الإسلامية حتى يسهُل على المستعمرين إخضاعها والسيطرة عليها، وصولاً إلى شرعنة الوجود الصهيوني في فلسطين المحتلة، وتقبُّل العرب التعامل معهم كواقع، وتطبيع العلاقات معهم، وجعلهم جُزءاً من المنظومة العربية، وواسطة العقد فيها، ومركز قرارها.

ولهذه الغاية الشيطانية حرص أدعياء البهائية ومُهرطقيها على تحريم الجهاد وإلغاء هذه الفريضة المقدسة، واعتبر كذابها الأعظم "بهاء الله" محو الجهاد من القرآن بشارته الأولى للأمة، وادعى أن العذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصوم والحج والجهاد: "لأن تُقتَلوا خيرٌ من أن تَقتُلوا".

وهدفهم من ذلك تحريم حمل السلاح ضد الكيان الصهيوني الغاصب، والعربدة الأميركية في المشرق العربي، والغزاة والمحتلين والمستعمرين بمختلف ألوانهم ومسمياتهم، والتسليم والطاعة والانقياد للحُكام الظلمة وتحريم الخروج عليهم، وتشويه صورة

الإسلام الحنيف، وبلبلة أفكار المسلمين، وزعزعة عقائدهم، وبث السموم لتوهين الثوابت في نفوسهم.

وفي هذا تأكيدٌ واضحٌ وجليٌ على صلتهم بالصهيونية والماسونية العالمية، وعملهم على تهيئة العالم الإسلامي ليقع تحت سيطرة الاستعمار والاحتلال، وإحلال العلمانية محل الإسلام، والخضوع لكل حاكم ولو كان ظالماً أو مستعمراً أجنبياً، ويلتقون في ذلك مع أقتام القاديانية والوهابية.

لهذا لا عجب من إجماع الأحرار من علماء ومفكري السنة والشيعة على وجوب التصدّي لهذه الفرقة المارقة، والرد عليها، وتفنيد أباطيلها، واعتبارها مُرتدة وخارجة عن رقبة الإسلام، والحكم بنجاستها وضلالها.

المراجـــع:

1 - أحمد عامر متولي عامر، النِحل الوضعية المعاصرة وعلاقتها بالصهيونية "البهائية نموذجاً"، ملف بي دي إف.

2 - أسامة شحادة، البهائية حصان طروادة لإسرائيل، موقع عمون، 14 أبريل 2012.

3 - د. خالد السيوطي، البهائية وعلاقتها بالصهيونية وقيام دولة إسرائيل، مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية، أصفهان، طبعة 2007.

4 - عبدالرحمن الوكيل، البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع - مصر، الطبعة الثانية 1986.

5 - فراس خطيب، البهائية دين بلا سياسة، الأخبار اللبنانية، 26 يوليو 2007.

6 - وليد بدران، ما هي الديانة البهائية ومن هم البهائيون؟، بي بي سي البريطانية، 3 مارس 2018.

7 - المكتبة الشاملة، البابية والبهائية ليسوا مسلمين.

8 - الموسوعة العريقة.

سلسلة إصدارات مركز البحوث والمعلومات

حروب الجيل الخامس والعدوان على اليمن

مركز البحوث والمعلومات
أنس القاضي

يونيــو 2023م

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

مقـــدمة:

يتنـاول البحـث، مسـألة حـروب الجيـل الخامـس، كمفهـوم نظـري حديـث في تحليـل الصراعـات الجيـو سياسـية الراهنـة، وهـو مفهـوم متناسـب مـع وقائـع الحـرب العدوانيـة عـلى اليمـن التـي تنـدرج تحـت هـذا المفهـوم كـما توصـل إليـه البحـث.

تعـرف حـروب الجيـل الخامـس، بأنهـا «حروب بـلا قيود» تهـدف إلى هزيمـة الخصم وتفجـير الدولـة مـن الداخـل بالتركيـز عـلى إثـارة التناقضـات والانقسـامات المجتمعيـة وتعميقهـا. فهـي تسـتهدف المجتمـع بشـكل أسـاسي وليـس القـوات العسـكرية للخصـم، تقـوم باسـتغلال التناقضـات في المجتمـع وتعززهـا وتسـتخدمها في هـدم الدولـة، عـبر المواجهـات العسـكرية وغـير العسـكرية، وبتوظيـف مجـالات الحـروب الاقتصاديـة والماليـة والمعلوماتيـة والنفسـية والفكريـة والبيولوجيـة وغيرهـا.

يسـتنتج مـن تتبـع سـلوك أطـراف تحالـف العـدوان في اليمـن، والتمعـن في الأهـداف التـي يقصفهـا والمجـالات التـي يحـارب بهـا والذرائـع التـي يطلقهـا، أن الحـرب التـي تشـن وتـدور عـلى وفي اليمـن، تنتمـي للجيـل الخامـس مـن الحـروب.

تقـوم حـروب هـذا الجيـل عـلى تحالفـات واسـعة تضـم الـدول والقـوى المسـلحة الفاعلـة غـير النظاميـة سـواء كانـت جماعـات إرهابيـة أو أحـزاب سياسـية أو عصابـات الجريمـة المنظمـة والـشركات الأمنيـة (للمرتزقـة)، وغيرهـا مـن القـوى التـي يجمعهـا هـدف مشـترك يتمثـل في إسـقاط الدولـة ويختلفـون عـلى مـا دون ذلـك، وهـذا مـا يتجـلى في طبيعـة أطـراف تحالـف العـدوان عـلى اليمـن وفي مجـالات الاسـتهداف التـي ينشـطون فيهـا.

اعتمـدت حـروب الجيـل الأول عـلى البنـادق والمدافـع البدائيـة وتصـادم الجيـوش، بينـما الجيـل الثـاني ارتبـط بظهـور معـدات عسـكرية حديثـة، مثـل المدرعـات الثقيلـة، وحـروب الجيـل الثالـث ظهـرت أثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة، بالاسـتناد إلى اسـتمرار التطـور التكنولوجـي، خاصـة ظهـور الدبابـات، وتطـور الطائـرات المقاتلـة والغواصـات، ونظـم الاتصـالات مـما سـاعد عـلى القيـام بـالمناورات العسـكرية بدرجـة لم تكـن معهودة سـابقاً. أمـا حـروب الجيـل الرابـع فتعتمـد عـلى توظيـف أسـلوب حـرب العصابـات،

وظهرت في مرحلة حركة التحرر الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية.

مجالات حروب الجيل الخامس تختلف عما سبقتها، فالجيلان الأول والثاني كان يتم خوضهما في البر والبحر، فيما الجيل الثالث أدى إلى ضم المجال الجوي وكذلك المساحات تحت سطح المياه، بينما أدت حروب الجيل الرابع لانتقال الحرب إلى المجال السياسي بصورة مباشرة (فكل حرب هي امتداد للسياسة عموماً)، بحيث أضحت الحرب ذاتها صراع إرادات سياسية لا مجرد صراع بالقوة المسلحة، أما ميدان حروب الجيل الخامس فهو المجتمع ومؤسسات الدولة.

حروب الجيل الخامس، تجاوزت مجالات الصراع التقليدية، لتكون نوعاً من الحروب غير المقيدة، التي تجمع بين عدة أنواع من الحروب في الوقت ذاته، وهي الحرب الاقتصادية، والسيبرانية، والحرب المعلوماتية، وحروب أسلحة الدمار الشامل، وحروب التضليل والإفساد، وتخريب البيئة بالتزامن مع استخدام المعارك الحربية التقليدية، وحروب الجيل الخامس يمكن شنها على الدول، حتى في حالة عدم وجود صراعات عسكرية عنيفة معلنة بين الدول.

إن أساليب مواجهة هذا النوع من الحروب تتمثل في سياسات الحكم العادل والبناء، حيث تركز حروب الجيل الخامس على المجتمع والدولة، وهو ما يجعل الآلية الأكثر ملائمة في مواجهتها هو تحصين المجتمع، من خلال التركيز على كسب ولاء المواطنين، ومعالجة الإشكاليات المحلية للحواضن الاجتماعية لـ«الإرهابيين» والميليشيات المسلحة المتمردة.

مع وصول البشرية إلى حروب الجيل الخامس من الحروب، فهناك تحولات غير تقليدية في العالم، حيث تراجعت الصراعات بين الدول مقابل تزايد الصرعات الداخلية التي للدول تأثير فيها، كما تزايد التعاون بين الدول والفواعل المسلحة من القوى غير النظامية كالجماعات «الارهابية» والإجرامية والأجنحة المسلحة للأحزاب والمجموعات العرقية والانفصالية، واستغلال الفواعل المسلحة للتطور التكنولوجي واستخدامها المعدات المدنية كمعدات حربية مثل طائرات «الدرونز» المدنية التي تتحول إلى عسكرية أو تفخيخها، بالإضافة إلى تلاشي الخطوط

الفاصلة بين الحرب والسلم فيمكن أن تقوم الحرب في أي وقت ويمكن أن تَشنّ التدخلات وتمارس مجالات الحروب الاقتصادية والأمنية والمعلوماتية على الدول بدون إعلان حرب عسكرية.

حالة الانفلات الأمنية الراهنة وعدم حضور الدولة في المحافظات الواقعة تحت سيطرة المرتزقة لا تدل على فشل تحالف العدوان، بل على نجاح «التحالف» في تحقيق هدف هذا الجيل من الحروب المتمثل في إسقاط الدولة وتجزئتها، ولأن حضور الدولة حاجةً اجتماعية فمن المهم تجسّد الدولة والعدل في المناطق التي تحكم من قبل المجلس السياسي الأعلى حتى تصبح نموذجاً جاذباً ولذلك فإن كل خطوة من العمل المؤسسي داخل جهاز الدولة هو إجراء احترازي يصعّب عملية تفكيك الدولة وانهيارها.

الدولة والمجتمع هما موضوع حروب الجيل خامس، ولهذا ستواجه عملية بناء الدولة اليمنية ممانعة قوية من قوى الفساد المرتبطة بـ«التحالف» وستتكتل تحالفات من هذا النوع لممانعة عملية الإصلاح والبناء، فالهدف الأول للعدوان هو تدمير الدولة.

استهداف المنشآت الصناعية التجارية الزراعية ومختلف المؤسسات التي لها علاقة بعملية الانتاج، نهج مُتعمَّد وليست عملية خاطئة أو عمليات دفعت إليها شبه وجود أسلحة في العاصمة صنعاء.

مشكلة البحث:

هناك إشكالية معرفية تدفع لدراسة نظرية حروب الجيل الخامس، عواملها وسماتها، وكيف تم تطبيقها في اليمن ومدى التناسب بين المعرفة النظرية لحروب الجيل الخامس، وبين التجربة العملية لهذه الحرب التي جرت في الواقع اليمني، ومعرفة الأهداف النهائية للعدوان الأجنبي على اليمن على ضوء نظرية حروب الجيل الخامس، وفي ضوء الممارسة العملية في الحرب العدوانية الراهنة، ورفع توصيات بكيفية صيانة الجبهة الداخلية اليمنية في مواجهة هذه الحرب.

أهمية البحث:

لهذه الدراسة أهميتان رئيسيتان:

- الأولى: أهمية نظرية في معرفة نظرية حرب الجيل الخامس، وسماتها، ومقارنتها بالواقع وبالتالي معرفة منهجية دول «التحالف» في الاستهداف وأهدافها التكتيكية والاستراتيجية على ضوء ممارسته في الواقع.
- الثانية: معرفة تطبيقية حيث إن الحرب مازالت مستمرة والمعرفة النظرية تنتقل إلى التطبيق في معرفة سمات هذه الحرب ومواجهتها وصيانة الجبهة الداخلية.

الفرضية:

تقوم الفرضية على أن دول تحالف العدوان قامت بالإعداد والتهيئة لهذه الحرب بشكل رئيس منذ العام 2011م بتدمير الدولة والمجتمع بما يهيئ الواقع لقبول إمكانية تطبيق هذه النوع من الحروب، وكانت دول تحالف العدوان تدفع في مسار تأجيج الانقسامات الاجتماعية السياسية في اليمن، نحو الحرب، فيما لم تكن مخلصة في رعاية العملية السياسية اليمنية «المبادرة الخليجية» و«مؤتمر الحوار الوطني» و «اتفاق السلم والشراكة»، والتي حسبتها الأطراف اليمنية الوطنية حوارات جدية.

الفترة التاريخية التي يغطيها البحث من مارس 2015م حتى مارس 2022م .

أجيال الحروب:

تمثل مقولة فريدرك انجلز "التكتيك رهن بالتكنيك»، مفتاحاً لفهم الحروب وتطورها من جيل إلى آخر؛ فالتطورات في تكتيكات وأساليب وسمات الحروب تأتي بالتوازي مع تطور التقنية عما كانت عليه في حروب الجيل السابق.

وقد تطورت أهداف الحروب من إبادة جيش الخصم إلى استنزاف موارد الخصم إلى إضعاف إرادته السياسية، وصولاً إلى استهداف المجتمع وانهيار الدولة في حروب الجيل الخامس، وهذا النوع من أجيال الحروب هو الأشدّ توحشاً.

حتى ستينيات القرن الماضي كان تصنيف الحروب تصنيفين حروب كلاسيكية تتواجه فيها جيوش نظامية فيما بينها، وحروب عصابات تتحارب فيها قوى شعبية مسلحة ضد جيش احتلال أو جماهير ثورية ضد الجيش النظامي للسلطة الحاكمة في الدولة التي ينتمون إليها، وهذه الأنواع من الحروب تغيرت أشكالها ووسائلها.

يبرر الكُتّاب الذين نظّروا لنظرية الجيل الأربعة للحرب بأن ابتدائهم بعام 1648م أنه العام الذي تحولت فيه أوروبا إلى نُظم الدولة الحديثة التي تحترم فيه كل دولة حدود جارتها، وتمتنع عن التدخل في شؤونها الداخلية.[1]

الجيل الأول تميز بارتداء زيّ موحّد, لباس يراعي الاعتبارات الجمالية التي توصل فكرة أن هذه الدول صاحبة هذا الجيش أغنى وقادرة على تجهيز جنودها وإعطائهم مستوى أفضل من الدعم، اعتمد هذا الجيل من الحروب على استخدام البنادق والمدافع البدائية حيث كان الخصوم يحشدون عدداً كبيراً من القوات في شكل صفوف لتوجيه النيران بكثافة على امتداد ميدان المعركة وتمثل الهدف الرئيسي للحرب في تحقيق انتصار عسكري حاسم من أول مواجهة.

ومثال ذلك الحروب النابليونية في أوائل القرن التاسع عشر وتتمثل أهمية هذا الجيل من الحروب في أنه ساهم في غرس ثقافة لنظام الانضباط في الجيوش، إلا أنه مع تطوّر الأسلحة والمعدات العسكرية أصبحت تكتيكات الصفوف غير مجدية وانتحارية، وفي هذه الحروب كان الزيّ يُعطي أيضاً ميزة التفريق بين العنصر العسكري المستهدَف وبين المدني الذي يرتدي الملابس العادية.[2]

حروب الجيل الثاني:

أدى التطور التكنلوجي وتوافر قوة نيران أشد كثافة في ميدان المعركة وانتشار البنادق الآلية والمدرعات الثقيلة إلى التراجع عن تكتيكات حشد عدد كبير من

(1) إيميل خوري، «**صراعات الجيل الخامس**»، (بيروت: شركة المطبوعات، ط1 2016م)، ص 32
(2) مصدر سابق

القوات في ميدان المعركة والاعتماد على الخنادق بدلاً من ذلك، فقد كان الهدف الرئيسي من الحرب هو الاستنزاف، حيث اعتمدت حروب هذا الجيل على تكثيف قوة إطلاق النار باستعمال المدفعية بحيث تتمكن من تدمير مواقع العدو المنتظمة قبل مواجهته.

كما اعتمد هذا الجيل من الحروب على التنسيق الدقيق بين الأسلحة والوحدات العسكرية، ويعد التطور التكنولوجي هو العامل الحاسم في الجيل الثاني من الحروب حيث ارتبط هذا النمط من الحرب بظهور معدات عسكرية حديثة كالمدرعات الثقيلة والطائرات المقتلة، فضلاً عن الاستفادة من الاقتصاد الصناعي الأوروبي لإنتاج العتاد العسكري بكميات ضخمة، لم تكن متوفرة في حروب الأجيال السابقة.[3]

حروب الجيل الثالث:

ظهر هذا الجيل من الحروب بعد الحرب العالمية الثانية مع قيام الألمان بتطبيق نمط "الحرب الخاطفة"، وتعتمد حروب هذا الجيل على عنصر المفاجأة والسرعة والتشويش الذهني، وذلك من خلال الضربة الاستباقية التي تشل حركة الخصم وتقوّض أركانه.

ساهم في ظهور هذا الجيل من الحرب عاملان أساسيان أولهما استمرار التطور التكنلوجي خاصة ظهور الدبابات بالإضافة إلى ظهور الطائرات المقاتلة ونظم الاتصالات، مما ساعد على القيام بالمناورة العسكرية وسمح بالتنسيق الأفضل بين نيران القوات البرية والجوية، وقد ساعدت هذه التكتيكات في إعطاء فرصة للجيوش الأقل عدداً في تحقيق التفوّق على جيوش أكبر وأكثر تسليحا كالانتصار الساحق للألمان على الفرنسيين 1940م.

أما العامل الثاني فقد تمثل في ظهور المبادرة في الميدان واستخدام تكتيكات غير اعتيادية نظراً لإدراك الألمان بأنهم لا يستطيعون الفوز بالاستناد على العتاد

(3) مصدر سابق

العسكري فقط لضعف قوتهم الاقتصادية مقارنة بالدول الأوربية الأخرى، فاعتمدوا أساليب المناورة بدلاً من الاستنزاف من خلال الالتفاف على قوات العدو وتحقيق اختراق عميق لدفاعاته وقطع خطوط امداداته وتدمير مراكزه القيادية والإدارية وبالتالي هزيمته. وفي هذا الجيل من الحروب تراجعت ثقافة الانضباط وأصبحت المبادرة وليس الطاعة هي الأهم وأضحى قادة الجيش مطالبين بتحقيق نتائج ايجابية بغض النظر عن التكتيكات ولهذا أُسميت هذه الحرب باللامركزية على عكس الجيلين الأولين.[4]

حروب الجيل الرابع:

تعود بداية هذا النوع من الحروب إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية بفترة طويلة كما في الحرب الأهلية الأمريكية والحرب الروسية اليابانية، وكان ماوتسي تونغ زعيم الثورة الصينية أول من نَظر وقام بالتطبيق الميداني الناجح لحروب هذا الجيل.

حدد "ماوتسي تونغ" ثلاث مراحل ضرورية لنجاح حركة التمرد، وهي بناء الدعم السياسي لحركة التمرد حيث تقتصر العمليات العسكرية في هذه المرحلة على الاغتيالات السياسية التي تصاحبها حملات دعائية من أجل دعم الشعب لحركة التمرد، وتبدأ المرحلة الثانية مع زيادة قوة حركة التمرد حيث تشرع خلالها في السيطرة على بعض المناطق المتنازع عليها وحكمها، وتتمثل المرحلة الثالثة في التحول إلى جيش نظامي والسعي لإسقاط الحكومة المعادية، وقد كان ماوتسي تونغ أول من رأى أن الحصول على القوة السياسية يعد شيئاً ضرورياً من أجل نجاح حركة التمرد.[5]

تعتمد حروب الجيل الرابع على توظيف أسلوب حرب العصابات لإقناع صانع القرار السياسي للخصم أن الأهداف الاستراتيجية التي يسعى لها لا يمكن تحقيقها

(4) شادي عبد الوهاب منصر، «حروب الجيل الخامس»، (القاهرة: العربية للتوزيع والنشر. ط1 2019م) ص 26
(5) مصدر سابق ص 28

أو أنها مكلفة للغاية مقارنة بالعوائد المتوقعة من ورائها، ويرتبط ذلك بتنظيم حملات إعلامية سياسية كثيفة للتأثير على نخبة صناع القرار في الدولة المعادية، وتتمثل أبرز سمات حروب الجيل الرابع في الامتداد الزمني الذي قد يمتد لسنوات وفي بعض الأحيان لعقود طويلة.

كما تمثل الأبعاد السياسية محوراً هاماً في حروب هذا الجيل، فالهدف من الحرب ليس الهزيمة التقليدية لجيش الخصم ولكن تحقيق نصر سياسي عليه من خلال كسر إرادته ورفع تكلفة استمرار الحرب.

ويصعب في حروب هذا الجيل الفصل بين القوات العسكرية والمدنيين وبالتالي تغييب المعالم البارزة لأرض المعركة، مما يساهم في تعدد البؤر الساخنة، ويعمل هذا النوع من أجيال الحروب على حرب المعلومات وتوظيف الوسائل الإعلامية للحد من الدعم الشعبي للحكومة الطرف الآخر في النزاع، وكذلك تعدد ساحات القتال، إذ لا توجد معالم واضحة لأرض المعركة، وهذه السمة من حروب هذا الجيل انتقلت إلى الجيل التالي (الخامس) وباتت من سمته البارزة.

لا تقتصر الحرب على أطرافها المباشرة فقد تقْدُم دولة على دعم فواعل مسلحة من غير الدولة ودعم الدولة وجماعة تخوض الحرب بهدف تحقيق أغراض سياسية تتمثل في إطالة أمد الحرب واستنزاف الخصم.

حرب العصابات في حقبة التحرر الوطنية في فيتنام ضد المستعمر الفرنسي بداية (1945م) في كوبا(1953م) والجزائر(1954م) وجنوب اليمن(1963م) أطلقت شرارة حروب الجيل الرابع، إلا أن مفهوم حروب الجيل الربع، ليس محصوراً على حروب التحرر الوطنية غير المتكافئة التي تواجه فيها دولة استعمارية شعباً مسلحاً تسليحاً بسيطاً، بل يدخل ضمنها التمرد على سلطة استعمارية كما حدث في العراق والصومال، وكذلك حروب الجماعات الارهابية كتجربة تنظيم «القاعدة» في أفغانستان و»داعش" في العراق وسوريا، وهذه السمة أي اشتراك الجماعات الارهابية في الحرب انتقلت إلى الجيل التالي، وباتت الجماعات الإرهابية من أبرز سمات حروب الجيل الخامس.

عوامل ظهور حروب الجيل الخامس والعوامل المساعدة على إثارتها

دور العولمة الإمبريالية:

إن حروب الجيل الخامس بما هي عليه من ظاهرة اجتماعية يكمن في التاريخ معرفة سر ظهورها وأسباب صعودها كالحروب التي سبقتها. ظهرت أولى اشكال هذا الجيل من الحروب وتطورت من بعد انهيار المعسكر الاشتراكي، مع سيادة المعسكر الرأسمالي كقطب واحد مهيمن على العالم، عمل على فرض رؤيته السياسية والاقتصادية والثقافية.

رغم أن التكنولوجيا وكما في الأجيال السابقة كان لها الدور الكبير في ظهور أجيال جديدة من الحروب فإن الجديد في هذا الجيل أن التكنولوجيا السلمية أصبحت من أدوات الحرب؛ فالتكنولوجيا لوحدها ليست من ولدت هذا الجيل من الحروب كما يعتقد المنظرون الغربيون، بل الاستخدام العسكري للتكنلوجيا المدنية، وهذا الاستخدام العسكري للأدوات المدنية فرضه وضع تاريخي يتسم بالعدوانية والهيمنة الغربية واحتكارها صناعة السلاح وتجارته وانسداد الآفاق أمام الشعوب المضطهدة.

إن الجوهر الذي أنتج هذا النوع من الحروب هو الوضع العالمي المميز بالهيمنة الامبريالية الغربية وبقية العوامل هي متممة لهذا العامل الرئيسي، أما الأهم فهو التراجع في احتكار الدولة للقوة العسكرية، وظهور فواعل مسلحة من غير الدول قادرة على شن الحرب، مثل التنظيمات "الإرهابية" الاستخباراتية وعصابات الجريمة المنظمة، وتزايد الترابط بين المشكلات الاقتصادية والتهديدات الأمنية، إلى جانب صعود الولاءات البديلة؛ وهي اتجاه بعض الأفراد لنقل ولائهم من الدولة إلى الولاء لأحزاب أو لقضايا معينة أو عصبيات، وتسارع التطورات التكنولوجية، خاصة في مجالات الذكاء الاصطناعي وتكنولوجيا النانو.

أنتجت الامبريالية هذا الجيل من الحروب عبر أمرين:

- الأول: هو إقدام الولايات المتحدة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي "الناتو" على شن حروب على دول مستقلة بعيداً عن «الشرعية الدولية» والأمم

المتحدة ومجلس الأمن إمعاناً في تكريس العدوانية التي لا تجد ما يكبحها وتشكيل الائتلافات في هذه الحروب العدوانية بما فيها الائتلافات التي تلعب فيها دول وجماعات دور الجندي والتابع للولايات المتحدة.

- العامل الثاني: هو أن السيطرة الامبريالية المتوحشة أفقرت بلدان جنوب الكرة الأرضية هذا الفقر الاقتصادي والأوضاع الاجتماعية البائسة والاضطهاد القومي والثقافي أوجد صنفين من الحركات المتمردة.
- الصنف الأول: هي الجماعات الارهابية والإجرامية والفاشية المختلفة وعصابات القرصنة والتهريب.
- الصنف الثاني: هو حركات المقاومة والتحرر الوطنية الإسلامية والقومية والاشتراكية.

وهذان الصنفان من التمرد العقلاني المشروع الثوري الوطني والنوع الآخر غير المشروع "الإرهابي" والإجرامي الاستخباراتي، أصبحا من سمات حروب الجيل الخامس.

يرتبط بالعوامل الإمبريالية في ظهور هذا النوع من الحروب، النشاط الواسع لشركات المرتزقة العالمية، وخاصة بعد حل وتفكيك الجيوش وخصخصتها.

إن الإمبريالية في سيطرتها المتوحشة هي السبب الرئيسي في ظهور هذا النوع من الحروب بما تولده من حالة افقار وتهميش وتغريب إلا أن هناك عوامل داخلية تولدها ممارسات السلطة الاستبدادية التي تجعل من المجتمع بيئة خصبة لهذا الجيل من الحروب.

ومن هذه العوامل الداخلية الاستبداد والدكتاتورية وقلة الوعي بأهمية الشراكة المجتمعية وتخوين كل ناقد ومعارض للسلطة الحاكمة والتصرف وفق نظرية المؤامرة بشكل مبالغ فيه، واعتبار كل ما هو أجنبي شرّ وخطر مستطير، واستناد الأنظمة إلى دول أجنبية وتجاهلها دور الشعب وهو الأمر الذي يدفع بالمعارضة البرجماتية والانتهازية والغير وطنية للاستعانة بدول أخرى لنصرة مشاريعها السياسية وعدم تفريق المعارضة بين السلطة الحاكمة وبين مؤسسات الدولة.

العقيد المتقاعد في البحرية الأمريكية والكاتب العسكري "توماس إكس هاميس"[6] الذي يعد واحداً من أبرز من نظّروا عن حروب الجيل الخامس يتحدث عن مسألة أهمية دراسة المتغيرات في العالم التي جعلت من الحتمي الوصول إلى هذا الجيل من الحروب.

بالنظر إلى حقيقة أن حروب الجيل الرابع كانت هي الشكل السائد للحرب لأكثر من 50 عاماً، فقد حان وقت ظهور الجيل الخامس، يجب أن نكون قادرين على الحصول على فكرة عما سيكون عليه هذا الشكل الجديد من الحرب من خلال دراسة كيف تغيرت النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ أن أصبحت 4GW هي المهيمنة[7].

تشير الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى ظهور أفراد يتمتعون بسلطة فائقة أو مجموعات صغيرة مرتبطة ببعضها البعض بالولاء لقضية بدلاً من أمة وباستخدام التكنولوجيا الناشئة، فهي قادرة على توليد القوة التدميرية التي كانت تتطلب موارد الدولة القومية.

ووفق ما يرى العقيد توماس، بالاعتماد على التغيرات في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتقنية تطورت أجيال الحروب، ففي حروب الجيل الأول لعبت القوة العاملة (الجنود) الدور الأبرز في المعركة، وفي حروب الجيل الثاني التطور الصناعي جعل القوة النارية هي المهيمنة في الحرب، بعد ذلك عملت التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية من العصر الصناعي إلى عصر الميكانيكي على جعل الآلة في الحرب هي المسيطرة كما في حروب الجيل الثالث، في حروب الرابع استخدمت لتطورات الميكانيكية مع المعلومات لزيادة قوة التمرد، فيما ستنجم حرب الجيل الخامس عن التحول المستمر للولاءات السياسية والاجتماعية

(6) العقيد توماس إكس هاميس ، USMC ، متقاعد ، كاتب ومعلق معروف في الشؤون العسكرية. وهو حاصل على درجة البكالوريوس من أكاديمية الولايات المتحدة البحرية، وماجستير من جامعة أكسفورد، وهو خريج كلية القيادة والأركان في مشاة البحرية وكلية الدفاع الوطني الكندية.

(7) مركز دراسات الحروب «العقيد توماس. X. Hammes تطور الجيل الرابع من الحرب ، يخرج الخامس»، (25 أغسطس 2016م) متوفر على الرابط: http://www.da-ic.org

إلى القضايا وليس الأمم، وسوف يتسم بالقوة المتزايدة للكيانات الأصغر والأصغر وانفجار التكنولوجيا الحيوية.

تراجع احتكار القوة

ترتبط بداية الجيل الخامس من الحروب بتراجع احتكار الدولة لاستخدام القوة المسلحة، وظهور فواعل مسلحة غير حكومية قادرة على شن الحرب، مثل التنظيمات الارهابية وعصابات الجريمة المنظمة، وتعتمد تلك الجماعات على القيادة الفردية أكثر من اعتمادها على العامل المؤسسي.

فلم تصبح الدولة فقط هي صاحبة قرار الحرب بل باتت جماعات محدودة العدد - من الأفراد المتجانسين فكرياً - قادرة على اتخاذ قرار خوض الحرب كحركة داعش وغيرها. وفي ذات الوقت يصير الأمر صعباً بالنسبة للدول في تحقيق الانتصار إذا ما اعلنت الحرب على هذا النوع من التنظيمات.

تداخل أدوات الحرب

تزايد الترابط بين المشكلات الاقتصادية والتهديدات الأمنية نتيجة زيادة الاعتماد المتبادل في الاقتصاد الدولي الذي جعل من بعض القضايا الاقتصادية مثل انقطاع وقف انتاج السلع الاساسية مصدر تهديد للأمن الوطني والقومي للدول.

ظهور الولاءات البديلة

أدت العولمة وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات إلى اتجاه بعض الأفراد لنقل ولائهم من الدولة إلى الولاء لقضايا معينة وعصبية وصار العديد منهم أكثر ارتباطاً بما تتم إثارته على شبكة الانترنت على حساب الاهتمام بالمشكلات الحقيقية المجتمعية، ويتمثل مصدر التهديد في أن بعضهم أصبح مستعداً للتطرّف واستخدام العنف كوسيلة للتعبير عن الرأي حتى دون التقدير المنطقي لعواقب أفعاله.

إن التطور المتسارع في مضمون وطريقة تبادل المعلومات مكّن الجماعات الإرهابية من تنفيذ حملات إعلامية مدروسة تستخدم أنماطاً جديدة من أدوات الاتصال مثل وسائل التوصل الاجتماعي والهواتف النقالة والانترنت بغرض التجنيد والتدريب والاتصال والتعليم واستقطاب أعضاء جدد.

تسارع التطورات التكنلوجية

أدت التطورات التكنلوجية خاصة في مجالات الذكاء الاصطناعي والتصنيع بالإضافة تكنلوجيا النانو إلى زيادة قدرة الفواعل المسلحة من غير الدول والأفراد العاديين على امتلاك الأدوات اللازمة لشن لحروب وعلى الرغم من أن هذه التقنيات التكنلوجية تكون مكلفة في بدايتها فإنها مع مرور الوقت تصبح رخيصة وتكون متاحة للاستخدامات التجارية على نطاق واسع، وهو ما يجعلها متوفرة من أيدي عدد أكبر من الأشخاص ويتم توظيفها في شن الحروب وإحداث قدر كبير من الدمار.

الدرونز

أصبحت الطائرات من دون طيار «درون» أهم الأسلحة المستخدمة في الحروب الحديثة (حروب الجيل الخامس)، لتحقيق إصابات مباشرة عن بعد من دون تعريض الجنود للخطر. ويمكنها التحليق المرتفع من عدم معرفة الهدف بأنه هو المستهدف. كما أن تعرضها للإصابة لن يكون مكلفاً اقتصادياً.

تعود فكرة الطائرات بدون طيار إلى الحرب العالمية الأولى، إلا أن المخططات الفعلية الناجحة انتجت عن طريق «كريم ابراهيم» المهندس في سلاح الجو الصهيوني، وقد اهتمت بها الإدارة الأمريكية من بعد أحداث 11 من سبتمبر 2001م، وكانت عملية اغتيال الحارثي في اليمن 2002م أول عملية ناجحة -معلنة- للطيران المسيّر الأمريكي.

يشهد العالم تنافس حول هذا النوع من الطيران المستخدم بشكل أكبر في

«الجيل الخامس من الحروب» -في العصر الراهن- وفيما تتربع الولايات المتحدة الأمريكية المرتبة الأولى في إنتاج هذا النوع من الطيران تعد اسرائيل المنتج الثاني، فيما الصين هي المنتج الثالث وفي حالة منافسة مع إسرائيل وأمريكا.

بعد أن كان الخليج حكراً على السلاح الأمريكي فإن الصين دخلت في السوق وباعت الإمارات طائرات «درون» مقاتله، والكلفة الرخيصة للطيران الصيني المسير تجعل دخولها إلى سوق الدرون مشجعا إلا أن الطيران الصيني لا يملك القدرة على الارتباط بالقمر الصناعي، والصين تعمل على تطوير إحدى طائراتها لتلبي الخدمة.

هناك نوعين من الطيران المسير، التحكم عن بعد وذاتية التشغيل (ذكاء اصطناعي روبوتي)، ومستقبل الدرون يتجه إلى ثلاثة مسارات، التحليق على ارتفاعات ستة كيلومترات فستكون قادرة على إعطاء صورة بقطر 3000 كيلومتر وأكثر. والقتال في الحروب، والتجسس بواسطة الطائرات مصغرة الحجم بعضها بحجم كف اليد وأصغر، على شكل عصافير وحشرات مثلاً، فيما تتمتع بمرونة كبرى لجمع المعلومات، وستستطيع هذه الطائرات التحليق لأسابيع وربما أشهر.

يُتوقّع أن يتجاوز مجموع الإنفاق العالمي على أبحاث وصناعة الطائرات بدون طيار ٩٤ مليار دولار، بين عامي ٢٠١١م و٢٠٢٠م. وتجدر الإشارة إلى أن موازنة «الدرون» هي الموازنة الوحيدة في الدفاع الأمريكي التي لم يتم تخفيضها، كما خصص الكونجرس في موازنة 2017م ما يقارب الأربعة مليارات دولار لتطوير «درون».[8]

باتت اليوم دول وحركات سياسية وعقائدية مسلحة تمتلك هذا النوع من السلاح بالرغم من أنها لازالت تعتبر انتاجاتها لهذا النوع متواضعاً إلا أنها تتقدم في مستويات تطويرها بشكل حثيث ومتسارع كإيران وباكستان وحزب الله والقوات المسلحة اليمنية كما ظهرت «ألوية الوعد الحق-أبناء الجزيرة العربية» كفصيل مقاوم يملك هذه التقنية.

(8) الجزيرة نت، «اقتلهم ولا تعتقلهم.. القصة المدهشة للدرونز الأميركية المسكة بأطراف الأرض»، (17 يوليو 2021م)،متوفر على الرابط: https://www.aljazeera.net/

تبرز الكثير من التحذيرات حول إمكانية تحويل الدرون المدني التجاري إلى درون مسلح من قبل أي جماعات سياسية أو متطرفة تستخدمها في الاغتيالات أو الإرهاب حيث تشكل طائرات الدرون خطراً أمنياً محتملاً على كثير من المنشآت، بما في ذلك المطارات والسجون ومرافق الطاقة والمكاتب الحكومية، والقواعد العسكرية.

سمات حروب الجيل الخامس ومظاهرها في العدوان على اليمن

كما في الظواهر الطبيعية، كذلك في الظواهر الاجتماعية لا يوجد نفي عدمي بين جيل وجيل وطور وطور، حيث يقوم قانون «نفي النفي» الجدلي، على أن كل مادة وظاهرة حين تنتقل إلى طور أعلى تأخذ من الطور السابق السمات والخصائص التي مازالت فاعلة، وتنفي السمات والخصائص التي لم تعد فاعلة.

وإذا كانت الظواهر الطبيعة محكومة بروابط شرطية، ففي الظواهر الاجتماعية هناك متاح نسبي للتمرد على القانون، فبمقدور الإرادة البشرية اليوم أن تعود إلى ممارسات كانت ملازمة لنظم اجتماعية قد اندثرت، كملكية العبيد الرقيق في نظام الرأسمالي، وكالالتزام بالانضباط العسكري والتقاء صفوف الخصوم وجهاً لوجه المميز للجيل الأول من الحرب، في عصر الدرونز والأسلحة النووية والقوات الخاصة.

لذلك فحروب الجيل الخامس ينطبق عليها قانون نفي النفي "الديالكتيكي"، فهذا الجيل الجديد من الحروب لا يمثل قطيعة تامة مع الأجيال السابقة بل امتداداً متطوراً لها، وسمات هذا الجيل من الحروب، هي ذاتها سمات الجيل الرابع للحروب مضاف إليها سمات جديدة، أي أن سمات الجيل الرابع للحرب طاغية على الجيل الخامس من الحروب، إلا أن حروب هذا الجيل الجديد لها سمات خاصة جديدة لم تكن موجودة من قبل كالشركات الأمنية التي لم تكن موجودة في حروب الجيل الأول والثاني والثالث وكانعدام المؤسسية للفواعل المسلحة أي في التقاء وتعاون أطراف وجماعات محلية ودولية لا يجمعها سوى العِداء لهذه الدولة وغاية هدمها.

في الجيل الخامس من الحروب هناك إضافات على سمات حروب الأجيال السابقة؛ فعلى سبيل المثال حرب العصابات التي هي من سمات الجيل الرابع للحروب مازالت موجودة في الجيل الخامس بل ومن سمات حروب الجيل الخامس، إن حروب العصابات في هذا الجيل طورت من طبيعتها وأساليبها عما كانت عليه في الجيل الرابع، وأصبحت -على سبيل المثال- ذات قدرة أكبر على

اتخاذ القرار لا مركزياً ومستخدمة أسلحة متطورة كطائرات الدرونز بما فيها من قدرة على استخدامها أسلحة كيماوية وبيولوجية كما عملت عصابات داعش في سوريا، كما طورت العصابات من وسائل اتصالها ورسالتها، فعلى سبيل المثال كانت الدعاية الحربية السياسية في حروب الجيل الخامس كما في التجربتين الفيتنامية أو الماوية كانت هذه الرسالة موجهة نحو المجتمع ككل لجذب الدعم السياسي، أما في هذا الجيل فإن العصابات وخاصة الداعشية الإرهابية أصبحت عبر وسائل التواصل الاجتماعية توجه خطابها نحو الاستقطاب الفردي لأشخاص وفئات معينة، وبناء على ما سبق فإن سمات الجيل الرابع هي السائدة في الجيل الخامس لكنها متطورة وفي حالة حركة وقادرة على التطور بشكل أسرع تحت ضغط الحاجة العملية وبالتوازي مع التطورات التقنية وتوحش نظام العولمة الرأسمالية الاحتكارية العدوانية الامبريالية.

دخلت دول التحالف في الحرب على اليمن مستفيدة من خبرتها في الاشتراك في حروب الجيل الخامس والتخطيط لها ودعمها وتأليف أطرافها وتحفيز العوامل الاجتماعية التي تساعد على انتشارها، وهي خبرة طويلة تجسدت في أفغانستان والعراق وليبيا وسوريا، وقبل ذلك مارسها الغرب ضد روسيا ودول المعسكر الشرقي سابقاً، وضد الحكومات والأحزاب اليسارية في دول أمريكا اللاتينية، وكان أبرزها عصابات «الكونترا" اليمينية الفاشية.

تعد حروب الجيل الخامس حروباً دون قيود، تستخدم فيها مختلف الوسائل لإجبار الخصم على الخضوع، وتتمثل أهم هذه لوسائل في تأسيس تحالفات شبكية تضم الدول والفواعل المسلحة (القوى العسكرية غير الحكومية المؤثرة)، وتقوم هذه التحالفات على المصالح المشتركة وليس التحالفات الأيديولوجية أو الوطنية وغالباً ما تكون هذه المصالح المشتركة هي الهدم مع اختلافات جذرية في مستقبل هذه الدول بعد الهدم وهوية النظام الجديد الذي سيُبنى ومن سيقوم بعملية البناء، فهذا الجيل من الحروب من أخطر أجيال الحروب وأكثرها وحشية، وسمات حروب الجيل الخامس التي تمظهرت في الحرب العدوانية على اليمن هي كالتالي:

انتشار المناطق الرمادية:

أ- رمادية الفواعل الدولية:

يقصد بالمناطق الرمادية التفاعلات التنافسية بين وداخل الفواعل من الدول وغير الدول، أي القوى الدولية والإقليمية والمحلية التي لها دور فاعل في الحرب (متفاوت)، وتضع نفسها في الوسط بين «ثنائية الحرب والسلام»، فتتسم حروب هذا الجيل بنوع من الغموض حول طبيعة الصراع التي تختلف في توجهات الأطراف المنخرطة فيه وحول مدى انخراط طرف عن طرف ومدى تأثيره، وعدم اليقين حيال السياسة المناسبة اتباعها تجاه هذه الدولة أو هذا الطرف أو هذه الجماعة.

في الحرب الدائرة في اليمن، هناك مناطق رمادية عديدة، وعلى سبيل المثال فإن المملكة المتحدة البريطانية تضع نفسها في منطقة رمادية، رغم أنها فاعلة في الحرب على اليمن، فبريطانيا تقدم نفسها كوسيط للحل فيما هي تبيع السلاح للمملكة السعودية، وتشارك قوات خاصة بريطانية بجانب السعودية ضد اليمن، وفيما تؤكد بأن الحل في اليمن سلمي تعبر عن تأييدها لما تقوم به السعودية من حرب في اليمن وتعتبره «دفاع السعودية عن نفسها»، وفيما الطرف الوطني اليمني يعتبر بريطانيا متورطة في الحرب على اليمن وخصماً رئيسياً إلا أن موقع بريطانيا يعد رمادياً من وجهة نظر المجتمع الدولي والقوى الداخلية البريطانية.

من جهتها فإن إيران في منطقة رمادية، فالطرف الأمريكي والسعودي يرى أنها فاعلة في اليمن بجانب القوى الوطنية، فيما إيران تنفي ذلك، وحتى في مسألة السلاح الباليستي الذي يستخدمه اليمنيون في مواجهة العدوان فالتقارير الدولية لم تستطع الجزم بأنه إيراني، ورغم أن دول التحالف لم تجد مؤشراً يدل على حضور إيراني واضح في النزاع اليمني إلا أن هذه الدول على قناعة بأن إيران فاعلة بشكل ما.

وكما نرى فإن المنطقة الرمادية متفاوتة أيضاً ففي الحالة البريطانية هناك شواهد مادية تؤكد مشاركتها في الحرب ضد اليمن بجانب التحالف إلا أنها مازالت

في المنطقة الرمادية بنظر العالم وربما مستقبلاً تزداد الشواهد وتتراكم إلى درجة تخرج بريطانيا من المنطقة الرمادية، كما خرجت أمريكا من المنطقة الرمادية وأصبحت تُعرف كطرف مشارك في الحرب وفقاً لانحيازها العلني ولتقارير ومواقف الإعلام الأمريكي والمشرعين الأمريكيين. إيران هي الأخرى مازالت في المنطقة الرمادية رغم أنه لم توجد شواهد ملموسة على تدخلها في اليمن وطهران تجدد كل مرة نفي الاتهامات.

ب- رمادية الفواعل المحلية:

الرمادية موجودة على مستوى الأطراف المحلية وعلى مستوى المكونات الداخلية لكل طرف، وسبب الرمادية هو وجود حالة من الانقسامات داخل القوى السياسية ذاتها وتباين مواقف قواعدها مع بياناتها الرسمية أو مواقف هيئاتها المركزية مع فروعها المحلية.

منذ اليوم الأول للحرب على اليمن اصطف التجمع اليمني للإصلاح وأيّد «عاصفة الحزم»، ومن بعد فتنة ديسمبر تحَدّد موقف المؤتمر الشعبي العام في موقف مؤتمر الداخل الوطني ضد العدوان ومؤتمر الخارج المؤيد للعدوان، وعلى عكس الموقف الرسمي للإصلاح، والفرز الواضح دخل المؤتمر الشعبي العام، فإن الحزب الاشتراكي اليمني والتنظيم الوحدوي الشعبي الناصري، يدخلون ضمن المناطق الرمادية، الحزبان بشكل رسمي أصدرا بيانات ضد التدخل العسكري «عاصفة الحزم» وفي موقف الحياد، ولكن في واقع الممارسة العملية هما فاعلان -بنسبة معينة-في الحرب، ويصعب تحديد مناطقهما بالضبط، فرغم أن الموقف الرسمي والمركزي لهما هو الحياد إلا أن الفروع المحلية للحزبين في بعض المحافظات اشتركت بطريقة مباشرة في الحرب بجانب مختلف الأطراف، وهذا الغموض في الموقف والرمادية التي هي من سمات حروب الجيل الخامس تجعل من الصَعب تحديد الأطراف الفاعلة وتعريفها بشكل نهائي وتصعّب من طريقة التفاعل السياسي والأمني معها.

ج- الرمادية بين العسكري والمدني:

في حرب الجيل الخامس تداخلت الحدود بين ما هو مدني وما هو عسكري، مما جعل هذا الجيل من الحروب هو الأكثر وحشية وضرراً بالمدنيين، فلا يوجد تحديد تام بين ما يعد فعلاً حربياً وإجرامياً وما يعد فعلاً مدنياً ومشروعاً، وبين من يعد محارب ومن هو مدني، وبين ما تعد أرضاً للمعركة والمناطق المدنية المحمية بموجب القانون الدولي الإنساني، وبين ما يعد سلاحاً وما هو أداة مدنية.

في التجربة "داعش" في العراق وسوريا أثبتت التنظيمات الارهابية قدرتها على الاستفادة من الأدوات المدنية وتحويلها إلى أسلحة كتفخيخ طائرات الدرونز، وعلى شن الحروب المعلوماتية واستخدام تقنية التصوير والإخراج "الهوليودية" في إرهاب المشاهد واستقطاب الشباب منه، كما أن أحداث 11 سبتمبر 2002م -بغض النظر عن كون القاعدة أو الاستخبارات الأمريكية هي المدبر الحقيقي للعملية - ففي هذه العملية تحولت الطائرات المدنية إلى أسلحة.

وتحولت الكثير من المؤسسات المدنية كالمؤسسات الإعلامية إلى مؤسسات عسكرية بالنسبة للجماعات المسلحة الارهابية في سوريا التي استهدفتها وتعاملت مع كل مؤسسة تابعة للحكومة كمؤسسة عسكرية من حيث الاستهداف كما هو عليه حال تحالف العدوان في اليمن الذي قصف وزارة الاتصالات في فبراير 2022م باعتبارها هدفاً يعطيه ميزة عسكرية، وأيضاً من الناحية الثقافية فقد أصبح بالنسبة للإرهابيين كل موظف حكومي «كافراً ومرتداً» الأمر الذي يعني وفق أدبيات الجماعات التكفيرية بأنه قد صار هدفاً عسكرياً، كما أصبح الموظفون الحكوميون في صنعاء بالنسبة لدول تحالف العدوان «حوثيون» يبرر استهدافهم، وهكذا ففي حروب الجيل الخامس يصبح الموظفون والعمال الفنيون بمثابة أهداف للأطراف الإجرامية.

تمارس الولايات المتحدة الأمريكية ذات الجرائم حين تقوم عبر الطائرات بدون طيار باستهداف من تعتبرهم مطلوبين في اليمن وباكستان وغيرها ويسقط ضحايا من صفوف المدنيين، في أكبر حملة اغتيالات في العالم حسب تعبير المفكر الأمريكي

ناعوم تشومسكي، وعلى سبيل المثال فالعملية العسكرية لقوات المارينز الأمريكية في قرية (يكلا)[9] في محافظة البيضاء - إحدى محافظات الجمهورية اليمنية – والذي سقط على إثرها العديد من المدنيين في تلك العملية التي هدفت إلى ضرب قيادات "إرهابية" وفق ما ادعت الولايات المتحدة الأمريكية.

في الحالة اليمنية تلاشت هذه الحدود الفاصلة بين ما هو مدني وعسكري بشكل واسع، فعلى مستوى الجغرافيا اعتبر الناطق باسم دول تحالف العدوان آنذاك (أحمد العسيري) بأن محافظة صعدة اليمنية منطقة عسكرية[10]، أي أن المحافظة بالكامل قد صارت هدفاً عسكرياً مشروعاً بالنسبة لقوات التحالف وهو الأمر الذي كان جارياً قبل ذلك بفترة طويلة من الإعلان الرسمي للتحالف كما هو الحال في كثير من المدن اليمنية بما فيها العاصمة صنعاء .

في محافظة تعز ادعت الجماعات العسكرية المساندة للتحالف هناك بأن قوات الجيش واللجان الشعبية تقوم باستهداف المدنيين، سواء بواسطة القناصة أو القذائف، إلا أن هذه القوات نفت ذلك، وتظل حقيقة سقوط مدنيين شيء مؤكد بالنسبة لطبيعة حروب الجيل الخامس، مع غموض حول الفاعل-خصوصاً مع عدم وجود لجنة تحقيق حيادية للتحقق من هذه الجرائم-، وفي مارس 2019م خاضت القوات العسكرية التابعة لحكومة هادي حملة عسكرية ضد قوات "جماعة

(9) معركة يكلا في فجر 92 يناير 7102 هاجمت طائرات أمريكية دون طيار منطقة يكلا في ريف محافظة البيضاء وسط اليمن، وهبطت طائرات هليكوبتر تحمل عناصر من الكوماندوز في المنطقة عقب الغارة الجوية التي استهدفت عددا من المنازل في القرية، وتعاملت القوات الأمريكية مع الجميع كأهداف معادية بما في ذلك المدنيين، في وقت لاحق، أصدر تنظيم القاعدة في جزيرة العرب بياناً قال فيه أن الغارة كانت مذبحة. وأن القوات الأمريكية أطلقت النار على النساء والأطفال بدم بارد، بدورها «الحكومة اليمنية» الموالية للسعودية، أدانت العملية وانكرت اعطائها موافقة للقوات الأمريكية بتنفيذ العملية وقال عبد الملك المخلافي، وزير الخارجية في الحكومة الموالية للسعودية حينها، إن القتل خارج القانون وقتل المدنيين عمل مدان ودعم للإرهاب.

(10) «فرت مئات العائلات من محافظة صعدة قبل انتهاء المهلة التي حددتها قيادة التحالف لهم للمغادرة مساء الجمعة. وحذرت منظمات إغاثة من أن الوقت لا يكفي للكثير من المدنيين لمغادرة المحافظة قبل انتهاء المهلة المحددة لهم، وحثت التحالف العسكري على عدم تنفيذ تهديداته بالتعامل مع صعدة كمنطقة عسكرية بالكامل». فرنس 42، «اليمن: التحالف يركز غاراته على صعدة ومئات العائلات تفر من المحافظة»، (9مايو 5102م)، متوفر على الرابط: https://www.france24.com/

أبـو العبـاس" المنافسـة لهـا، وفي هـذه المعركـة تـم اسـتهداف المدينـة القديمـة في تعـز المزدحمـة بالسـكان كذلـك مستشـفى "المظفـر" الـذي كان يعـج بالجرحـى مـن جماعـة أبـو العبـاس والمـرضى والجرحـى والأطفـال مـن المواطنـين، هـذه الأحـداث في تعـز التـي تشـير بوضـوح إلى تـلاشي الحـدود بـين المـدني والعسـكري في حـروب هـذا الجيـل .

القـاضي "ربيـد" هـو مثـال صـارخ لهـذه السـمة العدوانيـة لهـذا الجيـل مـن الحـرب التـي لا تفـرق بـين المـدني والعسـكري، ففـي حـين كان القـاضي يـزاول عملـه المـدني القانـوني ويعمـل عـلى ملـف محاكمـة الرئيـس -السـابق- عبـد ربـه منصـور هـادي بتهمـة الخيانـة العظمـى، قـام الطـيران السـعودي عـام 2016م باسـتهداف منـزل القـاضي مـما أدى إلى استشـهاده[11]

كـما أن دول "التحالـف" اسـتهدفت في كثـير مـن المـرات أهدافـاً مدنيـة فيـما كانـت في وسـائلها الإعلاميـة تزعـم بـأن هـذه الأهـداف عسـكرية، وقـد سـقط فيهـا مئـات المدنيـين الضحايـا، ومنهـا عـلى سـبيل المثـال الغـارة عـلى "حافلـة طـلاب سـوق ضحيـان صعـدة" في 9 أغسـطس 2018م، والتـي راح ضحيتهـا مـا يزيـد عـن 90 طفـلاً بـين شـهيد وجريـح.

تكتيك الحروب الهجينة :

ليـس هنـاك تعريفـاً محـدداً لمفهـوم (الحـروب الهجينـة)، يعـرف العقيـد «فرانـك هوفـمان» مـن الجيـش الأمريـكي مصطلـح الحرب الهجينـة في كتابـه (حروب المسـتقبل،

(11) «استشـهد القـاضي يحيـى ربيـد وسـتة مـن أفـراد عائلتـه فجـر اليـوم في غـارات شـنتها طائـرات العـدوان السـعودي الامـيركي الغاشـم اسـتهدفت منزلـة في حـي النهضـة شـمالي العاصمـة وادت إلى تدمـير المنـزل عـلى رؤوس سـاكنيه وتـضرر عـشرات المنـازل المجـاورة.

والقـاضي ربيـد هـو رئيـس الشـعبة الجزائيـة المتخصصـة بمحكمـة أمانـة العاصمـة التـي تتـولى محاكمـة المطلـوب للعدالـة عبـد ربـه منصـور هـادي وسـتة مـن معاونيـه المتهمـين بالخيانـة العظمـى ومسـاندة العـدوان السـعودي وافشـاء اسرار دفاعيـة وتعريـض أمـن وسـلامة الجمهوريـة اليمنيـة للخطـر وهـو ايضـا احـد ابـرز وجهـاء مديريـة نهـم بمحافظـة صنعـاء.

وقالـت مصـادر عسـكرية إن زوجـة القـاضي ربيـد استشـهدت في الغـارة كـما استشـهد نجلـه صـلاح وزوجـة نجلـة وثلاثـة مـن أولاده، كـما اصيـب آخـرون في هـذه الغـارة». المسـتقبل، « استشـهاد القـاضي ربيـد الـذي يحاكـم هـادي وسـتة مـن معاونيـه في غـارة اسـتهدفت منزلـه بصنعـاء»،(25 ينايـر 2016م) متوفـر عـلى الرابـط: http://www.future-fm.net/

عصر الحروب الهجينة)، «بأنها الاستخدام المتزامن والمتقن، لمزيج من الأسلحة التقليدية والتكتيكات غير النظامية، والإرهاب والتصرف الإجرامي في ساحة المعركة من أجل تحقيق أهداف محددة». فيما «حلف الناتو» يُعرّف هذا النوع من الحروب أنها: «الاستخدام المتكامل لأنواع مختلفة من الإجراءات العسكرية وغير العسكرية لتحقيق الأهداف الإستراتيجية الشاملة».[12]

الرؤية الروسية للحروب الهجينة يمكن استخلاصها فيما كتبه المفكر العسكري الروسي «غيراسيموف» حيث يقول: «واقع الحرب نفسها قد تغيرت، لقد نما دور الوسائل غير العسكرية لتحقيق الأهداف السياسية والاستراتيجية، وفي حالات عديدة، فقدت هذه الوسائل قدرة الأسلحة من حيث فاعليتها، لقد تبدل تركيز مناهج الصراع المطبقة باتجاه الاستخدام الواسع للإجراءات السياسية والاقتصادية والمعلوماتية والانسانية، وغيرها من الاجراءات غير العسكرية، وهذه الاجراءات تطبق بالتنسيق مع قابلية الاحتجاج لدى الشعب».[13] وتعريف (غيرسيموف) يتعدى سمة الحرب الهجينة ويتصل بسمات «حروب الجيل الخامس» التي تجري في اليمن.

وبشكل عام يقصد بالحروب الهجينة تلك الصراعات التي تتضمن الجمع بين استخدام القوات المسلحة التقليدية والقوات غير النظامية مثل الحركات الثورية والحركات المضادة للثورة والجماعات الإرهابية، والتي تشمل توظيف الفاعلين من الدول ومن غير الدول والذين يسعون لتحقيق هدف سياسي مشترك، وهذه الحرب الهجينة جرى تطبيقها بشكل واسع في الحرب العدوانية على اليمن.

استخدمت هذه التكتيكات في سوريا، حيث عمل حزب الله والقوات السورية الرديفة (الشعبية) على إسناد القوات النظامية للجيش العربي السوري، كما قامت «وحدات الحماية الكوردية" بذات الدور، وأيضاً قوات الحشد الشعبي العراقي، حيث لعبت هذه التشكيلات الشعبية دوراً حاسماً في التصدي لداعش في سوريا والعراق.

(12) موسى العدوان الحرب الهجينة في العصر الحديث. 10 مايو 2018م صحيفة رأي اليوم متوفر على الرابط: https://www.raialyoum.com

(13) اندون رادن «الحرب الهجينة في منطقة البلطيق.. التهديدات والاستجابات المحتملة»،(واشنطن: مؤسسة راند 2017م) ص 9

وعبر هذا الشكل من الحروب الهجينة تسلل نفوذان استعماريان إلى سوريا، الأول النفوذ التركي عبر ميليشيات « الجيش الحر» المعارض في سوريا، والنفوذ الأمريكي عبر « قوات سوريا الديمقراطية». ويسعى الدور الأمريكي والتركي إلى تفكيك سوريا واقتطاع أجزاء منها، وهي مشاريع عدوانية ما كانت تركيا وأمريكا قادرتين على التحرك فيهما بدون التغطية على نشاطهما بميليشيات شعبية من أبناء سوريا وبدون استثمار للحالة الاحتجاجية أو السياسية المعارضة، كما أنه وفي واقع الحال بات هناك نفوذ لطهران وموسكو على دمشق لاشتراكهم في هذه الحرب إلى جانب النظام الوطني السوري.

وعلى غرار النموذج في سوريا طبقت دول العدوان نموذج الحروب الهجينة في اليمن، حين قدمت بمشاريعها الاستعمارية التوسعية خلف عنوان دعم حكومة هادي التي انتهت شرعيتها، كما استثمرت في الوجود السياسي لقوى معارضة لأنصار الله تعتبرهم «انقلابيين" ضمن الانقسام السياسي العام في اليمن، فالمقصود هو أن الاختراق السعودي الإماراتي جاء عبر الانقسام السياسي اليمني، بل وكان للسعودية دور في خلق هذا الانقسام السياسي من وقت سابق.

في الحرب على اليمن استخدمت السعودية التكتيكات النظامية والتقليدية والتكتيكات غير النظامية، للتأثير السياسي على اليمن في إعادة حكومة هادي العملية إلى صنعاء لتحكم بما يلبي مصالح الرياض.

في الحالة اليمنية تمثلت القوات النظامية بالجيش السعودي وبعض القوات العسكرية الموالية لهادي، وعبر هذه القوات النظامية وفرت السعودية غطاءاً مناسباً لإنشاء قوات من المرتزقة المحليين اليمنيين والمرتزقة الأفارقة والأجانب ضمن مهام عديدة أحدها الدفاع عن حدودها الجنوبية.

الحكومة العميلة للسعودية ضمت الجماعات المسلحة الاجرامية والإرهابية والميليشاوية المختلفة التي لا تخضع لسيطرة حكومة هادي، وغطتها باسم «الجيش الوطني» وعملت على حمايتها من رد فعل الشارع ومن الرأي العام الدولي الذي له موقف من الجماعات الإرهابية - ويتفاوت هذا الموقف من دولة لأخرى- حيث

قامت الحكومة العميلة بإعطاء بعض الجماعات والشخصيات الارهابية والحزبية الاصلاحية أسماء وحدات ورتب عسكرية فيما هي معروفة بأنها جماعات إرهابية، وفي نفس السياق قامت الإمارات أيضاً بتوظيف الجماعات الارهابية لصالحها في التشكيلات العسكرية التابعة لها المعروفة بالأحزمة الأمنية والنخب وقوات العمالقة، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

- عادل عبده فارع عثمان الذبحاني "أبو العباس". موالي للإمارات، مصنف على لائحة الخزانة الأمريكية، قيادي سلفي من مواليد 1971 بمدينة تعز، درس في دار الحديث دماج. عقيد في اللواء 35م ومؤسس ميليشيات «حماة العقيدة».
- «عبد اللطيف السيد»، قائد الحزام الأمني والتدخل السريع في أبين، موالي للإمارات، في أوائل العام 2011 كان عبد اللطيف السيد زعيماً لفصيل من تنظيم القاعدة أسقط «جعار»، مركز مديرية «خنفر»، كبرى مدن محافظة أبين، جنوبي البلاد، كان قائد للجان الشعبية الموالية لهادي 2012م ثم أسند هادي بعد هروبه إلى عدن 2015م، وأصبح قائد الحزام الأمني التابع للإمارات في أبين. أسقط في أغسطس الماضي معسكري قوات الأمن الخاص والشرطة العسكرية الموالين لهادي.
- «أبو البراء البيضاني»، قيادي في تنظيم القاعدة، مصنف على لائحة وزارة الخزانة الأمريكية، ظهر وهو يقاتل مع القوات التابعة لهادي في محافظة شبوة، بالإضافة لـ«قاسم الريمي» المكنى بأبي هريرة الصنعاني، قيادي في تنظيم القاعدة، مصنف على لائحة الخزانة الأمريكية، فقد ظهر هو الآخر يقاتل إلى جانب قوات هادي في مواجهة قوات الانتقالي.
- «عدنان رزيق»، موالي لحكومة هادي، قائد "لواء الحماية الرئاسية" في تعز المنتمي إلى تنظيم (أنصار الشريعة في أبين) حيث قام بتأسيس فصيله الإرهابي الخاص في تعز تحت اسم «كتائب حسم».

لعبت الجماعات التكفيرية الارهابية دوراً هاماً في إسناد قوات الحكومة العميلة وتحالف العدوان حيث كان يجري تمويلها وتسليحها من قبل تحالف العدوان

تحت مسمى "المقاومة الشعبية" على الرغم من رفع هذه الجماعات الإرهابية لأعلامها الخاصة وظهور ممارساتها الإرهابية عبر إعدام الأسرى وذبحهم والتمثيل بجثثهم كما حدث بشكل كبير في محافظة تعز اليمنية.

إن التجربة التي قامت بها السعودية مع القوات النظامية والميليشاوية التابعة لهادي وعلي محسن الأحمر، قامت الإمارات باستنساخها مع «المجلس الانتقالي الجنوبي" وقوات ما سُميت بالأحزمة الأمنية والنخب، وقد لجأت الإمارات إلى هذا المسار بعد تعرّض قواتها العسكرية لضربة قاسية في محافظة مأرب اليمنية عُرفت بضربة صافر[14]، والذي كان إثرها أن أدركت الإمارات خطأ تدخلها العسكري المباشر فغيّرت من تكتيكها واتجهت إلى بناء قوات محلية عميلة لتقوم بذات الدور العدواني الاحتلالي.

حيث تقوم هذه الميليشيات المحلية في الجنوب والغرب والشرق اليمني على تنفيذ المخططات الإماراتية وكغطاء للنفوذ الإماراتي والسعودي التوسعيان في الجنوب والشرق والغرب اليمن.

إن هذه السمة باعتبارها سمة عامة لحروب الجيل الخامس، ففي الطرف الآخر ظهر هذا الشكل من الحروب الهجينة ولكن بمحتوى مختلف أي محتوى وطني، حيث عملت اللجنة الثورية العليا في صنعاء على تأسيس ما عرف بـ "اللجان الشعبية" كرديف لقوات الجيش الرسمية، وسبق اسم الجيش على اسم اللجان الشعبية في خطاب صنعاء في عملية تشريع نشاط اللجان الشعبية باسم الجيش، وكان للمجاميع الشعبية دوراً بارزاً في المعارك التي تم خوضها في مواجهة العدوان، ومن مرحلة الرئيس صالح الصماد بدأت التوجهات في صنعاء لدمج القوات الشعبية مع قوات الجيش النظامية.[15]

(14) ضربة صافر: هي ضربة صاروخية يمنية استخدم فيها صاروخ توشكا السوفياتي أرض أرض، في صباح يوم الجمعة 4 سبتمبر 2015م استهدف قوات الاحتلال متعددة الجنسيات في معسكر اللواء 107 مشاة في منطقة صافر شمال محافظة مأرب، أسفرت الضربة الصاروخية عن مقتل 99 جندياً من قوات تحالف العدوان بينهم 52 عسكريا إماراتياً حسب ما اعترفت به دولة الامارات.

(15) «الرئيس الصماد يلتقي وزير الدفاع ويوجه بإطلاق الموقوفين والبدء بإجراءات دمج اللجان الشعبية ضمن هياكل المؤسسة العسكرية». صحيفة الثورة الرسمية، العدد رقم(19424)، تاريخ 24 يناير 2018م.

التحالفات الكبيرة:

يأخذ هذا الجيل من الحروب شكل التحالفات الكبيرة والواسعة وهي كيانات وقوى ومفاعيل يجمعها العداء العدمي التدميري للدولة المستهدفة، ويختص كل كيان من هذه الكيانات في عملياته العدائية في المجال الذي يبرع فيه من الاستهداف الفكري والثقافي والأمني والإرهابي والمعلوماتي ..الخ

وتضم التحالفات في حروب الجيل الخمس أطرافاً متنوعة مثل الدول والأحزاب السياسية والتكتلات الاقليمية والجماعات الارهابية وشبكات الجريمة والتهريب والذي تجمعها المصالح العدائية لبلد ما.

يفسر (العقيد توماس) هذه التحالفات بأنها تتماشى مع حقيقة «إن كل المجتمعات المتنازعة والمؤسسات التجارية المهيمنة في عصرنا هي شبكات، وأصبحت حركات التمرد متشابكة وغير وطنية وحتى متعددة الأبعاد».[16]

ويطرح (توماس..) ثلاثة أسباب لظهور الفواعل المسلحة المحلية التي تصبح جزء من هذه التحالفات الواسعة. حيث يشير إلى أن الجماعات المسلحة شديدة التنوع التي تشكل تمرداً حديثاً لها دوافع مختلفة على نطاق واسع حتى داخل الدولة الواحدة.

- الأول «تتشكل عندما تشعر المجتمعات بالتهديد تميل إلى أن تكون مجموعات دون وطنية ووطنية تعمل في مناطق جغرافية محدده وتحاول حماية سكان تلك المناطق، وهي في جوهرها تمثل عودة إلى الترتيبات الأمنية السابقة، إنهم نتيجة فشل الدولة في الوفاء بالعقد الاجتماعي الأساسي المتمثل في توفير الأمن».[17]

وفي حالتنا اليمنية فإن اللجان الشَعبية من حيث الباعث لتشكيلها وسلوكها هي الأقرب إلى هذه الحالة، فاللجان الشعبية تشكلت في الأيام الأخيرة لثورة 21 سبتمبر 2014م حين قامت البيروقراطية العسكرية المعادية للشعب باستخدام

(16) العقيد توماس مصدر سابق

(17) العقيد توماس مصدر سابق

أساليب القمع في مواجهة الثوار السلميين.

واستمرت اللجان الشعبية بعد الثورة في مهام حماية الموطنين ومحاولة ملئ الفراغ الذي تسبب به انسحاب القوات الأمنية من العاصمة صنعاء يوم 21 سبتمبر 2014م؛ فحيث طبيعتها تشكلت من شباب ينتمون لمختلف المذاهب والمناطق والقبائل، وتقدم الحماية الأمنية لقطاعات واسعة من السكان اليمنيين بتعدد هوياتهم ومعتقداتهم وأصولهم، ولم تأخذ سمة طائفية أو مناطقية.

- الثاني: «تنطلق المجموعات الانتهازية للاستفادة من الفراغ السياسي و الأمني للاستيلاء على السلطة أو الثروة، والواقع إن هذه الجماعات ضلت موجودة منذ قرون، الأمر المختلف الآن هو أن مشتريات الأسلحة أصبحت أمرا متاحا و تجاريا".[18]
- الثالث: «هو حافز الأيديولوجية مثل منظمات كالقاعدة وآريال براذرز وأوم شينريكيو».[19]
- الرابع: «مزيج هجين من الدوافع الرجعية أو الأيديولوجية والانتهازية وفي بعض الأحيان تكون هذه الجماعات رجعية أو أيديولوجية، ولكن بعد ذلك تتحول إلى مجرد منظمات إجرامية ".[20]

"نوع آخر من الهجين هو المجموعات الأيديولوجية التي تجد نفسها حاكماً فعلياً لمنطقة ما حيث تصبح ملزمة بحماية المجتمع في هذه المنطقة الخاضعة لسيطرتها ".[21]

في العدوان على اليمن، تشكل تحالف دولي واسع، في أطراف رئيسية لها مصالح استعمارية كأمريكا وبريطانيا وفرنسا، وأطراف إقليمية لها مطامع توسعية داخل ذات الهدف الاستعماري الغربي كالمملكة العربية السعودية، ودول إقليمية شاركت في التحالف ملحقة بالموقف السعودي والإماراتي ودون أن يكون لها مطامع خاصة، وتم

(18) العقيد توماس مصدر سابق
(19) العقيد توماس مصدر سابق
(20) العقيد توماس مصدر سابق
(21) العقيد توماس مصدر سابق

إشراكها في التحالف من أجل إضفاء الشرعية القومية والإسلامية على التحالف ومن أجل الاستفادة من جنودها وهذه الدول مثل المملكة المغربية والمملكة الاردنية الهاشمية وجمهورية مصر العربية وجمهورية باكستان وماليزيا وجزر القمر. وهذا التحالف الواسع بعد سبع سنوات من العدوان تداعى وتفكك ورسخت الدول ذات الصلة المباشرة بالعدوان وهي ما تُسمّي نفسها بدول الرباعية (المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة ودولة الإمارات العربية)، الكيان الصهيوني أيضاً شاركت في هذا التحالف وإن كانت مشاركتها بصورة غير علنية إلا أن واقع مشاركتها لم يعد خافياً وتم تسريبه من قبل وسائل الإعلام الصهيونية، ويتضح من تصريحات الكيان الصهيوني الذي يدّعي فيه اصطفافه مع المملكة العربية السعودية في مواجهة محور المقاومة.

ولا تلعب القوات المسلحة النظامية الدور الرئيسي في حروب الجيل الخامس بل غدت تتصدر ساحات القتال الفواعل المسلحة من غير الدول مثل الجماعات الارهابية وعصابات الجريمة المنظمة ومنظمات المعارضة المسلحة، وتقوم الدول باستخدام هذه الفواعل المسلحة للتهرب من تبعات التدخلات المباشرة سواء التكلفة المالية أو البشرية للجنود ومسؤولية الجرائم وانتهاكات حقوق الانسان وانتهاك السيادات الوطنية.

في واقعنا اليمني استخدمت المملكة العربية السعودية هذا الأسلوب في عدوانها، فقد لعبت الجماعات المسلحة التكفيرية كجيش متقدم للمملكة السعودية يعمل ضمن خياراتها وتوجهاتها ولو كانت له الاستقلالية في السلوك والتصرف الميداني، وللجماعات الارهابية علاقة مع السعودية منذ ثمانينات القرن الماضي إبان التجنيد للجهاد ضد الاتحاد السوفياتي.

بدورها دولة الإمارات المتحدة استخدمت الجماعات المسلحة التكفيرية والخليطة من تكفيريين وغيرهم، وقامت بتسمية هذه القوات باسم الأحزمة الأمنية وقوات النخبة وألوية العمالقة، التي أُعطيت هويات مناطقية، وتقوم الإمارات بالسيطرة على المحافظات الجنوبية اليمنية بالاستناد على هذه القوات وتحارب بها في

محافظة الحديدة وتسيطر بها على جزيرة سقطرى الاستراتيجية وللإمارات مساعي حثيثة للسيطرة على الموانئ والسواحل اليمنية كجزء من مساعيها للسيطرة على سواحل القرن الأفريقي، وهذه المساعي التوسعية لا تجرؤ الإمارات أن تقوم بها بقواتها المسلحة بشكل مباشر بل بقوات محلية كما أن الإمارات لا تملك كثافة بشرية تؤهلها لبناء جيش قوي وكبير تمارس التوسع من خلاله بشكل مباشر.

ورغم استخدام الدول الأجنبية لهذا الفواعل المسلحة فهذه الدول تتدخل أحيانا بصورة مباشرة في الحرب عن طريق استخدام القوات الخاصة الأكثر ملائمة لهذا النوع من الحروب.

و«تشير العقيدة الأمريكية إلى استخدام القوات الخاصة في الحروب غير التقليدية التي يتم خلالها استخدام طيف واسع من العمليات العسكرية وغير العسكرية والتي تتم إدارتها من خلال الوكلاء المسلحين الذين يتم تنظيمهم وتسليحهم وتدريبهم وتوفير الدعم لهم من الدول التي تناصرهم».[22]

في العدوان على اليمن هناك تدخل أمريكي مباشر، علاوة على تقديمها الدعم اللوجستي الإمارات والسعودية، وقيادتها لعمليات العدوان من غرف موحدة أمريكية خليجية، والتدخل العسكري المباشر للولايات المتحدة الأمريكية جاء عبر قوات القبعات الخضر [23] والجدير بالذكر أن قوات القبعات الخضر قامت الولايات

(22) شادي عبد الوهاب «حروب الجيل الخامس»، (الإمارات: مجلة مركز دراسات المستقبل العدد1 نوفمبر 2-17م)، ص 18

(23) «القبعات الخضراء، إنها وحدات قتالية تتبع قوات الكوماندوز في سلاح المشاة الأمريكي، وهي مسؤولة عن تنفيذ مهمات توصف بالخاصة جداً خلف خطوط العدو، ويجرى الحديث عنها الآن كقوات سرية تنفذ مهام خاصة من دون علم جهات عديدة.

وهذه المرة قد تختلف قليلاً طبيعة المهمة التي استدعيت من أجلها «القبعات الخضراء»، إنها - كما كشفت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية - تدعم الجيش السعودي سراً في حربه ضد الحوثيين في اليمن، فلماذا سراً؟ وعن أي أنواع الدعم نتحدث؟

استهلت الصحيفة الأمريكية تقريرها بالحديث عن دعم سري يحظى به الجيش السعودي الآن في حربه باليمن رغم سعي الجيش الأمريكي لسنوات للابتعاد عن الحرب الأهلية الدائرة في اليمن، حيث تتقاتل قوات التحالف التي تقودها السعودية مع الحوثيين الذين لا يشكلون تهديداً مباشراً على الولايات المتحدة.

لكن هذا يبدو أنه تغيير في السياسية الأمريكية، فلا علم لجهات عدة بمهمات القبعات الخضراء في المملكة، ومسألة إرسالها لم تناقش مع أي من الجهات الأمريكية أو غير الأمريكية المناط بها مراجعة الأمر؛ مما دفع الكشف عنها وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاغون» إلى الاعتراف بوجود قوة أمريكية تساعد السعودية في تأمين

المتحدة الأمريكية بتشكيلها في مواجهة حركات التحرر الوطنية اليسارية في دول أمريكا اللاتينية وشاركت في الحرب التي شنتها على التمرد الثوري الذي قاده المناضل الأممي (ارنستو غيفارا) في دولة بوليفيا.

لم تقتصر التدخلات المباشرة للقوى الاستعمارية الغربية على الولايات المتحدة الأمريكية، فالمملكة المتحدة (بريطانيا) تدخلت بشكل مباشر عبر قواتها الخاصة وخسرت عدداً من جنودها في المعارك بجانب المرتزقة في اليمن، مما شكل فضيحة للحكومة البريطانية، وتم كشف حقيقة التدخل البريطاني عبر تحقيقات عديدة قامت بها وسائل إعلام بريطانية عريقة، منها قضية وصول قوات خاصة بريطانية خبيرة في مجال التنصت إلى محافظة المهرة اليمنية.[24]

جدير بالذكر أنه تم إلقاء القبض على ضباط فرنسيين في الحديدة قبل بدء التصعيد العسكري فيها، وبقي مصيرهم سراً وربما تمت عملية مقايضة بين صنعاء وباريس على هؤلاء الضباط مقابل عدم التدخل، وهذه الحادثة تدل على مدى اتساع التدخلات المباشرة الأجنبية بقواتها الخاصة في الحرب العدوانية على اليمن.

حدودها دون أن يحدد عدد تلك القوى وطبيعة تشكيلها.

هذا الاعتراف الصريح الذي جاء بعد ثلاث سنوات من الإنكار والاكتفاء يناقض تصريحات سابقة للبنتاغون عن طبيعة المساعدة العسكرية للحملة العسكرية التي تقودها في اليمن، فالمهمة لا تقتصر على تزويد الطائرات بالوقود في الجو والدعم اللوجيستي وتبادل المعلومات الاستخباراتية، فالأمر للوهلة الأولى يبدو انخراطاً أمريكياً أكبر في حرب اليمن». موقع نون بوست، « ليس آخرها القبعات الخضراء .. ماذا تعرف عن الحروب الأمريكية الخفية حول العالم؟»، (5 مايو 2018)، متوفرعلى الرابط: https://www.noonpost.com/

(24) أفادت وسائل إعلام بأن بريطانيا أرسلت قوات خاصة إلى اليمن بهدف ملاحقة منفذي الهجوم بطائرة مسيرة على الناقلة «ميرسر ستريت» في خليج عمان الأسبوع الماضي. وذكر موقع Express البريطاني اليوم الأحد أن مجموعة تضم 40 من عناصر القوة الجوية الخاصة (SAS) وصلت أمس إلى مطار الغيضة في محافظة المهرة شرق اليمن، حيث يساعدهم موظفون محليون متعاونون مع وزارة الخارجية البريطانية ومطلعون على الوضع في المنطقة على ملاحقة «المرتزقة من جماعة الحوثيين المسؤولين» عن الهجوم. ولفت التقرير إلى أن هذه القوة تضم أيضا وحدة مختصة بالمعدات الإلكترونية بإمكانها قطع اتصالات. وأشار الموقع إلى أن قوة SAS تتعاون مع قوة عمليات خاصة أمريكية منتشرة في المنطقة للمساعدة في تدريب وحدة نخبة من قوات «الكوماندوز» ضمن الجيش السعودي.

روسيا اليوم، «تقرير: بريطانيا أرسلت قوات خاصة إلى اليمن بتتحثا عن منفذي الهجوم على «ميرسر ستريت»، (8 أغسطس 2021)، متوفرعلى الرابط: https://arabic.rt.com

عدم وجود مرجعية مؤسسية موحدة:

اتسمت حروب الأجيال السابقة للجيل الخامس بأن الصراع كان يجري بين أطراف تملك مركز ثقل واضح وذات هيكلية تنظيمية مركزية، وتملك قيادة سواء القوات النظامية أو حتى الحركات الثورية التي كانت أيضاً تتبع قيادة موحدة.

أما في حروب الجيل الخامس فإن الحروب تأخذ اشكالاً شبكية متعددة القيادات والولاء ودون مركز ثقل، تتحرك في إطارها جماعات وأفراد يعملون بطريقة مستقلة دون تلقي أي تعليمات من قيادات مركزية أو أطراف دولية ويكفي أن يتم إمدادهم بالسلاح وإباحة التصرف لهم دون قيود.

وقد برزت هذه السمة بوضوح في مناطق سيطرة قوات الاحتلال وجماعات المرتزقة، منها على سبيل المثال مدينتي عدن وتعز، حيث تنتشر فيها جماعات مسلحة متعددة متحالفة ومتناقضة ومتفقة في بعض الأمور ومختلفة في أكثرها، بل خاضت ضد بعضها حروب شوارع، وظهرت عصابات جريمة ولصوص، وخلايا نائمة ومنظمات إرهابية دولية، وأفراد التحقوا بقيادات إرهابية ورفعوا شعاراتها، بالإضافة لأجنحة عسكرية تابعة لأحزاب سياسية بعيداً عن موافقة القيادات المركزية لهذه الأحزاب.

شركات المرتزقة:

ترتبط بالعوامل الامبريالية في ظهور النوع من الحروب «عودة شركات المرتزقة وإعادة الاعتبار إليها، فقد أدت خصخصة قطاعات عسكرية كثيرة في الولايات لمتحدة الأمريكية إلى عودة المرتزقة إلى «سوق الإرهاب»، وحفظ الأمن، وهي شركات يزول مدخولها إذا انتهى القتل وزال الإرهاب وعدم الأمن، لذلك فإن من مصلحتها استمرار الإرهاب والقتال والصراعات.

يطرح توماس أنه من التطورات التي يتم التغاضي عنها إلى حد كبير في الحرب الزيادة الاستثنائية في استخدام الشركات العسكرية الخاصة، كانت هذه المنظمات موجودة دائماً، لكن خلال العقدين الأخيرين أصبحت مركزية في الطريقة التي

تخوض بها الولايات المتحدة الحرب، فإن الدول الأخرى تكتشف طرقاً مبتكرة لاستخدامها لتجنب القيود الدولية العادية على استخدام القوة.

يمثل الوجود المفاجئ للشركات العسكرية الخاصة في العديد من النزاعات في جميع أنحاء العالم بعض التحديات المثيرة للاهتمام للمجتمع الدولي.

ويرى العقيد توماس أنه «بفضل الاستخدام الخلاق للشركات العسكرية والأمنية الخاصة، فإن اتفاقيات السمسرة بين الدول القومية وحتى عملية التدخل لحل النزاعات بين الأطراف قد انتقلت إلى خارج النظام الدولي»[25] وفي تجربة الحرب على اليمن استخدمت الإمارات شركة بلاك ووتر.[26]

(25) العقيد توماس مصدر سابق

(26) «ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية، أن الإمارات العربية المتحدة جندت نحو 300 من المرتزقة الكولومبيين للقتال نيابة عن جيشها في اليمن. وتشارك الإمارات في التحالف العربي الذي يقاتل الحوثيين في اليمن.. ذكر ضابطان سابقان وخبير أمني لوكالة فرانس برس أن الإمارات أرسلت سرا نحو 300 من المرتزقة الكولومبيين للقتال نيابة عن جيشها في اليمن، ودفعت مبالغ كبيرة لتجنيد جيش خاص من الجنود الجنوب أمريكيين المدربين والمتمرسين على القتال.. قالت المصادر التي طلبت عدم الكشف عن هويتها إن خبرة الجنود الكولومبيين السابقين في قتال المليشيات اليسارية وتجار المخدرات في بلدهم شجع الإمارات على الاستعانة بهم نظرا لأن جيش الإمارات قليل الخبرة نسبيا.. وكانت وزارة الدفاع الأمريكية تعاقدت مع الشركة لتوفير الخدمات العسكرية والأمنية في العراق.. انضم إلى الشركة في العام 2004 وسط ما وصفه بـ»الطفرة في تجنيد الكولومبيين للقتال في العراق»، وعمل في أفغانستان والإمارات وقطر وجيبوتي». فرانس 24، « ما صحة الأنباء عن تجنيد الإمارات مرتزقة كولومبيين للحرب في اليمن؟»، (19 ديسمبر 2015م)، متور على الرابط: https://www.france24.com/

مجالات الصراع في حروب الجيل الخامس وتطبيقاتها في اليمن

الحرب الاقتصادية والمالية:

الحرب الاقتصادية مصطلح يستخدم لوصف السياسة الاقتصادية التي يتم اتباعها كجزء من عملية عسكرية خلال زمن الحرب، تهدف الحرب الاقتصادية إلى الاستيلاء على عصب الموارد الاقتصادية في الدولة من أجل تمكين الجيش من العمل بالكفاءة الكاملة أو حرمان العدو من الحصول على هذه الموارد، تشمل الحرب الاقتصادية الاستيلاء على الأصول المالية للعدو ومنع التصدير والحصار. والحرب الاقتصادية كأحد مجالات حروب الجيل الخامس يمكن أن تشن في زمن السلم دون أن تكون هناك أي حرب عسكرية من خلال المنافسة على الأسواق والإغراق السلعي هو واحدة من وسائل الحرب الاقتصادية.

«ومن أبرز تلك الحرب لجوء الدول إلى فرض عقوبات اقتصادية وهو ما يعد جزءاً رئيسياً من العقيدة العسكرية الأمريكية فقد كان الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون (1913-1921) يعتقد بأن فرض العقوبات الاقتصادية من أهم أدوات السياسة الخارجية وفي خطاب ألقاه في مدينة (انديانابوليس) في عام 1919م قال ويلسون "قم بتطبيق العلاج الاقتصادي القاتل بهدوء ولن تكون هناك حاجة لاستخدام القوة فهي لا تكلف حياة أي فرد خارج الدولة المفروضة عليها العقوبات ولكنها فرض ضغوط على الأمة المستهدفة والتي لن تستطيع المقاومة».[27]

ومن الأمثلة على ذلك العقوبات الأمريكية والأوربية على إيران، وكوريا الشمالية، وروسيا، وسوريا، والعقوبات الأمريكية على كوبا التي تمتد منذ نصف قرن، وكذلك العقوبات على فنزويلا،[28] وعلى الرغم من أن هذه العقوبات

(27) حروب الجيل الخامس، مصدر سابق ص 20

(28) خلص مركز دراسات أمريكية إلى أن العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الولايات المتحدة ضد فنزويلا تسببت بوفاة 40 ألفا من مواطني هذ البلد. وأشار مركز الدراسات الاقتصادية والسياسية (CEPR)، ومقره في واشنطن، في تقرير نشره هذا الأسبوع، إلى أن العقوبات الأمريكية التي تم فرضها في صيف عام 2017م تعيق وصول المواطنين إلى المواد الأساسية، مثل الغذاء والدواء والأدوات الطبية، مضيفا أن الوضع تفاقم منذ اتخاذ واشنطن إجراءات عقابية إضافية ضد قطاع النفط في فنزويلا في وقت سابق من العام الجاري، في إطار مساعي إدارة الرئيس دونالد ترامب للإطاحة بالرئيس نيكولاس مادورو.وشدد التقرير الذي أعده الخبير

تستهدف ظاهراً السلطات الحاكمة إلا أنها تؤثر على أداء مؤسسات الدولة العامة والخاصة ويقع ثقلها على المجتمع، فالإمبريالية الغربية تتعمد إيقاع هذه التأثيرات وفق نظرة ويلسون؛ تستخدم نفوذها الاقتصادي في خنق أي دولة تسعى للاستقلال الوطني وتخرج عن الحظيرة الغربية.

لم يقتصر التدخل العسكري الأمريكي السعودي ضد اليمن على الجانب العسكري فقط، فمنذ البداية قام «التحالف» بانتهاج أكثر من مسار واستراتيجية، وكانت الحرب الاقتصادية موازية للحرب العسكرية في كل مراحل العدوان طوال ثمانية أعوام. وقد هدت هذه الحرب بطريقة مباشرة عملية إنتاج وتوزيع المواد الغذائية في اليمن وبشكل رئيس في المناطق التي تحتكم إلى سلطة صنعاء، وقد ادت هذه الحرب الاقتصادية في اليمن إلى أبشع مجاعة في التاريخ الحديث وفق توصيف الأمم المتحدة. [29]

الكاتبة البريطانية مارثا موندي أستاذ فخري في الأنثروبولوجيا في كلية لندن

في المركز، مارك ويسبروت، والخبير الاقتصادي من جامعة كولومبيا الحائز على جوائز عديدة، جيفري ساتشس، على أن العقوبات الأمريكية غير مشروعة بموجب القانون الأمريكي والدولي والمعاهدات التي وقعتها حكومة الولايات المتحدة، مؤكدا أن على الكونغرس الأمريكي التحرك لإلغاء هذه العقوبات. ويستند التقرير في تقييماته إلى «الدراسة الاستقصائية الوطنية لظروف المعيشة» والتي تجريها سنويا ثلاث جامعات فنزويلية، والتي أظهرت أن عدد الوفايات في البلاد ارتفع من 2017 إلى 2018 بـ31%، أي أكثر من 40 ألف حالة وفاة» روسيا اليوم، « دراسة أمريكية: عقوبات واشنطن كلفت 40 ألف فنزويلي حياتهم»، (27 إبريل 2019م)، متوفر على الرابط: https://arabic.rt.com/

(29) «حذر أكبر مسؤول للشؤون الإنسانية في الأمم المتحدة من تداعيات انتشار الجوع في اليمن، وقال إنه ينبغي لدول الخليج المساعدة في تفادي الأزمة بعدما تركت الحرب المستعرة منذ عامين الملايين عرضة لخطر المجاعة. جاء ذلك على لسان ستيفن أوبراين وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية ومنسق الإغاثة الطارئة في مقابلة مع وكالة رويترز قبل يوم من مؤتمر كبير للمنظمة الدولية يهدف إلى جمع 2.1 مليار دولار لليمن هذا العام. وأظهرت سجلات الأمم المتحدة أن المنظمة تلقت 15 بالمئة فقط من المبلغ المستهدف لكن دون أي مساهمة من دول المنطقة. وقال أوبراين إن نحو 17 مليون من سكان اليمن البالغ عددهم 26 مليون نسمة يفتقرون إلى الغذاء الكافي وإن ثلاثة ملايين طفل على الأقل يعانون سوء التغذية ويواجهون «خطرا كبيرا». وقال «هذه تتحول بسرعة إلى أسوأ كارثة إنسانية في العالم. وأحث المنطقة بالأخص على تعزيز الدعم للشعب اليمني المحاصر في الصراع» وأوضح أن منظمات الإغاثة التابعة للأمم المتحدة تصل إلى أكثر من خمسة ملايين يمني «رغم كل العوائق البيروقراطية وصعوبات الوصول بما في ذلك الموانئ». فرانس 24، « مسؤول أممي يحذر من خطر المجاعة في اليمن ويدعو دول الخليج لتفادي وقوع أسوأ كارثة بالعالم»، (25إبريل2017م) متوفر على الرابط: https://www.france24.com/

للاقتصاد أجرت أبحاثاً ميدانية وأرشيفية في اليمن في فترة ما قبل العدوان، أعدت مارثا دراسة بعنوان "استراتيجيات التحالف في حرب اليمن: حملة القصف الجوي وحرب الغذاء" نشرتها مؤسسة السلم العالمي، وفي هذه الدراسة المعززة بالخرائط والبيانات والتقارير الرسمية توصلت الباحثة إلى أن تحالف العدوان منذ العام 2-16م دخل في مرحلة حرب اقتصادية، وتلخص مارثا دراستها بالقول: «إذا ما أضفنا الضرر الذي لحق بموارد منتجي الغذاء (وهم المزارعون والرعاة والصيادون) إلى استهداف منظومة تجهيز الغذاء وتخزينه ونقله في المناطق الحضرية، وكذلك الحرب الاقتصادية الأوسع نطاقاً، فسنتوصل إلى دليل قوي على أن استراتيجية التحالف هدفت إلى تدمير إنتاج الغذاء وتوزيعه في المناطق الخاضعة لسيطرة صنعاء. وكما هو موضح أعلاه، أدت الحرب الاقتصادية، منذ خريف عام ٢٠١٦، إلى تفاقم الدمار المادي بهدف إحداث عجز شامل وجماعي في السبل الأساسية للعيش. ويعد التدمير المتعمد للزراعة الأسرية والصيد الحرفي جريمة حرب. كما أن اليمن والسعودية والإمارات العربية المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا دول موقعة على البروتوكول الإضافي الأول لعام ١٩٧٧م الملحق باتفاقيات جنيف، والذي يقدم الحكم الأوفى في القانون الدولي الإنساني بشأن حماية الأشياء التي لا غنى عنها لصمود السكان المدنيين».[30]

برزت على السطح الاجتماعي نتائج الحرب الاقتصادية بشكل واضح في مسألتين: انقطاع رواتب الموظفين، وانهيار قيمة العملة الوطنية، إلا أن الحرب الاقتصادية على اليمن تجاوزت هذه المسائل فقد انتهج المعتدون حربا اقتصادية وحشية شملت كل قطاعات الاقتصاد اليمني، الحكومية والخاصة والتعاونية، وتم إفقار وتشريد عمال وموظفي القطاعين الحكومي والخاص معاً.

ارتكب التحالف جرائم اقتصادية عديدة متعمداً استهداف القيمة الشرائية، وتحويل اليمنيين إلى لاجئين ومرتزقة يقايضون حريتهم بالخبز والدواء. وكذلك

(30) مارثا موندي، «استراتيجية التحالف حملة القصف الجوي وحرب الغذاء» [ترجمة مركز الراسات السياسية والاستراتيجية اليمني]، (مجلة مقاربات سياسية العدد 5 السنة مارس 2019) ص 9

تحويل الجمهورية اليمنية سوقاً استهلاكية لمنتجات الاحتكارات الأجنبية للدول المشاركة في العدوان، ولذلك فقد تعامل «التحالف» مع البنية التحتية للاقتصاد اليمني كهدف عسكري مخالفاً بذلك كل القوانين الدولية؛ فدمّر وسائل الانتاج من المصانع والمزارع والقوارب وقتل العمال والفلاحين والصيادين والتجار والباعة والمتسوقين، كما استهدف كل القطاعات والوحدات المرتبطة بالنشاط الاقتصادي من الأسواق والمخازن وشبكات المياه ومحطات الكهرباء والطرقات والموانئ والمطارات، ولايزال العدو يتخذ من الحرب الاقتصادية مجالاً متمماً لحربه العسكرية والحصار الشامل[31].

عمل تحالف العدوان على تجفيف مصادر الدخل الوطني من النقد الأجنبي، وفرضَ القيود على حركة الأموال من وإلى اليمن، كما اتجهت قوى العدوان عبر أدواتها وخلاياها إلى سحب الاحتياطات الداخلية من العملات الأجنبية من خلال آلية المضاربة بسعر صرف الدولار وسحبه من السوق المحلي.

منذ مطلع العام 2016م بدأ العدو ومرتزقته بالاتجاه نحو إعاقة حركة انسياب الأموال وتدفقها من وإلى البنك المركزي من جانب وبين المحافظات الشمالية والجنوبية، وأعقب ذلك بتكديس السيولة وتجميدها بل وصل الأمر إلى مصادرة رواتب الموظفين في محافظتي عدن وحضرموت من خلال اعتراض طائرات الشحن المستخدمة في نقل المال وإجبارها على تغيير مسارها إلى مطار بيشة السعودي واحتجاز الأموال.

خلال النصف الثاني من العام 2016م، عملت الحكومة العميلة على استهداف ما تبقى من الإيرادات العامة الواقعة في مناطق السلطة الوطنية، كإيرادات الجمارك والضرائب، عبر تشديد القيود على الحركة الملاحية في ميناء الحديدة، أو عبر

(31) استهدف تحالف العدوان خلال 1400 يوم من الحرب على اليمن دمر تحالف العدوان، حسب إحصائية مركز عين الإنسانية 15 مطاراً، و16 ميناء، و480 محطة وشبكة اتصال، و1525 حزان وشبكة مياه، و3093 طريق وجسر، و281 محطة وقود، و 356 مصنعاً و 248 ناقلة وقود، و 374 مزعة دجاج ومواشي، و 5142 حقلاً زراعياً، و9413 منشأة تجارية..
للمزيد مركز عين الإنسانية، «إنفوجرافيك إحصائية 1400 يوم من العدوان على اليمن»، (5 يلويو 2021م)، متوفر على الرابط: https://ehcrd.org/

أستهدف قطاع الاتصالات والتبغ والكبريت، وصولاً إلى منع تدفق تحويلات المغتربين إلى المحافظات الشمالية.

بعد تعثر مشاورات الكويت في العام 2017م وفشل تحالف العدوان في تحقيق مطامعه الاستعمارية بالخديعة السياسية، قام التحالف بنقل البنك المركزي من العاصمة صنعاء إلى عدن، فانقطعت رواتب الموظفين وفقد البنك في صنعاء القدرة على التحكم بالسياسة المالية، وقد جاء قرار نقل البنك المركزي بأوامر من السفير الأمريكي،[32] الذي هدد بأن قيمة العملة اليمنية لن تساوي قيمة الحبر المطبوع، في حديث الناطق الرسمي لأنصار الله ورئيس الوفد الوطني للمفاوضات محمد عبد السلام أمام اجتماع الحكماء في 19 أغسطس 2017م.[33]

نفذت حكومة هادي استراتيجية الحرب الاقتصادية العدوانية على أكمل وجه، "فبعد أن سيطرت على 400 مليار ريال من العملة المطبوعة من شركة روسية مطلع العام 2017م ، قامت بطباعة خمسة ترليونات و320 مليار ريال حتى يونيو 2021م [34] وعمليات طباعة الأموال التي يقوم بها الخونة بشكل دوري تقوم

(32) «خلال محادثات السلام، اعتقد تولر أن الحوثيين لن يتفاوضوا بحسن نية إلا إذا أجبروا على الطاولة. بعد انتهاء محادثات الكويت في آب / أغسطس 2016، دعا تويلر إلى نقل البنك المركزي اليمني من الأراضي التي يسيطر عليها الحوثيون. وأصبحت القضية في نهاية المطاف نقطة شائكة في مراسلاته مع فينر، الذي كان قلقا بشأن العواقب الإنسانية.».

(33) «آخر الجلسات كانت مع السفير الأميركي وسفراء الدول الثمانية عشر وقال أمامكم الآن صفقة أما أن توقعوها وإما الحصار الاقتصادي سننقل البنك وسنمنع الإيرادات وسنغلق مطار صنعاء وقالها بالحرف الواحد وفي حضور الجميع قلنا له أُقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا لن نستسلم أبدا مهما كان، بعد ذلك ذهبنا إلى مسقط للعودة وحوصر الوفد الوطني ثلاثة أشهر لم تتوقف جهودنا وفعلا تحقق ما قال السفير ونحن في مسقط فنقل البنك وأغلق مطار صنعاء بالجملة وشدد من الحوالات والصرافة التي كان يتمتع بها الشعب اليمني كأقل حق بقي له منذ بدء الحصار «، المسيرة نت «كلمة محمد عبدالسلام خلال لقاء السيد عبدالملك بدر الدين الحوثي بعقلاء اليمن»،(19-08-2017) متوفر على الرابط: https:// /www.almasirah.news

(34) «كشف محافظ البنك المركزي اليمني هاشم إسماعيل، أن الطباعة غير القانونية للعملة من قبل دول العدوان والمرتزقة وصلت إلى خمسة ترليونات و320 مليار ريال حتى يونيو 2021م، ما يعادل ثلاثة أضعاف ما طبعه البنك المركزي في صنعاء منذ العام 1964م وحتى 2014م، وأضاف» نحن في مرحلة جديدة من مراحل العدوان الاقتصادي الذي بدأ منذ اليوم الأول للعدوان».. مبينا أن يسمى الدول الرباعية أمريكا وبريطانيا والسعودية والإمارات أشرفت وخططت للعدوان الاقتصادي على اليمن وكان قرارهم منذ اليوم الأول استخدام الحرب الاقتصادية كلما فشلوا عسكريا وميدانيا. وأكد هاشم إسماعيل، أن كل القطاعات الاقتصادية كانت

بإضعاف قيمة الريال اليمني وتؤدي إلى ارتفاع سعر الدولار مما يؤدي إلى تضخم أسعار السلع والخدمات وضرب الحياة المعيشية للمجتمع، خاصة أن الكتلة الأكبر من السكان تتركز في المناطق التي تديرها السلطة الوطنية.

إضافة إلى ذلك فإن التضييق على التحويلات المالية للمغتربين من خارج اليمن والاستيلاء على الاحتياطي النقدي للبنك المركزي اليمني في البنوك الأجنبية، وكذلك نهب الثروات النفطية اليمنية، كل هذه السياسات العدوانية الاقتصادية تستهدف المجتمع اليمني بصورة مباشرة.

عرضة للاستهداف المباشر حيث قام العدو بنهب الإيرادات والثروات وفي نفس الوقت حرم موظفي الدولة والمتقاعدين والطلاب المبتعثين للدراسة في الخارج من حقوقهم إضافة إلى مخصصات الضمان الاجتماعي وغيرها. ولفت إلى أن المؤامرة على القطاع المصرفي بدأت بإصدار قرار نقل وظائف البنك المركزي إلى عدن في مخالفة قانونية ودستورية جسيمة .. مبينا أن البنك المركزي بصنعاء كان يدير السياسية النقدية في كل محافظات الجمهورية، وحرص على صرف مرتبات موظفي الدولة بما فيهم الخونة المشاركون في العدوان. وذكر أن العدوان استولى على الاحتياطي الخارجي من النقد الأجنبي الذي بلغ ما يقارب مليار دولار في حينه، والقرصنة على صلاحيات نظام التحويلات وتبادل المعلومات بين البنوك العالمية ما يسمى «بالسويفت» وشارك البنك المركزي في عدن إلى جانب حكومة الخونة في نهب عائدات النفط الخام والمقدرة بما يزيد عن ستة مليارات دولار والتي تم إيداعها في حسابات خاصة في البنك الأهلي السعودي». المركز الوطني للمعلومات، « البنك المركزي بصنعاء يكشف عن طباعة 32ر5 تريليون ريال من العملة غير القانونية»،(23 يونيو 2021م)، متوفر على الرابط:https://yemen-nic.info/

الحرب البيئية:

يقصد بالحرب البيئية إحداث دمار بالبيئة أو تغيير فيها بما يؤدي إلى عجز الإنسان عن الاستفادة منها، وتبرز هذه الحرب امتداداً للحرب الاقتصادية، وجاء في اتفاقية حظر استخدام تقنيات التغيير في البيئة في العام 1977 توضيح عبارة «تقنيات التغيير في البيئة» كما هي مستعملة في المادة الأولى، «أية تقنية لإحداث تغيير -عن طريق التأثير المتعمد في العمليات الطبيعية- في دينامية الكرة الأرضية أو تركيبها أو تشكيلها، بما في ذلك مجموعات أحيائها المحلية وغلافها الصخري وغلافها المائي وغلافها الجوي، أو في دينامية الفضاء الخارجي أو تركيبه أو تشكيله».[35]

استخدم «التحالف» الحرب ضد البيئة كأحد مجالات عدوانه الذي ينتمي لحروب الجيل الخامس، وتعتبر محافظة صعده من أكثر المحافظات التي شن عليها تحالف العدوان هجمات صاروخية استهدفت التربة والمزارع ومصادر المياه، ورغم أن النتائج المباشرة لهذه الهجمات تنتمي إلى المجال الاقتصادي إلا أن طبيعة العمليات تؤدي إلى تغيير في البيئة ذاتها، مما يجعل هذه الهجمات العدوانية مخالفة للقانون الدولي الانساني وما جاء في برتوكوله[36]، ومخالفة لاتفاقية «حظر استخدام تقنيات التغيير في البيئة».

كلفت الحرب العدوانية على قطاع الثروة السمكية اليمني ما يقارب 10 مليارات دولار،[37] وامتد تخريب دول العدوان عبر نشاطهم الاستعماري في نهب الثروة

(35) اتفاقية حظر استخدام تقنيات التغيير في البيئة لأغراض عسكرية أو لأية أغراض عدائية أخرى. اللجنة الدولية للصليب الأحمر https://www.icrc.org

(36) حظر «استخدام وسائل أو أساليب للقتال، يقصد بها أو قد يتوقع منها أن تلحق بالبيئة الطبيعية أضراراً بالغة وواسعة الانتشار وطويلة الأمد». كما يحظر البروتوكول هجمات الردع التي تشن ضد البيئة الطبيعية من قبيل الانتقام». البيئة والقانون الدولي الإنساني.

(37) «قال وزير الثروة السمكية محمد محمد الزبيري إن خسائر القطاع السمكي خلال سبعة أعوام من العدوان تقدر إجمالاً بعشرة مليارات دولار منها 4 مليارات دولار خسائر توقف الإنتاج وتوقف المشاريع الاستثمارية. وأوضح وزير الثروة السمكية في حوار مع صحيفة « الثورة » أن القطاع السمكي يعد أحد أعمدة الدخل القومي لليمن ولذا اعتبره العدوان هدفاً استراتيجياً له بقصد تجفيف منابع الدخل وتعقيد الحياة على الناس. الزبيري تطرق في الحوار إلى أنواع الاستهداف الذي طال الثروة السمكية منذ بداية العدوان والذي تنوع بين

البحرية اليمنية إلى الإضرار بالبيئة البحرية اليمنية، مهدداً بخطر تصحرها، حيث تم تدمير البيئة الخصبة لنمو العوالق المائية التي تتغذى عليها صغار الأسماك، واستنزاف المخزون السمكي في التركيز على الاصطياد من مواقع معينة، وكذا استخدام وسائل اصطياد ضارة بالبيئة ومخالفة للقانون مثل الإضاءة والمؤثرات الصوتية والديناميت لتفجير مناطق العيش وتكاثر الأسماك، وإفراغ الفضلات النفطية والإشعاعية، وهو ما يؤدي إلى قتل الأحياء المائية وتدمير البيئة البحرية منها الشعاب المرجانية.

في جزيرة سقطرة برز بشكل واضح عملية التدمير التي تقوم بها قوات الاحتلال الإماراتية، وفي تصريح لموقع العربي في تحقيق أعده زكريا حزام في 14 ديسمبر 2017م خشى الدكتور خالد عبدالله الثور، رئيس الهيئة العامة لحماية البيئة في اليمن، من عواقب تأثير عمليات التجريف المتواصل للبيئة البرية والبحرية والموارد الطبيعية لجزيرة سقطرة، منذ سيطرة قوات دولة الإمارات عليها، ما أدى إلى مشاكل واختلالات في التنوع الحيوي، ونفوق للكائنات البحرية والبرية والإضرار بمقومات الحياة الطبيعية النادرة.

وأشار التحقيق إلى التقرير الميداني الخاص بـ»تقييم الشعب المرجانية في شواطئ الجزيرة» الذي أجراه خبراء من هيئة حماية البيئة بسقطرى في 27 إبريل/ نيسان 2017، بعد جولات من العاصمة حديبو شرقي سقطرى حتى منطقة رأس أراسل التي تبعد عنها 100 كيلومتر، إذ كشف التقرير عن تجميع 2800 طن من أحجار المرجان التي تم استخراجها من شواطئ سقطرى بعد إعصاري تشابالا وميغ في نوفمبر/ تشرين الثاني 2015، ليتم تصديرها إلى الإمارات، بحسب إفادات

جرف الأسماك وتدمير البنية التحتية واستهداف قوارب الصيد وتهجير السكان من مناطقهم، موضحا أن العدوان تسبب بمقتل العشرات من الصيادين، ونزوح عشرات الآلاف ممن كانوا يعملون في الصيد وجميعهم فقدوا مصادر عيشهم إضافة إلى من فقدوا أعمالهم في الجانب السمكي.
وتطرق وزير الثروة السمكية الى انتهاكات دول العدوان في احتجاز الصيادين اليمنيين في المياه الإقليمية، وموضوع التخلص من النفايات الكيميائية من قبل سفن العدوان»، الثورة، « وزير الثروة السمكية لـ»الثورة»: خسائر القطاع السمكي جراء العدوان بلغت أكثر من عشرة مليارات دولار»، (13 نوفمبر 2021م)، متوفر على الرابط: http://althawrah.ye /

أهـالي الجزيـرة لمعـدي التقريـر.[38]

طالبـت وزارة السـياحة اليمنيـة ومجلـس الترويـج السـياحي، الأمـم المتحـدة ومجلـس الأمـن، سرعـة اسـتصدار قـرار دولي عاجـل يمنـع القـوات الإماراتيـة المحتلـة مـن العبـث بـأراضي محافظـة أرخبيـل سـقطرة وتدمـير إمكانياتهـا الطبيعيـة ونظامهـا البيئـي. كـما طالبـت الـوزارة ومجلـس الترويـج في بيـان الأمـم المتحـدة ومجلـس الأمـن بوضـع حـد لتصرفـات الإمـارات العدوانيـة والمسـتفزة عـلى صعيـد المسـاس بالسـيادة اليمنيـة عـبر الاعتـداء والتدخـل السـافر في جزيـرة سـقطرة.[39]

(38) العـربي الجديـد، «الجزيـرة المنهوبـة [3/ 3]... اسـتنزاف مـوارد سـقطرى في ظـل السـيطرة الإماراتيـة»،(14 ديسـمبر 2017م) ،متوفـر عـلى الرابـط: https://www.alaraby.co.uk

(39) الثـورة، «السـياحة اليمنيـة تطالـب مجلـس الأمـن بوضـع حـد لعبـث الإمـارات بـأراضي أرخبيـل سـقطرى»، (16 ينايـر 2018م) متوفـر عـلى الرابـط: http://althawrah.ye

الحرب السيبرانية والمعلوماتية:

الحرب السيبيرية ميدان ومجال جديدين في حروب الجيل الخامس، تقوم على هجوم القراصنة الإلكترونين (الهاكرز) لتدمير الملفات والمواقع التي تتبع العدو والسيطرة عليها في بعض الحالات وسرقة البيانات، عن طريق برامج وطرق متعددة، ورغم أن هجوم القراصنة في بداية الأمر كان نشاطاً فردياً عفوياً واستهدف مواقع الاقتصادية إلا أن هذا المجال من الحروب أصبح منظماً وتقوده الدول، كما تستخدمه أيضاً الجماعات والمنظمات المسلحة.

ظهرت الحرب السيبرانية كأداة من أدوات الجيل الخامس للحروب، وفي هذه المرحلة برز هذا النوع من الحرب أو التخوف من هذا النوع من الحروب على لسان الدول الكبرى الولايات المتحدة الأمريكية الصين الشعبية روسيا الاتحادية، ولعل أبرز هذه الهجمات أو الاتهامات، هي الأزمة الأمريكية الروسية على خلفية اتهام الولايات المتحدة الأمريكية بقيام روسيا الاتحادية بهجوم سيبراني على قاعدة البيانات في الانتخابات الأمريكية لصالح صعود الرئيس الأمريكي السابق، دولاند ترامب، وعلى إثر ذلك اتهم مكتب التحقيقات الفدرالي الأمريكي (أف بي آي) 13 مواطناً روسيا بالتدخل في الانتخابات الرئاسية الأمريكية التي جرت عام 2016م وفاز فيها الرئيس دونالد ترامب. ويواجه ثلاثة من هؤلاء تهمة التآمر من أجل التزوير الالكتروني، بينما يتهم 5 آخرون بانتحال شخصيات وهمية. وجه الاتهامات المحقق الخاص روبرت مولر، المكلف بالتحقيق في مزاعم تدخل الروس في الانتخابات الأمريكية. وطالت الاتهامات ثلاث شركات روسية أيضاً، من بينها شركة انترنت مقرها في سانت بطرسبرغ، التي وصفها تقرير الاف بي آي بأن هدفها الاستراتيجي كان «زرع الفتنة في النظام السياسي الأمريكي، من بينها الانتخابات الرئاسية لعام 2016م».[40]

(40) «يقول التحقيق إن مواطنين روس :
- فتحوا حسابات مصرفية باسم أمريكيين وانتحلوا شخصياتهم وأنفقوا آلاف الدولارات شهريا لشراء إعلانات سياسية.
- اشتروا فضاءات إلكترونية أمريكية لإخفاء هوياتهم ونظموا تجمعات سياسية في الولايات المتحدة ودعوا إليها.

الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، كان قد أعلن في نادي الحوار الدولي، أن العالم غير جاهز بعد للتحديات الجديدة في مجال الفضاء السيبراني، وأن هناك حاجة لتنظيم متعدد الأطراف في هذا المجال. وقال «إذا تناولنا الذكاء الاصطناعي، والفضاء الإلكتروني، والهندسة الوراثية، فهناك مشاكل جديدة ستظهر، ليست لدينا حلول لها، أعتقد أنه كانت هناك أحداث من الحرب السيبراني في الماضي، ولكن لا توجد اتفاقات دولية بشأن هذه المسألة. نعم يسلم به أن القانون الدولي ينطبق على الفضاء السيبراني، ولكن لا يوجد فهم لكيفية تطبيق القانون الإنساني الدولي على النزاعات السيبرانية أو كيف يمكن تطبيق مفهوم الدفاع عن النفس في هذه الظروف؟».[41]

في الحرب على اليمن لم يكن هناك حضور كبير للحرب السيبرانية كنوع من اختراق عدواني للمؤسسات اليمنية الرسمية، ويعود ذلك إلى تردي البنية التحتية الالكترونية في الجمهورية اليمنية، إلا أن التحالف قام بممارسات لها صلة بهذا النوع من الحروب، ومنها على سبيل المثال التشويش على القنوات الوطنية في قمر النايل سات «المسيرة»، و"الساحات" وإيقاف البث وحجبها واختراق مواقعها الالكترونية، وإغلاق الصفحات الإلكترونية على مواقع التواصل الاجتماعية لأبرز الناشطين والشخصيات السياسية والإعلامية، وبطبيعة الحال فإن هذه الممارسات لها علاقة بالحرب السيبرانية من حيث السلوك والأثر، كما أنها تعتبر جزءاً من حروب المعلومات التي هي أحد مجالات الاستهداف في حروب هذا الجيل.

- نشروا تعليقات سياسية على مواقع التواصل الاجتماعي بأسماء أمريكيين نشروا معلومات أضرت بهيلاري كلينتون وتحصلوا على أموال مقابل النشر على مواقع التواصل الاجتماعي الأمريكية.
- أنشأوا مجموعات على مواقع التواصل الاجتماعي، خاصة فيسبوك وإنستغرام، للنقاش في قضايا حساسة.
- كانت لنشاطاتهم ميزانية شهرية تفوق مليون دولار.

وأضاف التقرير أن هذه المجموعة كانت تقيس فاعلية نشاطاتها على الانترنت، وتغير استراتيجيتها لتحقيق أهدافها، وأن أعضاء المجموعة بدأوا يبحثون سبل التأثير في الانتخابات الرئاسية الأمريكية في عام 2014، وشرعوا في عملهم في عام 2016م». بي بي سي، « اتهام 13 روسيا بالتدخل في الانتخابات الرئاسية الأمريكية»،(16 فبراير 2018م)، متوفر على الرابط: https://www.bbc.com

(41) سبوتنك عربي «غوتيريش: العالم غير جاهز للتحديات الجديدة في مجال الفضاء السيبراني»، (21 يونيو 2018م)، متوفر على الربط: https://arabic.sputniknews.com/

واجهت الصحافة والإعلام اليمني على مدى ثمان سنوات حرباً شرسة بدءاً من استهداف الصحفيين أثناء تأدية مهامهم الأمر الذي أدى إلى استشهاد 472 إعلامياً وفقاً لاتحاد الإعلاميين اليمنيين، مبيناً أن تحالف العدوان استهدف بغاراته الجوية 30 مركز إرسال وبث إذاعي وتلفزيوني، وتعرضت نحو 23 منشأة ومؤسسة إعلامية للتدمير الكلي والجزئي. ورصد اتحاد الإعلاميين اليمنيين 6 حالات استنساخ لقنوات فضائية ومواقع إلكترونية، و 8 حالات إيقاف بث على القمرين الاصطناعيين عرب سات ونايلسات، بالإضافة إلى 7 حالات حجب وتشويش على هذه القنوات، وكذلك 30 حالة اختراق مواقع إلكترونية.[42]

كما منع تحالف العدوان 155 صحفياً من 155 مؤسسة إعلامية وصحفية من الوصول إلى اليمن بسبب رفض تحالف العدوان منحهم تراخيص الوصول إلى اليمن وذلك في إطار الحد من تأثير الرسالة الإعلامية الوطنية والإنسانية على الرأي العام الدولي.

بالإضافة إلى أن طيران العدوان كان قد قام باستهداف مباني تلفزيون الجمهورية اليمنية ومحطات الإرسال الإذاعية والتلفزيونية وقناتي اليمن اليوم والمسيرة وعدد من الإذاعات المحلية بالتزامن مع ممارسة الضغوطات على الأقمار الاصطناعية لحجب بث القنوات الحرة والعمل على استنساخها عبر إطلاق قنوات مزيفة تحمل نفس أسمائها وشعاراتها وأخر جرائمه في فبراير من العام 2022م قصف البوابة الدولية للإنترنت في محافظة الحديدة الذي أدى إلى انقطاع خدمة الانترنت عن اليمن لعدة أيام، واستهداف مقر الشركة اليمنية للاتصالات تليمن في العاصمة صنعاء.

وأدت الضغوطات التي مارسها «التحالف»، إلى إيقاف بث قنوات اليمن الفضائية - سبأ - الإيمان - عدن - اليمن اليوم - المسيرة وقناة الساحات على القمرين «عربسات ونايلسات» لعدة مرات.

(42) للمزيد راجع تقارير اتحاد الإعلاميين اليمنين، متوفر على الرابط: http://www.yemenimu.ne

أوضحت تقارير اتحاد الإعلاميين اليمنيين أن طيران العدوان استهدف بغاراته 30 مركزاً للإرسال والبث الإذاعي والتلفزيوني، وتعرضت نحو 21 منشأة ومؤسسة إعلامية للتدمير الكلي والجزئي مخلفاً خسائر بالمليارات. كما أدى حظر السفر وإغلاق مطار صنعاء الدولي من قبل تحالف العدوان إلى الحيلولة دون سفر عشرات الصحفيين من وإلى اليمن، وذلك في إطار الحد من تأثير الرسالة الإعلامية الإنسانية على الرأي العام الدولي والتعتيم على جرائم وانتهاكات العدوان الذي تسبب في أسوأ كارثة إنسانية في العالم بحسب تقارير المنظمات الدولية.

الحرب الدعائية:

تركزت الحروب المعلوماتية على إعاقة وتعطيل وتدمير النظم المعلوماتية التابعة للخصوم مع حماية النظم المعلوماتية الخصوم بالطرف الذي يشن الهجوم، وتعد الحرب الدعائية أو نشر الأخبار الكاذبة من أبرز تكتيكات الحرب المعلوماتية، وتتضمن نشر الأخبار والمعلومات والحجج والفضائح بطريقة مخططة من أجل التأثير على مدركات وأفكار شَعب أو جماعة معينة وإضعاف آليات القادة لسيطرة مؤسسات الدولة وقواتها المسلحة.

أما البعد الجديد في حروب الجيل الخامس فيتمثل في زيادة اللجوء إلى التضليل المعلوماتي واستخدامه بصورة مكثفة في أوقات السلم، وعدم اقتصار حروب المعلومات على فترات المواجهات العسكرية بين الدول بحيث لم تعد هناك حاجة إلى إعلان الحرب.

ولا يقتصر الهجوم الإعلامي على الدول بل دخلت فيه الجماعات "الإرهابية" التي استخدمت الإعلام في الاستقطاب الفردي ونشر الأفلام التي تستهوي الشباب لاستقطابهم إلى هذه الجماعات، وهنا نجد تغير في الرسالة الإعلامية ففي حروب الجيل الرابع كان الخطاب الإعلامي يستهدف المجتمع ككل والنخبة السياسية المعادية من أجل التأثير في الإرادة والقرار السياسي لدى الخصوم، أما في حروب الجيل الخامس فإن الخطاب الإعلامي يوجه إلى استقطاب أفراد معينة وشرائح اجتماعية

وأفراد لديهم ميولات معينة، بالإضافة إلى مهمة الإعلام في مخاطبة المجتمع ككل ومحاولة التأثير فيه.

في الحرب العدوانية على اليمن شنت الحرب المعلوماتية بمستوى كبير ومكثف، عبر آليتين الأولى بث المعلومات الخاطئة، وآلية حجب المعلومات عن القوى الوطنية وإعاقة تدفقها من القوى الوطنية إلى العالم.

واجهت اليمن طوال فترة العدوان حرب إعلامية ضخمة، وظفت كل إمكاناتها في هذه الحرب عبر استراتيجيات معقده ومختلفة ونذكر منها نشر الإشاعات، ونشر الصور المعالجة بالبرامج، ونشر فيديوهات من بلدان أخرى ونسبها إلى اليمن، ولربما من أشهر هذه العمليات ومن أبرز هذه النماذج نشر الناطق العسكري لدول التحالف مقطع فيديو يظهر صواريخ في مخزن، على أساس أنه في اليمن فيما هو من العراق، وهذا الخبر المزيف كان يبنى عليه استهداف لميناء الحديدة الذي يعد آخر متنفس للمناطق التي يديرها المجلس السياسي الأعلى، وهدد ناطق تحالف العدوان-حينها- في تصريحاته، باستهداف الميناء الوحيد وجعله هدفاً عسكرياً مشروعاً، لكن بعد التدقيق في المشاهد تبين أنها مأخوذة من الفيلم الوثائقي «Severe Clear» (في الدقيقة 70:00) الذي يتحدث عن الغزو الامريكي للعراق عام 2003 . والفيلم «Severe Clear» من الامريكي كريستيان فرج أنتج عام2009م، ليعترف ناطق العدوان لاحقاً بأنه «أخطأ»[43] وكذلك عبر استخدام

(43) «قال المتحدث باسم جماعة «أنصار الله» الحوثية محمد عبد السلام إن الناطق باسم قوات التحالف العربي تركي المالكي ارتكب «فضيحة» بعد أن اجتزأ مقطعا من فيلم وقدمه على أنه إنجاز استخباراتي. وكتب عبد السلام في تغريدة: «من فضيحة إلى أكبر ومن إفلاس إلى آخر باستعراض ناطق التحالف ما يدعيه أنه موقع لصواريخ في ميناء الحديدة ليتبين أنه مشهد من فيلم تم اجتزاؤه وتقديمه للرأي العام على أنه إنجاز استخباراتي لتحالف يريد تعويض خسائره الميدانية بانتصارات إعلامية استخباراتية مصطنعة ومختلقة ومثيرة للسخرية». من جهته، قال القيادي في جماعة «أنصار الله» الحوثية محمد علي الحوثي في تغريدة: «قلنا لكم من قبل، العدوان من يخترق ويفبرك، كما كذب الأمريكان في العراق وفبركوا، يجدد ذلك في اليمن باستمرار من يتولاهم».روسيا اليوم، «الحوثيون: الناطق باسم التحالف العربي اجتزأ مقطعا من فيلم وقدمه على أنه إنجاز استخباراتي (فيديو)»، (9 يناير 2022م) متوفر على الرابط: https://arabic.rt.com/

«وضح المتحدث باسم التحالف العربي في اليمن بقيادة السعودية، تركي المالكي، حقيقة نشر «مقطع من فيلم» قدمه سابقا على أنه «إنجاز استخباراتي» للتحالف، واعترف بوقوع خطأ. ويأتي ذلك بعد أن اعتبرت

مقاطع من الألعاب الكترونية وبثها على أنها عمليات عسكرية للتحالف، وكذلك عبر تحويل القضايا الجنائية لقضايا سياسية وتحميل "أنصار الله" المسؤولية، عدا عن إعلان عشرات المرات بدء "ساعة الصفر" لإسقاط العاصمة صنعاء.

يرى الأستاذ(الراحل) أحمد الحبيشي عضو اللجنة الإعلامية للمجلس السياسي الأعلى بأن "الحرب الإعلامية والنفسية التي كانت تقودها هيئة الأركان المشتركة لهذه الحرب في مبنى وزارة الدفاع السعودية بالرياض، كانت بمثابة كتائب عدوانية متقدمة وشرسة، حيث تم الاستعانة بأعداد كبيرة من الصحفيين والإعلاميين والمثقفين والمهاجرين الانتهازيين والقادة السياسيين المأزومين وبعض الجواسيس المحليين، في شن أكبر حرب نفسية عرفها تاريخنا الحديث، بموازاة أخطر وأطول عدوان على اليمن، استهدف إلحاق أكبر قدر من الأذى والضرر بالإنسان والهوية والشجر والحجر والطير والسابلة والتاريخ والحاضر والمستقبل.

اللافت للنظر أن قوى العدوان لم تحصل فقط على دعم لوجيستي أمريكي وبريطاني وإسرائيلي في المجال الحربي والاستخباري، بل وفي مجال الدعاية السوداء والحرب النفسية حيث تم توظيف أموال ضخمة لإنتاج حملات إعلامية مباشرة وبرامج حوارية استهدفت استخدام وسائل وأدوات وأساليب حديثة، لتحقيق أهداف غير تقليدية، والتأثير على الوعي الشعبي الاعتيادي وإثارة النعرات الطائفية والمناطقية في الداخل، وممارسة التضليل وتزوير الحقائق على المستوى الخارجي، وتوفير الفرص الاستراتيجية التي تساعد جيوش التحالف السعودي على تحقيق نصر سياسي وعسكري سريع، الأمر الذي أكسب الحرب الإعلامية والنفسية

جماعة «أنصار الله» الحوثية أن «تركي المالكي ارتكب فضيحة باجتزاء مقطع الفيديو والادعاء بأنه موقع لصواريخ في ميناء الحديدة، وتقديمه للرأي العام على أنه إنجاز استخباراتي لتحالف يريد تعويض خسائره الميدانية بانتصارات إعلامية استخباراتية مصطنعة ومختلقة ومثيرة للسخرية». وفي مؤتمر صحفي عقد في محافظة شبوة، قال تركي المالكي: «قيادة القوات المشتركة للتحالف تؤكد نهجها الدائم والثابت فيما يخص المسار العملياتي أو الإعلامي، ونحن لا نجد حرجا إذا كان هناك أي أمر يحتاج إلى تصحيح، وهذا من الالتزام الأدبي والأخلاقي أن يكون هناك تصحيح..الفيديو مرر بطريقة مغلوطة من أحد المصادر..نحن نتعامل في منطقة عمليات، ولدينا الكثير من المصادر، وهذا يأتي ضمن الخطأ الهامشي للتعامل مع المصادر». روسيا اليوم، « لتحالف العربي يعترف «بوقوع خطأ»: الفيديو مرر بطريقة مغلوطة من أحد المصادر»، (12 سناير 2022م) مصدر سابق .

للعدوان السعودي على اليمن، شكلاً ومضموناً جديدين.[44]

وهدفت هذه الحرب الإعلامية إلى بث الذعر في أوساط المجتمع، وتشويه الحقائق، والتفرقة العنصرية، وبث اليأس وزعزعة الإيمان بالمواجهة والنصر، والعمل على إضعاف وشق التحالفات الوطنية.

الآلية الثانية للحرب المعلوماتية كانت عبر التعميم على ما يحجب في اليمن من جرائم حرب بشعة ومنع دخول وسائل الإعلام العالمية والصحفيين ولجان التحقيق من أجل إخفاء حقيقة ما يدور في اليمن.

وفي مقابل ذلك شنت القوى الوطنية اليمنية بأجهزتها الإعلامية وناشطيها حرباً إعلامية مضادة، معتمدة على معايير الحقيقة وفي هذه الحرب المضادة برزت قناة "المسيرة" و"الإعلام الحربي" على رأس هذه القنوات، بالإضافة إلى القنوات الوطنية الأخرى الخاصة مثل قناة الساحات وقناة اليمن اليوم بنسختها الوطنية والقنوات الرسمية "قناة اليمن" و"عدن" و"الإيمان والقنوات العربية المتضامنة مثل قناة "المنار" و"الميادين" و"العالم"، بالإضافة إلى المحطات الاذاعية التي لعبت دوراً هاماً في تعبئة المجتمع ضد العدوان ومن أجل تعزيز الصمود الوطني، وفي مقدمتها إذاعة صنعاء البرنامج العام، وإذاعة وطن صوت وزارة الداخلية، وإذاعة الجيش 21 سبتمبر، وإذاعة سام إف إم وغيرها من الإذاعات.

استهدفت الرسائل الإعلامية لدول التحالف وقوى العدوان المشاعر لا العقل عبر نشر أخبار كاذبة تجد قبولاً لدى تحيزات الأفراد، ومن أبرز هذه الأخبار الكاذبة التي تم نشرها خبر اغتيال القيادات البارزة في أنصار الله مثل "السيد" عبد الملك الحوثي ومدير الاستخبارات العسكرية عبد الله الحاكم "أبو علي"، وبشكل آخر اتهام أنصارالله بتصفية بعضهم ووضع الشكوك حول استشهاد الرئيس صالح الصماد ووفاة القائد العسكري يحيى الشامي وغيره من الشخصيات الوطنية.

(44) الثورة « الإعلام المقاوم في قلب المعركة»، (1 مايو 2019م)، متوفر على الرابط: http://althawrah.ye/

الحرب البيولوجية:

يقصد بالحرب البيولوجية الاستخدام المنهج للسلالات المسببة للأمراض من الكائنات الحية الدقيقة كالجراثيم والفيروسات أو سمومها لنشر أمراض وتهديد حياة البشر والحيوانات والنباتات وذلك على نطاق واسع في منطقة الاستهداف.

والحرب البيولوجية وإن كانت من أبرز مجالات الاستهداف وأسلحة «حروب الجيل الخامس»، إلا أنها تطورت عن حروب بيولوجية قديمة كانت تتم عبر تسميم مصادر مياه الخصوم بجثث الحيوانات.

في العدوان الأمريكي السعودي الراهن المستمر على بلادنا استخدمت الحرب البيولوجية جنباً إلى جنب مع بقية أشكال الحروب الناعمة والعنيفة في إطار الاستهداف الشامل لليمن إنساناً وأرضاً.

استخدمت الأسلحة الكيميائية لأول مرة في الحرب العالمية الأولى، وعقب ذلك قررت دول العالم الحد من استخدامها بعد أن تبين أن استخدام المواد الكيميائية القاتلة أو البكتيريا لا يمكن التنبؤ بآثارها أو السيطرة عليها. على إن المعاهدات الهامة تحظر الأسلحة البيولوجية والكيميائية، بدأت من بروتوكول 1925 لحظر الاستعمال الحربي للغازات الخانقة أوالسامة أو غيرها، والوسائل البكتيريولوجية، وقعت عليها معظم دول العالم.

تبرز الحرب البيولوجية كأحد أهم الأسلحة المستخدمة في حروب الجيل الخامس التي تطبق في العدوان الراهن على بلادنا.

وللحرب البيولوجية أهمية خاصة لدى العقيد الأمريكي المتقاعد «توماس الذي يعد أبرز المنظرين لحروب الجيل الخامس ، يعتقد توماس بأن التطورات الجديدة تثير قلقاً خاصاً نظراً لأن الهياكل السياسية والتجارية والاجتماعية الناشئة كانت دائماً أكثر نجاحاً في توظيف التكنولوجيا الناشئة عن المؤسسات القديمة، واليوم هناك تقنيتان ناشئتان ، التكنولوجيا النانوية والتكنولوجيا الأحيائية، لديهما القدرة على تغيير عالمنا، فيمكن للتكنولوجيا الحيوية الحالية أن تمنح المجموعات الصغيرة نوع القوة التدميرية التي كانت تقتصر سابقاً على القوى العظمى.

يطرح توماس خطورة الحرب البيولوجية من إمكانية أن تستخدمها جماعات إجرامية ضد الدول والمجتمعات، وعلى سبيل المثال فإن استخدام مجموعة من المتطوعين وشركات الطيران التجارية، يمكن لجماعة إرهابية أن تنشئ تفشياً عالمياً شبه متزامن للجدري.

الأمر الذي لن يؤدي في حدوث عدد كبير من الوفيات فحسب، بل سيؤدي أيضاً إلى إيقاف التجارة العالمية حتى يتم السيطرة على الوباء أو يحرق نفسه.

استخدام الأسلحة البيولوجية من جماعات أو أفراد خطر فعلي، إلا أنه وفي العدوان على بلادنا أستخدم السلاح البيولوجي من قبل دول تحالف العدوان التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية، واستخدام هذا السلاح من قبل تحالف العدوان على اليمن لم يعد مشكوكاً فيه، خاصة مع تفشي الأمراض والأوبئة في اليمن خلال سنوات العدوان الثمان الماضية بشكل كبير يؤكد أن هناك حرباً بيولوجية تشن على اليمن، خاصة وأن ترافق ظهور الأوبئة في اليمن مثل الكوليرا وحمى الضنك وأنفلونزا الخنازير وغيرها من الأوبئة ترافقت مع الاستهداف المتعمد من قبل تحالف العدوان لمصادر وشبكات المياه وللبنية الصحية في اليمن.

سلاح فتاك بتكلفة رخيصة:

تكمن خطورة هذا النوع من السلاح في تدني تكاليف إنتاجه إذا قورنت بالأسلحة الكيماوية أو النووية؛ فجراثيم الميكروبات المرضة يمكن تحضيرها بصورة بسيطة غير معقدة بواسطة بعض المختصين المهرة من علماء الأحياء الدقيقة، حيث أن تحضيرها لا يحتاج لتقنيات علمية معقدة ولا تفاعلات عديدة أو متسلسلة كما أن طريقة تحضيرها لا يوجد بها سرية ولا قصور معرفي لدى الكثير من العلماء على عكس العلوم النووية.

وتتمثل خطورة هذا السلاح أيضاً في سهولة حمله وانتشاره وصعوبة اعتراضه كما تعترض الأسلحة التقليدية وفي الإمكانية الذاتية لهذا السلاح في الاستمرار

بالحرب بشكل مستقل عن المهاجم به لقدرته على التكاثر في البيئة المستهدفة والانتقال عن طريق العدوى إلى درجة عدم القدرة على السيطرة عليه، كما تصبح تداعيات استخدام هذا السلاح قوة إضافية للحرب النفسية عبر إثارة الخوف منه وتعطيل حياة المجتمع المستهدف.

من الأسلحة البيولوجية ما هو مضاد للمحاصيل الزراعية؛ ومنها ما هو مدمر للحيوانات الاقتصادية التي يعتمد عليها شعب ما؛ ومنها ما هو مهلك ومدمر للإنسان فقط دون غيره؛ ومنها ما هو مزدوج التأثير كالأمراض المشتركة التي تعدي الحيوان فتهلك الثروة الحيوانية ويعدى الإنسان من الحيوان بعد ذلك فتحدث أمراض وبائية للإنسان.

وفي العدوان على اليمن استخدم السلاح البيولوجي في استهداف الانسان مباشرة وكذلك الأرض والثروة الحيوانية خاصة في مناطق صعدة وتهامة اليمنيتين.

وجهت الحرب البيولوجية في العدوان على اليمن إلى الكائنات الحية والبيئة من المدنيين والمحاصيل الزراعية والحيوانات، ومصادر المياه، التربة والهواء، وقد تم تسجيل العديد من حالات التشوهات الخلقية لأعداد كبيرة من المواليد في كل من محافظات صعدة وحجة والحديدة وتعز، وهي ناتجة عن استخدام التحالف بقيادة السعودية أسلحة بيولوجية في حربها ضد اليمن.

على مدار سبعة أعوام، لا تزال دول تحالف العدوان ترتكب الجرائم بحق المدنيين والمؤسسات والبنى التحتية لليمن وفي مقدمتها البنية الانتاجية الغذائية الصناعية والزراعية وكذلك البنية الصحية، ما تسبب ولا يزال في صنع كارثة إنسانية تعد الأسوأ من نوعها في العالم بتأكيد وشهادة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الإنسانية.

نقل موقع «ليبرتي فيذر» تقريراً يشير إلى أن الكوليرا والوباء في اليمن ناجم عن هجوم أمريكي سعودي في مؤامرة مشتركة، وحمل الموقع أمريكا المسؤولية المباشرة عن الهجوم البيولوجي. كما أصدر موقع «غلوبال ريسيرش للأبحاث» تقريراً حول التعاون الأمريكي مع السعودية في شن حرب بيولوجية ضد المدنيين

في اليمن، واستخدام الأمراض كسلاح لقتل اليمنيين، وحسب التقرير، فإنه ومنذ مارس/ آذار العام 2015م، حتى مايو 2018م، وقت صدور التقرير أصيب بهذه الأوبئة حوالي 400 ألف شخص، ولفت إلى أن هذه الأمراض هي بسبب باكتيريا تنتجها أسلحة تصنعها الولايات المتحدة.[45]

في أواخر ديسمبر العام 2018م دقت وزارة الصحة العامة والسكان اليمنية في صنعاء ناقوس الخطر بعد إصدار تقرير عن الوضع الوبائي لحمى الضنك والملاريا في اليمن للعام 2019م.

وأكد حينها وزير الصحة العامة والسكان الدكتور طه المتوكل في تصريح لقناة المسيرة تزايد أعداد المصابين بوبائي حمى الضنك والملاريا في المناطق الساحلية والتهامية، مؤكداً وصول عدد المصابين بالملاريا إلى قرابة المليون. أما المصابون بوباء حمى الضنك فقد تجاوز الستة والثلاثين ألف مصاب، كما أكد الوزير الدكتور المتوكل وجود فيروس إتش ون إن ون (إنفلونزا الخنازير) في عدد من المحافظات الجبلية، مشيراً إلى تزايد ملفت في عدد المصابين بهذا الفيروس.

وحمل وزير الصحة اليمني الدكتور طه المتوكل دول العدوان المسئولية الكاملة في انتشار هذه الأوبئة التي تفتك باليمنيين متهما الغزاة المرتزقة من السودانيين والجنجويد بانتشار فيروس حمى غرب النيل في المناطق الساحلية وأيضا في المناطق الحدودية في محافظتي صعدة وحجة حيث يتركز وجود قوى العدوان.

(45) «الوقت» بعد 1500 يوم من الحرب البيولوجية على اليمن.. الكوليرا تهديد حقيقي لحياة ملايين اليمنيين»، (19 مايو 2019م)، متوفر على الرابط: https://webcache

الحرب الناعمة:

«الحرب الناعمة» إحدى مجالات حروب الجيل الخامس التي تخاض ضد اليمن من بداية التدخل العسكري تتنوع طرائقها وأساليبها، والتي تخاض هذه عبر القلم والفيديو والصورة والرسالة والمحاضرة واللوحة والكتاب والندوة وبيت الدعارة والطابور الخامس، تمارس كل هذه العمليات العدوانية من أجل التأثير بالقوة الناعمة التدريجية وصولاً إلى إسقاط المجتمع وضرب الجبهة الداخلية بالتظافر مع مجالات الحرب الأخرى.

يركز في هذا المبحث على أبرز جانبي من جوانب الحرب الناعمة الأكثر تأثيراً وانتشاراً، وهما «الحرب الفكرية-السياسية» و«حرب المخدرات»، وهذا لا يعني عدم وجود بقية جوانب الحرب الناعمة منها الجوانب الأخلاقية، إلا أن هذه الجوانب الأخلاقية تلقى مقاومة من المجتمع نفسه وتنبذ بصورة يومية بفضل القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية السائدة في اليمن، فيما الحرب الفكرية السياسية وحرب المخدرات تجاوزت قدرة المجتمع على مقاومتها وتحتاج إلى جهود ثقافية وأمنية خاصة، وقد كان لمدير عام البحث الجنائي -الراحل- العميد سلطان زابن الدور الأبرز في معالجة القضايا الأخلاقية وليس فقط مكافحتها أمنياً، وهو ما دفع تحالف العدوان للضغط على مجلس الأمن ليفرض عليه العقوبات، وهي مماثلة للعقوبات التي صدرت بحق قادة عسكريين يمنيين آخرين.

رياح السلام الباردة:

كان من ضمن الحرب الناعمة عمل دول التحالف على التأثير على الإدراك والخيارات السياسية، ورغم أن هذا الأمر يمكن تصنيفه كجزء من الحرب السيبرانية ضمن «الحرب الدعائية»، إلا أنه بالإمكان وضعه في هذا المبحث ضمن «الحرب الناعمة» بمفهومها السياسي أي التأثير المعادي الناعم للوصول لذات النتائج المرجوة التي يجري فرضها بالوسائل العنيفة، خصوصاً وأن الاستخبارات البريطانية كجهة أمنية هي من مارست هذا النوع من الحرب ولم تكن مجرد دعاية إعلامية.

عملت بريطانيا على توجيه الرأي العام اليمني وتجنيد الشباب اليمني في عدد من المنظمات المدنية لإقناع اليمنيين بالمشروع السياسي البريطاني عن السلام -غير العادل-، بدون وعي من العاملين على هذه المنظمات المحلية الذين تعرضوا للخديعة، ومثلوا «حصان طروادة» وفق تعبير الكاتب «كِت كلارنبرغ» المحرر في موقع «ذا كارديل».

«كشف موقع The Cradle حصرياً عن جزء من الحرب بالوكالة التي شنّتها لندن لفترة طويلة ضد المقاومة الحوثية في اليمن. يتعلق هذا الجزء بالبروباغاندا متعددة القنوات التي استهدفت المدنيين وعملت في سرية تامة طوال الصراع الذي دام تسع سنوات، واضطلعت بها شركة الاستخبارات البريطانية «ARK» واسعة الانتشار، التي أسسها وقادها العميل السابق في جهاز الاستخبارات الخارجي "MI6"، أليستير هاريس».

بحسب الموقع «تعهدت شركة «ARK» بإنشاء مجموعة من المنتجات «الجذابة بصرياً» للترويج للسلام الذي تفرضه الرياض، والتي ستُنشر على الإنترنت وخارجه. ستُستخدم الصور «بشكل متعمد لتشمل مختلف الفئات الديمغرافية والطوائف والمواقع من أجل ضمان الشمولية».

يوضح الموقع: بدأت الحملة في البداية على «المستوى المحلي الضيق» في ست محافظات يمنية، «قبل أن تتوسع إلى المستوى الوطني، في كل محافظة، اختيرت منظمة غير حكومية محلية «ذات مصداقية» كمرسال، إلى جانب صحافيين «معروفين» و«محترمين ومؤثرين» الذين سيكونون «موظفين ميدانيين متخصصين» في المحافظات الستة، التي تعمل فيها شركة «ARK».

ويخلص الموقع إلى نتيجة مفادها: قد يعتبر البعض أن هذا التجنيد للمواطنين العاديين من دون قصدهم وموافقتهم، سواء كانوا شباباً أم كباراً في السن، كمحاربين معلوماتيين لدى الاستخبارات البريطانية، كان مبرراً بالضرورة الأخلاقية لإنهاء "الحرب الأهلية" في أسرع وقت ممكن. ومع ذلك، كان استغلالهم خبيثاً للغاية، لأنه كان بمثابة عملية «حصان طروادة»، تهدف في النهاية إلى إجبار اليمنيين على

قبول سلام غير منصف إلى حد كبير، بما يتعارض مع مصالحهم الخاصة.[46]

ما كشف عنه موقع The Cradle هو نموذج عن ممارسات مماثلة انخرطت فيها المخابرات الغربية في اليمن، للتأثير الناعم على الوعي الاجتماعي، للقبول في نهاية المطاف بتصورات دول التحالف المعادية لليمنيين.

حرب المخدرات:

تركز دول تحالف العدوان على حرب المخدرات بصورة رئيسية لخطورتها الكبيرة على المجتمع، وتستفيد دول التحالف في حربها هذه على الإرث الذي خلفه النظام السابق؛ فقد عملت الأطراف النافذة في السلطة الحاكمة سابقاً على تنظيم عملية الاتجار بالمخدرات، وأبعد من ذلك، فقد نظمت احتكارها على تجار بعينهم يعملون لصالحها، ويحظون برعاية شبه رسمية، فيما كانت مهمة الأجهزة الأمنية حينها حمايةَ هؤلاء التجار، ومحاربةَ أي منافسين لهم.

توازياً مع أهداف حروبها الداخلية، استخدمت سلطة النظام السابق سلاحَ المخدرات في مواجهة أي استفاقة اجتماعية محتملة، فعمدت إلى إفساد قطاع واسع من شباب الحراك الجنوبي، عبر التسهيلات التي قدمتَها لمروجي وتجار المخدرات.

للتخريب الأجنبي إلى جانب الفساد الداخلي دورٌ متكاملٌ في إشاعة المخدرات، باعتبارها جزءاً من تجارة قوى الفساد وأطرافه النافذة لكسب المال الحرام، هدْفاً لتضرب معنويات واهتمامات المجتمع وإبعاده عن خوض النضالات الاجتماعية والثورية والوطنية.

في الحرب على اليمن، تبرز المخدرات كأحد مجالات الصراع، يستخدمها التحالف العدواني بقيادة المملكة السعودية والامارات المتحدة، بإسناد من الدوائر الأمريكية والصهيونية، ودعم الأوساط الحاكمة في الغرب الإمبريالي.

وفقَاً لإفادة إدارة مكافحة المخدرات بوزارة الداخلية اليمنية- صنعاء، فإن

(46) ذا كارديل عربي: "وثاق مسّربة: العمليات السرية للاستخبارات البريطانية لتشويه صورة «أنصار الله» في اليمن»، (17 إبريل 2023م) متوفر على الرابط: https://thecradle.co/

النسبةَ الأكبرَ من المخدرات المضبوطة في اليمن تعود لتجار سعوديين، وأن غالبيةَ المضبوطات تتم في المحافظات الحدودية، في طريقها إلى المملكة، وتحت مسمى -العفو العام- أفرجت السعودية عن أكثرَ من ثلاثة آلاف متورط بالاتجار وترويج المخدرات من جنسيات مختلفة، وأطلقتهم لتخريب المجتمع اليمني.

اشترطت الاستخبارات السعودية على البعض منهم، تزويدَها بالإحداثيات لمواقع الجيش واللجان الشَعبية اليمنية مقابلَ تسهيل تجارتهم، تثبت ذلك محاضر التحقيقات لدى الإدارة العامة لمكافحة المخدرات في صنعاء.

تظهر التحقيقات-التي اطلع عليها الباحث- مدى الترابط العضوي بين قوى العدوان وتجار المخدرات، حيث الأطنان من مختلف أنواع المخدرات تتدفق إلى الداخل اليمني عبر السواحل اليمنية الخاضعة لسيطرة قوات البحرية المعادية، ولا يتم إيقافها إلا في النقاط العسكرية والأمنية لقوات الجيش واللجان الشَعبية. وفي كثير من القضايا، اعترف المتورطونَ بتجارة المخدرات، بضلوع السعودية في هذه اللعبة، من خلال التسهيلات المقدمة من الأوساط العسكرية التابعة للسعودية والإمارات، بلغ ذلك - في بعض الحالات - حد قيام المرتزقة بنقل المخدرات عبر آليات عسكرية تابعة للحكومة العميلة.

تعد سيئون وخط العبر حضرموت منطقةً شبهَ مفتوحة لتجارة المخدرات، كذلك سواحل المهرة الواقعة تحت سيطرة السعودية، وعقب سيطرة القوات الإماراتية وعملائها على محافظة عدن، تفشت ظاهرة ترويج وتعاطي المخدرات والحشيش في أوساط الشباب، الذين صار بإمكانهم الحصول عليها بسهولة وأسعار مخفضة نسبياً، خاصةً مع انتشار مروجينَ تربطهم علاقاتٌ بقيادات جنوبية عميلة موالية لأبوظبي، فمعظم العاملين في البيع والترويج والتوزيع كانوا يقاتلون مع القوات الإماراتية في عدن عام 2015م، وبعضهم متورطون، وتكشف التحقيقات أن معظمَ القوات العسكرية التابعة لمرتزقة الإمارات والسعودية تشارك في تجارة المخدرات، وتسهيل نقلها إلى صنعاء.

مثالاً لا حصراً، يعد المدعو علي سالمين باصهيب الضابط العسكري العامل في

الإمـداد العسـكري لقـوات المرتزقـة في منطقـة -الوديعـة- مـن أشـهر تجـار المخـدرات خـلال السـنوات الثـمان الماضيـة. وفي أواخـر ديسـمبر 2017م، ضبـط الأمـن المـصري كميـة مـن المخـدرات بحـوزة المدعـو يـسران المقطـري المعـين مـن قبـل العـدوان مسـؤولا لمكافحـة الإرهـاب في أمـن عـدن، حـين ألقـي القبـض عليـه برفقـة فتاتـين بحالـة تعاطي في إحـدى الشـقق السـكنية بالعاصمـة المصريـة.[47]

في 26 اكتوبـر 2020م ضبـط أمـن عـدن المـوالي للعـدوان كميـة 3 طـن مـن مـادة الحشـيش والمخـدرات كانـت عـلى مـتن سـفينة قادمـة مـن مينـاء جـدة بالسـعودية، وكـما كان خـبر الشـحنة مثـيراً كان مثـيراً أيضـاً خـبر اختفائهـا؛ فالشـحنة المضبوطـة مـن الحاويـة الأولى التـي تـم تفتيشـها بلغـت 3 طـن حشـيش ومخـدرات، بينـما أخبـار إتـلاف الحشـيش الـذي تـم بحضـور ممثلـين دول العـدوان والمرتزقـة بلـغ 250 كيلـو جـرام مـن الحشـيش.

بالنسـبة لـدول تحالـف العـدوان، تبـدو حـرب المخـدرات اسـتراتيجيةً طويلـةَ الأمـد، يضمنـون عبرهـا إسـقاطَ الدولـة اليمنيـة مـن الداخـل، وإفسـاد المجتمـع اليمنـي؛ ليصبـح عندمـا يحـل السـلام عاجـزاً عـن القيـام بـالأدوار والمسـئوليات التنمويـة والنهضويـة العلميـة والعمليـة والدفاعيـة.

(47) المسـاء بـرس، «تأكيـداً لمـا نـشره "المسـاء بـرس" صحفيـة مصريـة تؤكـد فضيحـة المقطـري بالقاهـرة"، (16 ينايـر 2018م)، متوفـر عـلى الرابـط: http://www.masa-press.net/

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center
SABA
SABA.YE
مَا الَّذِي أَبْقَاهُ
النِّظَامُ السُّعُودِيُّ لِلْمُسْلِمِينَ
مِنْ فَرِيضَةِ الْحَجِّ؟
مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشي
وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

مقـــــدمة

لَـمْ يَعُـدْ «اَلْحَـجُّ» فَرِيضَـةً تَعَبُّدِيَّةً سِيَاسِـيَّةً صَحْوِيَّةً تَخْلُـقُ زَخَماً جَدِيـداً فِي ضَمِيرِ اَلْأُمَّةِ كُلَّ عَـامٍ ، وَلَـمْ يُعَـدْ فُرْصَةً لِإِعَـادَةِ اَلتَّقْيِيمِ فِي كَافَّةِ اَلْبَرَامِـجِ وَالْمَنَاحِي وَالْمَنَاشِـطِ اَلْحَيَاتِيَّةِ ، وَلَـمْ يَعُـدْ مُؤْتَمَـرًا يُقَـرِّرُ مَصِـيرَ اَلْخَلِيفَةِ اَلثَّالِـثِ «عُثْمَانْ بْنْ عَفَّـانْ» وَيُنَحِّيهِ مِـنْ اَلْحُكْمِ ،كَـمَا قَـرَّرَ مَصِـيرَ مُشْرِكِي قُرَيْـشٍ وَنَحَّاهُمْ مِـنْ جَزِيرَةِ اَلْعَـرَبِ بِقِرَاءَةِ سُـورَةِ «بَرَاءَةَ».

وَلَـمْ يَعُـدْ مُؤْتَمَـراً إِسْـلَامِيّاً عَالَمِيّاً يُنَاقِشُ هُمُـومَ اَلْمُسْـلِمِينَ وَالْمُؤَامَرَاتِ اَلرَّامِيَـةِ اَلْقَضَاءَ عَـلَى اَلْإِسْـلَامِ وَتَشْـوِيهِ صُورَةِ نَبِيِّ اَلْإِسْـلَامِ فِي اَلذِّهْنِيَّـةِ وَالْوَعْيِ اَلْجَمْعِـيِّ اَلْعَالَمِيِّ .

وَلَمْ تُعَدْ «عَرَفَاتُ» تَحْتَلُّ مَرْكَزَ مَجْلِسِ اَلْأَمْنِ اَلْإِسْلَامِيِّ، أَوْ اَلْأُمَمِ اَلْمُتَّحِدَةِ اَلْإِسْلَامِيَّةِ

وَلَمْ تَعُدْ «مِنَى» تُمَثِّلُ اَلْكُومُنْوِلْثِ اَلْإِسْلَامِيِّ، أَوْ اَلسُّوقِ اَلْإِسْلَامِيَّةِ اَلْمُشْتَرَكَةِ .

وَلَمْ يَعُدْ «اَلطَّوَافُ» يَهْدِفُ لِبَيَانِ مَعْنَى اَلْقُرْبَانِ وَالتَّضْحِيَةِ وَالْفِدَاءِ .

وَلَمْ يَعُدْ «اَلسَّعْيُ» يَهْدِفُ لِتَكْرِيسِ مَعْنَى اَلسَّعْيِ وَالْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ اَللَّهِ .

وَلَمْ يَعُدْ «اَلْإِحْرَامُ» يَرْمُزُ لِمَعْنَى اَلتَّقْوَى عَنْ كُلِّ اَلْمُحَرَّمَاتِ وَفْقَ حُكْمِ اَللَّهِ .

وَلَمْ تَعُدْ «اَلتَّلْبِيَةُ» تَعْنِي إِعَادَةَ اَلْبَيْعَةِ مَعَ اَللَّهِ لِتَطْبِيقِ شَرَائِعِهِ .

وَلَـمْ يَعُـدْ «رَمْـيُ اَلْجَمَـرَاتِ» يَعْنِـي رَفْـضَ شَـيَاطِينِ اَلْإِنْـسِ وَالْـبَرَاءَةِ مِنْهُمْ بِنَفْـسِ دَرَجَةِ رَفْضِ شَـيَاطِينِ اَلْجِنِّ وَالتَّبَرُّؤِ مِنْهُمْ وَمِنْ كُلِّ اَلطُّغَاةِ وَالْمُسْـتَبِدِّينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ وَالظَّالِمِينَ.

وَلَمْ.. وَلَمْ..!

إفراغ الحج من محتواه:

تعمـل الوهابيـة والنظـام السـعودية عـلى إفـراغ هـذه الفريضـة المُقدسـة مـن محتواهـا ومقاصدهـا التـي أرادهـا اللـه في محكـم التنزيل، لأن المسـلمين إذا قامـوا بها كـما أراد الله فلـن يبـقَ لبقـر الأمـيركان وقرودهـم في المـشرق العـربي ولايـة عـلى المسـلمين، ولـن يبـقَ لبنـي سـعود ولايـة عـلى البيـت الحرام، وبمـا أن هـذه الفريضة تُشـكِّل خطـراً وجودياً على حُـكام الدرعيـة وأوليـاء نعمتهـم في واشـنطن ورباتبهـم في تـل أبيـب، فمـن الطبيعـي أن يكـون لهـم سـجل أسـود في التعامـل مـع البقـاع الطاهـرة وضيـوف الرحمن منذ تأسـيس

دولتهم الأولى في نجد والحجاز في القرن السابع عشر الميلادي وحتى يوم الناس، ولم يدخروا طوال القرون الثلاثة الأخيرة وسيلة لتفريغ الحج من محتواه، وتحويله إلى مجرد طقوس جامدة وميتة ومفصولة عن واقع وحياة المسلمين.

وللأسف المتبقي الوحيد من هذه الفريضة المقدسة اليوم هو مجموعة من المُمارسات والقراءات تتخللُها أعمال غريبة يجب التعبُد بها، دون التفهّم لها، ولمعانيها، ومقاصدها، بعيدة ومفصولة عن كل الممارسات في حياتنا اليومية، هكذا تريده وهابية بني سعود تحت ذريعة الحفاظ على نهج السلف من بني أمية وبني قينقاع.

لذا لا عجب أن نجد الحاج حين يعود إلى منزله، لم يحمل معه من زاد الدنيا شيئاً، كما لم يُفلح في الحصول على زاد التقوى، وكل ما حمله معه إلى دياره اسم «الحاج»، ولا يحق له أكثر من الإسم، لأنه مارس مجموعة من أسماء، وكان نصيبه منها اسماً لا أكثر، ولأنه لم يعد في عُرف الجماهير، ذلك الذي يحمل معه سلوكية جديدة تُعطيه المزيد من الثقة بعلمه وعدالته، بل أصبح عند الناس ذلك الرجل الذي عرف كيف يُحوِّر معاني الدين ويستخدمها في مصالحه الخاصة، عندما قَبِل بفصل فريضة الحج عن واقع وحياة أمته، واكتفى بالقشور من تعبُّداته، وارتضى بالصمت على ما يُحاك ضد دينه وأمته.

إذن فالحج الذي أراده الله ليس رحلة سياحية أو زيارة طقوسية جامدة بل فريضةً عباديةً وسياسيةً وصحوية مُقدسة، ومؤتمر إسلامي عالمي، يجتمع فيه المسلمون من كل حدبٍ وصوب، لباسهم واحد، ومناسكهم واحدة، وصلاتهم واحدة، وقرآنهم واحد، وقبلتهم واحدة.

وهو مناسبة سنوية عظيمة لمناقشة قضايا وهموم المسلمين، وما يُحاك ضدهم وضد دينهم من مؤامرات، ناهيك عن أهميته في توثيق العلاقات الإسلامية البينية، وإظهار قوة المسلمين، ووحدتهم، واجتماع كلمتهم، وإرسال رسائل متعددة لأعداء الإسلام والمسلمين، مُفادها أن المسلمين يقظون وحاضرون لبذل كل غالٍ ونفيسٍ من أجل دينهم وكرامتهم.

ونظراً لما لهذه الشعيرة المقدسة من أهمية يعمل النظام السعودي جاهداً على منع

وقمع أي حراك أو صحوة في مواسم الحج، تُحاول تجسيد الغاية التي أرادها الله من هذه الفريضة العظيمة، وإعادة العظمة والهيبة إليها، لأن في ذلك تنغيصٌ وتكديرٌ لحياة الطغاة والمستكبرين والظلمة والمستبدين.

ويتهم العلامة «حمود عبدالله الأهنومي» النظام السعودي بتحويل فريضة الحج «من مؤتمر لوحدة المسلمين إلى مؤتمر للتفريق بينهم، وتكفيرهم، وتضليلهم وتبديعهم، وقتلهم، وإضفاء المشروعية لجرائمهم التي يخزى حتى الخزي أن ينسبَها لنفسه، تفريقٌ وتمزيق من قبل شيوخ الدين الوهابيين الذين أصاخوا سمع العالم بنعيقهم العالي بخطورة بعض المسلمين، ولكنهم صمٌ بكمٌ عن خطورة المعتدين في فلسطين والعراق وغيرها من بلدان المسلمين»، حقيقة مرة لكن ذلك واقعهم.

والحج في مفهوم قائد الثورة الإسلامية الإيرانية السيد «علي الخامنئي»:

«فُرصةٌ لإعلان البراءة من المشركين والظالمين والطُغاة، وفُرصةً لاجتماع الكلمة ووحدة الصف بين المسلمين، وكل محاولةٍ لتغيير حقيقة هذه الفريضة وحرفها، ما هي إلا محاولات شيطانية، يسعى الشياطين الصغار لتحقيقها كسباً لرضا الشياطين الكبار»، وهو أيضاً «قضية عالمية وحضارية، أي أنه ليس فرضاً فردياً، بل موضوع سياسي، .. الهدف منه هو الرقي للأمة الإسلامية ووحدتها أمام الكفر والظلم والاستكبار والأصنام البشرية وغير البشرية».

الشهيد القائد السيد «حسين بدرالدين الحوثي» حرص هو الآخر على التأكيد في عدة مواضع من ملازمه على أهمية هذه الفريضة في وحدة المسلمين، وكشف المؤامرات اليهودية لتعطيلها وإفراغها من محتواها:

«اليهود يفهمون قيمة الحج أكثر مما نفهمه، اليهود يعرفون خطورة الحج وأهمية الحج أكثر مما نفهمها نحن، ما أكثر من يحجون ولا نفهم قيمة الحج.

الحج له أثره المهم، والكبير في خدمة وحدة الأمة الإسلامية، ألم يجزئوا البلاد الإسلامية إلى دويلات إلى خمسين دولة أو أكثر؟ وجزأوا البلاد العربية إلى عدة دويلات، لكن بقي الحج مشكلة، ففيه يلتقي المسلمون من كل منطقة، إذاً ما زال الحج رمزاً لوحدة المسلمين ويلتقي حوله المسلمون ويحمل معاني كثيرة جداً لو جاء من

يُذكِّر المسلمين بها ستشكل خُطورة بالغة عليهم، على الغربيين، على اليهود والنصارى.

ولهم نصوص نحن نقرأها نصوص من وزراء منهم ومفكرين منهم يتحدثون عن خطورة الحج وأنه يجب أن يستولوا على الحج، وأنهم يجب أن يهيمنوا على هذه البقعة».

والهيمنة في طابعها العام لن تكون مباشرة بل عبر وكيلهم الحصري في جزيرة العرب «النظام السعودي»، كل الشواهد والوقائع تؤكد ذلك.

وألمح الشهيد القائد إلى جزئية مهمة يعملون عليها من أجل الوصول إلى غايتهم الشيطانية هي تقليل عدد الحُجاج بالتدرج ورفع تكاليف الحج وافتعال المشاكل في مواسم الحج:

«الحج إذا ما خُفِّض العدد يكون مقبولاً جداً؛ لأنه روضنا أنفسنا، وروضتنا حكوماتنا المباركة الجاهلة التي لا تعرف عن اليهود شيئاً، التي لا يهمها أمر الدين ولا أمر الأمة، .. يكونون قد عودونا قليلاً، ثم أحيانا يقولون: السنة هذه اتركوها للمصريين، والشعب الفلاني والشعب الفلاني السنة هذه يُؤجل، أو السنة هذه احتمال يكون هناك وباء ينتشر يُؤجل .. وهكذا حتى يموت الحج في أنفسنا، حتى يضيع من ذاكرتنا...».

«لو نقول لكم الآن بأن إسرائيل بأن اليهود والنصارى يُخططون للاستيلاء على الحج فقد تقولون: مستحيل، ألسنا نعرف جميعاً بأن السعودية هي دولة صديقة لأميركا؟ أليس كل الناس يعرفون هذا؟ السعودية دولة صديقة لأمريكا».

«تقليل عدد الحُجاج وكل بلد لا يحج منه إلا عدد مُعين ثم رفع تكاليف الحج هذه خطة يبدو أميركية، كل سنة يُخفِّضون أكثر، وكل سنة يفتعلون شيئاً فيما يتعلق بالكعبة، يقولون: قد حصل وباء أو حصل كذا من كثرة الازدحام، إذاً قللوا العدد قللوا العدد حتى يُصبح الحج قضية لا تُعد محط اهتمام عند المسلمين أو في الأخير يوقفوه».

ابتزاز سياسي رخيص:

يحرص النظام السعودي على إخضاع نِسب الحج لأهوائه ومصالحه السياسية، والتحكم بتحديد من يحق له الحج ومن لا يحق له، وتحويل الحصص والتأشيرات إلى ورقة للابتزاز والاستثمار السياسي.

وتؤكد العديد من التقارير الإخبارية قيامه برفع حصّة الحُجاج للعديد من الدول التي لها مواقف سياسية مُساندة له على الساحة الإقليمية والعالمية، وتقليص حصص الدول المُنتقدة له ولممارساته في محيطه العربي والإسلامي، والمُخالفة لهواه السياسي والمذهبي.

وبالتالي خضوع منح التأشيرات أو حجبها، والتلاعب في حصص الدول لنوع العلاقات البينية، ومدى الاستجابة للابتزاز، أو التدخّل في الجهات التي تملك اختيار من يحصلون على التأشيرة في داخل تلك الدول، والتمييز بين الحجاج على أساس الولاء السياسي، ومن ذلك منع حُجاج دول كاملة السيادة، وتتمتع بالشرعية الدولية من أداء فريضة الحج، والسماح لحُجاج مناطق تقع تحت سيطرة داعش الإرهابية بأداء الفريضة، من ذلك السماح لحُجاج من مدينة الموصل العراقية ومناطق شمال سورية الواقعة خارج سيطرة الدولة السورية خلال فترة خضوعها لتنظيم داعش.

وأحياناً يتم منع حُجاج بلدٍ ما استجابة لرغبة بلد أخر، من ذلك منع الحجاج الليبيين من أداء فريضة الحج بعد حادثة «لوكربي» الشهيرة نهاية العام 1988 بضغط من واشنطن ولندن وباريس، فقرر القذافي توجيههم إلى القدس لأداء الحج بدل مكة المكرمة.

ومن النماذج حصر منح تأشيرات الحج للسوريين فيما يسمى «الائتلاف السوري المعارض»، رغم أنه لا علاقة له بالداخل السوري، ولا يتعامل معه المواطنون المقيمون داخل سورية، وليس جهة يمكن التعامل معها دولياً، وبالمثل في لبنان في سنوات سابقة على جماعة قوات الحاخام «سمير جعجع» رغم أنه لا علاقة له بالإسلام.

ومن الشواهد رفضه زيادة عدد الحجّاج الماليزيين على خلفية سحب «ماليزيا» قوّاتها من تحالف العدوان على اليمن عام 2018

ناهيك عن مُمارسة قائمة طويلة من الضغوط والشروط التعجيزية من أجل منع مئات الآلاف من أداء فريضة الحج، أملاً في الوصول لمرحلة تعطيل فريضة الحج نهائياً، وهذا مخططٌ له سلفاً.

تجارة رابحة وتكاليف باهظة:

نشرت وكالة «أ ف ب» في 14 ذو الحجة 1438 هـ، الموافق 4 سبتمبر 2017 أرقاماً فلكية عن الأرباح التي جنتها السعودية خلال موسم الحج للعام 1438 هـ، نقلاً عن رئيس الغرفة التجارية والصناعية في مكة المكرمة «ماهر جمال»، حيث بلغت نفقات الحُجاج من داخل السعودية وخارجها «20 - 26» مليار ريال سعودي، ما يعادل «5.33 - 6.67» مليارات دولار بحسب أسعار تلك الفترة، بينما كانت في العام 1437 هـ، نحو 14 مليار ريال، ما يعادل 3.73 مليارات دولار، بزيادة 10 مليار ريال سعودي، ووصلت إيرادات المناسك والعمرة والزيارات الدينية الأخرى على مدار العام نحو 12 مليار دولار سنوياً، بحسب تقديرات «الفرنس برس» في يوليو 2022.

وبلغ عدد الحجاج لذلك العام 2.350 مليون حاج، بينهم مليون و750 ألف حاج من 168 دولة، والبقية من داخل السعودية، ولنا اليوم أن نتخيل عائدات المهلكة من موسم الحج لهذا العام بما رافقه من انتهاء جائحة «كورونا»، وتخفيف القيود عن الدول التي كانت ممنوعة من زيارة بيت الله الحرام لرفضها السياسة العوجاء لإبن سلمان في المنطقة.

وتعتمد خطة ابن سلمان2030 بدرجة أساسية على زيادة الحجاج، لما تُمثلُه من مصدر دخل ثابت للخزينة السعودية، ويؤكد الخبير الاقتصادي «عبدالمنعم بخاري» أن معدلات إنفاق حُجاج الخارج أكثر من حُجاج الداخل في الغالب.

ويصل مُتوسط نفقات الحاج من خارج السعودية خلال 12 يوماً، وهي الفترة المُقدّرة لأداء فريضة الحج نحو 2000 - 7000 دولار، ومتوسط إنفاق حُجاج الداخل 3 آلاف دولار بحسب تقديرات العام 2017.

حجاج اليمن كنموذج وصلت نفقات الحاج إلى 2300 دولار بحسب تقديرات العام 2017، وتتفاوت تقديرات الإنفاق من دولة إلى أخر، مع الأخذ بالحسبان الرسوم الكبيرة التي يفرضها النظام السعودي بمسميات مُختلفة على ضيوف الرحمن دون وجه حق.

ارتفاع جنوني في تكاليف الحج إلى حدود جعلته حكراً على الأغنياء والمقتدرين،

بسبب رفع السعودية أسعار الخدمات الإلزامية مثل خدمات المشاعر والطواف والنقل، وإضافة خدمات إلزامية جديدة مثل حالات الطوارئ والتأمين الصحّي ورسوم التأشيرة، وزيادة الضريبة على القيمة المضافة من 5% إلى 15%، ورفع خدمات الإيواء والغذاء وأسعار تذاكر الطيران تحت مبرر التضخّم العالمي.

اصطياد المخالفين والمعارضين:

شهدت السنوات الأخيرة الكثير من حالات الاعتقال في أوساط الحجاج خلال أدائهم مراسم الحج والعمرة، إما بسبب معارضتهم لسياسات النظام السعودي في المنطقة كما حدث للكاتبة والمجاهدة المصرية الحرة «رانيا العسال» أثناء أداء فريضة العمرة قبل قرابة الشهرين، أو من أجل تسليمهم لدولهم من ذلك اعتقال حُجّاج ليبيون وتسليمهم إلى قوات «خليفة حفتر» قبل سنوات، وآخرون أردنيون وفلسطينيون ومصريون وعراقيون وحتى خليجيون وخصوصاً الناشطين من شيعة البحرين آخرهم الشيخ «جميل الباقري» أثناء السعي بن الصفا والمروى قبل أيام ، وطالت الاعتقالات حُجاجاً من الأقلّية الأويغورية الصينية المسلمة وتسليمهم لنظام بلادهم من أجل التودد إليه.

هذه الإجراءات اللا إنسانية واللا أخلاقية استفزت العديد من المنظمات والشخصيات الحرة، من ذلك تدشين عدة مؤسسات حقوقية وسياسية وعلماء ودعاة وشخصيات بارزة، في 16 يونيو 2022 حملة لمواجهة «تسييس الحج»، وأصدروا بياناً بعنوان «الحج ليس آمنا»، اتهموا فيه النظام السعودي بتعمّد تسييس الحرمين، وجعل الحج والعمرة أداة للقمع ووسيلة لتصفية الخصوم، وطريقاً لدعم الأنظمة القمعية، واعتقال عدداً من حجاج بعض الدول الذين يعيشون في المنفى، وتسليمهم لدولهم وأنظمتهم المشهورة بقمعها وانتهاكها للحقوق والحريات، واستخدام منبر الحرمين الشريفين أداة لتلميع سياسات نظام محمد بن سلمان، ولوحة دعائية له»، وأكدوا رفضهم وإدانتهم للاستغلال السياسي السعودي الرخيص لفريضة الحج والعمرة، وتحويلها إلى وسيلة للبطش واستدراج الآمنين ومصيدة لاعتقالهم، وتسليم ضيوف الرحمن قُرباناً للأنظمة القمعية، وناشدوا كل الأحرار في العالم الإسلامي من منظمات حقوقية وجمعيات ومجامع

عُلمائية القيام بواجبهم لدفع الضرر عن بيت الله الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإدراج حقوق الحُجاج والمُعتمرين ضمن قوائم الحقوق والمعايير.

وفي يوليو 2018 أكدت «الهيئة الدولية لمراقبة إدارة السعودية للحرمين»، ومقرها العاصمة الإندونيسية جاكرتا، استغلال النظام السعودي مكرُمات الحج والعمرة لتعزيز مواقفه السياسية في المنطقة.

وحذّر النظام السعودي «إندونيسيا»، بوضع عقبات أمام سفر حُجّاجها إلى مكة ما لم تُصوّت لصالحه عند الحاجة في مجلس الأمن.

هذه التصرفات المنافية لأخلاقيات الإسلام دفعت الكاتب اللبناني «حسين إبراهيم» للتحذير مما هو قادم:

لقد «صار الحجُ مكاناً للخوف وانعدام الأمان، ومِصيدة للاعتقال التعسّفي والترحيل القسري لمعارضين أجانب إلى بلدانهم، وبؤرة للتجسّس على آخرين، ولم يَعُد ملايين المسلمين، نتيجة ذلك، قادرين على الوصول إلى مكة لزيارة مُقدّساتهم».

غياب الأمن وفوضوية التنظيم:

شهدت العقود العشرة الأخيرة فوضوية وعبثية غير معهودة في البقاع الطاهرة راح ضحيتها الآلاف من ضيوف الرحمن، بسبب سوء الإدارة والتنظيم والتخطيط والتأمين لمناسك الحج، والتعامل الفوقي والعبثي معها.

ناهيك عن طمس المعالم الإسلامية التاريخية، وللقيادة «السعودية - الوهابية» سجل حافل بالاعتداء على ضيوف الرحمن والتفنن في التنكيل بهم وقتلهم منذ اليوم الأول لتوقيع التحالف المشؤم بين «محمد بن سعود» و«محمد بن عبدالوهاب» عام 1744، وصارت أكثر توحُشاً ودموية بعد احتلال مكة والمدينة في العام 1220 هـ، الموافق 1806م، وما تلاه من حصار لمكة والمدينة لمرات عديدة، وقتل الآلاف من ضيوف الرحمن وسكان مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتدنيس البقاع الطاهرة والعبث بمقدساتها، من أبرز الشواهد:

1 - هدم القبور والقباب بعد الاستيلاء على مكة المكرمة في العام 1218 هـ، الموافق

1804، وكانوا يرتجزون ويطبلون ويغنون ويشتمون القبور ومن بداخلها من الصحابة، وبعد أشهرٍ من العبث في بيت الله الحرام تمكن الشريف «غالب» من استعادة مكة، وفي العام 1219 هـ، 1805م فرض السعوديون والوهابيون حصار خانق على مكة استمر من ذي الحجة 1219 إلى ذي القعدة 1220، وفي المحرم من عام 1220 شنوا سلسلة غارات على أطرافها دون مراعاة لحُرمة شهر محرم الحرام وحُرمة وقُدسية تلك البقاع الطاهرة.

2 - هدم قباب المدينة المنورة بما فيها قباب البقيع، في العام 1221 هـ، الموافق 1807، ونهب ذخائر الحُجرة النبوية من أموال وجواهر، وطرد قاضي المدينة ومكة وبعض عُلمائها، وتعيين قُضاة من الوهابية، ومنع الناس من زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

3 - هدم القباب والمزارات بمكة والمدينة وجدة والطائف، في العام 1343هـ، الموافق 1924، وصب الرصاص على قُبة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويتحدث المستر «هامفر» في مذكراته وهو ضابط في وزارة المستعمرات البريطانية وأحد مُعاصري ومُدربي «محمد بن عبدالوهاب»، عن تقديم مشروع لإبن عبدالوهاب لهدم الكعبة المشرفة، لكن الأخير اعتذر خوفاً من غضب سُلطات الاحتلال العثماني، فصرف النظر عن المشروع، ولكن الوهابية لم يألوا جُهداً عن صد عباد الله عن بيت الله الحرام كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، أملاً في إيقاف فريضة الحج نهائياً، وهو مشروع جاري العمل له على قدمٍ وساق بالتنسيق مع تل أبيب والبيت الأبيض.

هذه الحقائق الصادمة تُؤكد عدم أهلية النظام السعودي لإدارة المقدسات الإسلامية في الحجاز.

4 - مجزرة الحُجاج اليمنيين في «تنومة» عسير، عام 1341 هـ، الموافق 1921، وهي من الجرائم الأكثر فظاعة في تاريخ الوهابية السعودية، استشهد فيها أكثر من 3000 حاج يمني، امتنع اليمنيون بعدها عن أداء فريضة الحج لأكثر من 13 عاماً، ليعاودوا أداء الحج بعد توقيع اتفاقية الطائف بين الملك السعودي والإمام يحيى في العام 1934.

5 - تدمير النظام السعودي في الفترة 1344 – 1346 هـ، الموافق 1925 - 1927، كل ما في المدينة ومكة من آثار ثورية مرتبطة بانتصارات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اليهود من بني قينقاع وبني النضير والملوك الخونة، وهدم مساجدها ومآثرها وقبور الشهداء والصحابة، بما في ذلك قباب وأضرحة البقيع، وقتل ونهب ونفي الآمنين من علماء وعامة، وتشويه جمالية المدينة المنورة، والتقليل من أهميتها، وقتل الجزار السعودي «عبدالعزيز بن إبراهيم»، أكثر من 7 آلاف مسلم غالبيتهم من الأطفال والنساء، منهم محمل بعثة الحج المصرية في مِنى عام 1926.

وتحدث تقرير للوزير البريطاني المفوض في جدة NORMAN MAYERS عن قيام الوهابيين في موسم الحج للعام 1926 بقتل 4 من الحجاج الأفغان، وجرح اثنين، لأنهم كانوا يُؤدون الصلاة في جبل ثور، حيث اختبأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

6 - انفجار قناني الغاز في 8 ذو الحجة 1395 هـ، الموافق 10 ديسمبر 1975، بمخيمات الحجاج، واحتراق أكثر من 200 حاج.

7 - حدوث اضطرابات في المسجد الحرام في 1 محرم 1400 هـ، الموافق 20 نوفمبر 1979، واحتلاله من قبل جماعة سلفية مُحتسبة يقودها «جهيمان العتيبي»، واحتجاز عشرات الحجاج رهائن، ما تسبب في حدوث مواجهات داخل الحرم دون احترام لحرمته، راح ضحيتها أكثر من 150 قتيل و560 جريح.

8 - هجوم قوى الأمن السعودي في 6 ذو الحجة 1407 هـ، الموافق 31 يوليو 1987، على حجاج إيرانيين أرادوا إعلان براءتهم من المشركين، والإفراط في استخدام العنف والرصاص الحي ضدهم ما تسبب في استشهاد 402 حاج، منهم 275 حاجّاً إيرانيّاً، وإصابة 649 شخص، بينهم 303 من الإيرانيين.

واستغل النظام السعودي ذلك لتقليل العدد المسموح به من الحجاج الإيرانيين من 150 ألف حاج إلى45 ألفا، وفي العام 1991 شهدت العلاقات «الإيرانية – السعودية» تحسناً نسبياً، من أهم مخرجاته وضع حدٍّ أقصى للحجاج الإيرانيين يبلغ 115 ألف حاج فقط، بنقص 30 ألف حاج عما كان عليه في العام 1987.

9 - شنّت قوى الأمن السعودية في 8 ذو الحجة 1409 هـ، 10 يوليو 1989، هجومين قرب المسجد الحرام، ما تسبب في قتل حاج وجرح 16، واعتقال 20 حاجاً كويتياً، وإعدامهم بعد أسابيع.

10 - وفاة 1426 حاجاً في 10 ذو الحجة 1410 هـ، الموافق 2 يوليو 1990، اختناقاً وسحقاً بالأقدام بسبب انعدام نظام التهوية في نفق «معيصم» الشهير بمكة المكرمة.

11 - سحق 270 حاجاً تحت الأقدام في 14 ذو الحجة 1414 هـ، الموافق 24 مايو 1994، بسبب فوضى عارمة سادت رمي الجمرات.

12 - وفاة 3 حُجاج في 8 ذو الحجة 1415 هـ، الموافق 7 مايو 1995، بسبب حريق اندلع في خيمتهم وسقوط 99 جريحاً.

13 - اندلاع حريق في مخيمات الحُجاج في 8 ذو الحجة 1417 هـ، الموافق 15 أبريل 1997، أسفر عن احتراق 340 حاجاً وجرح 1500.

14 - وفاة 118 حاجاً وإصابة 180 بجروح بليغة في 13 ذو الحجة 1418 هـ، الموافق 9 أبريل 1998، بسبب التدافع.

15 - سحق 35 حاجاً تحت الأقدام بينهم 23 امرأة في 10 ذو الحجة 1421 هـ، الموافق 5 مارس 2001، خلال رمي الجمرات.

16 - استشهاد 87 حاجاً وجرح 14 بينهم 6 نساء بمِنى، في 10 ذو الحجة 1423 هـ، الموافق 11 فبراير 2003.

17 - وفاة 251 حاجاً وسقوط مئات الجرحى في 10 ذو الحجة 1424 هـ، الموافق 1 فبراير 2004، خلال رمي الجمرات.

18 - استشهاد 3 حُجاج في 12 ذو الحجة 1425 هـ، الموافق 22 يناير 2005، خلال رمي الجمرات.

19 - انهيار فندق بمكة، في 6 ذو الحجة 1426 هـ، الموافق 6 يناير 2006، ما تسبب في وفاة 76 حاجاً.

20 - استشهاد 260 حاجاً في 12 ذو الحجة 1426 هـ، الموافق 12 يناير 2006، خلال رمي الجمرات.

21 - سقوط رافعة على رؤوس الحُجاج في 10 ذو القعدة 1436 هـ، الموافق 11 سبتمبر 2015، ما تسبب في وفاة 110 حاجاً وجرح 400.

وتسبّب ولي العهد السعودي باستشهاد 5000 حاج وجرح الآلاف في مِنى، بسبب توجيه سيول بشرية منهم في اتجاهات متعاكسة، أدى إلى تدافعهم ودعس بعضهم بعضاً في «منى»، لكي يمر سربٌ طويل من السيارات الفارهة يمتطيها أمير مهفوف، لا يبالِ بحياة الناس ولا كرامته.

22 - اعتداء الأمن السعودي في ذو الحجة 1440 هـ، الموافق أغسطس 2019 على الحجاج الفلسطينيين بعد احتجازهم على الحدود ليوم كامل، ومنعهم من الدخول، رغم حصولهم على تأشيرات حج، ومتفق على دخولهم بالتنسيق بين وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الفلسطينية ووزارة الحج السعودية.

وما خفي أعظم، فأيّ حُرمة باقية للبقاع المقدسة، وفريضة الحج؟؟.

المراجـــــع:

1 - أحمد ناصر، الثقافة الرسالية، دار التوجيه الإسلامي، بيروت - الكويت، ص 48-49.

2 - أحمد عبدالرازق، هل ترون أن السعودية تسيس الحج فعلاً؟، موقع بي بي سي عربي، 1 أغسطس 2017.

3 - الدكتور حمود عبدالله الأهنومي، سياسة السعودية الاستراتيجية، تقوم على إفراغ الحجّ عن محتواه، وأَهدَافه، وغاياته، صدى المسيرة، 10 سبتمبر 2016.

4 - حسين إبراهيم، هندسة «تجارية – سياسية» للحجّ، ابن سلمان للمسلمين: الكعبة للأكثر مالاً، الأخبار اللبنانية، 5 يوليو 2022.

5 - زيد يحيى المحبشي، الحج في زمن دولة بني سعود الوهابية، مركز البحوث والمعلومات، 25 يوليو 2020.

وكذا: الحج .. أبعاد ودلالات، صحيفة الأمة، العدد 268، 6 فبراير 2003.

6 - سعيد عكاشة، تسييس الحج عبر التاريخ... ملاحظات أولية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.

7 - العربي الجديد، هذه نفقات الحج في 10 دول عربية، 21 اغسطس 2017.

8 - الموقع الرسمي للسيد علي الخامنئي، بين تسييس الحج ومحاربة الشياطين، 13 سبتمبر 2016.

9 - سبوتنيك عربي، كم ربحت السعودية من الحج هذا العام، 4 سبتمبر 2017.

10 - صحيفة الثورة اليمنية، المؤامرة على الحج كما يراها الشهيد القائد برؤية القرآن الكريم، 14 يونيو 2021.

11 - فرانس برس، تُجار وفنادق مكة متفائلون بتعويض الخسائر خلال موسم الحج، 5 يوليو 2022.

12 - موقع قطر عاجل، تسييس الحج مقابل الوحدة والمساواة بين المسلمين، 23 يونيو 2022.

13 - موقع سعودي ليكس، ملاحقات أمنية وخُطب سياسية واستغلال مادي في موسم الحج، 11 يوليو 2021.

14 - وكالة تسنيم الدولية للأنباء من يسيس الحج .. السعودية أم إيران؟، 22 مايو 2016.

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center
SABA
SABA.YE

وَهَجُ الْغَدِيرِ

أَضَاءَ دُرُوبَ الْوِلَايَةِ الْحَيْدَرِيَّةِ

مركز البحوث والمعلومات

زيد المحبشي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

أهوى هوى عبدٌ حكى غدير خُمٍ، ستُ كلماتٍ ابتدأت كلٌ منها بأحد حروف الإظهار الستة «أ، هـ، ع، ح، غ، خ»، وأظهرت مُجتمعة الهوى الذي لا يُعذر بتركه أحد من المسلمين المُكلفين، وأيُ عِشقٍ أعظم من عشق من أمر الله بمودتهم وموالاتهم وولايتهم وتوليتهم، وجعل حُبهم منجاةً من الغرق، وأمانٌ من التيه، فكيف إذا كان الأمر مُتعلقٌ بمصير ومستقبل قيادة الأمة الإسلامية بعد رحيل خاتم المرسلين!، وهل للرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم أن يغفل عن أمرٍ مُهمٍ كهذا، وهو من اهتم بتعليم أمته حتى آداب دخول بيت الخلاء، ويترك أمته بعده بلا راعٍ يحفظ بقائها على المحجة البيضاء؟، وهل يكون أمراء وملوك الملك العضُوض أكثر حرصاً على دولهم وأممهم من رسول الله؟، كلا وحاشا، وإذا كان كذلك ألا يجب على الأمة إحياء هذا اليوم العظيم شُكراً وحمداً لله على إكمال الدين وتمام نعمة الإسلام بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام!.

اعتاد اليمنيون في الثامن عشر من ذي الحجة من كل عام على إحياء عيد «الغدير» منذ المائة الأولى للهجرة النبوية، وكُتب مؤرخيهم زاخرة بذلك، وفي حياتي المقاربة على إتمام العقد الخامس كانت مديرية المحابشة كنموذج ولا زالت تحتفل بهذا اليوم المبارك، كل عامٍ، بصورةٍ مُميزة، وتشهد العديد من التجمعات الكبيرة، ويقصدها المُحبين لأهل البيت عليهم السلام من محافظات عديدة، لمشاركة أبنائها فرحتهم بالولاية الحيدرية، ويتم الاستعداد له منذ يوم عيد الأضحى.

وهو من الأعياد المقدسة عند اليمنيين إلى يوم الناس، ولا غرابة منهم حبهم لأهل البيت عليهم السلام، فنحن في بلدٍ تكادُ أحجارهُ تتشيع، وكان على الدوام في طليعة المنافحين عن بيضة الإسلام ومناصرة أئمة الحق عليهم السلام.

إذن فعيد «الغدير» ليس من مُبتكرات حركة «أنصار الله» كما يدّعي المرجفون، ولم يأتِ معهم، بل هو من أعياد الله المقدسة عند طائفة واسعة من المسلمين بمختلف توجهاتهم المذهبية، وإحيائهُ تعظيمٌ لشعائر الله: «ومن يُعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب»، وإحياءٌ لشعيرةٍ دينيةٍ أحياها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الصحابة والخلفاء الراشدين، ومن لطيف ما ذكره مؤرخو المدرستين أنه طلب

من جموع الحاضرين بعد فراغه من خُطبة ذلك اليوم العظيم تهنئته بهذه المكرُمة الإلهية لأول مرة في حياته، ولم يطلب منهم ذلك حتى في فتح مكة الذي وصفه الله في محكم التنزيل بـ «الفتح المبين».

ومن لديه اعتراضٌ على إحيائه من غير المُتقين، فعليه مراجعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته المنتجبين، ومن يرى أن إحيائهُ يُشكّل قدحاً في الصحابة فهو القادحُ فيهم، لأنه يُنكر عليهم مشاركتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرحته في إحيائه وتعظيمه، وعلى رأسهم الشيخين «أبو بكر» و«عمر»، كما أن إحيائه لا ينتقص من أي صحابي، وليس مُوجهاً ضد أي صحابي، بل هو تكريمٌ لأحدهم بأمر العلي القدير، «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}، المائدة: 67.

وهو لمن يُشنّعون علينا إحيائه، خُطبٌ ومواعظٌ، وتذكيرٌ بالله وبعظمة الإسلام، وغرسٌ لمكارم الأخلاق ومحامد الأعمال، وتذكيرٌ بما اختص الله به أهل البيت عليهم السلام من فضل ومكانة، وما قدمه أهل هذا البيت الطاهر من تضحيات في سبيل الدين وحماية رسالة الإسلام من التحريف، ناهيك عن تعلُم الرماية، والتوسيع على الأهل والعيال فيه، وكلها لا تخالف شرع الله في شيئ كما يدّعى المدعون، بل هي من لبّ وجوهر الدين، ثم من الأحق بالاحتفاء: تنصيب ملوك الفناء البشري بالملك العضُوض ، أم التنصيب الإلهي لخاتم الأوصياء بالولاية التي أكمل الله به الدين الخاتم، وجعلها سياجاً منيعاً له من سهام المحرفين والمنتحلين والمتسلقين؟!.

نشرنا في السنوات الثلاثة الأخيرة عدة مقالات عن عيد «الغدير»، وأحدثت صدى وجدل واسع، ونظراً لأهميتها نُعيد ترتيب أوراقها، مع بعض الإضافات التي يستدعيها المقام، وهي في مجملها تُشكّل قراءة مُصغرة وشاملة لهذا الحدث العظيم، ومن الله نستمد التوفيق.

الغدير .. ثقافة حـــياة:

يوم الغدير حمل في طياته سبب بقاء الأمة وشموخها وامتداد سلطانها وانتشار مُثُلها وقيمها ومبادئها العليا حتى تصل إلى جميع الدنيا، لتملأها قِسطاً وعدلاً، ولتتواصل مسيرة النور والهدى التي بدأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومهّد لها كل الأنبياء والرُسل، وواصل حمل مشاعلها أئمة الهُدى والحق من العترة الطاهرة المُطهرة بنص آيات الذكر الحكيم، وما أحوج الأمة اليوم لإشاعة «ثقافة الغدير»، وتنقية فكرنا الإسلامي الأصيل من «ثقافة التدجين» والخنوع والانبطاح والتبعية، ورفع راية «الولاية الإلهية»، وإسقاط راية «ولاية الصهيو - أميركية»، وعبيدهم من صهاينة العرب.

والولاية الإلهية كما ذكر الشهيد القائد «حسين بدر الدين الحوثي»، دينٌ ودولة، وأي دولة أعظم من دولة الحق والعدل، دولة أهل الحق المُحقين، دولة من أمر الله بتولِّيهم ومودتهم، وجعل الاقتداء بهم أمان لأهل الأرض من الزيغ والظلال والتيه والصَغار.

وما يستوقفنا هنا هو كشف الشهيد القائد سلام الله عليه في إحدى ملازمه عن وجود مخططات ومساعي يهودية لإفراغ واقعة «الغدير» من مقاصدها الإلهية المُتمثلة في الولاية الحيدرية، والاستحواذ على مكانة من أمر الله بولايتهم، بعد أن ضيّعها المسلمين، ولم يقوموا بحقها، مُؤكداً بأن كلمة «هذا» في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجموع المسلمين في «غدير خُم»، «فمن كنتُ مولاه، فهذا عليٌ مولاه»، تمُثّل إشارة هامة «يسعى الصهاينة اليوم إلى أن يمتلكوها، بعد أن ضيعناها نحن، بعد أن ضيعت هذه الأمة عقيدتها في مَن هو الذي يملك أن يقول لها (هذا، أو هذا)، جاءها اليهود ليقولوا لها (هذا)، أو ليس الجميع الآن ينتظرون من ستقول أميركا له ليحكم العراق: [هذا هو حاكم العراق؟]، أو لم يقولوا من قبل: هذا هو حاكم أفغانستان؟، وسيقولون من بعد: هذا هو حاكم اليمن، وهذا هو حاكم الحجاز، وهذا هو حاكم مصر، وهذا هو حاكم سورية، وهَلُمَّ جَرًا».

وما أراده رحمة الله عليه هنا أن الصهاينة والأميركان أصبحوا يقررون من يحكمنا،

بعد أن ضيعنا عقيدتنا وتوجيهات ربنا فيمن يجب أن يحكمنا، وطوينا كشحاً عن ثقافة الاستخلاف الإلهي:

«إن من انصرفوا عمن وَجَّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإشارة إليه لتعيينه بعد رفع يده وبعد صعوده معه فوق أقتاب الإبل، إنهم للأسف الشديد لا يعرفون ماذا وراء (هذا).

إن كلمة (هذا) تعني هذا هو اللائق بهذه الأمة التي يُراد لها أن تكون أمة عظيمة، هذا هو الرجل الذي يليق أن يكون قائداً وإماماً وهادياً ومُعلماً ومُرشداً وزعيماً، لأمة يُراد لها أن تتحمل مسئولية عظيمة، يُنَاطُ بها مهام جَسِيْمة، هذا هو الرجل الذي يليق بهذه الأمة، ويليق بإلَهِهَا أن تكون ولايته امتداداً لولاية إلهها العظيم، هذا هو الرجل الذي يليق بهذا الدين العظيم أن يكون من يهدي إليه، أن يكون من يقود الأمة التي تعتنقه وتَدِيْنُ به وتتعامل مع بقية الأمم على أساسه يجب أن يكون مثل (هذا) رجلاً عظيماً لِيَلِيقَ بدينٍ عظيم، بأمةٍ عظيمة، برسولٍ عظيم، بإلهٍ عظيم، وبمهامٍ عظيمة وجَسِيمَة».

ولأن الأمة لم تفهم، وبالأصح تجاهلت وتعامت عما أراده صلى الله عليه وآله وسلم من «هذا»، لأسبابٍ شتى، «إذا بنا نُفاجأ بآخرين يريدون أن يفرضوا علينا (هذا أو هذا)، .. فهل يُتَوقَّع من أميركا، وتل أبيب أن تقول للأمة (هذا)، إلا إشارة إلى رجل لا يهمه سوى مصلحة أميركا، يكون عبارة عن يهودي يحكم الأمة مباشرة، أو أمير يهودي أو شبه يهودي يحكم إقْلِيماً مُعيناً، فيكون الجميع كلهم ينتظرون من الذي ستقول له أميركا أو تل أبيب (هذا)»، من يجب أن يحكمكم؟.

ولم يكتفوا بذلك، بل وعملوا على استبدال «ثقافة الغدير» بما فيها من حرية وكرامة وعدالة وإنسانية وقيم وأخلاق ومبادئ، بـ «ثقافة التدجين والتطويع» بما فيها من استعباد واستلاب ومهانة وتعرّي أخلاقي وإنساني:

«وهاهم الآن يثقفوننا بهذه الثقافة، يوم كانت المخابرات الأميركية هي التي تُغيّر بالسِّرّ، فتُطلِّع هذا أو تضع هذا، أصبحت الآن تُخاطب الشعوب نفسها، تُخاطب الشعوب بأننا سنضع حاكماً على العراق أميركياً، حاكماً عسكرياً، .. أميركا تستطيع أن تُغير

[صـدام]، تسـتطيع أن تعمـل انقلابـاً بشـكلٍ سري، كـما عملتـه في كثير من البلـدان، لماذا لا تعمـل ذلـك؟، لأنهـا تُريـد أن نفهـم جميعـاً أنها من سـيكون لهـا الحق في أن تقـول (هذا)، إنهـا تريـد أن يترسّـخ في مشـاعرنا جميعـاً، في أذهاننا جميعاً أنها هي التـي تملك أن تقول لنـا (هـذا)، وسـيمشي (هـذا) يـوم أن ضيعنا قول الرسـول صلى اللـه عليه وعلى آله وسـلم مشـيراً إلى الإمـام عـلي: (هـذا)، ولم نـدرِ - كـما أسـلفنا - عمّن يُعـبرِّ (هذا)».

مـا جـرى في العـراق بعـد احتلالـه في العـام 2003، وغـيره مـن الأوطـان الإسـلامية، وآخرهـا محاولـة أدوات أمـيركا في المنطقـة فـرض رئيـس في اليمـن على الهـوى «الصهيو - أمـيركي»، وعندمـا فشـلوا قامـوا باحتـلال أجـزاء منـه في العـام 2015، وشـنوا عدوانـاً آثمـاً عليـه، لا زالـت حلقاتـه تتواصـل للعـام الثامن عـلى التـوالي، لم يوفروا خلالها شـيئاً إلا وأتـوا عليـه، ولا مُحرّمـاً إلا وانتهكـوه، والسـبب فهـم أحـرار اليمـن مـا عناه رسـول الله صـلى اللـه عليـه وآله سـلم في خطبـة الغدير بــ «هـذا»، وتولِّيهم مـن أمر اللـه بولايتهم، وإحيائهـم ثقافـة الغديـر، ورفضهـم ثقافـة التدجين، لهـذا كان لا بُدّ مـن مُعاقبتهم، لأنهم رفضـوا الانصيـاع لثقافـة التدجـين والتطويع.

خـلال مسـيرة الأمـة الإسـلامية حكمهـا الكثير مـن القادة الظلمـة، من خـارج دائرة من أمـر اللـه بولايتهـم، فحدثـت الكثـير من المظـالم والتعسُّـفات، وكانـت ثقافة تدجـين الأمة سـلاح أولئـك القـادة للبقاء في الحكـم، والضحية، هـو «المفهوم الصحيح العظيـم لما تعنيه ولايـة الأمـر في الإسـلام، فبـدى مثـل معاويـة أمـيراً للمؤمنين، ويزيـد أمـيراً للمؤمنين، ويقـول هـذا أو ذاك مـن الخطبـاء أو العلـماء أو المؤرخـين: تجـب طاعته، يجـب طاعته، لا يجـوز الخـروج عليـه، يجـب النصـح له، ومـا زال ذلـك المنطق من ذلـك الزمـن إلى اليوم قائمـاً، ..، نسـينا جميعـاً أن الرسـول صـلى اللـه عليه وآله وسـلم يوم أشـار إلى (علي)، فإنه في نفـس الوقـت الـذي يشـير إلى شـخص (عـلي) إنه يشـير إلى ولاية أمر الأمـة، إلى ولاية الأمـر المُتجسِّـدة قيمهـا ومبادئهـا وأهدافهـا ومقاصدهـا في أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب صلوات اللـه عليه.

هـؤلاء لم يُكلفـوا أنفسـهم عنـاءً كثـيراً أن ينقلـوا تلـك المفاهيـم الصحيحة لولايـة الأمر إلى الأمـة، لا بـل قالـوا: إن الرسـول صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم، قـال: [سـيكون بعـدي

أئمة لا يهتدون بهديي ولا يَسْتَنُّونَ بسنّتي، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟، قال: أَطِعْ الأمير وإن قَصَمَ ظهرك وأخذ مالك]!!.

كم هو الفارق الكبير بين هذا الحديث المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بين تلك الثقافة المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي تُقَدِّم ولاية الأمر بالشكل الذي يكون بإمكان أي طامع، أي انْتِهَازِيّ، أي فاسق، أي مجرم، أي ظالم أن ينالها، في الوقت الذي يقول الله لنبيه إبراهيم بعد أن سألها لذريته:

{قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}، البقرة: 124».

وللأسف أصبحت ثقافة الخضوع والخنوع للحُكام الظلمة هي السائدة في عالمنا العربي والإسلامي، بعد أن وجدت لها قائمة طويلة من علماء السلاطين، الذين باعوا دينهم وضميرهم مقابل بريق خادع من متاع الدنيا الزائل، فأغرقوا الأمة بسيل جرار من فتاوى التدجين الداعية إلى طاعة ولاة الأمة الظلمة، وتحريم الخروج عليهم، وزخرفوا فتاواهم بقائمة طويلة من الأحاديث المكذوبة.

فما أحوج الأمة الإسلامية اليوم لإحياء «ثقافة الغدير»، إذا ما أرادت العودة إلى المحجة البيضاء، وإعادة إحياء ما أماته حُكام المُلك العضُوض من قيم وأخلاق ومبادئ الإسلام:

«إن الأمة أحوج ما تكون إلى ثقافة صحيحة بكل ما تعنيه الكلمة، ثقافة (حديث الغدير)، ثقافة (حديث الولاية)، (أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)، إن هذا الحديث مع تلك الآية القرآنية - أية التبليغ، تُعطي ثقافة كاملة لهذه الأمة تُحصِّنها من الثقافة التي تُقَدَّم إليها لتكون قابلة لأن تُفرض عليها ولاية أمْرٍ يهودية».

إذن فيوم الغدير تجسيدٌ جليٌ لكفاح هابيل الصفوة وإبراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الكلمة ومحمد الرحمة صلوات الله وسلامه عليهم، تجسيدٌ جليٌ لكفاح العظماء والمصلحين الذين ساهموا في وضع أُسس الفكر الإنساني ومقومات الحضارة

الاجتماعية، تجسيدٌ جليٌ لمسؤولية صيانة واستمرارية الدعوة الإسلامية الخالدة، تجسيدٌ جليٌ لثقافة الحياة الفاضلة والكريمة، وإتمامٌ لمسيرة من قادوا الإنسانية نحو أهدافها، وآمالها، وحريتها، وكرامتها، وإنسانيتها، وكينونتها، وسيفٌ صارمٌ أشهره الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من أجل القضاء على كل وسائل الهدم والانحراف والظلم والبغي والعسف والجور والفساد والانحلال الأخلاقي والإنساني على مَر العصور والأزمان.

حدث الغـــدير:

في السنة العاشرة من الهجرة، الموافق 632 ميلادي، قرر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أداء فريضة الحج، فسُمّيت تلك الفريضة بحَجّة الوداع، وحَجّة الكمال، وحَجّة التمام.

اجتمع المسلمون من كل حدبٍ وصوب ليشهدوا مع نبيهم أخر أركان الدين، وبعد فراغه من مناسك الحج نزل جبريل الأمين عليه السلام بآية التبليغ:

«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»، وفيها أمرٌ إلهيٌ واضحٌ وحازمٌ بتبليغ أمرٍ خطير، طالما تردد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإفصاح به خشية التكذيب واتهامه بمحاباة الإمام علي عليه السلام، لكن التوجيه واضح وصارم، وعدم تبليغه يعني أن كل ما قام به صلى الله عليه وآله وسلم في الـ 23 عاماً من عمر الدعوة إلى الإسلام، لا قيمة له.

روى الحاكم الحسكاني عن عبدالله بن عباس وجابر بن عبدالله الأنصاري:

أمر الله محمداً بتنصيب علياً للناس ليُخبرهم بولايته، فتخوّف رسول الله أن يقولوا حابى ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»، فقال رسول الله بولايته يوم غدير خم.

لم يكن الموضوع الذي أمر الله نبيه بتبليغه بلهجة شديدة: «وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» سوى الإعلان الرسمي لخلافة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكان رسول الله يُحاذر من ذكر ذلك، لأنه كان يخشى أن يكون ذلك سبباً في وقوع الخلاف والفرقة الشديدة بين المسلمين، فكان لا بُد من انتظار المناخ الملائم، وبعد نزول آية التبليغ، تبيّن أن المناخ مُهيأ، فجمع صلى الله عليه وآله وسلم، المسلمين في صحراء الحجاز القاحلة، وفي مكانٍ منها يُدعى «غدير خم» في الجحفة، على مفترق الطرق بين مكة والمدينة ومصر والشام والعراق، وأمر أن يلحق به من تأخر عنه، ويرجع من تقدم عليه، حتى يُبين لهم روح الإسلام وقوامُه المتمثلة في خلافة المسلمين بعد وفاته.

اجتمع المسلمون حول نبيهم، وأدركتهم صلاة الظهر، وكانت الشمس مُلتهبة، وبعد فراغه من الصلاة قام بتبليغ ما أمره الله به، من ولاية أمير المؤمنين، وأمرهم بأن يُبلغ الشاهد منهم الغائب، وأمر الحاضرين ببناء خيمتين، واحدة له، والثانية للإمام علي عليه السلام، وتقديم التهاني للإمام علي بإمرة أمير المؤمنين، واستمرت المبايعة ثلاثة أيامٍ متوالية، وكلما بايع فوج، قال رسول الله: «الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين».

وقبل أن يتفرق المسلمون نزل جبريل عليه السلام بآية إكمال الدين:

«اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا»، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي بعدي»، كما رواه الحسكاني في شواهد التنزيل عن أبي سعيد الخدري وأبو هريرة، وابن كثير في تاريخه.

وأخرج الإمام المؤيد عليه السلام في «أماليه»، عن الإمام الكامل عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم غدير خم: أليس الله عز وجل يقول «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: فأخذ بيد علي عليه السلام فرفعها حتى رُئِي بياض إبطيهما.

فقال: من كنت مولاه فعليٌ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه.

فأتاه الناس يهنئونه، فقالوا: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أمسيت مولى كل مؤمن.

وأخرج الإمام المؤيد عليه السلام بإسناده حديث «المُناشدة»، ومما جاء فيه أن الإمام علي عليه السلام، قال: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحدٍ نصّبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للناس ولكم يوم غدير خم، فقال: «من كنت مولاه فعليٌ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»، غيري.

قالوا: اللهم لا.

وأورد الإمام علي بن موسى الرضى عليه السلام في صحيفته بإسناده عن آبائه، أن رسول الله صلى الله عليه آله وسلم قال يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره.

قال السيد العلامة بدر الدين بن أمير الدين الحوثي:

«لا إشكال أن ولاية أمير المؤمنين على كل مُؤمنٍ، كولاية رسول الله على كل مُؤمنٍ إلا ما خصّهُ دليلٌ معلومٌ للسامعين، كثبوت ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على علي عليه السلام، وكون ولاية علي عليه السلام لا تُعارض ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل ولاية علي عليه السلام تحت ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فحالةُ حضور رسول الله مخصوصةٌ، لقول الله تعالى: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، ومن جملة المؤمنين علي عليه السلام، وقول الله تعالى: «يا أيها الذين أمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله»، ومن جملة المُخاطبين عليٌ عليه السلام، فلم يبقَ إلا حال مغيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو غيبوبة ذهنه، لشدة المرض في حادثة تضيقت، وإلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومحل المسألة هذه علم الكلام».

وما نفهمه من كلام السيد «بدر الدين» رحمة الله عليه أن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ليست بديلاً عن نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يدعي غلاة «الوهابية»، بل هي امتدادٌ لرسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتبليغُ الولاية يُعادل تبليغ الرسالة، وعدم تبليغ الولاية يساوي عدم تبليغ الرسالة، وبتبليغ الولاية تم كمال الدين.

الأهمية والدلالات:

واجهت الأنبياء عليهم السلام خلال مسيرتهم الدعوية مُعضلتين كبيرتين:

1 - قبول رسالتهم والإيمان بها في حياتهم.

2 - مشكلة بيان الشريعة والأحكام الإلهية والمحافظة على بقائها وإجرائها بعد وفاتهم.

من هنا تأتي أهمية دور أوصياء الأنبياء في بيان الشرائع الإلهية، وصيانتها من التحريف، والمحافظة على بقائها، واستمراريتها، وإجرائها بعد رحيلهم.

وفي هذا تأكيدٌ واضحٌ بأن قيمة المُفسَّر لرسالة السماء والمُطبَّق لها عملياً بأمر الله، تُعادل قيمة الرسالة نفسها، وقيمة وجود الرسول تُعادل قيمة الإسلام، وقيمة من يُفسره من بعده ويُطبِّقه تُعادل تنزيل الإسلام وتبليغه.

وهذا هو السر من وراء ربط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين القرآن والعترة في حديث الثقلين.

فقد أراد التأكيد لأمته عبر التاريخ بأن الولاية أخت النبوة، ولا عجب أن تكون الإمامة أصلٌ من أصول الدين، التي لا يجوز التهاون فيها، لأنها امتدادٌ للنبوة، وسياجها المنيع ضد الأعاصير الأهوائية والنزوات الشيطانية.

وأراد من تتويج الإمام علي عليه السلام في غدير خم التوضيح لأمته أن الولاية مرتبطةٌ بالقيم الإسلامية الأصيلة، والتمسك بها يعني التمسك الصادق بالقيم الإسلامية الأصيلة التي دعى اليها، والتنكر لها يعني التنكر لما دعى إليه طيلة 23 عاماً.

وأراد من واقعة الغدير حفظ رسالة السماء وديمومتها واستمراريتها، والنأي بالأمة عن مزلات القدم، ومنع الاختلاف بعد رحيله، ولو التزمت الأمة الإسلامية بعد رحيل نبيها ببيعتها في الغدير، لما طالها داء الأمم من قبلها.

عن صفوان بن يحيى عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام:

«الثامن عشر من ذي الحجة عيد الله الأكبر، ما طلعت عليه شمسٌ في يومٍ أفضل

عند الله منه، وهو الذي أكمل الله فيه دينه لخلقه، وأتم نعمه، ورضي لهم الإسلام ديناً، وما بعث الله نبياً إلا أقام وصيه في مثل هذا اليوم، ونصّبه علماً لأمته».

وما نفهمه مما سبق أن يوم الغدير ليس يوم علي بن أبي طالب عليه السلام فحسب، بل هو يوم الله، ويوم نبيه، ويوم الإنسانية جمعاء.

1 - يوم «الله»:

لأن الله أمر نبيه بتبليغ ما أُنزل إليه من جانبه، فامتثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمر ربه، وبلّغ ما أُمِر بتبليغه.

2 - يوم «رسول الله» صلى الله عليه وآله وسلم وهو الرحمة المُهداة:

لأن رحمته اقتضت تأمين سعادة البشرية، وجعلِها خالدة، ما دام البشر يمشون على وجه الأرض، وذلك بالتوجه إلى حكومة العدل، وقلع الظلم، واستقرار العدل في العالمين بمختلف مسمياته: الفردي والجماعي والعدل في الحكم، والعدل في القضاء، وجعل المسلمين كافة تحت ظِلاله المُباركة في صعيدٍ واحد، وجعل يوم الغدير رمزاً لوحدة المسلمين، ووجه أمته إلى تحقيق الغاية التي بعث الله أنبيائه لأجلها، وهي قيام الناس بالقسط بصريح القرآن.

3 - يوم «الإنسانية»:

لأن الإنسانية لم ترى يومها قبل ذلك اليوم، ولن تراه بعده، كانت أمنيتها قيام دولة العدل في العالم، وفي يوم الغدير بُشِّرت بالوصول اليها، وتحققها، كي لا تقنط من رحمة الله، فكان صوت رسول الله، صوت الإنسانية، ونداءها في طلب العدل، وهي الأمنية الحاصلة لكل فرد من البشرية.

وتحقُق أمنية العدل متوقفٌ على التمسك بالثقلين «كتاب الله وأهل البيت»، كما قال الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تاركٌ فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي أبدا»، ما يعني أن عدل الضلال ليس إلا قيام الناس بالقسط، قال الإمام الحسن بن علي عليه السلام: وأقسم بالله لو تمسكت الأمة بالثقلين، لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولأكلوا نعمتها، خضراء من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، من

غير اختلاف بينهم إلى يوم القيامة، قال الله عز وجل: «ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم»، وقال عز وجل: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذَّبوا فأخذناهم بما كسبوا».

إذن فنحن أمام أهم حدث في تاريخ الإسلام، به تم الدين واكتمل من الناحية النظرية والعملية، وبه صار الإسلام مِنهاجاً كاملاً، مَرضياً عند الله.

الولاية أُخت النبـــوة:

لم تكن واقعة الغدير بالحدث العابر، بل أراد رسول الله من خلالها التأكيد لأمته عبر التاريخ أن الولاية أخت النبوة، وسياجها المنيع ضد الأعاصير الأهوائية والنزوات الشيطانية، والتوضيح بأن الولاية مرتبطة بالقيم الإسلامية الأصيلة من الحزم والقوة ورباطة الجأش ومناصرة المظلومين .. الخ، وأن الاعتراف بالولاية يعني التمسك الصادق بالقيم الإسلامية الأصيلة التي دعى إليها صلى الله عليه وآله وسلم طِيلة 23 عاماً، والتنكر للولاية يعني التنكّر لما دعى إليه جُملةً وتفصيلاً.

وما نريد التأكيد عليه هو أن الله لا يقبل التوحيد إلا بالاعتراف لنبيه بنبوته، ولا يقبل الدين إلا بولاية من أمر الله بولايته، بهذا يزولُ اللبس، ويُفهم سبب أهمية واقعة الغدير، وسبب أهمية أمر الله بتبليغ الولاية، وسبب رضا الله بذلك، واعتبار التبليغ آخر مهمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل رحيله.

والشاهد على «الولاية» قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، والمولى في اللغة تعني المالك للتصرف في أمور القوم، وهو أول ما يتبادر للأفهام، وما عدا ذلك فادعاءات فارغة القصد منها إفراغ الغدير من محتواه الحقيقي.

قال العلامة الشهيد حُميد بن أحمد المحلي الهمداني الوادعي: لو لم يكن السابق إلى الأفهام من لفظة «مولى» المالك للتصرف، وكانت منسوبة إلى المعاني كلها على سواء حملناها عليها أجمع، إلا ما يتعذّر في حق علي عَلَيْه السَّلام من المُعتِق والمُعتَق، فيدخل في ذلك ملك التصرف، والأولى المفيد ملك التصرف، فيفيد الإمامة؛ لأنه عَلَيْه السَّلام إذا ملك التصرف على الأمة، أو كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم، كان إماماً.

ولو لم يَرِد في مناقب أمير المؤمنين عَلَيْه السَّلام إلا خبر «الغدير» لكفى في رفع منزلته، وعلوّ درجته، وقضى له بالفضل على سائر الصحابة.

وما ذكره حسان بن ثابت: «رضيتك من بعدي إماماً وهادياً»، دليلٌ على أنه عَقَل من كلام النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» المالك للتصرف، لأنه عَقَلَ منه الإمامة، التي هي مُفيدةٌ لملك التصرف، فدّل على أن لفظة «المولى» تُفيد ما ذكرناه، وقول «حسان» حُجة في ذلك لأنه لا يُشكِّل حاله في معرفة اللغة.

وقد انطوى أيضاً على فضائل عِدة سِوى الإمامة، ومتى اقتضت فضله على غيره، كان أولى بالإمامة أيضاً، لكونه أفضل، إذ الأفضل أولى بالإمامة من المفضول عند من يُمعن النظر.

وقال «المقبلي» في «الإتحاف»: أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، والنسائي، عن بريدة .. إلى قوله: فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟، قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه»، وبهذا الحديث، وما في معناه تحتج الشيعة على أن «مولى» بمعنى: أولى؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دلّ مساق كلامه أنه سَوّاه بنفسه، وإلا لما كان لمُقَدِّمة قوله: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، معنى.

رُواة الغدير وتخريجاته:

أجمع كل فُقهاء وعُلماء المسلمين بمختلف مذاهبهم، والمؤرخين بمختلف توجهاتهم، ورواة الحديث النبوي بمختلف طبقاتهم على واقعة الغدير، وخطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع، وذكروها بالإجماع، واتفقوا على أن الإمام علي عليه السلام هو المقصود بتلك الخطبة دون غيره من البشر، واختلف البعض في تفسير الخطبة هل جاءت بالوصية نصاً على خلافة علي عليه السلام لرسول الله وإدارة شؤون المسلمين من بعده أم هي وصية للحفاظ على موقعه السيادي في الإسلام ومنزلته العظيمة لدى رسول الله؟.

ورغم ذلك شذّ البعض وأطلق للسانه وقلمه العنان للتشكيك في حديث الغدير

وتضعيفه، بُغية التشويش فيما أجمعت عليه الأمة، مُتذرّعين بكثرة رواته وتعدُد طُرق تخريجه، وهم قلة قليلة تكاد تكون منحصرة في الخوارج والمُشَبِّهة والمُجَسِّمة والمُرجِّئة، منهم ابن حزم الظاهري وابن تيمية الحراني، ومن بعدهم غُلاة علماء الوهابية، ومن قبلهم وظّف بني أمية كل مقومات وطاقات دولتهم لطمس ومحاربة مناقب أهل البيت عليهم السلام، وشراء ضِعاف النفوس من الرواة وعلماء الدين، ولم يدّخر هؤلاء تحت بريق المال والجاه والسلطان، وسيلة لاختلاق الأحاديث التي تنتقص من أهل البيت، وتحريف نصوص الكثير من الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما لا يتوافق مع هوى سلاطين المُلك العضُوض من بني أمية، ونسب بعضها إلى غير ما قيلت فيه، وتأويل بعضها على غير ما قصده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهناك الكثير من العلماء الأحرار المعاصرين من غير الشيعة تحدثوا عن جِناية بني أمية ومن تلاهم من علماء الوهابية على التعاليم الإسلامية والأحاديث النبوية، أمثال العلامة والمفكر السعودي حسن بن فرحان المالكي فك الله أسره، والمفكر المصري محمود أبو ريه، .. إلخ، وكُتُبُهم منشورة لمن أراد البحث عن الحقيقة.

وما يعنينا هنا التأكيد على أن كثرة رواة حديث الغدير وتعدد طُرقه وأسانيده، تمُثِّل إدانة وحُجة دامغة لعلماء سلاطين المُلك العضُوض ، وتكشف حقيقتهم السوداء، وتُعرّي متاجرتهم الرخيصة بكل المقدسات من أجل إشباع هوى النفس ورغباتها، وتغذية نوازع العصبيات الجاهلية التي لا زالت مُحرِكهم لمحاربة الفضائل وأربابها.

ويكفي للتأكيد على صحة حديث الغدير، ودحض حُجج المرجفين أن أكثرية علماء السنة في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي ومن مختلف المشارب تحدثوا عنه، وألّفوا المؤلفات المطولة في أسانيده، ورواته، ووضعوه في أعلى درجات الصحة، حتى المخالف منهم لأهل البيت، إلا ما نَدر.

إذن فنحن أمام حديث متواتر بإجماع علماء السنة والشيعة، وأكثرية أئمة الحديث، وسلسلة رواته ذهبية لا يرقَ إليها الشك.

بالعودة إلى واقعة الغدير يتحدث العلامة عبدالحسين أحمد الأميني في موسوعته

الغديرية عن انضمام نحو 120 - 124 ألفاً إلى الموكب النبوي بالمدينة في حجة الوداع، منهم نحو 70 ألف مسلم ومسلمة من المدينة والمنورة وما حولها، والتحقت بهم جموع أخرى من اليمن مع الامام علي عليه السلام وأبو موسى الأشعري.

وتحدث محمد فريد وجدي في الجزء الثالث من «دائرة المعارف» عن 90 ألفاً ممن شهدوا حجة الوداع، وفي رواية 180 ألفاً، وفي رواية 114 ألفاً، وفي رواية 100 ألف، وفي رواية 80 ألفاً، وفي رواية 70 ألفاً، وأياً كان الرقم الصحيح، فالمؤكد أن من شهد الحج مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان معه في غدير خم، والمؤكد أيضاً أننا أمام حدث غير عادي حضره عشرات الآلاف من المسلمين والمسلمات، وأمر فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن: «يبلغ الشاهد الغائب»، ومن الطبيعي أن يكثُر نقل وقائع وأحداث الغدير والتحدث بها، ولأهميتها كانت تُثار بين الحين والأخر، أي أنها لم تكن كسائر الحوادث العادية، يدور حولها الكلام لمدة ثم يطويها النسيان.

ويذكر الرواة أنه بعد مرور 25 عاماً، طلب الإمام علي عليه السلام في مسجد الكوفة ممن سمع حديث الغدير عن النبي أن يُذكِّره، فنهض من بين الجالسين 30 صحابياً ونقلوا الحديث.

روى حديث الغدير ونقله أكثر من 120 صحابي وصحابية، و84 من التابعين، و360 من أئمة الحديث وحُفاظه، و57 من علماء وحُفاظ القرن الهجري الثاني، و90 من علماء القرن الهجري الثالث، و43 من علماء القرن الهجري الرابع، و24 من علماء القرن الهجري الخامس، و19 من علماء القرن الهجري السادس، و21 من علماء القرن الهجري السابع، و18 من علماء القرن الهجري الثامن، و16 من علماء القرن الهجري التاسع، و13 من علماء القرن الهجري العاشر، و25 من علماء القرون الهجرية الأخيرة، طبعاً من غير علماء وأئمة الزيدية والإمامية.

وأخرجه ورواه محمد بن جرير الطبري من 75 طريقاً، وأفرد له كتاباً من جزئين أسماه «الولاية في طرق حديث الغدير» وسبب تأليفه الكتاب تكذيب بعض شيوخ «الحرقوصية» ببغداد واقعة الغدير، منهم إبن أبي داوود، وادعائهم بأن الإمام علي عليه السلام لم يكن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وغدير خم،

بـل كان في اليمـن، فألـف الطـبري رحمـه اللـه كتابـه للتأكيد عـلى صحة حديـث الغدير، وأن المقصـود بـه هـو الإمـام علي، وأنـه كان حاضراً مـع النبي في حجة الـوداع وغدير خم، وأفـرد كتاباً للحديـث عـن فضائـل الوصي سـلام اللـه عليه.

وأخرجـه أحمـد بـن حنبـل مـن 40 طريقـاً، وأحمد بن محمد بـن حجر الهيثمـي من 72 طريقـاً، ومحمـد بـن محمـد الجـزري الدمشـقي المقـري الشـافعي مـن 80 طريقـاً، وإمام المُحدِّثين الحافـظ الكبـير أبـو العبـاس أحمـد بـن محمـد بـن سـعيد بـن عقـدة الهمداني الكـوفي مـن 105 طـرق، وأفـرد لـه كتاباً أسـماه «جمع طـرق حديـث الغدير».

وأخرجـه مسـعود السجسـتاني مـن 120 طريقـاً، وأبـو بكـر محمـد بـن عمـر التميمـي البغـدادي الجعـابي الحصـابي مـن 125 طريقـاً، وأحمـد بـن عـلي بـن محمـد بـن حجـر الكنـاني العسـقلاني الشـافعي عـن 27 صحابيـاً، ومحمـد بـن إبراهيـم الوزيـر مـن 153 طريقـاً، والحسـن بـن أحمـد أبـو العـلاء العطـار الهمـداني مـن 250 طريقـاً، وعـلي بـن محمـد بـن محمـد بن الطيب الجُلّابي المغازلي الواسـطي الشـافعي مـن 20 طريقاً، وعلماء الزيديـة مـن 114 طريقـاً، بغـير المقدمـة، التي هـي: «ألسـت أولى بكم من أنفسـكم»، وبها مـن 100 طريـق، والإمـام عبداللـه بـن حمـزة عليـه السـلام في «الشـافي» بأكـثر من 105 طـرق بروايـة المؤالـف والمخالـف... الـخ.

وممن حضر واقعة الغدير من الصحابة:

الإمـام عـلي بـن أبي طالـب، الإمـام الحسـن بـن عـلي، الإمام الحسـين بـن علي، أبـو بكر الصديـق، عمـر بـن الخطـاب، عثمان بن عفـان، الزبـير بن العـوام، طلحـة بـن عبيدالله، العبـاس بـن عبدالمطلـب، عبداللـه بـن عبـاس، الفضل بـن العبـاس، عبدالرحمن بـن عوف، معاويـة بـن أبي سـفيان، سـعد بـن أبي وقـاص، سـعد بـن عبـادة، قيس بن سـعد بـن عبادة، عـمار بـن يـاسر، أبـو ذر الغفـاري، سـعيد بـن زيـد بـن نفيـل، سـلمان الفـارسي، جابـر بن عبداللـه الأنصـاري، البـراء بن عـازب الأنصاري، أبـو الحمراء مولى رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم، أبـو عبيـدة بن الجـراح، المقـداد بن الأسـود، عمرو بـن العـاص، عبدالله بـن مسـعود، سـمرة بـن جنـدب الفـزاري، حذيفـة بـن اليـمان العبسـي الغطفـاني القيسـي، زيـد بـن ثابـت بـن الضحّـاك الأنصاري، زيـد بن الأرقـم، عبد اللـه بن عمر بـن الخطاب،

قيس بن ثابت بن شماس، أنس بن مالك، عمرو بن مرة الجهني، عمر وحبشي بن جنادة السلولي الكوفي، جرير بن عبدالله البجلي، حذيفة بن أسيد الغفاري، أبو أيوب الأنصاري، عبدالله بن أسعد بن زرارة الأنصاري، أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني، حسان بن ثابت، مالك بن الحويرث الليثي الكناني، حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي، أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، ..، وعامة قريش ووجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عقبي، ومهاجري، وأنصاري، وغيرهم من بدوي، وحضري.

ومن النســـاء:

فاطمة الزهراء، أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، أم هاني بنت أبي طالب، أسماء بنت عميس، فاطمة بنت حمزة بن عبدالمطلب، عائشة بنت أبي بكر ..إلخ.

اجتمع في خبر الغدير بالأسانيد الطريقان مع تفرقهما في غيره، ورواه بالأسانيد الكثيرة المتصفة بالصحة الجمع الكثير، مع الاختلاف في تأويله.

قال الإمام القاسم بن محمد عليه السلام: حديث مشهور أخرجه كثير من المحدثين، ورواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون صحابياً، فكيف يُسوّغ الاعتذار لمن خالف بعد هذا النص علياً، وبِمَ يلقى الله من لم يكن له موالياً ووليّاً!!.

وقال أبو القاسم الفضل بن محمد بن عبدالله الأصفهاني: روى حديث غدير خم عن رسول الله نحو مائة نفس، منهم العشرة، وهو حديث حسن صحيح ثابت لا أعرف له عِلة، تفرَّد علي عَلَيْه السَّلام بهذه الفضيلة ليس يشركه فيها أحد.

وقال الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام: هذا الخبر قد بلغ حد التواتر، وليس لخبر من الأخبار ما له من كثرة الطرق.

وقال جمال الدين الهادي بن إبراهيم الوزير: من أنكر خبر الغدير فقد أنكر ما علم من الدين ضرورة، لأن العلم به كالعلم بمكة وشبهها، فالمنكر سوفسطائي.

وقال محمد بن إسماعيل الأمير في «الروضة الندية شرح التحفة العلوية»: حديث الغدير متواتر عند أكثر أهل الحديث.

وقال ابن حجر الهيثمي المكي في «الصواعق المحرقة»: حديث الغدير صحيح لا

مِرية فيه، ولا التفات لمن قدح في صحته ورده، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد، وطرقه كثيرة جداً.

وقال أبو عبدالله الزرقاني المالكي: حديث متواتر رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية لأحمد بن حنبل أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي لمّا نُوزِعَ أيام خلافته، فلا التفات إلى من قدح في صحته.

وقال الشيخ محمد بن علي الصبَّان في «إسعاف الراغبين»: رواه عن النبي 30 صحابياً، وكثيرٌ من طرقه صحيح أو حسن.

حتى ابن تيمية الحراني الحنبلي مع شدة معارضته للشيعة، قال في كتابه «من حقوق آل محمد»: وثبت في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال: خطبنا رسول الله بغديرٍ يُدعى خم بين مكة والمدينة.

وعدَّه جلال الدين السيوطي من الأحاديث المتواترة.

وقال الحافظ الذهبي في «تذكرة الحُفّاظ»: وقفت على حديث الغدير فاندهشت لكثرة طُرقه، فقطعت بوقوعه.

وأضاف في «سير أعلام النبلاء»: حديث الغدير ثابت بلا ريب، متنُهُ متواتر، وهو في أعلى درجات الصحة.

وأشار الإمام شرف الدين عليه السلام في «القصص الحق» إلى تكرُره في غير المقام كما هو معلوم، وقول الذهبي بهرتني طرقه ... إلخ ، بقوله بعد ذكر الصحابة:

وكلهم عندنا عدلٌ رضىً ثقة ... حتمٌ محبته حتمٌ توليه
إلا أُناساً جرى من بعده لهم ... أحداثُ سوءٍ وماتوا في أثانيه
ما قلت إلا الذي قال خالقنا ... في ذكره أو رسول الله حاكيه
فكل حادثةٍ في الدين قد وردت ... وفتنةٍ وامتحانٍ من أعاديه
في محكم الذكر والنقل الصحيح عن ... الرسول في لفظ تنصيصٍ وتنبيه
من مثل ما كان في حج الوداع وفي ... يوم الغدير الذي أضحى يُثنيه
وهو الحديث اليقين الكون قد قطعت ... بكونه فرقةٌ كانت تُوهِّيه
أبان في فضله من كان خالقنا ... له يُوالي ومن هذا يُعاديه

وقال صالح بن مهدي المقبلي في «الأبحاث المسددة في فنون متعددة»: «من كنت مولاه» حديثٌ متواترٌ، فإن كان مثل هذا معلوماً، وإلا فما في الدنيا معلوم.

وألف أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني كتاباً من 17 مجلداً أسماه «الدراية في حديث الولاية»، وهو من العلماء المخالفين لأهل البيت، روى فيه حديث الغدير عن 120 صحابياً، و1300 إسناد.

وما نفهم مما سبق أن حديث الغدير في أعلى مراتب الصحة، ووضوحه كالشمس في رابعة النهار، لمن تجرد من داء العصبية، وأهواء النفس الشيطانية، وانصاع لسلطان العقل والحقيقة.

مغالطات متهافتة:

رغم وضوح حديث «الغدير» وظروفه وتعدد رُواته لدى فقهاء ومؤرخي المدرستين، وصراحة ألفاظه في تثبيت فكرة «الإمامة» ذات الولاية العامة والمسؤولية المُطلقة، وفي تعيين «الإمام» المسؤول بعد وفاة رسول الله، يأتي من يدّعي بأن كلمة «المولى» في حديث الغدير، اسمٌ يقع على جماعةٍ كثيرة، ولفظٌ ينصرف في اللغة العربية إلى معانٍ كثيرة، كالرب، والمالك، والسيد، والمنعم، والناصر، والمُحب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والصاحب، والعقيد، والصهر، والعبد، والمُعْتِقْ، والمُعْتَق، والمُنعَم عليه، والمتصرف في الأمر، والمتولي في الأمر، والولي، والأولى بالشيئ، والشريك، والقريب، والنزيل، ..، كما يذكر ابن الأثير في النهاية، والأميني في الغدير.

وبسبب كثرة معاني «المولى»، لم يعد من طبع الله على قلوبهم من المتنطعين والمتفلسفين يعلمون أيها كان رسول الله يقصد.

وكلها مزاعم وادعاءات متهافتة حاول علماء سلاطين المُلك العضُوض في العهدين الأموي والعباسي، ومن بعدهم غُلاة الوهابية، ومن سار على نهجهم من المُجبرة والمُرجئة والجهمية والخوارج، ترويجها في أوساط العامة بعد أن أدركوا صحة حديث الغدير، بقصد التشويش، خصوصاً وأن تنصيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام كان في مواطن عديده منذ بدء رسول

الله بالدعوة إلى الإسلام، ولهذا لم يكن أمامهم سوى استمراء التشويش، والتحريف، والتزييف، لمنطوق الأحاديث النبوية الخاصة بفضل ومناقب أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم، وما يجب على المسلمين تجاههم، وطمس وحذف ما أمكنهم من ألفاظها، واستبدال ذلك بألفاظٍ تبثّ الشك والريبة في أوساط الناس، من قبيل: «مُبهمة»، وقال رسول الله «كذا وكذا» .. إلخ.

ويكفي للوقوف على صحة هذه الحقيقة الصادمة العودة إلى طبعات «الإستانة» القديمة لأمهات كتب الحديث النبوي، ومقارنة نصوصها بما هو موجودٌ في الطبعات الحديثة الممولة من وهابية السعودية، وستجدون حقائق صادمة، ورحم الله شيخنا العلامة «علي بن أحمد أبو هادي الشرفي»، فقد كانت له سلسلة أبحاث في كشف هذه الحقيقة المؤلمة، نرجو أن يأتي اليوم الذي ترى فيه النور.

ومعلومٌ أن حديث الغدير من الأحاديث الصحيحة المتواترة بإجماع المؤالف والمخالف، وإنما وقع الخلاف في دلالة الحديث، وتحديداً في تفسير وتأويل لفظَي «المولى» و«الولي»، وهما وصفان من «الوِلاية»، و«الوِلاية» اسم لما توليته، ومن يلي أمراً أو يقوم به يكون أولى به من غيره، وما عداها من المعاني له، فإنما هي مصاديق حقيقتها.

فأُطلق لفظ «المولى» على «الرب» لأنه القائم بأمر العبد، وعلى «العبد» لأنه يقوم بحاجة سيده، وعلى الجار، وابن العم، والصهر، والعقيد، والحليف لأنهم يقومون بأمر صاحبهم فيما يحتاجون إليه.

وهكذا، فاللفظ مشترك معنوي، والقدر المشترك التوليّ والتصرف، وهما مساوق للأولى بالتصرف، ثم استُعمِل فيما يلازمه من المعاني.

وتدّعي مدرسة الغُلاة أن كلمة «مولى» تعني «الصاحب» أو «النصير»، بينما فسرتها مدرسة أهل البيت عليهم السلام بـ «الأولى» بكم، وفي كل شؤونكم، وهو الأصح، وإن كان الأولى بكم، وجب على المسلمين الإقرار بولايته والطاعة له، على حد طاعة رسول الله.

وما أراده المرجفون من وراء فلسفة معاني «المولى»، هو إفراغ واقعة الغدير من مقاصدها الربانية، والترويج بين العوام بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يقصد التنصيص على خلافة الإمام علي عليه السلام من بعده، بل تذكير الأمة

بأنه صهرٌ ومُحبٌ، ويا للعجب من هكذا تقولات، وهل يُعقل أن يستوقف عشرات الآلاف من المسلمين في وسط الهجير ليقول لهم ما يعلمونه بداهة أم ليبلِّغهم أمرٌ خطير لا يحتمل التأخير ولا التسويف؟.

وسنكتفي في خاتمة هذا المبحث بالوقوف على عدة حقائق تنسف ما ذهبوا إليه:

1 - نزول آية التبليغ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خارجٌ من مكة بعد الفراغ من أداء مناسك فريضة الحج: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»، وفيها أمرٌ إلهيٌ واضح بتبليغ ولاية الإمام علي عليه السلام، وعدم الالتفات إلى أقاويل المرجفين، لأن من يُنكر ما سيقوله من ولاية «علي» لن يرى نور الهداية، والشاهد على أن هناك من سيُنكِر ذلك من الحاضرين وفي القرون التالية للواقعة، قوله سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»، والكفر يعني التكذيب والنُكران والجحود بنصّ القرآن.

والسؤال هنا: هل يليق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إيقاف عشرات الآلاف من المسلمين في وسط الصحراء المُلتهبة، ليُخبرهم بأن علي بن أبي طالب مُحبٌ وصاحب، وغيرها من الألفاظ العامة المشترك فيها كل الصحابة، أم ليُبلِّغ عن الله أمراً مُهماً وخطيراً وغير قابل للتأجيل إلى حين الوصول إلى المدينة، فأيُ أمرٍ يستوجب توقفه صلى الله عليه وآله وسلم واغتمامه إن لم يبلِّغهُ للمسلمين غير تنصيب وصيِّه خليفة للمسلمين.

2 - تحدّث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم عن 3 ولايات: «الله مولاي»، «أنا مولى المؤمنين»، «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، ووجه الدلالة هنا أخذه صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين الاعتراف والإقرار بأنه أولى بهم من أنفسهم، وهذا يدل بوضوح على أن الولاية التي جعلها النبي لعلي هي عين الولاية التي هي للنبي، وهذه الولاية ليست صداقة أو محبة، بل هي ولاية عامة وقيادة مُطلق، وإن كانت تتضمن المحبة والعطف فهو صلوات الله وسلامه عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وهذا التفصيل للتوضيح على أن التبليغ بأمر من الله، وأن ولاية أمير المؤمنين ليست بديلاً عن النبوة بل مُكملةً ومُتممةً لها، وبتبليغ ولاية علي عليه السلام اكتمل الدين.

وقبل أن يتفرّق المسلمون نزل جبريل عليه السلام بآية إكمال الدين: «اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا»، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي بعدي».

وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على حدوث أمرٍ خطير أكمل الله به الدين وأتم النعمة، قطعاً ليس المحبة والصداقة، بل الولاية.

3 - إنهاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم خُطبة الغدير بالدعاء للإمام علي: «اللهم والِ من والاه .. إلخ»، وهذا الدعاء لا ينسجم مُطلقاً مع غير الولاية العامة وإمرة المؤمنين.

4 - بعد انتهاء النبي من خُطبة الغدير، توّج الإمام علي بعمامته «السحاب»، وهي سوداء اللون، كما يذكر ابن القيم في «زاد المعاد»، لبسها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أيام خاصة كفتح مكة، وقال الإمام علي كما يذكر البيهقي في سُننه والطيالسي في مُسنده: «عمّمني رسول الله يوم غدير خم بعمامة سدلها خلفي»، ثم قال: «إن الله عز وجل أمدّني يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون هذه العمة»، .. وقال: «إن العمامة حاجزةٌ بين المسلمين والمشركين».

وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنصب خيمتين واحدة له والثانية للإمام علي عليه السلام، ومبايعة الحاضرين الإمام علي وتقديم التهاني له بإمرة أمير المؤمنين، واستمرت المبايعة وتقديم التهاني من الرجال والنساء 3 أيامٍ متوالية، وكلما بايع فوجٌ، قال رسول الله: «الحمد لله الذي فضّلنا على جميع العالمين».

وقال صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: «هنئوني .. هنئوني، ..»، ولم يقل «هنئوني» في كل أفراحه إلا في هذا اليوم الأغرّ، والسبب لمن تجرّد من دعاء التعصّب، إدراكه عظمة هذا اليوم، وجلالة هذه الذكرى، وأفضلية هذا العيد على ما عَداه من الأعياد الإسلامية.

ومن البديهي أن هذه المراسم لا تنسجم إلا مع الولاية والخلافة.

وكان في مقدمة المهنئين أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب، فقال عمر للإمام علي: «بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مُؤمنٍ ومؤمنة»، كما يذكر الحسكاني في «شواهد التنزيل».

وفي مسند أحمد بن حنبل، وتاريخ ابن كثير، وسُنن ابن ماجه: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة».

وهذا يعني أن المسلمين فهموا ما أمر الله نبيه بتبليغه في غدير خم، ونتيجة لهذا الفهم بادروا إلى تهنئة الإمام علي عليه السلام، والبخبخة له بهذه المناسبة الغراء.

5 - إنشاد حسان بن ثابت بعد فراغ النبي من خطبة الغدير مباشرة، قصيدة تحدثت فيها عن تفاصيل الواقعة، وانتشرت وذاعت بين الناس برضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلمه، وفيها تصريحٌ بالخلافة والإمامة، ومع ذلك لم يعترض من ذلك الجمع أحد، بل استحسنوا شعره، ومدحوه، مما يدل على أن الجميع قد فهموا نفس ما فهمه حسان بن ثابت، وما نفهمه نحن اليوم:

يُناديهمُ يوم الغدير نبيّهم ... بخمٍّ فأسمِع بالرسول المناديا
وقد جاءه جبريلُ عن أمر ربه ... بأنك معصـــــومٌ فلا تكُ وانيا
وبلِّغهم ما أنزل اللهُ رُبُهم ... إليك ولا تخشى هناك الأعاديا
فقام بهم إذ ذاك رافعُ كفِّهِ ... بِكفٍّ علي مُعلن الصوت عاليا
وقال: فمن مولاكم ووليكم؟ ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا!
إلهك مولانا وأنت وليُّنا ... ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا عليُّ فإنّني ... رضيتك من بعدي «إماماً» و«هاديا»!
فمن كنتُ مولاه فهذا وليُّهُ ... فكونوا له أنصار صدقٍ مواليا
هُناك دعا: اللهمّ والِ وليَّهُ ... وكن للذي عادى علياً مُعاديا

وبعد انتهائه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تزال يا حسان مُؤيداً بروح القُدُس ما نصرتنا بلسانك».

هذه الأمور مُجتمعة تجعلنا على يقين أن ما أراده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم ليس تذكير المسلمين بأن الإمام علي مُحبهُ وناصرهُ وأخيه وصديقهُ

وابـن عمـه وزوج ابنتـه، ولـو أن النبي أراد التحـدث عن هذه الأمور لما كان بحاجة لإيقاف المسـلمين في تلـك الصحـراء الملتهبـة، وفي وسـط الظهـيرة، ولا إلى ما أنزل اللـه من آيات بينـات في تلـك الواقعـة، ولا إلى تلـك الصيغة في تهنئـة الإمام علي.

ومعنـى قولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم «مـن كنـت مـولاه فعـليٌ مـولاه»، مـن كنـت مُتقلِّـداً أمـره، وقائمـاً بـه، فعـليٌ مُتقلـدٌ أمـره وقائـم بـه، وهـذا صريـحٌ في قيـادة الأمـة وإمامتهـا وولايتهـا، لأن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم قيـادة الأمـة ووليهـا وسـلطانها والقائـم بأمرهـا، فثبُـت لعـلي عليـه السـلام مـا ثبُـت لـه مـن الولايـة العامـة والقيـادة التامـة.

المفكـر المـصري الدكتـور أحمد محمود صبحي حـاول مقاربة الحقيقة في توضيح سـبب إنـكار المُنكريـن لحديـث الغديـر: «لمّـا كان أهـل الظاهـر والسـلفيون يُوالون معاويـة، فإنه لم يكـن لديهـم مفـرّ مـن اختيار إما تـرك هذه الموالاة أو القدح بشـتى الوسـائل في حديث الغديـر، ..، وبالرغـم مـن أنـه من المفـروض أن تخضع العقائد للنصـوص، إلا أن كثيراً من أصحـاب المذاهـب قد أخضعـوا الأحاديث لأهوائهـم ومذاهبهم».

حقاً إن الأمر لعجيب .. وما علينا إلا أن نقول كلمة واحدة لا نملك غيرها:

لك الله يا علي ما أنصفوك في شيئ، لا حياً ولا ميتاً!!!

المراجـــع:

1 - الإمـام القاسـم بـن محمـد بـن عـلي عليـه السـلام، الاعتصـام بحبـل اللـه المتـين، الجـزء الخامـس، طبعـة الجمعيـة العلميـة الملكيـة، 1983.

2 - الإمـام المرشـد باللـه يحيـى بـن الحسـين الشـجري، الآمـالي الخميسـية، عـالم الكتـب - بـيروت، الطبعـة الثالثـة، 1983.

3 - الإمـام أبـو العبـاس أحمـد ابـن إبراهيـم ابـن الحسـن الحسـني، المصابيـح، مؤسسـة الإمـام زيـد بـن عـلي.

4 - العلامـة حُميـد بـن أحمـد المحـلي الهمـداني الوادعـي، مَحَاسِـنُ الأَزْهَـار في تَفْصِيْـلِ مَنَاقِـبِ العِـتْرَةِ الأَطْهَـارِ.

5 - العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، اللآلئ المضيئة، الجزء الأول.

6 - القاضي حسين بن ناصر بن عبدالحفيظ النيسائي الشرفي المعروف بالمهلا، مطمح الآمال في إيقاظ جهلة العمال من سيرة الضلال، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

7 - الإمام مجد الدين المؤيدي، التحف شرح الزلف، مكتبة أهل البيت عليهم السلام - صعدة، الطبعة الخامسة، 2017.

8 - السيد العلامة بدر الدين بن أمير الدين الحوثي، أحاديث مختارة من أحاديث الفضائل في فضل أهل البيت وشيعتهم، مكتبة السنحاني - صنعاء، الطبعة الأولى، 1992.

9 - السيد حسين بدر الدين الحوثي، في الاحتفال بعيد الغدير، 18 ذي الحجة 1423هـ، الموافق 21 ديسمبر 2002

10 - أحمد محمد الهادي، السيرة النبوية، مركز النور للدراسات – صعدة، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

11 - العلامة عبدالحسين أحمد الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، 1977.

12 - العلامة محسن علي البلتستاني الباكستاني، النهج السوي في معنى المولى والولي، مكتبة النجاح - طهران، الطبعة الثانية، 1999.

13 - العلامة مرتضى العسكري، معالم المدرستين، الجزء الأول، المجمع العلمي الإسلامي - طهران، الطبعة الخامسة، 1993.

14 - العلامة محمد حسن آل ياسين، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام «سيرة وتاريخ»، المكتب العالمي للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الأولى، 1987.

15 - العلامة رضا الصدر، يوم الإنسانية .. يوم الغدير الأغر، مكتبة النجاح - طهران، الطبعة الثانية، 1999.

16 - العلامة عبدالودود الأمين، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، دار التوجيه الإسلامي - بيروت/ الكويت، طبعة العام 1980.

17 - العلامة محمد علي التسخيري، نظرة سريعة إلى حياة نبي الإسلام، مؤسسة في طريق الحق - قم، الطبعة الأولى، 1403 هـ.

18 - العلامة محمد إبراهيم الموحد، عيد الغدير، مؤسسة الوفاء - بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ.

19 - الدكتور يحيى عبدالحسن الدوخي، حديث الغدير - مقاربة ودراسة لطرقه وسنده ودلالاته عند علماء أهل السنة، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، 24 أغسطس 2020.

20 - زيد يحيى المحبشي، عيد الغدير الأغر، بحث مخطوط، 17 مايو 1995.

وكذا: عيد الغدير لماذا؟، بحث مخطوط، 15 أغسطس 1999.

من دلائل عيد الغدير، بحث مخطوط، 18 مارس 2000.

وهج الغدير أضاء دروب الولاية الحيدرية، بحث مخطوط، 18 ذو الحجة 1424 هـ

21 - أصغر منتظر القائم، دور القبائل اليمنية في الدفاع عن أهل البيت في القرن الأوّل الهجري، المجمع العالمي لأهل البيت، مطبعة إسراء، الطبعة الأوّلى، 2010.

22 - الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن السبط، طبع مطبوعات النجاح - القاهرة.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

من الذي قتل الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء؟

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشي

محرم 1445هـ / يوليو 2023م

منذ الوهلة الأولى لاستخلاف الله عز وجل الإنسان في الأرض، توضّحت الإرادة الإلهية من هذا الاستخلاف، وتحددت الأهداف المطلوبة من البشرية للقيام بهذا الإسناد الوظيفي المقدس، وهو إعمار الأرض بالخير والصلاح والعدل والفضيلة.

وفي الاتجاه الآخر كانت هناك مخلوقات رافضة للاستخلاف والتكريم الإلهي للإنسان بما يُمكن تسميته اليوم بالمعارضة، يقودها الشيطان الرجيم، المُعلن منذ الوهلة الأولى للاستخلاف البشري "تمرده"، رافضاً طلب العناية الإلهية السجود لأدم عليه السلام، وما كان السجود لذات المخلوق الآدمي، وإنما لمعرفة امتثال الطاعة لله، ومُعلناً سياسة التمرد على الأوامر الإلهية، ومُتعهداً بإغواء الإنسان وأحفاده، وحرفهم عن جادة الحق والصواب.

من هنا انقسمت البشرية إلى فريقين، الأولى استفاد من العقل المُفكر المستنير، فوظّف حياته للقيام بما أُنيط به من هدفية الإعمار وإشاعة الخير والفضيلة، والثاني انخدع بأحابيل الشيطان وأعوانه، وقرر السباحة في بركته الآسنة النتنة، والنتيجة الحتمية لهكذا انقسام، تولُّد الصراع بين الإنسان وذاته والإنسان وبني جلدته.

انبثق عن هذا الصراع الفساد في الأرض، وانتشار التظالم بين بني الإنسان، والغاية من وراء ذلك كله التكالب على طُعم "التسقيط الإبليسي" المُتمثل في بريق الدنيا الخادع وحُطامها الفاني، والإلتهاء عما أعده الله للصابرين والمصابرين في الآخرة.

إذن فالدنيا دار اختبار وبلاء والآخرة دار جزاء وسعادة، لذا أرسل الله الرسل والأنبياء لإصلاح أحوال البشرية وتقويم مسارها وتوجيهها نحو طريق الهدى والحق والعدل والحرية، والنأي بها عن مُنزلقات المهاوي المُضلة الهالكة، لا سيما وأن البشرية لم تعد محدودة العدد بل صارت من الكثرة ما يستوجب تنظيم علاقاتها البينية، وعلاقاتها مع الكون المحيط بها، والأهم من ذلك علاقتها مع خالقها، في حين تغاضى الله عما هو له، شريطة ألا يصل ذلك إلى نُكران الوجودية، ونُكران الوحدانية، لكنه لم يتساهل في حقوق البشر لبعضهم، وحقوق الإنسان مع ذاته.

لهذا أتت رسالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم من أجل وضع الحق في نصابه، فكان انبلاج نورها المُضيء للكون بأسره في مرحلة وصل الظلم مداه، وكان

هدفها الحرب على التنزيل، بينما أُنيطت بأحفاد النبوة مهمة الحرب على التأويل، من أجل إبلاغ الناس أن المسار واحد، والهدف واحد، وهو الخروج من عبودية الإنسان لأخيه الإنسان إلى تفريد العبودية لله وحده وبلا ندية.

ثورة الطف التي قادها السبط الثاني لرسول الله أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، تجلّت أهدافها منذ الوهلة الأولى، بعد أن رأى الإمام الحسين سلام الله عليه أن الوضع قد بدء بالانحدار إلى ما كانت عليه الجاهلية الأولى، إذ بدت معالم السياسة العامة لقادة الدولة الأموية بقيادة المؤسس الأول واضحة في مُضيّها المتعجرف والمتغطرس والمتعالي في معاكسة تعاليم الإسلام والنزوع نحو بهرجة المُلك العضوض بما في ذلك من ظلم وعربدة وتجبرُّ ومجون وإسفاف وانسلاخ عن قيم وأخلاقيات ومبادى وتعاليم الإسلام.

لم يكن أمام الإمام الحسين عليه السلام والقلة المؤمنين من أهله وذويه وأنصاره، من خيار، سوى وجوب الخروج:

"أيها الناس إني سمعت جدي رسول الله يقول: من رأى منكُم سُلطاناً جائراً مُستحلاً لحُرم الله، ناكثاً بعَهدِه، وفي رواية بيعته، مُخالِفاً لسنّةِ رسولِ الله، يَعملُ في عبادِه بالإثمِ والعدوانِ، فلم يُغِرْ، وفي رواية فلم يُغيّر ما عليهِ بقولٍ ولا بفعلٍ، كان حَقّاً على الله أن يُدخِله مَدخلَه.

وقد عَلمتُم أنَّ هؤلاء القومَ - مُشيراً إلى بني أميّة وأتباعِهم - قد لَزِموا طاعةَ الشيطانِ وتَولَوا عن طاعةِ الرحمنِ، وأظهرُوا الفسادَ وعطلّوا الحدودَ واستأثَروا بالفيء، وأحَلّوا حرامَ اللَّهِ وحَرَّموا حلالَهُ، واتخذوا مال الله دِولاً، وعباده خِولاً، وإنيّ أحقُّ بهذا الأمر، وفي رواية وأنا أحق من غيرّ".

فكان خروجه سلام الله عليه طلباً للإصلاح في أمة جده، لا لهثاً وراء مناصب زائلة، وتقويم الاعوجاج الذي أحدثه ملوك الفئة الضالة المُضلة في حياة المسلمين وشريعتهم، وإسقاط إرهاب الدولة الفوقية المُتعالية والمُتسلطة.

ورغم التضييقات التي مارسها عبيد بني أمية على الإمام الحسين عليه السلام في المدينة ومكة وقتل رسوله إلى الكوفة، من أجل منعه من الخروج ضد ظلم وجبروت

"يزيد"، لم يهتم لذلك بل واصل مسيره إلى العراق، رغم تحذيرات الأقارب والمُحبين من نكث المبايعين.

وكان ديوانه سلام الله عليه قد أحصى 12 ألف كتاب، وفي الروضة: عن أبي العباس الحسني، زُهاء 800 كتاب من أهل العراق، ببيعة 24 ألفاً، لكن لم يثبت ساعة المنازلة سوى "32 - 45" فارساً و"40 – 100" راجل، بينهم "22 - 27" طالبياً، في مواجهة جيش جرار من أهل الباطل بلغ قوامه 30 ألفاً، وقيل 100 ألف.

وفي العاشر من محرم الحرام 61 هجري قمري كانت المنازلة الفاصلة بن الحق والباطل في أرض كربلاء القاحلة، انتهت باستشهاد أبي عبدالله الحسين عليه السلام ونحو "70 – 87" من أصحابه وأهل بيته، ووثق الرواة نحو 52 إسماً ممن استشهدوا معه، منهم 34 شهيداً من اليمن، بواقع 10 شهداء من همدان، و10 من مذحج، و5 من الأنصار، و3 من الأزد، واثنان من حِميرَ، وواحد من قبائل كندة بجيلة وكلب وطيّء وخزاعة والحضرمي وخثعم، وهم يمثلون ما نسبته 47 %.

لم يكن استشهاده سلام الله عليه هزيمة كما يروج أعداء الحق بل نصراً وفتحاً مُبيناً، فقد أحدث خُروجه سلام الله عليه أزمة حادة لمشروعية حكم المُفسدين، حيث كان خروجه في العام 61هـ، وبعد استشهاده مباشرة عصفت بالحكم الأموي عدة ثورات، استمدت وهجها من كربلاء الطف كحركة التوابين وثورة حليف القرآن الإمام زيد بن علي عليه السلام والثورة الإعلامية الزينبية وغيرها، أفضت مُجتمعة إلى تقويض بنيان الحكم الأموي في العام 132هـ، أي بعد 61 عاماً، وفي هذا سرٌ عظيم، بينما كان مصير الطاغية "يزيد بن معاوية" شر قتلة، وكل من شارك في قتل الحسين وأهله وصحبه انتقم الله منهم شر انتقام، وشرب كل واحد منهم من نفس كأس عمله الشيطاني، وتلك عدالة الله في الكون.

ثورة الإمام الحسين عليه السلام أسست لحق المعذبين والمستضعفين في الأرض، في إسقاط شرعية الأنظمة المتسلطة، وهز كيانها، وكشف زيف أوراق المتآمرين على الحق والحرية والعدالة، من طابور خامس عريض، كان وما يزال أحد أهم العوامل الهدامة والمؤرقة للأمة الإسلامية منذ بزوغ شمس الرسالة المهداة، وحتى يوم الناس، فكانت

بحق مصباح الهدى وسفينة النجاة ومعراج السعادة الإنسانية وفق مشروطة العدالة الدينية، وها هي بعد 15 قرناً من السنين لا تزال تتوهج، غامرة الكون بسناها، بينما إرهاب الدولة الأموية المُرَّسخ لسُلطة التمييز العنصري الفوقي، سرعان ما تلاشت وذابت في مزبلة التاريخ، واندرس أقطابها، ولحقت أعمالهم اللا إنسانية لعنة الله والتاريخ والإنسانية.

الحسين بطل توّسد في الطف ليروي شجرة الحرية المتنامية إلى نهاية الحياة الإنسانية، وفي المقابل لا تخلوا الحياة من يزيدية مُتجددة في كل زمانٍ ومكان، كما سيستمر الصراع بين الحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والأهم من كل هذا لمن ستميل الكفة، إنها لأصحاب الحق المشروع في ظل يزيدية متهافتة شرعيتها، مأزومة مواقفها، وما يشهده الكون اليوم من تململ حُسينيّ ضد يزيدية القرصنة الكونية الجديدة خير مثال.

الإمام الحسين ومخاضات السقيفة

من حقنا أن نسأل من الذي قتل الإمام الحسين عليه السلام، هل هو يزيد وجيشه، أم الأخطاء المتراكمة التي رافقت دولة الإسلام بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبمعنى آخر والتساؤل هنا للشهيد القائد "حسين الحوثي" رحمة الله عليه:

"هل كانت فاجعة كربلاء، وليدة يومها، ومجرد صُدفة، أم أنها نتاج طبيعي لانحرافٍ حدث في مسيرة هذه الأمة، انحرافٍ في ثقافة هذه الأمة، انحرافٍ في تقديم الدين الإسلامي لهذه الأمة، من اليوم الأول الذي فارق فيه الرسول صلوات الله عليه وعلى آله وسلم هذه الأمة للقاء ربه؟؟".

" إذا فهمنا أن حادثة كربلاء هي نَتاج لذلك الانحراف، حينئذٍ يمكننا أن نفهم أن تلك القضية هي محط دروس وعبر كثيرة لنا نحن، من نعيش في هذا العصر المليء بالعشرات من أمثال يزيد وأسوء من يزيد".

تحديد ماهية القاتل، وبلغة أخرى المُتسبب في قتل الحسين، والأسباب التي أدت إلى قتل الحسين، في غاية الأهمية إذا ما أردنا بالفعل الاستفادة العملية من ثورة وتضحيات

الإمـام الحسـين وقافلـة طويلـة مـن قرابين العشـق الإلهـي من أهـل البيت عليهم السـلام ممـن نـذروا أنفسـهم وأرواحهـم مـن أجـل أن تظـل منارة الإسـلام عاليـة شـامخة مُضيئة الكـون بأنـوار الرحمـة المُهـداة إلى يـوم الديـن، وعملـوا بـكل إخـلاص وتفـاني مـن أجـل تطهـير المجتمـع من الفسـاد والظلم والعبـث والإرهاب السـلطوي، وكلهم استشـعروا واجب النهـوض والخـروج بعـد مـوت ووأد السـنة المحمديـة، وإطفـاء الأنـوار الربانيـة، وإحيـاء البـدع الجبروتيـة والطاغوتية.

في دراسـة الأسـباب التـي أدت إلى استشـهاد الإمـام الحسـين عليـه السـلام عـلى يـد مـن يدعـون الإسـلام، ويرفعـون رايتـه، ويحكمـون المسـلمين باسـمه، يؤكـد الشـهيد القائـد أن منبعهـا الأسـاسي هـو "الانحرافـات الأولى" التـي عصفـت بالأمـة الإسـلامية بعـد رحيـل خاتـم الأنبيـاء والمرسـلين، بمـا في ذلك تمكُّن العديـد من الطلقاء من الوصـول إلى مراكز متقدمـة في صنـع القـرار والتحكم في رقـاب العباد في عهد الخلفاء الثلاثـة الذين حكموا الأمـة بعـد رسـول صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم، ما دفـع الإمـام علي عليـه السـلام بعد أن جـرت لـه البيعـة بالولايـة في العـام 35 هجـري قمـري إلى تصحيـح الإعوجاجـات التـي لحقـت بدولـة الإسـلام، فـكان أول قـرارٍ له عـزل أول ملـوك الملك العضـوض "معاوية بن أبي سـفيان"، رافضـاً أن يحكـم رجـل كهـذا "منطقـة كالشـام باسـم عـلي، وباسـم الإسـلام، البعـض نصـح الإمـام عليـه السـلام بـأن الوقـت ليـس مُناسـباً لاتخـاذ مثـل هـذا القـرار، فمعاويـة قـد تمكـن في الشـام"، وطلبـوا منه الانتظار حتـى يتمكن من الخلافـة، ثم بعدها يُصـدر قـرار العزل.

ويـرى الشـهيد القائـد أن تلـك الفئـة المطالبـة بالتريّـث في عـزل "معاويـة"، هـي ممـن "يفهمـون سـطحية السياسـة، وعنـد مـن لا يصـل فهمهـم إلى الدرجـة المطلوبـة بالنسـبة للآثـار السـيئة والعواقـب الوخيمـة لأن يتـولى مثـل ذلـك الرجـل عـلى منطقـة كَـبُرَت أو صَغُـرَت، عـلى رقـاب المسـلمين، كمعاويـة".

لكـن منطـق عقيـم كهـذا لا مكان له عنـد خاتم الوصيين، فقـد كان رده سـلام الله عليه: "لا يمكـن.. "، واستشـهد بقـول اللـه تعـالى: "ومـا كنـتُ مُتخـذ المضلـينَ عَضُـداً"، أي عونـاً ومُسـاعداً، "لأن مـن تُعيِّنـه واليـاً عـلى منطقـة، أو تُقـرُّه واليـاً عـلى منطقة مـا، يعني ذلك

أنك اتخذته ساعداً وعضُداً، يقوم بتنفيذ المهام التي هي من مسئوليتك أمام تلك المنطقة".

"عندما نعود إلى الحديث من هنا هو من أجل أن نعرف ما الذي جعل الأمور تصل إلى هذه الدرجة، فنرى الحسين صريعاً في كربلاء، إنها الانحرافات الأولى؟؟!!".

فـ "الإمام علي لم يُقرّ أبداً معاوية والياً على الشام، وعندما استشهد بقول الله تعالى: {وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً}، الكهف: 51، لأن معاوية رجلٌ مُضِل، ..، وقد بقي فترة طويلة على بُعدٍ من عاصمة الدولة الإسلامية، أضل أمة بأسرها، أقام لنفسه دولة في ظل الخلافة الإسلامية، وعندما حصل الصراع بين الإمام علي عليه السلام وبينه، وجاءت معركة صفين، استطاع معاوية أن يحشد جيشاً كثير العدد والعُدّة، أكثر من جيش الخليفة نفسه، ..، من تلك الأمة التي أضلها، لمّا أضلها انطلقت تلك الأمة لتقف في صف الباطل، لتقف في وجه الحق، لتقف في وجه النور، لتقف في وجه العدالة، في وجه الخير، تقف مع ابن آكلة الأكباد، مع ابن أبي سفيان ضد وصي رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم".

وما أشبه تلك الأمة من الأنعام بأولئك الذين اصطفوا مع معاوية تحالف العاصفة وباطله المتوارث في مواجهة أحفاد أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقيادة حفيده حسين العصر في اليمن، لم يتغير شيء في معادلة الصراع الأزليّ بين الحق والباطل، لكن أين صار رموز الباطل وأين أصبح رموز الحق؟.

لم يكن علياً عليه السلام من عُشاق السلطة والكراسي الزائلة وهو القائل: "إن خلافتكم هذه لا تساوي عندي شِراك نعلي هذا إلا أن أُقيم حقاً أو أُميت باطلاً"، لذا لم يهتم سلام الله عليه عندما قرر إزاحة معاوية من حكم الشام، إن كان الثمن حياته:

"علياً لم يكن من أولئك الذين يحرصون على مناصبهم، وليكن الثمن هو الدين، وليكن الثمن هو الأمة.. ، ومصالح الأمة، ومستقبل الأمة، وعزة الأمة وكرامتها، ..، الإمام علي يعرف أن من يعشق السلطة، أن من يعشق المنصب هو نفسه من يُمكن أن يُبقي مثل معاوية على الشام، هو نفسه من يمكن أن يبيع الدين الإسلامي، هو نفسه من يمكن أن يبيع الأمة بأكملها مقابل أن تسلم له ولايته، وأن يسلم له كُرسيه ومنصبه".

ومن يومها والأمة الإسلامية تعاني من هذه النوعية من الحُكام "هذه النوعية التي نراها ماثلة أمامنا على طول وعرض البلاد الإسلامية، لما كانوا من هذا النوع الذي لم يَتَلَقَّ درساً من علي عليه السلام الذي كان قدوة، يُمكن أن يحتذي به من يصل إلى السلطة، قدوة للآباء في التربية، قدوة للسلاطين في الحكم، قدوة للدعاة في الدعوة، قدوة للمعلمين في التعليم، قدوة للمجاهدين في ميادين القتال، قدوة لكل ما يمكن أن يستلهمهُ الإنسان من خير ومجد وعز، أولئك الذين لم يعيشوا هذه الروحية التي عاشها الإمام علي عليه السلام في اليوم الأول من خلافته، فأرى الجميع أن خلافته عنده لا تُساوي شِرَاكَ نعله إذا لم يُقِم حقاً ويمُت باطلاً".

ويعيد الشهيد القائد سلام الله عليه التساؤل: "ما قيمة دولة تُحكم باسم الإسلام، ويتربع زعيمها على رقاب المسلمين، ثم لا يكون همه أن يُحيي الحق ويمُيت الباطل؟".

الجواب: "لا قيمة لها، ليس فقط لا قيمة لها، بل ستتحول قيمتها إلى شيء آخر، ستتحول الأمور إلى أن يكون قيمتها هو الدين، إلى أن يكون قيمتها هو الأمة، عندما نسمع زُعماء العرب، زُعماء المسلمين كلهم يُسرعون إلى الموافقة على أن تكون أميركا حليفة، وأن تكون هي من يَتَزَعَّم الحلف لمحاربة ما يُسمى بالإرهاب، وعندما نراهم جميعاً يُعلنون وقوفهم مع أميركا في مكافحة ما يسمونه بالإرهاب؛ لأنهم جميعاً يعشقون السلطة، لأنهم جميعاً يحرصون على البقاء في مناصبهم مهما كان الثمن، لكنهم لا يمكن أن يُصرحوا بهذا، هم يقولون: من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار، من أجل الحفاظ على مصلحة الوطن!، أو يقولون: خوفاً من العصا الغليظة، العبارة الجديدة التي سمعناها من البعض: الخوف من العصا الغليظة!، وأي عصا أغلظ من عصا الله، من جهنم، ومن الخزي في الدنيا؟".

لهذا أراد الإمام علي عليه السلام "أن يُعَلِّم كل من يُمكن أن يصل إلى موقع السلطة في هذه الأمة أنه لا يجوز بحالٍ أن تكون ممن يعشق المنصب؛ لأنك إذا عشقت المنصب ستُضحي بكل شيء في سبيله، وألا تخاف من شيء أبداً، فإذا ما خفت من غير الله، فسترى كل شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً يبدو عصاً غليظة أمامك".

إذن فمن قتل الحسين عليه السلام هو من سمح لمعاوية ويزيد وأمثالهم من عُشاق

السلطة بالتحكم في رقاب المسلمين باسم الإسلام، إنها "الانحرافات الأولى"، بدءاً بـ "السقيفة" وما تلاها، والتي لازالت الأمة تُعاني من ويلاتها إلى اليوم، نقولها بصراحة رغم مرارتها.

ذلك هو واقع حال المسلمين، وما شهدته الأمة الإسلامية من مجازر وصراعات وضعف وتقزّم وشتات هو نتاج طبيعي لتلك "الانحرافات"، وما عداها فكلام مردود وممجوج وأحاجي واهية ومتهافتة، وأمة لا تستفيد من أخطاء ماضيها، وتعمل على تلافيها، وتُعيد الحق إلى نصابه، لن تُشفَ من عثرتها، ولن ترى نور الهداية والحق والعزة والكرامة.

السلام على الحسين وأولاد الحسين وأصحاب الحسين، السلام عليك يا أبا عبدالله يوم وُلدت فكان ميلادك بذرة لصدق العقيدة، ويوم استشهدت فكان استشهادك بعثاً لتلك النفوس الميتة، لتحلّق في سماء العزّ والفضيلة، ويوم تُبعثُ حياً ليجزيك ربك جزاء تضحيتك العظيمة، والتي جحدتها الأمة، ولم تعرف حقها، فجئتها غريباً، وعشت معها غريباً، ورحلت عنها غريباً، فطوبى للغرباء.

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center
SABA
SABA.YE

المشهد العسكري والحـــراك الدولـي

في البحر الأحمر خلال 9 سنوات

مركز البحوث والمعلومات

أنس القاضي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

ملخـــص:

المعركة البحرية على طول البحر الأحمر من أقصى نقطة شمالاً في سواحل محافظة حجة حتى أقصى نقطة جنوباً في باب المندب سواحل محافظة تعز، برزت بوصفها أهم المعارك في إطار الحرب العدوانية السعودية الإماراتية، وأهم المعارك الدفاعية من قبل قوات الجيش واللجان الشعبية، فقد كانت معركة مصيرية.

بخلاف سير المعارك البرية مع شراستها، فقد أخذت المعركة البحرية طابعاً خاصاً بها، مع حساسية المنطقة ذاتها، وكان من الملاحظ فيها ازدياد الفواعل العسكرية المحلية والدولية، والضغط العسكري العدواني المستمر، فهي من حيث الأهمية لا تقلّ شأناً عن معارك جبهة نِهم التي استهدفت إسقاط العاصمة صنعاء مباشرة.

ترابطت في معركة البحر الأحمر، دوافعها العسكرية وضرورات السيطرة على الساحل من قبل تحالف العدوان من ناحية عسكرية اقتصادية (حصار) محلياً، مع الأطماع الإقليمية السعودية الإماراتية بالمنطقة من الناحية الجيوبوليتيكية، مع الاستراتيجيات العالمية والتسابق الدولي على منطقة البحر الأحمر نظراً لأهميته كممرّ رئيسي للتجارة الدولية ولحركة القطع البحرية.

هذا التشابك بين المحلي والإقليمي والدولي،أضفى طابعاً معقداً على المعركة في البحر الأحمر، التي بدأت في ديسمبر من العام 2015م لتشهد برواداً ميدانياً في العام 2018م، وقد استطاعت القوى المعادية أن تسيطر على سواحل محافظ حجة كاملة وكذلك سواحل محافظة تعز كاملة بما في ذلك ميناء المخا ومضيق باب المندب، وجزء من سواحل محافظة الحديدة.

شاركت في المعركة القوات البرية والبحرية والجوية في آن، وقد أبدت قوات الجيش واللجان الشعبية، -القوات البحرية لاحقاً بعد دمج المجاميع الشعبية في الجيش- صلابة في هذه المعركة، وتصدّت للغزاة القادمون من البحر ومحاولات الإبرار، وللقوات القادمة من الأراضي الجنوبية.

استُخدم في المعركة من قبل قوات الجيش واللجان الشعبية صاروخ توشكا الروسي، أكثر من مرة، استهدف فيهما قيادات عمليات العدوان ومجاميع عسكرية وهي عمليات

سقط فيها كبار قيادات تحالف العدوان وعناصر أجنبية منهم مرتزقة شركات أمنية عالمية.

تصدّت القوات اليمنية لسفن عدوانية أبرزها سفينة سويفت الإماراتية، وفرقاطة لافاييت السعودية، وسفينة إنزال عسكرية، وبارجة الدمام العسكرية السعودية ، وضبط سفينة النقل العسكرية الإماراتية «روابي»، وتدمير عشرات الزوارق الحربية، وغيرها من العمليات البحرية، كما كشفت القوات البحرية عن ألغام بحرية وزوراق وصواريخ بحرية ومجنحة مثلت عامل ردع.

طوال هذه الفترة تمت أكثر من 20 مناورة عسكرية في البحر الأحمر شارك فيها الأمريكي والإسرائيلي والغربي عموماً، كما عقدت العديد من التحالفات السياسية والأمنية البحرية، منها كيان الدول المشاطئة للبحر الأحمر، وتأسيس القوات البحرية المشتركة المعادية، ولازالت التحركات العسكرية المعادية مستمرة في البحر الأحمر وليس آخرها مناورة عسكرية سعودية سودانية في 3 إبريل من الشهر الجاري (2023م).

الحرب البحرية

منذ بداية العدوان في العام 2015م، كان الساحل الغربي لليمن من سواحل محافظة حجة حتى مضيق باب المندب، جزء من جغرافيا أطماع العدوان، وركز عليها جهوده منذ البداية عسكرياً وسياسياً واجتماعياً، بهدف الظفر بهذه المنطقة الاستراتيجية وتطويق اليمن، إضافة إلى أهمية مضيق باب المندب بشكل خاص، الذي يحظى بأهمية خاصة في الاستراتيجيات العدوانية السعودية والأمريكية والصهيونية وكذلك في السياسة الأمنية الأمريكية للمنطقة.

جرت في هذا المسرح الغربي عدة جولات من المعارك المصيرية، وشهدت تبدلات عديدة من حيث القوى المسيطرة عليها بخلاف جبهات أخرى اتسمت بالركود، واستمرت المعركة في الساحل الغربي بهدف السيطرة عليه كاملاً لمدة ثلاث سنوات من العام 2016م وصولاً إلى العام 2018م حين تجمد باتفاق السويد، وبعد أن سيطر تحالف العدوان على غالبيته.

معركة المخا وباب المندب

كانت القوات المسلحة اليمنية تسيطر على كامل الساحل الغربي قبل انقسامها مع بداية العدوان، وفي أغسطس 2015م تمكنت القوات الموالية للسعودية بدعم تحالف العدوان من السيطرة على محافظة لحج، لا سيما قاعدة العند العسكرية، التي تعطيها نفوذاً للتقدم نحو ساحل باب المندب.

بداية من ديسمبر 2015م ازداد ضغط المعركة البحرية للسيطرة على محافظات لحج وأبين ومضيق باب المندب، والتوجّه لتحرير الساحل الغربي بموانئه ومدنه وجزره.

تمكنت القوات المعادية من السيطرة على أجزاء من مديرية ذوباب، وكانت المنطقة الأولى للسيطرة على مضيق باب المندب، التي شهدت مواجهات عنيفة وأخذت طابع معارك كرّ وفرّ، وعقب مشاورات «جنيف2 « دخل التحالف في معركة السيطرة على ميناء المخا وميدي في حجة.

تعطلت العملية العسكرية نسبياً وعقب مشاورات الكويت الأولى عام 2016م، عادت المعركة مجدداً في المخا وباتجاه محافظة الحديدة، وفي مطلع العام 2017م شن تحالف العدوان عملية واسعة تحت مسمّى الرمح الذهبي، حيث تمكنت القوات العسكرية القادمة من عدن من تحرير مديرية «ذوباب» المشرفة على مضيق باب المندب، والتوغل نحو المخا، وانتهت بالسيطرة على هذه المناطق.

معركة ميدي

بدأت محاولات التحالف السيطرة على ميناء ميدي في ديسمبر 2015 م لكنها توقفت بعد إخفاق عدة محاولات، في يوليو 2016م بدأ الضغط العسكري المعادي على محافظة حجة الساحلية بقصد السيطرة على ميناء ميدي وساحل المحافظة، خصوصاً مع قربه جغرافياً من سواحل جيزان ومخاوف السعودية من تحوله إلى مركز عمليات بحرية مضادة، وشهدت معارك ضارية بين كرّ وفرّ وإسقاط طائرة مروحية أباتشي تابعة للتحالف.

في مايو 2017م عادت العمليات العسكرية المعادية بصورة أكبر في جبهة ميدي في

إطار عملية « الرمح الذهبي» وفي إبريل 2018م عادت القوات الغازية بحملة جديدة على ميدي، واستكملت السيطرة على سواحل المدينة والميناء.

خاضت قوات الجيش واللجان الشعبية معارك ضارية في هذه المناطق فلم تسلمها بسهولة، ورغم أن القوات الأساسية هي من اللجان الشعبية أي مجاميع ليس لها خبرة في الحروب البحرية، إلا أنها صمدت ميدانياً في السواحل، واشتبكت من البحر في حرب بحرية مع تحالف العدوان.

العمليات البحرية الوطنية 2015م- 2017م

- 2015م:

في آواخر ديسمبر من العام 2015م نفذت قوات الجيش واللجان الشعبية ضربة نوعية بصاروخ باليستي نوع «توشكا» استهدف مركز قيادة تحالف العدوان السعودي في منطقة باب المندب بمحافظة تعز ما أدى إلى سقوط عشرات القتلى والجرحى بينهم غزاة أجانب، وتكبيده خسائر مادية كبيرة.

أسفر عن مقتل 152 عسكرياً ، جرى التعرف حينها على جثث 23 سعودياً، و9 إماراتيين، و7 ضباط مغاربة، وعدد من كبار قيادات الغزاة منهم قائد القوات السعودية العقيد الركن عبدالله السهيان وقائد معسكر الغزاة في باب المندب العقيد الإماراتي سلطان بن هويدان وقائد كتيبة مرتزقة شركة بلاك ووتر الأميركية الكولومبي «كارل».

الهجوم الصاروخي ألحق خسائر مادية كبيرة في صفوف قوات التحالف حيث أشارت الحصيلة الأولية حينها إلى إعطاب منظومتين صواريخ باتريوت الأميركية، وتدمير مباني قيادة الغزاة، وتدمير 3 طائرات أباتشي، وتدمير أكثر من 40 آلية عسكرية، و7 عربات، و5 مصفحات مدرعة تتبع شركة بلاك ووتر الأمنية الأميركية. وهي قوات ضخمة أُسندت إليها مهمة اجتياح عسكرية.

- 2016م:

في يناير 2016م قصفت قوات الجيش واللجان الشعبية تجمعاً للغزاة ومرتزقة العدوان السعودي في قاعدة العند الجوية في مدينة لحج، بصاروخ باليستي من نوع

توشكا. وأكدت المصادر العسكرية حينها، أن الصاروخ أصاب هدفه ودمر طائرات أباتشي وأخرى من نوع تايفون، ودمر الكثير من العربات والدبابات والأطقم، بالإضافة إلى هنجر سكن للمرتزقة.

في فبراير 2016م استهدفت القوة الصاروخية للجيش واللجان الشعبية أربعة زوارق حربية تابعة لتحالف العدوان السعودي الأمريكي قبالة سواحل المخا بمحافظة تعز، حاولت التقدم باتجاه سواحل المخا مع البوارج وتم صدها بصليات من الصواريخ.

وفي يوليو 2016م أطلقت القوة الصاروخية للجيش واللجان الشعبية صاروخاً باليستياً من نوع توشكا على تجمع كبير للغزاة والمرتزقة في معسكر الحجف بالمضاربة جنوب تعز، وأعلن مصدر عسكري أن الصاروخ استهدف بشكل مباشر غرف عمليات الغزاة في المعسكر، التابعة لتحالف العدوان والتي تم استحداثها مؤخراً قرب باب المندب.

وفي أكتوبر 2016، استهداف السفينة «سويفت» والتي استأجرتها الإمارات من الولايات المتحدة الأمريكية، وتم استهدافُها مطلع أُكتوبر من العام 2016م وهي كاسحة ألغام تقوم بعملية الدعم اللوجستي البحري أثناء محاولتها التقدم باتجاه سواحل المخا.

- 2017م:

شهد العام 2017م زخماً في المعركة البحرية واستهداف القوات البحرية المعادية؛ ففي 3 يناير 2017 تمكنت القوة الصاروخية من استهداف زورقاً حربياً تابع للعدوان الأمريكي السعودي قبالة سواحل المخا بمحافظة تعز بعد استهدافه بصاروخ موجه.

في 30 يناير استهدف الجيش واللجان الشعبية زورقاً حربياً على بعد 14 كم من الساحل اليمني بتاريخ 30 يناير 2017م.

وفي ذات اليوم 30 يناير 2017م استهدفت قوات الجيش واللجان الشعبية فرقاطة حربية هجومية قبالة سواحل الحديدة والمسماة «المدينة» فرنسية الصنع من نوع : «لافاييت» وتعتبر واحدة من أهم قطع الأسطول الغربي للبحرية السعودية، وهي مزودة بصواريخ موجهة ومجهزة لقتال الغواصات وتوفير الدفاع الجوي وتأمين مجموعات القتال البحرية وتأمين القوافل البحرية ويصل عدد طاقم هذه الفرقاطة إلى 197 فرداً.

في 10 مارس 2017م استهدفت قوات الجيش واللجان الشعبية زورق حربي ثقيل هجومي لتحالف العدوان في ساحل المخا بصاروخ حراري قصير المدى.

في 18 ابريل 2017م استهدفت قوات الجيش واللجان الشعبية زورق حربي قبالة الساحل الغربي شمال المخا.

في 13 يونيو 2017م استهدفت قوات الجيش واللجان الشعبية سفينة حربية عملياتية ثقيلة تابعة لتحالف الغزاة كانت تقوم بأعمال عدائية قبالة سواحل المخا.

في 25 يونيو 2017م استهدفت قوات الجيش واللجان الشعبية سفينة إنزال عسكرية للغزاة قبالة سواحل المخا بصاروخ أرض.

وفي ديسمبر 2017م ضبطت قوات الجيش واللجان الشعبية مركبة تجسسية بحرية تابعة للعدوان في المياه الإقليمية اليمنية.

معركة الحديدة

في يونيو من العام 2018م كانت قد دخلت محافظة الحديدة في المعركة البحرية، لأول مرة منذ بداية العدوان باستناد قوات تحالف العدوان على وجودها العسكري في مدينة المخا وسواحل تعز، وإلى جانب البُعد المحلي لمعركة الحديدة وسابقاتها في المخا وذوباب وباب المندب، فالمعركة عموماً في البحر الأحمر جزء من صراع عالمي أكبر،وامتداداً للصراع التاريخي والتنافس الاستعماري المحموم في البحر الأحمر، فلم تنتهي أهميته الاقتصادية بل تعاظمت مع افتتاح قناة السويس واكتشاف النفط وإشهار الصين لمشروعها «الحزام والطريق».

في تلك الفترة نشر معهد واشنطن خمسة تقارير ذات لغة معادية مُحرّضة على غزو الحديدة، لكتّاب قاموا بزيارة اليمن في مناطق المرتزقة وكذلك زيارة دول تحالف العدوان.

فيما حذرت وزارة الخارجية الروسية من اقتحام ميناء الحديدة، معللة ذلك لأسباب إنسانية ولخطورة ذلك في تقويض العملية السياسية في البلاد.

بدورها حركت الجمهورية الاسلامية الإيرانية أكبر أسطول بحري في تاريخها، في جولة تشمل بحر عدن وشمال الإيقانوس الهندي ومضيق باب المندب التي تؤمّن تحرك تجارتها في البحر الأحمر وباب المندب.

في هذه الفترة قامت قوات الجيش واللجان الشعبية بعمليات بحرية مؤثرة، ففي يوليو 2018م استهدفت قوات الجيش واللجان الشعبية البارجة البحرية السعوديّة «الدمام»، وبحسب الناطق العسكري اليمني كانت السفينة تحمل على متنها أكثر من 170 ضابطاً وجندياً، وعتاد عسكري لدعم المعركة البحرية المعادي، قبالة سواحل محافظة الحديدة.

وفي أغسطس 2018م نفذت القوة البحرية للجيش اليمني واللجان الشعبية عملية خاصة داخل العمق البحري السعودي. وأوضح حينها مصدر عسكري لوكالة الأنباء اليمنية (سبأ) أن القوة البحرية وجهت ضربة بسلاح مناسب على هدف عسكري في العمق البحري السعودي. وأكد المصدر أن العملية الخاصة أصابت هدفها بدقة عالية.

مع وصول المعركة ذروتها رعت الأمم المتحدة اتفاقاً في «ستوكهولم» السويد لتجميد العمليات العسكرية في المحافظة حين وصلت قوات العدوان إلى طريق مسدود وبدأت قوات الجيش واللجان الشعبية بالهجوم المضاد، وقد تم توقيعه في 13 ديسمبر 2018م بحضور الأمين العام للأمم المتحدة انطونيو غوتيرس.

يرى المفكر الاستراتيجي علي نعمان المقطري أن : «اتفاق ستوكهولم كان مجرد غطاء للانكسار العسكري للعدوان أمام الحديدة، ومعه بدأ التراجع إلى الخلف وسحب قواته عشرات الأميال عما كانت عليه، وبالتالي تم كسر حصار الحديدة وانكسر هجوم الساحل، وعاد العدو ليتركز بقواته الباقية حول محاور رئيسية، أهمها المخا والخوخة والدريهمي، وحاول أن يجعلها مناطق دفاعية عن وجوده على جنوب الساحل انتظارا لظروف جديدة تؤهله مجدداً للهجوم على الحديدة التي ظلت الهدف الرئيسي للحملة العسكرية برمتها على الساحل»[1].

1) لا ميديا، " انتصارات الجيش واللجان مقابل انتكاسات قوى العدوان"، (علي نعمان المقطري)، متوفر على الرابط: https://laamedia.net/news.aspx?newsnum=35530

للسيطرة على الساحل الغربي حتى الحديدة كان لا بد أن تتم السيطرة على المخا، وكانت مناورة الساحل الغربي كلها في الأساس مناورة استراتيجية تخدم المهمة الاستراتيجية الرئيسية الكبرى للعدو، وهي الهجوم على العاصمة صنعاء، ومهمتها جذب اهتمام قوات الجيش واللجان الرئيسية نحو الساحل لاستنزافها وتثبيتها أطول وقت ممكن بعيداً عن قواعدها الجبلية، وهي واحدة من مناورات أخرى تخدم الهدف نفسه، أي استنزاف القوات الاحتياطية التي كانت تتركز في قلب المناطق المركزية للعاصمة ومحيطها، والعدو يحشد ويتحرك لاجتياحها خلال الأعوام الماضية بكاملها تقريبا.

انسحاب قوات طارق صالح من الحديدة

في نوفمبر من العام 2021م وقع تغير جديد في الحديدة تمثل في انسحاب القوت التابعة لطارق صالح والمدعومة إماراتياً، حيث انسحبت من مدينة الحديدة إلى مديرية التحيتا بمسافة تقدر بنحو 70 كيلو متر، ابتداءً من كيلو 16 والمنظر مروراً بالدريهمي ثم الفازة وصولاً إلى الجاح و التحيتا.

وكان هدف الانسحاب تركيز القوة في المخا من أجل تحويلها إلى مركز عسكري وسياسي كمقر لطارق صالح، وكذلك من أجل تعزيز المعركة في شبوة ضد قوات الجيش واللجان الشعبية التي تقدمت في عدد من مديريات المحافظة في تلك الفترة، وهذا ما حدث إذ تم نقل معظم قوات «العمالقة» المنسحبة من الحديدة إلى محافظة شبوة الساحلية النفطية التي تولت الإمارات قيادة المعركة فيها وتسلمها.

قبل هذا الانسحاب كانت قوات الجيش واللجان الشعبية قد حررت مدينة الدريهمي المحاصرة، في عملية لم تعلن عنها، وهو ما أعطاها أفضلية عسكرية، فبات انسحاب قوات طارق عفاش من الناحية العسكرية ضرورياً إلى جانب الأسباب الأخرى.

الأسلحة الاستراتيجية ومسألة الردع

مثلت الأسلحة البحرية سلاح ردع، عمليات استهداف البوارج والفرقاطات والزوارق المعادية، كان في كل مرة يجعل من القوى الغازية تعيد التفكير ملياً في خطورة الإبرار والغزو المباشر، وفي خطورة نقل الحرب البحرية من الساحل إلى المياه الإقليمية، فقد لعبت الصواريخ والإعلان عنها دوراً في كبح جماح قوى تحالف العدوان، وباتت القوة البحرية اليمنية تمتلك ترسانة أسلحة بحرية استراتيجية.

في نوفمبر 2017، كشف الجيش اليمني عن صاروخ بحريّ جديد تحت اسم «المندب – 1»، وهو حصيلة تطوير محلّي تم على الصّواريخ الصينية. وفي 2018، أعلنت البحرية اليمنية عن بدء إنتاج نوعين من الألغام البحرية الغاطسة تحت اسم «مرصاد 1» و«مرصاد 2».

في العرض العسكري في العاصمة صنعاء يوم 21 سبتمبر 2022م، كشفت القوات المسلحة اليمنية منظومة الأسلحة البحرية المختلفة وهي كالتالي:

■ **الصواريخ البحرية:** تم الكشف عن صواريخ بحرية جديدة منها ما أعادت قوات صنعاء تأهيلها وإعادة تشغيلها من الصواريخ الروسية القديمة ومنها ما أنتجته من صواريخ بحرية جديدة.

- صاروخ البحر الأحمر، وهو صاروخ باليستي أرض بحر محلي الصنع تم الكشف عنه لأول مرة.
- صاروخ روبيج P22 وهو صاروخ بحري روسي الصنع كانت تمتلكه اليمن سابقاً وسبق أن خرج عن الخدمة منذ سنوات وتمكنت الفرق الهندسية العسكرية من إعادة تفعيل هذه الصواريخ وتشغيلها ووضعها تحت الخدمة.
- صاروخ محيط: صاروخ أرض بحر محلي الصنع تم الكشف عنه لأول مرة

■ **الصواريخ المجنحة:** كشف عن أجيال جديدة من الصواريخ المجنحة التي سبق وصنعتها قوات الجيش اليمني.

1 - قدس 3: الجيل الثالث من صاروخ (كروز) الصواريخ المجنحة اليمنية الصنع

والتي أطلق عليها اسم قدس وتم إنتاج جيلين منها والكشف عنهما سابقا هما قدس 1 و2 .

■ **زوارق بحرية حربية**، وهذه زوارق بحرية محلية الصنع يُكشف عنها لأول مرة منذ بدء الحرب على اليمن، وتفصيلها كالتالي:

- الزورق القتالي عاصف 1.
- زورق الحرب النفسية عاصف 2.
- الزورق القتالي عاصف 3.
- الزورق القتالي ملاح.
- الزورق الحربي طوفان 1.
- الزورق الحربي طوفان 2.
- الزورق الحربي طوفان 3.

التحركات الدولية في الساحل الغربي

في مارس 2019م دعت المملكة السعودية إلى انشاء كيان الدول المشاطئة للبحر الأحمر والذي يضم كل من «المملكة السعودية، مصر، السودان، الأردن، الصومال، جيبوتي، اليمن».

أدركت السعودية أهمية وجود تحالف بحري كهذا، بعد عملية الجيش واللجان الشعبية في ميناء جيزان في أكتوبر (2018م)، حيث قامت القوات السعودية بعملية عسكرية إعلامية أسمتها «الضفادع البشرية»، وهي منذ ذلك الوقت تنبهت إلى ضعف تأمين سواحلها على البحر الأحمر، وترى الرياض أن إيران تحاول حرمانها من الوصول إلى البحر الأحمر كطريق شحن احتياطي لمنتجاتها النفطية، في حال أقدمت إيران على إغلاق مضيق هرمز في الخليج.

استكمالاً لما أفرزه الاجتماع الذي عُقد بالقاهرة في 11 و12 من ديسمبر 2017م. وتعود فكرة إنشاء الكيان إلى سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، حيث تم آنذاك الدعوة إلى إقامة «منتدى البحر الأحمر».

للكيان مهمة إبقاء منطقة البحر الأحمر بُحيرة أمريكية عسكرياً وسياسياً، ومنع توسّع نفوذ محور المقاومة ، كما تهدف السعودية إلى بناء كيان رديف لمجلس التعاون الخليجي، إلا أن عدم إشراك إريتريا وإثيوبيا في هذا التكتّل جعل من الصعب نجاحه.

تلتقي السعودية مع الكيان الصهيوني الذي يسعى لتدويل منافذ البحر الأحمر والانتشار فيه من بعد حرب أكتوبر 73، كهدف استراتيجي للكيان الصهيوني، وهناك هدف اقتصادي راهن للكيان الصهيوني الواقع على البحر الأحمر، وهو بناء مطار دولي على ساحل البحر الأحمر في مدينة إيلات المحتلة، كما أن المشروع يوطّد علاقات التطبيع مع الكيان الصهيوني بشراكات أمنية سياسية اقتصادية علنية.

تُشكّل منطقة البحر الأحمر وخليج عدن أهمية استراتيجية اقتصادية وأمنية متداخلة يصعب الفصل بينهما، لكل من مصر والسعودية والسودان و»إسرائيل» إلى جانب القوى الإقليمية مثل تركيا وإيران والقوى الدولية البعيدة جغرافيا مثل الولايات المتحدة والصين الشعبية. ويشير قرار الصين في اختيار موقع أول قاعدة بحرية لها في الخارج في جيبوتي إلى اهتمامها الاستراتيجي بالمنطقة.

خلال الحرب الباردة كانت للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مصلحة مشتركة في الحفاظ على سلامة الممرات البحرية، لكن هذا التوافق مفقود حالياً مما يضع المنطقة عُرضة للمنافسة بين الأقطاب والدول الناهضة.

وتجد مصر رغبة أكبر في المشاركة بالكيان الجديد الذي سيكون تحالفاً إقليمياً ضمن المجال الحيوي للأمن القومي المصري، ترعاه الولايات المتحدة، وليس موجهاً ضدّ إيران بشكل مباشر، وإنما لحماية أمن الممرات البحرية وهو هدف استراتيجي مصري، وأيضاً للتنسيق الاقتصادي بين الدول السبع، وهو ما يشكّل حاجة اقتصادية للقاهرة.

التدريبات العسكرية التي أجرتها القوات المصرية مع عدد من الدول في المنطقة على رأسها الأردن تحت عنوان «مناورات العقبة»، ومع السعودية تحت مسمى «النجم الساطع»، ومع الامارات باسم «زايد»، كل هذه المناورات أتت في إطار هذا التحرك.

مناورة الموج الأحمر(1) ،عقب إنشاء التكتل أجرت قوات عسكرية من السعودية ومصر

والأردن والسودان وجيبوتي واليمن والصومال، فعاليات التمرين البحري المختلط «الموج الأحمر1» في مقر قيادة الأسطول الغربي السعودي، وكان من أهدافه، رفع القدرة القتالية لمختلف العمليات البحرية، توحيد المفاهيم التكتيكية للقيادة والسيطرة.

في سبتمبر 2018م قامت الولايات المتحدة الأمريكية بأكبر عملية مناورات عسكرية في البحر الأحمر. وقال موقع «ديبكا» الاستخباراتي «الإسرائيلي»، نقلاً عن مصادر عسكرية: بأن هذه التدريبات هي الأولى من نوعها، وتتركّز على احتمالات اندلاع مواجهة عسكرية شاملة، أو محدودة ضد إيران، أو لهدف من هذه التدريبات يتمثّل في كيفية التعامل مع احتمالات قيام قوات البحرية الإيرانية بإغلاق منفذين بحريين حيويين، وهما مضيق هرمز في الخليج، وباب المندب في البحر الأحمر، مقابل السواحل اليمنية.

شهد البحر الأحمر خلال شهر ديسمبر من العام 2018م أكبر عمليات مناورات في تاريخه، قامت السودان بعملية مناورات كبرى على ساحل البحر الأحمر شاركت فيها القوات البحرية والبرية والجوية، كما قامت مصر وفرنسا بعملية مناورات عسكرية ضخمة .

في يوليو من العام 2017م قامت الولايات المتحدة الامريكية ومصر والإمارات والسعودية بمناورات محدودة في البحر الأحمر.

في يناير 2020م ومع تداعيات اغتيال قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، «قاسم سليماني»، قامت السعودية وبشكل مستعجل بإخراج المشروع الإقليمي العدواني «كيان الدول المشاطئة للبحر الأحمر» وإقراره رسمياً، وذلك من أجل تحويل أي معركة لمحور المقاومة مع الإمبريالية الأمريكية وقواعدها العسكرية معركة إقليمية. وأيضاً جاء قرار الرياض تعبيراً عن مخاوفها من أن تتخلى الولايات المتحدة الأمريكية عنها، فتصبح بذلك في حاجة إلى تكتل إقليمي تحضر فيه دولة الاحتلال بشكل رسمي لحمايتها ولتحويل معركة التحرّر من القواعد الأمريكية إلى حرب إقليمية موسعة.

قوات مشتركة في البحر الأحمر

في إبريل 2022م أعلنت البحرية الأمريكية تأسيس قوة مهام جديدة، مع دول حليفة، ستقوم بدوريات في البحر الأحمر.

تأسست خلال انعقاد مؤتمر جدة للأمن والتنمية بالمملكة العربية السعودية، المنعقد خلال يومي (15-16) يوليو 2022م عند زيارة الرئيس الأمريكي جو بايدن إلى السعودية باعتباره بديلاً عن فكرة الناتو العربي التي تم رفضها من قبل دول الخليج نظراً لرغبة الأمريكان في انضمام «إسرائيل» إلى هذا الناتو.

وأفاد قائد الأسطول الخامس الأمريكي، الأدميرال براد كوبر، بأن «قوة المهام المشتركة 153» ستقوم على «تعزيز التعاون بين الشركاء البحريين الإقليميين لتعزيز الأمن في البحر الأحمر ومضيق باب المندب وخليج عدن»

وقال كوبر: «المنطقة شاسعة للغاية، لدرجة أنه لا يمكننا القيام بذلك بمفردنا»، مشيراً إلى أن القوة الجديدة «ستتألف مما يتراوح بين سفينتين و8 سفن»، وهي جزء من القوات البحرية المشتركة المكونة من 34 دولة، يقودها كوبر أيضاً ولديها 3 فرق عمل أخرى.

ولفت كوبر إلى أن القوات المشتركة ستنضم إليها سفينة «يو إس إس ماونت ويتني»، وهي سفينة قيادة برمائية من فئة «بلو ريدج» كانت في السابق جزءاً من الأسطول السادس للبحرية الأفريقية والأوروبية.

كما ذكرت وكالة «رويترز»، نقلاً عن مسؤول أمريكي أن القوة الأمريكية الجديدة «ستتصدى لتهريب الأسلحة في المياه المحيطة باليمن»، رداً على سلسلة هجمات بالصواريخ والطائرات المسيرة شنتها القوة الصاروخية اليمنية هذا العام على السعودية والإمارات، وأن «المياه بين الصومال وجيبوتي واليمن كانت ممرات معروفة لتهريب الأسلحة المتجهة إلى أنصار الله (الحوثيين)»، مضيفاً أن «القوة الدولية الجديدة ستتابع بالتأكيد هذه القضية»

وفي هذا الإطار قال كوبر إن «القوة الجديدة ستؤثر في قدرة الحوثيين على الحصول على الأسلحة»، مضيفا: «سنكون قادرين على القيام بذلك بشكل حيوي ومباشر أكثر مما نفعله اليوم».

موقع «اسرائيل» من التحالف البحري «القوات المشتركة»

القوات البحرية المشتركة هي شراكة بحرية بقيادة الولايات المتحدة وتضم 34 عضواً، بما في ذلك البحرين والعراق والأردن والكويت والسعودية والإمارات والهند وجيبوتي وكينيا وعمان وغيرها. في المتوسط هناك مساهمة ست إلى ثمان سفن من البلدان المشاركة.

وهذه القوات هي إخراج جديد لمشروع «الناتو العربي»، فحماية الكيان الصهيوني وحضوره فيه جزء هام من هذا التحالف وإن لم يظهر بشكل علني.

البحرية «الصهيونية» هي واحدة من أكثر القوات البحرية قوة في المنطقة ولديها قاعدة بحرية في إيلات تقع على خليج العقبة في البحر الأحمر ، ومن غير المنطقي أنه تم تجاهلها، فمن المحتمل أنها تعمل تحت الأعلام الأمريكية الإماراتية ، حتى تنضج الظروف لإشراكها في هذا التحالف. وكان البنتاغون الأمريكي قد نقل وضع الكيان الصهيوني من مسؤولية القوات الأمريكية في أوروبا ضمن الناتو، إلى مسؤولية المنطقة العسكرية المركزية أي إلى المنطقة العربية-الإسلامية.

التحركات الأمريكية السابقة لتشكيل القوة المشتركة

قبل يوم واحد من إعلان تحالف الـ34، عُقد لقاء عسكري في الرياض جمع رئيس هيئة الأركان السعودية فياض الرويلي، وقائد القوات البحرية المركزية الأمريكية تشارلز كوبر، في مقرّ رئاسة هيئة الأركان العامة، بحضور قائد القوات البحرية السعودية فهد الغفيلي.

وبشكل عام شهد شهر مارس (2022م) تحركات ولقاءات للقيادات العسكرية الأمريكية الغربية الخليجية، كلقاءات رسمية مباشرة، ولقاءات على هوامش فعاليات أمنية جرت في الإمارات والرياض والدوحة، وضمن اللقاءات الصهيونية مع قيادات دويلة البحرين حيث مقر قيادة الأسطول الأمريكي الخامس، ومن أخطر هذا التحركات قمة النقب في الكيان الصهيوني وهي القمة الأولى التي تُعقد في دولة الاحتلال ويظهر فيها الكيان كدولة قائدة لقوة إقليمية.

الجديد في هذا الإعلان يتعلق بالسياق التاريخي، فقد جاء بالتزامن مع إعلان الهدنة في اليمن، وتصاعُد حضور اليمن ومحور المقاومة في منطقة الخليج وفي المياه الدولية منها الحديدة والبحر الأحمر والخليج الفارسي ومضيق هرمز وبحرعُمان، ففي هذه المياه جرى استعراض للقوة تطبيقياً من قبل اليمن وإيران ضد أهداف واقعية تلاه مناورات عسكرية أمريكية صهيونية غربية.

خلف هذا التحرك عاملان استراتيجي وتكتيكي، الاستراتيجي وهو متعلق بالسياسة الأمريكية الصهيونية في ضرورة السيطرة على المضايق البحرية وعلى البحر الأحمر بشكل خاص وعلى منابع النفط، فالبحر الأحمر وفق هذه الاعتبارات يقع في قلب الاستراتيجية الأمريكية الصهيونية أما البعد التكتيكي، فهو متعلق بتضاعف القوة اليمنية في البحر الأحمر، واستباق احتمالات توقف العدوان لترسيخ الوجود الأمريكي كأمرٍ واقع، وكذلك تفاقم الأزمة الغربية الروسية الصينية وما يرتبط بها من تحركات لهذه الدول على مستوى العالم أشبه ما يكون بتسجيل نقاط في رقعة شطرنج، في الوقت الذي تحتكر فيه روسيا الحضور العسكري في البحر الأسود حتى الآن وتزداد التصريحات الصينية بأحقية سيادتها في بحر الصين الجنوبي.

تداعيات التحركات الأمريكية

التحركات الأمريكية في البحر الأحمر ليست جديدة، لكن الجديد فيها هو إعلانها، وهي تعود بشكل أساسي إلى ما سُمّي سابقاً بمحاربة القرصنة الصومالية في العام 2008م وفي هذه الظروف فعلى المستوى الميداني، تصبح الحديدة ومعها المخا وباب المندب ضمن دائرة التهديد العسكري الأمريكي الصهيوني المباشر، وخاصة الحديدة التي لازالت في معظمها حرة، فيما المخا وباب المندب أضبحت ضمنياً تحت الهيمنة الأمريكية والحاجة ليس اجتياحها بل تأكيد خروجها عن السيادة اليمنية ومواجهة احتمال تحرك اليمنيون لتحريرها.

إن مسألة السيطرة على البحر الأحمر، ومعه مضيق باب المندب وخليج عدن وبحر العرب من ضمن المكاسب الأساسية التي كانت تريد الولايات المتحدة تحقيقها من

العدوان على اليمن، فإذا كانت الولايات المتحدة قد سلّمت أن مناطق حكم المجلس السياسي خرجت من هيمنتها، فهي على الأقل تريد تثبيت وجودها في سواحل اليمن الاستراتيجية والقريبة من المواقع النفطية اليمنية وموانئ تصديره.

قد يبدو تكثيف التواجد في البحر الأحمر تراجعاً من أمريكا عن حقيقة انحسارها العسكري من المنطقة، ولذا جاء هذه التحرك كتحالف دولي، فلربما تريد الولايات المتحدة في هذه المرحلة تثبيت تواجدها وتكريس غربية البحر الأحمر لمدة معينة حتى يكتمل فيها تحالف « الناتو العربي-الصهيوني»، أو ما يسمى « الدول المشاطئة للبحر الأحمر»، فالاستراتيجية الأمريكية منذ «أوباما» بشكلٍ أساسيّ تعتمد على تقديم مصالحها كمصالح ومهام لقوات مشتركة وتحالفات دولية واسعة.

تحركات أمريكية محمومة

في أغسطس 2022م شهدت السواحل اليمنية تحركات عدوانية محمومة من قبل البحرية الأمريكية، على طول الساحل اليمني في البحر الأحمر وخليج عدن والبحر العربي، كانت محطتها الأخيرة -وغير النهائية- ظهور صور وفد عسكري أمريكي يلتقي بالسلطة المحلية في مديرية «بروم ميفع» في ساحل حضرموت المفتوحة على البحر العربي والمحيط الهندي وفي منطقة قريبة من جزر عبد الكوري وأرخبيل سقطرى.

تزامنت التحركات العسكرية الأمريكية بطابعها العدواني، مع أنشطة استعمارية أجنبية متعلقة بنهب النفط والغاز اليمنيين، ومع اقتتال فصائل المرتزقة على لعب دور حارس القطاعات النفطية، وهو ما يجري في شبوة وخط العبر باتجاه حضرموت، والتنافس أيضاً على سواحل أبين، بين «الانتقالي» و»الإخوان».

تتّسق النزاعات المحلية بين المرتزقة والتحركات الإقليمية الأمريكية الخليجية الصهيونية، مع صراع أوسع بين روسيا والغرب يجري في أوكرانيا، فيما تداعياته عالمية ونتيجتها الأولى السباق على منابع النفط والغاز وطرق التجارة العالمية، ومنطقة الخليج واليمن هي إحدى هذه المناطق الاستراتيجية الهامة لمختلف أطراف الصراع،

في هذا الإطار جاء «بايدن» إلى السعودية وجاء «بوتين» إلى إيران، وزار وفدنا الوطني موسكو.

عملياً، كل ساحل اليمن بات محتلاً إلا جزءاً بسيطاً من ساحل الحديدة المحاذي لمناطق الجيش واللجان الشعبية إلا أنه مُحاصر، وهذه السواحل هي ما تعطي اليمن الأهمية الاستراتيجية من الناحية الجغرافية، وهي في ذات الوقت (شبوة حضرموت الحديدة) تختزن ثروات نفطية، وهناك توجه لنزع هذا الموقع من اليمن، كما تم نزع إقليم إريتريا البحري من «جمهورية إثيوبيا الاشتراكية» سابقاً، وهي دولة ضخمة في القرن الإفريقي كانت مؤهلة لتكون مركزاً إقليمياً قوياً ولها موقف ضد الغرب والصهيونية إلا أنه تم استغلال الصراعات العرقية الداخلية وفصل شريطها الساحلي في البحر الأحمر، وجعلها دولة مُحاصَرة، بواسطة تحالف أمريكي «إسرائيلي» سعودي، مع مرتزقة محليين من إثيوبيا وإريتريا، وفي هذا النموذج نجح العدوان الأجنبي مع المرتزقة المحليين والانفصاليين في تحقيق الهدف الغربي الصهيوني وإريتريا اليوم مركز متقدم للكيان الصهيوني في البحر الأحمر والقرن الإفريقي.

الأسطول الأمريكي

عقب هذه التحركات الاستعمارية في حضرموت، وتأكيداً على سياساتها العدوانية الاستعمارية تجاه بلادنا، كشف قائد الأسطول الأمريكي الخامس تشارلز برادفورد كوبر في حوار مطول مع صحيفة الأيام البحرينية أن بلاده ستزيد من تركيزها على ما تسميه «ضمان الأمن البحري، واستقرار الملاحة في البحر الأحمر عبر باب المندب وخليج عدن».

وقال تشارلز: نريد تركيزاً إضافياً على هذه المنطقة بالتحديد. وأوضح: لقد رأينا ما حدث عندما جنحت سفينة واحدة في قناة السويس لمدة أسبوع، ولنا أن نتخيل تأثيرات حدوث أي أمر مزعزع للملاحة في البحر الأحمر، لذلك أنشأنا قوة الواجب المشتركة الجديدة للتركيز على هذا الجانب وهذه هي أول قوة واجب مشتركة يتم إنشاؤها منذ 13 عاماً وتعنى بمنطقة البحر الأحمر وخليج عدن، وتقودها حالياً الولايات المتحدة.

وكشف كوبر أن قواته تستعد لنشر أحدث أسطول طائرات دون طيار لضمان الأمن البحري الإقليمي في المنطقة. وفي سياق متصل «حذرت» الولايات المتحدة الأمريكية من اضطراب حركة الشحن العالمي والأنشطة الاقتصادية في البحر الأحمر جرّاء بقاء الناقلة «صافر».

مصر على رأس التحالف البحري

في 13 ديسمبر الماضي (2022م) أعلن الجيش المصري، ، تولّي قيادة مهام دولية في البحر الأحمر، «لمكافحة أعمال التهريب والأنشطة الإرهابية». حدّ قوله، وفق ما أفاد المتحدث العسكري للقوات المسلحة المصرية العقيد غريب عبد الحافظ .

وهي قيادة قوة المهام المشتركة (153) التي سبق وشكلتها الولايات المتحدة الأمريكية، وتولت قيادتها في البداية، تتمثل مهامها المزعومة في « مكافحة أعمال التهريب والتصدي للأنشطة غير المشروعة خاصة الأنشطة الإرهابية في مناطق (البحر الأحمر - باب المندب - خليج عدن». فيما القصد الأساسي هو السيطرة على البحر الأحمر وخليج عدن، عبر التحالفات.

في الربع الأول من العام 2022م أعلنت القوات المسلحة المصرية تنفيذها عدداً من التدريبات المشتركة بالمملكة العربية السعودية، تحت مسمى التدريب البحري (الموج الأحمر - 5) والتدريب الجوي (فيصل - 12)، كنوع من الإعداد الأمريكي السعودي لمصر لتقوم بهذا الدور، وهو دور بحري متناسب مع وضعها السياسي فمصر تعجز عن القيام بدور توريد المرتزقة التي تقوم به السودان.

تزامن تكليف مصر بقيادة القوات المشتركة العدوانية مع وصول الرئيس السيسي إلى واشنطن ولقاء قيادات عسكرية وأمنية أمريكية.

قبل ذلك بعام (سبتمبر 2021م) قامت مصر بمناورات النجم الساطع - في قاعدة محمد نجيب بمشاركة الولايات المتحدة، امتداداً لتدريب مشترك بذات الاسم تم في العام 2018م، وكانت جمهورية مصر قد افتتحت في العام 2020م أكبر قاعدة عسكرية

على البحر الأحمر، وهي قاعدة «برنيس»[2] تقع في محافظة البحر الأحمر، وبها قاعدة بحرية وجوية، في أقصى الحدود المصرية باتجاه باب المندب، وشارك في الافتتاح الأمير خالد بن سلمان(وزير الدفاع السعودي الحالي) ومحمد بن زايد(رئيس الإمارات الحالي) ما يشير إلى دعم سعودي إماراتي لمصر في بنائها.

جدير بالذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية تقدم معونة عسكرية سنوية للجيش المصري منذ توقيعه اتفاقية السلام مع الكيان الصهيوني في 1978م (اتفاقية كامب ديفيد) ومقابل ذلك تتمتع الولايات المتحدة بامتيازات المرور العسكري البحري والجوي والرسو في الموانئ، وجزء منها يذهب رشوات لكبار الضباط وهم عملياً النخبة السياسية والاقتصادية الحاكمة في مصر.

عقب تولي مصر قيادة هذه القوات، بأسبوعين، جرت مباحثات عسكرية سعودية مصرية ، تولاها رئيس الأركان المصري الفريق أسامة عسكر رئيس الأركان، مع نظيره السعودي الفريق أول الركن فياض الرويلي، في الرياض، ضمن ما تسمى بلجنة التعاون العسكري المصري السعودي.

نشاط القوات

بحسب مصدر عسكري مرتزق في «الحكومة اليمنية « العميلة : قوات المهام المشتركة 135، ستقوم بنشر دوريات بحرية باستخدام زوارق مسيرة عن بعد لعملية الرصد ومراقبة عمليات التهريب أو الأنشطة العدائية في البحر الأحمر.

2) قاعدة برنيس العسكرية هي قاعدة عسكرية مصرية تقع في قرية برنيس بمحافظة البحر الأحمر وبها قاعدة بحرية وجوية مهمتها الأولى حماية وتأمين السواحل المصرية الجنوبية. تضم القاعدة عدد من الممرات كل منها بطول 3 آلاف متر وعرض من 30 إلى 45 متر وعدد 2 ترمك، بالإضافة لعدد من دشم الطائرات ذات تحصين عالي، بالإضافة لهنجر عام لصيانة وإصلاح الطائرات. وتتنوع المنشآت العسكرية لقاعدة برنيس العسكرية، حيث تضم في الشق البحري رصيف حربى بطول ألف متر وعمق 14 متر تسمح بمتطلبات الوحدات البحرية ذات الغاطس الكبير مثل الميسترال والفرقاطات والغواصات، فيما تضم القاعدة العديد من ميادين التدريب والرماية، وجارى العمل على إنشاء ميناء تجارى يضم عدة أرصفة بطول 1200 متر وعمق 17 متر وعدد من المنشآت الخدمية..

جدير بالذكر أن القاعدة استخدمها الجيش المصري في نقل الأفراد والمعدات في المشاركة المصرية في الحرب الجمهورية الملكية في اليمن في ستينيات القرن الماضي. وكانت الولايات المتحدة تطمح في عهد السادات إلى أن تبني فيها قاعدة عسكرية أمريكية.

وأضاف المصدر»العسكري اليمني» العميل أن 100 زورق مسير من الأسطول الخامس تم ربطها بأقمار صناعية و بمراكز اتصال في جزيرتي ميون الواقعة على مدخل مضيق باب المندب وسقطرة في المحيط الهندي، سيتم نشرها في البحر الأحمر وخليج عدن والبحر العربي وصولاً إلى قناة السويس المصرية.

(تُغطّي عمليات الأسطول الخامس الاستعماري الأمريكي منطقة الخليج العربي وخليج عُمان والبحر الأحمر وأجزاء من المحيط الهندي).

وأشار إلى أنه تم إنشاء مراكز اتصال في جزيرتي ميون وسقطرة وربطهما مع قيادة القوات البحرية المشتركة وكافة القطع البحرية العسكرية المنتشرة في البحر، مؤكداً أنه في حال أي عملية اشتباه، فسيتم التوجيه والنداء إلى أقرب فرقاطة عسكرية للهدف ومداهمته.

المناورات العسكرية في البحر الأحمر

جرت منذ بداية العدوان أكثر من 20 مناورة وتمريناً بحرياً في البحر الأحمر، شملت دول المنطقة والإقليم ودول غربية وكذلك الكيان الصهيوني، بعض هذه المناورات اعتيادية كتمارين بحرية سنوية والأخرى مناورات تم إقرارها حينها ،وفي جملتها فالمناورات جزء عضوي من هذا الصراع والتنافس الدولي، على منطقة البحر الأحمر وخصوصاً منفذه الجنوبي «مضيق باب المندب».

أتت المناورات العسكرية مع تأزم الوضع الأمني في المنطقة، وازدياد حدة الاستقطاب الدولي، كما كانت عبارة عن رد فعل على العمليات البحرية اليمنية، وعلى عمليات الردع التي قامت بها اليمن ضد أهداف في العمق السعودي وأبرزها كالتالي:

- 2016م

- مارس 2016 البحرية «الإسرائيلية «تُجري مناورات عسكرية موسعة في البحر الأحمر .
- مارس 2016م مناورة «تحية نسر» الأمريكية المصرية.

- 2017م

- يناير 2017م مناورة عسكرية سعودية مصرية باسم «الفلك2».
- إبريل 2017م مناورة «تحية نسر» الأمريكية المصرية.
- أكتوبر 2017م قامت البحرية اليمنية بمناورة بحرية مصغرة.

- 2018م

- فبراير 2018م مناورة مصرية في البحر الأحمر «كليوباترا ٢٠١٨»،
- ديسمبر 2018م أجرى الجيش السوداني تدريباً بحرياً في البحر الأحمر باسم «نصرة الحق».

- 2019م

- يناير 2019، مناورة «الموج الأحمر»، بمشاركة السعودية والسودان وجيبوتي والصومال وإريتريا ومصر واليمن(الحكومة الموالية للتحالف) والأردن.
- فبراير 2019م مناورات عسكرية سعودية سودانية «الفلك3».
- سبتمبر 2019م مناورة ، «الموج الأحمر- 2»، بمشاركة السعودية والأردن، ومصر، والسودان ، وجيبوتي، واليمن والصومال.
- أكتوبر 2019م مناورات مصرية أردنية مشتركة تحت مسمى «العقبة - 5».

- 2020م

- يناير 2020م انطلقت مناورة مشتركة بين مصر والسعودية تحت مسمى «مرجان-16».
- 22 أكتوبر 2022م مناورات بحرية مصرية إسبانية.

- 2021م

- 1 نوفمبر 2021م مناورة مصرية أمريكية مشتركة.
- 13 نوفمبر 2021م مناورة عسكرية بين الإمارات والبحرين و»إسرائيل» وأميركا وهي المرة الأولى من نوعها، منذ توقيع اتفاقيات التطبيع.

- 2022م

- 23 يناير: مناورة سعودية مصرية مشتركة «مرجان 17».
- 18 يناير: تمرين عابر بالبحر الأحمر أجرت القوات البحرية المصرية والفرنسية تمريناً عابراً في نطاق الأسطول الجنوبي بالبحر الحمر الأحمر
- 15 يناير: «تمرين عبور» بالبحر الأحمر، نفذت قوات بحرية سعودية فرنسية «تمرين عبور»، في مياه البحر الأحمر ، بمشاركة عدد من السفن والطائرات البحرية ، وذلك بهدف رفع مستوى القدرة القتالية للقوات البحرية».
- 31 يناير مناورة عسكرية ضخمة قادتها الولايات المتحدة بمشاركة 60 دولة تحت عنوان «آي أم أكس».
- مايو 2022م مناورة عسكرية سعودية «الموج الأحمر5» بمشاركة مصر والأردن والسودان وجيبوتي واليمن(الحكومة العميلة)
- يونيو 2022م مناورة عسكرية «إسرائيلية».
- اغسطس 2022م مناورات مشتركة أمريكية «إسرائيلية».

- 2023م

- 3 إبريل 2023م نفذت عناصر من القوات البحرية المصرية والسودانية تدريباً بحرياً مشتركاً.

RJC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center
SABA.YE

إمام اليمن الميمون

الهادي

إلى الحق القويم

مركز البحوث والمعلومات

زيد المحبشي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

مقـــــدمة

يُعـدّ الإمـام الهادي عليه السـلام من أهـم وأبرز النماذج التي زخر بها التاريخ الإسـلامي في تطبيـق العـدل والمسـاواة والقيـم، والتجسـيد الكامـل لكل ما نـادى به رسـول الله صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم والأئمـة الأبـرار مـن أهـل البيـت الأخيـار سـلام اللـه عليهـم، وهو مـن كبـار أئمـة الزيديـة، وأحـد أهم المصلحـين في تاريـخ اليمن خـلال الثلاثة عـشر قرناً الماضيـة، وأحـد أهم أعلام الهـدى وأقلام الجهاد والاجتهاد في التاريخ الإسـلامي العريض.

تحدثـت العديـد مـن الآثـار الشريفـة عـن ظهـوره في اليمـن، ودوره في إقامـة موازيـن العـدل والحـق في هـذه المنطقة المباركة مـن جزيرة العرب، كما تحـدث الكثير من المؤرخين مـن غـير الزيديـة عـن دوره الكبـير في المصالحـة بـين قبائـل اليمـن المتناحـرة والمتنازعـة عـلى الملـك والزعامة والنفوذ، ومحاربـة الفتن والبدع والفسـاد والإضطرابات والصراعات، ومواجهـة شرور القرامطـة، والحـد مـن جرائمهـم بحـق اليمنيـين، وإحياء مـا اندرس من معـالم الديـن، وإقامـة أحـكام الشريعة الإسـلامية، وإرسـاء قواعد وأُسـس الدولـة الزيدية الأولى في اليمـن، والتـي كان لهـا الفضـل في مواجهة القوى الطامعـة والغازية في القرون التاليـة كالقرامطـة والمماليـك والأيوبيين والعثمانيين وقوى الإسـتعمار الغربي بتلاوينهم، والوهابيـة بدولهـا الثـلاث، ومـا نراه اليوم من صمود واستبسـال اسـطوري لأحفاد الأنصار بقيـادة حفيـد رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وآلـه وسـلم في مواجهـة تحالف الـشر العبري للعـام الثامـن عـلى التـوالي هـو قبسٌ من نـور الواجـب الرباني الـذي حمله أئمـة الزيدية في الدفـاع عـن الأمـة وإقامـة موازين الحـق والعـدل والذود عن حياض الإسـلام.

ونظـراً لمـا لعبـه هـذا الإمـام العظيم سـلام الله عليـه مـن دور إصلاحي كبـير في اليمن، إنـبرت بعـض الأقـلام الإخونجيـة المأجـورة والمأفونـة والشـاذة بعـد أحـداث 2011، للطعـن فيـه وتشـويه تاريخـه الناصـع، خدمـة لأسـيادهم في الدرعيـة مـن الوهابيـة الأقتـام ومـن لـف لفهـم، ونحـن هنـا لسـنا بصدد الـرد عـلى تقيُّحات تلـك الأقـلام العفنة، فالـرد عليهم إعـلاءٌ لشـأنهم، ومنحهـم مكانـة ليسـوا من أهلهـا، وإنما نحـاول في هذه القـراءة السريعة الوقـوف عـلى أبـرز محطـات سـيرة ذلـك الإمـام العظيـم صلـوات اللـه وسـلامه عليـه، لا سـيما ونحـن نحتفـي هـذه الأيـام بقدومه المبـارك إلى بلـد الإيمـان والحكمة.

بركات القدوم المبارك

الملفت في سيرته العطرة سلام الله عليه ذهابه في العام 270 هـ/ 883 م مع والده وبعض عمومته إلى مدينة "آمل" بإيران، وكانت يومها تحت حكم العلوية، لكن الرحلة إلى المنطقة الشمالية من العالم الإسلامي لم تجذب انتباهه، ما جعله يغادرها بعد فترة وجيزة، عائداً إلى مستقر أسرته في "الرس" من أعمال المدينة المنورة، وفي المدينة أتاه زعماء اليمن يدعونه للقدوم إلى بلادهم ومبايعته، فلبى نداء أحفاد الأنصار، وقرر قضاء بقية حياته في جنوب العالم الإسلامي، وفي هذا سرٌ عظيم، لعل أهم مفاتيحه، التشيّع الصادق لأبناء هذا البلد، وحُبهم وإخلاصهم وولائهم ووفائهم لأهل البيت عليهم السلام، كما تشهد بذلك مواقف أبائهم وأجدادهم من أئمة الحق بدءاً بالإمام علي عليه السلام وما تلاه، ومن أهم بركات ذلك القدوم المبارك تحول اليمن إلى مستقر لأطول دولة زيدية في المشرق العربي، وأهم حاضنة لفكر أهل البيت وأئمة الهدى.

سطور عابر من سيرة غير عابرة:

هو الإمام الهادي إلى الحق مُحيي الفرائض والسُنن "يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم الغمر بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشِبه بن الحسن الرضا بن الحسن السبط بن علي المرتضى بن أبي طالب شيخ الأبطح".

مولده المبارك بالرس من أعمال المدينة المنورة عام 245 هـ، 859م.

بعد ولادته أرسلته أمه إلى جده الإمام القاسم الرسي عليه السلام، فاحتضنه ووضعه في حِجره المبارك وعوّذه وبرّك عليه ودعا له، ثم قال لأبيه: بم سميته؟.

قال: يحيى - وكان للحسين أخٌ لأبيه يُسمّى يحيى تُوفي قبل ذلك - فبكى الإمام القاسم عليه السلام حين ذكره، وقال: "هو والله يحيى صاحب اليمن".

واستشهاده في ليلة الأحد 20 ذي الحجة 298 هـ، وموراة جُثمانه الطاهر في يوم الاثنين 21 ذي الحجة 298 هـ، في قبره الشريف المقابل لمحراب جامعه الذي أسسه بيده

بمدينة صعدة، ويذكر المؤرخون أنه سلام الله عليه رأى نُوراً ساطعاً في حياته، واختط الجامع المقدس على جذوة ذلك النور، فكان ذلك أول أساس لمدينة صعدة القديمة الواقعة تحت جبل "تلمص".

وعندما نُعي خبر وفاته سلام الله عليه إلى الإمام الناصر الأطروش عليه السلام، بكى بنحيبٍ ونشيج، وقال: "اليوم انهد ركن الإسلام".

وكانت للناصر دولة زيدية في الجيل والديلم من أرض إيران، وكان يدعو الناس في مناطق وجود الإمام الهادي لمناصرته: "من يُمكنه أن ينصره وقرُب منه فنصرته واجبة عليه، ومن تمكن من نصرتي وقرُب مني فلينصرني"، وتزامنت دعوتهما، رغم أن الناصر يكبرُ الهادي سِناً إلا أنه كان يُعظمه ويُبجله.

بين مولده واستشهاده سلام الله عليه 53 عاماً، ارتقى مسموماً، وكان به جُرحٌ في قدمه، أصيب به في إحدى المعارك، بعد مواراة جسده الطاهر الثرى ظل ذلك الجُرح يشخب مِسكاً، ولا يزال إلى يوم الناس، وكل ما حاول أعداء الحق طمس قبره دلّت مُحبيه عليه رائحته الزكية، وهذه كرامة ومزية اختص الله بها أوليائه دون سائر الخلق.

ومن العجائب قذف الوهابية بعد فتنة "جهيمان العتيبي" في الحرم المكي عام 1979 أحد شيوخها ويدعى "مقبل بن هادي الوادعي الصيلمي" إلى منطقة "دماج" من أعمال محافظة صعدة بهدف محاربة الزيدية، فكانت من أعمال ذلك الرجل غزو جامع الإمام الهادي عليه السلام بمدينة صعدة، وادعائه بأن الرائحة الزكية التي تخرج من قبره، من فعل القائمين على خدمة الضريح الشريف، وأنهم يصبون عطوراً داخل القبر فتختلط بترابه وتفوح منه تلك الرائحة، فقرر ذلك الشيخ إحضار أغلى العطور الفرنسية وصبها في القبر من أجل إيهام أتباعه بما زينه شيطانه، وكانت بتابوت الضريح فتحة مدورة من الجهة الشمالية، وبالفعل خَفَّت الرائحة من الجهة الشمالية وانشق التابوت بشكلٍ طُولي من الجهة الجنوبية وانتقلت الرائحة إلى تلك الجهة، وهو ما لمسناه خلال زيارتنا للمقام الشريف في العامين 1995 و1997، وبالفعل فالرائحة العطرة الخارجة من الضريح لا شبيه لها، ولم أشم في حياتي مثلها، وفشلت مؤامرة شيخ الوهابية، وبُهت الذي كفر.

أمه "فاطمة بنت الحسن بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سلام الله عليها وعلى آبائها.

أنجب من الأولاد: محمد المرتضى تمت مبايعته بعد وفاة والده وامتد حكمه إلى نجران وهمدان وخولان لكنه اعتزل بعد أربع سنوات من ولايته، أحمد الناصر - خلف أخاه محمد في العام 301 هـ/ 913 م وكان له دور كبير في محاربة القرامطة وزعماء الفتن المحلية واستمرت ولايته إلى أن توفاه الله في العام 322 هـ/ 934 م، فاطمة، زينب - أمهم "فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم"، الحسن - أمه صنعانية.

وصف الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام ما كان عليه من الهيئة الجسمانية: "كان أسدِّياً - يُشبه الأسد في عرض منكبيه وخمص بطنه، أنجل العينين، واسع الساعدين، غليظهما، بعيد ما بين المنكبين والصدر، خفيف الساقين والعجز، كالأسد".

عاش سلام الله عليه في كنف أسرة علمية مثالية جمعت خير خصال الأسرة النبوية، وترعرع في أحضان جبل "الرس" الواقع على مقرُبة من المدينة المنورة، وكان جده القاسم الرسي عليه السلام قد خرج بأسرته إلى ذلك المكان ليتمكن من تربيتهم تربية حسنة، ويُبعدهم عن ضجيج المدينة وفسادها.

تميّز منذ صباه بالذكاء والنبوغ والقوة والشدة والبأس والشجاعة، والاشتغال بالعلم والتوفُّر عليه، واستطاع من ذلك المكان المعزول أن يُطلّ على العالم من خلال العلم، وكان سلام الله عليه آية من آيات الله في العلم والزهد والورع والتقوى والحُلم.

ومن الأخبار المُتناقلة عن قوته وشدته كما يذكر صاحب "الإفادة"، أنه كان يأخذ الدينار بيده فيؤثر في سكّته بإصبعه - أي يخط بإصبعه الشريفة على الدينار نحتاً، وهذه من الأعمال الخارقة.

بعد تجاوزه مرحلة الطفولة لمع نجمه في سماء الفضيلة والعلم، فألّف ورحل وخطب وشعر وناظر وأبدع، وبلغت أخباره بُلداناً كثيرة، وتجاذبته الشعوب للنزول في أوساطها، وحمل لواء الإصلاح في مجتمعاتها.

كانت تعاليمه وآراءه سلام الله عليه موضع احترام وإجلال من الأئمة والعلماء،

وبمنزلة السُنّة، واجبة الطاعة لدى زيدية اليمن وجزء من زيدية طبرستان والجيل والديلم، إلى درجة أن العدول عنها كان يُعد انحرافاً غير مقبول، لفصاحة بيانه، وقوة حجته .

يقول الإمام المؤيد بالله عليه السلام: "كنا نهاب نصوص يحيى بن الحسين كما نهاب نصوص القرآن"، ويُضيف الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام: "وقول يحيى بن الحسين يُنقض بقوله لا بقول غيره، إذ لا سلطان للغير عليه ولا سبيل له إليه".

وقال عالم أهل الري وحافظهم "أبو بكر بن يعقوب": "قد ضل فكري في هذا الرجل - يقصد الهادي عليه السلام - فإني كنت لا أعترف لأحدٍ بمثل حفظي لأصول أصحابنا، وأنا الآن إلى جنبه جَذَع، بينا أجاريه في الفقه وأحكي عن أصحابنا قولاً، إذ يقول: ليس هذا يا أبا بكر قولكم، فأرادُّه، فيُخَرِّج إلي المسألة من كتبنا على ما حكى وادعى، فقد صرت إذا ادعى شيئاً عنا أو عن غيرنا لا أطلب معه أثراً".

وردت فيه العديد من الآثار الشريفة عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه الوصي عليه السلام.

منها قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد إشارته بيده الكريمة إلى اليمن: "سيخرج رجل من ولدي في هذه الجهة اسمه يحيى الهادي، يُحيي الله به الدين".

ورُوي أيضاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم: "يخرج من هذا النهج - وأشار بيده الشريفة إلى اليمن - رجلٌ من أولادي اسمه يحيى الهادي، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يُحيي الله به الحق، ويمُيت به الباطل".

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "ما من فتنة إلا وأنا أعرف سائقها وناعقها"، ثم ذكر فتنة بين الثمانين والمائتين للهجرة، وقال: "فيخرج رجلٌ من عترتي اسمه اسم نبي، يمُيّز بين الحق والباطل، ويملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً، ويؤلّف الله قلوب المؤمنين على يديه".

وفسّر "الحافظ ابن حجر" في "فتح الباري شرح البخاري"، الخبر النبوي: "لا يزال هذا الأمر في قريشٍ ما بقي منهم اثنان"، ببقاء الأمر في قريش باليمن من المائة

الثالثة في طائفة من بني الحسن: "ولا يتولّى الإمامة فيهم إلا من يكون عالماً، مُتحرياً للعدل، ..، والذي في صعدة وغيرها من اليمن، لا شك في كونه قُرشياً - قاصداً الهادي عليه السلام - لأنه من ذُرية الحسن بن علي عليه السلام".

السمات والمميزات:

قال الأديب العلامة الشهيد أحمد بن محمد المُطاع رحمة الله عليه في كتابه تاريخ اليمن الإسلامي: "الإمام الهادي بلا شكٍ أكبر مُصلح ارتفع اسمه في أُفق التاريخ اليمني، ونال من الاحترام والحب في قلوب اليمنيين مكانة لم يتبوأها أحد، بحيث أصبحت آثاره وأعماله وصفاته قبلة الأبصار ومهوى الأفئدة، وهو بمكان عُليا من العلم والفضل والورع، ومكارم الأخلاق، والحلم والتواضع، كثير الصفح والتجاوز عن سيئات الناس وهفواتهم، وكان شُجاعاً مِقداماً، ثابت الجأش، ماضي العزيمة، دائم الحركة، جم النشاط، قوي الشكيمة، شديد الشعور بواجب الزعامة، حريصاً على مصالح الناس الدينية والدنيوية، كثير العناية بشؤونهم الاجتماعية والأخلاقية.

كان سلام الله عليه يُصلي بالناس الجماعة ثم يقعد للإرشاد وفصل الخصومات ثم ينهض فيدور في الأسواق والسكك فإن رأى جداراً مائلاً أمر أهله بإصلاحه أو طريقاً فاسداً أو خلفاً مظلماً أمر أهله أن يضيئوا فيه للمارة.

ومن آثاره الإصلاحية إحداث البراقع للنساء في اليمن وإلزامهن بذلك، وكان يقف على أهل كل بضاعة ويُحذرهم من الغش، ويُسعِّر لهم بضاعتهم وينهاهم عن التظالم.

وكان يقول إنما ورد النهي عن التسعير على أهل الوفاء وأهل التقوى، فإذا ظهرت الظُلامات وجب على أولياء الله أن ينهوا عن الفساد كله، ويردوا الحق إلى مواضعه، ويزجروا الباطل من مكانه، ويأخذوا على يدي الظالم فيه.

وكان يتفقد السجون بنفسه، ويسأل عن ذنوب المسجونين فمن كان في دَينٍ نظر في جِدّته وإفلاسه، ومن كان في ذنبٍ تفقد جُرمه وأمره، وفحص عن أحواله، وكان رحيماً بالفقراء والأيتام".

وقال المؤرخ اليمني القاضي "عبدالله الشماحي": "لقد كان الهادي يحيى بن الحسين

مثلاً لصفات القائد، والقدوة الحسنة لأتباعه، مُترفعاً عن سفاسف الأمور، وعن المُتع، شُجاعاً في المعارك والأهوال، وفي تطبيق ما يُؤمن به ويدعو إليه، مُعتدلاً حتى مع أعدائه".

ووصف المذهب الهادوي الزيدي، بأنه "أقوى المذاهب الإسلامية، وأكملها بقوانين المعاملات، والعلاقات والحياة، وأوضحها تمشّياً ولُصوقاً بالروح الإسلامية التي أعطت الحياة مُتطلبات نمُوها وانسجامها، إنه مذهب واقع وحقائق لا خيالات وأوهام، ولا تصورات شاطحة وأحلام، ولا مذهب ألغاز ومعميات، ولا مذهب كرامات وأولياء، ومُعجزات وعصمة أئمة، ولا مذهب واسطة بين العبد وربه إلا عمل العبد وإيمانه، إنه مذهب عبادات ومعاملات، بلغت قوانينها من الدقة الفقهية والتشريعية ما لم تبلُغه أدق القوانين المُعاصرة، شُمولاً وقُبولاً للتطور وتقبُل كل جديد صالح، إنه مذهب دين ودُنيا، وإيمان وعمل وجد ونشاط، وعدل وإيثار، وجهاد واجتهاد، فيه الإنسان مُخيرّ لا مُجبر، مُكلّف لما فيه طاعة الله والمصلحة لعباده، مذهب يدعو إلى التحرُر الفكري والتعمُّق في العلوم النافعة، ويُحرِّم التقليد في العقائد والقواعد العلمية الدينية، ويُوجب الاجتهاد على ضوء القرآن والسُنة في العبادات والمعاملات، ويدعو إلى القوة والتضحية، ويفرض الطاعة والنظام والتعاون، كما يفرض الخروج على أئمة الجور، والثورة على الظلم الاجتماعي، والطغيان الفردي، ولا يرضَ لأتباعه بالمذلة والكسل، ولا بالخضوع والاستسلام لغير الله وما شرعه، مذهب يحترم السلف في حدود أنهم من البشر عُرضة للنقد بما فيهم الصحابة وأبناء فاطمة".

وتحدّث أحد علماء الشافعية بالعراق بعد زيارته عن علمه وعدله وفضله وسيرته النبوية ما بهر الألباب، وشاهده يتولى بيده الكريمة معالجة الجرحى، وإطعام اليتامى والمساكين.

حيثيات القيام والخروج:

كانت مدينة صعدة ومخاليفها خلال الفترة التاريخية "270 - 280 هـ" غارقة في الفوضى والإضطرابات والصراعات، إما بسبب النزاعات القبلية بين الزعماء المحليين على الحكم والنفوذ والمصالح أو بسبب الصراعات السياسية بين اليعفريين والقادة المحليين من جهة وبينهم وبين دُعاة الدولة الفاطمية في اليمن من جهة أخرى،

وما ارتكبه ولاة الأخيرة من جرائم بحق اليمنيين في مناطق نفوذهم وتنكيلهم بأبناء صنعاء وزبيد وحجة، وإشاعتهم الكثير من المنكرات، وإباحتهم المحرمات، واستفحال أذاهم وشرهم.

ناهيك عن الأهمية الجغرافية لموقع مدينة صعدة، وما تُمثله من همزة وصل بين الدولة العباسية وعُمالها في اليمن، لذا فعدم إستقرارها يجعل اليمن لُقمة سائغة للغزاة والمحتلين وبؤرة للإضطرابات والفتن، والعكس فاستقرارها من أهم مفاتيح استقرار اليمن تاريخياً.

وتحدث إمام المُحدِّثين في عصره "يحيى بن أبي بكر العامري" في رياضه المُستطابة عن "تحرُّز أهل البيت عليهم السلام في زمن المعتمد والمعتضد والمقتدر وما تلاهم من ملوك الدولة العباسية حتى المستعصم، إلى بُلدان لا يُقدر عليهم فيها، مثل: جيلان وديلمان وما يواليها من بلاد العجم، ونجد اليمن كصنعاء وصعدة وجهاتها، واستوثق أمرهم وقاموا بالإمامة بشروطها قاهرين ظاهرين، فقام منهم بنجد اليمن نحو بضعٍ وعشرين إماماً أولهم وأولاهم بالذكر الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم"، وهذا سببٌ لاستهواء هذا البلد الطيب لأئمة الهدى ومصابيح الدُجى من عترة النبي المصطفى عليهم السلام، فقد كان لموقعه الجغرافي أهمية كبيرة في تفضيله وجعله مُنطلقاً لدعوة العشرات منهم، خصوصاً المرتفعات الجبلية الحصينة والمنيعة.

ولم يكن الهادي سلام الله عليه أول هاشمي يظهر في المسرح السياسي اليمني بل سبقه العديد من دُعاة أئمة الهدى أمثال محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، منهم إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام في العام 200 هـ، وهو أول هاشمي يظهر على المسرح السياسي اليمن، لكن ميزة الهادي عليه السلام أنه أول من تمكّن من إقامة دولة زيدية في اليمن، بينما من سبقه كانوا مُجرد دعاة لأئمة سُكنتهم العراق أو الجيل أو الديلم أو طُبرستان.

في الوقائع الميدانية حدث خلافٌ كبير بين سكان صعدة ومخاليفها من قبائل خولان حول اختيار زعيم منهم يحكُمهم، ومنعاً لسفك الدماء وقع اختيارهم على الإمام الهادي عليه السلام ليخرج إليهم ويجمع أمرهم، ويُصلح حالهم، وأرسلوا إليه وفداً

من قبائل يرسم وبني سعد بن سعد بن خولان وآل أبي فطيمة من ولد سعد بن حاذر بن صحار بن خولان، وقبلت دعوته ونُصرته، وكانت عمُود أمره ووكر عزه ونظام دولته، وحثته على القدوم إلى اليمن.

وكانت قبائل المرتفعات اليمنية وبخاصة صعدة ومخاليفها على صلة بأهل البيت عليهم السلام في الحجاز، ومن المتشيعين المخلصين والأوفياء لهم، فاستجاب سلام الله عليه لهم.

له سلام الله عليه خُروجين إلى اليمن، تمكن خلالهما من إحداث نقلة نوعية في هذا البلد الغارق في الفتن والنزاعات والخصومات، وتأسيس الدولة الزيدية الأولى فيه، ولعلى من أهم أسباب نجاحه ودولته:

1 - مساندة قبائل خولان وبعض قبائل همدان وترحيبها بقدومه إلى اليمن واستقباله ومناصرته.

2 - ضعف الدولة العباسية، وبُعد اليمن عنها، ومنعة وتحصُّن المرتفعات الجبلية اليمنية.

الخروج الأول:

كان قُدومه الأول إلى اليمن في العام 280 هـ/ 893 م، وعمره نحو 35 عاماً، وتمكن خلال هذا الخروج من الوصول إلى منطقة الشُرفة من بلاد نهم في محافظة صنعاء، وأطاعه أهل تلك النواحي، وكانت مدينة صنعاء يومها مستنقعاً للمجبرة والمشبهة.

مكث في اليمن فترة وجيزة ثم قرر العودة إلى الرس بالمدينة المنورة بسبب حدوث بعض المنكرات، منها:

1 - أخذ بعض الجند من اليمنيين في صفوف قواته شيئ يسير من أموال الناس بدون وجه حق، فقال سلام الله عليه: "هؤلاء قومٌ لا يُنتصرُ بهم"، وهذا درسٌ بليغ لكل قائدٍ مُحقّ ينشد النصر والظفر على أعداء الحق، في وجوب التطهر من المظالم قبل المواجهة، لأنها من المُحبطات القاصمة.

2 - شُرب أولاد قادة بعض العشائر اليمنية الموالية لأبو العتاهية الهمداني الخمور، فأمر بإحضارهم لإقامة الحد عليهم، لكنهم امتنعوا عليه، فقال لهم: "لا أكون كالفتيلة

تُضيئ غيرها وتحرق نفسها"، وقرر الرجوع إلى المدينة، مُغاضباً، لأن من بايعه من اليمنيين لم يلتزموا بطاعة الله، ولم يأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر، واعتزل أمرهم، فأين نحن من هكذا نماذج ربانية؟.

عصفت باليمنيين بعد مغادرته المجاعة والقحط والفتن، وحلّ بهم البلاء والخوف، وانعدم الأمن، ومنعت السماء قطرها، وجفّت الضرع، وضاق الحال، فقرروا في العام 283 هـ مُكاتبة أبيه سلام الله عليه في المدينة المنورة وعمومته، والتوسل بهم إليه، والتشفُّع لديه في معاودتهم، والتعهد بعدم مخالفته، والتزام أوامره وتوجيهاته، وإظهار التوبة والندم والإنابة على ما فرط منهم، فعاودهم بعد مسألتهم إياه، وذكروا أنه منذ فارقهم قد اختلفت ثمارهم وزرُوعهم، وأسرع الموت في مواشيهم وأنعامهم.

الخروج الثاني إلى اليمن:

وصل إلى صعدة في 6 صفر 284 هـ/ 899 م، فانضمت إليه بنو سعد والربيعة، وعقد بينهما عقد وئام، واستحلف بعضهم لبعض بترك الفتنة والعداوة، فحلفوا على ذلك، ثم أخذ منهم البيعة على الطاعة والمُناصرة والقيام بأمر الله، وعمل على حسم الفتن المُشتعلة وتهدئة الأوضاع في صعدة وأطرافها، وأجرى المُصالحة بين قبائل خولان، وأمر بتفريق رُبع الزكاة من الطعام في الفقراء والأيتام والمساكين، ووضع نظاماً جديداً للضرائب، واستقر بها فترة وجيزة.

وجه نشاطه بعد ذلك إلى بلاد اليمن كلها، فدعى الناس إلى الجهاد في سبيل الله، وقصد نجران بجموع كثيرة من خولان وغيرهم، واستبشر سُكانها بقدُومه، وتكللت جهوده بفتحها، وبايعه أهل وادعة وشاكر ويام، وكانت بينهم وبين بني الحارث بنجران حروب ونزاعات، فأصلح بينهم، وأخذ عليهم المواثيق على الاتفاق والإخاء وترك الشقاق.

عاد بعدها إلى صعدة فوضع عهداً وأماناً لأهل الذمة من نصارى نجران وغيرهم فيما شروه من المسلمين التُسع، وما شروه من الجاهلية فليس عليهم فيه شيئ، وقرَّرهم على الجزية في نجران وصعدة وسائر المناطق التي فتحها.

أمضى سلام الله عليه وقتاً طويلاً للقضاء على الفتن المُشتعلة والمُتنقلة في النواحي القريبة منها فتنة أهل أثافِت وبنو الحارث بنجران وبعض قبائل خولان، وفتح برط وخيوان، وولّى العمال على تلك النواحي، ونجح في فتح صنعاء والمخاليف المُحيطة بها، لكن سرعان ما خرجت من يده.

في العامين "294 - 295 هـ" استفحل شر القرامطة بقيادة علي بن الفضل ومنصور بن حوشب، وارتكبوا المُوبقات ونكّلوا بالناس، فأعلن سلام الله عليه الجهاد ضدهم، ووقعت بينهم أكثر من 73 وقعة ومعركة، كانت له اليد العليا فيها كلها، واستمر على ذلك حتى وفاته، إلى أن أتت الضربة القاضية لهذه الفرقة الضالة على يد ولده الإمام الناصر أحمد بن الهادي عليهما السلام.

الأهداف والأعمال:

كان ظهوره سلام الله عليه على المسرح السياسي اليمني في العام 280 هـ، ووفاته في العام 298 هـ، 910 م، ومدة ظهوره وخلافته 18 عاماً إلا أياماً.

بعد وصوله إلى اليمن وقف يدعو الناس لبيعته، وعاهدهم عهدين:

"أيها الناس - وفي رواية يا أهل اليمن - لكم أربعاً على نفسي: الحكم بكتاب الله وسُنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والأثرة لكم على نفسي، فيما جعله بيني وبينكم، أُوثركم فلا أتفضل عليكم، وأُقدمكم عند العطاء قبلي، وأتقدم عليكم عند لقاء عدوي وعدوكم، وأشترط لنفسي عليكم اثنين: النُصح لله سبحانه وتعالى في السر والعلانية، والطاعة لأمري على كل حالاتكم ما أطعت الله، فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم، وإن مِلت وعدلت عن كتاب الله، وسُنة نبيه، فلا حُجة لي عليكم، فهذه هي سبيلي أدعو الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني".

وأقسم في بعض مقاماته أنه لا يغيب عنهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا شخصه "إن أطاعوه": "والله لإن أطعتموني لا فقدتم من رسول الله إلا شخصه إن شاء الله".

من هذا القسم وما تبعه من بيانات تصب في ذات السياق، لم يكن سلام الله عليه

يسعى للحصول على حكم اليمن كما يدعي المرجفون، بل كانت غايته، هي ذات الغاية التي دفعت الإمام الحسين السبط عليه السلام للخروج ضد الطاغية الأموي يزيد بن معاوية، ودفعت حفيده الإمام زيد بن علي عليه السلام للخروج ضد الطاغية هشام بن عبدالملك،

فكان من أهم أهداف هذا الخروج المقدس:

1 - إحياء الشريعة والأحكام الإسلامية، وفرض سُلطانها، وتجديد أحكام خاتم النبيين، وآثار سيد الوصيين.

2 - جمع المسلمين على كتاب الله وسُنة رسول لله صلى الله عليه وآله وسلم.

3 - لمّ شمل المسلمين وإصلاح أمورهم فيما بينهم، يقول سلام الله عليه: "والله لوددت أن الله أصلح الإسلام بي - وفي رواية أصلح هذه الأمة، وأن يدي مُعلقة بالثريا ثم أهوي إلى الأرض فلا أصل إلا قِطعاً - وفي رواية وأني جُعت يوماً وشبعت يوماً".

4 - محاربة المُنكرات والبدع، يذكر صاحب "الإفادة" أن علياً بن العباس الحسني دخل يوماً على الهادي عليه السلام بعد السَحر، وكان قد تدّرع وتسلّح لقتال القرامطة، فوجده مُفكراً مُطرقاً، وقال له سيُظفرك الله بالقرامطة ويكفيكهم، وكانوا قد هجموا عليه بقضهم وقضيضهم، فأخبره الإمام بأنه لا يُفكر فيهم ولا يهتم لهم، وأنه يود أن يكون له يوماً كيوم الإمام زيد بن علي عليهم السلام، ولكن بلغه مُنكرات وقعت من بعض الطالبية في صفوفه.

بعد استقراره سلام الله عليه في صعدة كرّس جهوده للعمل في اتجاهين:

1 - جمع اليمن وما جاورها على حكمٍ واحد، والقضاء على التفرقة والعنصرية الجاهلية، ومحاربة الفساد والانحراف بمختلف مسمياته، وأمر بصكّ عُملة خاصة بدولته، ولمهابته وعظيم ما قام به، خُطب له بمكة المكرمة 7 سنوات، كما ذكر صاحب "عمدة الطالب"، وغيره من المؤرخين.

2 - إقامة موازين العدل والإنصاف في مناطق نفوذه باليمن، وإشاعة الاطمئنان والاستقرار والفضيلة، ولا عجب فقد كان العدل والإنصاف مُحركه ومُحرك آبائه، وكان يقولها بوضوح: "سيرة محمد وإلا النار"، ولم يزل يحمل مشعل الإصلاح، ويعمل على تزكية النفوس حتى وفاته.

ومن أهم الإجراءات التي اتخذها سلام الله عليه لتنظيم شؤون دولته:

1 - بعث عماله إلى قُرى صعدة وغيرها من المناطق التي استجابت لدعوته، وإرسال الرسل إلى سائر ولاة ورؤساء وزعماء القبائل اليمنية، وأخذت تأتيه الردود والوفود.

2 - إصدار دستور يُحدد سُلطات ومسؤوليات العُمال، من أهم مُوجهاته:

أ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ب - تعليم القرآن الكريم وأصول الدين.

ج - إقامة الصلاة بتمام الركوع والسجود.

د - إحياء فريضة الجهاد.

3 - تحديد أنصبة الزكاة على المسلمين والجزية على اليهود والنصارى، فجعل الزكاة عُشراً على ما أخرجت الأرض التي تُسقى عذباً أو سيحاً، ونصف العُشر على ما يُسقَ بالسواقي والدوالي، ونصاب الزكاة بـ 33 فرقاً، وهي 5 أوسق كاملة، وكذا الزكاة على أموال التُجار، والجزية على أهل الذمة 24 درهماً من أغنيائهم و12 درهماً من متوسط الحال، وبعد فترة جعلها: 48، 24، 12 درهما قفلة - وازنة - على التوالي، ووجه بعدم أخذها ممن يملك أقل من 5 دنانير، مع حماية أملاكهم، إلا فيما اشتروه من أملاك المسلمين فحُكمه أن يُرد.

4 - إجراء المؤن والأرزاق على العاملين والولاة والفقراء والمساكين وأبناء السبيل، فحدد لهم رُبع جباية بلدهم.

والمُلفت هنا رفضه سلام الله عليه أخذ مُرتب له نظير عمله من بيت مال المسلمين

كما هو حال موظفي دولته، واكتفائه بالإنفاق على نفسه وأسرته مما كان يأتيه من أمواله في الرس، قال سلام الله عليه: "والله الذي لا إله إلا هو ما أكلت من اليمن شيئاً ولا شربت منه الماء إلا من شيئ جئت به معي من الحجاز".

فمن أين لنا بهكذا حُكام ربانيين في زماننا، ثم يأتي من يدعي بلا حياءٍ ولا خجل بأنه سلام الله عليه إنما أتى اليمن طامعاً ليتملّك أرضها ويحكم أهلها، وهي فرية ممجوجة ومتهافتة.

5 - تحديد مسؤوليات الإمام والرعية.

أولاً: الشروط الواجب توافرها في الحاكم:

أ - الحكم بكتاب الله وسُنة رسول الله.

ب - الأثرة للرعية على نفسه فيما جعل الله بينه وبينهم.

ج - تقديم الرعية في العطاء.

د - التقدم أمام الرعية للقاء عدوه وعدوهم.

ثانياً: الشروط الواجب توافرها في الرعية:

أ - النصيحة لله وللحاكم في السر والعلانية.

ب - الطاعة لأمر الحاكم في جميع أحوالهم ما أطاع الله، فإن خالف طاعة الله فلا طاعة له عليهم، وإن عدل عن كتاب الله وسُنة رسول الله فلا حجة له عليهم، وعليهم أن يقوِّموه بحد السيف حتى يعدل عن غيه ويعود إلى رُشده.

الإنتاج الفكري:

ترك لنا سلام الله عليه مكتبة زاخرة في الحديث والفقه والتفسير والتوحيد والشرائع والأديان وغير ذلك، وكان لا يتمكن من إملاء مسألة إلا وهو على ظهر فرسه في أغلب الأوقات.

بدأ بالتأليف وهو لا يزال في السابعة عشرة من عمره، وبلغ بحسب شهادة ولده

المرتضى محمد بن يحيى بن الحسين عليهم السلام: "من العلم مبلغاً يختارُ عنده ويُصنِّف وله سبع عشرة سنة"، وهذه من عجائب الروايات التي تضمّنت خرق العادات كما يذكر الشهيد حميد بن محمد المحلي رحمة الله عليه في "حدائقه الوردية".

ارتوى سلام الله عليه من سلسال العلم المعين وتفيأ ظلال العرفان حتى تفجر العلم من جوانبه ونطق من الحِكم بغرائبه، وصنّف التصانيف الفائقة، والكتب البديعة الرائقة، وكان مرجعاً في الدين لكل الطوائف الإسلامية والأمصار المختلفة، يسألونه ويستفتونه، وهو يرد عليهم برسائل قيِّمة أُثرت عنه، يُدافع فيها عن القرآن والسُنة.

من أهم مؤلفاته:

أولاً: الفقه:

1 - الأحكام في الحلال والحرام - جزءان: بدأ بتأليفه في المدينة المنورة حتى باب البيوع، خرج بعدها إلى اليمن وانشغل بالحروب، فكان يُملي بعد البيوع على كاتبٍ له كُلما فَرغ من الحرب، وهكذا كل كُتبه، وعندما همّ سلام الله عليه بالإكثار من التفرغ العلمي من أجل التأليف حالت المنية دون ذلك.

وهذا الكتاب من أهم المراجع الدينية في الفقه، ضمّنه سلام الله عليه الأدلة من الآثار والسُنن النبوية، والأقيسة القوية ما يشهد له بالنظر الصائب والفكر الثاقب.

يقول أبو العباس "أحمد بن إبراهيم الحسني" في "مصابيحه" عن هذا الكتاب الجليل: "ما أعلم لأحدٍ من أهل بيت رسول الله كتاباً في الفقه أجمع وأكثر فائدة منه".

2 - المنتخب: من جلائل كتبه، وفيه فقه واسع وعلم رائع كما يذكر مُحقق كتاب "الأحكام" في مقدمة الجزء الثاني.

3 - الفنون: من كُتب الفقه المُهذبة المُلخصة.

4 - المسائل.

5 - مسائل محمد بن سعيد.

6 - الرضاع.

7 - الزراعة.

8 - أمهات الأولاد.

9 - الولاء.

10 - القياس.

ثانياً: التوحيد:

1 - التوحيد.

2 - المسترشد.

3 - الرد على أهل الزيغ من المشبهين.

4 - الرد على المُجبرة والقدرية: فيه من الأدلة القاطعة والإلزامات النافعة ما يقضِ بأنه السابق في الميدان، المُبرز على الأقران.

5 - الإرادة والمشيئة.

6 - الرد على الحسن بن محمد بن الحنفية.

7 - بوار القرامطة.

8 - أصول الدين.

9 - الإمامة وإثبات النبوة والوصاية.

10 - الرد على الإمامية.

11 - البالغ المُدرك في الأصول، شرحه الإمام أبو طالب عليه السلام، وهو قطعة لطيفة فيها كلام كأنه الروض، ملاحة ونظارة، والسحر، لطافة ودقة.

12 - المنزلة بين المنزلتين.

ثالثاً: القرآن الكريم:

1 - تفسير القرآن: 6 أجزاء.

2 - معاني القرآن: 9 أجزاء.

3 - الرد على من زعم أن القرآن قد ذهب بعضه.

رابعاً: الديانات والشرائع والأخلاق والردود:

1 - الديانة.

2 - الخشية.

3 - تفسير خطايا الأنبياء.

4 - الرد على سليمان بن جرير.

5 - العهد.

6 - الفوائد: جزءان.

7 - جوابات مسائل أبي القاسم الرازي: جزءان.

8 - السُنّة.

9 - أبناء الدنيا.

10 - الجواب على مسائل الحسين بن عبدالله الطبري.

11 - جواب مسألة علي بن موسى القمي.

12 - مسائل ابن أسعد.

13 - جواب مسائل نصارى نجران.

14 - مسائل أبي الحسين.

15 - الرد على أهل صنعاء.

أكثر من 40 مُصنَّفاً، وله غيرها كما يذكر الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام في "الشافي" نحو 13 مؤلَّفاً، رغم قِصر عمره وعدم تفرُّغه العلمي وانشغاله بالجهاد والإصلاح بين الناس.

المراجـــع:

1 - الإمـام الهـادي إلى الحـق يحيـى بـن الحسـين، كتـاب الأحـكام في الحـلال والحـرام، الطبعـة الأولى 1990.

2 - الإمـام الناطـق بالحـق أبـو طالـب يحيـى بـن الحسـين الهـاروني، شرح البالـغ المـدرك، مكتبـة مركـز بـدر العلمـي والثقـافي، الطبعـة الأولى 1997.

وكذا: الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، دار الحكمة اليمانية، الطبعة الأولى 1996.

3 - الإمـام أبـو العبـاس أحمـد بـن إبراهيـم الحسـني، المصابيـح، مؤسسـة الإمـام زيـد بـن عـلي الثقافيـة.

4 - العلامـة عـلى بـن محمـد بـن عبدالله العبـاسي العلـوي، سـيرة الإمـام الهـادي إلى الحـق يحيـى بـن الحسـين عليـه السـلام، تحقيـق الدكتـور سـهيل زكار، دار الفكـر - لبنـان، الطبعـة الثانيـة 1981.

5 - العلامـة المطهـر بـن محمـد الجرمـوزي، النبـذة المشـيرة إلى جمـل مـن عيـون السـيرة.

6 - العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، اللآلئ المضيئة - الجزء الأول.

7 - الإمـام مجدالديـن بـن محمـد بـن منصـور المؤيـدي، التحـف شرح الزلـف، مكتبـة أهـل البيـت - صعـدة، الطبعـة الخامسـة 2017.

8 - الدكتـور حسـن سـليمان محمـود، تاريـخ اليمـن السـياسي في العـصر الإسـلامي، المجمـع العلمـي العراقـي، دار الجاحـظ - بغـداد، الطبعـة الأولى 1969.

9 - الدكتـور محمـد أمـين صالـح، تاريـخ اليمـن الإسـلامي في القـرون الثلاثـة الأولى للهجـرة، مكتبـة الكيـلاني - القاهـرة، الطبعـة الأولى 1975.

10 - محمـد كاظـم رحمتـي، الزيديـة في إيـران، ترجمـة مصطفـى أحمـد البكّـور، المركـز العـربي للأبحـاث ودراسـة السياسـات/ قطـر - لبنـان، طبعـة 2014.

11 - الدكتـور أيمـن فـؤاد سـيد، تاريـخ المذاهـب الدينيـة في بـلاد اليمـن حتـى نهايـة القـرن السـادس الهجـري، الـدار المصريـة اللبنانيـة، الطبعـة الأولى 1988.

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

SABA.YE

اللوبي الصهيوني ..

حصانةٌ لقيطة واعتقاد زائف

إعـــــــداد:

مركز البحوث والمعلومات

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)

WWW.SABA.YE/AR

كان للخطاب الأخير لقائد الثورة السيد عبدالملك بن بدرالدين الحوثي بذكرى استشهاد الإمام زيد عليه السلام الأثر الكبير في تعرية اللوبي الصهيوني اليهودي الراعي الأساسي لمنظومة الفساد العالمية، ووضعه تحت مجهر الحقيقة الغائبة عن كثير من أبناء الأمة الإسلامية .

وكما هو معروف , فإن نفوذ اللوبي الصهيوني في أمريكا وأوروبا والغرب عموما، جعل من تلك المجتمعات الغربية ميداناً للنيل من المقدسات، وترسيخ حالة العداء الشديد للإسلام والمسلمين، ولكل العناوين الإيمانية والدينية، كما يشير السيد القائد .

وحتى نتعرف على النفوذ الشيطاني للوبي الصهيوني اليهودي ودوره القذر في إفساد المجتمعات الأوربية والغربية وصولا للمجتمعات العربية، نتوقف أولا لدى انطلاقة هذا اللوبي، ومدى علاقته بالغرب، وكيف اتسع نفوذه، واتضحت سيطرته على صنع القرار , وتصديره لأسوأ عمليات فساد سياسي واقتصادي واجتماعي استهدفت ومازالت معظم دول العالم.

جذور الصهيونية

الصهيونية كما يعلم الجميع هي حركة سياسية يهودية، ظهرت في وسط وشرق أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر ودعت اليهود للعودة إلى ما أسمته أرض الآباء والأجداد "إيريتس يسرائيل" ورفض اندماج اليهود في المجتمعات الأخرى للتحرر من "معاداة السامية" والاضطهاد الذي وقع عليهم في الشتات، وبعد فترة طالب قادة الحركة بإنشاء دولة منشودة في فلسطين والتي كانت ضمن الأراضي التي تسيطر عليها الدولة العثمانية.

وقد ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل الذي يُعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم، وبعد تأسيس دولة الاحتلال الإسرائيلي، أخذت الصهيونية على عاتقها توفير الدعم المالي والمعنوي لها، وكان ناثان برنباوم، الفيلسوف اليهودي النمساوي، أول من استخدم مصطلح الصهيونية عام 1890، وعُقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بازل في

سويسرا ليتم تطبيق الصهيونية بشكل عملي على فلسطين فعملت على تسهيل الهجرة اليهودية ودعم المشاريع الاقتصادية اليهودية.

وبحسب بعض المؤرخين المطلعين على تجربة تأسيس الحركة الصهيونية، فإن بدايات الفكر الصهيوني كانت في إنجلترا في القرن السابع عشر في بعض الأوساط البروتستانتية المتطرفة التي نادت بالعقيدة الاسترجاعية التي تعني ضرورة عودة اليهود إلى فلسطين شرطًا لتحقيق الخلاص وعودة المسيح، لكن ما حدث هو أن الأوساط الاستعمارية العلمانية في إنجلترا تبنت هذه الأطروحات وعلمنتها ثم بلورتها بشكل كامل في منتصف القرن التاسع عشر على يد مفكرين غير يهود بل معادين لليهود واليهودية.

ورغم أن أول من دعا لإنشاء دولة يهودية في فلسطين في العصر الحديث هو نابليون بونابرت، إلا أن صدور وعد بلفور هو أهم حدث في تاريخ الصهيونية الذي أتى كنتيجة لضغط اللوبي اليهودي في إنجلترا الذي كان ضئيلاً مقارنة مع مثيله في ألمانيا، لكنه نجح فيما فشل فيه اليهود الألمان الذين كانوا في موقع المتمكن في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى.

علاقة اللوبي الصهيوني بالغرب

في دول الغرب، يشكل اليهود الصهاينة قوة اقتصادية وسياسية وإعلامية وأكاديمية، تقترب بتأثيراتها الفعالة من كواليس قصور الرئاسة ومراكز التأثير والقرار، وفي بعض منها هو الطبقة الحاكمة ذاتها، وبناء عليه تتشكل النخب على شاكلتها، متبنية لمصالحها، ومروجة لانحيازاتها.

وبما أن اللوبي الصهيوني هو مجموعة من المنظمات والأفراد الذين يدعمون (كيان العدو المحتل) وتطلعاته، ويحاولون التأثير على السياسات الخارجية والداخلية للدول الغربية، خاصة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا.

ويستخدم اللوبي الصهيوني مختلف الوسائل والتكتيكات لتحقيق أهدافه، مثل التمويل والتبرعات والإعلام والدعاية والتضليل والابتزاز والتهديد والتجسس والاغتيال.

وقد استفاد اللوبي الصهيوني من تاريخ وثقافة ودين الغرب، واستغل مشاعر الذنب والخوف والحقد والانتقام لصالح كيانه اللقيط، كما استغل التحالفات والمصالح المشتركة بين كيان العدو والغرب في مجالات مكافحة الإرهاب ومواجهة الأعداء وحماية حقوق الإنسان, بحسب ادعاءاته.

نفوذ اللوبي الصهيوني اليهودي

ذكر الشهيد القائد رضوان الله عليه في محاضرته عن يوم القدس العالمي1422هـ:(في هذا الجانب الاقتصادي في جانب ما نستهلكه في مجال الغذاء. الدواء كذلك معظم الأدوية من شركات أجنبية، واليهود معلوم بأنهم هم أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة المسيطرة على قطاعات واسعة من الاقتصاد في أمريكا وفي دول الغرب في أوروبا وغيرها. يحملون عداوةً شديدةً لكم فهم لا يودون لكم أي خير، وهم دائماً مستشعرون لهذه العداوة لأنه أناس لا تعرفهم ولا بينك وبينهم، أنت لا تودهم، ولا تبغضهم، لا تعاديهم، ولا تواليهم).

ويمارس اللوبي الصهيوني نفوذه على مختلف المستويات والمؤسسات في الغرب، مثل الحكومات والبرلمانات والأحزاب والجامعات والمنظمات غير الحكومية والكنائس، كما يمارس نفوذه أيضاً على شخصيات سياسية واقتصادية وإعلامية وأكاديمية ودينية مؤثرة.

وعلى الرغم من أن تأثير اللوبي الصهيوني على الغرب له آثار سلبية على المصالح القومية والأمنية للدول الغربية، فضلا عن تقويض قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان التي يدعون احترامها.. كما أن تأثيره يزعزع استقرار المنطقة العربية والإسلامية، ويزيد من حدة التوترات والصراعات فيها، إلا أن النتائج السيئة لكثير من قرارات زعماء الشعوب الغربية شديدة الوضوح أمام العالم أجمع، مما يؤكد أن إرضاء تلك القيادات للوبي الصهيوني اليهودي مقدّم على إرضاء شعوبهم، بل ساهم عدد كبير منهم في تدمير مجتمعاتهم تنفيذاً لتوجيهات الراعي الأول لمنظومة الفساد.

وقد أكد السيد القائد عبدالملك بن بدرالدين الحوثي هذا النفوذ البغيض في كلمته بالذكرى السنوية للشهيد القائد العام 2022م بقوله : (المحرك الأساسي للاستهداف

لأمتنا هو اللوبي الصهيوني اليهودي في العالم، والكيان الإسرائيلي الذي اغتصب فلسطين واغتصب أجزاء أخرى من بلدان أمتنا وبلداننا العربية هو ذراعٌ من أذرعة اللوبي اليهودي الصهيوني، واللوبي الصهيوني اليهودي هو الذي يحرك أمريكا، وهو الذي يحرك بريطانيا، وهو الذي يتحرك بالغرب لدعم التوجهات والمواقف والأهداف التي يعتمدها، وهو ما قبل أن يتجه إلى أمتنا الإسلامية بهذا المستوى من التحرك، وبهذه الإمكانات، وبهذه القدرات، تمكن من الاختراق الكبير للنصارى وللعالم الغربي، ووصل إلى مستوى التحكم في السياسات الغربية والتوجهات الغربية إلى حدٍ كبير، وصنع قناعات دينية لدى المجتمع الغربي، حتى لدى النصارى المسيحيين، حتى لديهم، هو تمكن من القيام بعملية تحريف واسعة، وصناعة مفاهيم ومعتقدات دينية تتبنى في أساسها تعظيم اليهود وتقديسهم، وتتبنى العداء الشديد للمسلمين، وتتبنى أيضاً المصادرة لفلسطين وللمقدسات في فلسطين، والدعم للعدو الإسرائيلي من السيطرة التامة عليها، وتمكين العدو الإسرائيلي لبناء كيانٍ معادٍ ونافذٍ وقويٍ في أوساط أمتنا الإسلامية وفي قلب العالم العربي، كل هذه الأمور أصبحت معتقدات دينية، هي بالنسبة لليهود أمرٌ واضح، معتقدات دينية يتشبثون بها مع تنكرهم للتدين والدين، لكنهم يحتفظون بالأشياء التي تخدمهم، والتي تمكن من نفوذهم، والتي تحافظ لهم على هوية ونمط معين يوظفونه لمصالحهم السياسية وأهدافهم السياسية على نحوٍ من أشكال الاستغلال).

في أمريكا مثلا ، (رغم أن اليهود الأميركيين لا يشكلون أكثر من 3% من مجموع سكان الولايات المتحدة، فإن نفوذا كبيرا لهم داخل مراكز صنع القرار في السياسة الخارجية الأميركية، وذلك من خلال لوبي صهيوني منظم ومؤثر.

يتكون هذا اللوبي من عشرات المنظمات التي تعمل بنشاط على توجيه السياسة الخارجية الأميركية، لتحقق مصالح كيان العدو، فبالتالي لا يضم اللوبي الصهيوني يهودًا أميركيين فقط، بل يضم في صفوفه أيضا العديد من الصهيونيين المسيحيين، الذين يؤمنون بأن قيام دولة الكيان في فلسطين عام 1948 هو جزء من نبوءات التوراة والإنجيل، والتي تعتبر مقدمة لعودة المسيح إلى الأرض منتصرا).

قداسة زائفة .. ونفوذ مريب

اشتغل اللوبي الصهيوني على عدة عوامل صنعت حوله طبقة من الهالة والقداسة الزائفة التي أثرت في تشكيل وعي الأفراد والمجتمعات الأوربية والغربية والكثير من الدول العربية والإسلامية لاستيعاب وتبنّي مخرجات سياساته الفاسدة، وأدبياته القميئة.

وإذ يحظى بهذه المساحة الكبيرة من الحصانة, وتتجاوزه الانتقادات والهجوم, فإن ذلك يُعزى لعدة عوامل وأسباب، منها:

- **المعتقدات السياسية:**

لعبت المعتقدات السياسية دوراً كبيراً في تشكيل آراء الأفراد والمجتمعات إزاء الموقف من اللوبي الصهيوني، فالأفراد الذين ينتمون إلى تيارات سياسية أو فكرية تنتقد الكيان الإسرائيلي أو يرونها عدوّ للعدالة أو الحقوق الإنسانية -وفق المعيار الصهيوني-، يكونون أكثر عرضة لسخط اللوبي الصهيوني, بالمقابل، الأفراد الذين ينتمون إلى تيارات سياسية أو فكرية تؤيد الكيان اللقيط وتروج لمصالحه، يحظون بدعمه.

كما استغل اللوبي الصهيوني المنافع المتبادلة بين كيانه اللقيط والولايات المتحدة، كالتعاون العسكري والاستخباراتي والتكنولوجي، لتبرير دعم كيانه وتجاهل انتهاكاته لحقوق الإنسان.

- **وسائل الإعلام والمنصات الاجتماعية:**

تلعب وسائل الإعلام المختلفة ومنصات التواصل الاجتماعي دوراً هاماً في تشكيل آراء الأفراد والمجموعات، إذ يتعرض الجمهور لمجموعة متنوعة وسيل جارف من المعلومات والمغالطات والحرب الناعمة من خلال هذه الوسائل، والتي تؤثر في تشكيل رؤاهم ومواقفهم لتكون متوافقة مع سياسات وأهداف اللوبي الصهيوني.

كما أن تأثير اللوبي على تشكيل الرأي العام والإعلام في الدول الغربية، بواسطة تمويل ودعم المؤسسات والشخصيات المؤيدة للكيان المحتل، ومقاطعة ومحاربة المؤسسات والشخصيات المنتقدة له، أتاح له هذه المساحة الهلامية من السيطرة المزعومة، والتي هي في حقيقتها أوهن من بيت العنكبوت.

- **الخلفية الثقافية والدينية:**

أثرت الخلفية الدينية القاصرة والثقافات المغلوطة للأفراد وللمجتمعات على آرائهم حيال اللوبي الصهيوني, إذ كان وما يزال للتراث الثقافي والديني القاصر والمؤدلج بالتبعية للأنظمة الحاكمة العميلة تأثير كبير في التعايش والتصالح مع المفاهيم والاختراقات السياسية والاجتماعية المتعلقة بقضايا صراعات اللوبي الصهيوني وعلى رأسها "القضية الفلسطينية".

بالإضافة إلى استخدام اللوبي الصهيوني للتهمة المضادة بالتحريض على الكراهية أو معاداة السامية ضد منتقديه، مما يثير الخوف والرهبة في الأوساط السياسية والإعلامية والأكاديمية.

ولا يحظى جميع أفراد المجتمعات الغربية بنفس حق تأثير نشاطات الترويج لصالح اللوبي الصهيوني في دولهم، فهناك عوامل مختلفة تحد من هذا الحق مثل:

- الضغوط السياسية والاقتصادية والأمنية من قبل اللوبي الصهيوني وحلفائه على الدول التي تعارض سياساته أو تدعم القضية الفلسطينية.
- الرقابة والتضييق على حرية التعبير والإعلام والنشاط المدني والحقوقي في بعض الدول التي تتجه نحو التطبيع مع "الكيان الإسرائيلي" أو تخشى من ردود فعل شعبية سلبية.
- التأثير الديني والثقافي والإعلامي من قبل بعض الجهات المؤيدة للكيان اللقيط على الرأي العام في بعض الدول الأوروبية، بغرض تغيير المواقف والمفاهيم والمشاعر تجاه الكيان والصراع العربي "الإسرائيلي".

منظمات بارزة تخدم مشروع اللوبي الصهيوني

ولتعزيز نفوذه وسيطرته على السياسة الخارجية الغربية، فقد أنشأ اللوبي الصهيوني العديد من المنظمات التي شكلت نواته وامتداده ومطايا لعلاقاته وتنفيذ رغباته الشيطانية، ومن أهمها :

- لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (AIPAC)
- الاتحاد الأمريكي للجمعيات اليهودية (AJC)
- صندوق الدفاع اليهودي (JDL)
- منظمة السلام الآن (Peace Now)

وهذه المنظمات لديها قواعد عضوية كبيرة، وتتمتع بدعم مالي كبير من الأفراد والشركات، كما أنها تتمتع بعلاقات قوية مع السياسيين والمسؤولين الحكوميين في الولايات المتحدة ودول أخرى.

وهكذا، فإن (وجود لوبي صهيوني منظم ومؤثر، وبالمقابل غياب لوبي عربي جامع ومؤثر، بل ووجود لوبيات عربية صهيونية أو شبه صهيونية، يفسر، جزئيا على الأقل، تحالف وانحياز الولايات المتحدة مع كيان العدو المحتل).

ترويج الفساد الصهيوني

يقول السيد القائد في الدرس الـ4 من وصية الإمام علي لابنه الحسن عليهما السلام: (يروج اللوبي اليهودي الصهيوني ومعه الغرب الكافر، وفي المقدمة أمريكا وإسرائيل، للفواحش والرذائل والجرائم الأخلاقية، وما يوصل إليها، وما يسهل لها، وخطوات الشيطان التي توقع الناس فيها، وخطوات الشيطان التي توقع الناس فيها، يروجون لذلك، ويعملون على كسر كُلّ القيم والضوابط الشرعية، والضوابط الأخلاقية، والقيم الراقية، التي تحافظ زكاء النفوس، وتصون الإنسان، تصون الرجل، وتصون المرأة، والقيم العظيمة: قيم العفة والكرامة والشرف، والالتزام الإيماني، ففي إطار حملتهم على ضد الالتزام بما يصون الإنسان، يعيبون على الإنسان المسلم الملتزم ما هو فيه من الالتزام، يلومونه، يصورون التزامه وكأنه تخلُّف، ويقولون: [أنت من العصور الوسطى، أنت لا زلت إنسانا متخلفًا، أنت...]، والواقع أن الذي يتجهون بالناس إليه هو أسوأ حتى من التخلف، هو الانحطاط عن المرتبة الإنسانية بكلها، هو السلوك الحيواني الغريزي الهمجي، هو الرذيلة والفاحشة، والجريمة والفساد والمنكر والباطل والسوء، الذي لا ينسجم مع فطرة الإنسان ولا مع إنسانيته، ولا مع كرامته، هو ما

يهدم ويقوِّض المجتمع البشري في بنيته الاجتماعية الأُسرية، وهو أَيْضاً ما يؤثر على المجتمع البشري، في أمنه واستقراره، وسلامته الاجتماعية، وسلامته الصحية، وله أضرار ومفاسد، وآثار سلبية على الناس في حياتهم).

وبحصافته المعهودة، أوضح السيد القائد أن تعطيل الكثير من أساسيات الدين الإسلامي كان له تأثي سلبي خطير في حياة الناس , أدت إلى نفوذ فساد اللوبي الصهيوني ومن شايعه.

أعاد السيد القائد ذلك إلى أن (هناك 3 مشكلات تعاني منها الأمة في علاقتها بدينها، الأولى هي الجهل، حيث لا يهتم كثير من المسلمين بأن يتعلموا الدين ويتعرفوا عليه والمشكلة الثانية هي الفهم المغلوط للدين، فقد حُرف الكثير من المفاهيم التي قدمت للأمة بشكل مغلوط فالأمة عانت من مشكلة الفهم المغلوط للدين منذ وقت مبكر لأن الطغاة والمفسدين سعوا لتحريف الكثير من المفاهيم ثم بقيت الأجيال تتناقلها وتثق بها.. أما المشكلة الثالثة في علاقة الأمة بدينها هي التجزئة، العمل بجزء من الدين ونبذ الجزء الآخر وهذا كان له نتائج سلبية في الواقع).

ازدراء الأديان في اوروبا والغرب يقابله سطوة اللوبي الصهيوني

لا يوجد قانون واحد حقيقي وواقعي يحظر المساس بالأديان والأنبياء في الغرب ويتم العمل به، إلا ما ندر من بعض القوانين المحلية أو الدولية التي يتم تسويقها للإعلام، وسرعان ما يتضح عكس ذلك بذريعة حرية الرأي والتعبير.

وفي المقابل تتم ملاحقة وقمع كل فرد أو مجموعة تعارض أفكار وتوجهات اللوبي الصهيوني .

لماذا لا يُسمح بانتقاد أو مهاجمة اللوبي الصهيوني؟

- اللوبي الصهيوني يمتلك نفوذا كبيراً في الإعلام والسياسة والمجتمع المدني في الدول الغربية، ويستخدمه لتشكيل الرأي العام والقرارات الرسمية لصالح الكيان الإسرائيلي.
- اللوبي الصهيوني يحاول تجنب أي نقاش جاد أو نقدي حول سياسات كيانه اللقيط، ويتهم من ينتقده بأنه معاد للسامية أو مؤيد للإرهاب.

- اللـوبي الصهيـوني يسـعى إلى تقويـض أو منـع أي مبـادرات أو حـركات تطالـب بمقاطعـة "إسرائيـل" أو فضـح جرائمهـا الظاهـرة والخفيـة بحـق الأمـة الإسـلامية وغيرهـا.

شواهد على نفوذ اللوبي الصهيوني اليهودي

أوضـح الشـهيد القائـد - رضـوان الله عليـه - في درس (آيات من سـورة الكهـف) ما يؤكد على سـطوة اللـوبي الصهيوني:

«الأمريكيون لا يظهرون أنـهم يـهـود، واليـهـود أسَاسـاً هُم ملعونون عند الكل، يوجد الكثيْرون الذيـن يكرهونهـم أكـثر منـا، ومـن النصـارى يكرهونهم، لكنهم قـد تغلبوا على النصـارى وهـم يثقفونهـم، مثلـما يتجهـون إلينـا يثقفوننـا، وقـد هـم يحولـون النصـارى إلى صهاينـة يشـتغلون معهـم، تعرفـون بأَنـهم قـد بيحولـوا النصـارى إلى صهاينـة ؟ قـد هـو يـهـودي في قالـب نـصراني، مثـل الآن، يحولـوه يَـهـودي وشـكله مسـلم، هـم هكـذا يعملون».

ويمكننا ذكر بعض الحقائق في نقاط مختصرة :

- يعتـبر اللـوبي الصهيـوني في الولايـات المتحـدة أقـوى وأكـثر تنظيـماً مـن غـيره في أوروبـا والغـرب.
- منظـمات صهيونيـة وشـخصيات مرموقـة تؤيد سياسـات وأفـكار اللـوبي الصهيوني، تتبنـى مواقـف مؤيـدة لحقـوق المثليـة، وتـروج لفكـرة أن "إسرائيـل" هـي جزيـرة مـن الديمقراطيـة والتسـامح في منطقـة متخلفـة ومتطرفـة، وتسـتخدم هـذه الفكـرة كأداة لتبريـر سياسـاتها ضـد الفلسـطينيين.
- يشـارك اللـوبي الصهيـوني في صياغـة القـرارات والمواقـف والتشريعـات المتعلقـة بالـشرق الأوسـط والقضيـة الفلسـطينية عـلى وجـه الخصـوص, بـل ويمـارس نفوذًا كبـيراً عـلى السياسـة الخارجيـة الغربيـة.. فمثـلاً، كان ولا يـزال لـه الـدور الأكـبر في إقنـاع الولايـات المتحـدة بتقديـم الدعـم العسـكري والمـالي للكيـان الإسرائيـلي ، ومعارضـة أي حـل سـياسي بشـأن القضيـة الفلسـطينية.

- في أوروبا، يوجد أيضاً شبكات نفوذ صهيونية تعمل في بروكسل وبريطانيا وغيرها من الدول.
- هذه الشبكات تستخدم مختلف الوسائل والتكتيكات لتحقيق أهدافها، مثل التمويل والتجسس والتضليل والتشهير.

هناك العديد من الأدلة على نفوذ اللوبي الصهيوني في السياسة الخارجية للدول الغربية، وخاصة الولايات المتحدة.. ومن بعض هذه الأدلة:

- تقارير وكتب توثق تاريخ وأنشطة وأهداف اللوبي الصهيوني، مثل كتاب "اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية" لـ"جون ميرشايمر" و"ستيفن والت" نشراه العام 2007م، والكتاب الأشهر الذي نُشر العام 1985م "من يجرؤ على الكلام: الشعب والمؤسسات في مواجهة اللوبي الصهيوني" للسيناتور "بول فندلي"، ومثّل هذا الكتاب صرخة وصوتاً جريئاً في الحديث عن المسكوت عنه في المجتمع السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، وما يميزه ليس أنه أول كتاب يتحدث عن حجم نفوذ اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية وتأثير هذا اللوبي على القرار الأمريكي بل أنه وبحكم تجربة مؤلفه الثرية في ميدان السياسة احتوى على كم هائل من البيانات وأورد أمثلة واقعية لحجم هذا النفوذ وخطره .
- شهادات وتصريحات من مسؤولين وسياسيين أمريكيين وأوروبيين عن ضغوط وتهديدات ومكافآت تلقوها من اللوبي الصهيوني، كتصريح"جورج بال"، نائب وزير خارجية أمريكا في عام 1966م، وشهادة الصحافي البريطاني المخضرم، آلن هارت، مؤلف كتاب "الصهيونية.. العدو الحقيقي لليهود" بأجزائه الثلاثة
- حالات وأمثلة على تبني الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي لمواقف مؤيدة للكيان اللقيط ومعادية لحقوق الفلسطينيين، مثل:

"الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل"

أو "العقوبات على إيران"

أو "التصويت ضد قرارات الأمم المتحدة".

- في الشهرالجاري أغسطس 2023م وبتحريض من اللوبي الصهيوني منع مشرعون من الحزب الجمهوري وزارة الخارجية الأمريكية من تقديم 75 مليون دولار من المساعدات الغذائية للاجئين الفلسطينيين بدعوى التأكد من أن وكالة : أونروا" لا توظف أفرادًا منتسبين إلى حماس، وأن مدارسها لا تستخدم كمخزن أسلحة للجماعة العسكرية، وأن المواد التعليمية من مجموعة الأمم المتحدة يتم مراجعتها لمعالجة معاداة السامية والكراهية تجاه إسرائيل، وهي مزاعم معتادة يرددها اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة.
- دعم وتمويل بعض المنظمات والجماعات المسيحية المتطرفة التي تقوم بحرق القرآن أو تشويه صورة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، مثل "كنيسة دوف وورلد أوت ريتش سنتر" في فلوريدا.
- الترويج لأفلام وكتب ومقالات ورسوم مسيئة للإسلام والمسلمين، مثل فيلم "البراءة من المسلمين" أو كتاب "الساتانية" أو رسوم "شارلي إبدو".
- محاولة تشويه سمعة وصورة المؤسسات والشخصيات الإسلامية التي تعارض سياسات "إسرائيل" أو تدافع عن حقوق الفلسطينيين، مثل محور المقاومة.
- روت "شهد أبو سلامة"، باحثة فلسطينية في جامعة شفيلد هالام في بريطانيا، للجزيرة نت عن حملة التشهير التي تعرضت لها من قبل وسائل إعلام تابعة للوبي الصهيوني ، مما أدى إلى تجميد محاضراتها في الجامعة.

أشار تقرير "الجزيرة" إلى أن هذه الحادثة تعكس مستوى التأثير والضغط الذي يمارسه اللوبي الصهيوني على المؤسسات الأكاديمية والإعلامية في أوروبا.

- تضامن النائب اللبناني علي القصيفي مع الإعلامية جويل مارون، التي تم فصلها من عملها في قناة فرانس 24 بسبب ضغط من اللوبي الصهيوني ، بعد أن نشرت تغريدة تنتقد سياسة "إسرائيل" تجاه الفلسطينيين.

أشار الخبر إلى أن هذه الواقعة تكشف عن حجم الهالة الإعلامية والحصانة التي يتمتع بها اللوبي الصهيوني في الغرب، وعن مدى التضييق والترهيب الذي يتعرض له المعارضون لهذا اللوبي.

ولتحقيق أهدافه الصهيونية يحرص اللوبي اليهودي على :

- التبرع بأموال كبيرة للأحزاب والمرشحين السياسيين الذين يدعمون الكيان الإسرائيلي.
- التأثير على وسائل الإعلام والمؤسسات الأكاديمية والثقافية لتشكيل صورة إيجابية عن دولة الكيان وتبرير سياستها.
- مكافحة أي نقد أو انتقاد "لإسرائيل" أو حقوق الفلسطينيين باستخدام اتهامات بمعاداة السامية أو التطرف أو الإرهاب.

بعض الآثار السلبية لنفوذ اللوبي الصهيوني

- تقويض الديمقراطية والحرية في الدول الغربية، بسبب تقييد حق التعبير والنقد والمعارضة للسياسات الصهيونية.
- تصاعد التوترات والصراعات في منطقة الشرق الأوسط، بسبب دعم اللوبي الصهيوني للتوسع الاستيطاني والاحتلال والعدوان "الإسرائيلي" على الشعوب والدول المجاورة.
- تضرر المصالح والأمن القومي للولايات المتحدة، بسبب تحويل اللوبي للسياسة الخارجية الأمريكية إلى أداة لخدمة الكيان الإسرائيلي، مما يثير كراهية وعداء كثير من الدول والحركات نحو أمريكا.

مقاومة اللوبي الصهيوني

لا يمكن إنكار حقيقة العلاقة القوية بين اللوبي الصهيوني والحكومات ووسائل الإعلام الأوروبية والغربية ، وكيف أن هذه العلاقة تؤثر بشكل كبير وملموس على القضايا المتعلقة بالكيان الإسرائيلي وقضايا الشرق الأوسط.

ولكن هذا لا يعني أن جميع تلك المجتمعات تخضع لضغط أو تأثير اللوبي الصهيوني، فهناك أيضا جهات مستقلة ومحايدة وناقدة تحاول تقديم صورة موضوعية ومتوازنة للواقع.

بعض الشواهد على مقاومة الشعوب الغربية للحد من نفوذ اللوبي الصهيوني

- بعض السياسيين والمفكرين والنشطاء في الدول الغربية يتحدّون الضغوط والتهديدات من اللوبي الصهيوني وينتقدون سياسات "إسرائيل" ويطالبون بحقوق الفلسطينيين، مثل جيرمي كوربن وإلهان عمر ونورمان فينكلشتاين.
- حركة المقاطعة والانسحاب والعقوبات (BDS) هي حركة عالمية تهدف إلى مقاطعة "إسرائيل" اقتصاديا وثقافيا وأكاديميا حتى تلتزم بالقانون الدولي وتحترم حقوق الفلسطينيين. هذه الحركة تحظى بدعم من مئات المنظمات والشخصيات في مختلف أنحاء العالم.
- بعض المجتمعات المسلمة والعربية في الغرب تنظم مظاهرات وفعاليات لإظهار تضامنها مع القضية الفلسطينية ولإثارة الوعي بالظلم الذي يتعرض له الفلسطينيون.
- في بريطانيا، شارك عشرات الآلاف من المتظاهرين في مسيرة وسط لندن يوم 22 مايو/أيار 2021، حاملين أعلام فلسطين ولافتات تطالب بحق فلسطين في الحرية والعدالة. كما ندد المتظاهرون بما اعتبروه تواطؤًا من الحكومة البريطانية مع إسرائيل في جرائمها ضد المدنيين الفلسطينيين.
- في ألمانيا، خرج المئات من المتظاهرون في عدة مدن، من بينها برلين وفرانكفورت ولايبزيغ يوم 22 مايو/أيار 2021، رافعين أعلام فلسطين ولافتات كتب عليها "فلسطين حرة". كما طالب المتظاهرون الحكومات الغربية بعدم الانحياز للاحتلال الإسرائيلي.
- في فرنسا، طالب متظاهرون في باريس يوم 22 مايو/أيار 2021، الحكومة الفرنسية ودول الاتحاد الأوروبي بوقف جميع أشكال التعاون العسكري مع "إسرائيل"، والامتناع عن بيعها الأسلحة التي تستخدم في قمع الشعب الفلسطيني. كما طالبوا بالكف عن التغاضي عن الجرائم التي ترتكبها قوات الاحتلال في الأراضي الفلسطينية.
- في بلغاريا، شارك آلاف المتظاهرون في مسيرة في صوفيا يوم 22 مايو/أيار

2021، تضامنًا مع الشعب الفلسطيني، وتنديدًا بالقصف الإسرائيلي على قطاع غزة. كما رفع المتظاهرون شعارات تندد بعمليات القمع ضد المدنيين في القدس وقطاع غزة واستهداف قوات الاحتلال مكاتب إعلامية.

المصـــــادر:

(1) نص كلمة قائد الثورة في ذكرى استشهاد الإمام زيد عليه السلام – سبأ نت
https://www.saba.ye/ar/news3257538.htm

(2) اللوبي الصهيوني والهيمنة على الغرب.. بدايات السيطرة وحدود التأثير والنفوذ – صحيفة الثورة https://althawrah.ye/archives/820622

(3) دور الصهيونية والافتراق اليهودي العربي المغربي | الجزيرة نت.
https://tg.pe/iV3

(4) اللوبي الصهيوني في مصر- محمد طلبة رضوان https://tg.pe/X3R

(5) د. سمير غطاس :اللوبى الصهيونى بين الحقيقة والأسطورة
https://tinyurl.com/2965fl2x

(6) اللوبي الصهيوني... والمصالح القومية الأميركية - صحيفة الاتحاد.
https://tinyurl.com/28rvt5bb

(7) ملف اللوبي الصهيوني على نون بوست
/https://www.noonpost.com/content/8017

(8) د. محمود ميعاري : اللوبي الصهيوني في أميركا
https://tinyurl.com/2c9tx5dm

(9) نص الدرس الرابع للسيد عبدالملك بدرالدين الحوثي من وصية الإمام علي لابنه الحسن – سبأ نت https://www.saba.ye/ar/news3247856.htm

(10) نص كلمة قائد الثورة في الذكرى السنوية للشهيد القائد – سبأ نت2022م
https://www.saba.ye/ar/news3177165.htm

(11) كيف يسيطر اللوبي الصهيوني على السياسة الأميركية؟ | الجزيرة نت
https://tinyurl.com/2d83jhr3

(12) من يجرؤ على الكلام : الشعب والمؤسسات في مواجهة اللوبي الصهيوني
https://arabtf.uk/posts/55539

(13) لماذا يتمتع اللوبى اليهودى بكل هذا النفوذ داخل أمريكا؟
https://tg.pe/g8g

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

SABA
SABA.YE

تجربة الهدنة
في اليمن خلال عام
(مارس 2022م - مارس 2023م)

مركز البحوث والمعلومات

أنس القاضي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

ملخص

بدأت الهدنة فعلياً في نيسان إبريل 2022م ثم جُددت مرة ثانية، وانتهت رسمياً في تشرين أكتوبر 2022م، إلا أنها استمرت بحكم الأمر الواقع حتى نهاية آذار مارس 2023م، تتناول المادة تجربة الهدنة خلال عام من بداية المساعي الفعلية في آذار مارس 2022م حتى آذار مارس 2023م، ورغم أن وقت كتابة التقرير آب أغسطس 2023م، إلا أن العملية السياسية لم تتجاوز آخر نقطة للدراسة وهي آذار مارس من هذا العام، إذ لا تزال حالة "اللا حرب واللاسلم" هي السائدة حتى اليوم.

*

كانت الهدنة موقفاً اضطرارياً في مسار الحرب العدوانية على اليمن، حيث فشل التحالف السعودي الإماراتي الغربي، طوال سبعة أعوام من تحقيق أهدافه المعلنة، وتحولت اليمن من موقف الدفاع إلى الهجوم التي تجسدت في "عمليات الردع"؛ فهي تعبير عن وصول العدوان العسكري إلى أفق مسدود.

برزت الهدنة بوصفها مسعى سياسي لتجنّب تحمّل تداعيات إعلان الفشل العسكري لتحالف العدوان، إلا أن التجربة أثبتت أن تحالف العدوان-الذي بات له مصالح استعمارية في الجغرافيا اليمنية- غير جاد في تحويل الهدنة إلى سلام عادل.

ارتبطت الهدنة بخطوات تمهيدية أبرزها إزاحة السعودية لعلي محسن الأحمر وعبده ربه منصور هادي من السلطة (المعترف بها دوليا)، ومحاولة توحيد القوى التابعة لدول التحالف المعتدية الفاعلة على الأرض التي جُمعت فيما سُمّي بـ"مجلس القيادة الرئاسي" الذي هو مجلس تنسيق أمراء ميليشيات على رأسه رشاد العليمي.

*

شهد مطلع العام الراهن كانون ثاني يناير - (2023م)- حراكاً سياسياً عاصفاً من مختلف الأطراف؛ فقد كان هناك تقدماً في الجهود التي تبذلها سلطنة عمان في تقريب وجهات النظر بين صنعاء والرياض، كما ظهرت تسريبات إعلامية عن وصول السفير السعودي إلى صنعاء، تزامنت مع نشر قناة "الحدث" مبادئ عامة لتجديد الهدنة متعلقة بالجوانب الإنسانية.

في الربع الأول من كانون ثاني يناير الماضي(2023م)، شهدت دول العدوان والفصائل المحلية الموالية لها حالة نفير، مع تواتر الحديث عن مباحثات مباشرة بين صنعاء والرياض تجري برعاية مسقط.

ظهرت خلال هذه الفترة نبرة خطاب روسي جديد أكثر واقعية في تأكيدها على ضرورة الاستماع إلى صنعاء وعدم تخطيهم، وكذلك الإشارة الروسية إلى اهتمام الغرب بإعادة تصدير النفط والغاز اليمني لا تحقيق السلام في اليمن.

استمرت الهدنة بحكم الأمر الواقع دون تجديدها، لتأتي اتفاقية إعادة العلاقات بين السعودية وإيران، وتفتح الآمال مجدداً في أن يحدث تقدم في الملف اليمني، كتأثير إيجابي للاتفاقية السعودية الإيرانية، وافترض المتابعون أن الملف اليمني محكاً لاختبار فاعلية هذه الاتفاقية، وهو ما اتفق عليه الباحثون المهتمون بالشأن اليمني في مختلف المراكز البحثية العالمية.

لعبت سلطنة عمان دوراً إيجابياً في سبيل التوصل إلى الهدنة، انطلاقا من سياستها الخارجية غير العدوانية، ولكون أمن اليمن واستقراره أمر بالغة الأهمية بالنسبة لها، لعلاقة التأثير والتأثر التاريخية بين البلدين، ولا تزال تدفع في هذا المسار الإيجابي.

*

في 20 آذار مارس2023م، أنجزت خطوة إلى الأمام في المسار السياسي، باتفاقية تبادل الأسرى-الجزئية- التي تم التوصل إليها في جنيف بين كل من ممثلي صنعاء والرياض وحكومة العليمي في "عدن"، إلا أن الوقت التي استغرقته المباحثات (10 أيام) أشار إلى تعقّد الملف اليمني وأنه لن يُحل بسهولة حتى مع وجود دعم إقليمي لتوجهات السلام.

في كل جولات المفاوضات، والمبادرات التي قدمتها القوى الوطنية اليمنية كان هناك معوقات من قبل الطرف الآخر ممثلاً بدول تحالف العدوان وبشكل أخص دول الرباعية (أمريكا،بريطانيا،السعودية،الإمارات)، وكان هناك أيضاً إعاقات من قبل الحكومة الموالية للتحالف وفصائل العدوان المختلفة، وواقعياً فهناك خلافات بين الأطراف اليمنية عموماً طرف "صنعاء" وطرف "عدن" الموالي "للتحالف" وخلافات سياسية يمنية عامة مستمرة منذ مؤتمر الحوار الوطني الشامل 2013م، إلا أن البعد

الأجنبي ظل هو العامل الحاسم في إعاقة تحقيق سلام عادل لكل اليمنيين.

البعد السياسي المتعلق بالمصالح الجيوسياسية لدول رباعية العدوان يجعلها تقف كل مرة ضد مساعي السلام- ما دام لا يخدمها-، حيث تسعى دول الرباعية إلى إخضاع السيادة اليمنية، وأن تكون هناك حكومة ضعيفة تمتلك قرارها السفارات الأربع، بالطريقة ذاتها التي كانت عليها اليمن قبل عام 2015م، وهي الطريقة التي يتعاملون بها مع الحكومة الراهنة في عدن التابعة لهم، التي لا تملك القرار، وتخضع لرغبات دول "التحالف" وهذا مُعطى تاريخي دلائله كثيرة، تؤكده الكثير من التصريحات على لسان وزراء في الحكومة الموالية للتحالف وشخصيات وأحزاب سياسية مؤيدة للتحالف.

الموقف السياسي الاستراتيجي لدول الرباعية العدوانية هو المعيق للعملية السياسية اليمنية بما فيها عملية السلام، وتحت هذا الموقف تندرج الكثير من المعوقات التكتيكية، التي اتضحت خلال تجربة 8 أعوام من الحرب والسياسية، وقد كان التشديد على تجزئة الحلول أحد الأساليب المتبعة من قبل قوى العدوان في مختلف جولات المشاورات.

من هذه الإعاقات الجزئية، نفي الطابع الدولي للحرب بين اليمن من جهة وبين السعودية والإمارات من جهة أخرى -بدعم غربي-، إلغاء هذا الطابع الدولي للحرب يصعب عملية التوصل على السلام، فالطرف الرئيس في الحرب صاحب القوة والقرار بعيد عن طاولة المفاوضات وينكر انخراطه في هذه الحرب، ويدفع بالحكومة التابعة التي لا تملك قرار إيقاف الحرب أو رفع الحصار.

استمرار الحرب العدوانية الأجنبية، وبقاء حكومة العليمي دُمية في يد التحالف يعيق توصل الأطراف اليمنية إلى السلام؛ فاليمنيون مستعدون لتقديم التنازلات البينية وحل قضاياهم الداخلية وعملياً جاء التدخل العسكري العدواني واليمنيون يجرون مشاورات سياسية مثمرة كادت تصل إلى حل تاريخي لولا التدخل العسكري كما شهد بذلك جمال بن عمر مستشار الأمين العام للأمم المتحدة الذي كان يرعى هذه المشاورات.

تصورات الحل الواقعية، تتمثل في تشكيل حكومة وطنية من مختلف الأطراف، وكذلك مجلس رئاسي، وجمعية عامة، تكون بمثابة سلطة انتقالية تعمل على تطبيق مخرجات الحوار اليمني المتوافق عليها واتفاق السلم والشراكة الوطنية وإصلاح مسار

التوافق الوطني، وهناك إجماع عليها من قبل القوى السياسية اليمنية المشاركة في مؤتمر الحوار الوطني الشامل، وحتى من لا تريدها لا تستطيع التصريح بذلك، وهذا الأساس التوافقي لطبيعة السلام ومستقبل البلد يعد مكسبا ويفتقر إليه في السودان وسوريا وليبيا ما يجعل العملية السياسية لديهم أكثر تعقيداً، لكن الإرادة الأجنبية تحبط التوصل إلى مثل هذه الحلول.

عدم حيادية المبعوثين الأمميين على اليمن والتأثير عليهم من قبل دول الرباعية كان إحدى الإعاقات أمام السلام، ويعد المبعوث إسماعيل ولد الشيخ نموذجاً لذلك، ومن ضمن إعاقات السلام، محاولة دول التحالف تحقيق الأهداف التي عجز عنها عسكرياً عبر المفاوضات والسياسة.

ومن التعقيدات أمام السلام على المستوى المحلي تفكك المعسكر المناهض لصنعاء، وتضارب اهتماماتهم الضيقة ومصالحهم، وخضوعهم للصراع التنافسي السعودي الإماراتي، فوصلوا درجة الصدام العسكري البيني أكثر من مرة في المحافظات الجنوبية والشرقية، هذه المسألة تقف حجر عثرة على المستوى الداخلي.

في تجربة الهدنة الراهنة، من الملاحظ أن دول الرباعية وحكومة العليمي الموالية للتحالف، يتعاملون مع الهدنة بطابع مزدوج، فمن جهة يريدون الهدنة، فهي احتياج موضوعي لعجزهم عن الاستمرار في الحرب، ومن جهة أخرى فلا تريد دول العدوان والفصائل الموالية لها لتأكيد على حقائق الواقع والجنوح للسلام العادل، وتجد هذه الأطراف في الهدنة فرصة للتهرب من الالتزامات وتعليق الوضع في اليمن بين "اللاحرب واللاسلم" أملاً في كسب الوقت.

في مواجهة هذه السياسة المعيقة للسلام، تتمسك القوى الوطنية في صنعاء، بموقف فصل القضايا الإنسانية عن الملفات السياسية والعسكرية، والبدء بإنجاز الخطوات الإنسانية، من أجل دخول المفاوضات حول الحل الشامل بجدية وندية بدون ضغوط اقتصادية وإنسانية.

طوال هذه الفترة لم تنقطع صلة المباحثات بين صنعاء والرياض في مسقط ويعد فتح ميناء الحديدة أمام الحركة التجارية، مؤشراً إيجابياً على تواصل

وجود تقدم في هذا المسار، إلا أن صنعاء تتهم الولايات المتحدة بإعاقة المباحثات، كما تشترط رحيل القوات الأجنبية من اليمن كأولوية للسلام، ولازالت العراقيل مستمرة على مطار صنعاء الدولي، ويأمل اليمنيون أن تلعب اتفاقية استعادة العلاقات الدبلوماسية بين كل من السعودية وإيران دوراً محفزاً للعملية السياسية في اليمن، مع الرفض الأكيد لاستمرار وضع "اللا حرب واللاسلم" المؤثر على الواقع الاجتماعي الاقتصادي الداخلي، والاستعداد إلى العودة لنقطة الصفر، إن لم يتم التقدم خطوة إلى الأمام في العملية السياسية وقبل ذلك رفع الضغوط الإنسانية والحرب الاقتصادية المستمرة.

خلفية الهدنة مارس 2022م

في 29 آذار مارس 2022م التقى رئيس الوفد الوطني محمد عبد السلام بالمبعوث الأممي هانس غروندبرغ، في مسقط، لاستكمال النقاشات حول مقترح الهدنة الإنسانية والعسكرية برعاية الأمم المتحدة، كما صرح رئيس الوفد الوطني حينها.

في نفس اليوم انعقدت الجولة الثانية من مشاورات الفصائل الموالية لتحالف العدوان في الرياض، وكان من الملاحظ غياب عبده ربه منصور هادي وعلي محسن الأحمر، وحضور قوى جديدة منافسة كـ"المجلس الانتقالي الجنوبي" برئاسة عيدروس الزبيدي وما تُسمّى بـ"المقاومة الوطنية" برئاسة طارق صالح.

في ليلة 30 آذار مارس 2022م أعلنت السعودية التي تتزعم العدوان وقف العمليات العسكرية في الداخل اليمني "تهيئة لجهود السلام"، دون رفع الحصار، ومساء ذلك اليوم انتهت مبادرة رئيس الجلس السياسي الأعلى في صنعاء مهدي المشاط التي أطلقها في ذكرى اليوم الوطني للصمود 26 آذار مارس 2022م والذي أكد فيها أنه لا سلام بدون رفع الحصار.

يومها رحبت الأمم المتحدة، بـ"الإعلانات التي صدرت من قبل التحالف بقيادة السعودية وأنصار الله بوقف العمليات العسكرية مؤقتاً في اليمن"، فيما قال المبعوث الأممي إنه على مدار أكثر من شهرين، كان على تواصل مع الأطراف للوصول إلى

هدنة مع بداية شهر رمضان، وهناك تقدماً في هذا الصدد يتضمن مقترح الهدنة تخفيف حدة أزمة الوقود وتيسير حرية الحركة والتنقل.

في 12 نيسان إبريل 2022م التقى الرئيس المشاط بالمبعوث الأممي، وفي اللقاء طالب المشاط المبعوث الأممي أن يعمل على سرعة فتح مطار صنعاء الدولي وموانئ الحديدة ورفع الحصار، وفي لقاء المبعوث مع اللجنة الاقتصادية تم مناقشة إنهاء قضية الانقسام بين بنك صنعاء وعدن وصرف مرتبات الموظفين المنقطعة منذ أيلول سبتمبر 2016م.

وفي لقاء المبعوث مع لجنة الأسرى جددت اللجنة استعدادها لتنفيذ اتفاق تبادل كلي للأسرى.

في 13 نيسان 2022م إبريل اختتم المبعوث الأممي زيارته إلى صنعاء، وكان قد التقى فيها بقيادة الدولة ومكتب الأمم المتحدة، تناولت الجوانب العسكرية والاقتصادية والانسانية بما فيها مطار صنعاء وميناء الحديدة وفتح معابر تعز.

ونقل الإعلام الموالي للتحالف العدواني عن هذه الزيارة تكهنات وبعضها معلومات معلنة اعتبرها من مصادر خاصة، وسعى هذا الإعلام إلى توجيهها سياسياً بما يوحي أن السلطة الوطنية في صنعاء تطرح مطالب تعجيزية أو مصالح فئوية خاصة لأنصار الله. وبالتزامن مع وجود المبعوث الأممي في صنعاء، بعثت منظمات مجتمع مدني تابعة لحزب الإصلاح رسائل إلى المبعوث الأممي للضغط على صنعاء في ملفات "خرائط الألغام"، "المعتقلين"، حد تعبيرهم.

وفي سياق متصل حينها أصدر مجلس الأمن بياناً أشاد فيه بتشكيل ما يُسمّى بـ"مجلس القيادة الرئاسي اليمني"، وحث صنعاء على التعاون مع جهود المبعوث الأممي في نجاح الهدنة.

في 14 نيسان إبريل 2022م قال المبعوث الأممي الخاص "هانس غروندبرغ" في إحاطته إلى مجلس الأمن إن الهدنة صامدة إلى حد كبير إلا أن التقارير المتواترة حول عمليات عسكرية خاصة حول مأرب مقلقة ويجب معالجتها بشكل عاجل وفق الآليات التي أسستها الهدنة.

وأضاف: أود أن أذكّر الأطراف بأن المبدأ الأساسي للهدنة يتمثل في ضرورة استغلال

المهلة التي تمنحها لإحراز التقدم نحو إنهاء الحرب، وليس لتصعيدها. وأشار إلى أنه منذ بدء الهدنة، انخفض العنف وعدد الضحايا المدنيين إلى حد كبير ولم تحدث ضربات جوية مؤكدة داخل اليمن ولا عبر حدوده من داخل اليمن إلى دول المنطقة.

ولفت إلى أن الهدنة ما زالت هشة ومؤقتة، مشدداً على ضرورة العمل بشكل جماعي ومكثف للحيلولة دون انهيارها، وأخبر المجلس أن عدداً من السفن دخلت موانئ الحديدة مما كان له أثر إيجابي في حياة المدنيين، مشيراً إلى أن الوصول إلى اتفاق لفتح طرق في تعز هو أولوية.

كما أخبر المجلس أنه سيعمل مع الأطراف للبناء على عناصر الهدنة سعياً لإدامتها، وكجزء من العملية متعددة المسارات.

واختتم إحاطته بالإشارة إلى أن الأسابيع القادمة ستختبر التزامات الأطراف، مؤكداً أنه قد حان الوقت الآن لبناء الثقة، وليس ذلك بالأمر السهل بعد سبع سنوات من النزاع.

في 23 نيسان إبريل 2022م زار وفد من سلطنة عمان صنعاء للقاء القيادة السياسية ضمن موضوع الهدنة المعلنة والسعي نحو إيجاد حل شامل، الزيارة العمانية أعطت إشارة إيجابية إلا أن أقصى ما كان يستطيع وفد السلطنة عمله هو نقل الرسائل فيما الإرادة الحقيقية للحل في يد "الرياض"، ولم تظهر الرياض حينها جدية في الهدنة فقد استمرت عمليات احتجاز السفن وكذلك إغلاق مطار صنعاء، كما أن الخطاب الإعلامي لهذا الطرف استمر في لهجته العدائية، منها الحديث يومها عن ضبط أسلحة في منفذ شحن بين محافظة المهرة وسلطنة عمان، بالتزامن مع الزيارة العمانية.

من جانب آخر جدد المجلس الموالي للتحالف -حينها- التزامه بالهدنة التي أعلنت عنها الأمم المتحدة، ولكن واقعيا لم يلتزم بها إذ أصرّ على رفض جوازات السفر الصادرة من صنعاء الأمر الذي عرقل انطلاق أول رحلة من مطار صنعاء الدولي، كما كان مخططاً لها.

ومن المجريات تبين أن دول الرباعية العدوانية ظلت متمسكة باستراتيجية التفاوض وصنعاء تحت الضغط، وعدم تحييد الملف الإنساني عن ملفات الصراع.

في 24 نيسان إبريل 2022م أعاقت حكومة العليمي الموالية للتحالف تنفيذ بند الهدنة المتعلق بفتح مطار صنعاء في رحلة أولية إلى الأردن، ثم تنازلوا لاحقاً عن ذلك بضغط أمريكي حين كادت الهدنة تسقط.

في 28 نيسان إبريل 2022م أكد المبعوث الأممي أن الأطراف لا تزال متمسكة بالهدنة، ومواصلته الدفع نحو فتح معابر تعز ومحافظات أخرى دون الإشارة إلى مطار صنعاء الدولي.

من جانبه أشاد -حينها- وزير الخارجية الأمريكية بالتعاون العماني في سبيل حل أزمات المنطقة، فيما تحدثت مصادر أخرى أن الوسطاء الإقليميين والأمم المتحدة حصلوا حينها على موافقة أولية "من طرفي الحرب" بتمديد الهدنة التي يفترض أن تنتهي بداية شهر أكتوبر-وهوما لم يحدث-، مشيرا إلى ما أسماه بمواصلة الأطراف النقاش حول جوازات السفر الصادرة من صنعاء.

في سياق متصل اختتم حينها رئيس البعثة الأممية لدعم اتفاق الحديدة، مايكل بيري، زيارة إلى السعودية والأردن استمرت أسبوعاً.

ورأت المصادر الأجنبية حينها أن المملكة السعودية تستخدم فترة الهدنة لمحاولة إعادة تشكيل تدخلها العسكري أو على الأقل لإعطاء الانطباع بأنها تفعل ذلك، بعد نفاذ خياراتها في مواجهة الجيش واللجان الشعبية.

وحد قولهم يريد السعوديون -الآن- التمسك بالنهج الأمني والتركيز على الدفاع عن حدودهم وعدم الاهتمام بالاعتبارات الأيديولوجية لجذب صنعاء إلى طاولة المفاوضات.

صيانة الهـــدنة

في 10 آيار مايو2022م وصل المبعوث الأممي هانس غروندبرغ إلى محافظة عدن، من أجل صيانة الهدنة التي كادت تنقضي مدتها الزمنية دون تطبيق بنودها، وشدد المبعوث على التنفيذ الكامل للهدنة دون انتقائية، تحدثت حينها مصادر عن وجود توافق بين صنعاء وعدن على تمديد الهدنة، وأشارت حينها كثير من المصادر إلى أن الإشكالية هي في مكان إصدار جوازات السفر.

فيما اعتقد المبعوث الأمريكي حينها أنه أمام اليمن فرصة مثالية لأول مرة لتحقيق

السلام"، منذ اندلاع النزاع عام 2014م. ورغم ذلك فقد تمسك المبعوث الأمريكي بدعم الحكومة الموالية للتحالف والحديث عن "التدخلات الإيرانية" حد تعبيره.

في 12 آيار مايو2022م اختتم المبعوث الأممي زيارة لمدينة عدن استمرت يومين، التقى خلالها برشاد العليمي ومعين عبدالملك وطارق صالح، وفي ذلك السياق وحتى بعد مغادرة المبعوث الأممي عدن استمرت الاتصالات بين المبعوث ومعين عبدالملك رئيس الحكومة الموالية للتحالف، وكذلك تعليقات من قبل السفير الأمريكي السابق.

ومن الجو العام -حينها- أمكن القول أن المبعوث الأممي لم يكن سوى وسيطاً ونائباً للمبعوث الأمريكي، حيث أظهرت التصريحات الأمريكية -حينها- أنهم صاحب الفصل في المسألة.

أول رحلة جوية في تاريخ الهدنة

في 16 آيار مايو2022م انطلقت أول رحلة من مطار صنعاء الدولي إلى الأردن، رحب بها المبعوث الأممي، والاتحاد الأوربي، والولايات المتحدة، والمتحدثة باسم مجلس الأمن.

في 21 آيار مايو2022م التقى نائب وزير الدفاع السعودي بالمبعوث الأمريكي في واشنطن، لبحث مستجدات الهدنة في اليمن، وإن كان ظاهر الحديث عن السلام ودعم الهدنة وفتح معابر تعز وغيرها، إلا أن الزيارة لم تخلوا من جانب عسكري عدواني.

في 22 آيار مايو2022م ألقى الرئيس المشاط خطاباً بمناسبة الوحدة بالتزامن مع التحركات السياسية، أكد المشاط، "الحرص على السلام الحقيقي والدائم الذي يرتكز على المطالب الأساسية العامة والمتمثلة في الإنهاء الكلي للعدوان والحصار والاحتلال وإعادة الإعمار ومعالجة كافة آثار وتداعيات الحرب العدوانية".

وقال: "نرحب بكل الجهود الخيرة التي تصب في هذا الاتجاه، وندرك أن عملية السلام تحتاج إلى تدرج ومسارات عمل متعددة، ونعيد كل أسباب إطالة أمد الحرب إلى تصورات تحالف العدوان الخاطئة وإلى الموقف الدولي المنحاز لدول العدوان والذي يندرج بشكل أو بآخر ضمن أسباب إطالة أمد الحرب".

خطاب المشاط أعاد تحرك العملية السياسية مجددا، ففي 26 آيار مايو2022م بدأت

أولى جولات المفاوضات بين وفد صنعاء ووفد "عدن"، فيما يتعلق بالمنافذ، المغلقة، وحسب تصريح المبعوث الأممي فإن فتح الطرق في تعز وغيرها من المناطق عنصراً جوهرياً من الهدنة.

كان حديث المبعوث عن المنافذ بصيغة الجمع أمر إيجابي يتوافق، فيما قال رئيس وفد حكومة العليمي أنه لا خيار سوى فتح طرق محافظة تعز على اعتبار أن الحكومة في عدن نفذت كل شروط ومطالب صنعاء".

فيما حث المبعوث الأمريكي صنعاء والحكومة التابعة للتحالف على الانخراط بشكل بناء في اجتماعات الأمم المتحدة لفتح الطرق نحو تعز..

تجربة الهدنة إبريل- 2022م

ارتبطت الهدنة بخطوات تمهيدية أبرزها إزاحة السعودية لعلي محسن الأحمر وهادي من السلطة، ومحاولة توحيد أتباعها من الفصائل العسكرية الفاعلة على الأرض فيما سُمّي بـ"مجلس القيادة الرئاسي".

من حيث طبيعتها فالهدنة تفتقر الإلزامية والضمانة فهي توافقات مبدئية لا اتفاقيات ثنائية، وبهذه الطريقة تتعامل السعودية مع الهدنة وتبرر خروقاتها، إذ لا تريد أن توقع اتفاق هدنة ملزم بدون ضمان استمرار مشاريعها وضمان ما تعتقد أنه مصالحها، فالسعودية تؤجل الحديث عن القضايا الجادة التي تهمها إلى وقت لاحق وكل خطوة ستقدم عليها تجاه السلام تريد مقابلها وخاصة من قبل صنعاء، فموافقتها على الهدنة لا يعني وصولها لقناعة أن السلام يجب أن يحل في اليمن فبقدر ما شعرت بضرورة الهدنة لتجنب العمليات الرادعة فهي تريد توحيد مرتزقتها وكسب مزيد من الوقت للتفاوض مستقبلاً حول القضايا الخاصة، كما أنها تريد ربط ذلك بالملف الإيراني كجزء من تسوية إقليمية تضمن فيها أمنها.

مسار الهدنة خلال أول شهرين من العام 2022م لم يمضِ كما يفترض، فقد تم إعاقة أهم بنوده وهي فتح مطار صنعاء الذي تأخر فتحه واقتصرت وجهاته على الأردن فيما لم تنطلق الرحلات إلى القاهرة كما كان مفترضاً، وفي سياق دخول شحنات النفط إلى ميناء الحديدة فقد تعمد التحالف طوال تلك الفترة(نيسان إبريل-أيلول سبتمبر) أن يفرض حالة الحصار جزئية وعرقلة وصول الإمدادات الغذائية والنفطية.

في ملف فتح المعابر، أصرّ وفد حكومة العليمي على فتح معبر الحوبان تعز فقط، ورفض أن يكون هناك حلاً شاملاً لكافة المنافذ في اليمن، بما فيها طرق تعز عدن، تعز صنعاء، تعز الحديدة، الضالع صنعاء إب وغيرها.

ملف الأسرى هو الآخر لم يجرِ فيه تقدم، فيما هو ملف إنساني بالدرجة الأولى فقد رفض تحالف العدوان في فترة (نيسان إبريل-أيلول سبتمبر) المضي في هذا المسار الإنساني.

قبل أيام من نهاية الهدنة في أيلول سبتمبر 2022م صرح رئيس اللجنة الوطنية

لشؤون الأسرى، عبدالقادر المرتضى: إن "ملف الأسرى يشهد جمودا شبه كامل على المستويين المحلي والدولي منذ بداية الهدنة الأممية" مؤكداً أن "تحالف العدوان والمرتزِقة لا زالوا متعنتين في موقفهم رغم توقيع اتفاق لتبادل أكثر من 2200 أسير من الطرفين في مارس الماضي"(1).

وكان من المقرر أن يتم التقدم في تنفيذ الاتفاق الموقع في مارس بشكل سريع من خلال تسليم كشوفات الأسماء للأمم المتحدة نهاية الشهر نفسه، والترتيب لإجراء عملية التبادل، لكن تحالف العدوان والفصائل الموالية له لم يسلموا كشوفاتهم.

ومنذ إعلان اتفاق الهدنة مطلع نيسان أبريل، طالبت اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى الأمم المتحدة ومبعوثها أكثر من مرة باستغلال التهدئة لتنفيذ الاتفاق، لكن لم تكن هناك استجابة أممية، وهو ما كشف تواطؤاً واضحاً بين المنظمة الدولية وتحالف العدوان.

وبرغم ذلك، قدمت اللجنة للأمم المتحدة عرضاً آخر يتضمن الإفراج عن 200 أسير من كل طرف قبل عيد الفطر الماضي، لكن تم تجاهل العرض، وحاول النظام السعودي الالتفاف عليه، من خلال إعلان "مبادرة" زعمت الإفراج عن عدد من الأسرى، ليتضح لاحقاً أن من تم الإفراج عنهم معتقلين غير معروفين وعمال يمنيين مغتربين وأشخاص من جنسيات أجنبية.

وأكد رئيس اللجنة في تصريحاته الأخيرة أن "مرتزِقة العدوان أفشلوا كل الجهود التي رعتها الأمم المتحدة لإنجاح الاتفاق والتي كان آخرها عقد جولة مفاوضات قبل شهر في الأردن".

وفي بداية آب أغسطس 2022م، عقدت جولة مفاوضات حول ملف الأسرى في العاصمة الأردنية عمان، لكن نتائجها لم تكن إيجابية؛ بسببِ رفض الطرف الأخر تقديم كشوفات الأسماء، ورفضهم تنفيذ الخطوات التي تم التوافق عليها خلال الجولة للتحقق من هوِية الأسماء المختلف عليها.

1) أنصارالله نت،" تعنُّتُ العدوّ في مِلف الأسرى يكشفُ زيفَ دعاياته عن التهدئة والسلام"، (19 سبتمبر 2022م) متوفر على الرابط: https://www.ansarollah.com/

المحفزات الإقليمية ودور سلطنة عمان

في شهر كانون ثاني يناير 2023م قالت الخارجية الإيرانية إن بلادها وسلطنة عمان لديهما رؤية سياسية مشتركة لحل الأزمة اليمنية المستمرة منذ ثماني سنوات.

التصريح هو الأول من نوعه الذي أتى بصيغة "لدينا رؤية"، فغالباً ما كانت التصريحات الإيرانية بشأن اليمن من قبيل ندعم حقوق الشعب اليمني، وندعو للحل السياسي.

لعبت عُمان دوراً في التوسط ما بين طهران والرياض، ففي زيارته الأخيرة قال وزير الخارجية الإيراني إن سلطنة عمان هي مركز الحوار الإقليمي حول مختلف القضايا، سواء في ما يتعلق بإيران أو الأزمات الإقليمية.

الخارجية الإيرانية أوضحت حينها أن محادثات وزير الخارجية في خلال زيارته الأخيرة إلى مسقط كانت جيدة.

في ذات السياق، وفي إطار تنصيب الرئيس البرازيلي اليساري الجديد "لولا دا سيلفا"، التقى مساعد الرئيس الإيراني بوزير الخارجية السعودي، وشددا على ضرورة استمرار المحادثات التي بدأت بين طهران والرياض في العراق وأهمية مناقشة الأوضاع والاهتمامات القائمة الواحدة تلو الأخرى، ولعب هذا اللقاء دفعة.

مثّل التصريح حينها اختراقاً للسطح السياسي الذي كان قد تجمد، فهو الجديد على الصعيد السياسي، فيما الخطاب السياسي التي ترعاه الأمم المتحدة، لازال عند عقد تمديد الهدنة.

في ظل الحديث عن وجود مباحثات ثنائية بين الوفد الوطني والسعودية في مسقط، بعيداً عن الأمم المتحدة، حذرت "مجموعة الأزمات الدولية" من تداعيات المحادثات وقالت إنها لن توقف الحرب، بل قد تؤدي إلى انهيار شامل للأوضاع وتجدد القتال.

عبرت "المجموعة" عن وجهة النظر الغربية والأوربية بشكل أخص، فالأوروبيون لا يريدون حل المسألة بين صنعاء والرياض، إذ أن ذلك يضعف المركز السياسي "لمجلس القيادة" الموالي للتحالف، فيما هم استثمروا في هذه الحكومة وقدموا لها الدعم، مقابل

أن تتيح لهم نهب الثروات النفطية وقواعد عسكرية وغيرها من المطامع الاستعمارية.

افترضت "مجموعة الأزمات" أن لا شرعية لأي مباحثات خارج الأمم المتحدة، وهذا الاستنتاج غير صحيح، فالمبعوث الأممي مهمته هي تيسير المفاوضات بين الأطراف اليمنية وتقريب وجهات النظر أي القيام بدور الوسيط، وهذا ما ورد في قرارات مجلس الأمن التي يتمسك بها الطرف الموالي للتحالف.

في تلك الفترة أعاق الكونجرس الأمريكي مشروع القانون الذي تقدم به السيناتور اليساري "بيرني ساندرز"، بإلزام الإدارة الأمريكية بإيقاف دعم الحرب الامريكية في اليمن، إذ ضغطوا عليه حتى سحبه، بحجة أنه سيعيق العمل الدبلوماسي.

تجربة الهدنة في العام 2023م

حِراك أمريكي أوروبي معادي للسلام

في الربع الأول من ذاك الشهر (كانون ثاني يناير 2023م) شهدت قوى العدوان حالة نفير، مع تواتر الحديث عن مباحثات مباشرة بين صنعاء والرياض تجري برعاية مسقط، خصوصاً بعد وصول وفد من سلطنة عمان إلى صنعاء في 10 كانون ثاني يناير 2023م، وكان القصد من هذه التحركات إحباط أي مساعي سلام لا تشركهم في الهيمنة على مستقبل اليمن، ففي 11 كانون ثاني يناير 2023م ظهر كل من الأمريكي والبريطاني والفرنسي، والمبعوث الأممي في ذات الوقت بنبرة حديث موحدة.

حينها استقبل وزير الخارجية العماني المبعوث الأممي الذي زار السلطنة، ووفق الوكالة فإنه تم خلال المقابلة تبادل وجهات النظر حول المساعي المبذولة لتحقيق السلام في اليمن.

جاءت الزيارة ضمن توصيات تقرير "مجموعة الأزمات الدولية" أواخر شهر كانون أول ديسمبر 2022م (2) الذي حث الأمم المتحدة على إثبات حضورها والتأكد من أن أي

2) "اذا تمكنت صنعاء والرياض من التوصل إلى اتفاق، فإن القتال سيبقى متوقفا، لكن مثل هذا الاتفاق قد يقنع الحوثيين أيضاً بأن بإمكانهم تجنب المفاوضات مع المجلس القيادة الرئاسي، مما لا يبشر بالخير بالنسبة لآفاق الحوار الوطني الشامل.

يمثل المسار الحوثي السعودي مأزقاً محتملاً للأمم المتحدة واللاعبين الدوليين الآخرين الذين يسعون إلى إنهاء حرب اليمن.

الأمم المتحدة يجب أن تضمن أن المحادثات الحوثية السعودية تمضي قدما، ولكن مع تجريد المتمردين من فكرة أنه يمكنهم تجنب الحوار مع خصومهم، كما يجب أن يوضح أن الشرعية الدولية لجميع الأطراف تتوقف على المشاركة في المحادثات التي تقودها الأمم المتحدة.

ومع وجود تأثير ضئيل أو معدوم على مسار المحادثات بين الحوثيين والسعودية، فإن المجلس الرئاسي لديه خيار: الانتظار ورؤية ما ستسفر عنه المفاوضات أو محاولة إفشالها من خلال القيام بعمل عسكري أحادي الجانب.

مجلس القيادة الرئاسي ضعيف ومنقسم، لكنه يضم دوائر سياسية وعسكرية رئيسية. تجاهلها سيكون خطأ، في الوقت نفسه، لا يمكن للمجلس الرئاسي أن يتوقع من القوى الخارجية أن تقوم بكل عملها نيابة عنه.

لم يلتق أي مسؤول كبير في الأمم المتحدة بعبد الملك الحوثي، القائد الأعلى للجماعة، منذ عام 2020. يجب أن يسافر شخص ما إلى صنعاء، ويبقى هناك لفترة من الوقت ويلتقي بالحوثي، سعيا لإقناعه بأن الوقت قد حان لصنع السلام".

مباحثات بين صنعاء والرياض لا تأتي على حساب الحكومة الموالية للتحالف، وبشكل دقيق وكلائهم المحليين في اليمن, قبلها بيوم التقى بيوم سلطان العرادة بالسفير الفرنسي لدى اليمن.

وفي ذات اليوم التقى السفير الأمريكي بكل من عضو ما يسمى بمجلس القيادة عبد الرحمن المحرمي، وكذلك اللقاء بعيدروس الزبيدي، الذي شدد يومها على ضرورة وجود موقف دولي وإقليمي موحد ضد صنعاء.

كان واضحاً أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن أثبت الواقع فشل خيار إزاحة صنعاء، ترى أن الخيار الآخر هو ترسيخ وضع التوازنات التي تتيح لها صياغة حل سياسي قائم على أساس التقاسم والمحاصصة وهو مشروع الأقاليم منذ البداية وإن كانت مساعي إعادته اليوم على أسس تقاسم جديدة تعكس تعدد القوى على الأرض.

بعدها بأيام ظهرت الأنباء عن زيارة محتملة للمبعوث الأممي إلى صنعاء، ورفض الأخيرة لاستقبال المبعوث، وكان المبعوث يريد الوصول إلى صنعاء لتقديم تقريراً إلى مجلس الأمن الدولي، إذ حدد الإثنين المقبل-حينها- موعد جلسة مغلقة في مجلس الأمن حول التطورات في اليمن.

*

في الـ 15 من كانون ثاني يناير 2023م، غادر الوفد الوطني ووفد سلطنة عمان العاصمة صنعاء، بعد أن وصفا المناقشات أنها كانت إيجابية وشملت الترتيبات الإنسانية التي تمهّد لسلام شامل. ومنذ وصول الوفد الوطني ووفد سلطنة عمان كانت وسائل الإعلام الأجنبية تطلق التكهنات حول فحوى ما تم نقاشه.

في الغالب كادت تجزم أن هناك اتفاق مبدئي بين صنعاء والرياض، فيما انبرت وسائل إعلامية أخرى لنفي ذلك، كما ظهر خطاب إعلامي أكثر قلقاً مما يدور وهو خطاب حزب "الإصلاح"، الذي ظل يعيد خطابه القديم أن صنعاء تعيق السلام وتطرح

مجموعة الأزمات الدولية: "كيف ستنجح المفاوضات الحوثية السعودية في اليمن أو تفسده"،(29 ديسمبر 2022م) متوفر على الرابط: www.crisisgroup.org

الشروط التعجيزية، ومن جهة أخرى، تحدث أصحاب هذا الخطاب بنبرة تحذير ضمنية من أن أي تسوية لا تستوعب الجميع -وهم يقصدون أنفسهم- فإنها ستكون مدخلاً لحرب يمنية- يمنية جديدة.

نظرياً تمكنت الوساطة العمانية من إحداث اختراق في جمود العملية السياسية منذ أكتوبر من العام الماضي 2022م، في الجانب الإنساني المتعلق بتسليم رواتب كل الموظفين اليمنيين ورفع الحصار عن مطار صنعاء الدولي وميناء الحديدة وقضايا تبادل الأسرى وفتح الطرقات.

قبيل يوم من انعقاد جلسة مجلس الأمن بشأن اليمن، التقى وزير خارجية حكومة العليمي بالسفير البريطاني(حامل قلم الملف اليمني في مجلس الأمن)، كما التقى السفير الفرنسي الذي يمثل مصالح شركة توتال الاحتكارية العالمية بصورة رئيسة. في 16 من كانون ثاني يناير 2023م وصل المبعوث الأممي إلى صنعاء قادماً من عمان مع مجموعة من مساعديه، في يوم انعقاد الجلسة وبعد أن غادر الوفد العماني والوفد الوطني، وفي إحاطة رفعها إلى مجلس الأمن من صنعاء، قال: إنه أجرى مناقشات إيجابية وبناءة مع القيادة هنا في صنعاء ممثلاً لها السيد مهدي المشاط، وأنه يتطلع قدماً لمواصلة هذه المحادثات كما عدّد لقاءاته مع العليمي والرياض ومسقط.

وفي إحاطته إلى مجلس الأمن تحدث المبعوث عما يلي:

- "تواصله المستمر مع الوفد الوطني".
- "استمرار القيود المفروضة على النساء".
- "اليمنيون يحتاجون لإنهاء الحرب وليس إحاطات أممية متكررة.".
- "يخشى أن يكون 2023 عام صعب آخر لليمنيين".
- "قال إن المنظمة الدولية سجلت ثلاثة آلاف و300 حالة إعاقة لوصول المساعدات الإنسانية في اليمن خلال العام الماضي"

في جلسة مجلس الأمن، كان الملاحظ اتساع نقاط الخلاف بين الخطاب الأمريكي-البريطاني والروسي في هذه المسألة، ففيما يبدي الأمريكيون انزعاجاً من الحراك السياسي الأخير ويعيدون التذكير بعمليات منع نهب النفط، وافتراض أن انخراط

صنعاء في العملية السياسية تلاعبا (ليس بحسن نية) والحديث عن مزاعم التهريب وغيرها مطالباً أنصارالله بتغيير سلوكهم، وفيما جددت بريطانيا دعم الحكومة الموالية للتحالف على لسان سفيرها، كان خطاب ممثل روسيا في مجلس الأمن أكثر قرباً من صنعاء بالحديث عن ضرورة التفاوض مع أنصارالله، وعن انتهازية الغرب ورغبته في نفط وغاز اليمن لا السلام، كما دعا إلى دعم السكان ورفع القيود عن دخول المواد الغذائية، وهو خطاب أكثر ايجابية مقارنة بمواقفهم في بداية العدوان.

المخاوف الأمريكية الأوربية من الوساطة العمانية

في 17 كانون ثاني يناير 2023م، وأثناء لقاء سفير الاتحاد الأوربي زعم رشاد العليمي تأييد حكومته "نهج السلام العادل والشامل الذي يضمن شراكة جميع اليمنيين في السلطة والثروة"، كما حذر من خطر الرضوخ لما أسماه ابتزاز صنعاء.

عكس خطاب العليمي الخوف من استبعادهم من المستقبل السياسي، وفي ذات السياق تحدث عن ضرورة الالتزام بالمرجعيات الثلاث منها المبادرة الخليجية وقرارات مجلس الأمن التي لم تعد واقعية.

في 18 كانون ثاني يناير، التقى وزير الخارجية السعودي بالمبعوث الأممي إلى اليمن في سويسرا، وافترض وزير الخارجية أن السعودية تستثمر في الأمان والاستقرار في المنطقة ويهمها أمن اليمن، حد قوله.

من جهة أخرى قال السفير الفرنسي: الطريق إلى السلام يمر عبر المصالحة الوطنية في اليمن، ومسألة المصالحة الداخلية تكررت على لسان المبعوث الأممي والسفير البريطاني قبل ذلك في أكثر من محضر، واقعياً تكتسب المصالحة الوطنية الأهمية البالغة في مسار السلام وهي ضمان الأمن والسيادة لأن العدوان جاء بتواطؤ أطراف داخلية، كما تكتسب المفاوضات الشاملة أهميتها من حقيقة أن اليمن تمرّ بمرحلة انتقالية منذ العام 2011م ولم تُحلّ كثير من القضايا الداخلية التي تتطلب التوافق.

إلا أن خطاب الأطراف الدولية عن المصالحة الوطنية والحوار اليمني اليمني، لا يقصد الشراكة الوطنية، فهذه الدول تريد أن تضمن مستقبل الحكومة الموالية لها

لتضمن مصالحها إذ هم وكلائها، فالخطاب الغربي مضمونه: "لا نريد تسوية بين صنعاء والرياض، لا تمثل فيها مصالحنا".

في 19 كانون ثاني يناير 2023م، أعادت وسائل الأنباء نشر تسريب زيارة السفير السعودي إلى صنعاء، بالتزامن مع نشر قناة الحدث بنود الاتفاق المتمثل بتسليم رواتب كل الموظفين ورفع الحصار عن ميناء الحديدة وفتح وجهات جديدة في مطار صنعاء الدولي.

في هذه الأجواء أكد رئيس تجمع الإصلاح محمد اليدومي، دعم التجمع لكافة جهود إحلال السلام الشامل والمستدام في اليمن، المرتكز على المرجعيات الثلاث، كنوع من محاولة العودة إلى المشهد بعد تجاوز السعودية لأتباعها عموماً في مباحثاتها الأخيرة مع صنعاء.

وفي لقاء مع رئيس حزب الإصلاح أكد السفير الأمريكي ضرورة إزاحة الخلافات جانباً وتوحيد صفوف الفصائل الموالية للتحالف، من أجل الضغط على القوى الوطنية في عملية السلام.

*

كانت هذه الأحداث المتسارعة مثار اهتمام الصحافة الأجنبية حيث توقع مركز ACLED الأمريكي أن المحادثات عبر القنوات الخلفية بين صنعاء والرياض ستؤدي إلى احتمالين:

(الأول)مفاوضات سلام ومحادثات سياسية مع الأطراف اليمنية،(الثاني) الوضع الحالي للأعمال العدائية المنخفضة المستوى سيستمر إلى أجل غير مسمى، مدعومًا بزيادة حجم وفعالية قدرات صنعاء.

ورأى موقع "TRT" أنه بات من المستحيل عودة صنعاء إلى طاولة المفاوضات، وفي المصدرين كان هناك تأكيد على تنامي قوة صنعاء العسكرية وبالتالي السياسية.

فيما أفترض الكاتب الكندي "توماس جونو"، في مقال له نشرته صحيفة "LA PRESSE" أن المفاوضات الأخيرة بين صنعاء والرياض لن تنجح، وأن الطرفين ليس لهم رغبة في بناء السلام، فهو يفترض أن السعودية تسعى إلى فك الارتباط بالحرب، مع تقليل

تكاليف مغامرتها الكارثية باليمن، فيما أنصارالله أصبحوا أقوى بدعم إيراني وليس لديهم نية لتقديم تنازلات جدية للسعودية أو الحكومة الموالية للتحالف، حسب فهمه.

وأبدت الصحافة الغربية اهتماماً كبيراً بتطورات الأوضاع في اليمن وظهرت وكأنها حملة إعلامية للتشكيك في مصداقية أنصار الله في مسألة السلام، ودفاع عن الحكومة الموالية لتحالف المستبعدة من المباحثات.

*

في 24 كانون ثاني يناير 2023م تلقى صغير بن عزيز اتصالاً هاتفياً من قائد القيادة المركزية الأمريكية، وبحسب الخبر: "جرى خلال الاتصال مناقشة التعاون المشترك بين القوات المسلحة اليمنية والجيش الأمريكي، والجهود المشتركة في مجال محاربة الإرهاب".

يعد الاتصال الأول من نوعه كاتصال مباشر من قائد القيادة المركزية الأمريكية مع وزير دفاع أو قائد أركان يمني في حكومة عدن منذ بداية العدوان، فعادة ما كانوا يأخذون الإملاءات مباشرة من السعودية.

وانطلاقا من أن مراكز البحوث الغربية معبرة عن وجهة النظر الغربية وصانعة لها، فقد ذكرت "مجموعة الأزمات الدولية" في تقريرها السالف ذكره أن المفاوضات المباشرة بين صنعاء والرياض بمعزل عن الفصائل الموالية للتحالف ومجلسهم، قد تؤدي إلى أن تتخذ حكومة العليمي قراراً بعودة الحرب. و فترة الحراك السياسي، كانت هناك مناوشات مع القوات المسلحة الموالية للتحالف في مختلف الجبهات وخصوصاً في تعز ومأرب والجوف حيث يتمركز الإخوان بشكل أكبر.

*

في 26 كانون ثاني يناير 2023م التقى وزير الخارجية في حكومة العليمي بوزيرة الخارجية الألمانية، "أنالينا بيربوك"، ومسؤولين ألمان آخرين، أتى ذلك في إطار تكثيف حكومة العليمي تحركاتها، من جانبه دعا المبعوث الأممي أطراف الأزمة إلى ما أسماه "تقديم تنازلات".

فيما التقى عضو ما يُسمّى بمجلس القيادة سلطان العرادة مع المستشار العسكري

للمبعوث الأممي، تركز الحديث عن وضع مأرب عسكرياً، باعتبارها أحد التماسات العسكرية، وفي تلك الفترة على مدار أسابيع كثف إعلام الفصائل الموالية للتحالف الحديث عن جبهات هذه المحافظة، وفي ذات السياق التقى عضو مجلس القيادة الخياني "أبو زرعة المحرمي" في الرياض بسفير دولة الإمارات.

*

استمرت المساعي البريطانية الأمريكية في بعث القوى الموالية للتحالف المتهالكة، لتخوض المعركة الأخيرة بهم، وظهر أن الجهود الأمريكية البريطانية الإماراتية أيضاً استغرقت في محاولة توحيد صفوف ما سُمي بـ"مجلس القيادة الرئاسي" الرئاسي الذي ولد ميتاً.

موسكو على الخط

في 26 من شباط فبراير 2023م التقى رئيس الوفد الوطني محمد عبد السلام في مسقط مع نائب وزير الخارجية الروسي "ميخائيل بوغدانوف، وأوضحت السفارة الروسية أن "بوغدانوف"، شدد على ضرورة تكثيف الجهود لكل القوى السياسية اليمنية، من أجل ضمان وقف إطلاق النار بشكل مستدام وطويل الأمد، كما شدد على ضرورة تهيئة بيئة مواتية لإقامة عملية التفاوض البناءة والشاملة تحت رعاية الأمم المتحدة، من أجل تسوية شاملة للأزمة وتعزيز السلام والأمن في المنطقة.

وفي أخر لقاء لمجلس الأمن الدولي بشأن اليمن كان الموقف الروسي إيجابياً، وبالعموم تطور الموقف الروسي(إلى حدٍ ما) تجاه اليمن منذ آخر زيارة للوفد الوطني إلى موسكو منتصف العام الفائت، خصوصاً مع تعمّق الأزمة في أوكرانيا وشدة الاستقطاب الدولي.

وفي طبيعة الحال فإن التغيّر الايجابي لروسيا من الملف اليمني لا يعني أن روسيا سوف تتخذ موقفاً مصادماً للسعودية فعلاقة موسكو بالرياض ممتازة وتتعمق، ويمكن لروسيا أن تلعب دوراً سياسياً في عقلنة السلوك السعودي وتقريب المواقف بين صنعاء والرياض وبين طهران والرياض، وغيرها من المواقف التي لا تتصادم مباشرة مع

الرياض، فيما تدعم روسيا خطاب صنعاء الموجه ضد القوات الأجنبية وخصوصاً أمريكا وبريطانيا، وسبق أن خصصت جزءاً من تغطيتها الإعلامية لهذه المسألة عقب خطاب السيد عبد الملك الحوثي في ذكرى استشهاد الرئيس الصماد.

المصالحة الإيرانية السعودية وتأثيراتها

في 11 آذار مارس 2023م أعلنت كل من إيران والسعودية اتفاقية مصالحة، واستعادة العلاقات السياسية الكاملة، وتفعيل الاتفاقيات الثنائية المجمدة، في مدة أقصاها شهرين، وذلك برعاية صينية، استكمالاً لجهود شارك فيها كل من العراق وسلطنة عمان خلال عام مضى، تزامن مع تخفيض الصراع في اليمن، الاتفاقية جزء من مبادرة السلام العالمية الصينية، وجزء من الحراك الصيني الروسي للتمهيد للتعددية القطبية، ونزع فتيل التوترات التي زرعتها الولايات المتحدة، والتي مكنت واشنطن من السيطرة على منطقة غرب آسيا، وجني الأرباح لصالح المجمع الصناعي العسكري الأمريكي الغربي عموماً. رفعت هذه الاتفاقية من منسوب التفاؤل بشأن اليمن، إذ تؤثر القطيعة السعودية الإيرانية بشكل سلبي على الاستقرار في المنطقة.

لم تؤثر الاتفاقية في اليمن بصورة مباشرة؛ لكن التأثيرات الإيجابية المستقبلية ستنعكس على اليمن بصورة غير مباشرة، وستشمل -إلى جانب اليمن- العراق ولبنان وسورية. فتهدئة التوترات العسكرية بين البلدين، ستخلق ظروفاً أفضل للاستقرار في اليمن. وبشكل جزئي تمثل الاتفاقية تجاوزاً لذريعة السعودية في عدوانها على اليمن، ما يعطي محادثات مسقط دفعة إلى الأمام، ما لم تعترضها الولايات المتحدة وبريطانيا.

في الحديث عن تأثيرات الاتفاقية إقليميا، افترض دبلوماسي إيراني أن ملفات المنطقة ليست متماثلة، ولا يمكن قياسها بمسطرة واحده، وحد قوله الأزمة اليمنية استمرت 8 سنوات والآن توصّل الطرفين السعودي والإيراني أنه أولا وقف إطلاق النار ومن ثم تهيئة الأرضية للحوار اليمني اليمني, كذلك سيحدث في لبنان وفي سوريا.

*

في 12 آذار مارس 2023م قالت ممثلية إيران في الأمم المتحدة، الأحد، إن استئناف

علاقات إيران والسعودية، يمكن أن يسرّع التوصل إلى وقف لإطلاق النار في اليمن، وأن من شأن ذلك أيضا أن يعجّل بإطلاق حوار يمني، وتشكيل حكومة وطنية شاملة.

وكان السفير اليمني لدى إيران المبعوث من صنعاء إبراهيم الديلمي قد أوضح أن السعودية طلبت نقاش ملف اليمن مع إيران، إلا أن طهران طلبت منهم مناقشة ذلك مباشرة مع صنعاء، وهو ما يعني أن ملف اليمن تم تأجيله لما بعد إنجاز الاتفاق، ومن المرجح أن يُفتح بين البلدين لاحقاً بعد استعادة العلاقات الثنائية الكاملة بين البلدين التي حُددت في غضون شهرين كأقصى حدّ.

*

في 15 آذار مارس 2023م قدم المبعوث الأممي إحاطة لمجلس الأمن الدولي حول اليمن، وفي الصعيد السياسي المواكب للمتغيرات السياسية الجديدة، حث الأطراف على اغتنام فرصة الزخم الإقليمي المتجدد، والحفاظ على بيئة مواتية للمناقشات، وإتاحة الوقت والمساحة اللازمين لتؤتي المناقشات ثمارها، حد قوله.

فيما تأمل بيان مجلس الأمن، أن الاتفاق الذي تم التوصل إليه مؤخراً بين السعودية وإيران يساهم في الجهود الرامية لتأمين حل دائم للنزاع في اليمن.

*

في 16 آذار مارس 2023م اختتم المبعوث الأممي الخاص هانس غروندبرغ زيارة إلى الرياض والتقى فيها برشاد العليمي، وسفير السعودية لدى اليمن محمد آل جابر وعدد من المسؤولين السعوديين بالإضافة إلى سفراء الدول الخمس دائمة العضوية بمجلس الأمن لتبادل الرؤى حول تقديم دعم إقليمي ودولي منسق لجهود الوساطة التي تبذلها الأمم المتحدة في اليمن، حد قولهم.

في ذات سياق دعت الصين إلى بدء حوار يمني للوصول إلى حل سياسي شامل ينهي الأزمة في اليمن. على لسان القائم بأعمال السفارة الصينية لدى اليمن والذي قال إن بلاده ستواصل القيام بدور إيجابي لحل الأزمة اليمنية سياسيا، والمساهمة في إعادة إعمار ما دمرته الحرب، بعد التوصل لسلام شامل.

*

في 19 آذار مارس 2023م قال وزير الخارجية الإيراني أنه سيلتقي بنظيره السعودي قريباً وفي تلك الأثناء كانت تقوم فرق فنية بتهيئة فتح السفارات في البلدين، ورداً على سؤال حول تداعيات الاتفاق الإيراني السعودي على الأزمة اليمنية، صرح أمير عبد اللهيان : إننا نعتبر قضية اليمن بأنها تعتمد على قرار اليمنيين أنفسهم، مع التذكير بأن التأكيد على إرساء السلام والاستقرار والأمن المستديم في المنطقة، جاء على سلم التوافقات الأخيرة بين طهران والرياض أيضاً.

*

في 20 آذار مارس 2023م اتفقت حكومة صنعاء والسعودية وحكومة عدن الموالية للتحالف على الإفراج عن 887 أسيراً من مختلف الأطراف، بعد اجتماع استمر 10 أيام في سويسرا، على أن تعود المباحثات مجدداً عقب شهر رمضان.

ويُعدّ هذا الاتفاق الاختراق السياسي الإنساني الأول بعد الاتفاقية الإيرانية السعودية، وبعد الجمود الذي ألمّ بهذا الملف منذ آواخر العام الماضي 2022م .

يُعد الاتفاق مؤشراً إيجابياً وإن كان بسيطاً، وتعكس حقيقة استمراره لـ 10 أيام، أن "الأزمة اليمنية"، وبرغم هبوب رياح السلام الإقليمية لازالت بالغة التعقيد، وتحتاج للمزيد من الجهود السياسية، خصوصاً مع تعدد دول العدوان والفصائل الموالية لها، الذي يجعل من الوصول إلى اتفاقيات مرضية لكل الأطراف أمراً بالغ الصعوبة.

*

في 28 آذار مارس 2023م دعا وزير الخارجية في حكومة عدن جمهورية إيران إلى اتخاذ خطوات للمساعدة في إنهاء الحرب، مشدداً على ضرورة ما وصفه بتوقف إيران عن دعم صنعاء بالسلاح، كأمر ضروري لتحقيق السلام حد قوله. وقال إن حكومة عدن لديها شكوك حول صدق إيران بخصوص الاتفاق مع السعودية، معبرا -في الوقت ذاته- عن أمله في أن تضغط على صنعاء لوقف أي أعمال من شأنها تقويض عملية السلام، وأعلن ترحيب الحكومة بأي خطوات أو اتفاقيات تساهم في تحقيق الأمن والسلام في اليمن.

يُعدّ هذا أوضح موقف للحكومة الموالية للتحالف من الاتفاقية الإيرانية السعودية،

وتجد الحكومة الموالية للتحالف نفسها إزاء هذا المستجد بين موقفين الأول الخوف من أن تؤدي هذه الاتفاقية إلى حوار مباشر بين طهران والرياض يُنهي الحرب في اليمن أو إلى حوار بين الرياض وصنعاء مباشر يُنهي الحرب وبالتالي يخرجون من المعادلة، والموقف الثاني الاستفادة من هذا المستجد والرغبة في أن تقضي الصفقة بين السعودية وطهران إلى مصلحتهم على حساب صنعاء، ولهذا حمل التصريح هذا التباين بين التشكيك في أهميته ومصداقية إيران، وبين مطالبة إيران بناءً عليه أن تضغط على صنعاء، والترحيب عموماً بالدور الصيني.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

صهينة المناهج التعليمية السعودية

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشي

صفر 1445هـ -سبتمبر 2023م

نشطت في العقدين الأخيرين العديد من المنظمات والمؤسسات ومراكز الدراسات الصهيونية في المشرق العربي، بعضها بمسمياتها العبرية، وبعضها تحت مسميات غربية وأميركية، في سباق مع الزمن لتحريك مياه التطبيع الراكدة، وهذه المرة توجهت الأنظار إلى المناهج التعليمية العربية، بالتوازي مع تدوير نفايات المسارات السياسية الإنبطاحية الإستسلامية، مُحركها الرئيسي تحسين صورة الكيان الصهيوني الغاصب في أذهان وذاكرة الأجيال العربية الصاعدة، وخلق ذهنية عربية تتماشى مع الهوى "الصهيو - أميركي"، وصهينة الهوى والهوية العربية، وعلمنة الإسلام والأحكام الشرعية.

تغيير المناهج التعليمية العربية وفقاً للهوى "الصهيو - أميركي" جارٍ على قدمٍ وساق تحت شعار "التطوير" و"التحديث" و"الانفتاح"، وقطع أشواطاً كبيرة في العديد من الدول العربية، في مقدمتها مصر والمغرب والأردن والإمارات والبحرين والجزائر، وبصورة نسبية الكويت وقطر، وأخر المهرولين للسباحة في بركة الصهيونية الآسنة "السعودية"، بلد الحرمين الشريفين وقبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم ومبعث نبيهم.

التعديلات التغريبية المتدحرجة طالت المواد المتعلقة بالدور الإفسادي لليهود والمسيحيين الغربيين، والصراع "الصهيوني - الفلسطيني"، وحتى الأحكام الشرعية والفرائض والأخلاق والتعاليم الدينية لم تسلم من عبثهم، والحبل على الجرار.

في هذه القراءة المقتضبة سنكتفي بالتركيز على التغييرات الفلكية التي طالت المناهج التعليمية السعودية في عهد ولي العهد "محمد بن سلمان"، على أمل التوسُّع فيها مستقبلاً، لما لمُخرجاتها من أهمية مفصلية في التأثير على التوجه التعليمي والثقافي الجمعي العربي المستقبلي، بالنظر لأهمية ومكانة السعودية لدى العرب والمسلمين.

الحيثيات والدوافع:

خضعت المناهج التعليمية السعودية لتدقيق مكثف في الغرب بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 على أميركا، ومنذ ذلك الحين، تعمل الرياض تدريجياً على إزالة المحتوى المنتقد لليهود والصهاينة والغرب من كتبها المدرسية، من أجل تحسين صورتها لدى

الغرب، وإبعاد تهمة الإرهاب والتطرف عنها، وهي من اختمرت كتبها التعليمية بالعنف والتطرف والتكفير منذ نشأتها.

بعد وصول "محمد بن سلمان" إلى ولاية العهد، وإعلانه عن خطته "التطويرية" "2030"، مُعززة برزمة من الإصلاحات، على رأسها تغيير المناهج التعليمية، شهدت السعودية تحولات انفتاحية صادمة، تجاوزت كل الخطوط الحمراء والثوابت الدينية والقومية.

ويسعى من وراء هذه الخطوة، العمل على تغيير عقلية المواطن السعودي، كي تتوافق مع ما يريده من اعتماد النهج الغربي في بلاده، والابتعاد عن كل موروث ديني أو عقائدي تربّت عليه أجيال عديدة من شعبه، بحسب مركز جزيرة العرب للدراسات والبحوث المهتم بالشأن السعودي، وصولاً إلى تقبُّل تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني رسمياً، في حال تم اتخاذ القرار بذلك، واتخاذه مسألة وقت بإجماع مُفكري قرود بني صهيون ومُنظّري بقر بني أميركان.

ويبذل النظام السعودي منذ عقودٍ كل ما بوسعه للحصول على الشرعية في الداخل والخارج من خلال وضع بلاده كمهد للإسلام وموطن لأقدس موقعين لدى المسلمين، لكنه في السنوات الأخيرة بدأ ينزع نحو شكل أكثر علمانية من القومية.

وهذا بحسب معهد "إمباكت إس إيه" العبري، "يتسق مع الجهود المبذولة لتخفيف التعصب الديني لليهود، وتمهيد الطريق بشكل تدريجي في حال اتخاذ قرار سياسي بشأن تطبيع العلاقات مع إسرائيل".

ومن أجل إلهاء الشعب السعودي عن جريمة التعديلات في المناهج المدرسية، يعمل "بن سلمان" على تكثيف حفلات المجون، وتحويل بلاده إلى ساحة مفتوحة لاستضافة نجوم الفن والإثارة والدعارة والشذوذ الجنسي في العالم، دون اكتراث للمقدسات الإسلامية في أرض جزيرة العرب.

في تسويق المبررات يدعي "بن سلمان" العمل على تطهير المناهج التعليمية من الشوائب، وإزالة المواد التي تتهجم على الأديان الأخرى، وهي محاولة عبثية لإيهام أولياء نعمته في تل أبيب والبيت الأسود بأن بلاده أصبحت منفتحة، وأنها رمت بكل

قيود المؤسسة الدينية عرض الحائط، لكنه للأسف لم يرمِ قيود المؤسسة الدينية وثوابت الزواج المقدس بينها وبين المؤسسة الحاكمة الممتد لأكثر من ثلاثة قرون بل رمى كل تعاليم الإسلام عرض الحائط، غير أسفٍ ما دام ذلك يمُهد الطريق للتربع على كُرسي الحكم.

كما ادعى المتحدث باسم السفارة السعودية في واشنطن "فهد ناظر" عام 2020، أن مسؤولي التعليم في بلاده، "وجدوا بعض المواد المرفوضة والمُسيئة في الكتب المدرسية، وبذلوا جهوداً لإزالتها من المنهج بأكمله، واستبدالها بمواد تُعزز الاعتدال والتسامح والتعايش السلمي"، وهي أكذوبة جديدة تصب في ذات السياق.

إجراءات "بن سلمان" نالت مُباركة واشنطن منذ اليوم الأول لإعلانها، وقال حينها وزير خارجيتها، "ريكس تيلرسون"، أن "السعودية بدأت بمواجهة الدعاية المتطرّفة من خلال إدراج مواد جديدة وسحب أخرى من مناهجها المدرسية"، وأضاف وزير التعليم السعودي حينها، "أحمد بن محمد العيسى"، أن "بلاده بدأت بالتعامل مع الرابطة الأميركية الوطنية لتعليم الأطفال الصغار - نايك، من أجل تصميم مناهج ومعايير منهجية جديدة".

كبيرة الباحثين المُقيمين في معهد "دول الخليج" بواشنطن، "كريستين ديوان"، أكدت هي الأخرى تماشي:

"التغييرات التي طالت المناهج المدرسية السعودية مع التوجه السياسي الجديد للمملكة "، ومع "أهمية الأسرة الحاكمة في شرعيتها".

ويدّعي الأميركان وجود العديد من المواد المُثيرة لقلق أمنهم القومي في المناهج التعليمية السعودية، تُحرِّض على قتل وتدمير غير المسلمين، ومُعاداة السامية، لذا حث الكونغرس الأميركي بوضوح في نحو العام 2016 السلطات السعودية، على حذف بعض آيات القرآن الكريم، التي تتناول بني "إسرائيل" والجهاد ضد الكفار، تتابعت بعدها طلبات الحذف والتعديل والإضافة كالسيل المنهمر.

وأعاد مسؤولان أميركيان، في حديث لمجلة "التايم"، الفضل في التغييرات الجديدة في المهلكة، لولي العهد "محمد بن سلمان"، وأكدا تزامنها مع حث واشنطن للمملكة على

التطبيع مع الكيان الصهيوني، ووصفت صحيفة "الديلي تليغراف" البريطانية، ذلك التغيير، بأنه "جُزء من تغييرات وتوجهات أعم في المملكة، تسمح بوجود علاقات دائمة مع اليهود والقبول بوجودهم في المنطقة".

المثير للسخرية وضع النظام السعودي تلك المناهج المعادية للغرب والسامية والكفار التي تطالب واشنطن بتغييرها اليوم بطلب وإشراف من واشنطن ذاتها خلال الغزو السوفياتي لأفغانستان في سبعينيات القرن العشرين الميلادي، واليوم يتم حذفها بطلب وإشراف أميركي وصهيوني لتتماشى مع أجواء التطبيع.

الأهداف والغايات:

تعمل المنظمات "الصهيو – أميركية، على تحقيق عدة أهداف من وراء صهينة المناهج التعليمية العربية، بما لذلك المنحى الخطير من تداعيات كارثية، ستمتد تأثيراتها على الأجيال العربية لعقود قادمة، منها:

1 - تغيير بُنية عقليات وثقافات وقناعات وتوجهات شعوب وأجيال جزيرة العرب والأمة العربية، وتغريبها ثقافياً وفكرياً وأخلاقياً، ومسخ هويتها ومُجتمعاتها، وسلخها عن دينها وعروبتها، وترسيخ مفاهيم تنافي تعاليم الإسلام وأخلاق العرب وتُهدّد بتجريف مبادئ الأجيال وقيمها.

2 - خلق شعوب عربية مُهجنة ومنبطحة لا تفقه من دينها سوى الاسم، وتربية جيل عربي سلبي خانع لا يعرف معاداة أو كراهية الغرب أو الكيان الصهيوني الغاصب، وصولاً إلى ترسيخ مفهوم عدم معاداة السامية في الذهنية العربية، وتحويل العلمانية إلى دين يتعبده الناس من دون الله.

3 - تمهيد "بن سلمان" الطريق أمام بلاده للالتحاق بقطار التطبيع، والذي لم تعد حلقاته مُقتصرة على التماهي الإستلابي في المجالين التعليمي والثقافي.

4 - وضع المناهج التعليمية الجديدة، "اليهود" في مرتبة متساوية مع "المسلمين"، من خلال الاستشهاد بنصوص تدعي اعتراف الإسلام بالتوراة ككتاب مقدس، وأن الإسلام يُبيح أكل طعام "الكوشر"، وهو الأكل الحلال في الدين اليهودي،

والاعتراف بحق اليهود في أرض فلسطين السليبة، والادعاء بوجود صلة دينية لليهود بأرض فلسطين التاريخية من خلال تضمين المناهج مُصطلحات جديدة كـ "الأرض اليهودية" و"أورشليم".

5 - إيهام الطلبة السعوديين والعرب بأن اليهود حِملٌ وديع، لحقهم الكثير من الظلم قبل 70 عاماً ولا زالوا، وأنهم شعبٌ بلا أرض، تعرضوا لأبشع جرائم القتل في تاريخ البشرية من خلال "الهولوكوست"، وهي محرقة مزعومة إدعى اليهود أن "هتلر" والنازية الألمان قتلوا 6 ملايين يهودي حرقاً في الحرب العالمية الأولى، ولا زالت هذه الأكذوبة ورقة ابتزاز يُمارسها الصهاينة على ألمانيا إلى يوم الناس، ويعملون بكل الوسائل على تحويلها إلى حقيقة وتاريخ، وللأسف وجدوا من أشباه الرجال والنساء في أوساط المثقفين العرب من يُصدِّقها ويُسوِّقها.

ولم يتوقف النظام السعودي عند حدود تدريس هذه الأكذوبة في مناهجه، بل وشهدت السنوات الماضية زيارة رئيس رابطة العالم الإسلامي "محمد العيسي" لمتحف تخليد ذكرى المحرقة اليهودية وعِش رجباً ترى عجباً.

فرشات العمل:

تعتمد المنظمات "الصهيو - أميركية" عدة طُرق لتحقيق غايتها الشيطانية الرامية إلى صهينة المناهج التعليمية العربية، منها:

1 - عقد لقاءات مُتتالية مع معظم المسؤولين العرب الزائرين للعاصمة الأميركية والبريطانية، وهذا مقتصرٌ على الدول العربية التي لا زالت تخجل من الإفصاح عن مياه التطبيع الجارية من تحت الطاولة بكرمٍ حاتمي، كما هو حال السعودية.

2 - إثارة أعضاء الكونغرس والمسؤولين الأميركيين ضرورة تغيير وتحديث المناهج في لقاءاتهم مع المسؤولين العرب، وممارسة السلطات الأميركية ضغوطاً واسعة من أجل تمرير عملية الصهينة التعليمية والثقافية بسلاسة.

3 - إدراج المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة والبنك الدولي وهيئات المعونة الإنسانية عملية تغيير المناهج تحت مسمى الابتكار والإصلاح والتطوير والتحديث.

4 - استخدام حملات ضغط أخرى تشمل الإعلام والتشهير.

المجالات والفئات المستهدفة:

تعمل عملية صهينة المناهج التعليمية العربية على إضافة 5 مجالات، هي:

1 - الدين المقارن.

2 - كيفية التعامل مع أتباع الديانات الأخرى.

3 - صراع الحضارات.

4 - السلام والحرب والجهاد.

5 - التربية المدنية وحقوق الإنسان.

وجرى التركيز على الفئات العمرية التعليمية الصغيرة بصورة أساسية، بدءً برياض الأطفال وانتهاءً بالجامعات، لأنها الأكثر قابلية للتغيير والتوجيه والبرمجة والتدجين، وفي هذا يقول الرئيس التنفيذي لرابطة مكافحة التشهير "إيه دي إل"، "جوناثن غرينبلات" ورئيس الوزراء البريطاني الأسبق "توني بلير" في تقريرٍ مشترك:

"إن تربية جيل جديد تحرر من التفكير البغيض في الماضي يمكن أن يُؤدي إلى نشوء أقوى الأبطال ممن يعملون من أجل الرخاء والسلام على نطاق المنطقة".

بمعنى خلق جيل مسخ مسلوب القرار والإرادة والسيادة والهوية والشخصية.

على مستوى القادة توجهت الأنظار إلى الفئات الحاكمة الشابة خصوصاً في دول الخليج، لأنها الأكثر انبهاراً بالحضارة الغربية والأفكار العلمانية التغريبية، وترى الباحثة المهتمة بدول الخليج في جامعة "إدنبرة" الأسكتلندية "ميرا الحسين" أن: "قادة دول الخليج الجديدة حديثون وذوو تفكير تقدمي وميول علمانية".

وعن أسباب سُرعة استجابتهم للمطالبة "الصهيو - أميركية" بتغيير المناهج التعليمية

في بلدانهم رغم المعارضة الشديدة من شعوبهم، تُعيدها "ميرا حسين" إلى رغبتهم الجامحة في "جذب جمهور خارجي مُحدد إلى دولهم"، و"هذا الأمر طموح للغاية للحكومات أن تقوم فجأة بـ 180 مُنعطف، وتبدأ في الوعظ بالتسامح، إن الاعتماد على ذاكرة الناس القصيرة مُضلل في هذه الحالة".

وهو بالفعل مُضلل، لأن هذه الزعامات الشابة وجدت في بوابة التطبيع بتلاوينها طوق نجاة لحماية أنظمتها المتهالكة من غضب شعوبها المحكومة بالنار والحديد، والقضاء على معارضيها المحليين، وتبييض سجلاتها السوداء في مجال الحقوق والحريات العامة الداخلية أمام المجتمع الدولي.

المنظمات "الصهيو ـ أميركية" الناشطة:

هناك العديد من المنظمات التي نشطت في مجال المراقبة والمتابعة والإشراف على عملية تغيير المناهج التعليمية العربية، والدفاع عن الكيان الصهيوني الغاصب، وتحسين صورته في الذاكرة العربية، وتبييض جرائمه، والعمل على إدماجه في منظومات العلاقات البينية في المشرق العربي.

ظهرت هذه المنظمات بصورة علنية على المسرح السياسي الخليجي تحديداً بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مستغلة توجيه الغرب والأميركان الاتهامات لزعامات دينية ممولة من السعودية أو حاضنة لها فكرياً، للتغول في المشهد العربي بكل تفاصيله.

وأصدرت في السنوات الأخيرة العديد من التقارير عن منجزاتها في مجال تغيير المناهج التعليمية، واعتمدت في ذلك منهجية الحذف للنصوص التي لا تتوافق مع الهوى الصهيوني والغربي، الإضافة لنصوص ادعت أنها تُكرّس مفاهيم التعايش والسلام وتقبُّل الكيان الصهيوني الغاصب في منظومة التعاون العربي المشتركة، وإشاعة ثقافة الانفتاح والتحرر العلماني، وعدم معاداة السامية، ومن أبرز تلك المنظمات:

1 - رابطة مكافحة التشهير "إيه دي إل":

مقرها أميركا، وهي متخصصة بالدفاع عن الكيان الصهيوني الغاصب.

أصدرت في العام 2021 تقريراً بالاشتراك مع معهد "توني بلير للتغيير العالمي"

- يُديره رئيس الوزراء البريطاني الأسبق "توني بلير"، حمل عنوان "تعليم السلام والتسامح في العالم العربي بعد عقدين من 11 سبتمبر".

دعت في تقريرها إلى مواصلة الضغط على الدول العربية من أجل إدراج رُزمة من المطالب في المناهج التعليمية، منها:

أ - إدراج دولة الكيان الصهيوني الغاصب على الخرائط العربية.

ب - تعليم الطلاب العرب عملية السلام مع الكيان الصهيوني الغاصب، وتعريفهم بمذابح الهولوكوست الخرافية الوهمية.

ج - مراجعة المحتويات المُشيطنة للصهاينة والغرب.

د - إزالة الدروس المدرسية التي تتهم الغرب بالغزو الفكري.

هـ - العمل على توسيع الدروس التي تُعلّم الحوار والتعاون بين الحضارات والأديان.

وأشادت بـ "وجود بعض المحتويات الإيجابية والمُبتكرة في الكتب المدرسية لمعظم البلدان العربية، لكن في العديد من المجالات الجوهرية للسلام والتسامح، لا يزال هناك مجال واسع للتحسين".

2 - معهد مراقبة السلام والتسامح الثقافي في التعليم المدرسي "إمباكت إس إيه":

وهو مركز دراسات عبري متخصص بمراقبة مناهج التعليم المدرسي في البلدان العربية والإسلامية، ورصد حجم التغيير فيها، والإشراف على تغييرها، مقره القدس المحتلة ولندن.

نشط في السنوات الأخيرة في مصر والبحرين والإمارات والسعودية، وأشرف على إحداث تغيير جذري في مناهج تلك الدول، طال كل ما يعتقد الصهاينة أن يتحدث عنهم بصورة سلبية.

أصدر عدة تقارير عن حجم الاستجابة للتغيير في السعودية، أخرها في يونيو 2023، وركز على حجم التغييرات في مناهج العامين الدراسيين "2019/ 2020" و"2022/ 2023"، وسجل عدة ملاحظات على تعديلات العام 2019، منها أن اللجان المعنية

بالتعديلات لم تحذف بالكامل الفقرات المعادية لليهود أو الجماعات الدينية الأخرى واضطهاد المرأة، وهو ما تم استيعابه في تعديلات "2022/ 2023".

وتابع عملية التغيير التي جرت على المناهج التعليمية السعودية منذ أوائل العام 2000، وطالت أكثر من 80 كتاباً مدرسياً في منهج العام الدراسي "2022/ 2023"، وأكثر من 180 كتاباً مدرسياً من المناهج السابقة، مُعتبراً ذلك "علامة مُشجعة، تشير إلى أن التقدم قد يشمل مواقف تجاه إسرائيل والصهيونية"، وتحدث وزير التعليم السعودي الدكتور "حمد آل الشيخ" في تصريحٍ بتاريخ 20 أغسطس 2021، عن إجراء 120 ألف تعديل طال نحو 89 كتاباً تعليمياً، و34 كتاباً ومنهجاً تم استحداثها، ليصل مجموع المقررات المستحدثة إلى 52 كتاباً.

وأكد المعهد إلغاء النظام السعودي أجزاءً كبيرة من مناهجه الدراسية، للتخلص من "أفكار معادية للسامية وأخرى تؤيد المتشددين الإسلاميين"، وهذا بحسب زعمه تحول تاريخي في توجهات المملكة.

ووصف مديره "ماركوس شيف"، تلك التطورات بـ "المدهشة"، وأضاف بأن قُطعان كيان الاحتلال الصهيوني الغاصب فخورين للغاية بإزالة ما يُعادِ السامية من المناهج السعودية، خصوصاً حذف حديث "لن تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود فيقول الشجر والحجر يا مسلم يا عبدالله ورائي يهودي فتعال فاقتله".

وامتدح الكاتب العبري "دانيئيل سلامي" المناهج الدراسية السعودية، لأنها بدأت تشهد "تغييرات جوهرية"، ولم تُعد تتحدث عن "الخطر الصهيوني"، أو "حكم الصهيونية للعالم بالمال والمخدرات"، مؤكداً بأن "روح التقارب بين تل أبيب والرياض قد بدأت بأخذ طريقها نحو إزالة المحتوى المعادي لإسرائيل من الكتب المدرسية السعودية".

تعديلات سعودية متدحرجة:

أجرت الرياض تغييرات كبيرة على مناهجها التعليمية، للأسف الشديد قامت على تغييب القضية الفلسطينية بصورة كلية منها، بعد أن كانت تتشدق بعدم التفريط بها.

من أبرز التعديلات في مناهجها للعامين الدراسيين 2019/ 2020 و2022/ 2023:

1 - إلغاء كلمة "فلسطين" من خرائط كتاب الجغرافيا للمرحلة الثانوية، وترك المكان شاغراً، في ظل ضغط أميركي صهيوني لإدراج كلمة إسرائيل في الخرائط، وبالفعل تم إدراجها في مناهج عدة دول عربية، وتجنبت المناهج الجديدة إدراج خرائط تضع حُدوداً للكيان الصهيوني الغاصب، ومناطق السلطة الفلسطينية.

2 - استبدال كلمة "الصهيونية" و"العدو الإسرائيلي" أو "العدو الصهيوني" و"الجيش الصهيوني" بـ "إسرائيل" و"الاحتلال الإسرائيلي" و"جيش الاحتلال الإسرائيلي" و"الجيش الإسرائيلي"، وكلمة "النكبة الفلسطينية" بـ "الحرب الفلسطينية 1948"، في مقدمة لتربية الجيل العربي على أن الكيان الصهيوني الغاصب لم يعد عدو العرب والمسلمين الأوحد، بل صديق حميم وشعب مظلوم له الحق في الحياة والبقاء.

ومن المفارقات العجيبة وصف أدبيات الأمم المتحدة ما جرى في العام 1948 بالنكبة والنكسة، بينما يصفها المنهج السعودي المهجن بالحرب.

3 - إزالة مصطلح "الكيان الصهيوني" أو الدولة "غير الشرعية" التي أقيمت بهدف التوسع على حساب الفلسطينيين.

4 - استبدال مصطلحات مدينة "القدس" أو "بيت المقدس" بمدينة "أورشليم"، وإبراز ارتباط اليهود بما يُسمى "هيكل سليمان" على اعتبار أنه حق توراتي.

5 - إزالة درس للشعر الوطني من كتاب اللغة العربية للمرحلة الثانوية يتحدث عن "معارضة الاستيطان اليهودي في فلسطين المحتلة"، و"احتلال اليهود للأرض المقدسة"، وحذف فصل كامل بعنوان "الخطر الصهيوني"، وإزالة صور للمسجد الأقصى، ومادة تعريفية بأنه موجودٌ في القدس المحتلة.

6 - حذف مادة تتحدث عن النتائج الإيجابية للانتفاضة الفلسطينية الأولى من كتاب الدراسات الاجتماعية المقرر على طلاب الثانوية، وإزالة فصل كامل يتحدث عن القضية الفلسطينية، وإلغاء كتب التاريخ عبارة تقول إنّ منظمة التعاون الإسلامي تأسست إثر "الحريق الإجرامي الذي ارتُكب على يد

عناصر صهيونية في مدينة القدس المحتلة عام 1969"، والاكتفاء بذكر تاريخ تأسيس المنظمة وأهدافها، ولم يعد الكتاب يعترف بتورّط إسرائيل في حريق المسجد الأقصى عام 1969.

7 - تغيير عبارة "محاولة إنشاء الكيان الصهيوني" إلى "الانتداب البريطاني لفلسطين"، مُخففاً التدخل البريطاني في عملية إنشاء الكيان الغاصب وتمكينه من أرض فلسطين السليبة، ومُقللاً من أهمية السيطرة اليهودية على أجهزة دولة الكيان الغاصب الناشئة واقتصادها، وإزالة التصريحات المتعلقة بـ "تعيين عدد كبير من اليهود في مناصب رفيعة" من قبل البريطانيين، و"تسهيل شؤون اليهود لتنظيم أنفسهم وتدريبهم على استخدام الأسلحة النارية"، و"دعم اليهود اقتصادياً وعسكرياً"، وحذف بيان يفيد بأن المفوض السامي الأول لفلسطين "هربرت صموئيل" كان يهودياً وليس بريطانياً.

8 - إزالة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحذر من الدور الإفسادي لليهود، وترسم للمسلمين من هم أعداؤهم ومن يشكل خطورة عليهم.

9 - حذف فقرات تتحدث عن سعي اليهود للسيطرة على العالم، وتُحذر من مخططاتهم لإقامة دولتهم الكبرى من النيل إلى الفرات مروراً بالمدينة المنورة.

10 - حذف نص نبوي من منهج الصف السابع يتحدث عن الحرب بين اليهود والمسلمين بأنها أمر حتمي يقتُل فيها المسلمون اليهود، تحدث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنها تكون في نهاية الزمان: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ويختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر ويقول الحجر والشجر، يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي ورائي تعال واقتله".

11 - إزالة مادة من كتاب الدراسات الاجتماعية الخاصة بالثانوية، تتحدث عن "ذكر أحد المزاعم الصهيونية المتعلقة بحقهم في أرض فلسطين العربية"، ودحضها بالوثائق التاريخية والدينية، وحذف نص يتحدث عن عدم وجود حقوق دينية تاريخية لليهود بأرض فلسطين، ونص يشرح آية من سورة

البقـرة، تُحـذر مـن تقليـد اليهـود في عمـل الحيـل للإفـلات مـن شرع اللـه، كـما فعـل "أصحـاب السـبت" الذيـن تحولـوا إلى قـرود.

12 - إزالـة أغلـب الآيـات القرآنيـة التـي تهاجـم عبـادة الأصنـام والشـيطان وتشـير إلى عـذاب اللـه بتحويـل بعـض اليهـود إلى قـرود وخنازيـر مـن كتـب الدراسـات الإسـلامية، وحـذف الآيـات التـي تتهـم اليهـود بالكـذب عـلى اللـه وقتـل الأنبيـاء والخـروج عـن ديـن اللـه، وتدعـو لمحاربتهـم إلا أن يدفعـوا الجزيـة.

13 - منع عرض الكتب المعادية للسامية في المعارض الدولية للكتاب.

14 - إدراج نصـوص في كتـب التربيـة الإسـلامية الجديـدة تتحـدث عـن الإيجابيـة في العلاقـات بـين اليهـود والديانـات الإسـلامية والمسـيحية، باعتبارهـا المصـدر الرئيـسي لحقـوق الإنسـان والحريـات العامـة، وأن الوصايـا العـشر التـي نقلهـا نبـي اللـه مـوسى عليـه السـلام لقومـه، هـي الأرضيـة التـي يجـب التمسـك بهـا في العلاقـات بـين الشـعوب بغـض النظـر عـن الهويـة والديـن والعـرق، وأن أعظـم أشـكال التعايـش بـين الديانـات الثلاثـة، هـي زواج الرجـال المسـلمين أو المسـيحيين مـن النسـاء اليهوديـات.

والأكـثر إثـارة تماهـي علـماء السـلاطين في المهلكـة مع توجهـات "بن سـلمان"، من ذلك دعـوة إمـام المسـجد الحرام في مكـة المكرمة، "عبدالرحمن السـديس" في 6 سـبتمبر 2020، إلى الحـوار والعطـف مع غير المسـلمين، وأشـار بالتحديـد إلى اليهود.

وامتـد الأمـر إلى وسـائل الإعـلام السـعودية، حيـث عرضت قنـاة MBC قبل ثلاثـة أعوام المسلسـل الدرامـي "أم هارون"، ونالت هذه الخطوة إشـادة معهـد "إمباكت إس إيه" العبري، معتبراً المسلسـل رسـالة واضحة أن "اليهود والمسـيحيين والمسـلمين يعيشـون معاً في سلام".

15 - حـذف الإشـارات التـي تُشـيطن اليهـود والمسـيحيين، وتصفهـم بأنهـم غـير مُؤمنـين، والنصـوص التـي تصـف اليهـود بأنهـم غـير مُطيعـين.

16 - إزالـة 19 محتـوى يتعلـق بالموقـف مـن المسـيحيين واليهـود، وإلغـاء النصـوص القرآنيـة التـي تُحـض عـلى "الكراهيـة" تجـاه الأديـان الأخـرى، وتُحـرِّم الصداقـات مـع اليهـود والمسـيحيين.

17 - حذف النصوص التي تتحدث عن الأحكام الشرعية في الزنا وأفعال الشذوذ الجنسي "المثليين" وأعمال السحر والكفر والشعوذة، ومنح تسهيلات للمثليين الأجانب، ومُؤيدي الشذوذ الجنسي الزائرين للمهلكة، ما جعل السعودية في الأعوام الأخيرة من أهم الوجهات للمثليين والشاذين في العالم.

18 - إدخال مواد تنتقد الجماعات الإسلامية مثل حزب الله والقاعدة وأنصار الله والإخوان المسلمين.

19 - إدراج المفكر الأميركي المعروف بمعاداته للإسلام "صموئيل هنتنغتون" صاحب نظرية صراع الحضارات وعدد من المفكرين الغربيين الآخرين المعادين للإسلام في المناهج، في سابقة خطيرة.

20 - حذف بعض المناهج من "كتاب التوحيد" لزعيم الوهابية الشيخ "محمد بن عبدالوهاب".

21 - حذف حديث نبوي يروي أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم طلب من خادمه قبل موته، أن يدخل الإسلام، قائلاً: "الحمد لله إن الله أنقذه من النار".

22 - حُذف نصّ يذكر أن "الشهادة هدية من الله وشرفٌ إلهي"، والنصوص المتعلّقة بمحو خطايا الشهداء.

23 - حذف وحدة كاملة تتحدث عن الجهاد، وإعادة صياغة كيفية تدريس مفهوم الجهاد بما يتوافق مع الهوى "الصهيو - أميركي"، تحت مبرر الحد مما أسموه "احتمالات تجنيد الإرهابيين"، وإدراج دروس تمنع الجهاد المسلح منعاً باتاً إذا لم يوافق الحاكم أو الوالد على ذلك.

24 - تضمين كتاب الصف السابع صورة كرتونية لامرأة باسمة، تقول: "أعتقد أن إضافة مواد اقتصادية على المقرر أمر إيجابي".

فيرد رجل: "ما هذا الرأي؟، من أنتِ حتى تقولي هذا الشيئ؟".

وتعليم الجواب باللون الأحمر من أجل تشجيع التلاميذ على النقد.

ولهذه الغاية تم إضافة كتابين إلى المناهج بعنوان "التفكير النقدي"، بهدف ما أسموه الترويج لـ "الحوار واحترام الآخر، والتشجّع على السلام والتعايش من خلال التركيز على معاهدات واتفاقيات تاريخية بين المسلمين الأوائل وغير المسلمين تحت سقف الإسلام".

وإضافة نص بعنوان "الإسلام يحمل رسالة السلام"، ضمنوه 8 أمثلة عن اتفاقيات تاريخية عقدها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع مجتمعات غير المسلمين، منها اتفاق المدينة مع اليهود، المعاهدة مع يهود خيبر، سلام نجران مع المسيحيين، عقدَي مصالحة مع قبائل عربية، وأدرجوا تلك الاتفاقيات في إطار "تعزيز الشراكة بين أتباع الديانات والثقافات في القضايا المشتركة، وترسيخ معاني التعايش الإنساني".

المراجـــــــع:

1 - عمر البدوي، 120 ألف تعديل في كتب المناهج بالسعودية، صحيفة الشرق الأوسط، 21 أغسطس 2021.

2 - فراس دالاتي، هل تعديل السعودية لمناهجها الدراسية مؤشر على تغيير سياستها تجاه إسرائيل؟، العربي الجديد، 23 يوليو 2023.

3 - منصور العلي، مناهج التعليم السعودية: نماذج من التعديلات، مرآة الجزيرة، 4 يوليو 2023.

4 - نضال خلف، قراءة صهيونية في مناهج التعليم السعودية: أكثر انفتاحاً واعتدالاً .. وأقلّ عداءً لإسرائيل، صحيفة الاخبار اللبنانية، 23 يونيو 2023.

5 - ياسر باعامر، تغيير المناهج الإسلامية بالسعودية، الجزيرة نت، 26 يوليو 2010.

6 - مركز جزيرة العرب للدراسات والبحوث، تغيير المناهج الدراسية السعودية الحلقة الأخيرة قبل التطبيع مع إسرائيل، 23 ديسمبر 2020.

7 - موقع الخنادق نقلاً عن شبكة "سي إن إن" الأميركية، ما وراء التعديلات على

المناهـج التعليميـة في السـعودية؟، 4 يونيـو 2023.

8 - صحيفـة "حديـث النـاس"، السـعودية تحـذف حديثـاً نبويـاً وتُعـدّل مناهـج التعليـم تمهيـداً للتطبيـع مـع إسرائيـل، 2 فبرايـر 2021.

9 - موقـع خليـج 24، ابـن سـلمان يحـذف آيـات مـن القـرآن .. معهـد إسرائيـلي يكشـف المسـتور عـن السـعودية، 3 يوليـو 2022.

10 - موقـع سـعودي ليكـس، مـاذا حـذف محمـد بـن سـلمان مـن المناهـج التعليميـة؟، 23 ديسـمبر 2020.

11 - موقـع منتـدى العلـماء المـصري، تغيـير مناهـج التعليـم في العـالم العـربي .. نحـو جيـل لا يعـرف معـاداة إسرائيـل، 13 ديسـمبر 2021.

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center
SABA
SABA.YE
التنافس الجيوسياسي
الإماراتي السعودي في اليمن
مركز البحوث والمعلومات
أنس القاضي
وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

ملخص:

تقع في اليمن منافسة حادة بين كل من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، منافسة جيوسياسية بلغت ذروتها في المشاركة العسكرية للدولتين في الحرب على اليمن 26 آذار مارس 2025م، ورعايتهما لأطراف محلية عسكرية وسياسية.

تنافس إقليمي يقوّض مساعي السلام في اليمن، ويهدد وحدة الجمهورية وسيادتها، سواء في ظل الحرب الراهنة، أو عقب حلول السلام -المحتمل-، فالمنافسة مستمرة، وإن تحولت من الطابع العسكري العنيف إلى الطابع المدني والقوة الناعمة.

انطلقت كل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة في التدخل العسكري العدواني في اليمن من دوافع جغرافية سياسية اقتصادية؛ فالسعودية ترغب في نفط حضرموت وموانئها، وكذلك بميناء المهرة وأنبوب نفط يمر عبرها، وتسعى لتأسيس نفوذ عسكري في باب المندب وخليج عدن، يضمن نشاطها الاقتصادي، الذي يُمكن أن يكبحه أي تصعيد في المنطقة وخصوصاً مع مخاوفها من إيران (التي لم تتجاوزها كلية برغم عودة العلاقات بين البلدين)، وتحتاج المملكة الامتيازات الجغرافية لتلبية طموحاتها في أن تكون قطباً في المنطقة، بل وطموح تزعّم "العالم الإسلامي".

فيما ترغب الإمارات وكجزء من استراتيجية بحرية إقليمية بالسيطرة على الساحل اليمني من باب المندب ومضيقه إلى البحر العربي وصولاً إلى أرخبيل سقطرة، ولذا نشرت مراكز عسكرية مباشرة وعبر الوكلاء المحليين في ميون باب المندب والمخا وشبوة وحضرموت وعدن وأرخبيل سقطرة.

هناك تقاطع في أطماع ومصالح كل من السعودية والإمارات في جنوب وشرق اليمن وفي باب المندب جنوب البلد، ببعديها الأمني والاقتصادي، هذه التقاطعات يُمكن أن تؤدي إلى صراع تنافسي بين البلدين في اليمن أشد ضراوة مما يجري حالياً من تنافس على لعب دور إقليمي أكبر بين ولي العهد السعودي محمد بن سلمان ورئيس دولة الإمارات محمد بن زايد، وربما يتحول الصراع التنافسي في ظروف معينة إلى تحالف قائم على لقاء المصالح وإدارة التنافس ولازال غير وارد راهناً.

تمثل المنطقة الجنوبية الشرقية مع باب المندب مناطق تقاطعات بين الإمارات

والسعودية، حيث تعمل كل من السعودية والإمارات ما بوسعها لتثبيت حضورها العسكري السياسي، ومواكبة المتغيرات، فالسعودية خسرت شبوة، ولذا دافعت عن وادي حضرموت وسيطرت على حضرموت عموماً عبر ما سمي بالمجلس الوطني، وانتقلت السعودية إلى عدن التي كانت مغلقة على الإمارات، فهناك تحركات تشبه رقعة الشطرنج.

مؤخراً برزت الخلافات السعودية التنافسية على الدور الاقليمي بما في ذلك اليمن بشكل واضح، تناولتها مراكز بحثية وصحف غربية عريقة، وهي خلافات راهنة تقوض مساعي السلام، إلا أنها في طبيعتها ذات طابع جيوسياسي -اقتصادي؛ وبالتالي فهي ستستمر حتى في مرحلة ما بعد الحرب، مع تغيير الآليات والأدوات.

الاستراتيجية الإماراتية:

تنطلق السياسة العدوانية الإماراتية تجاه اليمن، من استراتيجية "جيوسياسية" واسعة، لها بُعد اقتصادي خاص بالإمارات وبُعد عام يتفق مع السياسة الأمريكية في المنطقة، ولم يكن التدخل العدواني في مارس 2015م إلا جزءاً من مشروع مرسوم لها في اليمن وكانت سوف تنفذه بأدوات غير عسكرية في حالة لم توجد الحرب وبدأت به عملياً باتفاقية إدارة ميناء عدن عام 2008م.

يُريد الإماراتيون أن يحجزوا مقعدهم كبوابة للصين في مُبادرة الحزام والطريق، وذلك عبر شركة موانئ دبي العالمية، هم يبحثون عن بدائل اقتصادية غير نفطية تمنع تكرار أزمة 2008م الاقتصادية أزمة الرهن العقاري.

عملياً باتت الإمارات تسيطر اليوم على سواحل اليمن وموانئها باستثناء ميناء الحديدة، كما تهيمن على أرخبيل سقطرة بوابة المحيط الهندي وعلى موانئ دول القرن الإفريقي(إقليم أرض الصومال، جيبوتي، إرتيريا) وتسعى للسيطرة على ميناء "رأس مسندم" في سلطنة عمان الواقع على" الخليج الفارسي"، وبالسيطرة على ميناء عدن تكون الإمارات عملياً قد أحكمت الطوق على الممرّات المائية في منطقة الخليج.

في اليمن تهيمن الإمارات على أربعة موانئ بحريّة دوليّة بدرجة متفاوتة (عدن والمكلا والمخا ونشطون) وهي موانئ مجهّزة لاستقبال السفن والبضائع وتقديم خدمات

الشحن، وميناءان نفطيان (الشحر وبلحاف) وهذه الموانئ الأخيرة في حضرموت وشبوة تتمتع بأهمية استراتيجية بسبب وجودها على طريق نقل النفط من دول الخليج العربي إلى العالم عبر قناة السويس.

سعت الإمارات لأن يكون لها حضور عسكري في باب المندب وسقطرة ومطار الريان حضرموت (خرجت منه مؤخراً) ومطار الغيضة في المهرة، وفي منشأة صافر للغاز شبوة، كما عمدت إلى إقامة قواعد عسكريّة في أريتريا وجيبوتي (حدثت خلافات لاحقا مع الحكومة الجيبوتية) وسقطرة وفي باب المندب والصومال، لتقيم بذلك حزاماً عسكرياً واقتصادياً لحماية هذه الموانئ من تمدد دول أخرى مثل الصين وروسيا اللتين تسعيان إلى توسيع حضورهما إفريقياً سواء دول شرق إفريقيا على مقربة من اليمن أو دول غرب إفريقيا حيث بات الصدام الشرقي الغربي واقعاً.

تترابط الاستراتيجية الإماراتية مع الاستراتيجيات الغربية وبالتالي الصهيونية لدولة الاحتلال الإسرائيلية في آن.

الاستراتيجية الاقتصادية:

تُعدّ دولة الإمارات العربية المتحدة دولة اقتصادية كبرى في محيطها الاقليمي، لديها شبكة ضخمة من العلاقات الاقتصادية، وقد سعت من خلال تلك العلاقات المتنوعة إلى أن تتبوأ مكانة إقليمية وعالمية.

تسعى الإمارات إلى إنشاء اقتصاد قائم على الشحن البحري لتنويع فروع الاقتصاد وخلق بدائل عن اقتصاد النفط والغاز الذي ليس له مستقبل، وكذلك خلق علاقات دولية مع الصين وروسيا ومؤخراً انضمت لدول مجموعة البريكس لتنويع العلاقات الدولية.

تسيطر على موانئ المنطقة فهي تضع نفسها في مواجهة المشروع الصيني الحزام والطريق، والذي لن يمر في المنطقة إلا بإقامة الصين شراكة مع الإمارات مباشرة لا مع الحكومات المحلية التي تقع الموانئ في جغرافيتها، وبالتالي ترى الإمارات أنه من البديهي أن تكون اليمن ضمن دائرة هيمنتها الإقليمية، لتحقق هذا الحضور العالمي، ويُعلمنا التاريخ بأن الامبراطوريات والدول العظمى لا تستطيع أن تفرض حضورها

على النطاق العالمي ما لم تكن قطباً في إقليمها وفي دول الجوار ومحيطها.

في اليمن تعمل الإمارات على ترسيخ نفوذها وديمومته من خلال ضمان التأثير على صناع القرار في اليمن قبل الثورة عام 2011م وبعدها، فقد كان لها علاقة مميزة مع أسرة الحاكم الأسبق علي عبد الله صالح، ويُعدّ الاستحواذ على ميناء عدن الاستراتيجي عام 2008م أهم مظاهر هذه الاستراتيجية الإماراتية.

استمرت دولة الإمارات بإتباع الاستراتيجية نفسها بعد ثورة 2011م إذ دفعت ببعض الشركات الاقتصادية التابعة لها للاستثمار في مجالات الاتصال والتمويل في المحافظات المحتلة خاصة محافظة سقطرة التي تغطيها شبكة اتصالات اماراتية، ومؤخراً استولت على شركة "عدن نت" الحكومة بصفقة مشبوهة، كما أنها تهدف من خلال هذه الاستراتيجية إلى إيجاد بديل لمضيق هرمز من خلال مد أنبوب نفط إلى ساحل محافظة المهرة على بحر العرب، قادر على تصدير النفط في حالة تعرض المضيق للإغلاق من قبل إيران.

مشروع خط الأنابيب الإماراتي - اليمني

وكما هو حال السعودية، تطمح الإمارات إلى مد أنبوب بين حقول النفط في منطقة حبشان المطل على خليج عمان، لتجاوز السيطرة الإيرانية على مضيق هرمز.

ولتعزيز النفوذ استخدمت الإمارات المساعدات الإغاثية والإنسانية وتُعدّ (جمعية الهلال الأحمر) و(جمعية الشيخ خليفة للأعمال الإنسانية) ذراعيّ دولة الإمارات الفاعلة في العمل الإغاثي، ومدّ جسور التواجد الإماراتي، ويعتقد أن منتسبيها هم من القوات المسلحة والأمن الإماراتية، وقد ركزت الإمارات منذ دخولها إلى عدن على إبراز المساعدات التي قدمتها، وتعمدت الاعتماد على أدواتها الخاصة، وقد عمد مندوب مؤسسة الشيخ خليفة خلفان بن مبارك المزروعي إلى شراء أرض في منطقة تكسم في جزيرة سقطرة من أجل دفع أبناء الجزيرة للتظاهر تأييداً لتدخلها في سقطرة، وضد موقف الحكومة اليمنية والمستنكر لبعض سياسات الأدوات الإماراتية المنتهكة للسيادة.

ركزت الإمارات الحضور في اليمن على المساعدات والمشاريع المحدودة ذات الطابع التنموي لتمكين القوى الوكيلة لها كما يحدث في مديرية المخا في محافظة تعز.

الاستراتيجية السعودية

جاء التدخل السعودي في اليمن بناء على استراتيجية سعودية تجاه اليمن قائمة على أساس جغرافي سياسي، مرتبط بنشأة الدولة السعودية التي تمثل أنموذجاً للدولة التوسعية.

منذ القرن التاسع عشر وقبل أن تتشكل المملكة الراهنة، كانت اليمن إحدى وجهات التوسع السعودي، فقد هوجمت حضرموت في تلك المرحلة، ثم لاحقاً وفي النصف الأول من القرن العشرين، ضمّت السعودية أقاليم "نجران" و"جيزان" و"عسير"، و"الوديعة" و"شرورة" ومؤخراً أجزاء من منطقة "الخراخير" في حضرموت؛ فالتدخل العسكري الراهن ليس غريباً عن الاستراتيجية الجيوسياسية السعودية.

إلى جانب التدخل العسكري المباشر والتوسع في الجغرافيا، اعتمدت المملكة على التأثير الناعم على اليمن من خلال آليات سياسية واقتصادية وثقافية (وهابية) واجتماعية مختلفة، بواسطة قنوات حكومية رسمية، وبواسطة علاقات مباشرة مع المجتمع اليمني.

تستهدف السعودية من خلف استراتيجيتها الجيوسياسية العدوانية تحقيق أهداف

أمنية توسعية حدودية وسياسية واقتصادية، ولطالما تقاطعت تاريخياً الاستراتيجيات الجيوسياسية السعودية مع الاستراتيجيات الجيوسياسية الغربية في جنوب الجزيرة العربية وشرق إفريقيا.

تمثل اليمن بالنسبة للمملكة العربية السعودية "العمق الاستراتيجي" نظراً للتقارب الجغرافي بين البلدين، ترتبط اليمن بالسعودية بشريط حدودي برّي طويل وثلاثة منافذ رئيسة ونظراً للتقارب الجغرافي والثقافي والامتداد التاريخي بين اليمن والمملكة فإن الأخيرة تنطلق في توجهاتها تجاه اليمن من مقولة: "أمن اليمن من أمن المملكة"، إلا أن لهذه المقولة طابع الضمّ والإلحاق لا طابع المصلحة الأمنية المشتركة.

عملت السعودية تاريخياً على وضع اليمن ضمن دائرة هيمنتها، والسيطرة على القرار اليمني، وضمان أن تكون الحكومات اليمنية موالية لها، ولتنفيذ هذه السياسة استخدمت السعودية آليات ووسائل عديدة قوة ناعمة في غالبيتها السياسة والاقتصادية والايديولوجية، وأعمال أمنية محدودة، لكنها بداية من 2015م انتقلت إلى التدخل العسكري المباشر والطويل لأول مرة في تاريخها فمختلف النزاعات السابقة بما فيها العسكرية كانت محدودة جغرافيا وزمنياً.

تحكم السياسة السعودية تجاه اليمن عدة اعتبارات، منها المخاوف الأمنية التي تُعدّ أحد أهم محددات السياسة السعودية تجاه اليمن، وظهرت اليمن في النصف الثاني من القرن العشرين كدولة راديكالية جمهورية نزاعة لتصدير الثورة في محيطها في أوج زخم ثورة 26 سبتمبر 1962م والحضور المصري في اليمن، وبشكل أشد في ظل حكم اليسار الاشتراكي للجنوب بعد الاستقلال 1967م، وقد أثرت هذه الفترة بشكل كبير في تشكيل التصورات السعودية تجاه اليمن، خصوصاً في فترة الحرب الباردة.

في القرن الواحد والعشرين ظهرت قضايا أمنية جديدة لم تعد متعلقة بمخاوف السعودية من تغيير نظامها السياسي، بل متعلقة بتهريب المخدرات والأسلحة والمهاجرين، وقضايا "الإرهاب"، وغيرها من القضايا الأمنية التي برزت في هذا القرن.

كما أن هشاشة الدولة اليمنية ظلت أمراً يؤرق المملكة، وفي علاقتها مع اليمن للمملكة طابع تناقضي فهي تخشى من تحول اليمن إلى دولة فاشلة وفقدان الحكومة السيطرة التامة، وفي ذات الوقت فإنها تقوم بتدخلات تُضعِف مركزية الدولة اليمنية وذلك

بإقامتها علاقات مباشرة مع قوى اجتماعية وسياسية وعسكرية من خارج المؤسسات الرسمية، فجزء من هشاشة الدولة اليمنية تتحمل مسؤوليته المملكة.

اقتصادياً

يستمد اليمن بممراته المائية وانفتاحه على المحيط الهندي الذي يعد مسلكاً مهما لتصدير النفط السعودي، ويتصل اليمن بالمحاور والعقد التجارية وعقد النقل فضلاً عن مجاورته للقرن الافريقي ما يعطيه أفضلية اقتصادية فهو يطل على باب المندب الذي يُعدّ طريق تجارة عالمية ويصل البحر الأحمر بخليج عدن وبحر العرب.

كما يعتبر اليمن البوابة الجنوبية لمنطقة الخليج العربي ذات الجذب الاقتصادي، يتمثل الهدف السعودي في سعي المملكة العربية السعودية إلى تأمين حدودها الجنوبية بدرجة أساسية، لكن لديها طموح في الحصول على متنفس على بحر العرب والمحيط الهندي لتصدير منتجاتها النفطية إلى الصين وآسيا شرقاً متجاوزة مضيق هرمز.

مشروع خط الأنابيب السعودي في اليمن

"قناة الملك سلمان" أحد هذه الطموحات الاقتصادية السعودية، وهو عبارة عن خط أنابيب نقل للنفط السعودي عبر الأراضي اليمنية من ميناء رأس تنورة إلى ميناء عدن والمكلا على البحر العربي، كما تطمح السعودية إلى تقديم موانئها على البحر الأحمر إلى مشروع "الحزام والطريق" الصيني على حساب الموانئ اليمنية.

تدرك المملكة أهمية المناطق النفطية في اليمن وخصوصاً محافظتي شبوة وحضرموت ومأرب، كما أن هناك قلق سعودي من احتمال اكتشافات نفطية مستقبلية في صحراء الجوف المجاورة للسعودية، ولطالما منعت السعودية بطريقة أو بأخرى استخراج اليمن للنفط من حقل الجوف المشترك مع نجران.

بناءً على ما سبق تتعامل السعودية بجدية مع اليمن باعتبارها جزء من جغرافية أمنها القومي وجزء من مشاريعها وطموحاتها الاقتصادية، وتعمل على اتخاذ اجراءات ذات طابع تدخلي وعدواني، في اليمن، منها الحرب الراهنة، وهو ذات الأمر الذي يدفعها إلى التنافس المحموم مع الإمارات حول اليمن، فيما كان الأولى أن تبحث هذه القضايا مع الجمهورية اليمنية وتحقق مصالحها ضمن تبادل المنافع مع اليمن مع احترام لسيادة اليمن والتعامل مع الحكومة حصراً ودعم دولة يمنية قوية ضامنة للأمن لا دولة هشة تابعة.

تقاطع مصالح الدولتين في جغرافيا اليمن

هناك تقاطع في مصالح وأطماع كل من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، في جنوب وشرق اليمن وفي باب المندب جنوب غرب اليمن، هذه التقاطعات ضمن صدام الاستراتيجيات للدولتين نظرياً، وضمن التنافس للوكلاء المحليين للدولتين، ويُمكن أن تؤدي إلى صراع تنافسي بين البلدين وربما يتحول الصراع التنافسي في ظروف معينة إلى تحالف قائم على لقاء المصالح وإدارة التنافس، لكنه أمر مستبعد حالياً، في ظل التنافس الحاد بين الدولتين على الريادة الاقليمية.

تسعى كل من الإمارات والسعودية إلى السيطرة على كامل محافظة حضرموت بسواحلها ونفطها، ومدّ أنابيب نفطية عبرها، وكذلك إلى تعميق النفوذ في خليج عدن، والسيطرة على باب المندب لأهميته الاقتصادية والأمنية.

هـذه المناطـق اليمنية الاسـتراتيجية تمثـل قيمة مضافة لأي دولة تحـوز عليها، وهي من ضمـن المناطـق التـي تعتـبر كل مـن السـعودية والإمـارات أنها تقـع ضمن مجالهـا الحيوي الجيوسـياسي وضمـن خارطـة أمنهـا القومي مـن التهديدات العسـكرية المُفترضـة، وكذلك ضمـن دائـرة مصالحهـا الاقتصاديـة وتطلعاتهـما الاقتصاديـة سـواء النفطيـة أو التجارية، أي أن كل مـن الاهتـمام السـعودي والإمـاراتي في هـذه المناطـق متعـادل وتُعـدّ أساسـية لا ثانوية لـكلٍ مـن البلدين.

بعـد تراجـع القـوات المسـلحة اليمنيـة -صنعاء من هـذه الجغرافيا السياسـية، تريد كل من الإمـارات والسـعودية ملـئ الفـراغ فيهـا، وكِلا الدولتـين تربطـان تطلعاتهما التوسـعية هذه بالسياسـات الأمريكيـة وسياسـات الأسـطول الخامـس بشـكل رئيـس، وبالتـالي فـإن الغـرب ليـس متحمسـاً للوقـوف مـع طـرف ضد آخـر، بل يـرى أن سـيطرة أي منهما يلبـي الطلب وتحصيـل حاصـل، كـما أن تحالـف القـوات المشـتركة التـي أسسـته الولايـات المتحـدة، بـات عمليـاً يسـيطر عـلى السـواحل اليمنيـة من البحـر الأحمر إلى خليـج عدن والبحـر العربي.

التماسـات في هـذه المناطـق، البحـر العـربي وخليـج عـدن وبـاب المنـدب، لا تعنـي بـأي حـال أنهـا مناطـق التـماس الوحيـدة، ولا تعني أيضـاً أنها سـاحة المعركة المحتملـة الوحيدة، فعمليـاً كل المناطـق التـي تقـع خـارج نطـاق سـلطة حكومـة الإنقـاذ الوطنية، هـي جغرافيا صراع وتنافـس سـعودي إمـاراتي، وتشـعر السـعودية أن الإمـارات منافـس لهـذا فقـد كانت اليمـن عمومـاً تاريخيـاً منطقـة نفوذ سـعودية.

التشـديد عـلى هـذه المناطـق لكونهـا نقـاط تمـاس عـلى المسـتوى الاسـتراتيجي للبلديـن، جغرافيـا تقاطـع التطلعات الاسـتراتيجية لكل مـن الإمارات والسـعودية، وإلا فإن كل دولة على حـدة لهـا أيضـاً أطـماع في مناطـق يمنيـة أُخـرى، قـد تكـون إلى حـد ما بعيـدة عـن الأخرى.

وهنـاك مناطـق مهمـة لـدى البلديـن لكنهـا أساسـية لدولـة وثانويـة لأخـرى، فـكل مـن الإمـارات والسـعودية مهتمتـان بشـبوة ومـأرب، إلا أن مـأرب أساسـية بالنسـبة للسـعودية وثانويـة بالنسـبة للإمـارات، فيـما شـبوة أساسـية بالنسـبة للإمـارات وثانويـة بالنسـبة للسـعودية، وفي ظـروف معينـة ميدانيـة سياسـية اقتصاديـة قـد يتحـول الأسـاسي ثانـوي والثانـوي أسـاسي.

تداعيات خلافات الدولتين على اليمن

يتصاعد الحديث عن الخلافات الإماراتية السعودية الممتدة منذ أكثر من 6 أشهر، وهو يُعقّد من المسار السياسي في اليمن ويعيق تطور الهدنة إلى سلام مستدام؛ فبعد صدور تقرير "تقدير موقف" عن مركز أبحاث " مجموعة الأزمات الدولية"(الأوربي) في تاريخ 12 يوليو الماضي بعنوان: " المصالحة الخليجية العربية تخفي التوترات المتصاعدة"، للمحلل المختص بالخليج آنا جاكوبس، التي تناولت الخلافات الخليجية عموماً بما في ذلك الخلافات بين السعودية والإمارات، أثارت صحيفة "وول استريت جورنال" (الأمريكية) قضية الخلافات بين السعودية والإمارات بشكل خاص، بمادة تحليلية مزودة بتصريحات المصادر الخاصة بعنوان: "أفضل الأصدقاء: ولي العهد السعودي يصطدم برئيس الإمارات". في تاريخ (12 يوليو 2023م).

وليس ختاماً بتقرير وكالة بلومبيرغ، المعنون بـ: " الخلاف السعودي الإماراتي يهدد الجهود الأمريكية لإنهاء حرب اليمن"، الصادر مؤخرا في تاريخ (13 سبتمبر 2023م).

الخلافات السعودية الإماراتية، متعلقة بقضيتين الأولى اقتصادية وهي نتيجة للتنافس الاقتصادي بين البلدين مع مساعي السعودية جذب الاستثمار إليها على حساب الإمارات وتخفيض انتاج النفط الذي يتصادم مع المصلحة الإماراتية، وكذلك مشاريع السعودية الاقتصادية التوسعية في اليمن بما في ذلك مد أنبوب نفط والسيطرة على ميناء المكلا التي ترى الإمارات أنه بات في يدها وكذلك خسارتها مطار الريان في ذات المحافظة.

الخلاف الأخر سياسي، متعلق بمساعي السعودية إدارة الخلافات مع إيران واليمن، بمعزل عن الإمارات، فيما الإمارات ترغب المشاركة في هذه الملفات بالضرورة، إذ تريد وضع مسألة الخلاف حول الجزر مع إيران، وكذلك مستقبل وجودها في سواحل اليمن، ضمن أجندة المباحثات أو ضمن الصفقات المُفترضة.

بحسب تقدير المصادر الإعلامية والبحثية فدرجة الخلافات بين البلدين وصلت إلى التهديد السعودي وتقترب من الوضع الذي سبق إعلان القطيعة مع قطر، وأن هناك فقدان للثقة بين الطرفين.

كانت آخر مؤشرات هذه الخلافات، عدم زيارة بن زايد إلى السعودية للمشاركة في القمة الخليجية مع دول آسيا الوسطى، وعدم مشاركة بن زايد، الذي تغيب عن حضور القمم السابقة بما فيها القمة العربية والقمة الخليجية الصينية في المملكة.

يَظهر أن الصراعات الأخيرة في جنوب وشرق اليمن، التي اشتدت في شهر مايو الماضي(2023م) اللقاء التشاوري التابع للانتقالي واجتماع جمعيته العامة ولاحقاً تشكيل مجلس حضرموت، والسعي لتشكيل مجلس شبوة، كلها في إطار هذه الخلافات التي تدفع كل بلد إلى قطف ثمار تدخلها العسكري بشكل منفرد.

بحسب المصادر فإن الخلافات حول اليمن، "جعلت الإمارات تقف ضد مساعي التوصل لاتفاقية سلام". وبشكل عام فإن الخلافات بين البلدين، ستنعكس على اليمن، وفق سيناريوهات مختلفة.

قد تدفع إلى احتدام الصراع في المناطق الجنوبية والشرقية والغربية اليمنية، بين الميليشيات التابعة لهذه الدول، وقد تدفع إلى فتح القوات التابعة للانتقالي جبهات

مـع الجيـش اليمنـي، وبالتـالي التأثـير على مسـار الهدنة، وازديـاد مخاطر تمزيـق اليمن، ويبـدو أن هـذا السـيناريو هـو السـائد حالياً.

مـن الـوارد أيضـاً أن تتـم تسـوية معينة بين البلديـن، فقد لا تصل إلى نقطـة اللا رجعة، إلا أن اسـتمرار تناقـض المصالـح، يعنـي أن الخلافـات بذاتها ستسـتمر وإن تغـيرت طريقة التعبـير عنها أو تـم إدارتها وتـلافي الانفجار.

الخاتمـــة:

لابـد للجمهوريـة اليمنيـة أن تتعامـل مـع واقعهـا الجيوسـياسي بمـا في ذلـك المنافسـة الاقليميـة، وفـق رؤيـة سياسـية لعلاقـات خارجيـة قائمـة عـلى أسـاس المصلحـة اليمنيـة أولاً، وتبـادل المنافـع مـع دول الإقليـم بصـورة أساسـية لارتباطهـا الحضـاري التاريخي من منطقـة القـرن الإفريقـي ودول البحـر الأحمـر إلى إيـران عـلى الخليـج الفـارسي، ومـن مدخـل المحيـط الهنـدي جنوبـاً حتـى بـلاد الشـام شـمالاً وهـي منطقـة تفاعـل الحضـارة التاريخيـة اليمنيـة مـع الحضـارات القديمـة، فهـذا واقـع الجغرافيـا السياسـية.

الموقـع الجيوسـياسي لليمـن مضافـا إلى الأهميـة الجيواقتصاديـة يحـدد للسـعودية والإمـارات وسـلطنة عـمان وقطـر والبحريـن وإيـران وارتيريـا والصومـال واثيوبيـا وجيبـوتي ومـصر وفلسـطين والأردن مصالـح في اليمـن وكذلك يحدد لليمـن مصالح في جميـع هـذه الدولـة، ويجعـل المنطقـة البحريـة منطقـة أمنيـة واقتصاديـة واحـدة.

إلا أن الجغرافيـا السياسـية وتقاطـع المصالـح الدوليـة في بلـد معـين لا تعنـي بالضرورة أن الحـل لتلبيـة هـذه المصالـح وتجـاوز المخـاوف هـو العـدوان والهيمنـة، وتتبـع النهـج النـازي الهتلـري في تفسـير المجـال الحيـوي (ليبنسراوم) الذي يتجـاوز تبـادل المنافع في الدوائـر الجيوسياسـية وضـمان الأمن والمصالح على أسـاس التكامل الجغـرافي، إلى الطمع بالمميـزات الجغرافيـة اليمنيـة بالتوسـع والهيمنـة وضرب قـدرات الدولـة والشـعب اليمنـي واستعباده.

فمـن الممكـن أن تلبـى هـذه المصالـح الدوليـة عـلى قاعـدة المنفعـة المشـتركة المتبادلـة واحـترام السـيادة الوطنيـة وفـق اتفاقيـات دوليـة عادلـة، وهـو مـا هـو جديـر بـأن تسـعى

إليه دول المنطقة السالف ذكرها، التكامل في ظل النزعة الدولية للتعددية القطبية، أما نهج الحرب والعدوان ضد اليمن فلم ينجح، والجمهورية اليمنية بحسب تصريحات القيادات اليمنية في صنعاء المدنية والعسكرية مستعدة وقادرة على الدفاع عن سيادتها ومصالحها في كامل إقليمها، ومياهها الدولية والجرف القاري.

المصـــادر:

- ابتهال المحلاوي "الأهمية الجيوبوليتيكة لدولة اليمن في الأمن القومي السعودي"، (رسالة ماجستير، جامعة الأنبار، كلية التربية والعلوم الإنسانية -قسم الجغرافيا، جمهورية العراق، 2022م).
- وول استرت جورنال، "أفضل الأصدقاء: ولي العهد السعودي يصطدم برئيس الإمارات"، (12 يونيو 2023م).
- مجموعة الأزمات الدولية، "المصالحة الخليجية العربية تخفي التوترات المتصاعدة"، (12 يوليو 2023م).
- بلومبيرغ، "الخلاف السعودي الإماراتي يهدد الجهود الأمريكية لإنهاء حرب اليمن"، (13 سبتمبر 2023م).
- مركز كارنجي،"الإمارات وأهدافها من الحرب في اليمن"، (2 أكتوبر 2017م).

RJC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

SABA
SABA.YE

21 سبتمبر

حرية واستقلال

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

التصنيع العسكري

معجزة ثورة 21 سبتمبر المجيدة

مركز البحوث والمعلومات

زيد المحبشي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)

WWW.SABA.YE/AR

مقـــــدمة :

قامت ثورة 21 سبتمبر 2014 المجيدة واليمن يمرّ بأزمة نظام مستفحلة وتغوّل خارجي طغى على كل مظاهر السيادة الوطنية، وحملت على عاتقها تركة ستة عقود من الأزمات والأخطاء الداخلية المتناسلة، ما جعلها في وضعٍ لا تقوى على حمله الجبال الرواسي، وخاتمة الأثافي عدوان التحالف السعودي، وما خلّفه من كوارث زادت من عذابات وشقاء الشعب اليمني.

وهيأ الله لهذه الثورة المباركة قيادة ثورية واعية وحازمة لجهة تنضيج الفعل الثوري وإيصاله إلى برّ الأمان، وتجاوز ألغام خفافيش الظلام في مرحلة التحوّل، وتحويل سهام عدوان تحالف العاصفة إلى نحور قادته من صهاينة العرب، وحمل لواء الدفاع عن الوطن وتحريره من أذيال الاستعمار في المنطقة، بعد أكثر من تسعة عقود من التبعية والوصاية السعودية على اليمن واستلاب القرار اليمني واستباحة السيادة اليمنية.

وتُمثّل هذه الثورة السبتمبرية الخالدة محطة فارقة في تاريخ اليمن للخروج من الماضي المظلم بكل صراعاته وخلافاته التي أزرت بالأمة والوطن، والانطلاق إلى بناء المستقبل على أساس المبادئ والقيم التي ينتمي إليها هذا الشعب العظيم.

ولأن هذه الثورة نابعة من وعي وإحساس بالمسؤولية، ومن واقع معاناة حقيقية، لم يكن تحركها منذ يومها الأول بدفع خارجي بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء، بل نحن أمام حراك ثوري وطني يمني في مبناه ومعناه، حكيم ومميز في خطواته الفاعلة والقوية، مُعبرٌ عن هوية الشعب اليمني بكل أطيافه، ولولم يكن كذلك لما كان للثورة أن تستمر حتى اليوم، خصوصاً وما رافق حراكها من تكالب دولي وإقليمي وتأمر داخلي، ورغم كل ذلك ها هي اليوم في أوج قوتها ومنعتها.

هذه القوة والمنعة التي وصلت إليها ثورة 21 سبتمبر المجيدة نتاج طبيعي لتخطيط واعي رافق سنواتها التسع، تمثل إلى جانب إبطال مفاعيل الثورة المُضادة بنسختيها المحلية والإقليمية، في التوجه العملي لتفعيل جهاد البناء الداخلي على كافة الأصعدة، زراعياً بما يحقق الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي، ولم يتوقف الأمر عند حدود تنشيط الزراعة بل وتم تعزيز هذا التوجه الجهادي بتفعيل تصنيع الآلات الزراعية محلياً،

بالتوازي مع تفعيل التصنيع الغذائي والتصنيع الدوائي والتصنيع العسكري، والأخير هو محور حديثنا في هذه القراءة، وكلها مجتمعة من أهم شروط تحقيق الأمن الوطني والسيادة الوطنية واستقلال القرار السياسي عن المؤثرات الخارجية والتحرر من التبعية السلبية.

قراءة عابرة في المقدمات:

اعتمدت دول العدوان منذ انطلاق ما يُسمى بعاصفة الحزم في 26 مارس 2015 بصورة أساسية على الضربات الجوية والقصف والتدمير المنهج باستخدام الصواريخ بعيدة المدى والطائرات الحربية، لذلك قرر الجيش اليمني الحر واللجان الشعبية بصنعاء البحث عن حل غير تقليدي وغير مألوف رغم انعدام الامكانية، وتمكن بفضل الله وتوفيقه وتأييده من تحويل المغاور إلى مدن تصنيع عسكري محصنة في الجبال، وانتدب لهذه المهمة الجهادية المقدسة كما كشف موقع "الخنادق" في العام 2021 في تقرير مطول له نحو 1700 مهندس وخبير من خريجي الجامعات اليمنية للعمل في تصنيع الصواريخ وتطويرها، وفي سنوات معدودة أصبحت صنعاء تمتلك صناعات عسكرية محلية جوية وبحرية وبرية، ذات تقنية عالية وتكنولوجيا متطورة، كان لها الفضل في نقل اليمن من التدمير المنهج إلى قوة ردع فاعلة.

ورغم البدايات المتواضعة للصناعات العسكرية اليمنية تعمدت دول العدوان على التقليل من أهمّيتها خلال مراحل التصنيع الأولى، لكن قوات الجيش اليمن واللجان الشعبية نجحت بتلك الصناعات الأولية في تغيير المعادلة العسكرية جوّاً وبرّاً، وفرضت استراتيجية توازن ردع جديدة لحرب بدأت غير متكافئة، بعد أن كان تحالف العدوان قد أعلن في 21 أبريل 2015 عن تدمير 90 % من الصواريخ اليمنية وشلّ قدرات الـ 10 % المتبقية، وبالتالي إنهاء عاصفة الحزم والانتقال إلى إعادة الأمل، ليذهب إعلانه أدراج الرياح مع بدء دخول الأسلحة اليمنية الصنع من صواريخ وطائرات مسيرة ومنظومات دفاعية وزوارق حربية مُعززة بتقنية استخباراتية عالية في العام التالي لانطلاق العدوان العبري على اليمن.

وكشف السيد القائد "عبدالملك بدر الدين الحوثي" في 14 سبتمبر 2017، عن جهود حثيثة لتطوير منظومات الدفاع الجوي، وقال مبشراً أبناء الشعب اليمني العظيم: "لدينا جهود لتطوير منظومات الدفاع الجوي للتصدي للطائرات الأميركية الحديثة، نحن نواجه التقنية الأميركية في أحدث ما وصلت إليه، وليس مواجهة تقنيات السعودية وأعراب الإمارات".

وأعاد سماحته في مارس 2023 التأكيد على أن اليمنيين قادمون في العام التاسع، بترسانة صاروخية فتاكة وبعيدة المدى، ودقيقة الإصابة، وقوية التدمير، وتطال كل منشآت الأعداء، التي يعتمدون عليها.

في إشارة للقوة الصاروخية اليمنية، وما وصلت إليه من مستوى متقدم في هذا المجال، بالتوازي مع تأكيد قيادة أنصار الله على مفاجآت جديدة في جانب التصنيع العسكري سيتم الكشف عنها في الذكرى السنوية للثورة تُثلج صدور المؤمنين.

وشهد التصنيع العسكري تحوّل نوعي من العمل على رفع المديات والسرعة وزيادة الرأس المتفجّر للصواريخ التي نجت من التدمير في العامين 2012 و2014، والتحول إلى مرحلة التصنيع المحلي للأسلحة بمختلف الأنواع والاحجام، كما نجح في صنع الوقود الصلب وإنتاج أكثر من 10 منظومات صاروخية خلال سنوات الحرب الماضية.

خلال العام 2022 فقط تم الكشف عن انتاج أكثر من 28 سلاحاً بينها 6 صواريخ باليستية و12 سلاحاً بحرياً و5 دفاعات جوية و3 مسيرات، خُصصت واحدة منها للتعامل مع الأهداف داخل الكيان الصهيوني الغاصب.

وتنوعت الصناعات العسكرية من القوة الصاروخية والطيران المسير إلى القناصات ومضادات الدروع والزوارق والألغام البحرية وغيرها من أسلحة الردع الإستراتيجي.

ولا تزال صنعاء تكشف مزيداً من القدرات العسكرية المتطورة، منها ما دخل في الخدمة، وكشفت عنه القوات المسلحة، ومنها ما لا يزال ضمن المفاجآت المتدحرجة يتم الكشف عنها تباعاً.

كما أقامت العديد من المعارض العسكرية في السنوات الماضية، وهذا مؤشر جلي وواضح على التطور المتسارع في الترسانة العسكرية للقوات المسلحة اليمنية، وهو

تطوّر نابع بصورة أساسية من التجارب الميدانية التي شملت الميدانين البري والجوي، مع التركيز على الجانب البحري أيضاً، بسبب ما يمثله من أهمية كبيرة، وهي أيضاً رسالة للعدو مفادها أن الحصار لم يمنع القدرات اليمنية من التطور، وأنه لم يعد في مأمن من غضب اليمنيين إن قرر الاستمرار في غيه وعدوانه ورفض أيدي السلام الممدودة إليه.

تنامي قدراتُ القوات اليمنية، أربك حسابات التحالف السعودي الأميركي، على وجه الخصوص، بحيث أصبحت الترسانة العسكرية في اليمن قوة دفاعية، باستطاعتها ضرب البوارج الحربية المعتدية بمختلف أشكالها وأنواعها، وباعتقادنا أن المعركة البحرية هي الفيصل في حال فشل مفاوضات السلام.

وباتت صنعاء، تمتلك مخزوناً استراتيجياً قادراً على تغطية كل الأهداف في جغرافيا دول العدوان، بما فيها الذين أظهروا أنفسهم اليوم، والذين كانوا يختبئون خلف أدواتهم الخليجية، أي إسرائيل والولايات المتحدة، وتنفيذ عمليات الردع والتوازن داخل العمق السعودي، كما أحرزت خلال السنوات الماضية مستوى كبير في إنتاج التكنولوجيا الدفاعية بصورة فاجأت المجتمع الدولي.

ويؤكد خبير شؤون الشرق الأوسط والأستاذ في جامعة "كينجز كوليدج" ببريطانيا، "أندرياس كريج"، وجود "زيادة هائلة في القدرة العسكرية للحوثيين خاصة في مجال الصواريخ الباليستية وتكنولوجيا الطائرات بدون طيار".

موقع "أيروكوسموس" الفرنسي المتخصص في مجال الطيران والفضاء، هو الآخر في تقريرٍ مطولٍ له نشره بتاريخ ديسمبر 2022، تحدث عن التطور الكبير الذي قطعه التصنيع العسكري اليمني بصنعاء خلال فترة العدوان السعودي الإماراتي، وبصورة لم يعد معها اليمن دولة مُستباحة في المنطقة بل فاعل سياسي لم يعد ممكنا تجاوزه في المنطقة سلماً وحرباً:

"القوات المسلحة اليمنية، تعلن بانتظام عن تطوير التقنيات المحلية الصواريخ والطائرات بدون طيار وما إلى ذلك، من أجل مواجهة نقص الوسائل والإمكانيات، اضطرت قوات صنعاء إلى الارتجال، ثم قامت بتحويل صواريخ "آر - 10" جو - جو

"وآر- 11" السوفيتية إلى صواريخ أرض – جو، ..، في بداية الحرب، حصلت القوات المسلحة اليمنية على بعض الأسلحة من المخازن العسكرية، ثم استولت على صواريخ "تي آر - 21 توشكا، بالإضافة إلى العديد من صواريخ عائلة سكود السوفيتية: "سكود بي"، وهي نسخة من صواريخ كوريا الشمالية من نوع هواسونغ 5 وهواسونغ 6.

كما شهدت عائلة الأنظمة هذه تطوير محلي، يبدو أنه صاروخ بركان - 1 وبركان 2، وقام الخبراء اليمنيون بتحويل صواريخ "في - 750" من نظام "إس ايه - 2" المضاد للطائرات إلى صواريخ أرض - أرض تسمى قاهر - 1 وقاهر- 2 وهي صواريخ دقيقة للغاية.

ويمثل العام 2018، نقطة تحول في الحرب بالنسبة لقوات صنعاء، لقد أصبحت الطائرات بدون طيار تدريجياً واحدة من الأسلحة المفضلة لديها إلى جانب الصواريخ الباليستية، كما يتضح من الهجوم المذهل على مطاري دبي وأبو ظبي في عام 2018.

ومن أجل توجيه الضربات وجمع المعلومات في ساحة المعركة، يمكنهم الاعتماد على عدة نماذج من طائرات الاستطلاع بدون طيار: هدهد - 1، وطائرة الرقيب، وطائرة راصد.

وبالنسبة للهجوم، فإن القوات المسلحة اليمنية لديها نظام آخر مثل قاصف - 1، ولديها أيضاً طائرات بدون طيار فريدة لا مثيل لها، وبالتالي ربما تم تطويرها محلياً، كطائرات صماد - 2 وصماد - 3.

إن نطاق وخطورة الأنظمة التي لدى القوات المسلحة اليمنية يتزايد، مما يشكل خطراً متزايداً على الأنظمة الملكية الخليجية، حيث أنها تُنتج أو تُصنّع أكثر فأكثر من أنظمة الصواريخ وأنظمة الدفاع المضادة للطائرات، ولا تزال المخاطر كبيرة بالنسبة للأهداف الاستراتيجية كالمنشآت النفطية، والمواقع العسكرية، وأهداف سعودية أخرى".

هذه شهادة من أحد داعمي عدوان تحالف العاصفة على اليمن، نرجو أن يفهم قادة العدوان مغازيها إن أرادوا العيش بسلام وتغليب منطق الأخوة على منطق العدوان واحترام حقوق الجوار ورفع وصايتهم عن بلادنا.

منظومة الصواريخ:

شهدت منظومة الصواريخ نقلة نوعية من مرحلة إعادة تأهيل ما نجا من محرقة الصواريخ اليمنية في العامين 2012 و2014، أو تلك التي أصبحت خارج الخدمة بفعل انتهاء فترة صلاحيتها وبعضها يعود إلى حقبة الستينيات من القرن العشرين، وتحديثها وتطويرها وزيادة قوتها التدميرية ومداها وإعادتها للخدمة، ومعظمها صناعة روسية وصينية، ثم التحول بعدها إلى إنتاج منظومات صواريخ بمختلف الأنواع بصناعة محلية خالصة وعلى أيدي يمنية، أهمها الصواريخ المجنحة، يستخدم بعضها وقوداً سائلاً وبعضها وقوداً صلباً محلي الصنع، وبمُديات مختلفة، وقوة تفجيرية وتدميرية مختلفة، تتناسب مع مختلف المهمات القتالية: "أرض - أرض"، أرض - جو"، "أرض - بحر"، "جو - بحر"، "جو - جو"، "بحر - بحر"، يتدرج مداها من 25 إلى 2800 كم، ما يجعل كل المجال الجغرافي لدول العدوان تحت رحمتها وصولاً إلى فلسطين المحتلة.

وسنكتفي هنا بإيراد بعضاً مما تم الإعلان عنه في وسائل الإعلام المحلية، وذكر ما أمكننا جمعه من معلومات عنها، وما لم نتمكن من العثور على معلومات تعريفية نكتفي بذكر الإسم.

1 - الصرخة:

استُخدم في الجبهات الداخلية بشكل مكثّف خلال عامي "2017 - 2018".

2 - صمود:

استُخدم في الجبهات الداخلية بشكل مكثّف خلال عامي "2017 - 2018".

3 - شاهد:

4 - صقر:

طوله 2.7 متر، ووزنه الكلي 58 كجم، وقطره 150 ملي متر، ووزن القسم القتالي 10 كجم، والمدى التدميري 30 متراً، وأقصى سرعة يصل إليها 200 متر في الثانية، وأقصى مدى يصل إليه 100 كم، وأقصى ارتفاع للتحليق 28000 قدم من سطح البحر.. تم الكشف عنه في سبتمبر 2022.

5 - صادق:

منظومة كشف وتعقب للأهداف المعادية من مسافة 40 كم، تم الإعلان عنها في سبتمبر 2022.

6 - حيدر:

منظومة كشف وتعقب للأهداف المعادية من مسافة 50 كم، تم الإعلان عنها في سبتمبر 2022.

7 - رادار بي 19:

منظومة كشف وتعقب روسية الصنع قام بتطويرها وإعادتها للجاهزية مُهندسي التصنيع العسكري اليمني، تستطيع كشف الأهداف المعادية على بُعد أكثر من 200 كم، تم الإعلان عنها في سبتمبر 2022.

8 - زلزال:

باليستي، استُخدم في الجبهات الداخلية بشكل مكثّف خلال عامَي "2017 – 2018".

9 - زلزال 3:

باليستي، تم الكشف عنه في 10 يوليو 2016، يُمكنه حمل كميات كبيرة من المتفجرات والرؤوس الحربية التدميرية، يتميز بقوة تدمير عالية وضرب ثلاثة أهداف في الوقت ذاته، وله القدرة على حمل رأسين متفجرين لإنتاج طاقة تدميرية عالية، ويتميز بالمناورة والإفلات من أجهزة الرادار والرصد الجوي، وسهولة نصبه ونقله، ويستخدم في استهداف تجمعات وغرف عمليات العدو في إطار جغرافي محدود.

قطره 650 مم، وطوله 6 م، ووزن رأسه الحربي نصف طن، وعدد الشظايا 10000، ومداه 65 كم، ودقة الإصابة 300 م.

10 - ذو الفقار:

باليستي بعيد المدى، يعمل بالوقود السائل، مداه 1600 كم، قادر على ضرب أهدافه بدقة عالية.

أبرز عملياته: عمليات توازن الردع الرابعة والخامسة والسادسة التي استهدف عاصمة

العـدو السـعودي "الرياض"، وشركة "أرامكو" في مينـاء رأس التنورة.

تـم الكشـف عنـه في العـام 2021، وهـو الأبـرز مـن بـين الصواريـخ اليمنية بعـد القدس 1 وقاصـم 1.

11 - النجم الثاقب:

أُستخدم في الجبهات الداخلية بشكل مكثّف خلال عامي "2017 - 2018".

12 - سعير:

باليستي مجنح قصير المدى، دخل الخدمة في العام 2021.

مـداه 1700 - 2500 كـم، يعمـل بالوقـود الصلـب، ويتميـز بدقتـه العاليـة في إصابـة الأهـداف.

13 - حاطم:

من الأسلحة الصاروخية الباليستية الدقيقة وبعيدة المدى.

14 - بركان 1:

باليسـتي مطـور مـن "سـكود بي"، مـداه 800 - 900 كـم، مصمـم رأسـه لقصـف القواعـد العسـكرية الضخمة.

15 - بركان 2:

باليسـتي مطـور مـن "سـكود بي"، مـداه 1000 كـم، مصمـم رأسـه لقصـف القواعـد العسـكرية الضخمـة.

16 - بركان 2 – H:

باليستي متوسط المدى، مداه 1400 كم.

17 - بركان 3:

باليسـتي بعيـد المـدى، قـادر عـلى إصابـة أهـداف عـلى طـول وعـرض جغرافيـا دول العـدوان، تـم تطويـره بتكنولوجيـا حديثة وبقواعد ثابتـة ومتحركة، وأُعلـن عنه لأول مرة في أغسـطس 2019، مـزود بتكنولوجيـا متطـورة، خضـع قبـل إدخالـه للخدمـة لعمليـات تجريبيـة ناجحـة وعمليـات تطويـر تقني لتجـاوز المنظومـات الاعتراضية للعـدو، ويُعتبر

مـن أهـم أسـلحة الـردع الاسـتراتيجي لقواتنا المسـلحة، تم اسـتخدامه في عملية اسـتهداف المرتزقـة بعـدن، وتنفيـذ عمليـات دقيقـة في العمق السـعودي.

18 - قاصم 1:

باليسـتي "أرض - أرض"، متوسـط المـدى، يعمـل بالوقـود الصلـب، يُمكـن التحكم بنظام التوجيـه، دقيـق جـداً في إصابـة الأهـداف.. تم الكشـف عنه في العـام 2021.

19 - قاصم 2:

باليستي مجنح، مداه 1700 - 2500 كم، دخل الخدمة في العام 2021.

20 - قاهر 1:

باليستي هجومي معدل من صواريخ "سام 2" الروسية.

21 - قاهر 2 – M:

باليستي، مداه 500 كم، ووزن رأسه الحربي 350 كجم.

22 - نكال:

باليسـتي قصـير المـدى، يعمـل بالوقـود الصلـب، يحمـل رأسـاً متشـظياً شـديد الإنفجار، يتميـز بدقتـه العاليـة جـداً في إصابـة الأهداف.

تم الكشف عنه في العام 2021.

23 - فلق - 1:

باليسـتي "أرض - أرض"، بعيـد المـدى، دقيـق الإصابة، يعمل بالوقود السـائل، يحمل عدة رؤوس، تم الكشـف عنه في سـبتمبر 2022.

24 - قدس 1:

مداه 140 - 180 كم.

25 - قدس 2:

باليستي مطور من كروز، مجنح وبعيد المدى، دخل الخدمة في العام 2021.

مداه 1700 - 2500 كم، يتميز بدقته العالية جداً في إصابة الأهداف.

أبرز عملياته: استهداف محطة توزيع "أرامكو" بجدة السعودية في 23 نوفمبر 2020.

26 - قدس 3:

باليستي مجنح "أرض - أرض"، مطور من كروز، بعيد المدى، قادر على الوصول إلى أهدافه بدقة عالية، لا تستطيع الرادارات اكتشافه، يعمل بالوقود السائل، تم الكشف عنه في سبتمبر 2022

27 - قاسم:

28 - بدر 1:

باليستي "أرض - أرض"، تم الكشف عنه في العام 2018، أُستخدم في عمليات ناجحة داخل العمق السعودية.. من الصناعات الذكية، مداه 350 كم.

29 - بدر 1 – P:

باليستي ذكي قصير المدى مطور من الصاروخ المحلي "بدر 1"، دخل الخدمة في العام 2019، وأُزيح الستار عنه في نوفمبر 2018.

يعمل بالوقود الصلب، وبإمكانه أن يتطور من "أرض - أرض" إلى "أرض - جو" نظراً لسرعته الفائقة وقدراته البسيطة من حيث عملية التصنيع، ودقة الإصابة 3 أمتار.

30 - بدر 2:

باليستي "أرض - أرض"، قصير المدى، دقيق الإصابة، يعمل بالوقود الصلب، تم الكشف عنه في سبتمبر 2022.

31 - بدر 3:

باليستي "أرض - أرض"، متوسط المدى، دقيق الإصابة، يعمل بالوقود الصلب، تم الكشف عنه في سبتمبر 2022.

32 - بدر F:

باليستي متشظي "أرض - أرض"، تم الكشف عنه في أبريل 2019.

مداه 160 كم، ينفجر على ارتفاع 20 متر، وتنتشر الشظايا في شعاع 350 متر، وعدد الشظايا 14 ألف شظية، ودقة الإصابة 3 م.

دخل الخدمة بعمليات نوعية لم يتم الإعلان عنها، وحقق في جميع تلك العمليات

أهدافه بنجاح.

33 - حاطم "بدر 4:

باليستي "أرض - أرض"، بعيد المدى، يعمل بالوقود الصلب، وهو من الجيل الرابع لصواريخ بدر، تم الكشف عنه في سبتمبر 2022.

34 - كرار:

باليستي "أرض - أرض"، طوله 9 م، وقطره 0.6 م، ومداه 300 كم، ووزن رأسه الحربي 500 كجم، يعمل بالوقود الصلب بنظام توجيه وتحكم ذكي، تم الكشف عنه في سبتمبر 2022.

35 - معراج:

باليستي "أرض - جو"، مطور من صاروخ "بدر P-1 "، يعمل بالوقود الصلب، وبنظامين حراري ورادراي، يتميز بدقته العالية في إصابة الأهداف الجوية، وقدرته العالية على المناورة، لا يتأثر بالتشويش.

36 - ثاقب 1، 2، 3:

منظومة دفاع جوي تم الكشف عن الفئة الثانية والثالثة في مستهل العام 2021، والأولى في العام 2019.

استطاع مجاهدي التصنيع العسكري تحويلها من صواريخ "جو - جو" إلى صواريخ "أرض - جو"، وإدخال تعديلات فنية وتقنية حديثة زادت مداها لتتراوح بين 9 و23 كم، وبما يجعلها قادرة على اعتراض وإصابة مختلف أنواع الطائرات الحربية الحديثة للعدوان، وكذا الحال بالنسبة لمنظومة "فاطر 1".

وفيما يتعلق بمنظومة "ثاقب 1" فقد دخلت الخدمة في أكتوبر 2017، ونجحت في إسقاط طائرة أميركية طراز "ام كيو 9" بعد شهرٍ واحد من دخولها الخدمة، وفي 6 سبتمبر 2018 نجحت في اعتراض مروحيات الأباتشي جنوب مدينة الحديدة، وفي 17 سبتمبر 2018 نجحت في اعتراض طائرة "ايرتراكتور" فوق أجواء مدينة الحديدة، وفي 23 ديسمبر 2018 تم إسقاط طائرة استطلاع "سي اتش فور" شمال مدينة صعدة، وفي 19 أبريل 2019 تم اسقاط طائرة "ونق لونق" في منطقة بني معاذ بصعدة.

37 - فاطر 1:

منظومة دفاع جوي تم الكشف عنها في العام 2017، ونفذت أول عملية تصدي بتاريخ 27 أكتوبر 2017، وسجلت أول عملية إصابة هدف معادي في 8 يناير 2018، وفي 25 يناير 2018 أُستخدمت في محافظة الحديدة.

38 - سام 6:

منظومة دفاع جوي تم الكشف عنها في مستهل العام 2021.

الطائرات المسيرة:

استحدثت وزارة الدفاع بصنعاء وحدة سلاح الجو المُسيرّ في أواخر العام 2017، ونجحت منذ العام 2016 في بناء طائرات بدون طيار بنماذج أولية قادرة على الطيران من 20 إلى 30 كم، ثم تطورت بالتدريج لتتجاوز 2600 كم، وأصبح بمقدورها الوصول إلى أي منطقة تُريدها في الإمارات والسعودية وصولاً إلى ميناء إيلات في فلسطين المحتلة، وكان لتلك المُسيرّات عظيم الأثر في إصابة العدو بمقتل وجعله يرضخ للغة السلام صاغراً، وجعل صنعاء بقوة الله وتوفيقه متحكمة بكل أوراق اللعبة سلماً وحرباً والملك المتوج على رقعة الشطرنج بلا منازع.

وكما في صواريخ النصر المؤزر والفتح المبين، نكتفي هنا بذكر ما أمكننا جمعه من معلومات عن هذا السلاح المهم في عملية التوازن والردع، مع التأكيد على تنوع نسور الجو من الرصد والتعقب إلى جمع المعلومات والمسح الجغرافي ورسم الخرائط حول الأهداف العسكرية والهجوم والاستهداف.

1 - رجوم:

قطرها 150 سم، وطول ذراعها 40 سم، ومداها أكثر من 10 كم، تحمل قذائف متفجرة وزنها أكثر من 40 كجم، وتقوم بتنفيذ مهام رصد تجمعات الأعداء ذاتياً، وتنفيذ عمليات استهداف دقيقة.

تستطيع ضرب أهداف متنقلة على مديات متوسطة وقريبة والعودة إلى أماكنها سالمة، أُستخدمت في تنفيذ في عمليات حربية مختلفة.

دخلت الخدمة في العام 2021.

2 - مرصاد 2:

استطلاعية عمودية، مداها 35 كم، لها القدرة على التحليق 8 ساعات، دخلت الخدمة في العام 2021.

3 - راصد 1:

استطلاعية قصيرة المدى، طول بدنها 100 سم، وجناحها 220 سم، وزمن التحليق 120 دقيقة، ومداها 35 كم، ونوع محركها كهربائي، وهي نموذج مشابه لطائرة "سكاي ووكر 8x " الصينية، متخصصة في الرصد والمراقبة اللحظية لميدان المعركة والتصحيح المباشر لإدارة النيران وجمع المعلومات، ومُزوّدة بأحدث تقنيّات التصوير الفوتوغرافي ونظام خاص بالمسح الجغرافي ورسم الخرائط، ذات محرك كهربائي.

استُخدمت لكشف تحرّكات العدو ورصد تجمّعاته في جبال نهم شرقي صنعاء في العام 2016.. تم الكشف عنها في فبراير 2017.

4 - رقيب:

استطلاعية قصيرة المدى، طول بدنها 100 سم، وجناحها 140سم، ومداها 15 كم، وزمن التحليق 95 دقيقة.

تتمتع بنظام دقيق للرصد والتعقب باستخدام الليزر، وذات تقنيّات تصوير متعددة، تُستخدم في المناطق الوعرة، وتُرافق كتائب المشاة.

تم الكشف عنها في فبراير 2017.

5 - هدهد 1:

استطلاعية قصيرة المدى، طول بدنها 150 سم، وجناحها 190، ومداها 30 كم، وزمن التحليق 90 دقيقة، تتمتع بصُغر مقطعها الراداري ما يُصعِّب من عملية اكتشافها، وصُغر كمية الإشعاع الحراري، ما يُقلل من احتمالية إصابتها بالصواريخ الموجهة بالأشعة تحت الحمراء.

تم الكشف عنها في فبراير 2017.

6 - خاطف:

هجومية، طولها 1.60 متر، وعرض جناحها 1 متر، وقطرها 11 سم، ومداها أكثر من 25 كم، تحمل رأس حربي شديد الانفجار (خارق ومتشظي) وزنه 40 كجم، ومزودة بنظام استشعار الأهداف الثابتة والمتحركة، وتقوم بمهام تكتيكية هجومية، وتستخدم ضد الآليات والمدرعات.

7 - خاطف 2:

طولها ١.٦٠ متر، وعرض جناحها ١ متر، وقطرها ١١ سم، ومداه يصل إلى أكثر من 35 كم، مزودة بنظام استشعار للأهداف الثابتة والمتحركة، تقوم بتنفيذ مهام تكتيكية هجومية، وتستخدم ضد آليات ومدرعات.. تم الكشف عنها في سبتمبر 2022.

8 - صماد 1:

استطلاعية، مداها أكثر من 500 كم، لها قدرة على رصد الأهداف مباشرة إلى غرفة العمليات.. تم الكشف عنها في يونيو 2018.

9 - صماد 2:

هجومية مسلحة، مداها 1000 كم.

تم الكشف عنها في يونيو 2018.

10 - صماد 3:

هجومية مسلحة، مداها 1500 - 1700 كم، تقوم بمهام هجومية متعددة، وتنفيذ أهداف استراتيجية بعيدة المدى، وتتميز بدقة إصابتها للأهداف، وتحمل رأس حربي شديد الانفجار.

يمكنها الانفجار من أعلى إلى أسفل أو الاصطدام مباشرة بالهدف، وتحتوي على كميات مناسبة من المتفجرات، تمتاز هذه المنظومة بتكنولوجيا مُتطوّرة لا تستطيع المنظومات الدفاعية اكتشافها واعتراضها.

أُستخدمت في تنفيذ أغلب العمليات الحربية الهجومية الكبرى في عمق العدو السعودي والإماراتي، منها شركة "أرامكو" النفطية السعودية، ومطار "أبو ظبي" في 26 مايو 2018.. تم الكشف عنها في يونيو 2018.

11 - صماد 4:

هجومية مسلحة، طولها 3 أمتار، وعرضها 5 أمتار، ومداها أكثر من 2000 كم، تحمل قنبلتين، وزن القنبلة 25 كجم، تقوم بتنفيذ مهام رصد ومهام هجومية متعددة وعمليات استهداف دقيقة.

دخلت الخدمة في العام 2021

يمكنها الوصول إلى الإمارات وأي هدف تريده داخل السعودية.

12 - شهاب:

هجومية ذكية، طولها 300 سم، وعرض جناحها 4 - 5 متر، ومداها 1000 - 1600 كم، قادرة على حمل عدة رؤوس متفجرة حسب نوع المهمة، يبلغ وزن رأسها الحربي 25 كجم لكل رأس، مخصصة لاستهداف الأهداف الثابتة والمتحركة.

دخلت الخدمة في العام 2021

استخدمت في تنفيذ في عمليات حربية مختلفة.

13 - قاصف 1:

طول بدنها 250 سم، وجناحها 300 سم، ومداها 150 كم، وزمن التحليق 120 دقيقة، يعمل محركها بالبنزين، قادرة على حمل 30 كجم من المتفجرات، ومزوّدة بنظام ذكي لرصد الهدف.

دخلت الخدمة في فبراير 2017.

14 - قاصف كي 2:

دخلت الخدمة في يوليو 2019، مداها أكثر من 1800 كم، وهي مطورة من قاصف 1، استخدمت في تنفيذ في عمليات حربية مختلفة، وتمتاز بقُدرة عالية على تضليل أنظمة الرادار، وتنفجر من أعلى إلى أسفل بمسافة 20 متراً، بمدى مؤثّر وقاتل يصل إلى ما بين "30 - 80" متراً، ويمكنها حمل كمّيات مُناسبة من المُتفجّرات بهدف مُضاعفة القوّة التدميرية.

تم الكشف عنها في يونيو 2018.

15 - وعيد:

هجومية مسلحة، تعتبر الأحدث والأكثر فتكاً بالعدو والأكبر حجماً بين الطائرات المُسيّرة اليمنية الصنع، طول جناحها 4 م، وعرضه 3 م، ومداها أكثر من 2500 - 2600 كم، تحمل عدة رؤوس متفجرة يزيد وزنها عن 2500 كجم، وتقوم بتنفيذ عمليات هجومية دقيقة، وبإمكانها الوصول إلى ميناء إيلات في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

دخلت الخدمة في العام 2021.

16 - نبـــأ:

متخصصة في الرصد والمراقبة وجمـــع المعلومات بمديات متفاوتة، دخلت الخدمة في العام 2021.

المدفعية والقناصات والدروع:

تم تصنيع العديد من المدافع، أهمها:

1 - مدفع رجوم: بمختلف العيارات.

2 - قذائف المدفعية: بكل أنواعها.

كما أحرزت وحدة التصنيع العسكري تقدماً كبيراً في صناعة الألغام الأرضية والذخيرة بمختلف الأحجام والأنواع والقناصات بمختلف أنواعها، ومن أهم القناصات اليمنية التي تم الكشف عنها في العام 2021:

قاصم، خاطف، أشتر، حاسم، ذوالفقار 1، ذو الفقار 2، سرمد، صارم - معدل.

وكشفت وحدة التصنيع العسكري في العام 2021 عن أهم صناعاتها في مجال الدروع القادرة على تدمير آليات العدو ومدرعاته، وأزاحت الستار عن عدة قبضات بأشكال وأحجام مختلفة حسب نوع الهدف، ومهام متعددة، لكل قبضةٍ عبوات خاصة بها.

المدرعات والدبابات:

المدرعات والدبابات هي الأخرى نالها من الحب والاهتمام جانب، وأصبحت اليمن بفضل الله لديها ما يحق للأجيال أن تفخر به، وتنوعت صناعاتها في هذا المجال لتغطي الجانب الحربي والجانب الأمني، ولا زالت هناك الكثير من المفاجآت التي لم يُكشف عنها في هذا المجال.

1 - هاني:

مدرعة قتالية هجومية ودفاعية في نفس الوقت، طولها 5 متر، وعرضها 1.60 متر، وارتفاعها 2.65 متر، ووزنها الكلي 4.2 طن، وسعة محركها 4,5، وسرعتها القصوى 120 كم في الساعة، ودوران منصة الرمي "البرج" 360 درجة، ونوع محركها بترول، لها زجاج مدرع ضد الرصاص، وهيكلها درع فولاذي ضد الرصاص مقاوم للحرارة.

تحمل سلاح عيار 12.7 ملم، وتتسع لـ 6 أفراد بأسلحتهم، ومزودة بجهاز توازن، مرنة عند الحركة، وسريعة عند الاشتباك، وتُؤمِّن التقدم النوعي في ميدان المواجهة، وتُستخدم كمترس متحرك في الصحراء.

تم الكشف عنها في سبتمبر 2022، وأطلق عليها اسم "هاني" تيمُّناً وتبركاً وتخليداً لاسم الجندي الشهيد المجاهد "هاني طومر" لموقفه الشجاع بعد أن ضحى بنفسه في سبيل إنقاذ عدد من رفاقه الذين كانوا محاصرين في إحدى جبهات القتال الشمالية في محافظة الجوف.

2 - بأس 1:

مدرعة تستخدم في المهام الأمنية، تم الكشف عنها في أغسطس 2020، تتبع وزارة الداخلية.

3 - بأس 2:

مدرعة تستخدم في المهام الأمنية، تم الكشف عنها في ديسمبر 2022، وتجهيزها بأحدث التقنيات والمعدات، لتكون رافداً كبيراً لمساندة رجال الأمن في مهماتهم لتثبيت الأمن والاستقرار والحفاظ على السكينة العامة.

القوات البحرية:

تمتلك اليمن لأول مرة في تاريخها أنظمة دفاع ساحلية تكتيكية مُضادة للسفن العملاقة والفرقاطات الحربية المعادية، جرى تصميمها لتدمير أي أهداف بحرية تحاول الاقتراب من المياه الإقليمية، قادرة على تدمير وإغراق حاملات الطائرات بمختلف صنوفها، وهي نواة للمعركة الفاصلة لتحرير الجزر والسواحل اليمنية وتطهيرها من رجس قوى الاحتلال وأذيالهم المحلية، واستعادة سيادة اليمن على مياهه الإقليمية وثرواته البحرية بعد عقود من الاستلاب والاستباحة لسيادتنا والنهب والفيد لثرواتنا البحرية.

أولاً: الصواريخ البحرية:

1 - المندب 1:

من نوع "كروز" مُضاد للسفن، طوره خُبراء ومهندسي الجيش اليمني من الصاروخ الصيني "سي - 801"، طوله 5.81 متر، وقطره 0.36 متر، يعمل بالوقود الصلب له قدرات فائقة في رصد وإصابة الأهداف بدقة عالية.

2 - المندب 2:

من نوع "كروز" مُضاد للسفن، طوله 7 متر وقطره 0.36 متر، ومداه أكثر من 300 متر، له قدرات كبيرة على رصد وإصابة الأهداف بدقة عالية، بعيد المدى، يعمل بالوقود السائل.

عُرض لأول مرة في نوفمبر 2017، وهو حصيلة تطوير محلّي تم تطويره من الصّواريخ الصينية "سي - 801"، أُستخدم في 3 عمليات رئيسية لاستهداف القطع البحرية التابعة للتحالف السعودي خلال العام 2018.

3 - روبيج ب - 21:

روسي الصنع، طوره التصنيع العسكري اليمني وأعاده للخدمة بعد أن كان خارج الجاهزية، طوله 6.57 متر، وقطره 0.78 متر، وعرض أجنحته 2.5 متر، ووزن رأسه

الحربي 513 كجم، ومداه 80 كم، ووزن الصاروخ 2523 كجم، وسرعته 1100كم / الساعة / (ماخ 0.9).

نظام التوجيه ذاتي راداري.

4 - روبيج ب - 22:

روسي الصنع، طوره التصنيع العسكري اليمني وأعاده للخدمة بعد أن كان خارج الجاهزية، طوله 6.57 متر، وقطره 0.87 متر، وعرض أجنحته 2.5 متر، ووزن رأسه الحربي 513 كجم، ونظام التوجيه كهروبصري "حراري".

5 - البحر الأحمر:

باليستي "أرض - بحر"، مطور من صاروخ "سعير"، متوسط المدى، يعمل بنظامين حراري وراداري، ويمتاز بسرعته العالية.

6 - محيط:

باليستي "أرض - بحر"، مطور من صاروخ "قاهر 2 – M"، مخصص للأهداف البحرية، متوسط المدى، يعمل بالوقود الصلب والسائل، ويتميز بقدرته العملية في كل الظروف الجوية.

7 - عاصف:

باليستي "أرض - بحر"، طوله 10 م، وقطره 0.7 م، ومداه 400 كم، ووزن رأسه الحربي 550 كجم، يعمل بالوقود الصلب، وبنظام توجيه وتحكم ذكي.

8 - فالق 1:

باليستي بحري، طوله 6 متر، يعمل بالوقود الصلب، متوسط المدى، يصل مداه إلى أكثر من 200 كم، يحمل عدة رؤوس، قادر على التقاط الأهداف بصرياً وحرارياً وإصابة بدقة عالية.

ثانياً: الزوارق البحرية:

تم الكشف في سبتمبر 2022 عن مجموعة من الزوارق الحربية الهجومية والقتالية المسيرة، منها:

1 - عاصف 1:

يتميز بسرعته العالية وقدرته الفائقة على المناورة، له القدرة على حمل أسلحة متوسطة وخفيفة كرشاش عيار 14.5 وكاتيوشا 107، و4 أفراد مع عتادهم، ويقوم بمهام قتالية متعددة منها الإغارة على الأهداف البحرية الثابتة والمتحركة.

2 - عاصف 2:

له مهام استطلاعية واستخباراتية متعددة، ويحمل بعض أجهزة الحرب الالكترونية والرصد والاستطلاع والتشويش على رادارات واتصالات العدو.

3 - عاصف 3:

له قدرة فائقة على المناورة، وحمل أسلحة متوسطة ودفاع جوى كمدفع وعيار 23. و6 أفراد مع عتادهم، ويقوم بمهام قتالية متعددة منها اعتراض الأهداف البحرية المتحركة واقتحام السفن.

4 - ملاّح:

يتميز بسرعته العالية وقدرته الفائقة على المناورة، قادر على حمل أسلحة متوسطة كرشاش عيار 12.7 وعيار 14.5 وأربيجي، و6 أفراد مع عتادهم، ويقوم بمهام قتالية متعددة منها الإغارة على الأهداف البحرية الثابتة والمتحركة.

5 - طوفان 1:

يحمل رأس حربي 150 كجم، ويتميز بصغر حجمه وسرعته العالية وقدرته الفائقة على التخفي عن أجهزة العدو، تصل سرعته إلى 35 ميل بحري في الساعة، ويستخدم لاستهداف الأهداف البحرية الثابتة والمتحركة القريبة، ويعتبر جزءاً من الأسلحة الدفاعية عن السواحل والجزر اليمنية.

6 - طوفان 2:

يحمل رأس حربي وزنه 400 كجم، ويتميز بسرعته العالية وقدرته الفائقة على المناورة والتخفي عن أجهزة العدو، تصل سرعته إلى 41 ميلاً بحرياً في الساعة، ويستخدم في استهداف الأهداف البحرية الثابتة والمتحركة.

7 - طوفان 3:

يحمل رأس حربي وزنه 500 كجم، يتميز بانسيابيته وسرعته العالية وقدرته الفائقة على المناورة والتخفي عن أجهزة العدو، تصل سرعته إلى 52 ميلاً بحرياً في الساعة، يستخدم لاستهداف الأهداف البحرية الثابتة والمتحركة البعيدة وفي جميع الظروف البحرية.

ثالثاً: الألغام البحرية:

كشفت القوات البحرية في أكتوبر 2018 عن إنتاج نوعين من الألغام البحرية الغاطسة تحت اسم مرصاد 1 ومرصاد 2، وفي العام 2021 تم عرض 11 لُغماً بحرياً، منها:

1 - كرار 1، 2، 3.

2 - عاصف2، 3، 4.

3 - شواظ.

4 - ثاقب:

يتميز بآلية مغناطيسية للتثبيت على بدن القطع البحرية المُعادية، عبر عناصر الضّفادع البشريَّة.

5 - أويس.

6 - مجاهد.

7 - النازعات.

وفي سبتمبر 2022 كشفت الصناعات العسكرية البحرية عن ثلاثة أنواع من طراز مسجور 1، ومسجور 2، وثاقب.

بلغ مجموع الألغام البحرية التي تم الكشف عنها 16 لُغماً، وهذا انجازٌ قياسي في ظل الحرب والحصار وانعدام الموارد.

هذه الأسلحة البحرية، تمثّل أسلحة استراتيجية، يمكن أن تُشكّل معادلة فارقة في المواجهة مع تحالف العدوان، في حال لم يرضخ للغة السلام.

المراجـــــع:

1 - رشيد الحداد، معاجزة التصنيع الحربيّ: الصواريخ والمُسيَّرات لم تَعُد حلماً، صحيفة الأخبار اللبنانية، 25 مارس 2022.

2 - حمدي دوبلة – إبراهيم الأشموري، التصنيع العسكري اليمني يقهر التحديات ويطل بأحدث أنواع السلاح، صحيفة الثورة اليمنية، 21 سبتمبر 2022.

3 - عباس الجمري، الاستعراض العسكري للقوات المسلحة اليمنية جعل السعودية في وضعية المحاصر بين فكي كماشة، وجعل الساحة مفتوحة على التكهنات، الميادين، 28 سبتمبر 2022.

4 - عبده عطاء، الهُوية نت، الصناعات العسكرية اليمنية .. يمنيون يصنعون المستحيل في الجو والبر والبحر، 31 أغسطس 2022.

5 - إرشيف موقع المشهد اليمني الأول خلال الفترة "2016 - 2023".

6 - موقع أنصار الله، الصناعات العسكرية اليمنية تُربك حسابات العدوان، 13 مارس 2021.

7 - موقع الوقت التحليلي، اليمن تدخل عالم تصنيع الصواريخ والطائرات دون طيار وتُحرج الصناعات الدفاعية الأميركية، 15 مارس 2021.

8 - سبوتنيك عربي الروسية، خبير عسكري يمني يكشف مراحل تطور الدفاع الجوي والطائرات المُسيّرة في صنعاء، 14 فبراير 2019.

9 - صحيفة لاكروا الفرنسية، الصواريخ اليمنية تُلقن السعوديين دروساً قاسية، 12 مارس 2021.

10 - موقع يمانيون نقلاً عن موقع الميادين نت، بعد 8 أعوام من الحرب.. أي مستويات بلغتها ترسانة صنعاء العسكرية؟، 30 مارس 2023.

11 - موقع الخنادق، التصنيع العسكري اليمني: مُدنٌ محصنة في الجبال، 5 أكتوبر 2021.

12 - عربي بوست، من قوة بدائية لترسانة مُدججة .. قصة قوة الحوثيين

الصاروخية والجوية وأي من دول المنطقة يستطيعون قصفها؟، 18 يناير 2022.

13 - وكالة الصحافة اليمنية، الطائرات المسيرة اليمنية.. من لحظة الإعلان وحتى آخر العمليات النوعية، 27 فبراير 2020.

14 - يمني برس، 28 سلاحاً للقوات المسلحة اليمنية بينها 6 صواريخ باليستية و12 سلاحاً بحرياً و5 دفاع جوي و3 مسيرات، 23 سبتمبر 2022.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

الشعب اليمني العظيم يستعيد هويته الإيمانية بمولد النور طه

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشي

ربيع الأول 1445هـ - سبتمبر 2023م

تحتفي الأمة الإسلامية في الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام بمولد رسول الله صلى عليه وآله وسلم، وللاحتفاء بهذه الذكرى الغالية على قلوب الموحدين، نكهة خاصة في اليمن، خصوصاً بعد ما شهده هذا البلد المؤمن المُبارك من تغييرات جذرية عقب ثورة 21 سبتمبر 2014 بقيادة حفيد رسول الله السيد القائد العلم "عبدالملك بدر الدين الحوثي" حفظه الله ووفقه لكل خير، من أهم مُدخلاتها استعادة هذا الشعب العظيم هويته الإيمانية وأخلاقه العربية الأصيلة، ودوره الريادي في مُناصرة الإسلام وقضاياه، وسط مُحيطٍ عربي يموج بالتفسّخ والتعرّي الأخلاقي والديني، والانبطاح والتقزّم لأمّةٍ أراد الله لها العلّية وأراد لها حُكّامها من صهاينة العرب الضعف والوهن، أمّة جعلها الله شاهدة على الأمم وجعلها حُكّامها من صهاينة العرب مضحكة للأمم.

فعاليات إحياء ذكرى المولد النبوي في اليمن هذا العام تكتسب أهمية خاصة لإتيانها مع وصول اليمن إلى مراحل متقدمة من التصنيع العسكري، صار طُغاة العالم وأحذيتهم الإقليمية يحسبون لها ألف حساب، وفي هذا عزة وتمكين لأحفاد أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبلادهم الميمون المبارك، بالتوازي مع تزايد الهجوم الغربي والصهيوني على الإسلام ونبيه عليه وعلى آله الصلاة والسلام، ما يجعل من فعاليات إحياء المولد النبوي المليونية لأحفاد الأنصار رسالة واضحة لكل من تُسَوّل له نفسه الإساءة لنبي الرحمة، بأن شعب الأنصار حاضرٌ بكل قوّته للدفاع عن الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورفع راية الإسلام خفاقة أبيّة، والإعلاء من مكانة الإنسان المسلم الذي كرّمه الله في مُحكم التنزيل على سائر مخلوقاته وأناط به مُهمّة إعمار الأرض بالخير والصلاح والفضيلة.

الإسلام في جوهره ثورة اجتماعية على الظلم والطغيان وكل ألوان الاستعباد والاستغلال لبني الإنسان، ولهذا كان أنبياء الله ورُسله عليهم السلام يحملون مشاعل النور والحق والحرية ويستقطبون بنور الحق كل المعذبين والمستضعفين في الأرض، والجماهير البائسة التي مزقتها أساطير الآلهة الدنيوية المُزيّفة روحياً، وشتتها الجاهلية فكرياً، ووقعت فريسة أشكال مختلفة من الاستغلال والظلم الاجتماعي.

لهذا كانت النبوة كظاهرة ربانية تمُثّل رسالة ثوريّة، وعملاً تغييرياً جذريّاً، وإعداداً ربانيّاً للجماعة المؤمنة، لكي تستأنف دورها الصالح في مجتمعٍ تسوده الفضيلة وترفرف فوق ربواته راية الحق والعدل.

هذه الثورة الإلهية تستدعي بأن يتسلّم شخص النبي الخلافة التي تُعتبر وسام السعادة للبشرية، ومن بعده أهل الصلاح من ذريته الطيبة الطاهرة، وبموجب هذا التكريم الإلهيّ للبشرية ببعثة الأنبياء والرُسل لم يعد بمقدور أحدٍ من طُغاة البشرية أن يستغلّ الآخرين أو يظلمهم أو ينهب ثرواتهم أو يغشّ في معاملتهم أو يكذب عليهم أو يسخر منهم، بل لا بُدّ أن يتعامل معهم - والخطاب هنا للحُكّام ومن بيده المسؤولية على بني الإنسان أياً كان نوعها ومُستواها - بالقسط والعدل والتعاون على أساس الحب والاحترام، وبسبب هذه المقاصد السامية حظي الإنسان في ظلّ الإسلام بالاحترام والتقدير والتحرر من عبودية غير الله "لا إله إلا الله" عكس سائر الأديان التي لم تَسلم من التحريف والتوظيف السياسي لصالح مصالح الأنا البشرية الهادمة لصروح الفضيلة والعدالة.

حروف مُضيئة من سيرته العطرة:

بينما كان سكان مكة غارقين في أحلامهم وشهواتهم وملذاتهم، والظلم بلغ مداه، والجهل في أوجه، والحريات قُيِّدت، والحقوق سُلِبت، والأفواه كُمّمت، والأحجار قُدِّست وعُبِدَت، والحدود عُطِّلت، والطفلة وئِدت، والمرأة صارت من سِقط المتاع تُباع وتُشترى، والطبقية تجذّرت وتغوّلت، والعنصرية أُثيرت وطغت، والفتنة تأجّجت نيرانها وأحرقت في طريقها البسطاء والمساكين والمستضعفين، وصار قانون الغاب سيد الموقف، والإنحلال والانحطاط سلعة التفاخر البائرة في أوساط عِلية القوم.

في هذه الأجواء الملغومة كانت البشارة الإلهية بخروج نور الرحمة المُهداة للعالمين من بيت عبدالمطلب بن هاشم ليبدّد الله به حُجب الظلام.

مولده صلى الله عليه وآله وسلم في صبيحة يوم 2 وقيل 3 وقيل 8 وقيل 9 وقيل 10 وقيل 12 وقيل 17 وقيل 22 ربيع الأول، وقيل في ربيع الثاني، وقيل في رمضان،

وقيل في صفر، وقيل في رجب، وهناك من علماء المدرستين من رجح 9 و12 و17 ربيع الأول، وما نميل إليه في أحد يوميّ 12 و17 ربيع الأول.

والمؤكد هنا أن مولده صلى الله عليه وآله وسلم بعد 55 يوماً من هلاك أصحاب الفيل عام 570، وفي رواية 20 أو 22 أبريل 571 م، وسنة 882 من تاريخ الإسكندر ذي القرنين عليه السلام، و40 سنة خلت من مُلك كسرى أنو شيروان.

وُلد صلى الله عليه وآله وسلم مختوناً طاهراً مُطهراً وحبله السري مقطوع، ولا صحة لدعاوى البعض فيما يتعلق بحادثة شق الصدر المُختلقة وإخراج مُضغة الشيطان منه لما فيها من قدح في حقه صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الرواية من الروايات الإسرائيلية المدسوسة، تحدّث عنها العديد من علماء المدرستين ونسفها من جذورها، وليست محل بحثنا هنا وإنما غرضنا التوضيح فقط.

بعد ولادته صلى الله عليه وآله وسلم أرسلت أُمّه رحمة الله عليها إلى جدّه رحمه الله تُبشّره بحفيده، فجاء مُستبشراً، ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكره، وسمّاه "محمداً"، ولم يكن هذا الاسم مُعروفاً في العرب.

تُوفيّ والده وهو لايزال في بطن أمّه، وتوفيت أمّه بالأبواء - موضع بين مكة والمدينة - وله 6 سنين.

فتولى جده رعايته، وتوفيّ - بعد أن أوصى به إلى ابنه أبي طالب وله صلى الله عليه وآله وسلم 8 سنوات وشهرين و10 أيام، فكفله عمه أبو طالب شيخ الأبطح رحمة الله عليه - وكان مؤمناً موحداً عكس ما ادّعى البعض من عُتاة الوهابية وهناك العديد من الكتب حول إيمانه وعدم مقاربته المحرمات منها كتاب "أسنى المطالب في إيمان أبي طالب" وكذا الحال بالنسبة لأم رسول الله ووالده وجده ولم يشذّ عن الطوق من أبناء عبدالمطلب سوى أبو لهب، وظلّ فوقه 40 سنة يُعِزُّ جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويُصادق ويخاصم من أجله.

وحكّمت قريش رسول الله في وضع الحجر الأسود بركن الكعبة وعمره 25 سنة، وفيها تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي سلام الله عليها، وتوفيت هي وكافل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وناصره أبو طالب عليه

السلام قبل الهجرة بثلاثة أعوام، وبعثه الله إلى الخلق وهو في 40 سنة.

نزل إليه روح القُدس جبريل الأمين عليه السلام يوم الاثنين 12 ربيع الأول، وقبضه الله صبح يوم الاثنين 12 ربيع الأول، وقيل 28 وقيل 29 صفر، وفي بعض السِيَر في شهر رمضان، والأرجح عند أطياف المدرسة السُنية 12 ربيع الأول وعند إخواننا الجعفرية 28 صفر، والمؤكد أنه في سنة 63 من عام الفيل، و23 من عام البعثة، و11 من عام الهجرة، ودُفن صلى الله عليه وآله وسلم في حُجرته المباركة، في موضع وفاته، بمسجده بالمدينة المنورة.

وُلد صلى الله عليه وآله وسلم وبُعث وهاجر ودخل المدينة وقُبض يوم الاثنين، وفي هذا التوافق سِرٌ عظيم.

هذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طِفل ما تعرّى مع الصبيان، ولا شرب الخمر مع الشبان، ولا تعاطَ اللهو مع اللاهين كما يدّعي أقتام الوهابية، ولا عرف طريق البغايا، ولا سجد لصنم، حفظه الله في غُدوّهِ ورواحه، في جلوسه وترحاله، يقول عنه تلميذه ووصيه الإمام علي عليه السلام: "لقد قرن الله برسوله أعظم مَلك من ملائكته".

وعند بلوغه سن اليافعين اشتغل في رعي الأغنام ليتعلم منها كيفية قيادة وسياسة الأمة وإدارة أمورها، لأن مهنة الرعي من أروع الدروس في تعلّم فنون التعامل مع الآخرين، كما أنها تغرس في النفس البشرية الصبر والتحمل وسعة الصدر.

عمل بعدها في التجارة بمال خديجة بنت خويلد سلام الله عليها، لكي لا يكون عالة على الآخرين ، وليكسب قوته بعرق جبينه، وفي مرحلة متقدمة أصبحت له تجارته بدعم عمه أبو طالب سلام الله عليه.

أطلق عليه كفار قريش لقب الصادق الأمين لما لمسوه منه من صدق وأمانة وأخلاق عالية، كانت من أهم عناوين رسالته الخالدة: "إنما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق"، فكان مستودع أمانات قومه، والقاضي في فصل خصوماتهم وحلّ قضاياهم ومشاكلهم ونزاعاتهم المُعضلة، كما في حادثة وضع الحجر الأسود بمكانه بعد بناء الكعبة الذي كان له الشرف الأعلى في كل مراحلها وصولاً إلى تحكيمه في حل معضلة الحجر الأسود.

ومن أرض مكة القاحلة طلع ربيع الإنسانية، وسطع نور الحق واليقين فملأ الأرض عدلاً ونوراً بعد أن مُلئت ظُلماً وجورا.

أسرته بنو هاشم، وقومه قريش، وأمّته المسلمون، ووطنه شبه الجزيرة العربية، هذا هو وطنه، وتلك أمّته، وأولئك قومه، وهؤلاء عشيرته.

وهو صلى الله عليه وآله وسلم رجل الدنيا وواحدها حقاً، يتردد اسمه الشريف وتُصلي وتسلم عليه وعلى آله ملايين الشفاه، وتخشع لذكره ملايين القلوب في كل يوم وليلة خمس مرات على الأقل، وترتجّ وتتزلزل خشية وخوفاً بمجرد ذكره ملايين القلوب الكافرة به وبرسالته.

عُرف صلى الله عليه وآله وسلم بالتسامح والتواضع والحلم والذكاء والصدق والسخاء ومكارم الأخلاق، ولا عجب، فهو القائل: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"، وهو من قال الله فيه: "وإنك لعلى خُلقٍ عظيم"، وأعجز برسالته الخاتمة للرسالات الإلهية أرباب البلاغة والبيان وأساطير الفلسفة والمنطق، وعلَّمه ربه فقال له "اقرأ"، فسُميت أمته أمة "اقرأ"، ولنا هنا أن نتساءل: لو كان صلى الله عليه آله وسلم كما يذهب البعض أُميّ لا يقرأ ولا يكتب، فلما خاطبه الله سبحانه وتعالى بقوله "اقرأ"؟.

أمّة محمد بين الأمس واليوم:

استطاع صلى الله عليه وآله وسلم خلال 23 عاماً من الدعوة إلى دين الله بمرحلتيها المكية والمدنية، أن يصنع أعظم دولة عرفها التاريخ، أرسى قواعدها على مبادئ العدل والمساواة والعمل الصالح وحُب الآخرين واحترام حقوق الإنسان ومنع العنصرية والطبقية والتسلُّط والاستعباد.

وامتازت رسالته بالعالمية والصلاحية للخلود رغم تطور الزمن، عكس الديانات الإلهية الأخرى فقد كانت رسالتهم الإلهية محصورة في نطاق جُغرافي وعِرقي محدد، فقبلُ سايَرت الرسالة المحمدية عالم السيف والرمح والقوس والناقة كما أنها تساير اليوم عالم الصواريخ والأقمار الصناعية والطائرات والبواخر والكمبيوتر، دستورها القرآن الكريم، وهو كتابٌ إلهيٌ شاملٌ لكل مناحي الحياة

الإنسانية ومحفوظٌ بحفظ الله إلى قيام الساعة عكس الكتب الإلهية الأخرى.

وهذا أمرٌ طبيعي لأنه صلى الله عليه وآله وسلم جاء بما لم يكن في حُسبان أحدٍ من الناس روحياً ومادياً، بِشرعةٍ واضحة البيان والأركان، صالحة لكل زمانٍ ومكان، حوت في ثناياها خير الدنيا والآخرة.

الحديث عن حياة رسول الرحمة والمحبة والإخاء والعدل والانصاف والأمن والسلام هو حديث عن شخصية عجزت عن إدراك غاياتها عقول الناس، لأن حياته صلى الله عليه وآله وسلم تجمّعت فيها كل معاني النبل والفضيلة والكمال، وأصبحت مصدر إشعاع لكل القيم الشريفة والمُثل العليا.

كيف لا وهو المبعوث رحمة وهُداً ونوراً للعالمين، نعم إن الحديث عن هذه الشخصية الإنسانية الربانية ليس كالحديث عن حياة شخص آخر لا يمتاز عن الحيوان إلا أنه عرف أمسه وأدرك يومه ومات في غده، فحياته صلى الله عليه وآله وسلم مختلفة عن ذلك تمام الاختلاف، إذ هو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، ولذا كانت حياته كلها حقائق تخضع لها عُقولنا، ونور ينسج ليل أفكارنا وظُلُمات صدورنا.

كلما زاد الإنسان المسلم حياة نبيه درساً، زادته شوقاً إليها، وعلماً ونوراً وعقلاً، لأن حياته صلى الله عليه وآله وسلم خالدة فياضة بالنور والهدى، مُتجددة بتجدُد الأيام، متطورة بتطور العقل، لها في كل جيل أثر، وفي كل أمة آية، وفي كل عصر قيمة ومكانة هامة.

ما أحوجنا ونحن نحتفل بمولد النور طه صلى الله عليه وآله وسلم إلى التذكير بأنه صلى الله عليه وآله وسلم "الآن"، ليس جسداً يرقد في المدينة المنورة، بل: "موقف وشعار وجبهة وراية وسيف"، موقف الحق ضد الباطل، وشعار الفضيلة ومكارم الأخلاق ضد الرذيلة والعادات الجاهلية الرعناء، وجبهة العدل ضد الظلم، وراية الحرية ضد العمالة، وسيف العدل في وجه الطاغوت والشيطان، فلا تضيعوا جبهته فتضيعوا، ولا تُنكسوا رايته فتسقطوا، لأنه رفيق الله لا السلاطين وأحزابهم، ومن عزّ بغير الله ذل.

والإسلام ليس مجرد طقوس وشعائر جامدة، بل ثورة شاملة وجذرية على مبادئ

وعادات وأخلاق الجاهلية، ثورة على تاريخ طالما احتضن الفساد لا سواه، ثورة رسالية عالمية غير مسبوقة في تاريخ الإنسانية غيرّت مجرى التاريخ البشري كله، لأنها أكبر من التاريخ، وأقوى منه على الصمود والديمومة والخلود، ثورة رسالية حملت بين ثناياها آمال الإنسانية وأحلامها وتطلُعاتها، واحتضنت بين آياتها وسورها خيرات الأمم والشعوب وعزتها وكينونتها وكرامتها، ورفعت على الرؤوس لواء الحق والعدل والحرية والأمن والسلام والرحمة والتسامح والتعايش والإنصاف.

يا رسول الله يا نبي الرحمة يا من كنت تقول حتى جاءك ملك الموت عليه السلام: "أمتي أمتي"، وتسأله وأنت في نزعك الأخير: "أهكذا تنزع أرواح أمتي"، فيقول لك: "وأشد من ذلك"، فترمق بطرفك الشريف إلى السماء مُناجياً ربك: "إلهي شدِّد علي وخفف عنهم".

ها هي أمتك اليوم تعيش النزع الأخير، وها هم الطُغاة الذين أسقطت عروشهم ينتزعون أرواح أحبابك وأحباب أهل بيتك عليهم السلام في اليمن وفلسطين والبحرين والإحساء والقطيف بلا رحمة وبلا إنسانية وبلا وازع وبلا ضمير، وها هي مكة والمدينة، البقاع الطاهرة المطهرة والمكرمة بمبعثك ونبوتك ورسالتك أصبحت ساحة مفتوحة يقصدها ما يُسمى بالفنانين من الكفار والمشركين والمثليين وغيرهم من شذاذ العالم لإقامة فعالياتهم الصاخبة بالمجون دون احترام أو مراعاة لقداستها وأهمية مكانتها لدى المسلمين.

ها هي أمتك يا رسول الله من الكثرة بمكان ولكنهم والعزاء لك كغثاء السيل، قادتهم متناحرون يلتقون بالسلام والعناق الأخوي الذي ظاهره الألفة والرحمة وحقيقته الباطنة التدابر والتقاطع والشحناء، وبعد لقاءاتهم التي لم تُقدم للأمة سوى الذل والهوان وتمكين أعداء الإسلام من بلاد الإسلام، وجعل أمة الإسلام تابعة ذليلة لطُغاة العالم من اليهود والنصارى، بعد تلك اللقاءات الطافحة بالكذب المعسبل والنفاق الدبلوماسي، يمسحون عرق المُجاملة ويشرعون في تقطيع وذبح بعضهم.

هذه هي أمتك يا نبي الرحمة والمستضعفين وهذا هو حالها، أمتك يا نبي الرحمة والعزاء لك لم تعد تحفظ من سجل الرسالة الخالدة سوى الاسم، ولم تعد تُجيد سوى

رفع وترديد الشعارات المُجافية لواقعنا الذي بات أشبه ما يكون بالجاهلية الأولى.

يا حبيب الله ها هو أبو لهب يطل على أمتك من جديد رافعاً رايتك ومنادياً بشعاراتك، وباسم الحفاظ على دينك ينشر في أوساط أُمتك الكبت والإرهاب، ويصادر حُريتهم، ويشتري ذممهم وضمائرهم وولائهم.

يا حبيب الله ها هو أبو لهب يعود إلينا بأمواله وبناياته وعماراته ليحتقر أمتك ويستهين بها ويتلاعب بمصائرها، بينما أمتك كالسوائم.

يا رسول الله لنا في كلِ قُطرٍ عربي وإسلامي جُرحٌ ينزف وأخلاقٌ تنتحب وتعاليمٌ دينية تتلاشى، ومن أراد إعادة أمتك إلى المحجة البيضاء من القادة والعلماء الأحرار وصموه بكل المقذعات ورموه بكل الموبقات واتهموه بكل المنكرات واستشاطوا ضده غضباً وحركوا كل كلابهم المسعورة لإسكاته والقضاء عليه، وما نراه من تكالب تحالف العاصفة على اليمن الميمون في سنوات عدوانهم الثمان وسُعارهم المتطاير ضد أحرار المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان والعراق ومحور الصمود والممانعة كاشف لأحفاد أبو لهب من صهاينة العرب وفاضحٌ لعدائهم الدفين والمتجذّر للإسلام ونبي الإسلام.

ووالله لو عاد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن على ما نحن فيه من الضعف والوهن والابتعاد عن تعاليم الله لأخذ سوطاً وألهب به ظهور القادة والساسة والزعماء الغُثائيين من صهاينة العرب، وأعاد جمع أحرار أمته تحت رايته مُعلناً الجهاد المقدس من جديد لحماية الإسلام وحُرماته ومقدساته المُستباحة، وشرع في إعادة الحقوق المُستلبة من المسلمين المستضعفين، وكشف القناع عن علماء السلاطين وما ألحقوه بالأمة من خراب ودمار فكري ومعنوي، وجعل كلمة الذين آمنوا العليا وكلمة الذين كفروا السفلى كما أراد الله سبحانه وتعالى، ووضع يده الشريفة وقُدراته في يد كل مشروعٍ من شأنه أن يضرب أعداء الإسلام ويُذلّهم ويرفع راية أهل الحق ويُعزّ مُحبيه.

فهل حان الوقت للعودة الصادقة إلى ديننا والاقتداء بنبينا حين امتنع عن عطية الاستبعاد السياسي القرشي، فخدعها بالصبر عليها وعالجها بالترويض حتى أصبحوا المطية الذلول في فتح مكة!.

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center
SABA
SABA.YE
14
2023
1963
العيد الـ 60 لثورة 14 أكتوبر
الميثاق الوطني
14 أكتوبر
ثورة 14 أكتوبر
التحديات السياسية في تجربة
التحرر الوطني للجنوب اليمني المحتل
مركز البحوث والمعلومات
أنس القاضي
وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

ملخص:

واجهت ثورة 14 أكتوبر المجيدة وتجربة النضال التحرري من أجل تحقيق الاستقلال الوطني في جنوب اليمن تحديات سياسية عديدة، مثلت عقبة في طريق الاستقلال.

مع صعود النضالات الثورية الوطنية في جنوب اليمن المحتل منذ خمسينيات القرن الماضي وظهور الأحزاب القومية واليسارية والتنظيمات النقابية العمالية، أي حين باتت قضية الاستقلال الوطني لجنوب اليمن مطروحة على جدول التاريخ، انتقلت بريطانيا من سياسة "فرّق تسد" إلى سياسة "جمّع تسد"، ومنذ ذلك الحين طرحت في برنامج عملها مسألة تسليم السُلطة للقوى العميلة لتمارس الهيمنة الاستعمارية عن طريق الأدوات، بما يحافظ على النهب الاستعماري واستغلال الجغرافيا السياسية ووجود القاعدة العسكرية، كمركز قيادة للقوات البريطانية في الشرق الأوسط.

في العام 1959م أعلن عن قيام ما سُمي "اتحاد إمارات الجنوب العربي" ضمن مسعى توحيد العملاء لمواجهة الصعود الوطني، ثم لاحقاً في سبتمبر 1962م تم دمج مستعمرة عدن بهذا الاتحاد الزائف، عقّد هذا القرار من الخلافات الدستورية فسعى المندوب السامي البريطاني ووزير المستعمرات إلى معالجة هذه الإشكاليات بين صفوف القوى السلطانية والسياسية الموالية للندن، عبر عقد مؤتمرات دستورية كان القصد منها حسم مسألة الخلافات والتمهيد لتسليم السلطة لحكومة عميلة.

مثلت هذه المؤتمرات تحديات سياسية أمام الاستقلال خاصة وأن موعد انطلاقها جرى عقب اندلاع ثورة 14 أكتوبر المجيدة في العام 1963م، وعلى هذا الأساس عُقد مؤتمر لندن الدستوري الأول ١٩٦٤م، أرادت بريطانيا من هذا المؤتمر بحث وضع القاعدة العسكرية في عدن وضرورة الاحتفاظ بها بإيجار سنوي، وكانت تحاول بذلك أن تحتوي قرارات الأمم المتحدة، القاضية بتسليم بريطانيا السلطة للشعب اليمني، فشل المؤتمر الأول لينعقد المؤتمر الثاني في العام ١٩٦٥م في أتون الحرب الشعبية التحررية، سعت الحكومة البريطانية في هذا المؤتمر-الثاني- إلى توسيع قائمة الأطراف المشاركة فيه، بحيث يضم إلى جانب سلاطين الاتحاد المزيف والوزراء في الحكومة الزائفة والمنظمات السياسية التي لم تشترك في المؤتمر السابق، وأكد حينها وزير

المستعمرات البريطانية -آنذاك- بأن الهدف من المؤتمر الوصول إلى تقرير مستقبل الجنوب بالطرق السياسية، وكان واضحاً أن بريطانيا مصممة على الاحتفاظ بالقاعدة العسكرية بموافقة الحكومة العميلة.

في شهر إبريل من عام 1966م بذلت بريطانيا محاولة أخرى لتنظيم القوى السياسية الموالية لها من خلال ترتيب اجتماع موسع للقوى الانتهازية والعميلة في بيروت، بهدف الخروج بتكتل سياسي يحظى بدعم دولي ويهيئ نفسه لاستلام السلطة من بريطانيا بناءً على المقترحات الدستورية التي أعدها البريطانيون، إلا أن التطورات العسكرية التي شهدتها منطقة الجنوب اليمني مع التصعيد القوي للأعمال العسكرية والفدائية في مدينة عدن أدى إلى إفشال هذه المحاولة.

عندما وجدت القوى الانتهازية والعميلة نفسها في وضع حرج وبعد فشل المؤتمرات الدستورية، انتقلت إلى الموقف الآخر إلى الموقف الوطني مُضطرة، مشكلة "منظمة التحرير" في العام 1965م بهدف جني ثمار نضال الجبهة القومية التي تناضل منذ انطلاق الثورة في أكتوبر 1963م وحجز موقع لها بعد رحيل الاستعمار البريطاني.

كان تشكيل "منظمة التحرير" بمثابة ثورة مضادة وسلوك سياسي انتهازي، لكن المؤامرة الأخطر تمثلت في دمج "الجبهة القومية" (الثورية) مع منظمة التحرير (الانتهازية) تحت مسمى "منظمة تحرير الجنوب اليمني المحتل" بضغط من الاستخبارات المصرية، إلا أن "الجبهة القومية" استعادت استقلاليتها بعد أقل من عام على الدمج، لتستمر منظمة التحرير في النشاط تحت مسمى "جبهة التحرير" وهو ما أدى إلى إضعاف العمل الثوري وتمزيق وحدة حركة الثورة، كما خسرت الجبهة القومية الدعم العربي الذي بات يوجه حصراً لجبهة التحرير.

فتحت الخلافات بين جبهة التحرير والجبهة القومية الأبواب أمام بريطانيا والسلاطين لممارسة الألاعيب السياسية بتقديم استقلال وطني منقوص للقوى العميلة، إلا أن أخطر ما في هذه المؤامرات هي المواجهات التي فجرتها جبهة التحرير ضد الجبهة القومية في عدن في شهر نوفمبر من العام 1967م قبل أسابيع من الاستقلال وكادت هذه العملية التخريبية أن تطيح بمكتسبات 5 أعوام من الكفاح المسلح.

استمرت الجبهة القومية في الكفاح المسلح على الأرض، ومواجهة التحديات السياسية التي يحيكها البريطانيون والسلاطين وجبهة التحرير والاستخبارات المصرية، ومواجهة محاولات الاستفادة من قرارات الأمم المتحدة الايجابية وتنفيذها بشكل مخالف لجوهرها.

دخلت الجبهة القومية في استراتيجية إسقاط المناطق التي بدأت في 20 يونيو 1967م حتى 30 نوفمبر من ذات العام، ولم تدشن المفاوضات بين الجبهة القومية وبريطانيا في 20 نوفمبر 1967م إلا وكانت "الجبهة القومية" قد أسقطت كل السلطنات وحررت كل الجنوب اليمني المحتل باستثناء آخر معسكرات الانجليز في مدينة عدن الذي كان واقعاً تحت السيطرة النارية للجبهة القومية.

كان ملف اليمن في الأمم المتحدة من ضمن التحديات التي واجهتها الثورة، اتسم العالم آنذاك بالتعددية القطبية فكان دور منظمة الأمم المتحدة إيجابياً، من العام 1960م حتى العام 1965م صوتت الدورة العشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة وبالأغلبية الساحقة على قرار بخصوص عدن والمحميات يدعو صراحة إلى خروج الاستعمار البريطاني وتسليم السلطة للشعب، وقد حاولت بريطانيا المناورة على مختلف القرارات التي صدرت خلال هذه الفترة، ومحاولة تأويل قرارات الأمم المتحدة لتسليم السلطة للعملاء وإعاقة عمل اللجنة الخاصة باليمن التي بعثتها الأمم المتحدة ومنعها من دخول عدن، ولاحقاً منعها من لقاء القوى الوطنية، وكذلك مطالبة بعثة الأمم المتحدة حضور مؤتمر تقوم به حكومة الاتحاد الزائفة على أساس أنه مؤتمر لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة، وليس انتهاءً بالإيقاع بالأمم المتحدة وترتيب لقائها بالقوى العميلة والقوى الانتهازية، طوال هذه الفترة كانت الجبهة القومية تضغط عسكرياً على الأرض، وتوضح مواقفها للأمم المتحدة وتفضح المناورات الاستعمارية، وكانت رؤية الجبهة القومية أن قرارات الأمم المتحدة إيجابية ومساعدة، لكن الكفاح المسلح هو الأساس في نيل الاستقلال الوطني الناجز.

كانت أخطر المؤامرات السياسية وآخرها، مؤامرة "الجهاز الإداري"، وذلك عبر تظاهر وزراء "حكومة الاتحاد" المحروقة شعبياً بالاستقالة منها، من أجل إعادة تفعيلهم في

أطر جديدة، وهكذا سعت بريطانيا للترويج لفكرة "الجهاز الإداري" ، باجتماع عُقد بمدينة الاتحاد في 5 يوليو 1967م، هدف هذا التحرك إلى أن يطمئن الوزراء والسلاطين المذعورين من ناحية، وأن يتمكن من إظهار بوادر المساومة مع الحركة الوطنية وبعثة الأمم المتحدة من الناحية الأخرى، ليظهر أمامهم أنه أقدم على إلغاء حكومة الاتحاد وأوجد جهازاً يضم أوسع قطاعات الشعب كما نصت قرارات الأمم المتحدة، إلا أن هذه المؤامرة التي جاءت قبل 4 أشهر من الاستقلال أحبطتها الجبهة القومية.

واجهت الثورة تحديات تمزيق جنوب اليمن المحتل، بداية من مؤامرة تدويل جزيرة بريم ومضيق باب المندب، فقد أعلن وزير الخارجية البريطاني في مجلس العموم البريطاني يوم ١٩ يونيو ١٩٦٧م عن تحديد يوم 14 يناير 1968م موعداً للاستقلال، وأن حكومته تفكر في تدويل جزيرة (ميون) التي تقع على مضيق باب المندب بضغط من الكيان الصهيوني الذي توسل بريطانيا قبل الاستقلال أن لا تنسحب من الجزيرة وتبقى فيها حتى تصل إليها قوات دولية، إلا أن الثورة أفشلت المؤامرة بضربة استباقية عبر انتفاضة شعبية قامت بها بتحرير الجزيرة وطرد الحاكم المحلي والضابط البريطاني.

المؤامرة الأخرى تمثلت في فصل حضرموت والمهرة ومساعي إدخالهما في اتحاد فيدرالي مع السعودية، وكان المندوب السامي البريطاني في أحد ردوده على البعثة الدولية قال إن بلاده لا تملك سلطة إرغام الولايات الشرقية (القعيطي، والكثيري، والمهرة) على الانضمام إلى "اتحاد الجنوب العربي"، وبالتالي فإن بريطانيا ليس لها صلاحية تسليمها للسلطة الوطنية بناء على قرارات الأمم المتحدة، وكان التوجه البريطاني السائد حينها أن يعطي الخيار للإمارات الشرقية حضرموت والمهرة الانضمام إلى الملكة السعودية أو الإمارات الخليجية، إلا أن الجبهة القومية أحبطت هذه المؤامرة بإسقاط تلك السلطنات وضمها للوطن.

وقد نجحت مؤامرة فصل جزر كوريا موريا وتسليمها لسلطان عمان، تقع الجزر في سواحل إقليم ظفار (في سلطنة عمان حالياً) ورغم تسليمها من قبل بريطانيا إلى سلطان عمان إلا أن وفد الجبهة القومية في المفاوضات ثبت هذه الجزر ضمن الجزر اليمنية وعقب الاستقلال عينت حكومة الاستقلال محافظاً لها إلا أنها سقطت في

الواقع، وكانت الإشكالية في هذه الجزر أن نسبة السكان فيها ضئيلة جداً في حدود 80 فرداً وبعدها عن جنوب اليمن وقربها من سلطنة عمان، لم يكن للجبهة القومية عناصر فيها، بخلاف جزيرة ميون التي أسقطتها الجبهة القومية وأعاقت تدويلها عبر انتفاضة شعبية من داخلها.

استطاعت الجبهة القومية تجاوز كل هذه المؤامرات، واضطرت بريطانيا للاعتراف بها كممثل شرعي عن الشعب اليمني في الجنوب اليمني المحتل، وقبلت بها في مفاوضات الاستقلال.

مثلت مرحلة المفاوضات عقبة خطيرة في طريق الثورة والاستقلال، فقد كان البريطاني يطمح عن طريق المفاوضات إلى استعادة ما خسره عبر المؤامرات العسكرية الاجتماعية والمؤامرات الدستورية.

إلا أن الوفد الوطني ذهب إلى المفاوضات متمسكاً بقضايا مبدئية لا يُمكن التنازل عنها، تمثلت في أن المفاوضات ستتناول بالدرجة الأولى تحقيق الاستقلال الناجز، وتسليم السيادة للحكومة الوطنية ورفض أي اتفاق عسكري أو دفاعي أو أحلاف سياسية، ورفض الدخول في نطاق الكومونولث البريطاني، وعدم التخلي عن أي جزء من الجنوب اليمني بما فيها كل الجزر ورفض أية قيود أو شروط من أي نوع، مع التأكيد على أن الجبهة القومية ستنهي رسمياً كل الاتفاقيات السابقة المبرمة مع السلاطين والمشائخ السابقين وحكومة الاتحاد المزيف مع المحتل البريطاني، وأن المفاوضات ستشمل طلب معونات وتعويضات مالية غير مشروطة وتسليم كل ممتلكات الجيش البريطاني الثابتة لحكومة الثورة، إلا أن الوفد عاد بدون تعويضات مالية فقد اشترطتها بريطانيا بوجود بعثة عسكرية كبيرة في عدن، وهوما تم رفضه.

عندما وصل وفد المفاوضات إلى جنيف وجد أن الوفد البريطاني قد أحضر معه وفداً سعودياً وضغط الوفد البريطاني على الجبهة القومية قبول التفاوض مع الوفد السعودي أولاً قبل التباحث معه حول الاستقلال، إلا أن ذلك لم يتم، ودخل الوفد الوطني في مفاوضات شاقة كاد أن ينسحب منها وخصوصاً في ملفات التعويضات وجزر كوريا موريا، وبرغم كل ذلك أنجز الوفد المفاوض استقلالاً ناجزاً.

استمرت المؤامرات البريطانية السعودية الأمريكية في مرحلة ما بعد الثورة كان أخطرها وأسرعها محاولة الانقلاب العسكرية الفاشلة في مارس 1968م التي تلقت دعماً أمريكياً وعلى إثرها تم طرد موظفي السفارة الأمريكية، ثم دخلت الدولة الجديدة في صراعات حدودية مع السعودية وفي إقليم ظفار وصِدام مع النظام الموالي للسعودية في صنعاء حينها.

المؤتمرات الدستورية البريطانية

واجهت ثورة 14 أكتوبر تحديات سياسية عديدة في طريق الاستقلال الوطني، فمع صعود النضالات الثورية الوطنية في جنوب اليمن المحتل، باتت قضية الاستقلال الوطني مطروحة على جدول التاريخ، فانتقلت بريطانيا من سياسة "فرّق تسد" إلى سياسة "جمّع تسد"، ومنذ ذلك الحين طرحت لندن في برنامج عملها مسألة تسليم السُلطة للقوى العميلة لتمارس الهيمنة الاستعمارية عن طريق الأدوات، بما يُبقي على النهب الاستعماري واستغلال الجغرافيا السياسية وتثبيت وجود قاعدة عسكرية.

بعد الحرب العالمية الثانية ومع صعود نضال حركات التحرر الوطنية في العالم، غيرت بريطانيا من استراتيجية "فرّق تسد" إلى استراتيجية "وحّد تسد"، نفّذت بريطانيا استراتيجيتها الجديدة من خلال لم شمل السلطنات والمشيخات العميلة في كيان سياسي واحد يكون قادراً على حماية مصالح الاستعمار ومواجهة النشاط الثوري الوطني اليمني.وهكذا في العام 1959م أعلن عن قيام ما سُمي "اتحاد إمارات الجنوب العربي" ثم تحول إلى "اتحاد الجنوب العربي"، بعد انضمام "جمهورية دثينة".

أكدت نصوص الاتفاقية التي بموجبها أُعلن قيام اتحاد إمارات الجنوب العربي أن من حق الانجليز توزيع قواتهم في أراضي الاتحاد وإقامة القواعد العسكرية عليها، واستخدام القوات المسلحة للاتحاد لحماية مصالح بريطانيا، ورُبط جيش الاتحاد بوزارة الدفاع البريطانية، كما اشترطت الاتفاقية استمرار سريان مفعول الاتفاقيات السابقة بشأن ما سُمّيت باتفاقيات الصداقة والحماية بين انجلترا مع حكام الإمارات والسلطنات.

ووفقاً لهذه الاتفاقية فقد حصلت بريطانيا على حق التدخل في الشؤون الداخلية للاتحاد في حالة وجود اضطرابات أو ثورات.

في 25 سبتمبر 1962م أي قبل يوم من ثورة 26 سبتمبر في شمال الوطن، تم التوصل إلى اتفاق يقضي بضم عدن إلى عضوية الاتحاد يبدأ سريانه ابتداءً من مارس 1963م، وهكذا فإن قرار ضم عدن إلى اتحاد الجنوب العربي عزز سيطرة بريطانيا على عدن وجعل وجود القاعدة الحربية الانجليزية قانونياً حيث تراجع وضع عدن من أرض مُحتلة ومُستعمرة يتحمل المستعمر مسؤوليتها ولا قانونية لوجوده العسكري فيها، إلى اعتبارها أرض حرة والوجود العسكري فيها يأخذ طابع اتفاقية دولية بين حكومتين.

ناضل أبناء عدن ضد قيام الاتحاد وضد إلحاق عدن بالاتحاد مطالبين بمنح الاستقلال لعدن والمحميات الجنوبية اليمنية، وقوبلت التظاهرات والنضالات الجماهيرية اليمنية في عدن ضد المشاريع الاستعمارية الجديدة بالقمع.

مع تفجّر ثورة 26 سبتمبر، تحفّزت القوى الوطنية في الجنوب اليمني المحتل، فتفجرت ثورة 14 أكتوبر 1963م، كانت القوى الوطنية في الجنوب اليمني المحتل تواجه دائماً بحجة أن الحكم في الشمال اليمني حكم رجعي استبدادي فكيف تطالب بعض القوى الوطنية بحقوق ديمقراطية في عدن وتسعى في نفس الوقت إلى تحقيق الوحدة مع حكم رجعي استبدادي، وكانت هذه نقطة ضعف في موقف القوى الوطنية، وبقيام ثورة 26 سبتمبر 1962م تعدّل موقف القوى الوطنية بشكل كامل وأصبح مطلب الوحدة مع الشمال واقعياً واشتد بذلك ساعد المعارضة والقوى الوطنية في عدن في مواجهة حكومة عدن و"الاتحاد" وبريطانيا.

يظهر تأثير ثورة 26 سبتمبر واضحاً في تصور بريطانيا أن الدمج قد مرّ بمعجزة إذ لو قامت الثورة في شمال الوطن قبل يوم واحد أو تأخر تصويت المجلس التشريعي لعدن ليوم واحد لما مرت اتفاقية لندن الخاصة بالدمج.

كانت بريطانيا تعتقد أن مرحلة ما بعد الدمج ستكون هادئة في عدن إلا أن الثورة غيرت هذا التصور؛ فقد زاد ضغط القوى الوطنية في عدن وأصبح اليمن الجنوبي

مفتوحاً كله أمام رياح الثورة التي حملتها القومية العربية بانتصار الثورة في الشمال، وبات واضحاً أمام بريطانيا أن القوى الوطنية ستلجأ إلى العنف وخاصة إبان نظر مجلس العموم لاتفاقية لندن، وكانت بريطانيا مستعدة لمواجهة كل الاحتمالات في مواجهة الموقف الجديد بقيام ثورة الشمال ولو اقتضى الأمر فرض حالة الطوارئ، وتعطيل دستور عدن.

قامت بريطانيا إثر الدمج وقيام ثورة 26 سبتمبر بالسير في مخططها الخاص بالاتحاد رغم المعارضة الوطنية، تم افتتاح الاتحاد بوضعه الجديد في 16 يناير 1963م، وقام حسن بيومي زعيم الحزب الوطني الاتحادي الذي كان الأداة الرئيسية في دمج عدن بتشكيل وزارة عدن بوصفه رئيساً للوزراء واختارت حكومته الأعضاء الأربعة والعشرين الذين يمثلونها في المجلس الاتحادي، وخصص لعدن أربعة وزراء في الحكومة الاتحادية، ومنذ اليوم الأول لتشكيلها وجدت الحكومة العدنية نفسها في صِدام مع "المؤتمر العمالي" والقوى الوطنية التي لم تعترف بحكومة عدن لأنها لا تمثل الشعب.

قرار دمج عدن بحكومة اتحاد الجنوب العربي، عقّد من الخلافات الدستورية، ففي ديسمبر عام 1963م كان المفروض أن تبدأ المفاوضات في لندن بين المندوب السامي وحكومتي الاتحاد وعدن مع وزير المستعمرات الإنجليزي حول إيجاد تغييرات في الوضع الدستوري لعدن التي كانت في هذا الوقت إحدى ولايات الاتحاد، وفي 10 ديسمبر عام 1963م رمى الثوار قنبلة على الوفد المسافر إلى لندن وقد استخدمت الدوائر الانجليزية الحاكمة حادث تفجير القنبلة في مطار عدن في صالح تأجيل محادثات لندن الخاصة بالقضايا الدستورية إلى أجل غير مسمى.

لاحقاً، وبعد اندلاع ثورة 14 أكتوبر1963م سارعت بريطانيا إلى إقرار إصلاحات دستورية، لمعالجة وضع عدن، في سبيل تسليم السلطة لحكومة عميلة تراعي المصالح الاستعمارية، وقطع الخط على الثورة التحررية بقيادة "الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل".

مؤتمر لندن الدستوري الأول 1964م

أرادت بريطانيا من هذا المؤتمر أن تبحث وضع القاعدة العسكرية في عدن وضرورة الاحتفاظ بها بإيجار سنوي، وكانت حكومة "المحافظين" البريطانية تحاول أن تحتوي قرارات الأمم المتحدة، وقد أوقفت جميع القرارات التي صدرت لصالح قضية الشعب اليمني في الجنوب، فدعت إلى عقد مؤتمر لندن الدستوري في 9 يونيو سنة 1964م.

حضر هذا المؤتمر السلاطين وممثلي حكومة الاتحاد، إلا أنه فشل نتيجة للخلافات التي حدثت من داخل المؤتمر بين السلاطين أنفسهم، حيث كانت بريطانيا تحاول احتواء الثورة المسلحة، وفى نفس الوقت حماية ظهرها من الخلف بإيجاد حكومة تابعة تحقق أهدافها، ومن أسباب الفشل أيضاً وعي الشعب اليمني والجبهة القومية واتقاد الحرب الشعبية وانسلاخ بعض السلاطين عنه.

فعندما جاءت مناقشة رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة بدأ المؤتمر يصطدم بمقاومة السلاطين لأي اتجاه للانتقاص من صلاحيتهم ومسئولياتهم في الحكم، وتكشَّف للسلاطين بأن بريطانيا في سبيل المحافظة على مصالحها، ليس لديها من مانع من التضحية بالبعض منهم، وانفجر المؤتمر من الداخل، ولم يكن أمام بريطانيا وعملائها إلا أن يسارعوا في لفلفة المؤتمر ويطلقوا بياناً طويلا جاء فيه:

1 - إعادة تشكيل دستور الاتحاد بصورة تضمن استقلالاً مبكراً للاتحاد.

2 - إقامة مجلس وطني ينتخب أعضاؤه بنظام الاقتراع المباشر حيثما أمكن ذلك، وأية ولاية ترى أن نظام الاقتراع المباشر، لا يمكن تطبيقه عليها انتخاب أعضائها بنظام الاقتراع غير المباشر.

3 - نص على قيام مجلس ولايات ويتألف من ممثل واحد لكل ولاية.

4 - عبرّ أعضاء الوفود عن رغبتهم بأنه ينبغي إثارة وضع عدن الدستوري مع الولايات الأخرى في الاتحاد، وعليه فقد التمسوا بأن ترفع السيادة البريطانية بأسرع ما يمكن، على شرط أن تستمر بريطانيا في ممارسة السلطة التي تدعو إليها الضرورة في حالة الدفاع عن الاتحاد القيام بالتزاماتها العالمية، وقد أعلن وزير المستعمرات البريطاني موافقة الحكومة على هذا الالتماس.

5 - الاستقلال: طلب أعضاء الوفود موافقة بريطانيا على منح الاستقلال للاتحاد، والاستمرار في تقديم المساعدات للدفاع عنه، وقد طالبوا بأن تعقد الحكومة البريطانية بأسرع ما يمكن مؤتمراً الغرض منه تعيين تاريخ الاستقلال، ويجب ألا يتعدّى عام 1968م، وعقد اتفاقية دفاعية تبقى بريطانيا بعدها في قاعدة عدن للدفاع عن الاتحاد والقيام بالتزاماتها العالمية.

عُقد مؤتمر لندن الأول ومعركة التحرير التي انطلقت من ردفان منذ 14 أكتوبر عام 1963م ما زالت متقدة، ولم تستطع القوات البريطانية إخمادها، بل إنه في أثناء عقد المؤتمر، توسعت الحرب الشعبية إلى (دثينة) في أبين على بعد 120 ميلاً شرقي ردفان، كما قامت قوات الفدائيين بسلسلة من التفجيرات داخل القاعدة الحربية في عدن ذاتها، وكانت بريطانيا نتيجة لازدياد المعارك المسلحة في الجنوب والإحراجات الدولية التي تمثلت في قرارات الأمم المتحدة في ديسمبر سنة 1963م توصلت إلى ضرورة أن تتضمن مخرجات المؤتمر إعلان قيام "دولة الجنوب العربي"، وتحديد موعد للاستقلال حتى تجد بذلك نوعاً من التأييد الدولي، وتنصرف بعده لمواجهة الثورة بالتعاون مع عملائها الذين سيجدون في تحديد موعد الاستقلال فرصة لكسر حدة الثورة وإمكان القضاء عليها.

مؤتمر لندن الثاني 1965م

في أتون الحرب الشعبية التحررية، جاءت حكومة "هارولد ويلسون" البريطانية في أواخر عام 1964م لتعلن عن مؤتمر دستوري ثانٍ في لندن في 2 مارس سنة 1965م، وسّعت تمثيل هذا المؤتمر بحيث يضم إلى جانب سلاطين الاتحاد المزيف والوزراء في حكومة عدن المنظمات السياسية التي لم تشترك في الثورة بينهم حزب الشعب الاشتراكي (الانتهازي) و"رابطة أبناء الجنوب العربي"، وقد أكد "مستر جرينوود" وزير المستعمرات البريطانية آنذاك بأن الهدف من هذا المؤتمر هو الوصول إلى تقرير مستقبل الجنوب بالطرق السياسية، وكان واضحاً أن بريطانيا أو حكومة "حزب العمال" تسلك نفس المنطلق الذي سلكته حكومة المحافظين السابقة، فكانت

مصممة على الاحتفاظ بالقاعدة العسكرية بموافقة الحكومة العملية.

أكد وزير المستعمرات وقتها بأن إيجار القاعدة متروك للمؤتمر الدستوري، فيما وصفت الجبهة القومية هذا المؤتمر بـ"مؤتمر لندن للخيانة"، باعتبار أن هذا المؤتمر كان يشكل خطراً مباشراً على الثورة المسلحة، وكذلك اتضح أن بريطانيا تستهدف التمهيد لقيام دولة موحدة للجنوب العربي، وقد بدا واضحاً أن حكومة رئيس الوزراء البريطاني ويلسون كانت تستهدف نفس الأغراض التي استهدفتها حكومة المحافظين سابقاً، فحكومة ويلسون كانت ترفض تنفيذ قرارات الأمم المتحدة، وكانت تصر على الاحتفاظ بالقاعدة العسكرية بإيجار، وكانت تعمل على إيجاد دولة موحدة للجنوب العربي !

هذا التحرك الاستعماري على المستوى السياسي، أوجد لدى الثورة مناخاً كبيراً للتحرك على كافة المستويات، فعملت الثورة على إحباط مؤتمر لندن للخيانة، وعززت مقاومتها لمؤتمر الخيانة بعمليات عسكرية جريئة وسط القاعدة البريطانية في عدن، واستهدفت الكثير من ركائز الاستعمار، وعممت حركة المقاومة في كل مناطق الجنوب علاوة على التعاطف والتأييد الشعبي في الداخل والخارج لمواقف الجبهة، مما كان له الأثر الكبير في فشل مؤتمر لندن قبل أن يبدأ.

بعد هذه التطورات أقدمت الحكومة البريطانية في 25 سبتمبر 1965م على إلغاء ما كانت تسميه "نظام الإدارة الذاتية في عدن"، وإقالة حكومة عدن برئاسة السيد مكاوي، وحلّت "الهيئة التشريعية"، وأعطت السلطة الكاملة للمندوب السامي البريطاني "ريتشارد تورنبول" وشددت القوات البريطانية حملاتها الإرهابية ضد المواطنين، واستخدمت الهجمات المفاجئة للتفتيش والاعتقالات واستعاد المندوب السامي البريطاني منطقة الجنوب إلى حضيرة الحكم المباشر بدون وزراء محليين ولا مجلس تشريعي ولا دستور، هذه الهيئات التي كانت تشكل ستاراً لحكم المندوب السامي لم يعد لها من واقع التطورات أي مبرر حتى تحجب الوجه الاستعماري الحقيقي الذي ظل يمارس الإرهاب والاضطهاد والتعسف من خلف هذه المؤسسات الشكلية ورموزها، الذين اقتنعوا بأن الاستعمار لا يتردد في تحطيم ما صنعت يداه من الأجهزة عندما لا تخدم مخططاته ومصالحه الاستعمارية.

كان الأمين العام للجبهة القومية "قحطان محمد الشعبي" قد صرح أثناء تقاطر الوفود إلى لندن للمشاركة في اجتماعات التحضير للمؤتمر الدستوري، إن هذا المؤتمر هو مؤامرة جديدة في سلسلة المؤامرات البريطانية الرامية إلى تمييع قضية الجنوب والتلاعب بمصير الشعب، وأكد أن الجبهة القومية سوف تقاوم عقد هذه اللجنة بكافة الأساليب ولن توافق على أن يشترك فيها أحد من أبناء عدن سواء الرسميين أو غير الرسميين واعتبر السيد قحطان أن هذا المؤتمر إصرار من حكومة حزب العمال البريطانية على عدم الاعتراف بحق الشعب ومناورة سياسية استعمارية.

وأكد قحطان الشعبي على أن قرارات الأمم المتحدة لا تمثل كل الشعب ولا تتناسب مع طبيعة المرحلة التي وضعتها الثورة والتي غايتها التحرر التام من الاستعمار البريطاني بشتى مظاهره العسكرية والسياسية والاقتصادية وتصفية القاعدة البريطانية في عدن.

تشكيل "جبهة التحرير"

واجهت ثورة 14 أكتوبر وتجربة الاستقلال بقيادة الجبهة القومية تحديات كبيرة، منها تحدي الشريك الوطني، حيث تشكلت جبهة انتهازية سعت لحصد ثمار الثورة، وخلقت صراعات في صف الثورة استفاد منها العدو البريطاني وكادت الثورة تخسر المكتسبات الثورية وذلك في أحداث نوفمبر الشهر الذي تكلل بالاستقلال الوطني في الثلاثين من نوفمبر 1967م.

تم إنشاء "منظمة التحرير" سنة 1965م وذلك بسبب رغبة قادة "حزب الشعب الاشتراكي" الذي كان مرتبطاً بحزب العمال البريطاني في إنقاذ الجامعة النقابية (المؤتمر العمالي العدني)، فالنشاط السياسي للجبهة القومية وللاتحاد الشعبي الديمقراطي في صفوف المؤتمر العمالي نجح في كسب موقف ست نقابات[11] من أقوى نقابات المنطقة

1) النقابات الست هي:
النقابة العامة لعمال البترول.
نقابة عمال وموظفي البنوك المحليين.
نقابة عمال وموظفي الميناء.
النقابة العامة للمعلمين.

إلى جانبها والتي كانت قد انسحبت من المؤتمر العمالي الانتهازي، وبات المؤتمر بدون وزن بعد خسارة هذه النقابات الثورية الفاعلة.

برزت منظمة التحرير باعتبارها كياناً سياسياً ممثلاً عن مصالح السلاطين والأحزاب العميلة المرتبطة بالبريطاني والمستفيدة من استمرار النفوذ الاستعماري البريطاني وإن كان لها في بعض الأحيان موقف حقيقي رافض للوجود العسكري الاستعماري، إلا أنها في نهاية المطاف ليست مع تحقيق الاستقلال الوطني الناجز وترى في ذلك خسارة لها.

دخل في هذه المنظمة "رابطة أبناء الجنوب العربي" بزعامة الجفري و"حزب الشعب الاشتراكي" بزعامة عبد الله الأصنج وعدد من السلاطين المستقلين، وكان تشكيل هذه المنظمة متزامناً مع صعود نجم الجبهة القومية وبدء ضعف الهيمنة البريطانية، وخاصة إفلاس مناوراتها السياسية في تسليم السلطة للعملاء، فيما عُرف بالمؤتمر الدستوري الذي عقد في لندن عام 1964م ومحاولة الإصلاحات الدستورية عام 1965م.

كان تشكيل منظمة التحرير في ذاته مناورة سياسية من قبل القوى المضادة للثورة، إلا أن المؤامرة الأخرى كانت الدفع من قبل الاستخبارات المصرية نحو دمج الجبهة القومية الثورية بمنظمة التحرير الانتهازية وقد مثل هذا الأمر تحدياً كبيراً وبات عاملاً مؤثراً على المستقبل السياسي للجنوب اليمني حتى مرحلة ما بعد الاستقلال.

تجربة اندماج "الجبهة القومية" و"منظمة التحرير"

في 1966م أثناء مناقشة قضية الجنوب المحتل في القاهرة بحضور قحطان الشعبي، وسيف الضالعي وفد (الجبهة القومية)، وعبد القوي مكاوي، وخليفة عبد الله خليفة وفد (حكومة عدن المُقالة)، ووفد (منظمة التحرير) اقترحت مصر أن يتولى رئاسة الوفد عبد القوي مكاوي ولكن قحطان الشعبي ظل مصراً على أن تكون رئاسة الوفد للجبهة القومية للتحرير باعتبارها هي التي تقود الثورة المسلحة حيث رأت مصر أن

نقابة عمال وموظفي اتحاد الطيران المدني.
نقابة عمال وموظفي البناء والإنشاء والتعمير.

الأمم المتحدة هي ساحة سياسية، وليست ميدان قتال وأن عبد القوي مكاوي واجهة سياسية مقبولة لدى الرأي العام الدولي ولكن قحطان الشعبي رفض ذلك.

لذلك عملت مصر على إيجاد تنظيم جديد ليحل محل "الجبهة القومية"، فسعت للتخطيط لذلك وقامت بإقناع بعض القياديين في الجبهة القومية بالموافقة على الاندماج مع "منظمة التحرير" في إطار "جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل" التي جاء قيامها حصيلة محادثات جرت في تعز بين علي أحمد ناصر السلامي كممثل للجبهة القومية وبين عبد الله الأصنج كممثل عن منظمة التحرير، وتولى "الجهاز العربي" رعاية تلك المحادثات التي دارت بصورة سرية دون علم، أو مشاركة معظم قادة "الجبهة القومية"، وأعلنت عملية الدمج من راديو تعز في 13 يناير عام 1966 بقراءة بيان ينص على أن الجبهة القومية ومنظمة التحرير قد اتفقتا على الاندماج معاً في تنظيم واحد تقرر أن يطلق عليه اسم "جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل"، وكان البيان يحمل توقيعي الأصنج والسلامي؛ فأثار البيان ردود أفعال غاضبة في صفوف غالبية قادة الجبهة القومية، وتشكيلاتها المختلفة التي فوجئت بالأمر، واعتبرته قسرياً وغير شرعي وتم بضغوط من مصر.

جاء قبول بعض أعضاء الجبهة القومية بالاتحاد مع منظمة التحرير، بعد أن انسحب منها السلاطين ورابطة الجنوب العربي، القوى الأكثر رجعية.

كانت الخلافات تدور حول السياسة التي ينبغي اتباعها لطرد المحتل وما بعد طرد المحتل، لكل هذه الأسباب فسخ التحالف الذي جرى في 13 يناير 1966م في ديسمبر من السنة ذاتها، استعادت الجبهة القومية استقلالية عملها وكثفت نشاطها العسكري في مناطق البلد الداخلية والمراكز الحضرية، وفي نفس الوقت وطدت أوضاعها في الجيش والشرطة والنقابات وفي صفوف المثقفين الشباب، وازداد تأصلها في الأرياف، ومع تبني هذا الخط القاسي عرفت الحركة الثورية تحولاً حاسماً.

أما "جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل" فقد شكلت لنفسها جناح عسكري مستقل باسم "المنظمة الشعبية"(ترى بعض المصادر أن الجبهة القومية دفعت بعناصرها الفدائية إلى الالتحاق بهذه المنظمة)، ومكتب سياسي يقع العمل السياسي على عاتقه،

وقد ضاعفت مجهودها على الصعيد الداخلي وبذلت نشاطاً دبلوماسياً واسع النطاق في الخارج وبالأخص في هيئة الأمم المتحدة.

أدرك الماركسيون اليمنيون سلبية قيام جبهة تحرير الجنوب اليمنى المحتل، وكتب عبد الله باذيب بأنه عندما شعر ممثلو الأحزاب السياسية التقليدية وقاداتها والسلطان أحمد بالعزلة التي تهددهم باشروا بإنشاء جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل، إذ دخل في قوام جبهة التحرير فيها "حزب الشعب الاشتراكي" و"رابطة أبناء الجنوب العربي" والسلطان بن عبد الله الفضلي والأمير جعبل بن حسين، وحسب الفهم الماركسي آنذاك فقد كان الهدف من قيام جبهة التحرير هو تفويض ونسف نفوذ الجبهة القومية، كما لقيت هذه الجبهة الدعم والتأييد من قبل عدد من أوساط حكومة اليمن الشمالية، وغيرها من الأوساط في البلدان العربية الذين لم يكونوا من أنصار النضال المسلح في الجنوب اليمني.

ويمكن تقييم اندماج الجبهة القومية مع جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل المعلن عنه في 13 يناير 1966م كمؤامرة موجهة ضد الجبهة القومية الأمر الذي لم يلق الدعم من قبل الغالبية العظمى سواء على مستوى القيادة أو القاعدة، وفي أغسطس 1966م أدانت غالبية أعضاء الجبهة القومية هذه العملية.

محطة "المجلس الوطني"

في الأول من يونيو 1966م جرت في عدن مسيرة واسعة ضد محاولة قادة "جبهة التحرير" بإنشاء ما يسمى بالمجلس الوطني للجبهة بدون مشاركة ممثلي الجبهة القومية فيه، وفي 1 يونيو من ذلك العام، وقع ما يقرب من مائة معتقل سياسي في سجن المنصورة بياناً أدانوا فيه نشاط جبهة التحرير الموجه ضد الجبهة القومية.وأكد البيان على أن الجبهة القومية هي المنظمة الوحيدة في عدن وجميع إمارات الجنوب اليمني والتي أخذت على عاتقها خوض النضال المسلح في مختلف مناطق الجنوب اليمني والمعبرة الوحيدة عن مصالح الشعب والمناضلة بحزم من أجل تحرير البلاد من نير المستعمرين الإنجليز هي الجبهة القومية .

تداعيات الاندماج القسري

أعقبت عملية الدمج القسري للجبهة القومية في إطار جبهة التحرير التطورات التي قادت إلى بروز تحركات تفصح عن انتعاش جديد للقوى السياسية التقليدية والموالية للاستعمار البريطاني، وتلا ذلك محاولات تأجيج الصراع بين جبهة التحرير والجبهة القومية من خلال الاستهداف المقصود لعناصر قيادية من الجبهتين حين تم تدبير عملية الاغتيال للقيادي النقابي البارز علي حسين القاضي في 24 فبراير 1966م وهي العملية التي كادت أن تفجر حرباً أهلية باغتيال النقابي البارز عبدالله عبد المجيد السلفي، لولا حكمة القيادات الوطنية التي تنبهت لدسائس الاستعمار وعملائه من السلاطين والذين شكلوا فرقاً عسكرية خاصة للاغتيالات وتأجيج الفتنة في الأوساط الوطنية، خاصة وأن المندوب السامي بعد هذه الاغتيالات أقدم في شهر مارس من نفس العام 1966م على إصدار مراسيم داخلية تقضي برفع الحظر عن عودة بقية السياسيين والسلاطين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم منفيين في الخارج.

فك الارتباط

في 10 أكتوبر 1966م وبمناسبة السنة الثالثة بداية الانتفاضة المسلحة الأكتوبرية قادت المنظمات القاعدية للجبهة القومية مسيرات شعبية جماهيرية طالبت بالانفصال الرسمي عن "جبهة التحرير" ويعتبر هذا اليوم هو تاريخ انفصال الجبهة القومية عن جبهة التحرير، وقد أكد هذا الانفصال رسمياً من خلال المؤتمر الثالث للجبهة القومية الذي انعقد في مدينة "خمِر" الشمالية في نوفمبر عام 1966م، وقد قيّم المؤتمر أن قيام جبهة تحرير الجنوب اليمني كان حركة انقلابية مضرة بالثورة.

الانفصال عن جبهة التحرير المرتبط بها بعض الأوساط المصرية واليمنية الشمالية أدى إلى فقدان الجبهة القومية لمصدر تقليدي لتزويدها بالأسلحة وواصلت جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل نشاطاتها مستفيدة من الدعم المحدود لها سواء من داخل البلاد أو من خارجها، وفي مثل هذه الظروف توجّب على الجبهة القومية

توحيد جميع القوى لكي تستطيع الوقوف مجدداً ولتعزيز مواقعها في مختلف أوساط فئات السكان

شكل المؤتمر الثالث للجبهة القومية مرحلة حاسمة في تطور الثورة في الجنوب اليمني، بيد أن سير الأحداث في صيف وخريف عام 1967م غيرت جميع الخطط سواء خطط الأوساط الإنجليزية الحاكمة أو خطط قادة "جبهة التحرير" إذ أن نجاحات الجبهة القومية خلال النضال المسلح برهنت على أن الجبهة القومية هي المثل الوحيد للشعب في الجنوب اليمني والمهيأة لاستلام السلطة .

في المرحلة الأخيرة من النضال من أجل الاستقلال انفجرت الصدامات المسلحة في عدن بين جبهة التحرير والجبهة القومية، واختارت العناصر القيادية لجبهة التحرير مدينة عدن مسرحاً للصراع لأنهم أرادوا أن يجعلوا من عدن نقطة ارتكاز مناهضة للريف حيث كان نفوذ الجبهة القومية أمراً غير مشكوك فيه.

أول صِدام بعد اتخاذ قرار وقف إطلاق النار حدث في يونيو 1967م إذ أن جبهة التحرير رفضت تنفيذ القرار واستمرت تدفع وتغذّي الصِدام المسلّح، وفي ذات الوقت عملت قيادة الجبهة على قطع طريق المحادثات التي بدأت في القاهرة بين ممثلي المنظمتين، ووقعت الصدامات المسلحة التالية في سبتمبر في لحج والعقربي والشيخ عثمان..

الجبهة القومية والمواجهات الداخلية

كانت القيادة الجديدة للجبهة القومية تحرص كل الحرص على أن لا تؤدي الخلافات بين الجبهتين إلى زعزعة التطورات الإيجابية والتصعيد النضالي ضد الاستعمار عن المجرى الصحيح للثورة وكانت تأمل أنه إذا لم تسمح الفترة المتبقية حتى جلاء الاستعمار بقيام تلاحم وطني واسع يعزز من إرادة المواجهة وانتزاع الاستقلال، فعلى الأقل أن لا ينقطع الحوار بين جبهة التحرير والجبهة القومية، بل ويزداد الحرص على استمرار الحوار والتعايش بين الجبهتين من أجل تحاشي دسائس الاستعمار وعملائه في تغذية الخلافات، والعمل من قبل الجبهتين على خلق التحالف النضالي بين المقاتلين في ميدان المعركة بما يؤدي إلى تحديد مؤشر المواجهة ضد الاستعمار وأعوانه، ويحافظ

على وحدة الثوار وسلامة التوجه نحو الحرية والاستقلال الناجز، غير أن السير بهذا الاتجاه لم يخل من المؤامرات البريطانية وعملائها في المنطقة، تلك المؤامرات التي أخذت شكل الاغتيالات، وتفتيت الجهود الرامية إلى وحدة المناضلين، وتغذية الخلافات داخل معسكر الثورة وفي أوساط المؤسسات النقابية والجماهيرية التي تناصر الجبهتين، وافتعال المشاكل والأحداث التي تُذكي دوافع الاقتتال بين الطرفيين، مما أدى إلى أن تبادر الجبهة القومية مباشرة إلى التحرك لكشف الأيادي المحركة لهذه المخططات وشاركت في حملات الاستنكار والتظاهر ضد الاستعمار وأعوانه.

راهن المندوب السامي البريطاني وسلاطين الاتحاد على توسيع دائرة الاقتتال الأهلي بين الجبهتين الذي سيؤدي من وجهة نظرهم إلى خلق حالة من التذمر في الوسط الشعبي يقود إلى تفتيت المد الجماهيري الملتف حول الثورة وقيادتها.

الهدف البريطاني كان واضحاً وهو استغلال ظروف الصراع والتنافس بين الجبهتين وانشغال الدوائر المصرية بهذا الصراع، خاصة وأن الجبهتين دخلتا إلى ميدان المعركة مع الاستعمار والتوتر والقلق كانا باديان على أعضاء الجبهتين بسبب التعبئة المشحونة بالعداء والأحقاد التي يغذيها الجهاز العربي والمخابرات، وإصرارهم على تغليب نوازع الانتقام ضد الجبهة القومية بدافع إذابة المانعة لديها وكسر تمردها.

كانت بعض قيادات جبهة التحرير التي التحقت في استراتيجية الثورة المسلحة قد اعتمدت بداية تسلمها القيادة في جبهة التحرير أن تفتح قنوات اتصالات سرية مع بعض زعماء حكومة الاتحاد وبعض القوى السياسية التقليدية التي كانت تسير على نهج المفاوضات السياسية مع الحكومة البريطانية، حين بدأ يتأكد لهذه الأطراف التقليدية أن جبهة التحرير بدأت إعلامياً تؤكد على أنها الممثل الشرعي الوحيد للشعب في الجنوب، وعلى بريطانيا أن تعترف بهذا الوضع وتقوم بالتفاوض مع الجهة الممثلة للشعب على هذا الأساس، وقد تعزز موقف جبهة التحرير أمام حكومة "اتحاد الجنوب العربي" والقوى السياسية الموالية لها عندما أثبتت جبهة التحرير أن صوتها هو المسموع من على أجهزة الإعلام الرسمية في القاهرة، وصنعاء، وتعز، وأن دعم القاهرة السياسي والإعلامي يذهب مع جبهة التحرير، الأمر الذي جعل هذه القوى التقليدية تحرك

اتصالاتها الخفية بجبهة التحرير نحو التطمين بما تنوي الحكومة البريطانية أن تقدمه من تنازلات سياسية ترضي هذه الأطراف مع جبهة التحرير والقاهرة.

نكسة حزيران والمواجهات

كان من البديهي أن تنعكس نكسة الخامس من يونيو حزيران 1967م سلبياً على جبهة التحرير، التي كانت تستمد دعمها من القاهرة بنسبة كبيرة، وكان أحد أسباب قوتها وظلت تعوّل على مصر كثيراً في تفوّقها.

من بعد استقلال الجبهة القومية عن جبهة التحرير وإلغاء الدمج القسري، كانت بوادر العلاقة بين الجبهتين تشير إلى ميل التطورات نحو التدهور المباشر والاحتكاك المؤدي إلى المواجهات العسكرية، وبدأت منشورات جبهة التحرير تحذّر بعض أعضائها مما أسمته "تصرفات استفزازية باشرتها الجبهة القومية" وكثفت الجبهة القومية من إنزال بياناتها التي تنفي فيها هذا الادعاء، وترى أن في ادعاءات جبهة التحرير ما يوحي باللجوء إلى مغامرات طائشة كمحاولة أخيرة منها لإثبات وجودها في بعض أحياء مدينة عدن، والتمسك بخيط لدى بعض الأطراف العربية، ولجنة الأمم المتحدة، للمحافظة على شعارها الذي يزعم أنها الممثلة الشرعية الوحيدة لشعب المنطقة.

تزامن مع هذه التطورات المنذرة بمواجهة عسكرية بين التحرير والقومية دخول القائد السياسي لجبهة التحرير عبد الله الأصنج إلى مدينة عدن كي يخوض المواجهة العسكرية مع الجبهة القومية في أحياء المنصورة والشيخ عثمان ودار سعد في حين كانت المفاوضات جارية بين الجبهتين في القاهرة ولم يشأ عبد الله الأصنج أن يحضر للمشاركة في هذه المفاوضات، بل فضّل الدخول إلى ميدان المواجهة لكي يخلق التوازن الذي يحافظ على الادعاء بتفوّق جبهة التحرير وانفرادها وعلى ما تبقى من شروط يُراد فرضها في المفاوضات القائمة بين الطرفين، وقد تزامن هذا مع دخول مجاميع من جيش التحرير التابع لجبهة التحرير من أراضي الشمال إلى منطقة كرش في الأسبوع الأول من شهر 1967م.

بعد هذه التطورات أصدرت الجبهة القومية بياناً للرأي العام تنبه إلى خطورة

تداعيات الصراعات بين الجبهتين، وفق ما رأته الجبهة القومية هو أن الحكومة البريطانية بعد أن فشلت في إقامة حكم ائتلافي بقاعدة واسعة يجمع كل الأطراف بما فيها الأطراف الموالية للاستعمار، سوف تلجأ إلى استغلال تمزق الحركة الوطنية وحالة اليأس لدى البعض منها.

وتدفع بتصعيد حالة الاقتتال لزرع المخاوف وتوسيع حالة التذمر في أوساط الشعب، وتأجيج هذه الحالات إلى درجة حادة وغير متوقعة حتى توصّل إلى البرهنة محلياً ودولياً على أن الأمر لم يعد بيد أي طرف من الأطراف، كخطوة تمهد لفرض خيار التواجد الفعال لقوات طوارئ دولية في أراضي الجنوب اليمني المحتل تقوم بدور المحافظة على الأمن الداخلي وتهيئة الأجواء لترتيبات سياسية في إطار الحماية الدولية تبعد الثورة عن أهدافها، وتعرقل أي تحرك لأدواتها عن السير نحو الحرية والاستقلال الناجز للشعب.

وفي هذه الأجواء من التوتر الذي ساد المنطقة جراء محاولات الاستفزاز المتبادل بين الجبهتين، حدثت تطورات في منطقة "المسيمير"(التابعة لمحافظة لحج حالياً) حيث كانت قيادات الجبهة القومية تشرف على عملية اسقاط السلاطين وكان من بين القيادات فيصل عبد اللطيف ومحمد البيشي وأثناء عودتهما نُصب لهما كمين عسكري من قبل مجموعة مسلحة تابعة للسلطان تدعي انتمائها إلى جبهة التحرير، وكاد الأمر أن يصل إلى صِدام دموي يسحب نفسه على أرض الجنوب كلها، لولا أن رجال الجبهة القومية - كما يشير بيان الجبهة القومية - تصرفوا بحكمة وتعقّل لدرء مخاطر الحرب الأهلية، وإفشالاً لعملية الغدر والخيانة التي تكررت مع عناصر قيادية في مدينة عدن وآخرها في المسيمير.

وعند وصول الجميع إلى مقر "الجهاز العربي-المصري" في تعز احتجز ضباط الجهاز قادة الجبهة القومية وباشروا ممارسة التهديد والضغوط على فيصل عبد اللطيف، ولم يطلقوا سراحه مع زميله القيادي محمد البيشي وبقية رفاقهما، وأرسلوهم إلى القاهرة حيث عبد الفتاح إسماعيل وقحطان الشعبي اللذان احتجزا منذ ذهابهما للمشاركة في محفل دولي لتمثيل الثورة.

عودة المواجهات بين الجبهتين

بالرغم من نكسة 67م وما عكسته من آثار سلبية ومؤثرة على مجرى الأحداث إلا أن من إيجابية الهزيمة أنها كشفت هوية المتآمرين داخل الأجهزة الاستخباراتية في مصر وذلك باعتقال زعيمها "صلاح نصر" رئيس جهاز المخابرات العامة المصرية -شغل المنصب بين أعوام 1957م حتى 1967م- وتفكيك قيادة الجيش المصري التي تسببت في صنع الهزيمة أمام الجيش الإسرائيلي.

أفضت هذه التطورات إلى سقوط الجدار الذي كانت تتكئ عليه جبهة التحرير بفعل الدعم الكبير والقوي الذي كانت تعتمد عليه من الجهاز العربي في تعز والقاهرة، فكان تحرك بعض قيادات جبهة التحرير نحو الداخل لتثبيت حضورها ليس من خلال تصعيد التوتر وتفجير المواجهات العسكرية بين وساط الفئات الاجتماعية ثم لجوء جبهة التحرير إلى استخدام نفوذها بتهديد الصحف المحلية التي تنشر أخبار الجبهة القومية بل والتمادي إلى حد إحراق الصحيفتين الرئيسيتين اللتين تعتمد عليهما الجبهة القومية وهما صحيفتا "الأمل" و"المصير".

بعد أن استولت الجبهة القومية على المناطق في الجنوب، وحين شعرت جبهة التحرير أنها تفقد مواقعها وسمعتها في الداخل وهي التي تدعي أنها الممثلة الوحيدة للشعب، أعلنت الجبهة القومية أن عناصر جبهة التحرير أقدمت على مهاجمة قوات الجبهة القومية في بعض أحياء عدن واستهدفت بالاغتيال بعض شبابها القياديين في هذه الأحياء، اتجهت نحو الاقتتال في ضواحي عدن خوفاً من أن تتفرد الجبهة القومية باستلام السلطة دون إشراك جبهة التحرير معها بلا هذه الترتيبات، وهو الأمر الذي جعل المندوب السامي البريطاني يصرح بأن الاقتتال بين الجبهتين هو صراع حول السلطة وليس ضد القوات البريطانية.

وعلى إثر هذه الجولة من المواجهات بين جبهة التحرير والجبهة القومية حرصت الجبهة القومية على إحكام السيطرة على الأوضاع داخلياً وعززت من يقظتها في عدم السماح لأي تحرك مضاد يستغل الظروف الانتقالية لتهديد أمن المواطنين وسلامة أرواحهم، وفي سبيل ذلك أصدرت الجبهة القومية قراراتها بحظر حمل السلاح إلا

على أفراد الحرس الشعبي بصفتهم المدافعين عن مصالح المواطنين ومكاسب الثورة، وخولت لكافة القيادات العسكرية سلطة اعتقال أي شخص يوجد بحوزته أي نوع من أنواع الأسلحة، وقد شكلت الجبهة القومية لجاناً شعبية مختلفة لضمان عودة الأمور إلى طبيعتها.

في هذه الأثناء من التطورات الداخلية كانت أطراف الحوار في القاهرة من الجبهة القومية وجبهة التحرير تبشر بتقدم محادثات الوحدة الوطنية، ولم يبق من إجراءات الحوار بين الطرفين سوى بعض المسائل الشكلية، حيث كانت قد توصلت الجبهتان إلى اتفاق يتم بموجبه تشكيل وفد مشترك للتفاوض مع الحكومة البريطانية حول إجراءات الاستقلال، وانتقال السلطة إلى القوى الوطنية ممثلة بالتشكيل الجبهوي الجديد الذي سيعلن عن صيغته قبل الذهاب إلى مفاوضات الاستقلال، إلا أن التطورات التي لحقت هذا الإعلان مباشرة في يوم 11فبراير 1967م أربكت المفاوضات، وذلك حينما بدأت بعض العناصر من قيادة جبهة التحرير تتحرك مع عناصر مسلحة في أحياء "المنصورة" و"دار سعد" للبدء بأعمال استفزازية استهدفت عناصر قيادية بالاغتيال والاختطاف، مما أدى إلى نشوب الاقتتال بين الجبهتين والذي أخذ طابع المواجهات العنيفة.

العناصر المخربة في قيادة جبهة التحرير كانت تسير في اتجاهين متناقضين تماماً، رفعت شعار الوحدة الوطنية ووافقت على مواصلة الحوار في هذا الاتجاه في الوقت الذي كانت فيه تقوم بتكديس الأسلحة وتخزينها في بيوت بعض المواطنين الموالين لها، وحولت هذه المنازل إلى ثكنات وترسانات مدججة بالسلاح ثم بدأت تستفز المواطنين وترهبهم بقوة السلاح لإخضاعهم لأوامرها ووصايتها، بل وباشرت اعتقال بعض المواطنين، ولما لم تجد الاستجابة في المواجهة العسكرية معها لجأت هذه العناصر إلى استفزاز واعتقال أعضاء الجبهة القومية ، ثم انتهت إلى مهاجمة الأماكن التي يتواجد أو يتجمع فيها أعضاء الجبهة القومية، ولذلك تنبهت الجبهة القومية لخطورة المخطط التخريبي فبادرت إلى حسم الموقف قبل أن يباشر المخربون بتوسيع نطاق الاقتتال والتخريب المدمر.

المسار السياسي في الأمم المتحدة

في سبتمبر عام 1960م أقرت الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة للأمم المتحدة البيان الذي اقترحه الوفد السوفيتي حول إعطاء الاستقلال للبلدان المستعمرة في أقرب وقت ممكن، وقد ناقشت اللجنة الخاصة بقضية متابعة تنفيذ هذا البيان (سُمّيت في البداية بلجنة السبعة عشر ومن ثم لجنة الأربعة والعشرين) قضية الوضع في عدن والمحميات أكثر من مرة.

في سبتمبر عام 1962م باشرت لجنة السبعة عشر تناول "القضية العدنية"، بدعم مندوب فينزويلا وسوريا والاتحاد السوفيتي وتونس مذكرة الأحزاب والمنظمات التقدمية حول منح عدن حق تقرير المصير، وقد اقترح الاتحاد السوفيتي سماع وجهة نظر وفد عدن في لجنة السبعة عشر ووقف ممثل انجلترا ضد هذا الاقتراح، وفي نهاية المطاف أُتخذ قرار بالسماح لوفد عدن بالحديث في لجنة السبعة عشر، إلا أن مناقشة القضية العدنية لم توصِل في هذه المرة إلى اتخاذ أي حل عملي.

في إبريل عام 1963م باشرت اللجنة الخاصة بتصفية الاستعمار مناقشة قضية عدن مرة أخرى وقد سمعت اللجنة وجهة نظر مختلف الأحزاب العدنية التي قدمت مختلف المطالب حول مستقبل عدن والمحميات، وقد أدان ممثلو بلدان كثيرة سياسة الانجليز في إنشاء اتحاد تابع لهم في الجنوب العربي وضم الاتحاد عدن بالقوة إلى هذا الاتحاد.

وفي رد المندوب البريطاني "باتريك دين" على النقد في اللجنة الخاصة بتصفية الاستعمار قال: إن الاتحاد يساعد على ازدهار جنوب الجزيرة العربية وإنه لا يمكن أن تتطور بنجاح إذا كانت عدن - الميناء الضخم الوحيد والمدينة الأكثر تطوراً في المنطقة خارج الاتحاد الفيدرالي.

ولتبرير وجود القاعدة العسكرية الانجليزية في عدن والتي نوقشت قضية تصفيتها في اللجنة، أعلن باتريك دين أن القاعدة العسكرية في عدن ضرورية لتنفيذ التزامات انجلترا في الشرق الأوسط، كما أنها لا تعرقل التطورات الدستورية لهذه المنطقة.

وأثناء نقاش القضية العدنية، عبرت لجنة الأربعة والعشرين عن وجهة نظرها في

ضرورة إرسال بعثة خاصة إلى عدن والمحميات لدراسة الوضع الذي زاد تعقيداً ولاحظوا أن أعضاء اللجنة قلقون جداً من إجراءات الاعتقال وغيرها من انتهاك حقوق الانسان في هذه المنطقة، وقد أجاب باتريك دين قائلاً: إن الحكومة الانجليزية لا تنوي التباحث مع أية جهة كانت حول مصير هذه المنطقة وأن وجود بعثة الأمم المتحدة في هذه المنطقة التي تقع تحت إدارة انجلترا يعتبر تدخلاً واضحاً في شؤونها الداخلية.

وفي 3 مايو 1963م اتخذت لجنة الأربعة والعشرين قراراً بإرسال لجنة إلى عدن لتقصى الحقائق، وقد صوت على هذا القرار 18 عضواً من الأربعة والعشرين، فيما صوت ضد القرار خمسة أعضاء في مقدمتهم انجلترا والولايات المتحدة.

في 10 مايو 1963م اتخذت اللجنة قراراً بتشكيل لجنة من خمسة ممثلين: فينزويلا وكمبوديا ومدغشقر والعراق ويوغسلافيا إلا أنه في 20 مايو 1963م أعلن مندوب انجلترا رسمياً منع هذه اللجنة التحضيرية من دخول عدن، ونتيجة لهذا الاعلان تقرر أن تزور هذه اللجنة العراق وشمال اليمن والجمهورية العربية المتحدة(مصر، سوريا) والسعودية، لمقابلة قادة وأعضاء الأحزاب السياسية والمهاجرين من عدن والمحميات لاستيضاح الوضع المعقد في هذه المنطقة، وعندما عرف سكان عدن والمحميات بقضية منع اللجنة التحضيرية من زيارة المنطقة، نظموا مظاهرات احتجاج ضد هذا المنع من قبل الحكومة الانجليزية، وقد قتل الكثيرون من جراء القمع الوحشي البريطاني لهذه المظاهرات، وبذلت السلطات الانجليزية مجهوداً كبيراً حتى لا تسمح لأعضاء اللجنة التحضيرية دخول عدن والمحميات، وأرسلت بريطانيا إلى شركات النقل في اليمن تمنعها من إيصال البعثة إلى عدن.

ورغم كل العراقيل التي وضعها المستعمرون الانجليز في وجه اللجنة، إلا أنها استطاعت أثناء زيارتها للعراق واليمن والجمهورية العربية المتحدة والسعودية مقابلة 56 شخصاً وتسلّمت 85 عريضة وكمية كبيرة من المواد المطبوعة والصور وغيرها من الوثائق التي تبرهن على فظائع الاستعماريين، وقد وقّع على إحدى العرائض حوالي 9 آلاف من السكان الذين يعيشون في عدن والمحميات وبفضل هذه المقابلات والوثائق استطاعت اللجنة أن تكوّن لنفسها انطباعاً واضحاً عن الوضع في عدن والمحميات وبعد

التعرف على الوضع استطاعت اللجنة أن تخرج بالاستنتاج التالي:

- يجب أن يتسلم سكان عدن والمحميات في أقرب الظروف حق تقرير مصيرهم.
- على انجلترا أن تلغي كل ما شأنه يمنع الحريات الاجتماعية بما في ذلك إطلاق كل المسجونين السياسيين والسماح لكل المهاجرين السياسيين بالعودة إلى وطنهم وأن توقف عملية اضطهاد الشعب وبالدرجة الأولى إيقاف القذائف على المناطق السكنية.
- توصي اللجنة انجلترا بحل كل الهيئات التشريعية الحالية والبدء في إجراء انتخابات عامة من أجل تكوين هيئة منتخبة وممثلة لكل مناطق عدن والمحميات.
- يجب على الجمعية العامة للأمم المتحدة أن تحل قضية وجود ممثلي الأمم المتحدة قبل وبعد الانتخابات.
- يجب أن تتم الانتخابات قبل أن تنال عدن الاستقلال.

ووصف مجلس العموم البريطاني هذه التوصية بأنها غير معقولة، كما أعلن النائب البرلماني لوزير المستعمرات أن هذه التوصية التي اتخذتها اللجنة التحضيرية "ليست صحيحة و متحيزة" وقد وافق على وجهة النظر هذه ممثل انجلترا في الأمم المتحدة "اليسيل كنج" الذي أضاف، أن انجلترا لا يمكن أن تسمح للأمم المتحدة بالتدخل في شؤون المنطقة التي تتحمل مسؤوليتها.

وفى 18 يوليو 1963م اتخذت اللجنة الخاصة بقضية تنفيذ البيان الذى يقضى بمنح البلدان المستعمرة حق تقرير مصيرها قراراً بالموافقة على توصية اللجنة التحضيرية بالنسبة لقضية عدن، وأعلنت اللجنة الخاصة أن بقاء القاعدة العسكرية الانجليزية يعنى :

- ضرب أمن هذه المنطقة ولذا يجب تصفيتها في أقرب الظروف واتخذت الدورة الثانية عشرة للأمم المتحدة وفى 11 ديسمبر 1963م القرار التالي، نتيجة لتوصية اللجنة التحضيرية لعدن وقرار لجنة الاربعة والعشرين.
- يملك سكان عدن والمحميات الحق في الحرية والحكم الذاتي وهذا يتناسب مع

البيان الذي يقضي بإعطاء الحرية والاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة.

- إجراء انتخابات عامة في كل مناطق جنوب الجزيرة العربية.
- يجب إلغاء كل ما من شأنه تضييق الحريات الديمقراطية.
- إطلاق سراح كل المسجونين السياسيين.
- إعادة المطرودين والمنفيين السياسيين.
- إنهاء عمليات القمع.
- إنشاء حكومة مؤقته مستقرة ومجلس تشريعي مستقر على أساس انتخابي.
- إعطاء اللجنة التي تمثل هذه المنطقة حق الحضور أثناء وقبل إجراء الانتخابات في جنوب الجزيرة العربية.
- يجب أن تُجرى الانتخابات قبل إعطاء عدن الاستقلال.
- تتفاوض الحكومة التي ستشكل على أساس هذه الانتخابات مع الحكومة الإنجليزية حول تحديد موعد الاستقلال وحول مصير القاعدة العسكرية الإنجليزية في عدن.

وقد صوت لصالح القرار 95 بلداً ولم يعترض سوى إسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وجنوب إفريقيا (النظام العنصري حينها).

في 9 إبريل عام 1964م ناقشت لجنة الأربعة والعشرين القضية العدنية من جديد، من مندوبي الهند والعراق وكمبوديا ومالي وسوريا وتنجانيقا وتونس ويوغسلافيا واقترحت قرارها بتصفية القاعدة العسكرية الإنجليزية فوراً من عدن باعتبارها تهدد السلام في هذه المنطقة وفي كل العالم، وطالبت اللجنة إنجلترا بإلغاء حالة الطوارئ وكل القوانين التي تحدّ من الحريات المدنية وإطلاق كل المسجونين السياسيين والموقوفين والمعتقلين والسماح للمطرودين سياسياً من عدن والمحميات بالعودة إلى بلادهم، ووقف قتل المواطنين في مختلف المناطق بما في ذلك الحملات العسكرية وتدمير المناطق بالقنابل وإضافة إلى ذلك اتخذت اللجنة قراراً بتشكيل لجنة تحضيرية أخرى لزيارة المنطقة واستيضاح الوضع الذي زاد صعوبة في جنوب الجزيرة العربية.

وفي 11 مايو 1964م اتخذت لجنة الأربعة والعشرين قراراً بإدانة العمليات الحربية الانجليزية في عدن والمحميات وقد صوّت على هذا القرار 18 ممثلاً وامتنع عن التصويت مندوبا الدانمرك وإيطاليا وغاب عضو واحد، كما اتخذت اللجنة قراراً آخر تلفت فيه نظر مجلس الأمن إلى الوضع الخطير الذي ازداد صعوبة في هذه المنطقة.

ولأن انجلترا رفضت للمرة الثانية السماح لممثلي الأمم المتحدة بزيارة المنطقة اضطرت اللجنة التحضيرية إلى استقبال القادة السياسيين والشخصيات الاجتماعية خارج عدن والمحميات.

في نوفمبر عام 1964م اتخذت لجنة الأربعة والعشرين قراراً خاصاً عبرت فيه عن "أسفها" لعدم سماح الحكومة الانجليزية للجنة التحضيرية بزيارة عدن، وقد صوت لصالح هذا القرار 18 ممثلاً وامتنع خمسة ممثلون عن التصويت بما في ذلك إنجلترا، وغاب أحد الأعضاء، ولم يقف أحد من لجنة الأربعة والعشرين ضد هذا القرار، بما في ذلك الوفد البريطاني.

في مايو 1965م اتخذت لجنة الأربعة والعشرين قراراً يدعو إلى تصفية القاعدة العسكرية الإنجليزية فوراً، وقد صوّت مع هذا القرار 19 عضواً ووقف ضده ثلاثة أعضاء بما في ذلك انجلترا وامتنع اثنان عن التصويت، وقد دعا هذا القرار أيضاً إلى إلغاء حالة الطوارئ في كل مناطق اتحاد الجنوب العربي.

في 5 نوفمبر عام 1965م صوتت الدورة العشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة وبالأغلبية الساحقة لممثلي البلدان الاشتراكية وبلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية على قرار اللجنة الخاصة بعدن والمحميات.

وقد اتخذت هذا القرار بعد التعرف على وجهة نظر وفد اتحاد الجنوب العربي الذى كان المكاوي أحد أعضائه، وقد أعلن ممثل الاتحاد السوفياتي أثناء مناقشة هذا القرار: إنه على اللجنة الخاصة أن تطلب من مجلس الأمن بحث قضية عدن من أجل اتخاذ الاجراءات الضرورية التي تحددها لوائح الأمم من أجل تنفيذ القرارات الخاصة بعدن ومن أجل أن يلفت اهتمام مجلس الأمن إلى الوضع المتوتر في عدن والمحميات، واقترحت الجمعية العامة على انجلترا إلغاء حالة الطوارئ وكل القوانين التي تضيّق

على الحريات فوراً وإيقاف القمع والعمليات العسكرية وإطلاق كل المعتقلين السياسيين في هذه المنطقة كما دعت الجمعية العامة كل الدول إلى تقديم كل المساعدات الممكنة لسكان عدن والمحميات في نضالهم من أجل الحرية والاستقلال الحقيقي، كما اعترفت الجمعية العامة بشرعية هذا النضال.

صوّت لصالح هذا القرار 90 ممثلاً وصوّت ضده 11 وامتنع 10 عن التصويت ومن الملاحظ أن الذين صوتوا ضد هذا القرار هم أعضاء التكتل الغربي العدواني: استراليا، وانجلترا، وبلجيكا، وهولندا، والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، ونيوزيلندا الجديدة ، ولوكسمبورج والبرتغال وفرنسا، وجنوب افريقيا(نظام الفصل العنصري آنذاك) .

في مارس عام 1966م اتخذت اللجنة الخاصة بتصفية الاستعمار قراراً يدعوا انجلترا إلى إيقاف الاعتقالات الجماعية في عدن، وقد صوت 19 ممثلاً مع هذا القرار ووقف ضده ثلاثة بما في ذلك ممثل انجلترا وامتنع اثنان عن التصويت.

في 13 مايو 1966م أعلن رئيس المجلس الأعلى "لاتحاد الجنوب العربي" عن موافقة حكومة الاتحاد على قرار الأمم المتحدة، وبهذا الخصوص، ووضحت الجبهة القومية أن الأمم المتحدة لا تعتبر حكومة الاتحاد دستورية ولا شرعية، ولاحظ أحد أعضاء لجنة تصفية الاستعمار أن اعتراف حكومة الاتحاد بقرارات الأمم المتحدة ليس له أساس ذلك لأن أحد أهداف هذه القرارات هو تحرير الجنوب اليمني المحتل من هذه الحكومة.

واتخذت اللجنة الخاصة قراراً بإرسال بعثة إلى عدن لتحديد ظروف مشاركة الأمم المتحدة في الإعداد للانتخابات والاشراف عليها وطلبت حكومة الاتحاد أن يكون أعضاء من ممثلي تلك البلدان التي لم تشترك في الصراع بين الملك فيصل والرئيس عبد الناصر، وكان الغرض من الطلب هو عدم اشتراك الجمهورية العربية المتحدة أو غيرها من البلدان العربية المناصرة للثورة في هذه البعثة.

ومن الملاحظ أن الحكومة الانجليزية أعلنت في أغسطس عام 1966م أنها تعترف ببعض قرارات الامم المتحدة، وقد وضحت جريدة "الأمل" أن موقف انجلترا بالنسبة لهذه القرارات يتحدد بتقسيمها إلى عدة أجزاء وذلك بقصد إلغاء مضمونها الرئيسي

.فقد وافقت انجلترا شكلياً على قرارات الأمم المتحدة بينما تهدف إلى تسليم السلطة لحكومة الاتحاد. إلا أن قرارات الأمم المتحدة لا تعنى تسليم السلطة لحكومة الاتحاد التي اعتبرتها غير شرعية، وأكدت الجريدة أن انجلترا رفضت جوهر القرارات التي تطالب بإلغاء حالة الطوارئ وإيقاف الارهاب والاضطهاد بكل صوره وإعطاء الشعب الحقوق والحريات الأساسية.

في ديسمبر 1966م أعلنت حكومة الاتحاد أن بعثة الأمم المتحدة ستصل قريباً إلى عدن.

برهن اعتراف انجلترا بقرارات الأمم المتحدة الخاصة بعدن ومنعها للبعثة من زيارة المنطقة أن بقاء المستعمرين الانجليز في عدن والإمارات أصبح مستحيلاً في هذه الظروف، لذا قررت الدوائر الانجليزية الحاكمة المضيّ في مناورات جديدة بقصد خداع الرأي العام، ويتحدّد جوهر هذه المناورة بتنفيذ بعض القرارات المقبولة بالنسبة لهم وإعطاء صورة كما لو أنها قدمت تنازلات، وفى نفس الوقت طمحت الدوائر الانجليزية الحاكمة إلى المضيّ في تواطؤها مع حكومة الاتحاد المعبرة عن مصالح الاقطاعيين الكبار وعدم السماح بتشكيل حكومة تضم ممثلي الأحزاب والمنظمات السياسية في عدن والإمارات والذين يعبرون عن مصالح جماهير الشعب العريضة ويناضلون من أجل الحرية واستقلال الشعب اليمنى كله.

ويبرهن الاهتمام الكبير بقضية عدن العامة للأمم المتحدة واللجنة الخاصة بتصفية الاستعمار على الأهمية التي أولاها الرأي العام العالمي لعدن، ويظهر توزيع الأصوات أثناء الموافقة على هذا القرار أو ذاك إن كل البلدان الاشتراكية وبلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية قدمت كل الدعم للنضال العادل لسكان عدن والإمارات من أجل نيل حقوقهم المشروعة.

استفاد المستعمرون الانجليز من دعم الأقلية الضئيلة من البلدان، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية المدافع الثابت عن انجلترا بالنسبة للقضية العدنية، ويظهر هذا الدفاع أمام العالم كله عداء أمريكا لحركات التحرر للشعوب المظلومة وتضامنها مع المستعمرين الانجليز، كما وجدت انجلترا الدعم أيضاً من قبل النمسا والدنمارك

وإيطاليا أثناء التصويت في اللجنة الخاصة وغيرها من البلدان كأستراليا وبلجيكا وهولندا وكندا ولوكسمبرج ونيوزيلندا الجديدة والبرتغال وفرنسا أثناء التصويت في الجمعية العامة.

نوقشت قضية عدن أكثر من مرة في اجتماعات منظمة العمل الدولية التابعة للأمم المتحدة وفي اجتماعات ومؤتمرات اللجنة التنفيذية لمنظمة تضامن شعوب آسيا وإفريقيا وفى اجتماعات جامعة الدول العربية وفى مؤتمرات القمة للدول العربية، كما لعب إنشاء لجنة عالمية للتضامن مع شعب عدن دوراً فعالاً في دعم نضال المنطقة والتي دعت إلى مؤتمر عالمي للتضامن مع شعب عدن، وقدمت القوى التقدمية العالمية كل المساعدة والدعم لسكان عدن والإمارات البواسل الذين يناضلون من أجل تصفية النظام الاستعماري في عدن وانتزاع الاستقلال، ومن أجل تصفية القاعدة العسكرية.

قرار الحكومة الا ٌبليزية

نشطت حكومة حزب العمال الانجليزية لمواجهة حركة التحرر الوطني في عدن والإمارات بصورة سريعة للحصول على دعم الأمم المتحدة إلا أنها اضطرت إلى التراجع والبدء في دراسة المخصصات بقرار إعطاء الاستقلال لعدن والإمارات في عام 1968م.

وقد اتخذ هذا القرار إبّان حكم المحافظين وأعلن رسميا في "المؤتمر الدستوري" لعدن والإمارات الذي عقد في لندن في يونيو 1964م اتخذ هذا القرار في ظروف اشتعال النضال في عدن والإمارات بقوة من أجل التحرر والاستقلال.

إلا أن حكومة المحافظين لم تمض في إعلان هذا القرار، وفى أغسطس عام 1965م، أكد وزير المستعمرات الانجليزي "جرينوود" أثناء زيارته لعدن أن انجلترا تنوي منح الاستقلال لاتحاد الجنوب العربي عدن والإمارات في عام 1968م.

وفى 25 يناير 1966م، أعلن نائب وزير المستعمرات الانجليزي رسمياً في لندن أثناء المفاوضات مع أحد وزراء عدن أن انجلترا ستمنح عدن والإمارات الاستقلال في عام 1968م، وفى نهاية فبراير عام 1966م صدر في لندن "الكتاب الأبيض" الذي تضمّن مشروع "دستور للجنوب العربي" هكذا يسمى الانجليز عدن والمحميات.

وفى ديسمبر عام 1966م أعلن وزير الخارجية الانجليزي "جورج براون" قبل سفره إلى نيويورك لحضور الدورة الحادية والعشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة أن انجلترا تقوم بالتهيئة الأخيرة لما قبل منح الاستقلال "للجنوب العربي" واتخاذ قرار منح الاستقلال لعدن والإمارات عام 1968م، وفي ظروف النضال الملتهب من أجل التحرر بدأت الدوائر الانجليزية الحاكمة في إعداد البيئة الصالحة لنقل السلطة إلى أيدى حكومة الاتحاد التي تتكون من كبار الاقطاعيين الركائز التقليدية للمستعمرين إلا أن اتخاذ مثل هذا القرار من جانب الدوائر الانجليزية الحاكمة قد فتح أمام سكان المنطقة آفاقاً جديدة للنضال من أجل تحقيق الحرية والاستقلال التام.

في يناير 1966م اقترح وزير الخارجية ووزير الدفاع الانجليزيان اللذان كانا في واشنطن، على أن تمضى انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية في طريق التعاون الوثيق في مجال الدفاع في مناطق شرق السويس، موضحين أن هذا لا يعنى توحيد القوات المسلحة والقيادة. وناقشت الدوائر الانجليزية الحاكمة مدة طويلة قضية نقل القاعدة العسكرية الانجليزية من عدن إلى جزر البحرين، بشرط تقليص القوات المسلحة المتمركزة في القاعدة تقليصاً كبيراً، وعند اتخاذ قرار بتصفية القاعدة العسكرية في عدن وفى فبراير عام 1966م، قررت الحكومة الانجليزية نقل 12 ألف جندي من عدن إلى جزيرة البحرين وتحويل البحرين إلى قاعدة عسكرية رئيسية لإنجلترا في الشرق الاوسط.

في "الكتاب الأبيض" البريطاني نُشر رسمياً قرار الحكومة الانجليزية بتصفية القاعدة الحربية في عدن عام 1968م ، لوحظ أن عدد القوات الانجليزية المسلحة في الشرق الأوسط في عام 1966م قد بلغ 26850 فرداً.

دافع اتخاذ حكومة العمال قرار بتصفية القاعدة العسكرية أن الاحتفاظ بها لم يعد اقتصاديا بالنسبة لإنجلترا، فبقاء قاعدة عسكرية في عدن ضد إرادة السكان المحليين يتطلّب استخدام عدد كبير من القوات المسلحة التي يستحيل استخدامها في مناطق أخرى.

اتُخذ قرار تصفية القاعدة العسكرية الانجليزية في عدن نتيجة للصعوبات المالية

والاقتصادية الكبيرة التي تعانيها انجلترا والتي أرغمت الحكومة الانجليزية على إعادة النظر في سياستها وتوجيهها نحو تقليص النفقات الحربية في الخارج تقليصاً كبيراً، ويعنى تقديم صيغة جديدة لسياسة الشرق من السويس من قبل الدوائر الانجليزية الحاكمة والاعتراف الحقيقي بالضعف الكبير لمركز انجلترا في آسيا وبالدرجة الأولى في الشرق العربي.

جريدة "التايمز" نشرت في نوفمبر 1966م خبراً مفاده أن القيادة خططت لجلاء القوات من عدن فاتخاذ الحكومة الانجليزية قرارها بإعطاء عدن والإمارات الاستقلال وتصفية القاعدة في النصف الأول من عام 1968م كان نتيجة لضعف مركز انجلترا السياسي والاقتصادي من ناحية وللنجاح الكبير لحركة التحرر الوطني في العالم العربي الذي اتخذ في جنوب الجزيرة العربية شكل النضال المسلح المباشر ضد المستعمرين الانجليز.

التحديات السياسية أمام الاستقلال الوطني

واجهت الثورة تحديات سياسية هي امتداد للمؤتمرات الدستورية ومحاولة الالتفاف على قرارات الأمم المتحدة، وفي جوهرها تسليم السلطة إلى حكومة عميلة والانتقال من الاستعمار القديم إلى الاستعمار الجديد.

في العام 1966م نقل المندوب البريطاني في الأمم المتحدة رسالة بتاريخ 25 فبراير إلى سكرتير عام الأمم المتحدة مذيلة باسم وتوقيع ما كان يسمى حينها "بوزير خارجية حكومة الاتحاد" تتضمن الترحيب بعودة اللجنة الدستورية البريطانية التي رفضتها القوى الوطنية في المرة السابقة، وفي نفس الشهر عيّن المندوب السامي البريطاني مجموعة من عملائه من مدينة عدن أعضاء في المجلس الاتحادي لشغر المقاعد المخصصة لمدينة عدن.

في شهر مارس من نفس العام 1966م أصدر البريطاني مراسيم داخلية تقضي برفع الحظر عن عودة بقية السياسيين والسلاطين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم منفيين في الخارج، وبعد ذلك أعلن المندوب السامي البريطاني المقترحات الدستورية التي

اقترحتها بريطانيا، ترافق مع هذا الإعلان في شهر إبريل من عام 1966م أن قامت "رابطة الجنوب العربي" بتنظيم لقاء في مدينة أسمرا الأريتيرية، ضم عناصر من قيادتها ومجموعة من السلاطين وبعض السياسيين بما فيهم حسين سالم باوزير قيادي جبهة التحرير، تمخّض هذا اللقاء عن إنشاء تجمّع باسم "قيادة القوى الوطنية في الجنوب العربي".

وفي إبريل من عام 1966م بذلت محاولة أخرى لتنظيم القوى السياسية الموالية للاستعمار من خلال ترتيب اجتماع في بيروت بهدف الخروج بتكتل سياسي يحظى بدعم لاستلام السلطنة وفي المقترحات الدستورية التي أعدها البريطانيون، غير أن التطورات مع التصعيد للأعمال العسكرية والفدائية في مدينة عدن قد أدى إلى إفشال هذه المحاولة.

في إطار المناورات السياسية التي كانت تلعبها الحكومة البريطانية، أدلى وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية (مايكل إستيوارد) في شهر مايو من عام 1966م ببيان أمام مجلس العموم البريطاني أكد فيه موافقة حكومة بلاده على القبول بأي حل للمسألة الدستورية في الجنوب العربي، كما أماط اللثام عن جهود يبذلها بمساعدة "حكومة الاتحاد" على عقد مؤتمر يحضره ممثلو الشعب في الجنوب، وقد علقت لجنة الأمم المتحدة على محتوى هذا البيان أنها لم تجد فيه أي قبول واضح بقرارات الأمم المتحدة، ثم استمر المندوب البريطاني الدائم يستجدي الأمين العام للأمم المتحدة في تعيين مراقب لحضور مؤتمر تنوي "حكومة الاتحاد الفيدرالي" عقده في شهر أغسطس من عام 1966م لبحث ما يمكن عمله لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة، ولم تفلح.

عند حضور اللجنة الخاصة للأمم المتحدة إلى القاهرة في شهر يونيو من عام 1966م قدم مندوب الجبهة القومية إلى اللجنة مذكرة تشرح فيها الجبهة وجهة نظرها حول الأوضاع والتطورات الجارية على أرض الجنوب اليمني المحتل، وحددت مرامي وأهداف الثورة المسلحة في جلاء الاستعمار جلاءً تاماً وتصفية كل ما يرتبط بوجوده الاستعماري من كيانات سياسية.وأن قرارات الأمم المتحدة يجب أن تستوعب

كافة المطالب المقدمة من القوى الوطنية التي تخوض النضال السياسي والعسكري في الداخل، ولا تقبل المساومة مع أية تسويات تجري على أساس الاحتفاظ بكيانات سياسية ائتلافية تضم السلاطين والمستوزرين والسياسيين العملاء.

كان موقف الجبهة القومية أن الشعب يرى أن كفاحه المسلح هو الأساس، وإن دور الأمم المتحدة وقراراتها هو دور مساعد، أما إذا تمكن الاستعمار من تضليل الأمم المتحدة فإن الشعب سيستمر في حمل السلاح، وعلى هذا ترفض الجبهة القومية الاتصال بالبعثة وترفض كل نتائجها، ودعت الشعب إلى الإضراب عند حضورها إلى عدن، ونجح الإضراب فعلاً.

في القاهرة في مارس 1967م تمت المقابلة بين وفد حزب الرابطة وبعثة الأمم المتحدة الذي اقترح فيها وفد الرابطة قيام مؤتمر يضم كل الأحزاب والقوى المعنية في الجنوب لإعداد دستور موقت وإقامة حكومة انتقالية تعد للانتخابات وقيام جمعية تأسيسية منتخبة، وأن يحدد المؤتمر فترة الانتقال قبل بدء الانتخابات، وتصبح الحكومة الانتقالية هي السلطة الوحيدة في الجنوب، وهذا التصور لحزب الرابطة يخدم التصور البريطاني ويتيح للحكام التقليديين المشاركة مع الآخرين والاحتفاظ لهم بمكان في الدولة الجديدة،، إلا أن التصعيد العسكري والسياسي الذي انتهجته الجبهة القومية، -وكذلك جبهة التحرير حتى لا تسحب الحصيرة من تحت أقدامها- أدى إلى رفض الجبهتين مقابلة البعثة الخاصة للأمم المتحدة.

التحركات المشبوهة

بدأ الوزير البريطاني شاكلتون زيارته إلى عدن لمؤامرة جديدة وذلك في 12 إبريل 1967م وأدلى بتصريح بعد وصوله بساعتين أنه في مهمة لبحث وسائل الاجتماع بجبهة التحرير في أي مكان يتم الاتفاق عليه لإيجاد حل لمشكلة جنوب اليمن المحتل، يقوم على أساس قرارات الأمم المتحدة.

يتضح من الوقائع الواردة في وثيقة المؤتمر الصحفي، أن زيارة "شاكلتون" قد تمت قبل وصول المكاوي إلى تعز بأربعة أيام، وأن المكاوي قد حضر من القاهرة وهو يعرف

مهمة الوزير البريطاني شاكلتون ومقاصد تحركاته في المنطقة، ولم تكن زيارة المكاوي إلى تعز محض مصادفة، بدليل أنه عقد المؤتمر الصحفي يوم 16 إبريل 1967م وفي معرض رده على أحد الأسئلة قال إن هناك طرفين لا ثالث لهما هما بريطانيا بوصفها السلطة الحاكمة، وجبهة التحرير الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب في المنطقة، وعلى ذلك فليس أمام بريطانيا إلا أن تعترف بجبهة التحرير، وتجري مفاوضات مباشرة معها وحدها لبحث وسائل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة.

في 21 أبريل 1967م حاولت بريطانيا انتزاع اعتراف من بعثة الأمم المتحدة بوجود الحكومة الاتحادية المزيفة، إلا أن البعثة وجهت صفعة قوية بقطعها رحلتها، وكشفت حقيقة ما هدفت إليه بريطانيا من جراء قبولها مجيء البعثة إلى عدن.

استراتيجية اسقاط المناطق

انتقلت الثورة إلى استراتيجية جديدة أربكت تحركات الاستعمار، وتمثلت في إسقاط المناطق، ابتداء من منطقة الضالع التي سقطت على أيدي الثوار في 22 يونيو من عام 1967م، ثم تلاها منطقة الشعيب التي سقطت في 25 يونيو من عام 1967م، وتوالت الانتصارات بسقوط منطقة المفلحي في 12 أغسطس، ثم سقوط منطقة لحج في 13 أغسطس، ثم سقوط منطقة دثينة في 13 أغسطس، ومنطقة العواذل في 27 أغسطس، ثم سقوط منطقة زنجبار في 28 أغسطس، ثم سقوط منطقة يافع السفلى في 28 أغسطس، ويافع العليا في 2 سبتمبر، ثم سقوط مشيخة العقربي بتاريخ 2 سبتمبر 1967م، ومناطق أحور والمحفد، والعوالق السفلى في 9 سبتمبر، وسقوط حضرموت الساحل في 16 سبتمبر، تلاها منطقة بيحان في 18 سبتمبر، ثم حضرموت الداخل في 2 أكتوبر من ذات العام 1967م.

اشتداد الانقسام بين الجبهتين والمراهنة على الجيش

بعد أن كانت بريطانيا في الأمس تسعى إلى تسوية سياسية تحافظ في إطارها على القوى والأطراف السياسية التي تنسجم مع سياستها، لجأت في ظل التطورات الجديدة

إلى دعوة جبهة التحرير للتفاوض معها من أجل قيام ائتلاف يسمح للجبهة القومية بالمشاركة معها إلى جانب جبهة التحرير والرابطة.

أعلن وزير الخارجية البريطاني يوم 19 يونيو 1967م الترتيبات الخاصة بالمنطقة وحدد ميعاد الاستقلال بيوم 9 يناير عام 1968م ووعد الوزير بدعم جيش حكومة الاتحاد وقواته الجوية والبحرية، كما وعد باستمرار وجود قوة عسكرية بحرية بالقرب من شواطئ الجنوب لحمايته.

أوقفت المحاكمات ضد المعتقلين السياسيين بالإضافة إلى موافقة بريطانيا على رفع الحظر عن الجبهة القومية التي سبق أن تعاملت معها على أنها منظمة إرهابية محظور الانتماء إليها أو التعامل معها دون أن يشمل جبهة التحرير التي لم تكن محظورة.

كانت بريطانيا وهي تضع مثل هذه المقترحات تراهن على الانقسام بين الجبهتين مع الاعتماد على جيش الاتحاد الذي ربما - من وجهة النظر البريطانية - سوف يمرر ترتيباتها السياسية في وضع النظام البديل الذي يحل محلها عند انسحابها من المنطقة كلها، وأن يكون قوة عسكرية ضاربة حتى تتمكن من التصدي بقوة للتحركات الشعبية والجبهات الوطنية، لذلك انصب اهتمام الحكومة البريطانية في السنتين الأخيرتين من الاحتلال على إعطاء اهتمام أكبر لبناء الجيش الاتحادي، وتطويره من حيث التدريب والتسليح، هذا التوجه البريطاني كان يعززه اليقين لدى الحكومة البريطانية وعملائها من الحكام المحليين في ولاء الجيش الاتحادي لهم، ولم تتوقع السلطات البريطانية وطنية منتسبي الجيش الاتحادي، وإذا ما استثني أبناء السلاطين والأمراء الذين كانوا على قمة الجيش، فإن السلطات البريطانية قد أصابها الذهول أكثر عندما تفاجأت بالانتفاضات داخل الجيش تعبيراً عن موقف وطني، وأكبرها انتفاضة 20 يونيو 1967م .

مواجهة مشروع اقتطاع الأرض

كانت قيادة الجبهة القومية من ميدان المعارك في الداخل تتابع التحركات البريطانية السعودية التي أخذت تكرّس ادعاء التمثيل الشعبي لغير الجبهة القومية في الجنوب اليمني واتجهت بنشاطاتها نحو أروقة الجامعة العربية وكواليس الأمم المتحدة، وإلى جانب كانت الجبهة القومية تتابع المؤامرات الجيوسياسية الهادفة لاقتطاع الأرض.

المندوب السامي البريطاني في أحد ردوده على البعثة الدولية عبرّ عن أن بلاده لا تملك سلطة إرغام الولايات الشرقية القعيطي، والكثيري، والمهرة على الانضمام إلى الجنوب العربي، لكونها لم تدخل في إطار "حكومة اتحاد الجنوب العربي"، كان التوجه البريطاني أن يعطي الخيار للإمارات الشرقية حضرموت والمهرة الانضمام إلى الملكة السعودية أو الإمارات الخليجية.

كان السيد (براون) وزير الخارجية البريطاني قد أعلن في مجلس العموم البريطاني يوم 19 يونيو 1967م عن تحديد يوم 19 يناير1968م موعداً للاستقلال، وأن حكومته تفكر في تدويل جزيرة (ميون) التي تقع على مضيق باب المندب لما تمثله هذه الجزيرة من أهمية استراتيجية على هذا الممر الدولي ويناقض التصريح بتدويل جزيرة ميون ما اتخذته الأمم المتحدة من قرارات تعتبر جزيرة ميون جزءاً من أراضي الجنوب اليمني المحتل، وكان ذلك بضغط من الكيان الصهيوني الذي توسّل بريطانيا قبل الاستقلال أن لا تنسحب من الجزيرة وتبقى فيها حتى تصل إليها قوات دولية، إلا أن الجبهة القومية أحبطت هذه المشاريع الغربية الصهيونية عبر انتفاضة شعبية في الجزيرة.

ثم أتت التصريحات البريطانية المعبرة عن نوايا الاستعمار بفصل بعض الجزر وتدويلها، وبدأت على إثر ذلك باتخاذ خطوات عملية عن طريق القيام باتصالات دبلوماسية مع مختلف الدول في الأمم المتحدة لتسليم الأمم المتحدة إدارة جزيرة (بريم) ميون، غير أن الشعب أحبط مؤامرة تدويل الجزيرة، بعد أن تحركت الجماهير في هذه الجزيرة لإفشال المخطط البريطاني، حين قامت بمظاهرات وأسقطت الحاكم المحلي والضابط البريطاني.

مؤامرة الجهاز الإداري

اشتد عود الثورة واستمر فضحها للمناورات البريطانية وإحباط مخططاتها من مؤتمرات لندن التي كان يهرع إليها السلاطين والوزراء والسياسيون المناهضون للكفاح المسلح، منها المحاولة الأخيرة للمندوب السامي السير (ترنبول) الذي أراد أن يورط بعثة الأمم المتحدة الثلاثية الخاصة بعدن مع وزراء الاتحاد بهدف تمييع وضرب القرارات الدولية التي لا تعترف بأي جهاز حكومي أنشأته السلطات الاستعمارية.

إزاء هذا التطورات وجد المندوب السامي البريطاني الجديد "تريغليان" أن إنقاذ الموقف يأتي عبر تظاهر وزراء الاتحاد المحروقة شعبياً بالاستقالة منها، من أجل إعادة تفعيلهم في أطر جديدة.

سعت بريطانيا إلى الترويج لفكرة "الجهاز الإداري" برئاسة حسين البيومي، وكان بداية هذا التحرك باجتماع عقد بمدينة الاتحاد في 5 يوليو 1967م حضره جميع - وزراء الاتحاد عدا وزير الداخلية، وفي هذا الاجتماع قرر المجلس الاتحادي من حيث المبدأ أن يُنشئ منصب رئيس الوزراء وأن يكلّف حسين علي البيومي بتشكيل جهاز إداري مؤقت، يمثل الأحزاب السياسية ومؤتمر عدن للنقابات وقوات الجنوب العربي المسلحة وولايات الجنوب العربي.

هدف هذا التحرك إلى أن يطمئن الوزراء والسلاطين المذعورين من ناحية، وأن يتمكن من إظهار بوادر المساومة مع الحركة الوطنية وبعثة الأمم المتحدة من الناحية الأخرى، ليظهر أمامهم أنه أقدم على إلغاء حكومة الاتحاد وأوجد جهازاً يضم أوسع قطاعات الشعب كما نصّت قرارات الأمم المتحدة.

أراد البريطاني أن يجرّب حظه في محاولة أخيرة إلى أي مدى يمكن أن تنجح فكرة مشاركة الهيئات السياسية ومؤتمر عدن للنقابات في جهازه الإداري الجديد، فإذا نجح في اجتذاب بعض العناصر إلى عضوية هذا الجهاز يمكنه بعد ذلك أن يقفز إلى الخطوة التالية في الجمع بين هذه الهيئات والمؤتمر العمالي وبعض السلاطين، كما أن القرار كان واضحاً في صيغته حين أبرز دور الجيش ضمن هذه الهيئات السياسية كمحاولة من الحكومة البريطانية أن تزجّ به في المعترك السياسي لتحطيمه والإيقاع به

وبين الطرف الثوري في الحركة الوطنية وتحرك أعضاء الجبهة لإحباط هذا المشروع الاستعماري.

المراهنة على بعثة الأمم المتحدة

ظلت الحكومة البريطانية تراهن على دور الأمم المتحدة في إنقاذ سياستها الرامية إلى تسليم السلطة للعملاء، وذلك حين وصلت البعثة إلى عدن في 2 إبريل 1966م ومحاولتها الاتصال بالسكان المحليين والاستماع إلى آرائهم، وأثناء تواجد اللجنة في مدينة عدن لم تلق التعاون المطلوب من السلطات البريطانية.

قيّد المندوب السامي البريطاني تحركات اللجنة إذ حصرها في الاتصال بحكومة الاتحاد والسلاطين، فرفضت اللجنة أن تستقبل أي شخص يمثل هذه الحكومة المزيفة.

في 21 يوليو 1967م أذاعت الجبهة القومية موقفها من المشاورات التي تدور في نيويورك بين بعثة الأمم المتحدة الخاصة وجبهة التحرير وممثل الحكومة البريطانية في الأمم المتحدة، إذ أشارت الجبهة القومية إلى أنها بعثت ببرقية إلى رئيس لجنة تصفية الاستعمار تضمّنت:

- رفض الجبهة القومية للمحاولة الاستعمارية التي تمثلت بتكليف "حسين بيومي" بتشكيل حكومة ائتلاف الهدف منها تجاوز قرارات الأمم المتحدة وإبقاء مصالح الاستعمار والعملاء.
- الجبهة القومية سوف تواصل نضالها لتحطيم أي مشروع تتقدم به الحكومة البريطانية حتى تسلم بريطانيا بالتفاوض مع الأطراف التي تقود الكفاح المسلح في البلد.
- اعتذار الجبهة القومية عن إرسال وفد يمثلها إلى الأمم المتحدة، بسبب الاحتجاز الذي طال مجموعة من قياديي الجبهة القومية في القاهرة.
- ادعاء السيد عبد القوي مكاوي اعتبار جبهة التحرير وطنية وبأنها الممثلة الوحيدة لشعب الجنوب اليمني هو ادعاء لا يمتّ بأية صلة إلى الواقع.

لقاء القوى العميلة

وقعت البعثة الأممية في المحذور، حين قبلت البعثة الدولية أن تلتقي في جنيف في النصف الثاني من شهر أغسطس 1967م بعدد من السلاطين والوزراء الذين ادعوا أنهم يمثلون قطاعات من الشعب وهم "الحزب الوطني الاتحادي" ووفود تمثل السلطنات في المحميات الغربية) و"المجلس القبلي لولاية المهرة" والسلطنتين في الإمارتين "القعيطي والكثيري" وعبرت الجبهة القومية عن رفضها التعاطي مع البعثة الدولية في ظل ما تمارسه الحكومة البريطانية من تضليل لبعثة الأمم المتحدة ومحاولاتها تمييع مضامين النصوص الواضحة القرارات الأمم المتحدة ومهمة اللجنة المكلفة بتنفيذها.

تجدد المخططات البريطانية

شهد النصف الثاني من عام 1967م صعود النضال المسلح فأنهى آمال المندوب السامي وحكومته في اعتماد حكومته على الأنظمة السلاطينية التي أخذت تنهار تحت ضربات الحركة الوطنية المسلحة، وأن ما كانت تعوّل عليه من جيش صنعته لحماية هذه الأنظمة قد نخرته القوى الوطنية حين بدأت تؤسس في أوساطه خلاياها التنظيمية منذ أن بدأت الثورة المسلحة أو ما قبلها، بل وفاجأ الجيش الحكومة البريطانية وعملائها المحليين بموقفه الوطني المعاضد للثورة حين رفض أن يتولّى السلطة لحماية العملاء والمصالح البريطانية، وقد برهن الجيش على موقفه الوطني في البيان الذي أصدره يوم 28 أغسطس 1967م.

التحدي الدبلوماسي

بعد حسم الجبهة القومية المعركة في عدن، وسقوط آخر رهان لبريطانيا في تعمّق الصراع بين الجبهة القومية وجبهة التحرير وتجاوز محاولة تمرير المشاريع البريطانية عبر الإيحاء بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة، أعلنت بريطانيا استعدادها لمفاوضات تسليم السلطة لممثلي الشعب.

على إثر هذه التصريحات أرسلت الجبهة القومية برقية إلى وزير الخارجية البريطاني "جورج براون" تضمنت التأكيد على أن الجبهة القومية هي السلطة الشعبية المسيطرة على كل أجزاء الجنوب اليمني المحتل التي ستقوم بمفاوضة لندن حول تسليمها السلطة السياسية والسيادة باعتبارها الممثل الشرعي لشعب الجنوب اليمني المحتل.

وأضافت الجبهة القومية في برقيتها أنها تقترح أن تتم المفاوضات في القاهرة أو الجزائر أو جنيف، وقد أذاعت أجهزة الإعلام ووكالات الأنباء نص البرقية المرسلة من الجبهة القومية، كما أذاعت بعد ذلك رد الحكومة البريطانية بالموافقة من حيث المبدأ على إجراء مفاوضات مع الجبهة القومية حول تسليم السيادة والسلطة.

ثم بعثت الجبهة القومية ببرقية إلى السكرتير العام للأمم المتحدة توضح له صورة الموقف والتطورات التي حصلت داخل منطقة الجنوب اليمني، وتؤكد له نجاح الجبهة القومية في تحقيق أهدافها من الثورة المسلحة ضد الاستعمار البريطاني، وتصفية الوجود البريطاني من جميع أجزاء ما كان يسمى سابقاً بعدن والمحميات الشرقية والغربية.

التحرك نحو الاستقلال

كانت الجبهة القومية وهي تنتظر الرد على برقيتها التي أرسلت إلى وزارة الخارجية البريطانية قد حصلت على رد يتضمن الموافقة على إجراء المفاوضات في جنيف وجرت المشاورات بواسطة الاتصال التليفوني حول تحديد تاريخ البدء بالمفاوضات الذي تحدد بناء على اقتراح الجبهة القومية في ٢٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

وشكلت الجبهة القومية وفداً للتفاوض برئاسة السيد قحطان محمد الشعبي عضو اللجنة التنفيذية وعضو القيادة العامة للجبهة القومية وعبد الفتاح إسماعيل، وسيف الضالعي، وفيصل عبد اللطيف، وخالد عبد العزيز، ومحمد البيشي، وعبد الله صالح.

في غضون ذلك تناقلت وكالات الأنباء وأجهزة الإعلام الأجنبية ما ورد في بيان (جورج براون) وزير الخارجية البريطاني الذي أدلى به في مجلس العموم البريطاني والمتضمن قرار الحكومة البريطانية بأن تُجرى المباحثات حول الاستقلال وتسليم السيادة في

الجنوب اليمني بين حكومة بريطانيا بوصفها الدولة المستعمرة وبين الجبهة القومية بوصفها ممثلة للشعب وأضاف "براون" في تأكيده أن القوات البريطانية المتواجدة في أجزاء من المنطقة سوف تبحث نهائياً في أواخر نفس الشهر (نوفمبر ١٩٦٧م)، وأن الوفد البريطاني في المحادثات سيكون برئاسة "اللورد شاكلتون" مشيراً إلى وجود مسائل ضرورية من الأفضل أن تُسوَى قبل أن يصبح الجنوب اليمني مستقلاً ولكن إذا لم تنته المفاوضات قبل الاستقلال فليس هناك ما يمنع أن تستمر هذه المفاوضات بين الدولتين بعد الاستقلال.

قامت الجبهة القومية بتوضيح الحقائق والمستجدات للشعب بما فيها موافقة الجانب البريطاني على مفاوضات الاستقلال، مشيرة في كلمة الثوري الصادرة يوم ١٦/١١/١٩٦٧ م بأن ما أدلى به وزير الخارجية البريطاني (جورج براون) في مجلس العموم من قرارات اتخذتها حكومته حول مستقبل الجنوب اليمني وتحديد يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٦٧م موعدا للبدء بالمفاوضات في جنيف، مع تأكيده الاعتراف بالجبهة القومية وبدء المفاوضات معها - إن كل ذلك - لا يأتي بدافع الرغبة الصادقة من بريطانيا في تسليم الاستقلال والإقرار بحرية الشعب اليمني، ولا من واقع أن السياسة البريطانية قد تغيرت تجاه الشعوب المستعمرة، ولكن موقف التسليم بالاستقلال والاعتراف بحرية الشعب وسيادته على أراضيه انتزع انتزاعاً بفعل النضال الجماهيري السياسي والمسلح، وتحت ضغوط التصعيد المستمر لهذا النضال الذي قادته الجبهة القومية منذ فجر الرابع عشر من أكتوبر عام ١٩٦٣ م، وأن الوضع السياسي الذي تشكّل على ساحة الجنوب اليمني بتأثير هذا الكفاح الثوري وسيطرة الجبهة القومية على كل أراضي الجنوب قد وضع السلطات الاستعمارية البريطانية أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن تسلّم بالأمر الواقع وتقرّ بأن الجبهة القومية وحدها تقود ثورة الشعب وتمثله وتسلمها السلطة والسيادة، أو أن تراهن على الجواد الخاسر من العملاء وتترك المنطقة دون أن تفي بالتزاماتها السياسية والأخلاقية، ولا ننسى أن الأمل كان يراود الحكومة البريطانية أن تترك المنطقة بعد رحيل جنودها وهي تموج بالصراعات وتسبح في بحر من الدماء جراء الاقتتال الأهلي ودمار المؤامرات الاستعمارية.

غادر الوفد مدينة عدن يوم الأحد ١٩ نوفمبر ١٩٦٧م متجهاً إلى بيروت للانضمام إلى أعضاء الوفد المتواجدين في الخارج، والذي تحرك بعضهم من القاهرة إلى بيروت قبل انطلاقهم إلى العاصمة السويسرية جنيف.

وأدلى قحطان محمد الشعبي عضو القيادة العامة رئيس الوفد المفاوض لمراسلي الصحافة العربية والأجنبية قبل مغادرته القاهرة في مؤتمر صحفي بتصريحات حدد فيها القضايا التي ستكون مثار نقاش مع الجانب البريطاني وهي القضايا التالية:

- المفاوضات ستتناول بالدرجة الأولى تحقيق الاستقلال الناجز، وتسليم السيادة للحكومة الوطنية.
- الجبهة القومية ترفض أي اتفاق عسكري أو دفاعي أو أحلاف سياسية.
- الجبهة القومية ترفض أيضاً الدخول في نطاق الكومنولث البريطاني.
- الجبهة القومية لن تفرّط في أي جزء من الجنوب اليمني بما فيها كل الجزر.
- ترفض الجبهة القومية أية قيود أو شروط من أي نوع سواء كانت التي ترتبط بأراضي الجنوب اليمني المحتل اقتصادية، أو مالية أو سياسية.
- أن الحكومة الوطنية الجديدة قد تقبل الارتباط بمنطقة الإسترليني لمدة معينة تكون قابلة للتجديد أو الإلغاء.
- ستنهي الجبهة القومية رسمياً كل الاتفاقيات السابقة التي من قبل السلاطين والمشايخ السابقين وحكومة الاتحاد المزيف أُبرمت مع بريطانيا.
- ستشمل المفاوضات طلب معونات وتعويضات مالية غير مشروطة وتسليم كل ممتلكات الجيش البريطاني الثابتة لحكومة الثورة.
- أن النية تتجه لتحديد فترة انتقال بعد الاستقلال وسيقام مجلس وطني تأسيسي لإعداد الدستور الدائم ولن تدير الجبهة القومية ظهرها لأي أفراد أو مجموعات لازالت خارجة عن نطاق الجبهة القومية.

عندما غادر الوفد اليمني لإجراء المفاوضات في جنيف كان يحمل توجيهات القيادة العامة للجبهة القومية الملخصة بالنقاط التي أدلى بها رئيس الوفد لمراسلي الصحافة

العربية والأجنبية إلى جانب الأفكار التي طرحتها القيادة للتداول حولها مع أوساط عربية قبل المحادثات وبالذات مع مصر.

مفاجآت جنيف!

قبل المفاوضات وكنوع من إعادة جبهة التحرير الانتهازية إلى الواجهة مجدداً وزعزعة وحدة الموقف الثوري، دعت الجمهورية العربية اليمنية الجبهة القومية وجبهة التحرير إلى المفاوضات وإرسال وفد مفاوض موحد، وكان من شأن ذلك أن يخلق تناقضاً داخل وفد المفاوضات بين التوجه الثوري المبدئي والتوجه المساوم وهو النهج الذي عُرفت به جبهة التحرير.

استمرت العراقيل السياسية المضادة للاستقلال حتى يوم المفاوضات، حيث تفاجأ وفد الجبهة القومية بأن الوفد البريطاني الذي وصل إلى جنيف مبكراً أحضر معه وفداً سعودياً، برئاسة "كمال أدهم".

أصرّ الوفد البريطاني أن تبدأ أولاً مفاوضات بين وفد الجبهة القومية والوفد السعودي، وآنذاك كانت السعودية تحتضن بعض السلاطين والأمراء الذين هربوا إلى داخل السعودية وكانت المملكة تحشد المرتزقة على أطراف الحدود، وقد رفض وفد الجبهة القومية أي حوار مع الوفد السعودي قبل أن تعترف المملكة بالدولة المستقلة الجديدة، ومن السياق يظهر أن بريطانيا كانت تحبّذ أن يقدّم وفد الجبهة القومية تنازلات للسعودية وتربط مصير الجمهورية في الجنوب بالمملكة كما رُبط مصير الجمهورية في الشمال بها.

التصورات البريطانية

بالنسبة لإجراءات حماية الدولة المستقلة في الجنوب، صرح وزير خارجية بريطانيا في 2 نوفمبر 1967م أمام مجلس العموم أن مصر تجلو في الوقت الحاضر عن اليمن ولذا لن تكون هناك حاجة إلى الاحتفاظ بقوة بحرية قرب سواحل الجنوب،

وبقاذفات القنابل التي كانت بريطانيا تنوي تخصيصها لنفس الغرض أي لحماية الدولة الجديدة والحقيقة أن بريطانيا قد ألغت الإجراءات التي سبق أن خططت لها، لأن السبب لا يكمن في ترك القوات المصرية لليمن حيث كانت تساند ثورتها، بل لأن الحكم الوطني يرفض كل حماية من بريطانيا ولأن المدّ الثوريّ العربي سواء من قِبل ثورة الجنوب أو القوى المؤيدة لها كان موجهاً إلى الحكم العميل الذي أقامته بريطانيا.

أما مشكلة الجزر فكان الاتجاه هو تدويل جزيرة "بريم" حتى لا تستخدم لإغلاق المنفذ الجنوبي للبحر الأحمر، غير أن الأمم المتحدة وعدداً كبيراً من الأعضاء في المنظمة الدولية عارضوا هذا الاتجاه، وكانت هناك أيضاً مشكلة جزر كوريا موريا، ورغم معارضة الأمم المتحدة في سلخها عن الدولة الجديدة إلا أن بريطانيا كانت قد قررت تسليمها إلى سلطنة مسقط محتجة بأسانيد تاريخية وجغرافية.

أما المعونة المالية التي وعدت بها بريطانيا حكومة الاتحاد، فقد كانت معونة مشروطة بطبيعة النظام الاتحادي أو نظام قريب منه أما وقد تغيّر الموقف، ويضاف إليه سوء الأحوال المالية في بريطانيا، فلن تكون بريطانيا مستعدة لتقديم مثل هذه المعونة.

بداية المفاوضات

باشر وفد الجبهة القومية المفاوضات مع الوفد البريطاني، المتعلقة بمسألة الاستقلال والالتزامات الدولية للحكومة الجديدة ومسألة القوانين والتشريعات ومستقبل الجاليات الأجنبية، وفي أبرز المسائل التي جرى تداولها في المباحثات بين الوفدين، كانت المسألة الأولى تتعلق بالالتزامات البريطانية في الجانب المالي تجاه الحكومة الجديدة للاستقلال في الجنوب، خاصة وأن الحكومة البريطانية قد أعلنت في البرلمان وفي أكثر من مناسبة أنها ستقدم الدعم المالي للحكومة التي ستمنحها الاستقلال بستين مليون جنية إسترليني على ثلاث سنوات، وكان هذا المبلغ حينها يعتبر كبيراً وكافيا لتغطية العجز في ميزانية الدولة الجديدة، إلا أن الحكومة البريطانية أثناء المفاوضات في جنيف وعندما وجدت أن الجبهة القومية هي المفاوضة على أخذ الاستقلال، رفضت الإيفاء بهذه الالتزامات المالية.

كان وفد الجبهة القومية يطرح المسألة المالية كنوع من التعويض القانوني من اعتبار أن أرض الجنوب اليمني التي كانت تستخدم من قبل القواعد العسكرية البريطانية لأكثر من قرن من الزمن، إلى جانب أن المسئولية تقع على الحكومة البريطانية في جانب الترتيبات العسكرية، ومتطلبات، الأجهزة من جميع النواحي لأن هذا الجهاز الموروث من الأجهزة الإدارية كان يخدم وجودها وقاعدتها.

كان الوفد الوطني يرى أن مفاوضات الاستقلال بدون أن تفي بريطانيا بالتزاماتها ليس لها أي قيمة، خاصة وأن التنظيم السياسي -الجبهة القومية- قد سيطر على الأرض قبل أن تعترف بريطانيا بشرعية هذا التنظيم، وأصبحت أمور البلاد كلها تحت سيطرة الجبهة وبإمكانها أن تعلن الاستقلال بدون موافقة الحكومة البريطانية لان الاستقلال صار أمراً واقعاً، ومحسوماً وطرح هذا الأمر للوفد البريطاني أثناء المحادثات.

بعد تهديد وفد الجبهة القومية بالانسحاب من المفاوضات بدأ الجانب البريطاني يفصح عن رأيه بأنه سوف يقدم المساعدات المالية في حالة قبول الجانب اليمني بوجود بعثة بريطانية كبيرة أكثريتها من المستشارين العسكريين، وعبر الوفد البريطاني عن رغبة حكومته أن يكون لهذه البعثة كامل الحرية في التحركات والصلاحيات والحقوق في مختلف النشاطات التي ستقوم بها دون أية رقابة أو تقييد لها ولنشاطاتها الواسعة، وقد رفض الوفد اليمني هذه الشروط رفضاً قاطعاً.

كان هذا الرفض من جانب الوفد اليمني المفاوض في جنيف مصحوباً بالإصرار على ضرورة أن تفي الحكومة البريطانية بالتزاماتها المالية، أو أن الوفد سيوقف المحادثات ولا يعنيه ما سيترتب عن وقف المحادثات من ردود أفعال بريطانية.

لأن الوفد اليمني المفاوض كان يعتبر أن هذه الالتزامات البريطانية لها ما يبررها قانونياً وأدبياً، وليست منّة أو هِبة من بريطانيا الاستعمارية، وأنه لابد من الإيفاء بها دون أي شروط مهما كانت صغيرة أو كبيرة.

بعد هذا الإصرار توقفت المحادثات وعاد رئيس الوفد البريطاني إلى الحكومة البريطانية لبحث هذا الموضوع وحين عودته إلى جنيف استأنفت المحادثات بالتعبير

عن موافقة بلاده على تقديم بعض المساعدات الجزئية في الجانب المالي مبلغ 12 مليون جنيه إسترليني مساعدة مالية في الستة أشهر الأولى للاستقلال على أن تستأنف المفاوضات حول المسألة المالية في تاريخ لاحق.

وقد اضطر الوفد اليمني أن يجتمع على انفراد لتدارس هذا الموضوع وقرر الوفد في اجتماعه المستقل أن يقبل بهذه الالتزامات المالية الجزئية البسيطة دون تفريط باستقلال الوطن وسيادته، وكانت هذه المسألة قد أخذت جزءاً كبيراً من النقاش بين الوفدين اليمني والبريطاني اتسم بالتوتر والمشادات الكلامية انتهى بالنتيجة المحددة في البيان.

ثم كانت المسألة الثانية التي أخذت الكثير من الوقت في المحادثات بين الوفدين اليمني والبريطاني، وهي مسألة الجزر اليمنية، وقد فاجأت بريطانيا وفد الجبهة القومية إبان المفاوضات بقرارها بتسليم كوريا موريا إلى مسقط وقد رفض الوفد هذا التصرف البريطاني الذي يتنافى مع الحق الوطني وقرارات الأمم المتحدة الصريحة في هذا الصدد وأعلن الوفد أن بلاده لن تتنازل عن هذه الجزر. وتأكيداً لهذا الاتجاه قام رئيس الجمهورية عقب إعلان الاستقلال بتعيين محافظ لجزر كوريا - موريا واحتفظت الدولة الجديدة بحقها في اتخاذ ما تراه من تدابير لاستعادة الجزر.

وفي الأخير وبعد تشنجات ونقاش طويل ومكرر وافق الوفد البريطاني على أن تُثبّت في وثيقة الاستقلال أن الجزر جميعها يمنية، مع احتفاظ الوفد البريطاني بتحفظه، ووجهة نظره حول هذه التسمية.

لم يحدث خلاف حول الجزر الساحلية كلها بل اقتصر الخلاف حول مجموعة جزر كوريا موريا وقد قامت بريطانيا، بإجراء استفتاء لسكان الجزر ولا يتجاوز عددهم ٧٥ نسمة، واستندت إليه في تسليم الجزر إلى سلطنة مسقط على أساس أن الجزر أقرب إلى السلطنة من النواحي السياسية والاقتصادية والتاريخية، أما بقية الجزر وأبرزها سقطرة، بريم، كمران، فقد أصبحت جزءاً من الدولة الجديدة المستقلة.

وجرى الاتفاق على إعلان الاستقلال، والاعتراف البريطاني بالحكومة المستقلة الجديدة، وإقامة تمثيل دبلوماسي بدرجة سفارة بين البلدين، وهكذا تم صياغة وثيقة

الاستقلال التي يعتزّ بها الوفد اليمني المفاوض بنتائجها لأنها كانت وثيقة لا يمكن مقارنتها بوثائق الاستقلال في البلدان الأخرى التي كانت تحت الاستعمار البريطاني، إذ أن وثيقة استقلال الجنوب اليمني كانت تعبرّ بشكلها ومضمونها عن النزوع الوطني المستقل غير القائم على أي شروط بريطانية وكانت تلبي إرادة الشعب في الحرية والاستقلال الوطني الناجز.

ومع إعلان الاستقلال في 30 نوفمبر 1967م انتهى كل دور لبعثة الأمم المتحدة وللمنظمة الدولية بالنسبة لمرحلة التحرر الوطني، لأن الهدف قد تحقق بإقامة حكومة وطنية رغم أن تصورات وإجراءات الأمم المتحدة - وهي تصورات وسطية توفيقية - لم تتحقق وخاصة فيما يتعلق بالانتخابات العامة وإقامة حكومة عريضة انتقالية.

الخاتمـــــــة

تجربة الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل، وثورة 14 اكتوبر المجيدة هي جزء من الإرث الثوري اليمني، وغيرت حركات التحرر الوطنية في القرن العشرين.

لمعرفة التجربة أهمية عملية اليوم في فهم واقع الاستراتيجية الاستعمارية البريطانية ومواجهة الأشكال الجديدة من المؤامرات الراهنة، إذ تتشابه التحديات التي واجهت الحركة الوطنية اليمنية قديماً بما يتهدد الوطن اليوم من أخطار استعمارية.

تتشابه معطيات المعركة اليمنية اليوم مع التحالف العسكري العدواني التي تتزعمه السعودية والإمارات وتدعمه الدول الغربية، مع معطيات حرب التحرر الشعبية، من حيث كون الجغرافيا السياسية التي دارت فيها الأحداث واحدة، وهي المحافظات الجنوبية والشرقية والساحل الغربي، ومن حيث كون الجوار السعودي المتآمر هو ذاته القديم الجديد الذي استقبل سابقاً السلاطين ورعى تشكيل جيوش مرتزقة دعم عمليات عسكرية عدوانية ضد الحكومة المستقلة في عدن.

وكذلك الموقف العدواني الأمريكي الأطلسي في الأروقة والمحافل الدولية الذي كان يساند التحركات البريطانية في اعتبار حكومة الاتحاد -صنيعة بريطانيا- كحكومة شرعية ومحاولة تطبيق قرارات الأمم المتحدة بما يوافق التوجهات البريطانية وهو

ما يجري في الوضع الراهن، من تعامل مع الحكومة الموالية للسعودية مع قرارات مجلس الأمن.

كما تتشابه تجربة ثورة تحرير الجنوب اليمني المحتل مع واقعنا الراهن من حيث كون السياسة الاستعمارية البريطانية العامة التي طبقتها إبّان الاستعمار وفي مواجهة ثورة 14 أكتوبر، هي السياسة التي يجري تنفيذها اليوم في جنوب اليمن عبر السعودية والإمارات والولايات المتحدة وبمشاركة بريطانية فرنسية.

نجد في التجربة من تعامل الاستعمار البريطاني مع القوى العميلة نماذج مماثلة لإسقاط حكومة "بحاح" ثم اسقاط رئاسة "هادي" وتشكيل "مجلس العليمي"، فالتخلص من الأوراق المحترقة وإعادة تجديدها بإضافة أسماء وقوى عميلة جديدة وتحت عناوين جديدة هي سياسة بريطانيا القديمة الجديدة.

وتتشابه التجربة مع واقعنا الراهن في القضايا الجيوسياسية، المتعلقة بالجزر، والمضائق البحرية والسواحل، ومساعي فصل المهرة وسقطرة وحضرموت، فكما في التجربة السابقة حاولت بريطانيا مراراً إبقاء الجزر اليمنية تحت سيطرتها وخصوصاً جزيرة ميون الحاكمة لمضيق باب المندب، والقضايا الاقتصادية المتعلقة بالتعويضات المالية، وارتداد المرتزقة عن الهوية اليمنية، وفي مسألة التعويضات كانت بريطانيا قد تعهدت أمام المجتمع الدولي أنها سوف تدعم حكومة الاستقلال الجديدة بعد تسليم السلطة إليها إلا أنها تراجعت لاحقاً عن هذا الوعد، وهو أمر قريب من عرقلة ملف رواتب الموظفين من النفط والغاز اليمني، ومن المحتمل لاحقاً ألا تفي دول العدوان بالتزاماتها في التعويض وإعادة الإعمار.

كما أن تجربة جبهة التحرير مع الجبهة القومية تشبهها إلى حدٍ ما تجربة علي صالح مع أنصارالله، إذ حاول صالح تفجير الحرب في العاصمة صنعاء خدمة لتحالف العدوان داعيا لفتح صفحة جديدة معه، وهو ما قامت به جبهة التحرر سابقاً من تنسيق سياسي مع بريطانيا وتفجير الحرب في عدن.

وعلى مستوى العلاقات الدولية، تتشابه التجربتان في عدم الاعتراف الدولي بالقوى الوطنية وتصنيفها منظمة إرهابية، لايزال موقف كهذا سائداً ضمنياً تجاه أنصارالله،

وهو ذات الموقف الذي كان سائداً من قبل بريطانيا والغرب تجاه الجبهة القومية التي كانت تُعدّ بنظرهم منظمة إرهابية ولم يتم إزالة هذا التصنيف عنها إلا في الشهور الأخيرة من عام الاستقلال 1967م عندما بات انتصار الثورة أمراً واقعاً.

كما نجد في التجربة محاولة ضم القوى الوطنية إلى القوى العميلة لتأليف حكومة مشتركة والنأي بالمعتدي الأجنبي عن الالتزامات، هذه الاستراتيجية التي يحاول العدوان فرضها اليوم كان سابقاً قد حاول تنفيذها عبر أكثر من دعوة وتشكيل حكومي إلا أنه فشل، ومثل هذا الخيار سوف يتكرر عقب انتهاء العدوان حيث تسعى دول العدوان إلى تجاوز الطباع الدولي للحرب والعدوان الأجنبي على اليمن، ومحاولة حل الأزمة على اعتبار أنها قضية صراع يمني يمني بشكل كلّي دون الاعتراف بأي بُعد أجنبي استعماري للصراع.

المراجـــــــع

تم استقاء المعلومات التاريخية بشكل أساس من الكتب التالية:

1 - راشد محمد ثابت، " 14 أكتوبر من الانطلاقة حتى الاستقلال"،(صنعاء، 2007م، رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 603).

المؤلِف أحد قيادات الجبهة القومية إبان حرب التحرير، ويستند في كتابه على بيانات وصحف الجبهة القومية ومنشوراتها الداخلية وبيانات جبهة التحرير وهي مصادر رئيسية من تلك المرحلة التي عايشها، مرفق كثير منها في كتابه.

2 - أحمد عطيه المصري، " النجم الأحمر فوق اليمن"،(بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط 2 1986).

وهو كتاب منهجي كُتب بطريقة علمية فيها عرض وتحليل واستنتاجات، ويعود الباحث إلى مصادر أساسية من تلك المرحلة، كان الكاتب إبان حرب التحرير في السلك الدبلوماسي المصري في شمال اليمن، ثم عين في السلك الدبلوماسي المصري في جنوب اليمن، وهو ما مكنه من الوصول إلى معلومات

دقيقة، كما أنه كان متابعاً للأحداث حينها.

3 - لـ.فاكوفا، " السياسة الاستعمارية في جنوب اليمن"،(عدن، دار الهمداني ط2 1984م، ترجمة عمر الجاوي).

المؤلفة سوفيتية قدمت كتابها كأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في معهد آسيا في موسكو، نالت درجة الامتياز عنه، وهو كتاب منهجي مليء بالمراجع، العربية والسوفيتية، والمميز فيه أنه يستند إلى الصحف السوفيتية والإنجليزية والأمريكية التي صدرت في فترة حرب التحرير أي أنه يتمم الكتب التي صدرت بالعربية وكانت مركزة فقط على المصادر اليمنية بدون التطرق إلى المصادر الأجنبية.

4 - عادل رضا، "ثورة الجنوب"،(القاهرة، دار المعارف 1969م).

كتاب منهجي، وما يميز هذا الكتاب كونه صدر بعد عام من تحقيق الاستقلال الوطني، وتنعكس فيه الأمزجة السائدة حينها حيال الإنجاز الوطني اليمني.

5 - مجموعة مؤلفين سوفييت،" تاريخ اليمن المعاصر 1917م1982-م"، (القاهرة مكتبة مدبولي 1990م، ترجمة محم علي البحر).

وما يميز هذا الكتاب هو أنه عالج القضية من منظور تاريخي في إطار دراسة فترة تاريخية يمنية محدده، وربط الأحداث والتحولات في الشطر الشمالي والشطر الجنوبي في آن مبيناً التفاعل بينهما.

6 - اللجنة التنظيمية في الجبهة القومية، "كيف نفهم تجربة اليمن الجنوبية الشعبية"، (بيروت، دار الطليعية ابريل 1969م).

وهذا الكتاب مرجع مهم، فهو وثيقة تاريخية بذاته، فقد صدر عن الجبهة القومية، ومن قبل شخصيات كانت جزء من الفعل الثوري وقيادة في حرب التحرير، منهم عبد الفتاح إسماعيل، وفيصل عبد اللطيف، وخالد عبد العزيز وكانوا جزءاً من وفد المفاوضات.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

ثورة 14 أكتوبر المجيدة
تبحث عن ثوارها

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشي

ربيع الأول 1445هـ - أكتوبر 2023م

بين 14 أكتوبر 1963، و14 أكتوبر 2023، 60 عاماً، وثورة تحرر وطني أنهت تراكمات 130 عاماً من الطغيان والعبث والإجرام والاستعباد والعربدة والوحشية الاستعمارية البريطانية، وقدّم شعبنا الحرّ في المناطق اليمنية الجنوبية والشرقية في سبيل نيل الحرية والاستقلال عشرات الألاف من الشهداء الأبرار.

60 عاماً مضت من عمر الثورة الأكتوبرية المجيدة، فما الذي تبقّى منها، وأين هي أهدافها؟.

الأهداف تبخّرت، وجنوبنا مُحتلّ من قِبَل أحذية بريطانيا، والثورة لم يتبقَّ منها سوى الاسم فقط، والصورة انقلبت رأساً على عقب، والمفاهيم تغيّرت، والأدوار تبدّلت، والمستعمِر لم يعد مستعمِراً بل مُحرِراً، ومقاومة الغُزاة والمحتلين لم تعد عملاً وطنياً بل عمالة وخيانة وإرهاباً، ويبقى المشترك بين الزمنين:

الخاصرة الجنوبية للجزيرة العربية، بما تتوافر عليه من موقع استراتيجي وثروات طبيعية بِكر، ساحة لعبث الغرباء، ومسرحاً لأطماع ونهب المهيمنين، القدماء والجدد.

وما بين الزمنين لا زالت ثورة 14 أكتوبر تبحث عن المناضل الحرّ الشيخ راجح غالب لبوزة ورفاقه من الثوار الأكتوبريين الأحرار، ليُعيدوا للثورة طُهرها وعفّتها ونقائها وألقها ووهجها، ويُعيدوا لأهدافها قُدسيّتها، ويُعيدوا لشعبنا اليمني الحرّ في الجنوب كرامته وعزته وحريته وأرضه وسيادته وقراره، ويُطهروا الجنوب وجُزره وسواحله ومياهه وبحاره من خبث ورجس ونجاسة تحالف العاصفة العبرية وأحذيتها المحلية، ويُوقفوا عبثهم وجرائمهم بحق أرض وإنسان تلك المناطق الطاهرة.

العملاء ورقة الاحتلال الرابحة:

منذ احتلال الانجليز لجزيرة "بريم" في العام 1799، ربطتهم علاقة صداقة ومودة بسلطان العبادلة، واستفادوا من تلك العلاقة في إكثار التردد على عدن تحت مبرر التزود بالماء والتزاور، وانتهى مطاف المغازلة كما يذكر الدكتور "أحمد فخري" بعقد معاهدة ودية وتجارية في 6 سبتمبر 1802 ميلادي بين أمير العبادلة بلحج السلطان "أحمد عبدالكريم" وممثل الشركة الهندية الشرقية الإنجليزية، تضمنت بنودها:

1 - فتح ميناء عدن للتجارة البريطانية.

2 - تأجير جزء من مدينة عدن للإنجليز.

أسهمت هذه المعاهدة في تعاظم النفوذ البريطاني، وتوجهه في 11 يناير 1839 ميلادي للبسط على عدن بالقوة، ومن يومها أصبحت مستعمرة بريطانية، وتذرّع الاحتلال بتحطم بعض سفنه في خليج عدن، ونهب سكان عدن محتوياتها.

وكان أمير العبادلة بلحج قد أعلن خروجه على إمام اليمن في العام 1732، وبدلاً من تعزيز استقلال بلاده وما جاورها قرر في 6 سبتمبر 1802 وضع الحجر الأولى في قبر ذلك الاستقلال بتوقيعه اللا واعي واللا مسؤول على تلك المعاهدة، والتي مثّلت صكّ غفران للاحتلال لتوسيع نفوذه وصولاً إلى البسط والسيطرة على عدن في العام 1839.

أخذ نفوذ الاحتلال بالتوسع والتغلغل داخل اليمن، انطلاقا من عدن، والتي مثّلت مُرتكزاً للانطلاق، وأصبحت سلطنة لحج نفسها محمية من بين عشرات المحميات بموجب معاهدة 5 مايو 1881، وأخطر ما ورد في هذه المعاهدة، تعهد السلطان "فضل بن علي محسن العبدلي" بـ:

1 - تحمّل المسؤولية عن أي تعدٍّ يحدث من رجال القبائل على المحتلين، بمعنى حماية المحتلين من غضب الشعب اليمني الحر.

2 - عدم عقد أي معاهدة مع الدول الأخرى دون إذن حاكم عدن الإنجليزي.

3 - عدم تعمير القلاع والعمارات على ساحل البحر دون إذن حاكم عدن الإنجليزي.

4 - ربط استيراد أو تصدير السلاح والذخائر والعبيد وكل أنواع التجارة والمكسرات والمكيفات من السواحل اليمنية بتصريح خطي من الحاكم الإنجليزي في عدن.

ولذا لا نستغرب من حال الحكومة اليمنية الكومبارسية الموالية للعدوان السعودي الإماراتي اليوم، فالمشهد يُعيد نفسه، وعبادلة اليوم أكثر قذارة وانبطاح وعمالة من عبادلة الأمس، على الأقل عبادلة الأمس كان لهم بعض المواقف الداعمة للانتفاضات الشعبية ضد الاحتلال وإن على استحياء، بينما هم اليوم كالأنعام السائمة همّها علفها وليذهب الشعب والوطن إلى الجحيم.

وثمن بيع القرار والسيادة اليمنية بخس ومُخزي، حيث تعهد الاحتلال بدفع راتب

شهري للسلطان وإطلاق الحامية البريطانية في عدن 21 قذيفة مدفعية عند زيارته لها، وعش رجباً ترى عجباً.

المثير في الأمر أن الإنجليز كان لديهم فرَمان من الاحتلال العثماني يُتيح لأسطولهم استخدام ميناء عدن متى أراد، لكنهم فضّلوا عقد معاهدة مع سلطان لحج وبقية السراطين من أجل منح وجودهم الشرعية، ليعبثوا كيفما شاءوا.

أعطت المعاهدة الاحتلال الضوء الأخضر لتنفيذ سياسته الاستعمارية التوسعية، وبسط نفوذه على كامل الساحل الجنوبي لجزيرة العرب ومدخل البحر الأحمر، وتوافرت عدة عوامل ساعدته على التمدد السريع وطول فترة الاحتلال، منها:

1 - حالة الضعف والوهن والتشظي في المناطق الجنوبية والشرقية.

2 - كثرة الصراعات بين مشائخ وسلاطين تلك المناطق على السلطة والزعامة والنفوذ.

3 - انتشار الأمية والجهل في أوساط السكان.

في ظل هذا الوضع المحلي المزري لم يجد الاحتلال صعوبة في السيطرة والتمدد والإبقاء على أسباب التنازع بين القبائل اليمنية وتغذيتها ليضمن لنفسه البقاء والسيادة والاستمرارية.

أنشأ الاحتلال عدة محميات في جنوب اليمن، وجعل من عدن مركزاً لإدارتها، وقسّم المناطق اليمنية الجنوبية والشرقية إلى كانتونات صغيرة، وجعل عليها أمراء ومشائخ، وأجرى لهم المرتبات ومخصصات الضيافة، وكل أمير بحسب حجمه ووزنه وقُربه من الاحتلال، وكبّل ذلك الكمّ الهائل من الغثاء السلاطيني والأميري والمشيخي بمعاهدات خاصة، أعطته الشرعية والأريحية للتحرك دون رقيب أو حسيب.

جرائم الاحتلال في جنوبنا الغالي:

تفنن الإنجليز خلال عقود احتلالهم البغيض للمناطق اليمنية الجنوبية والشرقية في الإجرام والعربدة، متجاوزين كل المحرمات والمقدسات والأعراف والنواميس.

ولا عجب مما نراه اليوم في فلسطين المحتلة من عربدة وإجرام صهيوني، وما رأيناه خلال سنوات عدوان تحالف العاصفة العبرية على اليمن، فأم أولاد الأفاعي واحدة، إنها مملكة الشر التي لا تغرب عنها الشمس، فهي من زرعت الغدة السرطانية الصهيونية في قلب المشرق العربي "فلسطين المحتلة"، وهي من زرعت السعودية الوهابية الهنفمرية في قلب الجزيرة العربية "نجد والحجاز"، وهي من لقنتهما دروس الإجرام والإرهاب، وهي أيضاً من قسمت جزيرة العرب إلى دويلات متناحرة، ونكتفي هنا بذكر بعضاً من عناوين جرائمها في جنوبنا الغالي خلال فترة الاحتلال، وما تلى الاستقلال الملغوم، وتفاصيلها مبسوطة في كتب المؤرخين لمن أراد الاستفاضة والاستفادة:

1 - تدمير المدن والقرى، وتشريد السكان المدنيين الآمنين، وإحراق ردفان بعملية عسكرية دانها حتى قائد الاستعمار البريطاني آنذاك، وما أشبه حال غزة هاشم اليوم بحال جنوب اليمن في تلك الحقبة المظلمة.

2 - ممارسة كل أساليب التعذيب الوحشي والمخيف ضد الأسرى والمعتقلين اليمنيين، وقتل وأسر الحكام والمشائخ المحليين، ودعم من يؤيدهم حتى يسهل القضاء عليه بعد انتهاء تاريخ صلاحيته كما هو حال "عبد ربه منصور هادي" اليوم.

3 - جعل اللغة الانجليزية اللغة الرسمية في جميع المعاملات الرسمية، وتعيين رؤساء الإدارات ونوابهم من الانجليز، وبقية الكوادر والكُتّاب من أبناء الجاليات الأجنبية الذين يجيدون الإنجليزية، واستبدال القضاء الشرعي الاسلامي بقضاء وضعي علماني باللغة الإنجليزية في جميع المجالات، وبناء الكنائس في مناطق مرتفعة عن المساجد.

4 - نشر المحرمات من خمور ودعارة وقمار وسِباب وأخلاق منحطة، وعدم الاهتمام بالتعليم في مسعى للتغريب الأخلاقي والإعلامي والثقافي، والتجهيل التعليمي، والتسطيح الديني، والإلهاء الاجتماعي.

5 - تحويل عدن إلى سوق للعمالة الرخيصة، ووكر للتآمر والدسائس على شمال اليمن، وفتح أبواب الهجرة الأجنبية إليها، ومحاربة العنصر الوطني، بغرض

التهيئة لهندسة مشاريع سياسية مستقبلية للمنطقة مرتبطة بالاستعمار البريطاني، مثل: الحكم الذاتي لعدن، اتحاد الجنوب العربي، الحكومة الانتقالية.

6 - تشجيع نمو "برجوازية كمبرادورية" طفيلية مرتبطة بالمصالح البريطانية.

7 - إقامة مشاريع اقتصادية هامشية تلبي احتياجات القوات البريطانية في عدن، دون اكتراث لحال الشعب اليمني في بقية المناطق الجنوبية المحتلة.

8 - مضاعفة واقع التخلف والتفكك والانقسام، وإثارة الشقاق، وزرع الفتن، وتعزيز التعصب القبلي، وتفريخ العشائر والمشائخ والمشيخات، وتشجيع الأنساب القبائلية، وإثار نعراتها من أجل تعزيز الشعور بالانعزالية، وخلق حركات وطنية وسياسية متناهشة ومتخاصمة وهشّة، وبرامج وعقائد غربية علمانية متضادة ومتصادمة، بما يضمن ديمومة وتناسل عوامل التفرقة والتجزئة والفتن والاختلاف والتشاحن، بما لذلك من تبعات كارثية لا زلنا نكتوي بنيرانها إلى اليوم.

9 - تمزيق الوحدة اليمنية والنسيج الاجتماعي اليمني، وتعميق اليأس في أوساط اليمنيين من عودة التحام جسدهم الواحد.

10 - سلخ هوية الأجزاء الجنوبية والشرقية عن هويتها التاريخية والجغرافية عبر تغليب الثقافات والهويات المحلية، وتغذية النزعات الانفصالية، وتعميق هوّة الخلافات والصراعات البينية، بهدف طمس الثقافة والهوية الوطنية اليمنية، وتكبيل ووأد أي هبّة شعبية تحررية، وتفخيخ مستقبل الأجيال بألغام العنصرية المناطقية والعشائرية والفئوية.

وبلغة أخرى تدجين الهوية الوطنية لصالح الهويات المحلية المُصطنعة، وتعميق الهوة بين علاقات أبناء هذه المناطق وهويتهم الوطنية الأم، وتعميق النزعة الانفصالية التي وجدت في الجمعية العدنية ورابطة أبناء الجنوب العربي ضالتها المنشودة على أمل الحلول مكان الاستعمار بعد رحيله لتنفيذ مخططاته، كما هو حال الانتقالي الجنوبي اليوم ومجلس وحكومة العليمي ومن لفّ لفهم من العملاء والمرتزقة.

11 - شق المناطق الجنوبية إلى شرقية وغربية، فكوّن إدارة لمحميات عدن الشرقية - حضرموت والمهرة، وإدارة لمحميات عدن الغربية - لحج وأبين وشبوة، وجعل بينهما قطيعة سياسية وإدارية واقتصادية، ومنع الوفاق بين مختلف الأطراف اليمنية، وعمل على إنشاء كيانات سياسية هزيلة ومقسمة، ودق إسفين الشقاق بينها، وعمل على إغراقها في مستنقع الصراعات البينية، حيث بلغ عدد السلطنات والإمارات في الجنوب نحو 21 - 32 إمارة وسلطنة ومشيخية، مستقلة عن بعضها ومتناحرة فيما بينها، وصار الاستعمار الرابط الوحيد الذي يجمعها بدلاً عن الروابط الوطنية والدينية والثقافية، كما هو حال السعودية والإمارات اليوم مع مواليهم المحليين.

12 - إنشاء جيوش وقوات أمن محلية على أسس قبلية وعشائرية ومناطقية، وإغراقها في العصبيات الحزبية والسياسية، بنفس الطريقة التي يعمل بها الاحتلال الاماراتي والسعودي اليوم في المناطق المحتلة.

13 - زرع بذور الشقاق والخلاف بين شركاء النضال المسلّح، وكان لهذه الخطوة الشيطانية آثار كارثية في ضمان استمرار الصراع بين أطياف الفعل الثوري بعد رحيل الاستعمار، وهو ما بدى واضحاً في تباين وجهات نظر رفاق الكفاح المسلح واختلاف صفوفهم ووصولهم إلى مرحلة الصِدام الدامي في أكثر من مرة، خلال مرحلة النضال لنيل الحرية والاستقلال، وما بعد نيل الحرية والاستقلال للأسف الشديد، وما نراه اليوم بالمحافظات الجنوبية والشرقية مجرد صدى واجترار شائهٍ وممجوج لآثار تلك الحقبة المظلمة من تاريخ اليمن.

السفينة تغرق، بهذه العبارة احتلت بريطانيا عدن عام 1839، وبدأ معها تقسيم جنوب جزيرة العرب، ومعها بدأ تاريخ الوصاية والإقصاء والألم والصراعات، ولا تزال ألغامها تكوي الجنوب اليمني إلى يوم الناس.

تفخيخ الحراك الثوري:

جعل الاحتلال مدينة عدن قاعدة لتأمين المواصلات إلى مستعمراته في الهند، ومحطة ترانزيت لتزويد سفنه بالوقود، وحرص منذ البداية على إعطائها وضعاً متميزاً كما يذكر الدكتور "أحمد الصايدي"، فأوجد سياجاً منيعاً من السلطنات والمشيخات، وربطها بسلسلة من معاهدات الحماية، لتُشكل عازلاً بين مستعمرة عدن ومملكة الإمام في شمال وغرب اليمن.

وأبقى هذه المحميات على حالها من التخلف والفقر والجهل والتناحر والصراع البيني، ووجّه اهتمامه إلى عدن بسبب تواجد قواته وقيادته، فأنشأ فيها بعض الطرق والمشافي والمدارس البدائية، ونشطت فيها الحركة التجارية، وبدأت تظهر فيها طبقة من العمال والمستخدمين، تُنظم نفسها بالتدرج حتى صارت ذات وزن مؤثر في الحركة الوطنية التحررية، خصوصاً بعد إنشاء مصفاة عدن في عقد الخمسينيات من القرن العشرين، مقابل طبقتين من البرجوازية التجارية المحلية والأجنبية بالتوازي مع نمو الحس الوطني وتبلوره في تنظيمات وطنية أخذت تتطور حتى أصبحت حركة وطنية ذات تأثير تجاوز حدود مستعمرة عدن إلى محمياتها، ومعها بدأت قضايا التحرر من الاحتلال تطرح نفسها بقوة.

وما نريد التأكيد عليه هنا هو انحياز التنظيمات ذات النفَس المناطقي العنصري كالجمعية العدنية وتفرعاتها ورابطة أبناء الجنوب العربي وتحالفاتها إلى مجرد بيادق بيد الاحتلال، تماماً كما هو حال العبدلي وهادي والعليمي ومن سار على دربهم.

تشكلت الجمعية العدنية في العام 1950 تحت شعار "عدن للعدنيين"، واقتصر نشاطها الجغرافي على مدينة عدن عكس رابطة الجنوب العربي - نشأت في العام 1951 - فقد نشطت في الأرياف متجاوزة عقدة الجغرافيا، ما أعطاها أريحية أكبر للتحرك، لكن كليهما مجرد صدى للطبقة الأرستقراطية وأثرياء القوم والبيوت التجارية الأجنبية والمشيخات والسلاطين، وهذه الفئات مصلحتها مرتبطة بالاحتلال وبقائها مرتبط ببقائه.

عملت الجمعية على إقامة حكم ذاتي في عدن في إطار الكومنولث البريطاني، وضمت في صفوفها الأسر الأرستقراطية العدنية بما فيها المهجنة من أصول هندية وباكستانية وكبار الموظفين الإداريين والتجار، وفي العام 1954 حل مكانها "حزب المؤتمر الشعبي"، وبنفس النفَس المناطقي العنصري، ومن رحم حزب المؤتمر خرج الحزب الوطني الاتحادي، وكان هدفه إقامة دولة تشمل كامل الجنوب مرتبطة ببريطانيا تحت اسم "اتحاد الجنوب العربي"، لكن هذا المشروع سرعان ما تلاشى بريقه وخفت.

"رابطة أبناء الجنوب"، هي الأخرى أتت لتمثل مصالح أغنياء الريف والأسر المشيخية والسلاطينية، ولتعبّر عن ردة فعلهم على استمرار الأرستقراطية العدنية والبيوت التجارية الأجنبية في التمتع بالامتيازات والمصالح الاقتصادية، وكذا تجاه السياسة البريطانية الخاصة بالمحميات، وهي سياسة اتسمت بالإهمال، رغم إمساك الاحتلال بالقرار في تلك المحميات بموجب معاهدات الحماية ومعاهدات التشاور التي منحت الاحتلال حق تعيين موظفين ومستشارين انجليز لحكام المحميات.

ضمت الرابطة شخصيات من مختلف المحميات ومستعمرة عدن، وكان هدفها وحدة الجنوب واستقلاله، غير أن تماهيها مع سياسة الاحتلال في حرمان أبناء شمال اليمن القاطنين عدن من المشاركة في انتخابات المجلس التشريعي عام 1955 أحدث فرزاً داخلها، فقررت الشخصيات الوطنية النازعة للاستقلال والتحرر من الاحتلال مغادرتها.

في الاتجاه المقابل شهد العام 1952 ظهور النقابات العمالية في مستعمرة عدن، وكان للجبهة الوطنية المتحدة دور محوري في توحيدها تحت اسم المؤتمر العمالي عام 1956، والذي مثّل حجر الأساس لتبلور الحركة الوطنية اليمنية، والممثل الأول لها، والمُنشّط لظهور الأحزاب القومية والوطنية الجديدة التي ساهمت في عملية التحرير.

على صعيد المقاومة الشعبية، خلقت سياسات الاستعمار منذ اليوم الأول لدخول مدينة عدن موجة غضب شعبية، قابلها المحتل بعنف مُفرط، وبقية العلاقة بين الاستعمار والمقاومة الوطنية في حالة مدٍّ وجذب، تبعاً لشخصية قادة النضال الوطني وقوة حضورهم وتأثيرهم، ومدى استقلال قرارهم وبُعدهم عن جوقة المطبلين، بالتوازي مع تفنّن الاستعمار في تخليق سياسات التركيع والتطويع.

ومع إطلالة العقد الثالث من القرن العشرين بدأت المقاومة الشعبية تأخذ طابعها التنظيمي تحت مظلة حركة وطنية جامعة تُسيرِّ وتُنظّم الفعل الثوري التحرري.

مرّت الحركة الوطنية التحررية في المناطق الجنوبية والشرقية، بأربع مراحل، هي:

1 - مرحلة العمل السياسي والإعلامي السري في الثلاثينيات من القرن العشرين.

2 - مرحلة الإيقاظ والتيقّظ في الأربعينيات.

3 - مرحلة الاحتجاجات والإضرابات في الخمسينيات.

4 - مرحلة التمرد والثورة في الستينيات.

على امتداد سنوات الخمسينيات وبداية الستينيات، كان الشعب اليمني في المناطق الجنوبية والشرقية قد تمرّس على أساليب النضال الوطني، وخاض مختلف طُرق النضال السلمي، من أجل تحرره الوطني، كما يذكر "عبدالفتاح إسماعيل".

وفي البداية الأولى للستينيات بدأت تغزو بعض التنظيمات السياسية، أفكار الكفاح المسلح، وكانت في الواقع تجسيداً لجوهر رفضها للوجود الاستعماري في البلاد، بالتوازي مع عمل الاحتلال على احتواء بعضها وإبقائها في حالة من الصراع والشقاق.

في 14 أكتوبر 1963 انفجرت الثورة من جبال ردفان الشماء بعد أن تم الاعداد لها تنظيمياً وعسكرياً في تعز وإب وصنعاء، وكان لعودة بعض رجال القبائل من شمال اليمن وعلى رأسهم الشيخ راجح غالب لبوزة قصب السبق في إشعاله، حيث حاول الاحتلال أن يطبّق عليهم قانون يُجرِّم المشاركين في جيش أجنبي، في إشارة لمشاركتهم في ثورة شمال اليمن، ويقضي القانون بدفع كل واحد من رجال القبائل 10000 شلن والسجن 3 سنوات، وكان للعائدين علاقة بالجبهة القومية العربية، ما ساعد على تعجيل إشعال فتيل الثورة.

رفض لبوزة ورفاقه الخضوع لذلك القرار الظالم، فأرسل الاحتلال قوة لإجبارهم على تنفيذه، استشهد في المواجهات لبوزة، وباستشهاده أعلنت الجبهة القومية انطلاق ثورة 14 أكتوبر لتشمل كامل المحميات الشرقية والغربية، ووصلت شرارتها إلى مدينة عدن.

نجحت الجبهة لأول مرة في إيصال مظلمة الشعب اليمني في المناطق الجنوبية والشرقية إلى العالم، وإسماع العالم بأن هناك شعب جاد في النضال من أجل انتزاع حريته واستقلاله، وتطهير أرضه من دنس المحتل، ووصل إلى مستوى من القوة والتنظيم بصورة تجعله قادراً على المواجهة، وبذلك استطاعت نقل القضية إلى المجال السياسي العربي والدولي لأول مرة.

وفي 19 مايو 1965 حددت 5 أهداف للنضال المقدس:

1 - التحرر التام من الاستعمار سياسياً واقتصادياً لكل مناطق الجنوب والجزر التابعة.

2 - تصفية القواعد العسكرية للاستعمار البريطاني.

3 - إسقاط الحكم السلاطيني الرجعي العميل.

4 - استرجاع الأراضي والثروات اليمنية المسلوبة.

5 - تحقيق وحدة الشعب العربي في إقليم اليمن.

اعتبر الاحتلال الثورة مجرد تمرّد قبلي سرعان ما يتم قمعه، لكنه واجه مقاومة شعبية ضارية بقيادة الجبهة، واتسعت المواجهات في نهاية العام 1965 إلى 12 جبهة.

واجه الاحتلال هذا التصعيد بإخفاء الحقائق والتعتيم الإعلامي حول ما يجري في الأرياف من قتال، والخسائر في الأرواح، وأساليب التنكيل بالمواطنين، وإحراق مزارعهم، وتدمير قراهم.

وأمام تزايد جرائم الاحتلال اتجهت الجبهة القومية لفتح جبهة عدن، ونقل المواجهات إليها كي يصل صداها الإعلامي إلى العالم، وكسر التعتيم المفروض على ما يجري في الأرياف من حراك ثوري وقمع بريطاني.

الاحتلال بدوره دفع بالقوى المحلية العميلة لتشكيل تحالف يعمل على احتواء الثورة من الداخل، وإعاقة تطور الفعل الثوري، ولهذه المهمة القذرة تشكلت في مايو 1965 منظمة تحرير الجنوب المحتل، وضمّت تحت مظلتها: بعض السلاطين والشخصيات الإقطاعية والثرية وحزب الشعب الاشتراكي ورابطة أبناء الجنوب العربي.

وفي 13 يناير 1966 نجح هذا التحالف الشيطاني في فرض الاندماج القسري مع الجبهة القومية، تحت مسمى جبهة التحرير، وأصبح عملاء الاحتلال أمثال الأصنج والمكاوي والسلاطين أمثال جعبل والفضلي من قادة الثورة، لكن مخططهم فشل بسبب وجود قاعدة عريضة من جيش التحرير والفدائيين والمنظمات الجماهيرية.

ورغم إيقاف الدعم العسكري عن الجبهة القومية من قبل القيادة العربية في تعز والحصار الإعلامي، فقد واصلت قطاعات الفدائيين وجيش التحرير نشاطها الثوري التحرري تحت مسمى "الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل"، مُعلنة بذلك العمل المستقل عن جبهة التحرير المهجنة.

وفي المؤتمر الثالث للجبهة القومية في حمر قعطبة "29 نوفمبر – 2 ديسمبر 1966"، أعلنت الاستقلال النهائي والرسمي عن جبهة التحرير، وبذلك استطاعت الارتقاء بالعمل الفدائي إلى المجابهة اليومية والمباشِرة مع قوات الاحتلال اعتباراً من مطلع العام 1967، وصولاً إلى انتزاع الاستقلال وجلاء آخر جندي بريطاني غازي في 30 نوفمبر 1967.

المراجع:

1 - الدكتور أحمد فخري، اليمن ماضيها وحاضرها، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، مطبعة الرسالة - مصر، طبعة 1957.

2 - خليل كوثراني، عودة الإنكليز: العين على القواعد والجزر، الأخبار اللبنانية، 14 أكتوبر 2017.

3 - رفيق الشرماني، عدن .. تاريخ من الإقصاء والوصاية، الجزيرة نت، 10 مايو 2017.

4 - زيد المحبشي، 30 نوفمبر عيد الجلاء للاستعمار البريطاني من عدن، مركز البحوث والمعلومات، 28 نوفمبر 2019.

وكذا: ثورة 14 أكتوبر المجيدة والمستعمرون الجدد، مركز البحوث والمعلومات،

12 أكتوبـر 2022.

الصنـدوق الأسـود للاحتـلال البريطـاني في اليمـن، مركـز البحـوث والمعلومـات، 30 نوفمـبر 2022.

5 - سـلطان ناجـي، التاريـخ العسـكري لليمـن، دار العـودة - بـيروت، الطبعـة الثانيـة، 1988.

6 - عامـر الدمينـي، كيـف تشـكلت جبهـة التحريـر بصنعـاء وكيـف استشـهد لبـوزة بردفـان؟، الموقـع بوسـت، 13 أكتوبـر 2018.

7 - محمـد سـعيد عبدالله "محسـن"، عـدن كفـاح شـعب وهزيمـة إمبراطوريـة، دار بـن خلـدون - بـيروت، الطبعـة الثانيـة 1989.

8 - اليمـن عشـية الثـورة، تقريـر البعثـة الطبيـة الألمانيـة عـام 1958، ترجمـة الدكتـور أحمـد قايـد الصايـدي، طبـع مكتبـة خالـد بـن الوليـد، الطبعـة الأولى 2018.

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

SABA
SABA.YE

صنعاء

تتنفس برئة طوفان الأقصى

مركز البحوث والمعلومات

زيد المحبشي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)

WWW.SABA.YE/AR

منذ انطلاق عملية طوفان الأقصى المباركة كانت صنعاء قيادة وشعباً حاضرة في كل تفاصيل المعركة مباركةً وترحيباً وتأييداً ودعماً سياسياً وإعلامياً وتضامناً قيادياً وشعبياً مع الشعب الفلسطيني المظلوم وقضيته العادلة ومقاومته البطلة، وتنديداً وشجباً لجرائم الاحتلال الصهيوني الغاصب، وأعلنت على لسان سيد البأس الشديد أنها جاهزة ومستعدة للمشاركة العسكرية متى تطلب الأمر ذلك في إطار التنسيق المشترك بين قوى محور المقاومة، وقالت بوضوح لا لبس فيه أنها لن تقف مكتوفة الأيدي.

واعتبر قائد الثورة السيد "عبدالملك الحوثي"، العملية مؤشر من مؤشرات اقتراب الفرج الإلهي للشعب الفلسطيني المظلوم، ونصر تاريخي عظيم لا سابقة له في المسيرة الجهادية الفلسطينية، وخطوة مهمة أتت في إطار الحق المشروع للشعب الفلسطيني في مواجهة العدو الظالم والمحتل، مُباركاً إياها ومُثمّناً جهود وتضحيات قادتها.

رئيس حكومة تصريف الأعمال الدكتور "عبدالعزيز بن حبتور" هو الأخر رأى في السابع من أكتوبر 2023 يوماً خالداً في تاريخ الأمة العربية والشعب الفلسطيني، وعظيماً في تاريخ الإنسانية جمعاء، وأضاف رئيس وكالة الأنباء اليمنية "سبأ" بصنعاء وعضو اللجنة الاعلامية لحركة "أنصار الله" الأستاذ "نصر الدين عامر" بأن عملية "الطوفان" المسمار الأول في نعش العدو، والخطوة الأولى نحو التحرير الكامل لفلسطين، والمسار الصحيح للمقاومة والجهاد ضد كيان العدو.

هذه الخطوة المُباركة من قبل فصائل المقاومة الفلسطينية كشفت بحسب المكتب السياسي لحركة "أنصار الله" ضعف وهشاشة وعجز الكيان الصهيوني المؤقت، وأظهرت للعالم مدى قوة وفاعلية المقاومة في فلسطين، وقدرتها على ضرب العمق الصهيوني واقتحام المستوطنات، وقتل الصهاينة، وأسر جنودهم.

الموقف اليمني الأصيل المُتصّدر قائمة المُباركين والمُؤيدين لعملية طوفان الأقصى أثار مخاوف الكيان الصهيوني الغاصب، بالنظر للمكانة العسكرية المتقدمة التي وصل إليها الجيش اليمني التابع للمجلس السياسي الأعلى بصنعاء، والتقنيات التصنيعية العسكرية الزاخرة بكل ما لذّ وطاب من أسلحة الردع محلية الصنع، ناهيك عن الأهمية الموقعية للجغرافيا اليمنية في جنوب غرب شبه الجزيرة

العربية، والتحكُّم بمضيق باب المندب والملاحة البحرية في البحر الأحمر.

الإعلام العبري تحدث بوضوح عن مخاوف كيانه الهشّ من إشعال حركة "أنصار الله" جبهة اليمن، واللحاق بركب الطوفان المبارك: "سقوط صاروخ يمني واحد على إيلات سيتسبب بكارثة حقيقية لإسرائيل"، ولم يخفِ هذا الكيان الهشّ مخاوفه من وصول الصواريخ اليمنية إلى مفاعل "ديمونة" النووي، وقد بدى حديث إعلامه عن التهديد اليمني المحتمل في ما بعد الأسبوع الثاني لانطلاق عملية طوفان الأقصى بصورة يومية، ناهيك عن حديث الإعلام الغربي، وهذا يؤكد مدى خطورة جبهة اليمن في حال اشتعالها على الكيان الغاصب ومصالحه ومصالح داعميه في البحر الأحمر والقرن الأفريقي والمحيط الهندي .

ولما لهذه الجبهة من أهمية في تعزيز موقف المقاومة الفلسطينية وصمودها الأسطوري في وجه ترسانة القتل "الصهيو - أميركية"، وزيادة ضغط قوى محور المقاومة على الوجود العسكري الأميركي الداعم للكيان الغاصب في المشرق العرب، يؤكد الشهيد الفلسطيني "نزار بنات" بأن "الموقف الفلسطيني الشعبي والحقيقي سيُعبرّ عنه الباليستي اليمني"، بمعنى وحدة وتكامل وتلازم مسارات جبهات محور المقامة في هذه المنازلة المفصلية بين الحق والباطل.

وسبق لقادة اليمن بالتنسيق مع محيطهم العربي توظيف الموقع الجغرافي لصالح قضايا الأمن القومي العربي المشترك، والضغط على الكيان الصهيوني، الذي كان ولا يزال من أهم مُهددات ذلك الأمن منذ زرع غُدته السرطانية الخبيثة في قلب أمتنا العربية المكلومة نهاية العقد الثانية من القرن العشرين الميلادي.

ويُعد التنسيق الاستخباراتي والعملياتي المصري مع قيادة شطري اليمن عام 1973 لإغلاق مضيق باب المندب في وجه السفن الصهيونية وسفن الدول الداعمة من أهم محطات التوظيف السليم للجغرافيا العربية في خدمة قضايا الأمن العربي المشترك، حيث نجحت تلك الخطوة العروبية الجسورة يومها في إيقاف وتفتيش أكثر من 2000 سفينة صهيونية وغربية، وتعجيل انتصار مصر في حرب 6 أكتوبر 1973، واستعادتها أراضيها السليبة في سيناء، ما دفع العدو الصهيوني للاستغاثة بالاتحاد

السوفياتي وأميركا من أجل فتح المضيق ورفع الحظر النفطي والحصار البحري.

اليوم الأمن القومي العربي مكشوفاً وعارياً أكثر من أي وقتٍ مضى، وقادته أدمنوا التطبيع والركوع والخنوع والخضوع بعد أن أسكرتهم نشوة النصر في العام 1973، وذهبت بعقولهم، فلم تقم لعملهم العربي المشترك بعدها قائمة، وبدلاً من تعزيز المشتركات العربية تماهوا مع العدو الصهيوني إلا من رحم الله، ومدوا له أيدي السلام المجاني والمُشين بعد ست سنوات فقط من انتصارات حرب أكتوبر عندما قرر "السادات" رمي تلك المشتركات التضامنية وراء ظهره ومدّ يده لمصافحة الجزار الصهيوني القاطرة بدماء المصريين قبل الفلسطينيين وعقد معاهدة سلام معه، جرّت في طريقها الأردن بعد سنوات معدودات، ولحقت بركبهم العديد من الدول العربية جهاراً ومواربة ومن وراء حُجب.

صحيح أن مضيق باب المندب مُحتل من قبل الدول العربية المتصهينة، إلا أن ما وصلت إليه صنعاء من تقدم صناعي في المجال العسكري، وما اكتسبته من خبرة عسكرية خلال سنوات عدوان تحالف العاصفة "2015 - 2023"، وصمودها الأسطوري في وجه ذلك التحالف، جعل العدو الصهيوني يحسب ألف حساب لإمكانية انخراطها في عملية طوفان الأقصى من خلال فتح جبهة جنوب البحر الأحمر، واستهداف المصالح والوجود الصهيوني في البحر الأحمر والقرن الأفريقي والمحيط الهندي ومصالح الدول الداعمة وفي مقدمتها أميركا وصولاً إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ولدى صنعاء طائرات مُسيّرة وصواريخ باليستية يتجاوز مداها 2600 كم، ما يجعلها قادرة على استهداف الأهداف الصهيونية في عمق الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها حيفا وإيلات.

وصحيحٌ أيضاً أن الأجواء التضامنية العربية تغيرت 360 درجة بين عامي 1973 و2023، لكن ذلك التغُّير على المستوى القيادي الرسمي فقط، بينما القاعدة الشعبية العربية لا زالت محتفظة بكل الأخلاقيات التضامنية العربية الأصيلة، وهو ما يُزعج الكيان الصهيوني، ويُرعبه، ويجعلُه يتحسّس اقتراب مرحلة التيه والشتات.

كما أن الله سبحانه وتعالى عوّض الأمة العربية عن تخاذل وعمالة حُكامها بحركات

إسلامية مُقاومة، أعادت لها عزتها وكرامتها السليبة، ونجحت بإمكانياتها المتواضعة في نقل القضية الفلسطينية من البوتقة "الفلسطينية - الفلسطينية" إلى الفضاء العالمي، بعد أن كادت حُمّى التطبيع الإبراهيمي أن تقضِ عليها، وتدفنها نهائياً، وتقضي على أحلام الشعب الفلسطيني المظلوم في استعادة حقوقه المسلوبة وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، وأعادت الحياة لروح النضال الفلسطيني بعد أن أماتتها طاولات السلام الخنفشاري، وأرهقتها بسيلٍ عارم من التنازلات العربية المُهينة والمجانية.

هل يتكرر التضامن العربي في حرب 6 أكتوبر 1973؟:

في حرب 6 أكتوبر 1973 أو حرب العاشر من رمضان كما تُعرف في مصر أو حرب تشرين التحريرية كما تُعرف في سورية أو حرب يوم الغفران كما يتعارف عليها الصهاينة، أعلنت 12 دولة عربية منها اليمن الوقوف إلى جانب مصر، وكان لذلك الدعم والتضامن العربي الفضل في انتصار مصر على الكيان الصهيوني الغاصب واستعادة سيادتها على سيناء.

وهي رابع حرب بين العرب والصهاينة، قالت مجلة "فورين بوليسي" الأميركية أنها "غيرت مجرى التاريخ"، عندما جعلت جيش الاحتلال الصهيوني، الذي أظهر ثقة زائدة بالنفس، في موقف دفاعي، يسعى فيه لحماية دولته الوليدة.

ومن يومها لم يُواجه هذا الكيان اللقيط موقفاً عسكرياً، مثل الذي تعرّض له في تلك المواجهة حدّ زعمها، لكن ما لحقه من المقاومة الفلسطينية في عملية طوفان الأقصى من هزيمة ميدانية ومادية فاق صدمته وخسائره عام 1973، وأسقط كل الأساطير التي أحاط نفسه بها منذ صدور قرار التقسيم الأممي المشؤوم.

رغم الفارق الكبير بين أطراف المواجهة، وغياب الحاضنة العربية الرسمية الداعمة للمقاومة، لكنها نجحت بإمكانياتها المتواضعة في إعادة رسم قواعد الاشتباك، وخلقت معادلة جديدة من توازن الرعب والخوف والخراب، بعد أن كان الجانب الفلسطيني لأكثر من سبعة عقود في موقع الحلقة الأضعف.

ولو توافرت التغطية الإعلامية النزيهة في المناطق الواقعة تحت نفوذ الاحتلال

الصهيوني، وما لحقها من خراب ودمار وقتل بسبب صواريخ المقاومة البطلة، لتبددت كل أوهام ذلك الكيان الهش، واكتشف يهود العالم حجم الورطة التي أوقعتهم فيها الحركة الصهيونية عندما جعلتهم يتوجهون إلى فلسطين لإقامة دولة لهم فيها تجمعهم، في مخالفة صارخة لتعاليم الكُتب الإلهية، التي دعتهم للتعايش بين الأمم بسلام، وحذّرتهم من التجمع في كيان جغرافي محدد يجمعهم، لأن ذلك سيكون بداية نهايتهم وعودتهم للتيه والشتات كقدر وعقاب إلهي لا مفر لهم منه لكي يأمن الناس شرهم وأذاهم ومكائدهم.

وصدق الله القائل في الآية 104 من سورة الإسراء: "وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا"، أي تعايشوا مع أهل الأرض بسلام، فإذا حان موعد الحصاد والهلاك والعودة إلى الشتات فكرتم في التجمع بمكان محدد من الأرض، وعندها تكون نهايتكم، ويرى الشيخ "أحمد ياسين" رحمة الله عليه أن مرحلة تيههم ربما تكون في العام 2027.

تنوعت وسائل وأدوات الدعم العربي في العام 1973، واستخدم العرب لأول مرة وآخر مرة كل أوراق الضغط المُتاحة بما فيها وقف تصدير النفط والغاز وإغلاق المضائق والممرات البحرية، وإحاطة العدو الصهيوني بعدة جبهات منها جبهة الجولان، كما كان للمناضلين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة دور مهم في تزويد الجبهات بالمعلومات وإرباك العدو الصهيوني داخلياً، ودعم مصر والجبهات العربية الأخرى بالمال والمقاتلة والطيران الحربي والسلاح والذخيرة والمدرعات والدبابات.

كم هو مُخزٍ اليوم التخاذل القيادي العربي الرسمي، وعدم إعادة تفعيل تلك الأوراق، رغم ما يرونه من مجازر وإبادة صهيونية جماعية في غزة لم تشهد البشرية مثيلاً لها في تاريخها العريض.

ولم يكتفوا بتعطيل تلك الأوراق بل وفعّلوا قواتهم لحماية الكيان الغاصب من أي هبة شعبية وحركية عربية تغضب للعرض والشرف العربي، وقمع أي حراك واحتجاج شعبي عربي في دولهم، وتكميم الإعلام الرسمي، وتحويل مساره ليلحق بسرب المسبحين بحمد الصهاينة.

وخاتمة الأثافي إدانة الضحية وتحميله أوزار الجلاد كما جرى من زعيم السلطة الفلسطينية البهائي الماكر "محمود عباس" ومندوبة الإمارات في مجلس الأمن "ريم الهاشمي"، ومن على شاكلتهم من أشباه الرجال من الخونة والعملاء والمنبطحين.

نجاح مصر واليمن في فرض الحصار البحري على كيان الاحتلال الغاصب عام 1973، دفع رئيس الأخير "غولدا مائير" للاستغاثة بالروس والأميركان، فهدد الأميركان اليمن ومصر بإرسال الأسطول العسكري البحري الرابع لرفع الحصار البحري والحظر النفطي على الصهاينة وداعميهم.

وما نراه اليوم من استغاثة صهيونية بالأميركان والإنجليز وأحذيتهم الغربية بسبب ضربات المقاومة المسددة إلهياً، تكرار طبيعي وتأكيد ميداني على أننا أمام عدو انتفخ وتغوّل وتفرعن بسبب ضعفنا وتخاذلنا ووهننا، وما عدا ذلك فهو أوهن من بيت العنكبوت، كما أن تلك التحشيدات العسكرية الغربية تأتي في سياق تخوفات أباطرة الإمبريالية العالمية من تكرار مشهد التضامن العربي لعام 1973، ومنع إعادة تفعيل أوراقه التضامنية.

بعد احتلال الكيان الصهيوني للبنان عام 1982، كان اليمن الجنوبي برئاسة "علي ناصر محمد"، الدولة العربية الوحيدة التي دعت إلى عقد قمة عربية للدفاع عن "بيروت"، لكنها لم تنعقد بسبب عدم استجابة الأطراف الأخرى، وبالأصح تخاذلها ودبيب داء الأمم في صفوفها، وأمام هذا التخاذل العربي أرسلت "عدن" للبنان دعماً مالياً كبيراً ومنظومة دفاع جوي من أجل الدفاع والمقاومة.

وكانت عدن الوجهة الأولى بعد عملية اختطاف مناضلين فلسطينيين طائرة "أوبك" من المغرب، أتوا بها إلى عدن، ومركز انطلاقة للعديد من المناضلين الفلسطينيين منهم "وديع حداد"، واستضافة الفدائيين الفلسطينيين المُستهدفين صهيونياً بعد تنفيذهم عمليات عسكرية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة أو خارجها، وقدّمت جوازات دبلوماسية وبطاقات عبور لكل الشخصيات والفدائيين من أجل تسهيل التنقل بين الجبهات والدول، مع ازدياد وتيرة الاغتيالات، منهم "ياسر عرفات" وعدد من قيادات وقوات حركة "فتح".

وما نريد التأكيد عليه هنا أن اليمن وشعبه الكريم كان ولا يزال إلى جانب الفلسطينيين طوال مسيرتهم النضالية ضد كيان الاحتلال الصهيوني الغاصب، داعماً ومُسانداً ومُحتضناً، وبسبب هذا الموقف العربي والإسلامي الأصيل وضعه الصهاينة في بنك أهدافهم منذ العام 1954، وصولاً إلى عدوان العاصفة عام 2015، والتي وضعت في مقدمة أهدافها احتلال الجزر والسواحل اليمنية، والسماح للصهاينة بالتمركز في بعضها، وإقامة أبراج مراقبة عسكرية واستخباراتية فيها كما هو حال مرتفعات أرخبيل حنيش وميون وسقطرى.

والشيء الثاني الذي نريد التأكيد عليه أن زوال الكيان الصهيوني اللقيط مرتبطٌ بالتنبّه العربي لما يُحاك ضدهم من مؤامرات تروم القضاء عليهم وعلى دينهم دون استثناء، فما يجري اليوم من إجرام في غزة، غداً سيكون في الضفة، ولن تكون دول الجوار في مأمن من نيرانه، وخصوصاً الأردن، وسيدفعون ثمناً باهضاً نتيجة تخاذلهم عن نُصرة إخوانهم في غزة.

وما نراه من تحشيدات أميركية وغربية لقواتهم وأساطيلهم وبوارجهم في المشرق العربي له ما بعده، والبركان عندما ينفجر لن يرحم أحداً، ولن يُفرِّق بين صديق وعدوّ، فكل الدول العربية في نظر الغرب والصهاينة حيوانات وحشية همجية بدائية لا تستحق الحياة، والعكس في حال التضامن والاحتضان العربي لقوى المقاومة، فمتى يستفيق زعماء العرب من غفوتهم وسكرتهم؟.

الأمة حيث تضع نفسها:

أحدثت عملية طوفان الأقصى فرزاً عميقاً في أوساط الأمة العربية والإسلامية، وكشفت الأقنعة عن كل الوجوه الغثائية الانبطاحية، وأظهرت الأشياء على حقيقتها، وجعلت العرب والمسلمين أمام اختبار صعب، فإما الانتصار لدينهم وقضايا أمتهم أو الالتحاق بحزب "عبدالله بن أُبي"، إما أن يكونوا من أنصار الله وحزب الله أو من عبيد حزب الشيطان، إما يكونوا فتكون لهم العزة والغلبة والتمكين أو لا يكونوا فيتيهوا كبني إسرائيل ويكتووا بداء الأمم من قبلهم، ويضع الله الوهن والضعف في

قلوبهم وينزع الرهبة من قلوب عدوهم.

العرب والمسلمين اليوم بين محورين وخيارين، المحور الأول مركزه "القدس السليبة" قلب فلسطين المغتصبة، ومشاعله كل القوى الحرة الرافضة لأن تكون أميركا قدراً جبرياً والكيان العبري اللقيط قضاء قهرياً على الأمة، وبندقيته مصوّبة نحو الكيان الغاصب للقدس، ويُريد أن تكون كل البلاد فلسطين، وكل الأيام للقدس، ويتوق لرؤية كل الأمة عزيزة حرة كريمة، ويزرع كل الأرض مقاومة.

المحور الثاني مركزه "أورشليم المُتوهَّمة" قلب الاحتلال الصهيوني، وأدواته صهاينة العرب المطبعين، وبندقيته مصوبة نحو كل الاتجاهات ما عدا القدس والكيان الغاصب للقدس، ويُريد حذف فلسطين من الجغرافيا والتاريخ، وصهينة الهوى والهوية العربية، ويتوق لرؤية كل الأمة ذليلة، ويزرع كل الأرض مساومة.

الاختيار صعب، لكن لا مجال للبقاء في المنطقة الرمادية كما جرت العادة تجاه الكثير من قضايا الأمة.

نحن مطالبون أكثر من أي وقتٍ مضى بإعادة التفكير في الأحداث العاصفة بنا، بما فيها من مؤامرات تروم طمس هويتنا وديننا ومقدساتنا، وجعلنا أمة مسلوبة القرار والإرادة والأرض والسيادة والثروة والهوية، وإعادة توحيد كل الطاقات والجهود باتجاه المعركة الحقيقية مع الاحتلال الصهيوني الغاصب وقوى الاستكبار العالمي الداعمة له، وتجديد تأكيد القوى الحية والحرة في العالم العربي والإسلامي على دورها المبدئي والعقدي والتاريخي والمقاوم في دعم ومساندة الفلسطينيين والمقدسيين في هذه المعركة المقدسة والفاصلة بين الحق والباطل.

ومن المخجل أن نجد القوى غير الإسلامية كفنزويلا وكوبا والبرازيل وروسيا وكوريا الشمالية وغيرها من أحرار العالم في مقدمة الدول المبادرة لإدانة الإجرام الصهيوني في غزة هاشم والأراضي الفلسطينية المحتلة والتضامن مع الشعب الفلسطيني المظلوم وقضيته العادلة بينما قادة العرب لا زالوا مُجللين بالحياء والخجل العُذري، فلا أدانوا ولا تضامنوا ولا كفّوا شرهم عن إخوانهم الفلسطينيين.

ثبات في المواقف ووضوح في الرؤية:

على عكس القوى اليمنية الموالية للتحالف "السعودي - الإماراتي" والتي لا تزال حتى اللحظة تراوح في المنطقة الرمادية مما يجري في غزة بانتظار توجيهات أسيادهم في إسرائيل الصغرى "الإمارات" ودرعية "مردخاي"، كانت صنعاء قيادة ثورية وعُلمائية وحكومة ومجلساً سياسياً أعلى وجيشاً وشعباً وأحزاباً وقوى وطنية ووجاهات اجتماعية وزعامات قبلية واضحة في مواقفها منذ اللحظة الأولى لانطلاق عمليات معركة "طوفان الأقصى"، وما صاحبها من عدوان صهيوني همجي ونازي، مُباركة العملية، ومُعلنة بوضوح لا لبس فيه تأييدها، لأنها أعادت الحياة للأمة العربية بعد أكثر من سبعة عقود من المهادنة والمساكنة، والتعهد بدعمها على كافة المستويات سياسياً وإعلامياً ومادياً وعسكرياً رغم تواضع الإمكانيات، والتنسيق المستديم في كل الخطوات مع رفاق السلاح والموقف والنضال المقدّس في محور المقاومة.

هذا الوضوح في الموقف نتاج طبيعي للثبات الإيماني الراسخ على الخط الذي انتهجه الشهيد القائد "حسين بدر الدين الحوثي" سلام الله عليه، بجعل القضية الفلسطينية في قلب وفؤاد مشروع المسيرة القرآنية المباركة، والبند الأول على لائحة قائمة الاهتمامات، وتخصيص أُولى ملازم المشروع القرآني للحديث عن يوم القدس، وإفراد عدة ملازم للحديث عن التآمر الغربي واليهودي على العرب والإسلام والقضية الفلسطينية، واعتبار "القضية الفلسطينية" القضية المحورية لمشروعه المبارك.

وقدّم رضوان الله عليه رؤية متكاملة وتشخيص دقيق لمسبباتها ومآلاتها والعوامل المؤثرة فيها داخلياً وخارجياً والحلول الواجب على الأمة اتخاذها لحلها، وكشف التآمر الغربي المستمر والمستميت للقضاء عليها، وهذه الجزئية ليست محل بحثنا هنا بل بحاجة لقراءة مستفيضة ومستقلة لأهميتها في استشراف مستقبل التعاطي الأنصاري اليماني معها.

وبسبب ذلك الموقف الديني والأخلاقي والقومي والعروبي من القضية الفلسطينية دفع الشهيد القائد حياته، وتعرّضت صعدة خلال الفترة "2004 - 2009" لعدوان جائر من قبل النظام اليمني حينها بدعم ومساندة النظام السعودي، ورغم ذلك

فقد كانت الحروب الست سبباً في انتشار واتساع رقعة المسيرة القرآنية بقيادة خلفه السيد "عبدالملك الحوثي"، وتجاوزها حدود صعدة، واشتداد عودها، وثبات مواقفها من القضية الفلسطينية، وتحوّلها إلى فاعل سياسي لم يعد مُمكناً تجاوزها أو تجاهلها في قرارات الحرب والسلم بالمنطقة.

وزادها عدوان تحالف العاصفة "2015 - 2023" توهُجاً وقوة وصلابة، بصورة باتت تشكل معها مصدر قلق ليس لموالي الصهاينة من أعراب المنطقة بل وللكيان الصهيوني الغاصب، بدى ذلك أكثر وضوحاً مع انطلاق عملية طوفان الأقصى، وما صاحبها من أحاديث سياسية وإعلامية عبرية عن مخاوف متراكمة ومتزايدة من انفجار غضب قائد المسيرة القرآنية المباركة تجاه ما يجري في غزة هاشم، خصوصاً وأنه كان من أوائل المبادرين للاستجابة لدعوة سيد المقاومة "حسن نصرالله" للانضمام لمحور المقاومة ومباركة عملية الطوفان.

والكيان الصهيوني الغاصب يعلم أكثر من غيره بأن سيد البأس الشديد وسيد المقاومة لن يقفا مكتوفي الأيدي أمام عربدته وهمجيته النازية في غزة، وأن لدى محور المقاومة من القوة والشجاعة والإقدام ما يجعل عويله يصم آذان العالم.

ويمكن إيجاز الطابع العام للموقف اليمني بصنعاء مما يجري في فلسطين المحتلة بعد عملية طوفان الأقصى في النقاط التالية:

1 - شجب واستنكار وإدانة جرائم الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين والعدوان البربري الآثم على غزة، وتحميل العدو الصهيوني كامل المسؤولية عن تلك الأعمال اللا إنسانية واللا أخلاقية، وإدانة وشجب الدعم والانحياز الدولي المخزي للعدو الصهيوني.

2 - إجماع قادة صُنع القرار السياسي وقيادة الثورة والمرجعيات الدينية على وجوب النفير والجهاد لنُصرة الشعب الفلسطيني، وتقديم كل أشكال الدعم والمساندة لحركات المقاومة الفلسطينية، ودعوة العالم الإسلامي لاتخاذ موقف واضح لدعم الشعب الفلسطيني وجهاده المقدس ومعركته التاريخية والمفصلية ضد الصهاينة.

3 - جهوزية الشعب اليمني للمشاركة في معركة الدفاع عن فلسطين ومقدسات الأمة ضد الكيان الصهيوني الغاصب.

4 - ربط المشاركة العسكرية اليمنية المباشرة في عملية طوفان الأقصى بعاملين:

أ - التدخل العسكري الأميركي المباشر في غزة إلى جانب قوات الاحتلال الصهيوني، بما في ذلك التدخل البري والمشاركة في القصف الجوي.

ب - تجاوز العدو الصهيوني الخطوط الحُمر في هجومه البربري على غزة، ومن تلك الخطوط: الهجوم البري والإبادة الجماعية.

5 - التفاهم والتنسيق المشترك مع مكونات محور المقاومة، وفي هذه الجزئية يؤكد قائد الثورة السيد "عبدالملك الحوثي" في حديث له بتاريخ 10 أكتوبر 2023، متابعة وتنسيق الموقف مع محور المقاومة: "هناك تنسيقاً كاملاً مع محور المقاومة، التنسيق فيه مستويات معينة للأحداث وخُطوط حُمر، من ضمنها إذا تدخل الأميركي بشكل مباشر نحن مستعدون للمشاركة بالقصف الصاروخي والمسيّرات والخيارات العسكرية"، وعن المشاركة الميدانية بالمقاتلة: "كنا نتمنّى أننا بجوار فلسطين، ولو تهيأ لنا ذلك لبادر شعبنا بمئات الآلاف من المقاتلين للدفاع عن فلسطين، لكن أمامنا المنطقة الجغرافية وبعض الدول، مهما كانت العوائق لن نتردد في فعل كل ما نستطيع".

وبذلك حدد قائد الثورة مشاركة اليمن بتنفيذ عمليات هجومية ضد الأهداف الصهيونية في العمق الفلسطيني بالمسيّرات والصواريخ بعيدة المدى، وربط تلك المشاركة بالتنسيق والتفاهم المشترك مع قوى محور المقاومة، بالتوازي مع تأكيد المجلس السياسي الأعلى بصنعاء مراقبته الوضع عن كثب، وأنه لن يقف مكتوف الأيدي تجاه حرب الإبادة الجماعية في غزة.

وعن أوجه الدعم أوضح قائدة الثورة أن "الواجب الديني والوطني والأخلاقي للأمة الإسلامية والعرب مساندة الشعب الفلسطيني بكل أشكال الدعم سياسياً وإعلامياً ومادياً وعسكرياً".

6 - بنك الأهداف: تنوّعت بين التوعّد بضرب أهداف صهيونية في العمق

الفلسطيني والبحر الأحمر بما في ذلك منطقة القرن الأفريقي، وفي هذه الجزئية يؤكد رئيس حكومة تصريف الأعمال بصنعاء "عبدالعزيز بن حبتور" في حديث له بتاريخ 22 أكتوبر 2023 أن: "صنعاء ساهمت وستساهم بكل الإمكانيات للرد على المجازر في غزة، إذا استمر الاعتداء على غزة فستتعرض السفن الصهيونية للضرب في البحر الأحمر".

7 - مجالات الدعم والمساندة اليمنية شعبياً ورسمياً: شهدت المناطق اليمنية المحررة الواقعة تحت نفوذ المجلس السياسي الأعلى تفاعلات تضامنية متنوعة، منها:

أ - التغطية الإعلامية التضامنية المستمرة لوسائل الإعلام اليمنية بمختلف توجهاتها مع أشقائهم في فلسطين.

ب - الوقفات والمسيرات والمظاهرات التضامنية بصورة يومية.

ج - رفع الأعلام الفلسطينية على أبنية مؤسسات القطاعين العام والخاص، ويافطات الإعلانات في الشوارع العامة، ووسائل النقل المختلفة، ومنازل المواطنين.

د - إقامة الندوات العلمية والفعاليات الثقافية والحلقات النقاشية التضامنية.

هـ - إنشاء هيئة وطنية عُليا لمناصرة الشعب الفلسطيني، من أجل تنظيم أوعية الدعم والمساندة والفعاليات التضامنية بمختلف مسمياتها.

و - مسارعة اليمنيين للتبرُّع السخي بالمال دعماً لإخوانهم في فلسطين رغم الوضع المادي الصعب الذي يعيشونه.

إرهاصات ما قبل الاشتعال:

في اليوم الثاني عشر لانطلاق عملية طوفان الأقصى، بدأ الحديث في أوساط الصهاينة والأميركان على المستويين الرسمي والإعلامي عن صواريخ ومُسيرّات يمنية نفّذت أهدافاً في العمق الفلسطيني المحتل، واعتراض بعضها، ووصول البعض الآخر إلى أهدافه.

وزارة الدفاع الأميركية "البنتاغون"، كشفت يوم الخميس 19 أكتوبر 2023، عن اعتراض المدمرة الأميركية "يو إس إس كارني"، 3 صواريخ كروز و8 طائرات مُسيرّة قُبالة السواحل اليمنية، قالت أنها انطلقت من اليمن، وأسقطتها فوق الماء وليس اليابسة، دون الجزم ما إذا كانت وجهتها الأراضي الفلسطينية المحتلة، ثم عادت وقالت أن المدمرة لم تكن هدفها بل شمالاً على طول البحر الأحمر، مؤكدة في فترة لاحقة امتلاك "أنصار الله" طائرات مُسيرّة وصواريخ بعيدة المدى، مداها أكثر من 2000 كيلو متر.

أمام هذه المعطيات رغم ما فيها من تصادم وتناقض، تزايدت دعوات الأوساط الإعلامية والسياسية الصهيونية بضرورة التعامل بجدية مع التهديد اليمني للمصالح والسفن الصهيونية في البحر الأحمر وباب المندب والقرن الأفريقي، ورأت في تلك الصواريخ والمُسيرّات رسالة واضحة لانضمام صنعاء إلى معركة طوفان الأقصى، مُؤكدة حملها رؤوس حربية تزن 1.6 طن، وأن الكيان العبري بعدها سيكون في مواجهة مرحلة جديدة وخطرة، وفتح جبهة جديدة ضده من جنوب جزيرة العرب، تُضاف إلى جبهات محور المقاومة الأخرى في العراق وسورية وجنوب لبنان وغزة.

صحيفة "وول ستريت جورنال" الأميركية في خبرٍ لها بتاريخ 25 أكتوبر 2023 تحدثت عن إسقاط السعودية صاروخ كروز كان مُوجّهاً لقصف أهدافٍ في العمق الصهيوني بعد إطلاقه من اليمن، ظناً منها بأنه متجهٌ إليها.

في اليوم التالي تحدث الإعلام العبري عن مُسيرّة قادمة من جنوب البحر الأحمر سقطت في طاب المصرية وأقر الجيش المصري بذلك، وبحسب تحقيق أجراه الأخير أوضح وجود طائرتين بدون طيار قادمة من جنوب البحر الأحمر سقطت الأولى في "طابا" المصرية وأُسقطت الثانية خارج المجال الجوي المصري في "نويبع" بخليج العقبة.

وفي 27 أكتوبر 2023 تحدث الإعلام العبري والغربي عن مُسيرات وصواريخ قادمة من جنوب البحر الأحمر أصابت أهدافاً في إيلات بفلسطين المحتلة، مُحذراً من خطورة تلك الصواريخ على مفاعل "دايموند" النووي العبري، واعتبر مُعلق الشؤون

العسكرية في القناة العبرية 12 "ألون بن ديفيد"، اليمن، جبهة خامسة تشغل كيانه، بالتوازي مع حديث الإعلام الفلسطيني وتحديداً شبكة القدس الإخبارية عن إطلاق اليمن دفعة من الصواريخ الباليستية المجنّحة وسرب من الطائرات المُسيرّة صوب عمق الاحتلال الصهيوني.

وبالمجمل يتحدث الإعلام العبري عن تعرُّضه لضربات يمنية شبه يومية، ما يعني وجود تفاعل يمني عسكري تصاعُدي مع الأحداث في غزة، قد يقود إذا لم يتم إيقاف العدوان الصهيوني إلى توسيع رقعت المواجهات في المشرق العربي وتحوّلها إلى حربٍ إقليمية، لم يعد خافياً أنها في حال اشتعالها لن يسلم من نيرانها أحد، وسيكون الكيان الصهيوني الغاصب والداعم الأميركي وصهاينة العرب المطبعين والمنبطحين أول المكتوين بنارها، وربما تُعيد مُخرجاتها رسم المشرق العربي بصورة مُغايرة كُلياً لما كان عليه الحال قبل 7 أكتوبر 2023، وفي الحالتين فالمشرق العربي بعد الطوفان لم ولن يعود كما كان عليه قبله.

في الاتجاه المقابل تعاملت صنعاء مع تلك الأخبار بهدوء وبرودة أعصاب، ولم يصدر عن الجيش اليمني والمجلس السياسي الأعلى بصنعاء أي تصريح يؤكد أو ينفي ذلك حتى الآن باستثناء حديث عابر لرئيس حكومة تصريف الأعمال الدكتور "عبدالعزيز بن حبتور" بتاريخ 22 أكتوبر 2023 عن اعتراض الأميركان صواريخ ومسيرات كانت مُتجهة نحو الأراضي الفلسطينية المحتلة وإسقاط جزء منها، ووصول الجزء الآخر إلى أهدافه.

والسؤال هنا: ما سر ذلك الهدوء، وهل فعلاً لدى صنعاء صواريخ وطائرات مُسيرّة قادرة على الوصول إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة؟

اعتمدت صنعاء خلال عدوان التحالف "السعودي - الإماراتي" أسلوب مُعيّن في تنفيذ عملياتها ضد ذلك التحالف الغازي يقوم على تنفيذ سلسلة من الاستهدافات دون الإعلان عنها، والهدف إرباك العدو وإيصال رسالة محددة إليه، والتأكد من أن الرسالة وصلت بالفعل، وعليه فالصواريخ والمُسيرّات اليمنية في حال كانت أخبارها صحيحة، تعمل على إيصال رسالتين:

- الأولى: لفصائل المقاومة الفلسطينية، مُفادها: "لستم وحدكم في المواجهة"، نحن معكم قولاً وفعلاً، مُصابكم مُصابنا، وألمكم ألمنا، وقدراتنا وإمكانياتنا تحت تصرفكم.
- الثانية: للعدو الصهيوني وداعميه، مفادها: "توقعوا مفاجأة؛ نحن في طريقنا"، إذا لم تُوقفوا عدوانكم فلا تتوقعوا منا التزام الحياد والصمت، وساعتها عليكم تحمُّل النتائج الكارثية لعربدتكم وجنونكم.

في الجزئية الثانية من السؤال: تقوم عقيدة المسيرة القرآنية المباركة على تحرير فلسطين، وسنوات العدوان "السعودي - الإماراتي" وما رافقه من حصار جائر، جعل صنعاء في اختبار صعب لتحقيق معادلة الاكتفاء الذاتي خصوصاً على الصعيد العسكري، باعتباره من أهم شروط التهيئة لمعركة التحرير، وبالفعل أصبح لديها أسلحة متنوعة محلية الصنع، أهمها منظومة متنوعة من الطائرات المُسيّرة والصواريخ الباليستية والمجنّحة بعيدة المدى بمدِّيات تتجاوز الـ 2600 كيلو متر، بمقدورها تغطية المغتصبات الصهيونية في جنوب ووسط فلسطين المحتلة، ناهيك عن المصالح العبرية والأميركية في البحر الأحمر والقرن الأفريقي والمحيط الهندي في حال توسعت المواجهات وانتقلت من الحيّز الفلسطيني إلى الفضاء الإقليمي، أبرزها:

1 - الطائرات المُسيّرة: صماد 3 و4، قاصف كي 2، وعيد 1 و2.

2 - الصواريخ الباليستية: ذو الفقار، عائلة قدس 2 و3 و4 وZ-0K، قاصم 2، سعير، طوفان، عقيل، البحر الأحمر، محيط.

هذه الأسلحة تُشكّل تحوّل مُهم في معادلة توازن الردع الإقليمي لصالح محور المقاومة، إلى جانب ترسانة قوى المحور، في صراعهم المُحق مع الباطل "الصهيو - أميركي" في المشرق العربي، بما لذلك التحول من أهمية مفصلية بتعجيل الفرج للشعب الفلسطيني المظلوم وقضيته العادلة المُحقة.

المراجـــــع:

1 - زيد المحبشي، يوم القدس العالمي صرخة في وجه التحالف الشيطاني "الصهيو - أميركي"، مركز البحوث والمعلومات، 14 أبريل 2023.

وكذا: التصنيع العسكري معجزة ثورة 21 سبتمبر المجيدة، مركز البحوث والمعلومات، 21 سبتمبر 2023.

2 - سراء جمال الشهاري، اليمن وطوفان الأقصى .. مدد وامتداد، موقع العهد الاخباري اللبناني، 15 أكتوبر 2023.

3 - كريم قرط، ماذا ستفعل إسرائيل بعد عملية طوفان الأقصى؟، مركز رؤية للتنمية السياسية، 12 أكتوبر 2023.

4 - مريم السبلاني، هل دخل اليمن على خط المواجهة؟، موقع الخنادق الإخباري، 20 أكتوبر 2023.

5 - موقع الجديد برس، أنصار الله: طوفان الأقصى كشفت هشاشة الكيان الإسرائيلي والشعب اليمني حاضر للمشاركة في معركة الدفاع عن فلسطين، 7 أكتوبر 2023.

6 - موقع الخنادق الإخباري، قادرٌ على فعلها مُجدداً: هذا هو اليمن الذي تخشاه إسرائيل!، 5 يناير 2021.

7 - موقع المشهد اليمني، منها اليمن .. 12 دولة عربية وقفت بجانب مصر في حرب أكتوبر.

8 - موقع الموسوعة الدولية الحرة "ويكيبيديا"، حرب أكتوبر 1973.

9 - موقع صحيفة "الحقيقة" اليمنية، القضية الفلسطينية وحضورها في المشروع القرآني ..اليمن في قلب معركة طوفان الأقصى، 22 أكتوبر 2023.

10 - موقع صحيفة رأي اليوم اللندنية، إعلام إسرائيلي: تقديرات في إسرائيل باحتمال إطلاق صواريخ من اليمن والعراق رداً على العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، 22 أكتوبر 2023.

11 - موقع قناة روسيا اليوم، زعيم أنصار الله في اليمن: جاهزون لأي خيارات عسكرية إذا تدخلت أميركا بشكل مباشر في العدوان على فلسطين، 10 أكتوبر 2023.

12 - موقع قناة الميادين اللبنانية، "أنصار الله": طوفان الأقصى كشفت ضعف العدو .. ودعوات إلى الاحتشاد دعماً للعملية، 7 أكتوبر 2023.

13 - موقع وكالة الأنباء اليمنية سبأ بصنعاء.

14 - موقع وكالة سبوتنيك عربي الروسية، "أنصار الله" تلّوح بالمشاركة في الحرب على إسرائيل وتفويج مئات آلاف المقاتلين إلى فلسطين، 12 أكتوبر 2023.

15 - موقع وكالة مهر للأنباء الإيرانية، المشاط: "طوفان الأقصى" عنوان تحول وبداية تاريخ، 14 أكتوبر 2023.

مركز البحوث والمعلومات

أنس القاضي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

مقـــــدمة:

منذ السابع من تشرين أول أكتوبر 2023م- تخوض فصائل المقاومة الفلسطينية حرباً دفاعيةً وتحررية في الأراضي الفلسطينية التاريخية، والتي هي في آن الأراضي الفلسطينية «القانونية» من وجهة نظر القانون الدولي وحل الدولتين، وبالتالي فهي وفقاً للقانون الدولي أرضاً محتلة والمقاومة فيها وحرب التحرير الوطنية الهادفة لتقرير المصير مشروعة قانوناً.

سنتناول القضية الفلسطينية من هذا البُعد القانوني، في دراسة الموقف الأمريكي منها، إذ أن الولايات المتحدة الأمريكية تقف ضد الحق الفلسطيني في تقرير المصير، حتى في الأراضي الفلسطينية المصنفة أراضٍ محتلة في القانون الدولي، ناهيك عن الحق الفلسطيني في كامل التراب الفلسطيني، وهو حق قومي وتاريخي.

في هذه الحرب العادلة من الجانب الفلسطيني، الظالمة من الجانب الصهيوني، سقطت الكثير من الشعارات التي ترفعها الدول الغربية زيفاً من حقوق الإنسان والمرأة والطفل، والقانون الدولي الإنساني للحروب واتفاقيات جنيف الأربع. الخ، إلا أن أبرز هذه الحقوق التي سقطت "حق تقرير المصير" التي تنكره وترفضه أمريكا.

إن كانت الدول الغربية الداعمة لدولة الاحتلال الإسرائيلية، تدعم في تصريحاتها الدبلوماسية حق تقرير المصير للفلسطينيين في الأراضي المحتلة -بحسب القانون الدولي- فإن الولايات المتحدة الأمريكية تنكر الحق الفلسطيني بتقرير المصير بصورة كلية، في خطابها السياسي، وفي ممارستها السياسية والعسكرية الداعمة للاحتلال الإسرائيلي.

تقف الولايات المتحدة الأمريكية صراحة ضد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، في مختلف المحافل الدولية وفي دعمها للاحتلال والاستيطان ودعم دولة الاحتلال مالياً وعسكرياً.

مستفيدة من موقعها المهيمن في السياسة الدولية استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية، حق النقيض (الفيتو) في مجلس الأمن، عدة مرات ضد الحق الفلسطيني، من بينها أربع مرات كانت تنصّ مشاريع القرارات في مجلس الأمن تنصّ صراحة إلى

حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة دولة وخروج الاحتلال من الأراضي الفلسطينية -المصنفة محتلة في القانون الدولي- فيما اتخذت «الفيتو» عشرات المرات ضد القضية الفلسطينية وأدنى الحقوق الإنسانية لشعب فلسطين.

وفي العام 2020م جاءت ما سميت بـ»صفقة القرن» في عهد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، لتصفّي القضية الفلسطينية، إذ مثلت انقلاباً على كل القرارات الدولية التي حفظت بعض الحقوق الفلسطينية وإن كانت مجرد حبر على ورق.

منذ ظهور القضية الفلسطينية إلى حيّز الوجود التاريخي، المرتبط بظهور الصهيونية كمنظمة سياسية استعمارية يهودية تلمودية، انحازت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الجانب الصهيوني، انطلاقاً من دوافع عقائدية صهيونية إنجيلية ومصالح مادية إمبريالية.

ففي 11 مايو عام 1942م،عقد المؤتمر الصهيوني العالمي في نيويورك واتخذ قراراً بتحويل فلسطين إلى دولة يهودية، وإجلاء العرب عنها إذا عارضوا ذلك، وأسرع الرئيس الأمريكي (روزفلت) وأعلن تأييده القرار اليهودي.

وفي 29 نوفمبر 1947م، بذلت الولايات المتحدة جهوداً مكثفة في الضغط على عدد من الدول لحملها على التصويت إلى جانب تقسيم فلسطين وخصوصاً مندوبي هايتي وليبريا وسيام، ولولا تحوّل هذه الدول من الرفض إلى الموافقة لفشل اقتراح التقسيم، وعند قيام دولة الاحتلال في 14 مايو 1948م، كانت الولايات المتحدة أول دولة تعترف بدولة الاحتلال، ومن حينها وقفت مع دولة الاحتلال في مختلف المراحل، ضد حق الشعب الفلسطيني في الوجود وضد حقه القانوني في تقرير المصير، بإحباط مشاريع قرارات مجلس الأمن الداعمة للقضية الفلسطينية، أبرزها مشروع القرار رقم 11940 بتاريخ 1976/1/26، والذي ينصّ على وجوب تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه القومي غير القابل للتصرف في تقرير المصير، بما في ذلك الحق في إقامة دولة مستقلة في فلسطين طبقاً لميثاق الأمم المتحدة؛ وحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة؛ ووجوب انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة منذ حزيران/ يونيو 1967م، ففي 18 فبراير 1986م كنموذج أكدت الولايات المتحدة رفضها لمطلب رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الاعتراف بحق تقرير المصير للفلسطينيين.

مفهوم حق تقرير المصير

يبرز حق تقرير المصير، بوصفه حقاً ديمقراطياً على الصعيد العالمي، للأمم المُضطهدة التي تخضع لوصاية أُمة ودولة أُخرى، والمقصود بحرية الأمم في تقرير مصيرها، هو الانفصال السياسي لهذه الأمم من الهياكل القومية الغربية، وتشكيلها لدولة قومية مستقلة.

ظهر مفهوم حق تقرير المصير، في القرن السادس عشر، مع الثورة الصناعية التي دفعت القوى الاجتماعية الجديدة ممثلة بالبرجوازية إلى تحطيم الإمبراطوريات الاقطاعية المؤلفة من قوميات متعددة، إذ سعت البرجوازيات القومية إلى إنشاء دولها القومية الجديدة والسيطرة على السوق القومية، وهي مرحلة ظهور الدول الوطنية المستقلة بمعناها الحديث.

ظهر حق تقرير المصير مبكراً في الفكر السياسي الأمريكي، وهناك تم التطبيق الأول لهذا الحق، فبناءً على هذا الحق، استقل الشعب في أمريكا عن السيطرة الاستعمارية البريطانية عقب حرب الاستقلال الأمريكية التي استمرت من الفترة 1775م حتى 1783م وكانت بحق حرباً ثورية يخوضها شعب مُستعمر ضد دولة استعمارية.

وثبتت الولايات المتحدة الأمريكية هذا الحق في بيان الاستقلال، المُعلن في 4/ تموز/1776م،[1] وبعدها أقرت به الثورة الفرنسية في 1789م. بعد أن تبنت الحركة البرجوازية هذا الحق ونادت به الحركة العمالية وكهذا أقره الاشتراكيون قرار مؤتمر لندن الأممي المنعقد في سنة 1896م [2] المعروف بالأممية الثانية.

عاد هذا المبدأ إلى الظهور مجدداً في الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية.

«وفي ظل تأزم الصراع طالبت الجمعية العامة للأمم المتحدة من لجنة حقوق

---

1) جاء في إعلان الاستقلال الأمريكي:

2) نص القرار: « يقول هذا القرار:

«يعلن المؤتمر تأييده لحق جميع الأمم التام في حرية تقرير مصيرها ويعرب عن عطفه على عمال كل قطر يقاسي آنيا نير الاستبداد العسكري أو القومي أو غيرهما، ويدعو المؤتمر عمال جميع هذه الأقطار إلى الانضمام إلى صفوف العمال الواعين - أي الواعين لمصالح طبقتهم) في العالم أجمع، للنضال معهم في سبيل التغلب على الرأسمالية العالمية وتحقيق أهداف الاشتراكية الديموقراطية الأممية».

الإنسان، في قرارها رقم 421 الصادر في ديسمبر 1950م أن توضع توصيات حول الطرق والوسائل التي تؤمن حق تقرير المصير للشعوب، كما نصت في قرارها رقم 545 الصادر في فبراير 1952م على ضرورة تضمين الاتفاقية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية والاتفاقية الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مادة خاصة تكفل حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومن ثم أصدرت في 16 ديسمبر 1952م القرار رقم 673 والذي اعتبرت بمقتضاه حق الشعوب في تقرير مصيرها شرطاً ضرورياً للتمتّع بالحقوق الأساسية جميعها، وأنه يتوجب على كل عضو في الأمم المتحدة الحفاظ على تقرير مصير الأمم واحترامه»[3]

وأُقر رسمياً من قبل الأمم المتحدة في إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة الصادر بتاريخ 14 ديسمبر 1960م[4] وبناءً على هذا الحق وبفعل النضال التحرري حققت الكثير من الدول استقلالها الوطني.

في السياق التاريخي كانت الولايات المتحدة الأمريكية، سباقةً إلى طرح هذا الحق، حين

3) د. بن ملوكة خيراني، «تطور مبدأ تقرير المصير في القانون الدولي»،(المجلة الشاملة للحقوق جامعة زيان بن عاشور ديسمبر 2022م) ص 65.

4) نص الإعلان على ما يلي:

1. إن إخضاع الشعوب لاستعباد الأجنبي وسيطرته واستغلاله يشكل إنكارا لحقوق الإنسان الأساسية، ويناقض ميثاق الأمم المتحدة، ويعيق قضية السلم والتعاون العالميين،
2. لجميع الشعوب الحق في تقرير مصيرها، ولها بمقتضى هذا الحق أن تحدد بحرية مركزها السياسي وتسعى بحرية إلي تحقيق إنمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي،
3. لا يجوز أبدا أن يتخذ نقص الاستعداد في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو التعليمي ذريعة لتأخير الاستقلال،
4. يوضع حد لجميع أنواع الأعمال المسلحة أو التدابير القمعية، الموجهة ضد الشعوب التابعة، لتمكينها من الممارسة الحرة والسلمية لحقها في الاستقلال التام، وتحترم سلامة ترابها الوطني،
5. يصار فورا إلي اتخاذ التدابير اللازمة، في الأقاليم المشمولة بالوصاية أو الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي، أو جميع الأقاليم الأخرى التي لم تنل بعد استقلالها، لنقل جميع السلطات إلي شعوب تلك الأقاليم، دون أية شروط أو تحفظات، ووفقا لإرادتها ورغبتها المعرب عنهما بحرية، دون تمييز بسبب العرق أو المعتقد أو اللون، لتمكينها من التمتع بالاستقلال والحرية التامين،
6. كل محاولة تستهدف التقويض الجزئي أو الكلي للوحدة القومية والسلامة الإقليمية لبلد ما تكون متنافية ومقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه،
7. تلتزم جميع الدول بأمانة ودقة أحكام ميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وهذا الإعلان علي أساس المساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لجميع الدول، واحترام حقوق السيادة والسلامة الإقليمية لجميع الشعوب.

كانت ثورية وقبل أن تتحول إلى دولة استعمارية. إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية من بعد تحولها إلى دولة "إمبريالية"، تراجعت عن هذا الحق، وكانت أول حرب إمبريالية استعمارية بمعنى حرب دولتين استعماريتين من أجل السيطرة على دولة ثالثة، هي الحرب الأمريكية الإسبانية عام 1898م خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية وإسبانيا من أجل السيطرة على كوبا التي كانت حينها مُستعمرة إسبانية.

مع دخول الولايات المتحدة الأمريكية هذا الطور الإمبريالي، ومشاركتها في الحرب العالمية الأولى حرب تقاسم المستعمرات، إلى جانب «دول الحلفاء» عام 1917م، ثم المشاركة في الحرب العالمية الثانية -1 سبتمبر 1939م – 2 سبتمبر 1945م- بعد هذه المرحلة الإمبريالية أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية جزء من الدول الاستعمارية ووقفت وتقف ضد حق الشعوب في تقرير المصير، فيما تدعم هذا الحق في حالات استثناء في حالة دعمها للحركات الاستقلالية لتصبح هي المستعمر الجديد بعد خروج المستعمر القديم.

الموقف الأمريكي من حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير

يُعدّ الموقف الأمريكي الرافض، لحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير مثالاً تاريخياً شاهداً على هذه العدوانية الأمريكية، ورفضها للديمقراطية في مستواها الأممي في حق الشعوب في تقرير مصيرها والوقوف إلى جانب الدولة والأمة الظالمة.

ولا تقف الولايات المتحدة فحسب ضد حق الشعب الفلسطيني في حق تقرير المصير عموماً في أرضه التاريخية بل تقف أيضاً بالممارسة العملية ضد حل الدولتين،[5] الذي هو في طبيعة الحال انتقاص من الحق الفلسطيني.

الفيتو ضد الشعب الفلسطيني

مؤخراً -17 أكتوبر- ومع عملية "طوفان الأقصى" استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية، الفيتو ضد مشروع قرار في مجلس الأمن تقدمت به روسيا لوقف إطلاق النار في غزة خصوصاً مع حرب الإبادة ونهج الأرض المحروقة التي تمارسه إسرائيل في العقاب الجماعي لسكان غزة.

وفي 25 أكتوبر، وقفت الولايات المتحدة الأمريكية مجدداً ضد مشروع قرار روسي لوقف إطلاق النار شاركت في تقديمه السودان وفنزويلا، فقد حصل على تأييد 4 أعضاء فقط فيما عارضه عضوان هما الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وامتنع 9 عن التصويت. لم يُعتمد مشروع القرار لعدم حصوله على العدد الكافي من الأصوات.

إحباط الولايات المتحدة لمشروعي القرار الأخيرين، هو نهج سياسي ثابت لولايات

5) حل الدولتين هو حل مقترح للصراع العربي الإسرائيلي يقوم على تراجع العرب عن مطلب تحرير كامل فلسطين وعن حل الدولة الواحدة، و يقوم هذا الحل على أساس دولتين في فلسطين التاريخية تعيشان جنبا إلى جنب، هما دولة فلسطين إلى جانب دولة إسرائيل، وهو ما تم إقراره في قرار مجلس الأمن 242 بعد حرب 1967 وسيطرة إسرائيل على باقي أراضي فلسطين التاريخية. اعتمد بعض الفلسطينيين هذه المبادئ في عام 1974 بالبرنامج المرحلي للمجلس الوطني الفلسطيني، والذي عارضته بعض الفصائل الفلسطينية وقتها، حيث شكلت ما يعرف بجبهة الرفض. أصبحت فيما بعد مرجعية المفاوضات في اتفاق أوسلو عام 1993 بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، وهو الاتفاق التي عارضته كل من حركة حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين وجبهة التحرير الفلسطينية.

المتحدة، في وقوفها ضد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، والدعم الثابت لدولة الاحتلال الإسرائيلية.

مستفيدة من موقعها المهيمن في السياسة الدولية استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية، حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن، عدة مرات ضد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وقرارات أخرى ضد حق الشعب السوري وكذلك الشعب اللبناني ضد الاعتداءات الاسرائيلية والاحتلال الإسرائيلي، إلا أن البحث يشير إلى أبرز المرات التي استخدمت فيها واشنطن حق الفيتو في مجلس الأمن ضد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وهي مبينة في الجدول التالي:

رقم مشروع القرار	تاريخ الفيتو	مضمون مشروع القرار
S/916/2014	30/12/2014	مشروع قرار يدعو إلى إعلان الدولة الفلسطينية، وإنهاء الاحتلال خلال عامين.
S/14832/Rev.1	20/1/1982	مشروع قرار يدين بشدة إسرائيل، لعدم تقيّدها بقرار مجلس الأمن رقم 497 (1981)، وبقرار الجمعية العامة رقم 36/226 (ب) (1981)؛ يقرر أن الإجراءات الإسرائيلية في مرتفعات الجولان السورية المحتلة، التي بلغت ذروتها في قرار إسرائيل المؤرخ في 14 كانون الأول/ديسمبر 1981، بفرض قوانينها وسلطتها وإدارتها على مرتفعات الجولان السورية المحتلة- تعتبر عملاً عدوانياً بموجب أحكام المادة 39 من ميثاق الأمم المتحدة.
S/12119	29/6/1976	مشروع قرار يؤكد حقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف في تقرير المصير، بما في ذلك الحق في العودة والاستقلال الوطني والسيادة في فلسطين، طبقاً لميثاق الأمم المتحدة.
S/11940	26/1/1976	مشروع قرار يؤكد على وجوب تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه القومي غير القابل للتصرف في تقرير المصير، بما في ذلك الحق في إقامة دولة مستقلة في فلسطين طبقاً لميثاق الأمم المتحدة؛ وحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة؛ ووجوب انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة منذ حزيران/ يونيو 1967.

(المصدر: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية) "وفا"[6]

6) وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، « مشاريع قرارات لمجلس الأمن اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية الفيتو بحقها"، متوفر على الرابط: https://info.wafa.ps/

كانت أبرز القرارات التي وقفت ضدها الولايات المتحدة تلك التي صدرت في العام 1976م، والتي أحبطت قيام دولة فلسطينية، حتى الآن، ففي -25 يناير من العام 1976م استخدمت الولايات المتحدة حق النقض وأحبطت مشروع قرار تقدمت به باكستان، وبنما، وتنزانيا، ورومانيا، ينصّ على حق الشعب الفلسطيني في ممارسة حق تقرير المصير وفي إقامة دولة مستقلة وفقا لميثاق الأمم المتحدة، وضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة منذ يونيو/حزيران 1967م، ويدين إقامة المستوطنات اليهودية في الأراضي المحتلة.

وفي 29 يونيو من ذات العام، استخدمت الولايات المتحدة الفيتو ضد قرار تقدمت به كل من غويانا، وباكستان، وبنما، وتنزانيا، يؤكد على حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والعودة إلى وطنه وحقه في الاستقلال والسيادة.

وكان من آخر المرات التي وقفت فيها الولايات المتحدة ضد قراراتٍ كهذه، هو استخدام الولايات المتحدة الأمريكية حق النقض في (31/30 كانون الأول/ ديسمبر 2014م) ضد مشروع قرار طرحته المجموعة العربية بالأمم المتحدة -بقيادة مصر- لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية بحلول عام 2017م، حيث لم يحظ المشروع بتأييد عدد الأصوات اللازمة لذلك. وصوّت ثمانية أعضاء من بين دول المجلس الـ15 بالموافقة على مشروع القرار، بينما عارضه اثنان، أحدهما الولايات المتحدة، وامتنع خمسة عن التصويت.

وكانت الولايات المتحدة قد عبرّت أكثر من مرة عن رفضها لمشروع القرار العربي، وحتى لفكرة توجه الفلسطينيين إلى مجلس الأمن الدولي لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي. وقال جيفري راثكي المتحدث باسم الخارجية الأميركية في المؤتمر الصحافي اليومي إن «موقفنا من القرار لم يتغير. وأريد أن أضيف أن هناك دولا عدة أعلنت أنها لن تكون قادرة على دعم هذا القرار. وحتى من بين هذه الدول هناك من كان يدعم الفلسطينيين منذ فترة طويلة وأعلن أنه لن يصوت إلى جانب» مشروع القرار».[7]

7) القناة الألمانية DW، «فيتو أمريكي ضد مشروع القرار الفلسطيني لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي»،(2014/12/30م) متوفر على الرابط: https://www.dw.com

الإدانة الأممية لإنكار الحق الفلسطيني في تقرير المصير

لم تقتصر الأمم المتحدة على رعاية حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني مبدئياً إذ تنطبق عليها معايير القانون، خصوصاً الأراضي المحتلة بعد عام 1967م، أكثر من ذلك أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة، قرار رقم 2649 -في الدورة 25- بتاريخ 30 تشرين الثاني (نوفمبر) 1970م، قضى إدانة إنكار حق تقرير المصير خصوصاً لشعوب جنوب إفريقيا وفلسطين، وكانت حينها جنوب إفريقيا تخضع لنظام الفصل العنصري.

جاء في ديباجة القرار التذكير بقرار الامم المتحدة رقم 2588 بـ (الدورة 24) الصادر في 15 كانون الأول (ديسمبر) 1969م، والقرار رقم 8 الذي اتخذه المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان في طهران سنة 1968م، وكذلك قرارها رقم 1514 (الدورة 15) الصادر في 14 كانون الأول (ديسمبر) 1960م والمتضمن إعلان منح الاستقلال للشعوب والبلاد المستعمرة، وقرارها رقم 2621 (الدورة 25) الصادر في 12 تشرين الأول (أكتوبر) 1970 بشأن برنامج العمل من أجل التنفيذ الكامل لإعلان منح الاستقلال للبلاد وللشعوب المستعمرة.

ثم نصّ القرار على ما يلي:

1- تؤكد شرعية نضال الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية، والمعترف بحقها في تقرير المصير، لكي تستعيد ذلك الحق بأية وسيلة في متناولها.

2- تعترف للشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية، في ممارستها الشرعية لحقها في تقرير المصير، بالبحث عن جميع أنواع المعونة المعنوية والمادية وتلقيها، بموجب قرارات الأمم المتحدة وروح ميثاق الأمم المتحدة.

3- تدعو جميع الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير على الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية، إلى الاعتراف بذلك الحق واحترامه وفقاً للمواثيق الدولية ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة وروحه.

4- تعتبر أن الاستيلاء على الأراضي والاحتفاظ بها خلافاً لحق شعب تلك الأراضي في تقرير المصير، لا يمكن قبوله، ويشكل خرقاً فاحشاً للميثاق.

5- تدين تلك الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير على الشعوب المعترف لها بذلك الحق، وخصوصاً شعوب إفريقيا الجنوبية وفلسطين.

6- تطلب من لجنة حقوق الإنسان أن تبحث، في دورتها السابعة والعشرين، في تنفيذ قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بحق الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية في تقرير المصير، وأن ترفع استنتاجاتها وتوصياتها إلى الجمعية العامة عن طريق المجلس الاقتصادي والاجتماعي في أقرب وقت ممكن».[8]

بناءً على هذا الحق القانوني لحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، اعترفت الأمم المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً عن الشعب الفلسطيني في العام 1974م، ولا يقتصر الاعتراف بجواز حق منظمة التحرير في النضال من أجل تحرير فلسطين المحتلة، فوفقاً للقرارات الدولية ذات الصلة بالقضية الفلسطينية فإن حركة المقاومة الإسلامية حماس وحركة الجهاد الإسلامية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وغيرها من الفصائل الفلسطينية المسلحة لها الحق في الكفاح من أجل تحرير وطنها، ولا معنى للتصنيفات الغربية لهذه الفصائل باعتبارها «منظمات إرهابية» علاوة على إشكالية هذا المفهوم، كما أن الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطيني كمعبر عن الشعب الفلسطيني لها حق الحكم الذاتي، لا يعني نفي حق بقية الفصائل الفلسطينية.

وكان قرار الأمم المتحدة رقم 2326م الصادر عام 1974م قد نصّ صراحة، على أن الشعب الفلسطيني شعب كامل وله قضية عادلة، ومن حقه الدفاع عنها، وأنه ليس مجموعة من اللاجئين.

8) الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، «قرار الجمعية العامة رقم 2649 (XXV)"، متوفر على الرابط:
https://www.palquest.org/ar

صفقة القرن تصفية للحق الفلسطيني

في العام 2020م أعلن الرئيس الأمريكي «صفقة القرن»[9]، التي مثلت انقلاباً أمريكياً على كل القرارات الدولية والحقوق الفلسطينية وفي مقدمتها حق تقرير المصير، وحق العودة، تقدم صفقة القرن للفلسطينيين مسخ دولة مرتهنة للسيادة الاسرائيلية والتفوق الصهيوني أمنيا واقتصادياً وجغرافياً، وتملكها للمقدسات والتحكم بها، مقابل التخلي عن نهج المقاومة وتصفية السلاح الفلسطيني باستثناء الشُرطة، في ظل تنسيق أمني مع الصهاينة، لمحاربة «الارهاب» أي فصائل المقاومة وقياداتها وعناصرها.

أبرز عناصر الصفقة ما يلي:

دولة منزوعة السلاح تماماً في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، مع اشتراط أن يحكم غزة قوى غير حماس والجهاد الإسلامي والتنظيمات الأخرى المسلحة.

تكون عاصمة الدولة في الضواحي المجاورة لشرقي القدس، مع الإشارة إلى أن الولايات المتحدة ستقيم سفارة لها في هذه الضواحي، بينما تكون القدس كلها بتوصيفها الإسرائيلي مدينة موحدة وعاصمة لـ«إسرائيل».

يتم استقطاع المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية وضمها لـ«إسرائيل».

لا عودة لحدود 1967، وإبقاء حدود الدولة الفلسطينية غير مرسمة لمدة أربع سنوات، يتم خلالها تحقيق تواصل جغرافي بين أراضي الدولة الفلسطينية عبر جسور وانفاق وتجميد الاستيطان شريطة أن لا تُشكّل هذه الدولة الفلسطينية بأي شكل من الأشكال خطراً على الأمن الإسرائيلي، ولا يجوز للسلطة الانضمام لأي منظمة دولية دون موافقة «إسرائيل». وكذلك الإقرار بـ«يهودية الدولة الإسرائيلية».

لن تزيل «إسرائيل» أي مستوطنة، ويتم ربط المستوطنات الإسرائيلية التي تقع داخل مناطق السلطة الفلسطينية بشبكات نقل، أما الفلسطينيون الذين يقعون في مناطق «إسرائيلية» فيسمح لهم بالتنقّل نحو أراضي السلطة الفلسطينية.

---

9) الميادين نت: « الترجمة الكاملة لنص «صفقة القرن»"، (9 فبراير 2020م) متوفر على الرابط:
/https://www.almayadeen.net

يخضع نهر الأردن للسيادة الإسرائيلية، مع تعويض المزارعين الفلسطينيين أو الترخيص لهم في هذه المنطقة.

المياه الإقليمية لغزة تبقى تحت السيطرة الإسرائيلية.

دمج سكان قرى المثلث الفلسطيني (كفر قرع، وعرعره، وباقة الغربية، وأم الفحم... إلخ) مع السلطة الفلسطينية، ومقايضة الفلسطينيين بحيث يتم ضم مناطق للسلطة الفلسطينية تعويضاً عن ما سيقتطع منها.

تبقى المعابر للدولة الفلسطينية خاضعة لرقابة السلطة الإسرائيلية، كما أن الولايات المتحدة مستعدة للاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على أراضٍ محتلة (غور الأردن، والكتل الاستيطانية الكبرى في الضفة الغربية، وهو التفسير الذي أشار له نتنياهو في المؤتمر نفسه).

خاتمـــــــة

كان المفكـرون في الولايـات المتحـدة مـن أوائـل مـن نـادوا بحـق الشـعوب في تقريـر المصـير، وتُعـدّ الولايـات المتحـدة أول دولة طبقته عـلى أرضها عند اسـتقلالها عن بريطانيا عقـب حـرب ثوريـة، إلا أنهـا وقفـت ضـد هـذا الحـق حـين تحولّـت إلى دولـة اسـتعمارية «إمبرياليـة»، وباتـت تنكـره عـلى شـعوب العـالم.

رغـم أن حـق تقـرر المصـير مثبّـت قانونيـاً إلا أن الانحياز الغـربي لعـب دوراً في تعطيل هـذا الحـق، وتُعـدّ القضية الفلسـطينية نموذجاً صارخـاً على وقوف الغرب بقيـادة الولايات المتحـدة ضد حقوق الشـعوب في تقريـر المصير.

منـذ ظهـور القضيـة الفلسـطينية إلى حيـز الوجـود وقفـت الولايـات المتحـدة الأمريكية ضـد حق الشـعب الفلسـطيني في الوجـود وفي تقرير مصيره، إذ وقفت ضد عدة مشـاريع قـرارات كانـت تهـدف إلى تمكـين الشـعب الفلسـطيني مـن حقـه في الوجـود، بمـا في ذلك قيـام دولـة فلسـطينية في الأراضي التـي تُعـدّ مُحتلّة بحسـب القوانـين الدولية.

صفقـة القـرن باعتبارها جزء من الممارسـة السياسـية الأمريكية هدفـت بوضوح لتصفية القضيـة الفلسـطينية والحـق الفلسـطيني، وهـي ضمـن هـذا السـياق التاريخـي العـدواني للولايـات المتحـدة الأمريكية المسـتمرة.

لم يقتـصر وقـوف الولايـات المتحـدة ضـد حق تقريـر المصير عـلى الحقل السـياسي، بل في الميادين العسـكرية أيضـاً، في مختلـف الحـروب التاريخية بين العـرب والإسرائيليين.

كانـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة حـاضرة عـلى الـدوام في الميـدان العسـكري، كـما تفعـل اليـوم في معركـة «طوفـان الأقـصى» وقـد أرسـلت حامـلات الطائـرات إلى سـواحل المتوسـط، وأصـدرت عـشرات التصريحـات المؤيـدة لدولـة الاحتـلال عـلى ألسـن مختلـف قياداتهـا السياسـية والعسـكرية مـن الرئيـس إلى وزيـر الخارجيـة ووزير الدفـاع ومجلس الأمـن القومـي والسـفراء والمبعوثـين لمختلف القـارات، ورحـلات مكوكية لوزيـر خارجيتها واتصـالات لممارسـة أقـصى الضغـوط عـلى دول المنطقـة للحيلولـة دون حصـول الشـعب الفلسـطيني عـلى أي دعـم بمـا في ذلـك الإغاثـة الإنسـانية، وضـوء أخـضر لحـرب الإبادة القائمـة في غـزة.

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center
SABA.YE

إستراتيجيات وخيارات المواجهة لدى محور المقاومة والممانعة

مركز البحوث والمعلومات

زيد المحبشي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

لم تتوقف تأثيرات الطوفان على الداخل الفلسطيني المحتل بل تعدته إلى المحيط العربي والإقليمي والدولي، والأهم من هذا والكلام هنا للكاتب الفلسطيني "شرحبيل الغريب"، "أنه لم يكن فعلاً عسكرياً محدوداً في قطاع غزة، بل تجسّد فيه مفهوم التكاملية لأطراف محور المقاومة، بين غزة وبيروت واليمن والعراق وطهران، كان الفعل عسكرياً من جهة وسياسياً دبلوماسياً تحذيرياً حاسماً من جهة أخرى، وتجسيداً عملياً لوحدة الساحات والجبهات".

ألقت عملية "طوفان الأقصى" تبعات ومسؤولية كبيرة على عاتق قوى محور المقاومة والممانعة، وفتحت وحشية العدوان الصهيوني الغاصب على غزة هاشم المجال أمام تلك القوى الحرة للقيام بعمليات استهداف عسكري للقواعد والمصالح الأميركية في العراق وسورية واستهداف العدو الصهيوني في العمق الفلسطيني والبحر الأحمر رداً على المجازر الصهيونية المتناسلة بحق الفلسطينيين والدعم الأميركي اللامحدود لهذا الكيان النازي اللقيط.

فما هو محور المقاومة، وما هي خيارته واستراتيجياته في مواجهة العربدة "الصهيو - أميركية"، وما هي أدوار أطرافه في عملية الطوفان المبارك، وما موقعه من الإعراب بعد الطوفان؟

التأطير التاريخي:

تم وضع النواة الأولى لمحور المقاومة والممانعة عقب الثورة الإسلامية الإيرانية، والتي أعلنت منذ يومها الأول منابذة الإمبريالية "الصهيو - أميركية"، والانحياز الكلي للقضية الفلسطينية، كما تسببت عملية التطبيع "المصرية - الصهيونية" 1978، ونجاح الثورة الإسلامية الإيرانية 1979، في التقارب "الإيراني - السوري"، تلى ذلك العديد من الخطوات التقاربية بين قوى المحور أبرزها تأسيس المقاومة الإسلامية اللبنانية عقب الاجتياح الصهيوني لبيروت في يونيو 1982، وبروز حزب الله ثم حركة حماس واندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987، وما تلاها من عمليات عسكرية ضد الكيان الصهيوني الغاصب في التسعينيات بالتوازي مع انطلاق ما يُسمى بعملية السلام

من "مدريد" وما أفرزته من اتفاقات سالبة للحقوق الفلسطينية.

هذه الأمور مجتمعة مثّلت دافعاً قوياً لزيادة التقارب بين إيران وسورية وحزب الله وفصائل المقاومة الفلسطينية، ومن يومها بدأت ملامح المحور تتضح أكثر فأكثر، وصولاً لما هو عليه اليوم من القوة والمنعة، وصيرورته قلعة حصينة لحماية القضية الفلسطينية ومقارعة قوى الطغيان "الصهيو - أميركي"، وتشابك وتنسيق عملياته الجهادية، واتساع ساحاته، ولولاه لأصبحت القضية الفلسطينية في خبر كان.

ورغم عدم وجود اتفاق هيكلي أو اتحاد شكلي أو بُنية تنظيمية مؤسساتية، لكن ما يجمع أطرافه من أهداف نبيلة وغايات سامية تنشد خيرية الأمة، أقوى من الهياكل والمؤسسات البروتوكولية، وأحد أهم أسباب صيرورته رقماً مهماً في تفاعلات المشرق العربي، لم يعد ممكناً تجاهله أو تجاوزه.

وجرى تداول مصطلح محور المقاومة والممانعة إعلامياً في العام 2002 على خلفية إطلاق الرئيس الأميركي الأسبق "جورج بوش الابن"، مصطلح محور الشّر على عدة دول، من بينها إيران، فمثّل محور المقاومة واحدة من أدوات الرد العملي على الهمجية التصنيفية الفوقية الأميركية.

ومن يومها شهد المحور تطورات نوعية على كافة الأصعدة، واتسعت قاعدته، وتنوعت أدواته، وكانت له بصماته في العديد من المواجهات مع قوى الشر في المشرق العربي.

الماهيـــة:

محور المقاومة والممانعة تحالف وائتلاف سياسي عسكري غير رسمي يضم مجموعة من الدول والفصائل والحركات والقوى والتيارات الشعبية، ويتكون من جزئيتين، هما:

1 - المقاومة: ونعني بها القوى والحركات الإسلامية المُقاومة والتحريرية والمناهضة للغطرسة والتغول الإمبريالي الأميركي في المشرق العربي، وإحباط وإفشال المخططات الصهيونية التوسعية في المنطقة، ومقارعة الظلم والجور النظامي التسلّطي المتصهين، ويتسم عملها بالعملياتي الجهادي الميداني، ويشمل كل قوى وحركات المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان واليمن والعراق والبحرين.

2 - المانعة: تتكون من دول راعية وداعمة ومُساندة ومُنظمة لعمل المحور ودول توفر الحماية والحاضنة وتمُثل همزة وصل بين أطرافه، وتعمل على تسهيل عمليات نقل الدعم بمختلف مسمياته ومجالاته، وأهم أطرافها إيران وسورية.

كما اعتبرت إيران، روسيا والصين جُزءاً من المحور، بسبب موقفهما السياسي المناهض للغرب وعلاقاتهما الإيجابية مع إيران وسورية.

القـــرارات:

يتخذ المحور قراراته بشكل مشترك، وهناك تنسيق وتفاهم مشترك، وغرفة عمليات مشتركة، ويُراعي كل طرف في قضايا المواجهة العسكرية الشاملة والقضايا المصيرية ذات الطابع العام، الخصوصيات الوطنية والمحلية، وأقلمة التفاعل مع تلك المواجهة على هذا الأساس، ولكل طرف قراره في الانخراط في تلك المواجهة وتحديد نوعية التدخل وأدواته ومجالاته وآلياته.

ووجود تنسيق وتفاهم مشترك وغرفة عمليات مشتركة بين قوى المحور، لا يعني بالضرورة توحيد الساحات والجبهات، لأن ذلك يُفقد المحور القدرة على المناورة والحركة، ويحدّ من الإنجازات.

الناطق باسم كتائب القسام "أبو عبيدة" تحدث في غير مناسبة عن "وجود تنسيق مشترك مع فصائل أخرى ضمن محور المقاومة، كانت تعمل من دون كلل لتُؤسس لهذا النجاح التاريخي" الذي أحرزته عملية الطوفان، موجهاً الشكر لقوى المحور على دعمها ومساندتها، قاطعاً بذلك الطريق على مساعي صهاينة العرب لدق إسفين الخلاف والشقاق بين قوى المحور.

الأهـــداف:

تمُثل القضية الفلسطينية الحامل والمحرك الرئيسي لمحور المقاومة والمانعة منذ تأسيسه عقب الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979، وما تلاها من مساعي غربية وصهيونية لتجزئة القضية الفلسطينية وتقزيمها ونقلها من الحيز الإسلامي إلى

الحيز العربي، ثم الفلسطيني، تمهيداً لإلغائها والقضاء عليها ووأدها، والغاية من جعل المحور هذه القضية محوريته في نضاله ضد قوى الشر والطغيان "الصهيو - إمبريالي"، إعادة الوهج الإسلامي والعربي والأممي الذي سلبته مؤامرات طاولات السلام إلى القضية الفلسطينية.

ومن الغايات الجامعة لأقطاب محور العزة والكرامة مواجهة الظلم بمختلف مسمياته وأشكاله، ودعم حركات التحرر الوطني، ومساعدة الشعوب المستضعفة على استرجاع السيادة والاستقلال والحرية والحقوق المنهوبة والمسلوبة والمغتصبة، مع الاختلاف النسبي في الإجراءات والسياسات والتكتيكات المتبعة لتحقيق تلك الأهداف النبيلة.

الأهمية والمميزات:

أثبتت الأحداث العاصفة بالمشرق العربي في العقدين الأخيرة، جدوى وأهمية التحالف الذي جمع قوى ودول وفصائل وحركات محور المقاومة والممانعة، ونجاح جهود تلك القوى الحرة في إحباط الكثير من المؤامرات "الصهيو - أميركية" وعلى رأسها مشروعي "الشرق الأوسط الجديد/ الكبير" و"القرن الأفريقي الكبير"، وهي مؤامرات قديمة مُتجددة غايتها صيرورة الكيان العبري اللقيط واسطة العقد في منطقة المشرق العربي والقرن الأفريقي وخلق منظومة إقليمية "شرق -أوسطية" تتماشى كلياً مع الهوى "الصهيو - أميركي"، ناهيك عن فرملة المحور قطار مؤامرات التطبيع الرائجة في السنوات الأخيرة.

ويكتسب المحور أهميته وقوته من تنوعه الطيفي، وتجاوزه الأفخاخ والألغام الإثنية، ما وفر له قاعدة صلبة للمناورة والمبادرة، ومن أهم مميزاته وعوامل قوته:

1 - التناغُم والانسجام والتوحُّد في تحقيق الأهداف الجامعة، رغم اختلاف أيديولوجيات قواه، مثل البعثيين العلمانيين والإسلاميين الشيعة والسنة، إلا أن هذا التنوع حمل في طياته الرحمة لشعوب قوى المحور والعزة والمنعة، والالتفاف حول القضية المركزية والرئيسية المتمثلة في القضية الفلسطينية.

2 - توافر القدرة على التصدي للتحديات والمخاطر التي تواجه منطقة المشرق

العربي من خلال مواجهة الجماعات الإرهابية الداعشية والتكفيرية، كما جرى في العراق وسورية ولبنان، وبصورة نسبية اليمن على خلفية عدوان تحالف العاصفة 26 مارس 2015، إضافة إلى المواجهة المستمرة مع العدو الشيطاني الغاصب لأرض فلسطين، وداعميه في البيت الأسود، وإحباط مؤامراتهم الاستعمارية التوسعية المتناسلة في المشرق العربي.

3 - التأكيد الدائم على حقوق الشعب العربي الفلسطيني في مناهضة الظلم والاحتلال، وارتباط قضاياه الأساسية بالعقيدة الإسلامية والمسيحية وأهمية القدس الدينية، وكنيسة القيامة.

4 - صيرورة المحور لاعب أساسي في مكافحة النفوذ الغربي ومخططاته الشيطانية لتقسيم دول المنطقة في النسخة الثانية من "سايكس - بيكو" الرامية إلى إعادة تقسيم المُقسّم على أُسس دينية وعرقية ومذهبية وطائفية ومناطقية وقبلية، والعمل المُخلص من أجل توفير الأمن والاستقرار لشعوب المشرق العربي بما يحفظ للأمة عزتها وكرامتها بعيداً عن ذُل المنبطحين والمسبحين بحمد الصهاينة وأولياء نعمتهم في البيت الأسود.

5 - تجاوز العمليات العسكرية لقوى وأطراف المحور الحدود والعقبات الجغرافية والحساسيات الدينية والطائفية والمذهبية، وخلقها نقطة قوة لا يمكن التغلب عليها، خاصة في ظل وجود محور متجانس وقوي، فكل عضوٍ من أعضائه قادرٌ على القيام بحرب ما منفرداً والانتصار فيها كما هو حال "أنصار الله" في مواجهتهم عدوان تحالف العاصفة، وإن دعت الحاجة إلى وجود مساندة من كافة أعضائه، وهذا ما يحصل اليوم مع فصائل المقاومة في قطاع غزة، وسيكون للمحور دور كبير في المستقبل كقوى تُعادل قوتها قوة حلف "الناتو".

نقاط قوة المحور في عملية الطوفان:

مثلت عملية الطوفان نقلة نوعية في المواجهة المصيرية بين الحق والباطل على طريق القدس والمسجد الأقصى الشريف، وأضافت للمحور العديد من نقاط القوة إلى

جانب النقاط التي اكتسبها في العقدين الأخيرة، ومن أهم تلك النقاط:

1 - نجاح فصائل المقاومة الفلسطينية في أسر قادة وضباط يحملون رُتب عسكرية مختلفة في جيش الاحتلال الصهيوني، يُؤكد بأنها تمتلك كمية كبيرة من المعلومات العسكرية والاستخباراتية المُصنفة، ومعظم الخطط التي أُعدت لغزة.

وهناك تسريبات عن حصول المقاومة على معلومات عن الاحتلال ومخططاته في فلسطين المحتلة والمشرق العربي في غاية الأهمية والخطورة، لن يستطيع الاحتلال الصهيوني تجاوز آثارها المُدمرة بسهولة، ما جعله يُصاب بالهستيريا، شملت بحسب موقع "الخنادق": "جهوزية الجيش في غزة، استعداداته، خططه العامة والتشغيلية، خططه البديلة، خطط العمليات الخاصة، برامج العمل، وسائل القتال، طُرق عمل المنظومات الفنية والإلكترونية وأسرارها، طرائق قتاله، نقاط قوته وضعفه، أساليب مناورته التعبوية والاستراتيجية بالنار والحركة .. ألخ".

والقدرة الاستخباراتية الكبيرة تنسحب أيضاً على عمليات المقاومة المُساندة في العراق ولبنان واليمن فيما يتعلق بانتقاء الأهداف الموجعة للصهاينة والأمريكان واختيار التوقيت المناسب لاستهدافها وإلحاق أضرار بليغة بالعدو، ما يؤكد وجود أجهزة استخباراتية على درجة عالية من التقنية والحرفية لدى قوى المحور، وهذه من أهم عوامل القوة لديها، وإحرازها نقاط مُتقدمة في منازلتها التاريخية مع الصهاينة وداعميهم على كافة الأصعدة.

2 - امتلاك منظومة القيادة والسيطرة المعاونة التابعة لمحور المقاومة إطباقاً معلوماتياً إضافياً عن الجيش الامريكي العامل في المنطقة، وكل ما يتعلق بأسراره وتحركاته ونقاط ضعفه بصورة فاجأت الأمريكان وحلفائهم.

هذا الكنز الاستخباراتي المعلوماتي جعل قوى المقاومة غير مكترثة بالتحشيدات العسكرية التقنية والبشرية الأميركية والغربية في المشرق العربي والبحر الأبيض المتوسط والخليج العربي والمحيط الهندي، وغير مكترثة بالتهديدات الأميركية المتزايدة باستهداف كل من يحاول مساندة المقاومة الفلسطينية عسكرياً، لأن قوى محور المقاومة تعلم يقيناً أن أميركا وكيانها اللقيط في المشرق العربي أوهن من بيت العنكبوت، وأن

تهديداتهم مجرد عنتريات فارغة، وقد سمعنا الكثير منها خلال الغزو الأميركي لأفغانستان والعراق، فكانت النتيجة جرّ أذيال الهزيمة واضطراب الأرض من تحت أقدام الغزاة والمحتلين، ودفع الغزاة فاتورة باهظة بسبب تلك العنتريات الفارغة.

3 - أثبتت عملية الطوفان المُبارك قوة إيران في المنطقة، وتصاعد دور مختلف الفاعلين في محور المقاومة، وإحداث تحوّل نوعيّ في أنماط الحروب ومفاهيم المواجهات المسلحة، ليس فقط في فلسطين بل في لبنان وسورية والعراق واليمن.

وبالنظر إلى ما حدث في سورية والعراق واليمن وليبيا وحالياً فلسطين المحتلة وغيرها، فإنّ التنظيمات والفصائل والحركات الوطنية المُقاومة للهيمنة "الصهيو - أميركية" أثبتت فعاليتها على الأرض وقدرتها على تجاوز قدرات الجيوش النظامية بصورة كبيرة.

4 - شكلت عملية الطوفان منذ انطلاقتها تطوراً كبيراً في تحركات الفصائل الفلسطينية، ووحدة الهدف، مما أربك خطط العدو الصهيوني كثيراً، وأفقَده صوابه وقُدرته على التحشيد، لذلك لجأ كعادته الإجرامية إلى استهداف المدنيين والمؤسسات الصحية والخدمية في غزة والتمادي في جرائم الإبادة الجماعية، من أجل إخفاء صدمته ومواراة هزيمته.

5 - النجاح في إفشال مشروع احتواء المقاومة الفلسطينية أو ترويضها وفصلها عن تحالفاتها في محور المقاومة.

إستراتيجيات وخيارات المواجهة:

تُمارس قوى محور المقاومة والممانعة إدارة ذاتية في الإجراءات، مع قيادة مشتركة على صعيد الأهداف الاستراتيجية الكُلية، وتُفضل عدم الدخول بشكل جماعي ومُباشر في المواجهات العسكرية، أو في الحد الأدنى عدم تدخل أحد أطرافها في مواجهة يقودها طرف أخر في المحور ضد عدو ما، إلا في لحظة استراتيجية مُناسبة، كما هو حال دخول المقاومة الإسلامية العراقية واليمنية على خط المواجهة في معركة طوفان الأقصى بعد

المذبحة التي ارتكبها العدو الصهيوني في المستشفى المعمداني 17 أكتوبر 2023.

ويحرص المحور في التحديات والمواجهات الكبرى كما هو الحال في عملية طوفان الأقصى على استخدام ما يُسمى باستراتيجية "الاقتراب الموزع"، وبموجبها يقوم كل طرف بخوض مواجهته الخاصة به، وعند قيام الضرورة أو الفرصة المناسبة، يحصل التدخل المباشر من قبل بعض أو كل أطراف المحور.

بمعنى انطلاق عملية طوفان الأقصى بقرارٍ فلسطيني بحت ودون علمٍ مُسبق لدى أطراف المحور خارج الحيّز الفلسطيني، والقرار سبقه توحيد ساحات المواجهة على المستوى الوطني الفلسطيني بين قوى المقاومة الفلسطينية الإسلامية، وإنشاء هذه القوى غرفة عمليات مشتركة، وبعد انطلاقها تنادت قوى محور المقاومة خارج فلسطين المحتلة من لبنان إلى سورية والعراق وإيران واليمن، وأنشئت غرفة عمليات على مستوى المحور، وتعددت وتنوعت أساليب الدعم والمساندة للمقاومة الفلسطينية سياسياً وإعلامياً ومادياً ولوجيستياً وتضامنياً، وفي المرحلة التالية الدخول المنهج والمتدحرج لبعض قوى المحور على خط المواجهة العسكرية مع مُراعاة الظروف الداخلية لكل طرف.

تستند هذه الاستراتيجية إلى عدة عناصر، نستنبط أهم معالمها من دراسة قيِّمة، تفصيلية مطولة أجراها مركز "دراسات وسط آسيا"، نُشرت في 17 مايو 2021 بعنوان "مفهوم استراتيجية الاقتراب الموزع لمحور المقاومة"، وتنزيلها على واقع الفعل المقاومة في عملية الطوفان، وهي في مجملها تُعد من أهم عوامل القوة لدى المحور في منازلته المصيرية مع العدو الأوحد "الصهيو - أميركي" وأذياله المتغوّلة في المشرق العربي.

1 - تعميم قدرة المحور، بمعنى تحوّل كل تجربة وإنجاز لطرف من أطراف المحور إلى قدرة وإنجاز لكل المحور، لأن العدو ينظر إلى المحور ككتلة واحدة، ونتائج كلُ حربٍ يقودها أحد أطرافه تؤثر تلقائياً على حركة العدو تجاه كل أضلاعه.

والعكس في حالة الدخول المباشر والشامل لكل قوى المحور في المواجهة، حيث تتراجع الفائدة المفصلية ويفقد المحور القدرة على مراكمة الإنجاز والتأثير في العدو، وتتراجع

قدرتـه عـلى اسـتثمار النتائج في سـاحاته المتعـددة، من هنا نفهـم أهمية الدخـول المتدحرج لأطرافـه في عمليـة طوفـان الأقصى، وتدحرج عمليـات كل طرف تبعاً للمعطيـات الميدانية التـي يسـعى العدو الصهيـوني لفرضها في غزة.

2 - التراكـم والتطـور الطـردي لخـبرات أطـراف المحـور، والتـي تمُثـل العامـل الأسـاسي في قـدرة المحـور عـلى المواجهـة والمنـاورة أثنـاء المعـارك الكـبرى، وكل خـبرة لأحـد أطرافـه يسـتفيد منهـا بقيـة الأطـراف، وتكمـن أهميـة ذلـك في الوقـوف عـلى نقـاط الضعـف ومعالجتهـا، ونقـاط القـوة وتحديثهـا وتطويرهـا، والعكـس في حالـة المواجهـة الشـاملة لـكل أقطابـه، لأنـه سـيكون مُحـدداً بمـا يمتلكـه عنـد انطـلاق المواجهـة، مـا يجعلـه غـير قـادر عـلى تطويـر القـدرات.

3 - بنـاء وتنميـة الثقـة بقـدرات المحـور عـلى التحـدي ومواجهـة التفـوق الكمـي والنوعـي للعـدو، فعنـد كل جولـة ومواجهـة يتـم التعـرف عـلى الإمكانـات الكامنـة لـدى لـكل طـرف وإخضاعهـا للتجربـة في المواجهـة المبـاشرة، وهـذه مـن النقـاط الحاسـمة في تنميـة الإمكانـات التـي تسـتند بشـكل كبـير إلى الثقـة، خصوصـاً مـع تنـوع السـاحات والجبهـات وأنمـاط القتـال وظروفـه الميدانيـة والجغرافيـة والنفسـية والتكنولوجيـة.

ومـن أبـرز تجليـات ذلـك التنـوع في التصنيـع العسـكري الأحـادي، وتلاقح هـذا التنوع في المواجهـة الشـاملة مـع العـدو ومواجهة تفوقـه التقني والعسـكري.

4 - اسـتخدام نمـوذج الـردع الموضعـي وتعميمـه، مـن خـلال تحـول الإنجـازات الفرديـة إلى مـورد تسـتفيد منـه كل قـوى المحـور، وتوجـه هـذه القـوى إلى اسـتخدام نمـوذج "الـردع" الـذي تـم اثباتـه في الميـدان الموضعـي، لتهديـد العـدو وكبحـه وردعـه في سـائر الميادين، وهـذا العامـل يُشـكل لـدى وكلاء أمـيركا في المشرق العـربي هاجسـاً يُربـك تحركاتهـم، ويمنعهـم مـن القيـام بـأي خطـوة قـد تُكلفهـم مـا لا يسـتطيعون تحملـه، وبذلـك تتقلـص ميادين حركـة العـدو بالتدريـج، ويتـم تجميـد مـوارده الضخمـة وتعطيـل ميـزة التفـوق النوعـي والكمـي التـي يمتلكهـا.

مـن أهـم تجليـات ذلك تعـدد جبهات وسـاحات المواجهـة للمحور مـع الكيـان الصهيوني

على خلفية عملية طوفان الأقصى، وتعدد أدوات الردع الموضعي لأطرافه، وتعدد استراتيجيات المواجهة لكل طرف، وهذا سيكون له أثره في فرملة داعمي العدو الصهيوني، ومنعهم من توسيع المواجهات على نطاق الإقليم، على عكس ما يروج ويحذر الأميركان، لأن الداعمين مع تنوع أدوات ردع أطراف المحور لن يغامروا للتضحية بمصالحهم في المشرق العربي، وهم يعلمون أكثر من غيرهم أنها ستكون في مرمى سهام قوى المحور في حال اتسعت رقعة المواجهات.

5 - عدم استنزاف المحور في تدخل شامل في ظل تفوق العدو في الموارد وقبل نضوج الظروف المناسب للمواجهة، لذا يحرص المحور على تعريض العدو أولاً لعملية استنزاف طويلة اقتصادياً ونفسياً وعسكرياً وسياسياً وإعلامياً، وعلى مستوى مفاهيم الردع التي يمتلكها، قبل المواجهة الشاملة، والهدف من هذه الاستراتيجية تجويف نقاط التميز لدى العدو وإفراغها من قيمتها نسبياً بأكبر قدر ممكن.

وبذلك يضمن المحور نجاح جهوده في المواجهة الشاملة وإحراز النصر بالنقاط لا بالضربة القاضية كما أكد سيد المقاومة "حسن نصر الله" مراراً، بالنظر إلى فارق التسليح والتكتيك بين طرفي المواجهة.

6 - ضرورة توفر مشروعية واضحة في أي تدخل شامل أو متعدد لأطراف المحور ولو بالحد الأدنى، لما لذلك من أهمية في عدم السماح بقيام تحالف دولي مُضاد، ويسمح أيضاً بتحقيق أهداف المحور، لكن عند اللحظة المصيرية فإن المحور يذهب نحو قرار الضرورة، ويواجه بشكل حاسم كما جرى سابقاً في سورية كمثال، حيث تدخل بناءً على طلب رسمي من الدولة السورية، وكما يجري حالياً في غزة، وما رافق العدوان عليها من جرائم إبادة تجاوزت كل الخطوط الحمر والخضر والصفر، ما جعل من تدخل قوى المقاومة الإسلامية في لبنان والعراق واليمن لمساندة إخوانهم في غزة ضرورة قاهرة ومُلحة في ظل التخاذل العربي والإسلامي الرسمي.

وعليه فالتدخل في اللحظة المناسبة سواء بصورة فردية أو شاملة، مباشرة أو غير

مباشرة في حال تعرُّض أحد أقطاب المحور للتهديد الوجودي، بدعوى الضرورة القاهرة، كما حصل في حرب سورية والعراق ضد داعش، والعدوان الصهيوني الأخير على غزة، ليس بحاجة إلى مظلة شرعية تُبرر هذا التدخل، لأن القضاء على أحد أطراف المحور سيقود لإلحاق الضرر ببقية أطرافه، ويُفسح المجال أمام العدو للقضاء عليها تِباعاً.

وحدة الساحات والجبهات:

هناك لبس وخلط كبير بين وحدة الساحات ووحدة الجبهات، البعض يُطلق الأولى على عمليات أطراف المحور المتظافرة في مواجهتها لأي خطر وجودي يستهدفها مجتمعة أو منفردة، والأصح إطلاق الأولى على الفصائل والحركات المقاومة من نسيج اجتماعي معين وداخل كيان سلطة معينة ونطاق جغرافي معين كما هو حال فصائل المقاومة الفلسطينية في مواجهتها للعدوان الصهيوني على خلفية عملية طوفان الأقصى، بساحاتها الثلاث: "جبهة غزة، جبهة الضفة الغربية، جبهة أراضي 1948"، وتوحُّد هذه الساحات في الفعل المُقاوم للعربدة الصهيونية في نطاق الأراضي الفلسطينية المحتلة بمختلف مسمياتها، بينما نُطلق مُصطلح وحدة الجبهات بما له من أبعاد سياسية وعسكرية على الفعل المقاوم لكل أطياف وقوى محور المقاومة بما فيها جبهات الداخل الفلسطيني.

وُلد المفهوم "وحدة الساحات"، فلسطينيّاً، للتعبير عن وحدة الساحات الفلسطينية خلال هَبَّة الأقصى والحرب على غزة عام 2021، ثم تعدَّى ذلك ليُعزز العلاقة بين ساحات "محور المقاومة" وفلسطين المحتلة.

بينما كان لطوفان الأقصى الفضل في ولادة مفهوم وحدة الجبهات، ومن أهم دلالاته العملياتية زيارة عدد من قيادات كتائب سيد الشهداء العراقية لمنطقة الحدود اللبنانية في مهام تنسيقية مع مقاتلين تابعين لحزب الله اللبناني، وارتفاع مستوى الاتصالات والتشبيكات بين الفصائل العراقية وحزب الله وبين حزب الله وقادة المقاومة الفلسطينية في لبنان، تحسُّباً لقيام الاحتلال الصهيوني بتنفيذ غزو برى لقطاع غزة،

وتوحُّد فعلها العملياتي المقاوم بعد بدء الكيان الصهيوني الغاصب بالاجتياح البري لشمال غزة، وارتفعت وتيرته على خلفية المجزرة الصهيونية في المستشفى المعمداني 17 أكتوبر 2023، وانضمام اليمن إلى خط الموجهة على طريق القدس.

انطلاق عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023 وإن كان بقرار فلسطيني بحت، لكن التنسيقات والتشبيكات بعد الانطلاق المُبارك بين مختلف قوى ومكونات محور المقاومة والممانعة كانت حاضرة في كل تفاصيل الفعل المقاوم المضاد للعربدة الصهيونية عسكرياً وسياسياً وإعلامياً، مع احتفاظ كل طرف بتحديد نوعية الدعم والمساندة للفعل الفلسطيني المقاوم في منازلته المصيرية والمفصلية بين الحق والباطل، وترك خيارات الانتقال الفعلي إلى المواجهة المفتوحة والشاملة مع الاحتلال الصهيوني مفتوحة على كافة الاحتمالات، ووضع خطوط معينة للتحول إلى تلك المواجهة.

لم يتوقف الأمر على وحدة الجبهات وتشبيك الأدوار بين قوى محور المقاومة في التعاطي مع مفرزات عملية الطوفان، بل وكان هناك تأييد شعبي وسياسي وعملياتي - مباشر ولوجيستي، واضح ساعد على نضوج الفعل العسكري المقاوم وتوفير عوامل الثبات والاستمرارية والنصر له، ولا عجب أن يكون قرار كل قوى المحور من طهران إلى صنعاء وما بينهما، ممنوع اخضاع غزة، ممنوع كسر المقاومة الفلسطينية، ممنوع القضاء على البنية التحتية للمقاومة الفلسطينية، ممنوع تهجير سكان غزة، ولو كلف ذلك فتح الجبهات القريبة والبعيدة، والذهاب في الحرب إلى أبعد مدى، ومهما كان الثمن.

هذا التنادي المسؤول من تلك القوى الحرة كان له الفضل في:

1 - تخفيف الضغط الصهيوني على قطاع غزة، وإسقاط سيناريو التهجير، وتحويل الاجتياح البري إلى مصيدة للعدو الصهيوني بما يسمى باستراتيجية "الانزلاق إلى الحفرة".

2 - تثبيت الانتصار الفلسطيني الذي تحقق بمعركة طوفان الأقصى.

تبادل وتنسيق الأدوار في عملية الطوفان:

تُجمع قوى محور المقاومة والمانعة على التأييد السياسي والإعلامي والشعبي وتوفير الدعم العملياتي واللوجيستي لعملية طوفان الأقصى بعد انطلاقتها على أيدي فصائل المقاومة الإسلامية الفلسطينية، وإدانة العدوان الصهيوني النازي على غزة وجرائم الإبادة الجماعية المتنقلة وصمت الأنظمة العربية والدولية على جرائم الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني الأعزل، وتسابق قوى العُهر الدولي الإمبريالي إلى إدانة الضحية وتحميلها أوزار قتل نفسها وتبرئة الجزار الصهيوني، والتسابق السافر لدعم الصهاينة على كافة الأصعدة وتوفير الغطاء الدولي لجرائمهم وتبييض سجلهم الأسود.

هذه الأمور مجتمعة دفعت قوى محور المقاومة إلى توزيع الأدوار بينها، حيث تكفّلت إيران بالتنسيق مع روسيا والصين بإيصال المظلومية الفلسطينية إلى العالم الأصم، وإثارتها على كافة الأصعدة وفي كل المحافل والفعاليات الإقليمية والدولية، وأتاحت سورية مجالها الجوي لقوى المقاومة العراقية لتنفيذ عملياتها ضد القواعد الأميركية في سورية والمغتصبات والتجمعات العسكرية الصهيونية في الجولان المحتل، وتكفّل حزب الله بإلهاء وإشغال وتشتيت العدو في شمال فلسطين، وقام اليمن بإلهاء وتشتيت العدو في جنوب فلسطين المحتلة والبحر الأحمر، بينما تصدّرت المقاومة الفلسطينية للمواجهة الداخلية على ثلاثة محاور، وكل طرف له إستراتيجيته الخاصة به، والملائمة للبيئة التي يعمل فيها، مع مُراعاة المصلحة الوطنية لكل طرف من أطراف المحور.

وتعمل قوى المحور الداعمة والمساندة لقوى الفعل الثوري الفلسطيني كما عرفنا أعلاه، على تخفيف الضغط الصهيوني على غزة، وفرملة العمليات الصهيونية البرية وجرائم الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين، ومنع مخططات التهجير الجماعي لسكان غزة، ومنع قتل ووأد القضية الفلسطينية، وإيقاف هرولة قطار التطبيع بعد نزع العرّاب الأميركي فراملة.

ومن أهم معالم خيارات المواجهة التي اتبعتها قوى المحور في التعاطي العملي مع مفرزات عملية الطوفان:

1 - التصعيد المضبوط الإيقاع للعمليات العسكرية.

2 - تكثيف وتوسيع دائرة الاستهداف للقواعد والمصالح الأميركية في سورية والعراق والبحر الأحمر والتهديد باستهداف الوجود الأميركي والمصالح الأميركية في كامل المنطقة في حال قررت إدارة المعتوه الخرف "جو بايدن" توسيع رقعة المواجهات والانخراط المباشر في العدوان على غزة.

والغاية من ذلك دفع النظام الأميركي لإعادة قراءة حساباته فيما يتعلق بتأييده المطلق للكيان الصهيوني ومآلات توسيع المواجهات خارج النطاق الفلسطيني، بما لذلك من تداعيات كارثية على المصالح الأميركية والغربية.

3 - توسيع دائرة الاشتباك بضرب الركائز الثلاث للاقتصاد الصهيوني في حال اتساع المواجهة والتمادي في مجازر الإبادة الجماعية لأبناء القطاع، وهي منشآت النفط والغاز في البحر الأبيض المتوسط، ومخازن الأمونيوم في حيفا، والمطارات الجوية والموانئ البحرية، والمصانع والبنى الاقتصادية التحتية في منطقة "غوش دان" الساحلية الممتدة بين حيفا شمالاً وعسقلان جنوباً.

4 - قطع إمدادات النفط والغاز عن دول الغرب، أو منع مرورها في مضائق هرمز وباب المندب وقناة السويس.

5 - التوجّه، سياسياً واقتصادياً، شرقاً نحو الصين وروسيا.

أولاً: المقاومة الإسلامية الفلسطينية ثبات أسطوري:

شهد الفعل الثوري الفلسطيني تحولات دراماتيكية في أسلحته وأدواته خلال مسيرته النضالية التي أعقبت وعد بلفور المشؤم، مروراً بالمقلاع والحجارة، ووصولاً إلى قذائف المدفعية والرشقات الصاروخية، ومعه تنوعت قوى وحركات وفصائل الفعل الثوري المقاوم بالتوازي مع تنوع الفعل السياسي المساوم والمتاجر، في سباق مع الزمن، فما الذي حققه الفعل السياسي المساوم من مفاوضات السلام العقيمة والعبثية غير مزيدٍ من قضم الأراضي وتضييع الحقوق وانحسار المطالب المشروعة والمُحقة، والمزيد من التنازلات المجانية والمُهينة للعدو على كافة الأصعدة، والمزيد من المجازر المتنقلة والمتناسلة بحق الشعب الفلسطيني الأعزل، وبالمقابل استطاعت المقاومة المسلحة

بإمكانياتها المتواضعة الحفاظ على هوية القضية ومنع اندثارها وتلاشيها في محادل طاولات السلام.

وبعيداً عن تقولات صهاينة العرب حول توقيت عملية الطوفان، فالواقع يقول أنها ضرورة مرحلية مهمة، وتوقيتها تم اختياره بعناية فائقة، وفي مرحلة بات فيها الجمع العربي الرسمي أكثر تآمراً على القضية الفلسطينية وأكثر صهيونية من الصهاينة لأسبابٍ شتى، ولو لم تأتي عملية الطوفان وتكشف الأقنعة عن تلك الوجوه الغثائية، لأتتنا الأيام بما لا يُحمد عُقباه.

وتُشكّل عملية الطوفان تطوراً نوعياً لأول مرة منذ سبعة عقود في أسلوب المقاومة الفلسطينية، من حيث الطابع الهجومي الدفاعي والمباغت واختيار التوقيت والهدف، وتوزيع الأدوار بينها وبين باقي الفصائل الفلسطينية.

يتوزع الفعل الثوري الفلسطيني الداخلي على ثلاث جبهات، تشمل غزة والضفة وأراضي 1948، ومن أهم قواها حركتي حماس والجهاد والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ويتصدر المواجهة كتائب القسام وسرايا القدس وعرين الأسود وكتائب أبو علي.

وتتسم عمليات أراضي 1948 بالفردية، بينما تتحد الساحات في غزة، ولا زالت في الضفة متقطعة ومحدودة النطاق عسكرياً تبعاً لعمليات العدو الصهيوني تصعيداً وتخفيضاً.

ومن أهم استراتيجيات المواجهة التي اتبعتها في عملية الطوفان ما يسمى بـ "اللدغة"، وتقوم على تنفيذ عمليات سريعة وخاطفة ضد العدو تُشبه لدغة "الثعبان"، والاختفاء السريع "أضرب واهرب"، الأمر الذي دفع الصهاينة للاعتراف بأنهم يحاربون أشباحاً غير مرئية، وهذا النوع من الإستراتيجيات غالباً ما يتم اللجوء إليه في المواجهات غير المتكافئة، من أجل إرباك الخصم وبث الرعب والخوف في أوساط جنوده، وتحويل الفعل الثوري المقاوم إلى كابوس مؤرق يقض مضاجع الصهاينة.

ثانياً: المقاومة الإسلامية اللبنانية تصعيد متدرّج:

كان للانتصار الاستراتيجي والتاريخي على العدو الصهيوني في حرب يوليو 2006 بجنوب لبنان، الفضل في إرساء أسس جبهة المقاومة الموحدة والمتضامنة، والتأسيس

للانتصارات اللاحقة على أرض فلسطين المحتلة خصوصاً في قطاع غزة.

انخرطت المقاومة اللبنانية بقيادة حزب الله في عملية الطوفان منذ اليوم التالي لانطلاقتها 8 أكتوبر 2023، وركزت عملياتها على مغتصبات الشمال الفلسطيني المحتل وصولاً إلى الجولان المحتل، وتحديداً الشريط الحدودي مع العدو الصهيوني بما في ذلك مزارع شبعا وتلال كفر شوبا.

تمتد العمليات بنحو 5 كيلو مترات في العمق الفلسطيني، وعملت منذ انطلاقتها بصورة متدرجة ومتدحرجة، ونجحت في إلحاق أضرار وخسائر عسكرية ومادية وبشرية كبيرة بالاحتلال، فاقت ما لحق العدو الصهيوني في الجبهة الشمالية منذ حرب يوليو 2006، سواء على صعيد الخسائر البشرية أو المادية، ناهيك عن تخفيف الضغط على قطاع غزة، ودفع العدو لتحويل نصف قواته إلى "الجبهة الشمالية"، وإقراره بأن ما يجري فيها يُمثل حرب "حقيقية" بكل ما تعنيه الكلمة، مؤكداً بأن تلك المقاومة البطلة لا تردع كيانه اللقيط فقط في الشمال، وإنّما تردعه عن العمل بصورة حازمة في غزة.

كما نفذت بعض قوى المقاومة الإسلامية الفلسطينية عدة عمليات في الشمال والعمق الفلسطيني انطلاقاً من الجنوب اللبناني.

نجح حزب الله في المحافظة على توازن الرعب وقوة الردع بمسؤولية عالية وفق شروط اشتباك هو من يحدد سقفها وفي ظروف واعتبارات ميدانية وسياسية خالصة، قدم فيها عشرات الشهداء على طريق القدس، في وقتٍ كانت تُراهن المؤسسة الصهيونية على صمت جبهة الشمال وعدم التدخل فيما يجري بغزة.

وفي 3 نوفمبر 2023، خرج السيد "حسن نصر الله" ليتحدث لأول مرة منذ انطلاق عملية الطوفان، مباركاً جهود المقاومة الفلسطينية وعمليتها المباركة، ورابطاً مستوى تحول الحرب في غزة إلى حرب إقليمية بعاملين:

1 - قيام الاحتلال الصهيوني بالتهجير القسري لسكان غزة.

2 - توسيع الاحتلال عملياته لتدمير حماس وفصائل المقاومة الإسلامية الفلسطينية الأخرى.

وربط أمر التصعيد بوقف الدعم الأميركي للكيان الصهيوني، وأوضح بأن جميع الخيارات مطروحة وكل الاحتمالات واردة.

ويهدف الحزب من وراء عملياته المتصاعدة في الشمال الفلسطيني إيقاف الحرب على غزة وليس جلبها إلى لبنان، من خلال مشاغلة الاحتلال الصهيوني وإجبار جيشه على البقاء مُستنفراً وقلقاً على الحدود الشمالية.

ويخوض حزب الله ثلاث مناورات مع العدو الصهيوني في الشمال الفلسطيني المُحتل:

1 - الإعماء الاستخباراتي والتجسسي: من خلال الاستهداف المُركّز والدقيق لأجهزة وأبراج المراقبة والتنصت والاتصال والرصد، والتي تمثل أهم منظومة في الدفاع الجوي للاحتلال.

2 - العزل للمجنزرات الصهيونية: من خلال الاستهداف المُركّز والممنهج لمدرعات العدو، والتي تعتبر العمود الفقري في الدفاع والهجوم.

3 - تحييد وتقييد حركة المُسيرّات العبرية.

نجح الحزب في إبقاء الوحدات العسكرية للعدو مُستفزة وجاهزة ومتوترة على طول الحدود مع لبنان والإطباق على منظومة العدو الحدودية الدفاعية، وتقيّيد قدرات وعناصر منظومته الهجومية الاستباقية، وإضعاف قدراته الدفاعية والهجومية على جبهته الشمالية.

وبذلك أصبحت حدود الجليل المحتل بمتناول وحدات "الرضوان" متى قرر حزب الله تنفيذ أي عمل هجومي، محدود أو واسع داخل فلسطين المحتلة والدخول جنوباً والانتشار في مستوطنات الجليل.

وتكمن أهمية هذه المناورة الثلاثية بحسب الكاتب والمحلل العسكري اللبناني "شارل أبي نادر" في تحقيق "مستوى مرتفع جداً وضاغط بقوة في فرض إشغال العدو عن معركته الصعبة الحالية في غزة، لذا أصبح العدو يعتبر أن الخطر الأكيد والأكبر والأكثر إيلاماً عليه سيكون من الجبهة الشمالية، فيما لو قرر حزب الله مهاجمة الجليل، وهذا الأمر - بالنسبة للعدو - وارد دائماً، خاصة بعد أن حضّر حزب الله مسرح هجومه جنوباً بالشكل الكامل والمناسب، عبر إعماء رصد العدو وعيونه، وعزل

قدرات مدرعاته وتحييد امكانياتها، وبات العدو مُجبراً على وضع الجهود الأساسية في دفاعه الجوي للحماية وضبط الجبهة الشمالية، وما يمكن أن يُطلَق منها نحو عمقه ومدنه ومنشآته الأساسية، العسكرية والمدنية، من صواريخ دقيقة ومسيّرات فاعلة، قد تنطلق في أي لحظة، وأي تأخير في تفعيل منظومته الثلاثية في الدفاع الجوي، القبة الحديدية أو مقلاع داوود أو السهم، سيكون كارثياً على كل جبهته الداخلية".

مخاوف كبيرة في الكيان الصهيوني من تحول الحرب الظالمة على غزة إلى حرب إقليمية شاملة، وتزداد المخاوف بصورة متزايدة من اشتعال جبهة الشمال الفلسطيني، وتجاوز المواجهات الاستنزافية الحدودية مع حزب الله إلى مواجهات مفتوحة.

ويعترف موقع "والاه" العبري بأنّه "لا أحد يقدر على أن يضمن لنا أنّ الأسوأ أصبح خلفنا .. فهجومٌ من حزب الله، وربما من إيران أيضاً، سيجعل ما رأيناه لغاية الآن كبرومو لفيلم سيّئ".

وأكّد الإعلام الصهيوني أنّ التدهور إلى حربٍ شاملة يُمكن أن يؤدي إلى تغييرٍ دراماتيكي في ميزان القوى في المشرق العربي، وأنّ الخطر الملموس يكمن في فتح الجبهة الشمالية.

وأعرب رئيس مجلس الأمن القومي الصهيوني، "تساحي هنغبي"، عن خشيته من توسّع المعركة إلى جبهات أخرى، مؤكداً عدم رغبة كيانه بالسعي "إلى معركة متعددة الساحات".

وقالت صحيفة "معاريف" العبرية، إنّ كيانها المهترئ بات في أخطر أزمة أمنية وجودية، خُرقت فيها "الخطوط الحمر" السياسية والعسكرية والأمنية، معتبرة ما حصل إلى الآن مجرّد "تنبيه" في معركة جُرّ إليها الكيان الصهيوني بشكلٍ مُفاجئ.

ويدرس حزب الله وقادة المحور عواقب دخول أميركا الحرب إذا فُتِحت الجبهة الشمالية على مصراعيها، وتجاوزت الخطوط المرسومة لها، وهم أمام اختبار تاريخي حاسم، فإما تنفيذ وحدة الساحات والجبهات، أو الامتناع عن الحرب خشية من عواقبها على لبنان وإيران وسورية والمنطقة، وما يعنيه ذلك من هزيمة معنوية وسياسية كبرى لحزب الله وإيران ولخيار المقاومة.

كما أن المحور يعي تماماً أن هزيمة حماس والجهاد الاسلامي وأطياف الفعل الفلسطيني المقاوم سيجعل حزب الله الهدف الثاني للكيان الصهيوني، لأن استمراره قوياً في ظل امتلاكه ترسانة كبيرة من الأسلحة ونفوذاً كبيراً في لبنان يُهدد بتكرار ما فعلته المقاومة الفلسطينية في غزة، وسيُشجع الصهاينة على مواصلة تطبيق مخططاتهم لتصفية القضية الفلسطينية، وتسريع إقامة "إسرائيل الكبرى"، وما يعنيه ذلك من ضم الضفة الغربية المحتلة، وتهويدها، وطرد أكبر عدد ممكن من أهلها وسكانها الأصليين.

وفي هذا السياق، لا يمكن استبعاد كُلي لسيناريو إقدام الكيان الصهيوني على ضرب إيران، مع أنه ضعيف وغير مُرجح، وذلك بالتركيز على ضرب المنشآت النووية الإيرانية.

ثالثاً: المقاومة الإسلامية العراقية صعود مُفاجئ:

مثلت المجزرة التي ارتكبها العدو الصهيوني في المشفى المعمداني 17 أكتوبر 2023 نقطة مفصلية لانضمام الفصائل المسلحة العراقية إلى عملية الطوفان، وتضم عدداً من التشكيلات العسكرية الشعبية التي شاركت تحت مظلة الحشد الشعبي في تطهير العراق من داعش أميركا وداحس الصهاينة، منها: عصائب أهل الحق، وحركة النجباء، وكتائب حزب الله، ومنظمة بدر، وتشكيل الوارثين.

وتعهدت هذه القوى الحرة والأبية باستهداف القواعد الأميركية في العراق وسورية، وشملت عملياتها:

1 - قاعدة "عين الأسد" الجوية في محافظة الأنبار غرب العراق.

2 - قاعدة "حرير" الجوية في أربيل بإقليم كردستان شمال العراق.

3 - قاعدة "التنف" العسكرية جنوب شرق سورية في منطقة المثلث الحدودي بين سورية والعراق والأردن.

4 - قاعدة "كونيكو" في ريف دير الزور شمال شرق سورية بمنطقة سيطرة الأكراد.

5 - تفجير خط أنابيب الغاز التابع لحقل "كونيكو" بريف دير الزور شمال شرق سورية , كما طالت نيرانها منطقة النقب جنوب فلسطين المحتلة.

ويتخوّف العراقيين من توجه العدو الصهيوني إلى تهجير أبناء القطاع والضفة إلى مصر والأردن ومحافظة الأنبار العراقية المتاخمة للحدود الأردنية.

وتسعى هذه القوى من وراء استهداف القواعد الأميركية للتأكيد على عدة حقائق، منها:

1 - إيصال رسالة للكيان الصهيوني وأميركا بأن الفصائل المسلحة العراقية تعيد تموضعها تحت جبهة واحدة، رغم تنوعها وتعددها، يجمعها هدفٌ واحد هو استهداف المصالح الأميركية رداً على دعم واشنطن للعدوان الصهيوني على غزة هاشم.

2 - إبقاء واشنطن في حالة تأهب دائم، لأن الاستهدافات التي بدأت بالقواعد العسكرية قد تتطور لتشمل مقرات السفارات الأميركية، وهذا من شأنه إشاعة حالة من عدم الأمن والاستقرار لدى الولايات المتحدة ومصالحها في العراق وسورية بصورة دائمة، الأمر الذي يشكل - في حال اتساع رقعة الحرب على غزة وتصاعد حدته - عبئاً كبيراً ومرتفع التكلفة على التواجد العسكري الأميركي في المنطقة، وهذا ليس سوى مقدمة لتطهير العراق من خبث ورجس القواعد الأميركية.

رابعاً - اليمن صمام أمان لجبهة البحر الأحمر:

أعلنت صنعاء الدعم والتأييد والمساندة لعملية الطوفان منذ يومها الأولى، وكشف العدو في 19 أكتوبر 2023 عن تنفيذ الجيش اليمني أُولى عملياته العسكرية المساندة للطوفان، واعتبر جبهة البحر الأحمر واحدة من الجبهات التي تُشكل على كيانه اللقيط تهديداً وجودياً، سواء لجهة تهديد الملاحة الصهيونية في البحر الأحمر والقرن الأفريقي، أو لجهة خلق حالة من الخوف والرعب في أوساط قُطعان المغتصبات في الجنوب الفلسطيني المحتل.

وأكد السيد "عبدالملك الحوثي" في 10 أكتوبر 2023 بوضوح استعداد اليمن للمشاركة

في الحرب ضد الكيان الصهيوني الغاصب في حال تدخلت الولايات المتحدة عسكرياً بشكل مباشر في المواجهات الحالية مع الفلسطينيين.

إستراتيجية صنعاء في مهاجمة الكيان الصهيوني تقوم على إطلاق العديد من المسيرات وصواريخ الكروز والصواريخ الباليستية في وقت واحد، على المغتصبات في جنوب فلسطين المحتلة وبصورة خاصة أم الرشراش "إيلات"، مما يؤدي إلي زيادة التأثير من حيث إصابة الأهداف وإحداث الخسائر، وجعل إمكانية اعتراضها صعبة، إلى جانب الإعلان عن استهداف الملاحة البحرية الصهيوني في البحر الأحمر وباب المندب والقرن الأفريقي، ووفقاً لبيان صادر عن القوات المسلحة اليمنية في 19 نوفمبر 2023، أعلنت استهداف جميع أنواع السفن التالية:

١ - السفن التي تحمل علم الكيان الصهيوني.

٢ - السفن التي تقوم بتشغيلها شركات صهيونية.

٣ - السفن التي تعود ملكيتها لشركات صهيونية.

ودعت جميع دول العالم إلى:

أ - سحب مواطنيها العاملين ضمن طواقم هذه السفن.

ب - تجنب الشحن على متن هذه السفن أو التعامل معها.

ج - إبلاغ سفنهم بالابتعاد عن هذه السفن.

ويشمل التحذير اليمني السفن الصهيونية المتجهة إلى فلسطين المحتلة والخارجة من الموانئ الفلسطينية المحتلة مروراً بالبحر الأحمر وصولاً إلى باب المندب، والقطع العسكرية التي تحمي السفن الصهيونية، والوجود الصهيوني بكافة أشكاله في البحر الأحمر وباب المندب والقرن الأفريقي والبحر العربي وخليج عدن.

ونفذت القوات اليمنية أول عملية لها في 19 نوفمبر 2023 بالسيطرة على سفينة "جالاكسي ليدر" الصهيونية في البحر الأحمر واقتيادها إلى السواحل اليمنية، وهي سفينة تجارية تعود ملكيتها بحسب الإعلام العبري إلى رجل الأعمال الصهيوني المقرب من الموساد "رامي أونجر".

هذه الخطوة الشجاعة أحدثت ردة فعل عنيفة داخل الكيان الصهيوني، واعتبر

الرئيس التنفيذي لمعهد الأبحاث الصهيوني GFI "نير غولدشتاين"، أن "الضرر الذي ألحقه الحوثيون بممرات الشحن يمكن أن يكون له تأثير استراتيجي على الواردات إلى إسرائيل وخاصة على عالم الغذاء".

وكشف عن وجود مخاوف كبيرة لدى شركات الشحن من الرسو في موانئ كيانه في فلسطين المحتلة منذ بداية الحرب على غزة، وارتفاع أسعار التأمين والنقل البحري إلى كيانه، متوقعا تزايد تلك المخاوف ومواصلة ارتفاع أسعار التامين بعد سيطرة صنعاء على السفينة وإعلانها البحر الأحمر منطقة محظورة على السفن العبرية، وإلحاق هذا الإجراء ضرر كبير بالأمن الغذائي الصهيوني، خصوصاً وأن أكثر من 70 % من غذاء الكيان يأتي عن طريق البحر، وبشكل رئيسي 85 % من الماشية، يأتي عبر موانئ مغتصبات أم الرشراش "إيلات" و"أسدود" أشدود وحيفا، وهذا الموانئ بحسب "غودشتاين" وطرق الوصول إليها أصبحت مهددة من أعداء الكيان، وعلى الصهاينة الاستعداد لذلك، مؤكداً تهديد "الحوثيين" مدخل البحر الأحمر الذي تأتي من خلاله سفن أسترالية تحتوي 15 % من واردات لحم العجل إلى كيانه.

ناهيك عن تحرك أنصار الله قبل 3 أعوام، من أجل إطلاق سراح سجناء حماس من السجون السعودية مقابل إطلاقهم سراح طيارين سعوديين، وإعادة طرح السيد "عبدالملك الحوثي" مؤخراً مبادرة تتضمن إطلاق طيار و4 عسكريين سعوديين مقابل إطلاق الرياض معتقلي حماس في سجونها.

الرافعة اللوجستية الإيرانية:

وإن لم يكن لديها علم مُسبق بعملية الطوفان قبل تنفيذها، فقد كانت لها بصماتها في دعم قوى المقاومة الإسلامية الفلسطينية منذ قيام الثورة الإسلامية الإيرانية وما تلاها من إجراءات داعمة للقضية الفلسطينية ومناوئة للإمبريالية والصهيونية.

وكما كانت إيران الإمام الخميني منذ العام 1979، لا تزال سياستها الداعمة للقضية الفلسطينية والحقوق الفلسطينية المشروعة والفعل الثوري الفلسطيني، ثابتة وراسخة.

وحرصت طهران بعد انطلاق عملية الطوفان على تحريك وتنشيط دبلوماسيتها

على كافة الأصعدة الإقليمية والدولية، من أجل تعزيز الصمود الفلسطيني وفرملة آلة الدمار الصهيوني وخلق وعي ورأي عام عالمي رافض للغطرسة والعربدة الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني، وداعم لحق هذا الشعب المظلوم في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس ونيل حريته وحقوقه المسلوبة.

ولا تنفي إيران أيضاً احتمالية اتساع رقعة المواجهة واحتمالية انضمام بقية أطراف محور المقاومة إليها، وكشف موقع "والا" العبري نقلاً عن مصادر دبلوماسية مطلعة، أن إيران نقلت رسائل للاحتلال من خلال الأمم المتحدة، بأنها ستدخل في المعركة إذا استمر الهجوم على غزة، مُضيفاً بأن وزير الخارجية الإيراني قال لممثل الأمم المتحدة، إنهم غير معنيين بالتصعيد لكن لديهم "خطوط حمراء"، إذا تجاوزها كيان الاحتلال فإنهم سيشاركون مباشرة في الحرب.

وسبق لوزير الخارجية الإيراني "حسين أمير عبداللهيان" التأكيد في أكثر من تصريح على أن حالة التنسيق بين فصائل وقوى المحور في أكمل صورها، وأن كافة السيناريوهات والاحتمالات بشأن تفاعلها مع الكيان الصهيوني محسوبة بدقة، وأن الرد على الاحتلال سيكون قوياً، وسيُغير ليس فقط من خريطة الأراضي المحتلة، ولكن أيضاً من قواعد التفاعل الإقليمي ككل.

سيناريوهات ما بعد الطوفان

أولاً: هزيمة المقاومة الفلسطينية جزئياً أو كلياً:

سيترتب عليه العديد من التداعيات الكارثية على المحور ومنطقة المشرق العربي، منها:

1 - تراجع محور المقاومة والممانعة شعبياً وعملياتياً وعسكرياً وسياسياً، وتوجيه ضربة قاسية وقوية له لا يمكنه التعافي منها لسنوات من خلال تفكيك جبهته الأمامية، ناهيك عن إجهاض المقاومة في الضفة الغربية، ووضع حزب الله في مرمى سهام الصهاينة باعتباره أهم عناصر المقاومة، وخاتمة الأثافي التخفيف من تأثير ونفوذ المحور في جبهة غزة وجعلها غير مهمة لفترة من الوقت.

2 - تقدم وتفوّق مشروع التطبيع "الصهيو - أميركي".

3 - صيرورة الكيان الصهيوني الغاصب كقوة كبرى في المنطقة، والمتفرد بقرارات مسارها ومصيرها، والتحكم بغرفة أقدارها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وإعلامياً وثقافياً.

4 - إعادة المشروع التركي إلى مربع التفاهمات مع المشروع الأميركي الصهيوني لا مناكفته ومنافسته.

5 - إعادة السلطة الفلسطينية إلى غزة، وربما العمل على خلق سلطة جديدة أكثر انبطاحاً من سلطة "محمود عباس"، وهذا ليس استنتاجاً بل توعّداً أميركياً وصهيونياً رائجاً.

صهيونياً، يدّعي الباحث في معهد أبحاث الأمن القومي الصهيوني "كوبي ميخائيل"، أن توجيه كيانه الغاصب ضربة قاضية لحماس في قطاع غزة سيضمن لكيانه تحقيق ثلاثة أهداف استراتيجية:

1 - إضعاف تأثير حماس في حالة المقاومة في الضفة الغربية، لأن حماس هي أكبر المؤثرين والداعمين للمقاومة فيها.

2 - إضعاف تأثير إيران على الساحة الفلسطينية، لأن المعادلة الحالية هي أن "حماس أقوى يساوي تأثير أكبر لإيران في الساحة الفلسطينية".

3 - تعزيز صورة القوة الإسرائيلية وردع حزب الله وإيران وغيرهم من القوى التي قد ترى أن هجوم حماس تأكيداً على نضوج الوقت لمهاجمة إسرائيل من عدة جبهات للإطاحة بها.

في المعطيات، يُصرّ الكيان الصهيوني على إنهاء وجود المقاومة الفلسطينية، أو على الأقل تدمير بنيتها التحتية، وإعادة بناء قدرات ردعه تجاه مختلف القوى المناوئة له في المشرق العربي، وتحديداً محور المقاومة.

ورغم التصريحات الصهيونية المتكررة بعدم الرغبة في توسيع المواجهات مع حزب الله، وعدم الرغبة في تحول حرب غزة إلى حرب إقليمية غير مُرحب بها من قبل القوى الداعمة للكيان اللقيط، لا يُخفِ الصهاينة رغبتهم في تغيير قواعد الاشتباك التي ترسخت مع حزب الله طوال السنوات الماضية.

خروج الكيان الصهيوني الغاصب منتصراً في حربه ضد غزة، وتمكنه من القضاء على المقاومة الفلسطينية، سيجعله أكثر جُرأة لتكرار ما جرى في غزة مع لبنان وتغيير قواعد الاشتباك مع حزب الله، وهذه سيمنح الاحتلال أوراق قوة جديدة تساعده على حسم عدد من النقاط الخلافية حول الحدود مع لبنان والأراضي المحتلة، التي امتنع عن حسمها حتى اللحظة لتجنب التصعيد مع حزب الله.

وقد بدأ الكيان الغاصب والإدارة الأميركية الحديث عن إدارة غزة ما بعد حماس مبكراً، وهي توهّمات وتخيّلات، تندرج ضمن الحرب النفسية، وانعكاس طبيعي لحجم وهول الهزيمة التي لحقت بالكيان الصهيوني، ما جعله يروج لهكذا توهمات يعرف أكثر من غيره أنها لن ترى النور وأن حماس ما زالت تتحكّم برقعة الشطرنج وتمتلك كل أوراق اللعبة.

ثانياً: انتصار المقاومة الفلسطينية:

بمعنى بقاء المقاومة وسلاحها في غزة، والتفاوض على الأسرى كما هو جاري حالياً، وفي هذه الحالة سنكون أمام عدة حقائق، أهمها:

1 - تجذير حركة حماس لتكون القوة الأولى في القضية الفلسطينية وعلى المجتمع الدولي والكيان الصهيوني التعامل معها باعتبارها اللاعب الأهم في تقرير مصير ومسار القضية الفلسطينية، ومنظمة التحرير الفلسطينية مجرد حامل سياسي، اكتسبت شرعيتها من قرارات عربية وأممية، بينما أخذت حماس شرعيتها إلى جانب الصندوق والانتخابات البرلمانية المغدورة من الفعل المقاوم، وكلمة الفصل في كل الصراعات الكونية دوماً تكون للفعل المقاوم وليس للحامل السياسي المهادن والمسالم والمساوم.

2 - تراجع دور السلطة الفلسطينية بقيادة "محمود عباس" وتعرّيها بعد أن أصبحت هيكلاً بلا مضمون ولا محتوى.

3 - تراجع اليمين الصهيوني وانتهاء الحياة السياسية لـ "نتنياهو"، وإعادة إحياء جهود حل الدولتين.

4 - إعادة ترتيب المشرق العربي، وصعود أقوى لإيران ومحور المقاومة في كثير من ملفات المنطقة، وهذا سيخلق تفاهمات عربية إيرانية، ويساعد على تمدد التيار المناوئ للمشروع الأميركي، مع احتمال حدوث تقارب تركي إيراني أكبر تدعمه روسيا، وتعزيز مكانة ونفوذ روسيا في المنطقة.

5 - انحسار موجة التطبيع "العربي - الصهيوني"، لسقوط حامله المتمثل في التفوق العسكري والأمني الصهيوني.

ثالثاً: انتهاء الطوفان على قاعدة لا غالب ولا مغلوب:

هناك تحركات دولية للدفع نحو هذا السيناريو، والإكثار من الحديث عن حل الدولتين، يصب في هذا الاتجاه، وغايته منح المقاومة الفلسطينية نصف انتصار وخروج الكيان الصهيوني والغرب الداعم بنصف هزيمة، وتسويق النظام العربي الرسمي كشريك جاد للغرب في الحل، وترميم وجبر ضرر الكيان الصهيوني، ومدّه بعمر افتراضي جديد.

وتالياً، إفساح المجال للحلول السياسية، وإعادة إحياء مفاوضات السلام حول خيار الدولتين، ولكن في حالتيّ انتصار المقاومة أو الخروج بقاعدة لا غالب ولا مغلوب، فالدولة الفلسطينية إذا أراد مروجها تحققها وضمان نجاحها على أرض الواقع يجب أن تلبّي شروط فصائل المقاومة الفلسطينية، وهم يعلمون أن المقاومة لا يمكنها القبول بدولة حبيسة ومنزوعة السلاح والصلاحيات والسيادة كما يريد الكيان الصهيوني، ولا يمكنها القبول بالتهجير القسري وإسقاط حق العودة لعرب 1948، ولا يمكنها القبول بأن تكون تلك الدولة حامية للكيان الصهيوني كما هو حال سلطة "محمود عباس" في رام الله، بل ستقبل بحل الدولتين بشروطها من أجل تعزيز استراتيجيتها في الصراع، وليس من أجل تصفية القضية الفلسطينية وتصفية المقاومة وتمدّد الاحتلال وعربدته مجدداً، وستتعامل مع هذا الطرح من مُنطلق رؤيتها للقضية والصراع مع العدو الصهيوني، وبما يصون قوتها ومنجزاتها بتوازن الردع والوجع معه، وواهمٌ من يعتقد غير ذلك، خصوصاً بعد ما وصلت إليه فصائل المقاومة من قوة ومنعة.

المراجـــــع:

1 - أمـل محمـد شـبيب، طوفـان الأقـصى مـن فلسـطين إمتـداداً إلى دول محـور المقاومـة، موقـع جريـدة الوفـاق الإيرانيـة، 25 أكتوبـر 2023.

2 - إيليـا ج. مغنايـر، هكـذا دخـل محـور المقاومـة المعركـة، صحيفـة الـرأي الكويتيـة، 11 أكتوبـر 2023.

3 - حميـد بحـكاك، عمليـة طوفـان الأقـصى، الـدلالات والتداعيـات، مركـز الدراسـات والأبحـاث في العلـوم الاجتماعيـة، 24 أكتوبـر 2023.

4 - رحـاب الزيـادي، اعتبـارات حاكمـة: حسـابات حـزب اللـه تجـاه التصعيـد في غـزة، المركـز المـصري للفكـر والدراسـات الاسـتراتيجية، 9 نوفمـبر 2023.

5 - سـارة أمـين، هـل الحـوثي مؤثـر في معادلـة الحـرب حـال الغـزو الـبري؟، مركـز رع للدراسـات الاسـتراتيجية، 31 أكتوبـر 2023.

6 - شـارل أبي نـادر، مـاذا حقـق حـزب اللـه في معركـة طوفـان الأقـصى؟، موقـع العهـد الإخبـاري، 31 أكتوبـر 2023.

7 - شرحبيـل الغريـب، طوفـان الأقـصى .. محـور المقاومـة في صلـب جبهـة المواجهـة، موقـع الميادين، 27 أكتوبـر 2023.

8 - صافينـاز محمـد أحمـد، طوفـان الأقـصى .. يـضرب القواعـد الأميركيـة في العـراق وسـورية، مركـز الأهـرام للدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية، 21 أكتوبـر 2023

9 - عـلي بـن مسـعود المعشـني، حـل الدولتـين يدعـم محـور المقاومـة، موقـع الرؤيـة العـماني، 30 أكتوبـر 2023.

10 - كريـم قـرط، مـاذا سـتفعل إسرائيـل بعـد عمليـة طوفـان الأقـصى؟، مركـز رؤيـة للتنميـة السياسـية، 12 أكتوبـر 2023.

11 - كـمال خلـف، كيـف يـرى محـور المقاومـة حـدود الـدور الأمـيركي في طوفـان الأقـصى؟، صحيفـة رأي اليـوم، 9 أكتوبـر 2023.

12 - محمـد العـودات، مـآلات المشـهد السـياسي في المنطقـة بعـد الحـرب عـلى غـزة، موقـع الجزيـرة القطريـة، 4 نوفمـبر 2023.

13 - محمّد نادر العمري، محور المقاومة.. النشأة والتطوّر ووحدة المصير، موقع قناة الميادين اللبنانية، 6 يوليو 2021.

14 - محمد مشيك، التطورات الاستراتيجية لما بعد معركة طوفان الأقصى، مركز الدراسات السياسية، 3 نوفمبر 2023.

15 - هاني المصري، الحرب على غزة .. السيناريوهات والتداعيات، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية، 17 أكتوبر 2023.

16 - قناة الثانية الفضائية - قناة المقاومة والحشد الشعبي العراقي، الجبهات مفتوحة التحاماً مع طوفان الأقصى، 21 أكتوبر 2023.

17 - مركز حرمون للدراسات المعاصرة، محور المقاومة والممانعة والاستثمار في الفشل، 5 يناير 2019.

18 - مركز دراسات وسط آسيا، مفهوم استراتيجية الاقتراب الموزع لمحور المقاومة، 17 مايو 2021.

19 - معهد السياسة والمجتمع، الأبعاد الاستراتيجية والإقليمية لعملية طوفان الأقصى والحرب الإسرائيلية على غزة، 12 أكتوبر 2023.

20 - موقع الخنادق، نقلاً عن مركز دراسات غرب آسيا، أبرز سيناريوهات جنون الجيش الإسرائيلي بشن عملية برية في قطاع غزة، 12 أكتوبر 2023.

21 - وكالة وطن للأنباء، بين مفهومي وحدة الساحات ومحور المقاومة، 15 نوفمبر 2023.

22 - وكالة "نكاه نو" العراقية، طوفان الأقصى .. مواقف محور المقاومة مقابل التخاذل والانكسار، 27 أكتوبر 2023.

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

SABA.YE

مفهوم "التحرر الوطني" في تجربة ثورة 14 أكتوبر

مركز البحوث والمعلومات

أنس القاضي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)

WWW.SABA.YE/AR

انطلقت ثورة التحرر الوطنية 14 أكتوبر كنتيجة تاريخية لتطور الحركة الوطنية في الجنوب اليمني المحتل في النصف الأول من القرن العشرين، وتطور القوى السياسية الديمقراطية في شمال الوطن، وقد تداخل نضال الحركة الوطنية اليمنية في شمال الوطن وجنوبه في ثورتي سبتمبر وأكتوبر.

قامت ثورة 14 أكتوبر بصورة رئيسية ضد الاستعمار البريطاني وركائزه المحلية من السلطنات ونمط الإنتاج الاقطاعي الذي قامت عليه، ولم تكن شرارة الثورة في ردفان، إلا إيذاناً بأن الشعب اليمني بات مستعداً لمواجهة التسلط والاستغلال الاستعماري السلاطيني.

انطلقت الثورة من الريف والمناطق المحاذية للمحافظات الشمالية، لتندمج الجبهة المسلحة مع نضالات أبناء المدن المدني منهم والنقابي والعمالي والسياسي، وبخلاف التمردات القبلية والنضالات السابقة المشتتة وغير الناضجة وفرت الجبهة القومية التنظيم الذي وحد النضالات الريفية والمدنية على أساس أولوية الكفاح المسلح إلى جانب الأشكال النضالية الأخرى، وبناء على برامج عمل كفاحية مخططة.

استمرت الثورة خمس سنوات من 14 أكتوبر 1963م حتى 30 نوفمبر 1967واجهت خلالها تحديات عسكرية وأمنية وسياسية مختلفة، داخلية وخارجية، لكن الجبهة القومية واصلت الكفاح والنضال الشامل حتى تحقيق الاستقلال الوطني الناجز.

تميزت ثورة 14 أكتوبر بكونها موجهة نحو العدو الأجنبي الإستعماري -إلى جانب القضايا الاجتماعية الديمقراطية- فهي الثورة الوطنية اليمنية الحديثة التي بُينت على أساس الفهم الجديد لمهام التحرر الوطني.

كان من الطبيعي أن يظهر مفهوم التحرر الوطني في الثقافة السياسية اليمنية الحديثة من تجربة ثورة 14 أكتوبر، لكونها قامت ضد نظام إستعماري إمبريالي في ظروف نهوض حركات التحرر في العالم عقب الحرب العالمية الثانية وانهيار نظام الاستعمار الإمبريالي القديم.

تاريخياً يُعدّ عبد الله عبد الرزاق باذيب أول من تطرّق إلى القضية الوطنية اليمنية بمفاهيمها الحديثة، في كتاباته الصحفية منذ الخمسينيات وفي "الميثاق الوطني"

للاتحاد الشعبي الديمقراطي الذي صدر عام 1961م وكتيب "حركتنا الوطنية إلى أين تتجه" الذي كتبه علي باذيب أحد قيادات الاتحاد الشعبي، وصدر 1961م عن "لجنة مقاطعة إسرائيل".

أدرك ثوار 14 أكتوبر أن ثورتهم وطنية، ولكن دون استيعاب المفهوم بشكل دقيق، فقد انطلقت الثورة من الواقع لا النظرية، وطوال سنين الثورة تطورت المعركة الوطنية ومعها استيعاب أعمق لمهام التحرر الوطني، فقد تطوّر استيعابهم النظري بتطور المهام تحت إلحاح الواقع.

القضية الوطنية في ثورة 14 أكتوبر المجيدة

تطوّر فهم ثوار 14 أكتوبر للقضية الوطنية وأبعادها المختلفة خلال الممارسة الثورية، مع مواجهة التحديات الثورية ومع بروز المهام الجديدة؛ فكانت حركة الفكر المترابطة مع النشاط تتعمق أكثر فأكثر، ويرتقي الخطاب الوطني من التجريد النظري إلى المهام الملموسة، بداية من الميثاق الوطني للجبهة القومية الصادر عام 1965م وصولاً إلى برنامج استكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية أواخر عام 1968م، وهي الفترة موضوع التناول هنا، باعتبار أن الأفكار الوطنية خلال هذه الفترة كانت تعبر بصورة رئيسية عن التنظيم القائد لثورة 14 أكتوبر من بداية الثورة حتى تشكيل أول حكومة ثورية.

يُعدّ الميثاق الوطني للجبهة القومية 1965م أول وثيقة نظرية عبرّ فيها التنظيم القائد للثورة عن نظرته للقضية الوطنية والوحدة اليمنية، ووحدة أراضي الشطر الجنوبي من الوطن وخصوصاً جزره، والطبيعة الاستعمارية السياسية والاقتصادية والعسكرية والأهمية الجيوبوليتيكية لعدن وطبيعة التغيير المنشود، حيث يؤكد الميثاق أن الثورة لا تهدف إلى إجلاء المستعمر من المنطقة فحسب وإنما تغيير الواقع الاجتماعي الذي صنعه الاستعمار تغييراً جذرياً في كل مفاهيمه وقيمه وعلاقاته الاجتماعية وفي السياسة الدولية.

مثّل مؤتمر زنجبار بعد الاستقلال في مارس 1968م انتقالاً من التنظير الثوري العام إلى تحديد القضايا التي واجهتها قوى الثورة عقب استقلالها، وكانت أبرز

التحديات التي تهدد جنوب اليمن المستقل حديثاً هي الحرب السعودية الغربية على النظام الجمهوري الوليد في صنعاء، كما أكدت قرارات "مؤتمر زنجبار" التضامن مع الشعوب المناضلة ضد الاستعمار والإمبريالية والصهيونية؛ فثورة 14 أكتوبر بعد أن انتصرت وجدت أنها مطوّقة بالوجود الاستعماري، ونلاحظ هنا أن التحرر الوطني بات مشروطاً بانتصار الجمهورية في شمال اليمن، وانتصار قوى الثورة في المحيط الدولي.

في البرنامج الوزاري لحكومة الثورة في يونيو 1968م تعمّق فهم القضية الوطنية، ومهام التحرر الوطني، وباتت مسألة مواجهة الثورة المضادة -السلاطينية الاقطاعية والغزو الأجنبي المدعوم من الاستعمار والرجعية الخليجية- جزءاً من مهام التحرر الوطنية، كما واجهت الثورة تحديات اقتصادية وأمنية وتسليم بريطانيا جزر يمنية لسُلطان عُمان، فاتسعت قضية التحرر الوطنية، وتجاوزت المهمة المباشرة إبان الكفاح المسلح المقتصرة على طرد الانجليز وتوحيد السلطنات؛ ففي هذه المرحلة بات الدفاع عن الاستقلال الذي تحقق وضمان معيشة الشعب عناصر رئيسة في ضمان الاستقلال الوطني جزء من فهم قضية التحرر الوطني.

لاحقاً في أكتوبر من ذات العام 1968م، صدر برنامج استكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية، وكان الفهم الأكثر نضوجاً للجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل، وباتت مهام التحرر الوطني أكثر شمولية وأدق في تحديدها، حيث بات هنا العمل المبرمج والتخطيط في بناء الدولة وتحديد المهام بدقة جزء من مهمة التحرير الوطني، أي أن قوى الثورة، قررت الانتقال من الاعتماد على التنظيم الثوري في الدفاع العسكري عن الوطن، إلى بناء الدولة والجيش الثوريين المعنيين بضمان الحرية والسيادة الوطنيتين، وإقامة العلاقات السياسية التحررية مع المحيط والعالم، أي الانتقال من الاستناد على الريف والقوى الذاتية في طرد الاستعمار وخوض المعركة في نطاق جنوب الجزيرة العربية إلى دعم حركات التحرر في المحيط الخليجي، والاصطفاف مع قوى الثورة في العالم ومواجهة الاستعمار الإمبريالي والصهيونية على النطاق الاقليمي والعالمي.

يمكن من كل ذلك استنتاج أن فهم قوى ثورة 14أكتوبر للقضية الوطنية مرّ بالتدرّج وكان تطوره موضوعياً من خلال الممارسة ومواجهة التحديات الجديدة، أي أن أهداف الثورة لم تؤخذ جاهزة من تجربة سابقة، ولم يكن المكوّن القائد لثورة 14 أكتوبر موجهاً من دولة أجنبية لينفذ مهام محددة مسبقاً؛ فطبيعة استقلالية القوى القائدة لثورة 14 أكتوبر وانطلاقها من الواقع الموضوعي المحلي لبناء خياراتها السياسية والعسكرية وعلاقاتها الدولية من أهم ما يميز هذه الثورة المجيدة.

الميثاق الوطني للجبهة القومية

يُعدّ الميثاق الوطني للجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل الذي وافق عليه المؤتمر الأول للجبهة المنعقد في الفترة من 22 حتى 25 يونيو 1965م أول وثيقة نظرية تطرح فيها قضية التحرر الوطني وتقدم الجبهة القومية مفهومها عن التحرر الوطني، وفي حقيقة الأمر فهو مفهوم حركة القوميين العرب التي ضمت إليها الفصائل الوطنية وظهر ما يُسمّى بالجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل[1].

جاء في بداية الميثاق الوطني التأكيد على وحدة اليمن وهو أحد العناصر البارزة في مفهومهم لتحرر الوطني الملازم للاستقلال:

"أن المنطقة -اليمن شمالاً وجنوباً- ظلت تشكل وحدة طبيعية متكاملة ويجمع شعبها روابط وعوامل كثيرة، منها وحدة الأرض ووحدة اللغة ووحدة المعاناة اليومية للحياة ووحدة المصلحة ووحدة المصير، وقد تجسدت هذه الوحدة على مستواها السياسي في عصر الإسلام في دول متعددة تعاقبت على المنطقة".

ينتقل الميثاق من التأكيد على الهوية إلى ذكر المميزات الجيوبولتيكية لليمن وخصوصاً مدينة عدن بالقول:

"إن عدن لكونها مركزاً تجارياً مرموقاً ومدخلاً إلى منطقة هامة تحمي الاتصال التجاري في مناطق آسيا وأفريقيا كلها، ظلت تجذب اهتمام الغرب والشرق إليها باستمرار خلال تاريخها الطويل، إن عدن - إلى جانب الدافع الاقتصادي لاحتلالها - تبرز أهميتها كمنطلق تجاري إلى مناطق واسعة في الشرق الأوسط ونقطة استراتيجية

تدخل ضمن مخطط عالمي للمحافظة على البقاء الاستعماري في بلاد آسيا وأفريقيا".

بعد التأكيد على وحدة اليمن وذكر الميزات الجيوبولتيكية يعبرّ الميثاق الوطني عن مفهوم التحرر الوطني، وهو لا يقول صراحة: "إن مفهوم التحرر الوطني من وجهة نظرنا يعني كذا وكذا، بل يُعبر الميثاق عنه عندما يطرح تصورات الجبهة القومية لغايات الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية".

جاء في الميثاق الوطني:

"إن الثورة المسلحة التي اكتسحت الجنوب كتعبير عن إرادة شعبنا العربي وكأسلوب أساسي للمقاومة الشعبية ضد الوجود الاستعاري ومصالحه وركائزه ومؤسساته المستغلة للشعب، إن هذه الثورة لا تهدف إلى جلاء المستعمر من المنطقة فحسب وإنما هي حركة دائبة تعبر عن عقيدة للحياة شاملة وراسخة لدى شعبنا تستهدف أساساً تغيير الواقع الاجتماعي الذي صنعه الاستعمار تغييراً جذرياً في كل مفاهيمه وقيمه وعلاقاته الاجتماعية القائمة على الاستغلال والاستبداد وتحدد بالضرورة نوع الحياة التي يريدها شعبنا ونوع العلاقات التي يسير متجها إليها سواء على مستوياته المحلية أو الاقليمية أو القومية أو الدولية".

من الفقرة السابقة نستنتج أنه يقصد بالتحرر الوطني الاستقلال السياسي والعسكري عن الهيمنة الاستعمارية المباشرة بصورة رئيسة، وكذلك إزالة مخلفات الاستعمار بتغيير الواقع الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية الاستغلالية الاستبدادية الذي أرساها الاستعمار، وتغيير العلاقات السياسية الدولية لليمن بعد الاستقلال.

ينتقل الميثاق من التعميم إلى التفصيل:

"إن وجود القواعد العسكرية الاستعمارية في جنوب اليمن المحتل يشكل في الحقيقة اعتداء صارخاً على سيادة الشعب العربي لجزء من أرضه كما يمثل أيضاً حماية مستمرة لاستغلال الرأسمال الاستعماري لخبرات شعبنا في المنطقة ويدعم في الوقت

نفسه قوى الاستغلال المحلية المتمثلة في الرأسمال المستغل والحكم السلاطيني الرجعي العميل ويكون نقطة وثوب وعدوان على الوطن العربي الكبير وشعوب آسيا وأفريقيا، ويشكل تهديداً مستمراً للأمن والسلام العالميين".

يضيف: "إن الثورة المسلحة التي يخوضها شعبنا العربي في جنوب اليمن المحتل لا تستطيع أن تستبدل الاوضاع الاجتماعية المستغلة ولن تتمكن من تغيير تلك العلاقة الاستعمارية القائمة على التبادل الرأسمالي المستغل بإيجاد أوضاع اجتماعية مغايرة لصالح جماهير الشعب المحرومة إلا بتحطيم الأدوات السياسية القائمة على قمة تلك الأوضاع، إذاً فإن إسقاط الحكم السلاطيني الرجعي العميل والقضاء على المؤسسات الاستعمارية هدف فوري ومباشر وعاجل تلتزم الثورة بتحقيقه".

يضيف أيضاً: "إن جنوب اليمن المحتل يتكوّن جغرافياً وسياسياً من عدن وما يُسمّى بالمحميّات الشرقية والغربية وجزر كوريا موريا وكمران وميون وسقطرة وجميع الجزر الواقعة على الساحل المقابل للمنطقة غرباً وجنوباً كما أن أي خطة استعمارية لفصل المنطقة أو تجزئتها إلى كيانات أو حجز أي من هذه الجزر لاستمرار احتلالها أو استخدامها كقواعد حربية احتياطية للاستعمار يعتبر ذلك كله انتقاصاً سافراً لحرية شعبنا في الجنوب، لذا فان جزر كوريا موريا وميون وكمران وسقطرة وجميع الجزر الواقعة على الساحل المقابل للمنطقة غرباً وجنوباً جزء لا يتجزأ من الجنوب، وتحريرها هدف حيوي تحتمه ضرورة الثورة ويدخل ضمن استراتيجيتها".

يضيف أيضاً: "إن الشعب العربي في إقليم اليمن شماله وجنوبه جزء من الأمة العربية وإن إقليم اليمن جزء لا يتجزأ من الوطن العربي وتربطه وحدة تاريخية ونضالية ومصيرية مشتركة، لذا فإن إعادة وحدة شعبنا العربي في اقليم اليمن شماله وجنوبه سيراً نحو وحدة عربية متحررة مطلب شعبي وضرورة تفرضها متطلبات الثورة وجب أن تتم على أسس شعبية وسلمية".

يضيف أيضاً: "إن القواعد العسكرية التي تنبع في حقيقتها من أهداف السيطرة الاستعمارية الرأسمالية على الشعوب المتخلفة وإن الأحلاف والتكتلات الاستعمارية على مختلف المستويات العسكرية والاقتصادية والتي هي في الأساس عملية تنسيق بين

مصالح الدول الاستعمارية الناتج عن نمو وتعاظم حركة التحرر الوطني في البلدان المتخلفة في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية إن هذه القواعد العسكرية يجب محاربتها على مختلف المستويات ومختلف الوسائل لا لكونها موجهة لإضعاف كيان واستغلال الشعوب المتحررة والنامية ولكن لكونها تهدد أيضاً السلام العالمي وتهدد في الوقت نفسه سلامة البشرية بمجموعها".

يتضح من الفقرات السابقة، أن مفهوم التحرر الوطني يتحدد بإزالة الوجود الاستعماري بشتى أشكال وجوده ومظاهره أو نفوذه، وركائزه المحلية ومنها السلطنات والمحميات الشرقية والغربية، ونمط الانتاج الاقطاعي، والتشديد على وحدة أراضي جنوب اليمن المحتل وجزره وتصفية القواعد العسكرية، وربط قضية التحرر الوطني بالوحدة اليمنية والوحدة اليمنية بالوحدة العربية، أي بتعبير آخر فهو تحرر وطني يمني لا تحرر وطني جنوبي، وكذلك ربط مفهوم التحرر الوطني بقضية الوحدة العربية، وربط التحرر الوطني بقضية مواجهة الاستعمار الإمبريالي على المستوى العالمي.

مرحلة ما بعد الاستقلال

أعقب الاستقلال الوطني في 30 نوفمبر 1967م حراك سياسي ونظري واسع في أوساط الجبهة القومية التي رسخت وجودها وشرعيتها الثورية: الوحيد للشعب اليمني في جنوب اليمن المستقل.

ففي 2 مارس 1968م أي بعد أربعة أشهر، عُقد "مؤتمر زنجبار" للجبهة القومية، وفي 27 يوليو صدر البرنامج الوزاري لحكومة الثورية، وفي أكتوبر 1968م صدر عن الجبهة القومية " برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي"، في مختلف هذه المحطات أي بعد الاستقلال وملامسة الأوضاع الحقيقية وبداية عملية التغيير، بدأ مفهوم التحرر الوطني في أبعاده المختلف يأخذ بُعداً ملموساً واقعياً بعد أن كان في الميثاق الوطني 1965م أكثر تجريداً، ومن الملاحظ خلال هذه الفترة تطور مفهوم التحرر الوطني أو بتعبير آخر تطور فهمهم للقضية الوطنية حيث أن مفهوم التحرر الوطني إنما هو فهمهم للقضية الوطنية اليمنية وفهمهم هذا تطور بالتجربة والممارسة.

قرارات مؤتمر زنجبار

بين الفترة 2 مارس 1968م و8 مارس 1968م عقدت الجبهة القومية مؤتمر زنجبار، وصدرت عنه قرارات مهمة ملامسة للوضع فهو أول برنامج عملي في مرحلة ما بعد الاستقلال بأربعة أشهر، جاء فيه ما يلي:

"إن تحررنا الوطني لن يتحقق بشكله السليم إلا بانتصار ثورتنا في الشمال وتحقيق وحدة الإقليم اليمني ليتحمل مسؤولياته التاريخية لذلك فدعم الثورة في شمالنا اليمني مهمة أساسية وضرورية.. بما أننا جزء لا يتجزأ من الأمة العربية لذلك فإن دعم حركات التحرر من الإستعمار والإمبريالية والرجعية في الخليج العربي والجزيرة العربية مهمة أساسية لا بد من الاضطلاع بها كما أن ثورتنا لا بد أن تلعب دوراً إيجابياً على مستوى حركة الثورة العربية في صراعها ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية".

"يؤكد المؤتمر بأن السبيل الصحيح لتحرير فلسطين بدعم المقاومة الشعبية المسلحة فيها ولذلك يقرر ضرورة الدعم المالي والمعنوي للمقاومة الشعبية المسلحة في فلسطين إن ذلك شيء ضروري وأساسي" .

"يقرّ المؤتمر الوقوف بصلابة إلى جانب حركات التحرر الوطني الديمقراطي في العالم الثالث ومساندتها في نضالاتها ضد قوى الامبريالية والاستعمار" .

"يقرّ المؤتمر ضرورة التفاعل والانفتاح على كافة تجارب الأنظمة الاشتراكية في العالم والوقوف في وجه كافة محاولات الإمبريالية والاستعمار لضرب القوى التقدمية".

"يدين المؤتمر الاستعمار والامبريالية في كافة مواقفها المعادية لحركات التحرر الوطني في آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية، كما يشجب بشدة السياسات العنصرية وسياسة حرب الإبادة التي تتبع تجاه الشعب الفيتنامي البطل".

من الملاحظ أن المهام التحررية في قرارات زنجبار أصبحت أشد وضوحاً وتفصيلاً مما كانت عليه سابقاً، ففي قرارات زنجبار رُبطت قضية التحرر الوطني، بدعم ثورة 26 سبتمبر في شمال الوطن حيث كانت الثورة تتعرض لحرب سعودية غربية من جهة

ومن جهة أخرى كانت القوى المشيخية قد سيطرت على الثورة وقامت بانقلاب على الرئيس السلال في 5 نوفمبر 1967م، في هذه المرحلة كان المستعمر البريطاني وكذلك الأمريكي والسعودي يقاتلون ضد الثورة الجمهورية في الشمال، وهو تهديد استعماري ملموس، لهذا اعتبرت الجبهة القومية أن من مهامها التحررية إسناد الثورة الجمهورية في الشمال، وصولاً إلى وحدة الإقليم اليمني في شماله وجنوبه وشرقه وغربه.

وإلى جانب القضية الملموسة في شمال اليمن، فقد تنبهت الجبهة القومية إلى التحديات الاستعمارية في منطقة الخليج والجزيرة العربية وهو أول منظور جيوبوليتيكي للثورة اليمنية، حيث أدركت أن تحرير جنوب اليمن ليس كافياً مادام الاستعمار لازال موجوداً في منطقة الخليج، لهذا وضعت ضمن مهامها دعم حركات التحرر الوطنية في هذه المنطقة، وقد كانت هذه المهمة الثورية أيضاً حاجة ملحة وملموسة لا تقل شأنها عن مهمة إسناد الثورة الجمهورية في شمال اليمن.

في مقرات زنجبار أيضاً حدد الموقف بشكل واضح من القضية الفلسطينية وضرورة دعمها كالتزام قومي، وكذلك دعم حركات التحرر في بلدان العالم الثالث وإدانة الاستعمار والإمبريالية على المستوى العالمي.

هذه المهام التي وضعت في مؤتمر زنجبار والتي ارتبطت بقضية التحرر الوطني اليمني، جرى تنفيذها ولم تظل حبيس الأدراج، حيث تم دعم الثورة في الشمال وبشكل أخص دعم التوجهات الثورية التقدمية لتتشكل ما سميت بالجبهة الوطنية الديمقراطية اليمنية، كما جرى دعم جبهات وحركات التحرر الوطنية في الخليج العربي عموماً وسلطنة عمان خصوصاً، وكذلك دعم القضية الفلسطينية واحتضان معسكرات الفصائل الفلسطينية في اليمن الديمقراطية.

البرنامج الوزاري 27 يونيو 1968م

البرنامج الوزاري لحكومة "جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية" أذاعه رئيس الجمهورية قحطان الشعبي بعد أن أقرته القيادة العامة للجبهة القومية وبعد إقراره من قبل مجلس الوزراء واللجنة التنفيذية، كان البرنامج انعكاساً لقرارات مؤتمر زنجبار.

في هذه الفترة كانت قد بدأت الثورة المضادة ضد اليمن الشعبية المستقلة، لهذا عاد خطاب التحرير مجدداً مع التشديد على إعادة بناء القوات المسلحة لمواجهة التهديدات، ويعد البرنامج الوزاري الأول للثورة بعد أربعة أشهر من تحقيق الاستقلال الوطني، وثيقة تاريخية على التحديات التي واجهت ثورة 14 أكتوبر بعد تحقيق الاستقلال ومحاولة الاستعمار البريطاني العودة من جديد عبر إثارة تناقضات داخلية وتأزيم الوضع الاقتصادي، والتدخل المباشر بالغزو والعدوان، وهي مؤامرات عدّدها البرنامج الوزاري كما يلي:

"تصدير الثورة المضادة من خارج حدود الجمهورية بالاشتراك مع حكام العهد البائد من سلاطين اقطاعيين ومستوزرين عملاء وسياسيين انتهازيين ورجعيين يدعمهم الاستعمار والامبريالية العالمية ومصالحها الاحتكارية لتنظيم عمليات التسلل والتخريب داخل أراضي الجمهورية".

"تطبيق سياسة إحتواء الثورة من خلال فتح ثغرة في جسد الثورة الصلب ودفع حركة التناقضات الجزئية إلى أقصى مداها لتحدث صراعات جانبية ودموية في صفوف الثورة تشغل الثورة عن مواجهة التناقضات الرئيسية والأعداء الحقيقيين للشعب لتتمكن القوى الرجعية والعناصر الانتهازية المنهارة من القفز إلى السلطة والحكم وتقيم حلفا مع الاستعمار الجديد".

"ممارسة ضغوط اقتصادية ضد الجمهورية حتى لا تمكن النظام الثوري الجديد من السيطرة الحقيقية على الاقتصاد الوطني وتحريره من السيطرة الأجنبية والعمل على رفاهية الشعب، ويتعرض شعب جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وتنظيمه الثوري وحكومته، منذ انتزاع الاستقلال من بريطانيا للأساليب الاستعمارية القديمة والجديدة المشروحة أعلاه.. إن بريطانيا وهي تحاول الابقاء على مصالحها الاقتصادية القديمة وتصر على التحلل من كافة التزاماتها وتعهداتها وترفض تعويض شعب جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية عن استغلالها واستخدامها لأراضي الجمهورية وأجوائها ومصادرها الاقتصادية أثناء فترة الاحتلال الطويل ورفضها ذلك صراحة في المفاوضات الأخيرة بين وفد الجمهورية والوفد البريطاني إنما تستهدف خنق إرادة

شعبنا الحرة وإسقاط نظامه التقدمي بتفجير الأزمة المالية".

"لما كانت الجمهورية وشعبها يتعرضان لخطر الغزو الخارجي من قبل الثورة المضادة المحتشدة على الحدود وكل جبهات الأعداء؛ فإن اتخاذ الحكومة الإجراءات الضرورية لصيانة أمن وسلامة الجمهورية وشعبها من المهام العاجلة الموكولة لوزارتي الدفاع والداخلية، وفي المقابل تقع على وزارة الدفاع ووزارة الداخلية مسؤولية إعادة بناء مؤسستي القوات المسلحة والأمن العام ثورياً وتزويدهما بالأجهزة والمعدات الحديثة، وذلك أمر ضروري حتى تمارس هاتان المؤسستان دورهما في حفظ الأمن وإشاعة الطمأنينة والاستقرار والدفاع عن الجمهورية".

برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي

مثّل برنامج استكمال مهام الثورة التي أقرته القيادة العامة للجبهة القومية في دورتها العادية المنعقدة في الفترة ٧ حتى 11 أكتوبر 1968م، مرحلة نضوج فكر الجبهة القومية التي تجاوزت الأفق القومي الضيق ليتسع في رحب الإنسانية المناضلة، وربط قضية تحرر الوطن اليمني بتحرر شعوب العالم وحركة الثورة العالمية والاشتراكية العالمية كقطب نقيض للقطب الغربي الإمبريالي والصهيوني.

جاء في البرنامج: "إن المضي في تنفيذ هذا البرنامج يخلق وضعاً متيناً وقوي يمكّننا من أن نسند ثورتنا في الشمال اليمني لمواجهة التآمرات الامبريالية والرجعية لضرب الثورة أو صرفها عن مسارها ويساعد بالتالي على تقوية تلاحم القوى الثورية والوطنية الشريفة في الشمال والجنوب للمضي نحو وحدة الأداة ووحدة الإقليم، كما وأن من المهام الأساسية إزدياد إلتحامنا بحركة الثورة العربية التي تشكل جزءاً منها ولعبنا دوراً فعالاً بما يضمن محاربة الامبريالية والاستعمار والصهيونية والاقطاع والرجعية كما يؤكد التزامنا تجاه حركة التحرر العالمية .. وعلاقاتنا بالشعوب المناهضة للامبريالية والاستعمار وتلك المطبقة للاشتراكية.. إن الموقع الإستراتيجي الجغرافي للمنطقة والتوجه التقدمي الذي تتبناه الجبهة القومية تنظيماً وسلطة يجعل القوى الإمبريالية والرجعية المحيطة بالجمهورية تضاعف من يقظتها تجاه كل تصرف يحدث

في الجمهورية ذلك أن الإمبريالية الأمريكية والبريطانية والإحتكارات البترولية في الجزيرة العربية والأنظمة الرجعية في السعودية والقوى الرجعية داخل الجمهورية وحولها تنظر إلى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية نظرة التوجس والتخوف منها ومن آثار إجراءاتها الثورية، فالجمهورية قد جاءت نتيجة لنضال شعبي مسلح اعتمد فيه شعب المنطقة على نفسه وأثبت خلاله أصالة ثورية كما أن خط الجبهة القومية واضح كل الوضوح في ميثاقها الوطني وإن قانون الإصلاح الزراعي مثلاً، قد شكل هزة مؤثرة لهذه القوى بما يعنيه من صدق توجه نحو قلب وتغيير الواقع الاجتماعي والاقتصادي في الجمهورية".

يلاحظ في ديباجة هذا البرنامج التطور السياسي في فكر الجبهة القومية، ومقاربة المسألة الوطنية من الأسس الجيوبوليتيكية، وتحليل الجوهر الإمبريالي للإستعمار الذي يجعل الدول الإمبريالية عدوانية، كما كان البرنامج الذي أشار بوضوح إلى خطر الإمبريالية الأمريكية، وحدّد الدور السعودي المرتبط بالاستعمار الامبريالي وبقوى الثورة المضادة من السلطنات والاقطاع والموقف الرجعية الخليجي إزاء الإجراءات الاقتصادية والسياسية المضادة للنظم الرجعية في جنوب اليمن والمهد للرجعيات في المنطقة، فقد كانت ثورة 14 أكتوبر في بُعدها الديمقراطي ثورة جمهورية أصيلة قامت بها الجماهير الشعبية وليست جزءاً من إنقلاب عسكري ممول من خارج البلد، وفي بلد ظروفه مقاربة لظروف شعوب ممالك وسلطنات الخليج.

من الملاحظ الربط الجدليّ بين التحرر الوطني ونجاح الثورة الوطنية بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية الملموسة والتحرر من هيمنة الاحتكارات الأجنبية والتحرر من البؤس والتخلّف الإنتاجي، وفتح آفاق الديمقراطية الشعبية لتحرير وتعبئة طاقات الجماهير في النضال.

جاء في البرنامج "إن هذه القوى المحيطة بنا تضع في حسابها ما تعنيه هذه التغييرات الإجتماعية والإقتصادية على مصالحها وتعني أن إستقرار أوضاع هذه الجمهورية سيمكّنها من المضيّ شوطاً بعيداً في تنفيذ طموحات الجماهير الشعبية، لذا فان هذه القوى الإمبريالية والرجعية بالتحالف مع القوى التي تضررت من جراء انتصار

الثـورة المسـلحة داخليـاً متعمّد دوماً إلى رسـم المخططات التآمرية لـضرب الثورة ومحاولة اسـتنزاف جهدهـا وطاقاتهـا وإمكانياتهـا.. علهـا بذلـك تنجـح في إعاقـة الجمهوريـة عـن مواصلـة سـيرها في مضـمار البنـاء وتحقيـق التقـدم المنشـود، ومـن الناحيـة الاقتصاديـة يعمـل النظـام الوطنـي الديمقراطي عـلى قيام صناعة وطنيـة، ويحمي إقتصـاد البلاد من سـيطرة، ومنافسـة الرأسـمال الاجنبي والاحتكاري ويعمل كذلك على حل المسـألة الزراعية بالقضـاء عـلى الاقطـاع بتطبيـق الاصلاح الزراعـي وتطوير وسـائل الإنتاج الزراعي رأسـياً وأفقيـاً، وبمعنـى آخـر فـإن النظام الوطنـي الديقراطـي يزيل كافـة العقبـات، والصعوبات مـن طريـق تطـور القـوى المنتجـة في المجتمـع ويخلـق ظروفـاً وإمكانيـات جديـدة لحـل قضيـة التخلـف .ويوحد النظام الوطنـي الديمقراطي جهود القـوى الوطنية الديمقراطية المنتجـة في المجتمـع لحل المشـاكل الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسـية والثقافية وهو يؤمّن إشراك الجماهـير الشـعبية في القضـاء على التركة الثقيلة للحكم الاسـتعماري وفي التغلب عـلى مشـكلة التخلف وبنـاء المجتمـع الجديد".

النتائج والتحديات الاستعمارية الراهنة

مـن خـلال مـا سـبق، يمكـن القـول إن مفهـوم التحـرر الوطني لقـوى ثـورة 14 أكتوبر، يتألـف مـن المهـام أو العنـاصر التالية:

التحرر من الاسـتعمار العسـكري والسـياسي البريطـاني وإزالة السـلطنات توحيد أراضي وجـزر الشـطر الجنوبي مـن اليمن.

ضـمان الاسـتقلال السـياسي وصـون السـيادة الوطنية في مواجهـة الثورة المضـادة ودعم النظـام الجمهـوري في شـمال الوطن.

ربـط قضايـا التحـرر الوطنـي بالتحـرر الاجتماعـي مـن الاسـتغلال، وقطـع التبعيـة الاقتصادية بالرأسـمالية العالمية وتتجاوز واقع التخلف الذي كرسـه الاسـتعمار الإمبريالي.

بنـاء دولـة ديمقراطيـة شـعبية، والتضامـن مـع نضـال الشـعوب العربيـة ضد الاسـتعمار والصهيونيـة، وكفـاح شـعوب العـالم ضـد الإمبرياليـة العالميـة، والانتقـال مـن مواجهـة الاسـتعمار في الوطـن إلى مواجهتـه في العام، باعتبـار البلد جزء من حركـة الثورة العالمية.

هـذا الفهـم لقضيـة التحرر الوطني، ليـس غريباً عـن واقعنا اليوم، حيث عاد الاسـتعمار الإمبريـالي بأشـكال جديـدة، منهـا الإمبرياليـة الأمريكيـة والإمبرياليـة البريطانيـة وتُعدّ بريطانيـا الفاعـل الـدولي الأول في الأوضـاع الراهنـة داعمـة للتدخل العسـكري العدواني وتمـارس اسـتراتيجياتها الاسـتعمارية القديمـة والجديـدة عـبر دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة التـي تحتـل معظـم السـواحل اليمنيـة في جنـوب البـلاد وشرقها وغربها بواسـطة ميليشـيات محليـة مسـتغلة الخلافـات السياسـية اليمنيـة، وهـي عينهـا المناطق التـي ذُكرت في ميثـاق الجبهـة القوميـة باعتبارهـا مناطـق محتلة.

إن جوهـر السياسـة الاسـتعمارية البريطانيـة الـذي يجـري تطبيقهـا، مـع اسـتيعاب التطـورات هـو تقسـيم الجنـوب اليمنـي إلى أقاليـم فيدراليـة، يتناسـب مـع التقسـيم الاسـتعماري القديـم لجنـوب اليمـن إلى محميتـين شرقيـة وغربية، وكذلك فصل السـاحل الغـربي عـن شـمال اليمـن الذي يُعـدّ أيضاً مشروعـاً بريطانياً، كما أن تقسـيم شـمال اليمن إلى دولتـين "زيديـة" و"شـافعية" هـو الآخـر مـشروع بريطـاني قديـم.

مقارنـة بالتحديـات التـي واجهتهـا ثـورة 14 أكتوبر الـواردة في البرنامج الـوزاري الأول لحكومـة الثـورة، نجـد أن هناك تطابقاً مـع التحديات الراهنة، التي تُهدّد السـيادة الوطنية للجمهوريـة اليمنيـة، منهـا الغزو الأجنبـي، والحرب الاقتصادية والحصـار واحتلال بعض الجزر اليمنية.

عـلى ضـوء هـذه التحديـات فـإن عـلى الشـعب اليمنـي مهمـة ملحـة، في إيقـاف الحرب العدوانيـة وإحـلال السـلام وصـون السـيادة الوطنيـة، وبنـاء دولـة عادلة قوية على أسـاس مـن التعدديـة السياسـية والشراكـة الوطنيـة والحريـات الديمقراطيـة وبنـاء جيـش وطني حديـث، وبنـاء اقتصـاد وطنـي متحـرر مـن التبعيـة البنيويـة للرأسـمالية العالميـة، يؤمّـن الاحتياجـات التنموية والاسـتهلاكية والدفاعيـة، وكذلك تعميق البُعـد الأممي في التضامن مع القضية الفلسـطينية وتحرير الأراضي العربية المحتلة ومواجهة المشـاريع الاسـتعمارية الغربيـة في المنطقـة وتصفيـة القواعـد العسـكرية، والتضامـن مـع شـعوب العـالم النزّاعـة نحـو نظـام دولي متعـدّد الأقطاب.

المراجـــــع:

- الميثاق الوطني للجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل (صدر عام 1965م)
- اللجنة التنظيمية للجبهة القومية، "كيف نفهم تجربة اليمن الجنوبية الشعبية"،(دار الطليعة بيروت، 1968م)
- عبد الله باذيب، "ثورة 14 أكتوبر طبيعتها، مهامها، آفاق المستقبل"،(بحث عام 1968م)
- عبد الفتاح إسماعيل، "فجر الثورة"،(بحث كتبه عام 1975م)

[1] تشكلت الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل من اتحاد الفصائل والقوى المؤمنة بمنهج الكفاح المسلح لمواجهة الاستعمار البريطاني، وهي:

1- حركة القوميين العرب في جنوب اليمن المحتل
2- تشكيل القبائل
3- الجبهة الناصرية
4- التنظيم السري للضباط والجنود الأحرار
5- جبهة الإصلاح اليافعية
6- المنظمة الثورية لأحرار جنوب اليمن المحتل
7- الجبهة الوطنية

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

SABA
SABA.YE

العدوان الصهيوأمريكي تحت المجهر

"غاز" غزّة يحرقها
و"قناة بن غوريون" تدمرّها

مركز البحوث والمعلومات

زيد المحبشي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)

WWW.SABA.YE/AR

تُمثّل دعوة «بن غوريون» في العام 1950 كيانه اللقيط لضرورة السيطرة على البحرين الأبيض والأحمر، وتأكيده بأن الاستيطان اليهودي على شواطئهما يُشكّل لحظةً تاريخية، لها أهميتها الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية، واحداً من أهم الأسباب التي دفعت الاحتلال الصهيوني لتدمير وإحراق غزة وشن حرب إبادة جماعية غير مسبوقة في سجله الإجرامي ضد الغزاويين، في سباق مع الزمن لسرقة ونهب الثروات الطبيعية التي تختزنها مياه غزة البحرية، إلى جانب رُزمة من الأهداف الأخرى لعلّ أهمها شق قناة موازية لقناة السويس تربط البحر الأحمر بالأبيض المتوسط، وتنظيف غزة من الغزاويين الذين كانوا ولا زالوا يمثلون كابوس مزعج للعدو منذ زراعة غدته السرطانية في جسد أمتنا المكلومة.

وكلها مخططات قديمة متجددة، وضع خطوطها الرئيسية السفاح «بن غوريون»، وحاول من أتى بعده من قادة هذا الاحتلال النازي تنفيذها بالتنسيق مع الأميركان منذ العام 1950، وحتى المحاولة الأخيرة بعد تفجير عملية طوفان الأقصى، لكن الحظ لم يحالفهم، ولن يحالفهم اليوم، لأن الاحتلال يظل احتلال وكل مخططاته مصيرها السقوط والفشل والزوال، مادام أهل الأرض متشبثين بأرضهم ومؤمنين بقضيتهم ورافعين راية النضال والجهاد لاسترجاع حقوقهم المشروعة وأرضهم المحتلة وثرواتهم المنهوبة.

أولاً: الغاز الطبيعي:

يمتلك قطاع غزّة مخزون احتياطي كبير من الثروات والموارد الطبيعية، أهمها الغاز الطبيعي، وتتحدّث الدراسات الميدانية عن احتياطات غازيّة تُقدّر قيمتها بأكثر من 500 بليون دولار.

تم اكتشاف أول بئر غازي في مياه سواحل غزة على البحر الأبيض المتوسط في العام 1999، ومن يومها ألقى الاحتلال الصهيوني بكل ثقله لعرقلة عمليات التنقيب والاستخراج والتطوير، والعمل بكل ما أوتي من قوة للاستحواذ على تلك الثروات الواعدة وتحويلها من نعمة منحها الله للشعب الفلسطيني المظلوم إلى لعنة تُحرقهم وتحوّل حياتهم إلى جحيمٍ لا يُطاق.

ولم يكن غريباً بعد انطلاق عملية «طوفان الأقصى» المباركة في 7 أكتوبر2023م عودة الحديث في الأوساط الصهيونية عن «غاز غزة»، كما لا يُستبعد أن يكون الغاز أحد الأسباب التي جعلت أباطرة العالم يُسارعون لدعم الكيان الصهيوني في تدمير غزة وتهجير سكانها، خصوصاً بعد إغلاق حنفية الغاز الروسي على خلفية الحرب «الروسية - الأوكرانية».

كل الوقائع والمعطيات تؤكد بحسب زعم مُحلل كتاب «بن غوريون»، «من البحر الأحمر إلى بحر فلسطين»، «ماتيا كام»، رؤية السفاح «بن غوريون».

الاحتلال الصهيوني يُدرك جيّداً أن تمكُّن الفلسطينيين من استغلال مواردهم الطبيعية البحرية سيُدرّ عليهم أموالاً تُغنيهم عن التمويل الخارجي، بما يُحقق لهم الاستقلالية في الاقتصاد الوطني والقرار السياسي، واستقلالية القرار السياسي والاقتصاد الوطني الفلسطيني يعني بداية التحرر من كابوس الاحتلال وتراكماته البغيضة، ومقدمة لزواله وتطهير أرض الأنبياء من رجسه وخبثه، وهو ما لا يُريده الاحتلال الصهيوني ويُحاربه بشدة من خلال خلق الكثير من العوائق والعقبات أمام تنمية الاقتصاد الفلسطيني، وكبح أي محاولة فلسطينية للاستفادة من الثروات الوطنية الطبيعية التي تختزنها بلادهم، وبسط وهيمنة الاحتلال عليها، وحرمان الفلسطينيين من ريعها وعائداتها، وإبقائهم تحت رحمة مقصلته اقتصادياً وأمنياً وسياسياً، وقتل كل أحلام وتطلّعات التحرّر والاستقلال الوطني وصولاً إلى قتل ووأد القضية الفلسطينية.

حقول الغاز البحرية في غزة:

تقع الأراضي الفلسطينية المحتلة فوق خزانات كبيرة من ثروة النفط والغاز الطبيعي، في المنطقة «ج» من الضفة الغربية المحتلة وساحل البحر الأبيض المتوسط قُبالة قطاع غزة وفقاً لعلماء جيولوجيون أجروا مسوحات ميدانية، وتقرير صادر عن مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية UNCTAD، عن احتياطيات النفط والغاز في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

تُؤكد التقديرات الأولية وجود نحو 1.5 مليار برميل من الخام، و1.4 تريليون قدم مكعب من الوقود الأزرق.

مجلة «الدراسات الفلسطينية» نشرت في العام 2015، ورقة بحثية أعدها رئيس صندوق الاستثمار الفلسطيني «محمد مصطفى»، أوضحت أن مخزون الحقول الغازية المكتشفة في غزة منذ العام 1999 تُقدّر بحوالي 35 مليار متر مكعب، لكن الاحتلال منع استغلالها تحت ذرائع شتّى، مؤكدة بأن سواحل فلسطين المحتلة غنية بالغاز.

وهناك مخزون يُقدّر بنحو 1000 مليار متر مكعب مقابل حيفا فقط، بالإضافة إلى كميات أخرى كبيرة في الشمال وقرب سواحل غزة.

وقُدرّت القيمة السوقية لحقلي «مارين غزة» و»بوردر فيلد» بنحو 6 - 8 مليارات دولار خلال 20 عاماً، ويمكنهما بحسب الدراسات الميدانية إنتاج 1.5 مليار متر مكعب من الغاز في العام الواحد على مدى عمر الحقل المُحدد بـ 20 عاماً، وتوقعت الدراسات توفير الحقلين للخزينة الفلسطينية نحو 8 مليارات دولار خلال 20 عاماً في حال سمح الاحتلال للفلسطينيين باستغلالهما، جراء التكاليف الباهظة لاستيراد الضفة والقطاع الكهرباء من الاحتلال.

تعود أول محاولة لاكتشاف الفلسطينيين النفط إلى العام 1947، لكن قرار التقسيم الأممي في العام التالي قتل تلك المحاولة في مهدها، والمثير هنا تركيز الاحتلال بعدها على المناطق الفلسطينية الغنية بالثروات الطبيعية والمياه - كجنوب غرب البحر الميت وشمال شرق النقب والسهل الساحلي الجنوبي، ومواصلته عمليات الاستكشاف والتنقيب من حيث انتهى الفلسطينيين، وفي العام 1999 حاولت السلطة الفلسطينية بقيادة «محمود عباس» توقيع اتفاقية مع شركة بريطانية بالاستفادة من مادة في اتفاق «أوسلو» يسمح لها بذلك، غير أن الاتفاقية تمت بعيداً عن بقية الفرقاء الفلسطينيين، وحملت الكثير من الأفخاخ، وذهبت بوصلتها منذ يومها الأول في الاتجاه المعاكس للنفع العام الفلسطيني.

1 - حقل «غزة مارين»:

أول حقل للغاز الطبيعي على سواحل غزة، أُكتشف في العام 1999/ سبتمبر 2000، لكن لم يتم استخراج الغاز منه حتى اليوم، نتيجة الرفض الصهيوني، وهو من حقول الطاقة الهامة في منطقة المشرق العربي، ويُصنّف ضمن منطقة سيطرة السلطة

الفلسطينية، بحسب اتفاق «أوسلو»، وتعتبره حركة «حماس» ضمن نطاقها الإداري الجغرافي.

تُقدِّر الإحصاءات الرسمية احتياطي الحقل بـ 1.2 تريليون قدم مكعب، أي 32 - 36 مليار متر مكعب، بطاقة إنتاجية مقدارها 1.5 مليار متر مكعب من الغاز الخام سنوياً، تُستخرج على مدى 20 عاماً، وهو أكبر من حقل الغاز البحري الصهيوني «يام تيثيس»، وتكلفة تطويره 1.2 مليار دولار، لكن الاحتلال يحول دون ذلك.

نوعية مادة الغاز فيه جيدة بحسب الشركة البريطانية المكتشفة «بريتش غاز»، وهي تحوي 98 - 99 % من الميثان النقي، والكمية التي يُمكن استخراجها منه كافية لتلبية الطلب الفلسطيني، وتوفير كميات أخرى للتصدير، ويوجد حقلين منه، هما «غزة مارين 1 و2».

أ - غزة مارين 1:

يقع على عمق 603 - 610 أمتار تحت الماء، ويبعُد عن شواطئ غزة بنحو 30 - 36 كيلو متر غرباً، وتحديداً بين حقلي الغاز العملاقين «لوثيان» و«ظهر».

ووفقاً للتقديرات بإمكان هذا الحقل تلبية احتياجات الفلسطينيين المتوقعة من الطاقة الكهربائية لمدة 20 عاماً.

ب - غزة مارين 2:

يقع على عمق 535 متراً ويبعد عن «مارين 1» بنحو 5 كيلو متر غرباً.

2 - حقل «ماري بي»:

يقع على الحدود البحرية الشمالية لقطاع غزة، اكتشف في العام 2000، سعته 1.5 تريليون قدم مكعب.

وهو حقل مشترك بين الحدود البحرية الجنوبية لكيان الاحتلال الصهيوني الغاصب والبحرية الشمالية لقطاع غزة.

استغل الاحتلال هذا الحقل في توفير إمدادات الغاز لمحطات الطاقة لديه منذ العام 2004، وتجفيفه بالكامل في العام 2010/ 2011، وأقرّت صحيفة «هآرتس» العبرية حينها استنفاد كيانها كميات الغاز الطبيعي الموجود في هذا الحقل.

3 - حقل نوا «نوح»:

أُكتشف في العام 1999م، وبدأ الاحتلال بإنتاج الغاز منه في العام 2012، ووصلت توقعات مخزونه نحو 3 تريليون قدم مكعب، ويشترك الاحتلال وقطاع غزة في بُنيته الجيولوجية، ويمتد إلى أعماق حدود قطاع غزة البحرية.

في العام 2011، عمل الاحتلال على تقليص إمدادات الغاز المورَّد إلى السوق المحلي، بالتوازي مع قيام مجموعة شركات ديليك Delek Group للحفر ونوبل إنرجي Noble Energy باستنزاف حقل الغاز الحدودي الذي تتقاسمه السلطات الفلسطينية والاحتلال إسمياً ويمتصه الأخير واقعياً، وذلك في ظلّ غياب اتفاقيات التعاون التي تشترطها اتفاقيات «أوسلو» والقانون الدولي.

وتُقدّر القيمة الاجمالية لحقليّ «ماري بي» و«نوا» الواقعين قرب شواطئ عسقلان المحتلة بنحو 20 مليار دولار، وللأسف يعمل الاحتلال على استنزافهما مستغلاً سطوته الاستعمارية.

4 - حقل المنطقة الوسطى:

رجّح خبراء وسياسيون فلسطينيون في العام 2014، وفقاً لدراسة أولية، وجود حقل للغاز على بُعد مئات الأمتار من شاطئ بحر المنطقة الوسطى لقطاع غزة وتحديداً في الجهة المقابلة لمخيم النصيرات، اكتشفه مجموعة من الصيادين، حيث لاحظوا خروج فقاعات في المنطقة.

ولم يتم تأكيد ذلك بدراسة مُعلنة وفق المعايير العالمية، بسبب رفض الاحتلال ادخال الإطار البشري والمعدات اللازمة لذلك.

الأهمية الاقتصادية:

تتحدث تقديرات صندوق الاستثمار الفلسطيني عن إمكانية توفير غاز غزة لخزينة السلطة الفلسطينية في حال رؤيته النور أكثر من 560 مليون دولار سنوياً، تذهب للأسف الشديد لسداد فاتورة الطاقة «الكهرباء» التي يزود بها الاحتلال مناطق الضفة والقطاع، وعائدات مباشرة تُقارب 2.5 مليار دولار سنوياً، أي أكثر من 45 % من موازنة السلطة الفلسطينية، ناهيك عن توفيره فُرص استثمار ضخمة في قطاع الطاقة للشركات الموجودة في أراضي الضفة والقطاع.

في الاتجاه الصهيوني، زادت طموحات الاحتلال خلال الفترة «1999 - 2010»، ليصبح دولة مُصدّرة للغاز إلى الأسواق الدولية، على خلفية اكتشافات لاحتياطات غازية اقتصادية قُبالة سواحل فلسطين المحتلة الشمالية والجنوبية على البحر الأبيض المتوسط، تُقدّر بنحو 27.7 - 36 تريليون قدم مكعب، وتمُثل 0.4 % من الاحتياطي العالمي، بالتوازي مع نسج الاحتلال المؤامرات لإعادة السيطرة على قطاع غزة، وهو يرى حالياً أن الأمور مواتية لذلك، وحال تحقّق مخططاته سيُصبح «كنج» الغاز في منطقة المشرق العربي، و»كنج» الاقتصاد و»كنج» التجارة في حال تمَكّن من شق قناة «بن غوريون».

الحراك السياسي:

وقّعت السلطة الفلسطينية في 8 نوفمبر 1999 مذكرة نوايا مع شركة «بريتش غاز» البريطانية وشركة «اتحاد المقاولين» الفلسطينية، نصّت على منحهما حقوق استكشاف الغاز في المياه الإقليمية لساحل غزة، واحتكار الشركة البريطانية عمليات التنقيب لمدة 25 عاماً، والتنقيب عن الغاز أمام سواحل غزة في حدود 20 ميلاً من الساحل، وتُعطي اتفاقيات «أوسلو» و»باريس الاقتصادي» الفلسطينيين ولاية على هذا البُعد من المساحة البحرية، والحقّ في الاستفادة الكاملة من مواردهم الطبيعية في حدود دولتهم المنتظرة.

اكتشفت شركة «بريتش غاز»، في العام 2000 احتياطيات اقتصادية من الغاز الطبيعي قُبالة سواحل قطاع غزة هي الأكبر من نوعها في الساحل الشامي.

ورغم متوسط حجم الحقل المُكتشف، لكنه كان يُعتبر في ذلك الوقت أحد الدوافع الممكنة لتعزيز الاقتصاد الفلسطيني وتعزيز التعاون الإقليمي، غير أن عمل «بريتش» توقّف بسبب الخلافات السياسية «الفلسطينية - الفلسطينية» والتدخلات الصهيونية.

في العام 2007 انفردت حركة «حماس» بالحكم في قطاع غزة على خلفية انقلاب سلطة «محمود عباس» على نتائج الانتخابات البرلمانية، فتسبب ذلك في تضاءل فرص تطوير الحقل نتيجة خلافات حركة «حماس» مع سلطة «عباس» ورفض الاحتلال التعامل مع الحركة، وتماهي سلطة «عباس» مع أجندة وأطماع الاحتلال.

في العامين «2009 - 2010» تم اكتشاف حقول الغاز الرئيسية في المياه الإقليمية الفلسطينية الواقعة تحت سيطرة الاحتلال الصهيوني، فعمل الاحتلال على منع أي محاولة للاستمرار في تطوير واكتشاف الغاز في حقل «غزة مارين»، وفي أواخر العام 2013 وقعت حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية «امتياز استكشاف» مع شركة «غازبروم» الروسية للغاز الطبيعي، واعتباراً من أوائل عام 2015، كان الغاز الطبيعي في غزة لا يزال مغموراً بالمياه.

وفي ذات العام 2015، استأنفت الحكومة الفلسطينية المفاوضات بشأن الاتفاقية مع «بريتش غاز»، وألغت الحقوق الحصرية التي منحتها للشركة، ورفعت حصة صندوق الاستثمار الفلسطيني من 10 % بموجب الاتفاقية القديمة إلى 17.5 %.

استحوذت شركة «رويال داتش شل» على حصة مجموعة «بريتش غاز» في 8 أبريل 2016، وتنازلت لها عن حصتها في حقل «غزة مارين 1» والتي تُقدر بـ 60 %.

وفي العام 2017، كانت تراخيص حقل «غزة مارين» موزعة بواقع:

1 - صندوق الاستثمار الفلسطيني 17.5 %.

2 - اتحاد المقاولين 27.5 - 30 %.

3 - شركة شل 55 - 60 %.

في العام 2018، قررت شركة «شل»، التنازل عن حصتها، وتحويلها إلى شركات فلسطينية مملوكة لسلطة «عباس».

في فبراير 2021، وقّع صندوق الاستثمار الفلسطيني واتحاد المقاولين مع شركة

«إيجاس» EGAS المصرية اتفاقية لتطوير حقل غاز غزة والبنية التحتية اللازمة، من أجل توفير احتياجات الفلسطينيين من الغاز الطبيعي، نصّ الاتفاق على اقتصار دور الاحتلال على منح تراخيص الموافقات للحفر فقط، والسماح بالعمل في الحقل دون أي تعطيل خلال فترة حفر الآبار والنقل، ونقل الغاز الخام المُستخرج إلى محطة العريش المصرية لمعالجته، ومنح سلطة «عباس» نسبة محددة من الأرباح، لكن التعاطي الواقعي للاحتلال ذهب في الاتجاه المعاكس لتلك النصوص.

وكان مُقرراً تدشين صندوق الاستثمار الفلسطيني وهو مؤسسة شبه حكومية، وفرع «اتحاد المقاولين» في فلسطين المحتلة بالشراكة مع الشركة المصرية القابضة للغاز الطبيعي «إيجاس»، البنية التحتية اللازمة في حقل «غزة مارين 2» تمهيداً لاستخراج الغاز، غير أن العقبات والمعوقات الصهيونية المتوالية حالت دون ذلك.

وتوزعت حصص الأرباح على النحو التالي:

1 - صندوق الاستثمار الفلسطيني 20 %.

2 - الشركة المصرية للغاز 40 %.

3 - شركة اتحاد المقاولين الفلسطينية 40 %.

تسبب الإصرار الصهيوني للسيطرة على كل الوقود والعائدات المخصصة لقطاع غزة والضفة الغربية في تعثر المفاوضات مع سلطة «محمود عباس».

إصرار الاحتلال الصهيوني خلال الفترة «2007 - 2023» على حرمان قطاع غزة من الاستفادة من عائدات الحقول الغازية المكتشفة بذريعة التخوف من ذهاب تلك العائدات إلى المقاومة الإسلامية الفلسطينية بقيادة «حماس»، أثار المخاوف من خلق توتر أمني بين المقاومة والاحتلال، وعرقلة الأخير عملية الاستخراج، رغم ادعاء حكومة السفاح «النتن ياهو» في العامين الأخيرة العمل على تنجيز تهدئة طويلة الأمد مع فصائل المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، لكن ممارساتها الميدانية كانت تصب في اتجاه التصعيد تمهيداً للانقضاض على القطاع وانتزاع ثرواته الطبيعية وأرضه وسواحله ومياهه البحرية، وتنظيفه من سكانه وأبنيته، وبدت الصورة الاستعمارية الإنكشارية أكثر وضوحاً بعد «طوفان الأقصى».

ويذكر تقرير نشرته القناة العبرية «13» استخدام حكومة الاحتلال حقل غزة الغازي ورقة ضغط جديدة ضد حركة «حماس» من أجل انتزاع ما عجزت عن تحقيقه بالمفاوضات الإستسلامية السياسية والحروب النازية المتوالية.

ويعمل الكيان الصهيوني على إحباط أي محاولة لتطوير حقول غزة الغازية المكتشفة، من أجل جعل فلسطين المحتلة «أراضي 1969» تابعة له بالكامل في مجال الطاقة.

ويؤكد مستشار الأمن القومي الصهيوني «تساحي هنغبي» وجود محادثات ثلاثية بين كيانه والسلطة الفلسطينية ومصر حول حقل غاز غزة، لكن كيانه لن يَسمح لقطاع غزة بالاستفادة من عائدات الاستخراج، ولن يُسمح بأن «تكون هناك أية مشاريع تتعلق بتطوير البنية التحتية في غزة»، ولن يُسمح «بتمرير أية عائدات مالية للقطاع».

وللأسف وجدت الأطماع والقيود الصهيونية من يؤازرها ويناصرها في سلطة «محمود عباس» المتماهية مع الأجندة الصهيونية، من ذلك ادعاء عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية «أحمد مجدلاني»، بأن «حركة حماس ليست لها أية صفة شرعية للمطالبة بعائدات الغاز الطبيعي الموجود في سواحل قطاع غزة»، وأن «الموارد الطبيعية ملك الدولة - قاصداً سلطة عباس المنزوعة القرار والسيادة والحرية - ولا تدخل في المحاصصة الحزبية بين الأحزاب السياسية التي تُعدّ حماس جُزءاً منها»، وأن سلطته «وقّعت اتفاق إطار من أجل تطوير حقل غاز غزة، ولم تُناقش أي دور لإسرائيل أو لحماس في ذلك».

وهذا يؤكد عدم أخذ سلطة «عباس» مصلحة سكان غزة والقوى السياسية في القطاع بالاعتبار، وأن اتفاقها مع الشركة البريطانية المُنقبة كان بالضد من المصلحة الوطنية الفلسطينية.

حركة «حماس» وكل الأحرار في فلسطين المحتلة يعرفون أكثر من غيرهم أن الاحتلال لن يسمح للفلسطينيين بنسختيهم المسبّحين والمقاومين الاستفادة من ثرواتهم الوطنية، لأن استفادتهم من عائدات ثرواتهم الطبيعية معناه تحقيق الاكتفاء الذاتي واستقلال القرار السياسي، وتحقق هذه الأمور يُشكل تهديداً وجودياً للكيان اللقيط، لذا أتى موقف حركة «حماس» على لسان المتحدث باسمها «حازم قاسم» في غاية الوضوح:

«لـن نسـمح لإسرائيـل بجعل قضيـة غاز غـزة أداة لتمرير صفقات أمنية أو سياسـية، كما أن الجهـة الوحيـدة المخولـة بالتـصرف في هـذه الـثروات هي حكومـة وطنيـة، والغاز ملك لـكل الفقـراء والشـباب والأجيال المقبلة من شـعبنا الفلسـطيني وبخاصـة في قطاع غزة».

موقف القانون الدولي:

تُعطي القوانين والاتفاقيات الدولية الفلسـطينيين الحق في اسـتغلال مواردهم الطبيعية والباطنيـة، حيـث صوتـت الجمعيـة العامة للأمـم المتحدة عدة مرات لصالـح مشروع قرار بعنـوان «السـيادة عـلى المـوارد الطبيعيـة»، نـصّ على السـيادة الدائمة للشـعب الفلسـطيني في الأراضي الفلسـطينية، وحقـه في المطالبـة بالتعويـض نتيجـة لأي خسـارة، أو اسـتغلال أو اسـتنزاف لمـوارده الطبيعية.

اسـتغلال المـوارد الطبيعيـة الفلسـطينية، بمـا في ذلـك النفـط والغـاز الطبيعـي، من قبل السـلطة القائمـة بالاحتـلال يفـرض عـلى الشـعب الفلسـطيني تكاليـف باهظـة تسـتمر في التصاعـد مـع اسـتمرار الاحتـلال، وهـذا يتعـارض مـع القانـون الـدولي وينتهـك العدالـة الطبيعيـة والقانـون الأخلاقي.

واقعيـاً، لا يمكـن للفلسـطينيين البـدء في التنقيـب واسـتخراج ثرواتهـم الطبيعيـة البحريـة والبريـة والمشـتركة منهـا مع الاحتلال أو الـدول المجاورة، والتمكّن من اسـتغلالها والاسـتفادة منهـا، مـا لم يكـن هنـاك اعـتراف مُسـبق مـن الاحتـلال الصهيـوني بالسـيادة الفلسـطينية الكاملـة عـلى هـذه الـثروات، والتوصـل إلى أرضيـة مشـتركة للتفاهـم عـلى التعـاون المسـتقبلي بـين الأطـراف المختلفـة عـلى أسـاس الحقـوق الوطنيـة بأنواعهـا كافـة وليـس عـلى أسـاس الاحتيـاج.

المعوقات الصهيونية:

صحيـح أن حقـل غـزة البحـري يخضـع قانونيـاً لولايـة السـلطة الفلسـطينية نتيجـة لاتفاقيـات «أوسـلو»، لكـن سـلطات الاحتـلال لا زالـت تُـصرّ عـلى منـع الفلسـطينيين مـن الوصـول الفعـلي إلى المنطقـة البحريـة ومواردهـا، كـما أن الهجـوم الصهيـوني النازي على

قطاع غزة على خلفية عملية طوفان الأقصى المباركة 7 أكتوبر 2023 قد يُحوّل آمال الفلسطينيين للاستفادة من مواردهم الطبيعية إلى سراب، وهذا الهجوم هو نتيجة طبيعية لتراكمات ومخططات قديمة مُتجدّدة، كانت الثروات الطبيعية على قائمة بنك الأهداف، مداليل ذلك نجدها في قائمة طويلة من العراقيل الصهيونية للحيلولة دون استخراج الفلسطينيين الغاز الطبيعي قُبالة سواحل غزة خلال العقدين الأخيرة.

والدليل الثاني زيارة المنسق الرئاسي الأميركي الخاص لأمن الطاقة «عاموس هوكشتاين» في 20 نوفمبر 2023، كيان الاحتلال الصهيوني، لمناقشة خطط التنشيط الاقتصادي لغزة بعد الحرب، بما في ذلك تطوير حقل الغاز قُبالة ساحلها كما ذكرت صحيفة «هآرتس» العبرية رغم أن حربهم العدوانية على القطاع لا زالت مآلاتها دون أُفقٍ واضح، ومع ذلك فهي لم تكن سوى مُقدمة لوضع الاحتلال اليد على غاز القطاع.

ويتفق مع رأينا مدير عام مؤسسة «فيميد» للإعلام الفلسطينية «إبراهيم المدهون»:

«الاحتلال وجد الفرصة مُتاحة لاستخراج الغاز الفلسطيني وتصديره، بالتوافق مع واشنطن التي ترغب بدور إسرائيلي في السيطرة على الطاقة في المنطقة، ..، الاحتلال يُريد السيطرة على الغاز وسرقة الحصة الأكبر منه في ظل الصراع العالمي على الطاقة»، في إشارة إلى تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية المتواصلة منذ 24 فبراير 2022، وحرمان «الفلسطينيين من مواردهم وإبقاء حالة الحصار على القطاع».

في التفاصيل وجه رئيس وزراء الاحتلال الصهيوني السابق السفاح «إيهود باراك» عام 1999 بنشر قوات البحرية الصهيونية في المياه الساحلية لغزة من أجل عرقلة تنفيذ شروط العقد المتواضع بين السلطة الفلسطينية و«بريتش غاز» لتطوير موارد الغاز في غزة، وطالب بنقل غاز غزة إلى منشآت كيانه، بسعر أقل من مستوى السعر السائد في السوق، وسيطرة الكيان على جميع الإيرادات المتواضعة نسبياً، المخصصة للفلسطينيين تحت مُبرر منع استخدام هذه الأموال في تمويل قوى المقاومة الفلسطينية.

في العام 2000 قدّم تحالف «يام تيثيس» العبري المكون من شركتي «نوبل إنرجي» و«ديليك قروب»، التماساً إلى محكمة العدل العليا الصهيونية، طالب فيه بمنع شركة «بريتش غاز» من التنقيب قُبالة سواحل غزة، بحُجة أن السلطة الفلسطينية ليست

حكومة ذات سيادة، وليس لها حق التعاقد مع الشركة البريطانية، إلا أن المحكمة رفضت الالتماس.

وتسبّب اشتعال انتفاضة الأقصى في 28 سبتمبر 2000 في تعطيل عمل «بريتش»، لتستأنف حواراتها بعد فك الاحتلال الارتباط مع قطاع غزة عام 2005 من جانبٍ واحد.

تدخل رئيس الوزراء البريطاني السابق «توني بلير»، في مايو 2001 للتوسط بين حكومة الاحتلال بقيادة السفاح النافق «أرئيل شارون» والسلطة الفلسطينية، ونجح في إقناع «شارون» للتفاوض مع «بريتش غاز»، وفي العام 2003 رفض «شارون» مواصلة التفاوض مُدعياً أن أموال بيع الغاز التي سيدفعها كيانه يمُكن أن تذهب لأنشطة «إرهابية»، رغم أن الأموال يُفترض أن تُوضع في حساب خاص تحت مراقبة دولية لاستخدامها في الحاجات الأساسية للشعب الفلسطيني.

اقترح العرّاب البريطاني «بلير» تسليم غاز غزة للكيان الصهيوني في العام 2007، وليس مصر، بأسعار تقل عن أسعار السوق، مع نفس التخفيض بنسبة 10 % من العائدات التي تصل في النهاية إلى السلطة الفلسطينية، ومع ذلك تم الإقرار بتسليم هذه الأموال أولاً إلى بنك الاحتياطي الفيدرالي الأميركي في نيويورك لتوزيعها في المستقبل، من أجل ضمان عدم استخدامها لشن هجمات على كيان الاحتلال الصهيوني.

وفي العام 2006 اعتبر الصهاينة فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية كسراً لمقترح «بلير»، رغم موافقة حماس على السماح لمجلس الاحتياطي الفيدرالي بالإشراف على جميع النفقات، إلا أن حكومة الاحتلال بقيادة السفاح «إيهود أولمرت»، أصرّت على عدم «دفع إتاوات للفلسطينيين»، وبدلاً من ذلك، اقترح الصهاينة تقديم ما يُعادل هذه الأموال «سلع وخدمات»، يعني منح الفلسطينيين «اللا شيئ».

رفضت حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية بقيادة حماس العرض، وبعد فترة وجيزة، فرض «أولمرت» حصاراً خانقاً على غزة، وصفه وزير حرب الاحتلال بأنه شكل من أشكال «الحرب الاقتصادية» التي من شأنها أن تُوِّلد أزمة سياسية، مما يُؤدي إلى انتفاضة شعبية ضد حماس، لكن تلك الانتفاضة لم تحدث، بل زاد التفاف الغزاويين حول مقاومتهم البطلة وحركة حماس.

وقـرر «إيهـود أولـرت»، في أبريـل 2007 اسـتئناف المفاوضات مع «بريتـش»، بحيث يقوم كيانـه بـشراء 50 مليـار مـتر مكعـب مـن الغـاز مقابـل 4 مليـارات دولار سـنوياً اعتبـاراً مـن العـام 2009، وبحسـب ذلـك قُـدّرت الإيرادات بنحـو 2 مليار دولار، منها مليـار دولار يذهب للخزينـة الفلسـطينية، وضـخ الغـاز عـبر خـط أنابيب من سـواحل غـزة إلى عسـقلان تحت البحـر، وبعـد أن يأخـذ الاحتلال نصيبـه يُعيد إرسـال المتبقي إلى غزة بالإضافـة لثمن الغاز.

لكن المفاوضات انهارت بعد سيطرة حركة حماس على قطاع غزة في يونيو 2007.

في ظـل هـذه الظـروف والعراقيـل قـررت «بريتـش غـاز» الانسـحاب مـن المفاوضـات، فسـيطر الاحتـلال بعدها للأسـف بالتعاون والتنسـيق مع مصر على التجـارة داخل وخارج غـزة، وقيّـد حتـى واردات الغـذاء، وألغـى صناعـة صيد الأسـماك فيهـا ..إلخ.

وفي 18 يونيـو 2023، أعلـن رئيـس وزراء الاحتـلال السـفاح «النـتن ياهـو» نيتـه العمـل مـع مـصر والسـلطة الفلسـطينية لتسـهيل اسـتخراج الغاز من شـواطئ غزة، لكـن حكومته رفضـت اسـتخراج الفلسـطينيين الغـاز مـن حقل «غـزة مارين»، واسـتفادتهم مـن عائدات بيعـه في تناقـض فـج وغـير مسـتغرب مـن عـدو لا عهـد لـه ولا ذمـة، واعتـبرت حركـة «حـماس» ليسـت طرفـاً شريـكاً في حـوارات «غـاز مارين»، وليـس لها الحـق في الحصول عـلى نسـبة مـن عائـدات بيع الغـاز الطبيعي، ووضـع الاحتلال شروطـاً تعجيزية لاسـتفادة الجهـات الإداريـة وسـكان القطـاع من هـذه الأربـاح، منها:

1 - تقديـم ضمانـات أمنيـة بعـدم تنفيـذ الفصائـل الفلسـطينية المسـلحة في غـزة أي هجـوم ضـد مصالـح الاحتـلال في البحـر الأبيـض.

2 - وجود غرفة تنسيق أمني مشتركة بينه وبين السلطة الفلسطينية.

3 - إشراف مـصر عـلى آليـات العمـل في الحقـل، والحفـاظ عـلى حاجـات الاحتـلال الأمنيـة والدبلوماسـية.

وتحـدث «موشـيه يعلـون»، يومهـا أنـه «بـدون عمليـة عسـكرية شـاملة لاقتلاع سـيطرة «حـماس» عـلى غـزة، لا يمكـن القيام بأي أعـمال حفـر دون موافقة «الحركة الإسـلامية»، ولـذا فالاحتـلال يعمـل الآن بـكل قوتـه وجبروتـه عـلى اقتـلاع «حـماس»، لكـن خلـف «حـماس» مقاومـة لا تهـاب المـوت.

ومن العراقيل والعقبات الصهيونية لعرقلة خطط الإنتاج في حقل «غزة مارين»:

1 - منع مدّ الأنابيب الخاصة بنقل الغاز.

2 - منع بناء البنية التحتية لإيصال الغاز للمحطة.

3 - اشتراط نقل الغاز عبر أنابيب الاحتلال في خطة للسيطرة على الحقل، مُصراً على نقل الغاز من الحقل إلى محطة تسييل الغاز في عسقلان، ليوزع من هناك إلى القطاع والضفة، أو أي مكان آخر يُريده الاحتلال.

4 - إعاقة تطوير أو محاولة استخراج الغاز من الحقل، وتحديد الاحتلال مساحة الإبحار للفلسطينيين بـ 6 أميال بحرية فقط، فيما يقع الحقل على مسافة 23 ميلاً تقريباً، وتأتي هذه الخطوة الصهيونية رغم أن المادة 82 من قانون البحار المعتمد دولياً عام 1982 تُعطي الحق للدول بالاستثمار في مياهها الإقليمية التي حُددت بـ 200 ميل بحري من الشاطئ.

ثانياً: قناة «بن غوريون»:

شهدت منطقة المشرق العربي في العشرية الأخيرة، تحولات جغرافية وسياسية واقتصادية مفصلية، من أهم معالمها بحسب الكاتب والمحامي اللبناني «لوسيان عون»:

1 - استخراج الاحتلال الصهيوني النفط والغاز من 12 بئراً في المياه الإقليمية لفلسطين المحتلة.

2 - تفاهمات التطبيع الثنائية بين الصهاينة وعددٍ من الدول العربية - منها الإمارات والبحرين والمغرب والسودان ناهيك عن الغزل المفضوح بين النظام السعودي والكيان الصهيوني، ومحاولة تسريع عجلة التطبيع في الأعوام الأخيرة من أجل تأمين الحماية لقناة بن غوريون.

3 - ترسيم الحدود البحرية بين الاحتلال الصهيوني ولبنان.

4 - مدّ الكيان الصهيوني أنابيب الغاز إلى أوربا بطول ١٨٠٠ كيلو متر.

5 - تألق وازدهار مرفأ حيفا في فلسطين المحتلة بعد تفجير مرفأ بيروت

وتدميره، وجعله معبراً رئيسياً على طريق الحرير بين الهند وأوربا.

6 - تنازل مصر عن ملكية جزيرتي «صنافير وتيران» للسعودية، وهذا التنازل لم يكن مجرد صفقة تجارية لدعم اقتصاد مصر المتهالك بل مُقدمة تمهيدية لضمهما للكيان الصهيوني من أجل تنجيز مخطط أكبر وأهم وأوسع وأخطر يرى مُعدّوه أن الظروف أصبحت مواتية لتنفيذه هو «قناة بن غوريون».

هذه التحولات المفصلية تجعل من حرب الإبادة الصهيونية في «غزة»، مجرد «نقطة في بحر التحولات الكبرى التي تُرسم في المنطقة من الفرات إلى النيل، والتي تُجسّد صناعة إسرائيل كبرى، يعمل لأجلها اليهود ولو دفعوا من أجلها آلاف القتلى والجرحى»، ما دام ذلك سيُوصلهم إلى غايتهم التي يعملون عليها منذ سبعة عقود ونيف، ومن أهم أدواتها شق قناة «بن غوريون»، لتكون بديلاً منافساً لقناة «السويس» المصرية، وفي حال رأت هذه القناة النور فستكون أبواب المنطقة كلها مُشرعة أمام الاحتلال الصهيوني بلا ضوابط ولا كوابح ولا محظورات ولا خطوط حمراء، وبالتالي توجيه ضربة قاصمة للأمن القومي العربي.

الصحفية البريطانية «إيفون ريدلي» كانت في غاية الوضوح والصراحة، في حديثها عن أسباب حرب الإبادة الجماعية والتدمير الصهيوني المنهج الذي يتعرّض له قطاع غزة حالياً، مُعيدة ذلك إلى «محاولة إحياء مشروع قناة بن غوريون»، وأوضحت بأن «تسوية غزة بالأرض ستُمَكن مُخططي القناة الصهيونية من تقليل التكاليف والمسافة».

لكن ما يمنع إحياء هذا المشروع حتى الآن، هو «وجود الفلسطينيين في غزة الذين يقفون في نظر نتنياهو في وجه مشروعٍ قد يشفع له في تل أبيب عن التقصير الاستخباراتي والعسكري في 7 أكتوبر 2023».

وهو ما يُؤكده أيضاً «لوسيان»: «في ظل مقاومة حركتي حماس والجهاد الشرسة، لا يمكن أن تتعايش قناة اقتصادية مزدهرة تمرّ عبرها ناقلات عملاقة بسلام وأمان إلا بعد إجراء تعديل على الجغرافيا وإحداث ترانسفير يُنقل خلاله الغزاويون إلى سيناء أو مصر، وها نحن نشهد البداية».

للأسف هذا الوضوح الغربي لا يجد آذان صاغية وعقول مفكرة لدى صهاينة العرب،

بل لا يخجل البعض من إبداء الاستعداد لدعم ذلك المشروع الاستعماري مادياً وسياسياً، خصوصاً وأنه بحاجة لكُتل مالية كبيرة لن تستطيع واشنطن توفيرها بمفردها، كما سارع بعض الأعراب لمشاركة الصهاينة في التمهيد لمشروع القناة، سواء في تدمير غزة، أو في محاولة إقناع النظام المصري للقبول بسكان غزة الهاربين من محرقة «النمرود» الصهيوني في سيناء مقابل إغراءات مالية كبيرة، أو في تقديم خيارات بديلة لتوطين أبناء غزة في مناطق مختلفة من المشرق العربي والعالم، من أجل رفع الإحراج عن النظام المصري أمام شعبه وسكان سيناء بصورة خاصة، وبعض الأعراب أبرم اتفاقات تُمهّد لشق تلك القناة تحت مبرر معالجة الانخفاض السنوي في منسوب مياه البحر الميت، وبعضهم وقّع مع الصهاينة اتفاقات إنعاشية أولية لتوصيل أنابيب نفط من خليج العرب إلى حيفا المحتلة على البحر الأحمر .. إلخ.

البُعد التاريخي:

استخدام مصر في بعض الفترات قناة «السويس» كورقة ضغط لحماية أمنها الوطني والأمن القومي العربي، وإغلاقها أكثر من مرة في وجه الصهاينة وقوى الاستعمار الغربي، دفع الصهاينة للبحث عن بدائل تسمح بسحب هذه الورق من أيدي النظام المصري، من هنا أتت أهمية التبرير اليمني على لسان عضو المجلس السياسي الأعلى «محمد على الحوثي» عندما قال بأن العمليات المساندة لـ «طوفان الأقصى» التي تقوم بها القوات اليمنية في البحر الأحمر وباب المندب «تُنهي مشروع قناة بن غوريون»، وبالتالي حماية الأمن القومي العربي في البحر الأحمر وقناة السويس، وحماية الاقتصاد المصري مما ينتظره من نكسات وكوارث في حال رأت القناة الصهيونية النور، وهذه الخطوة العروبية المسؤولة من القوات اليمنية للأسف لم يفقه النظام المصري بعد رسالتها التضامنية، وربما تعمّد تجاهلها كي لا يُغضب الصهاينة والأميركان.

في العام 1949، منعت مصر، السفن الصهيونية من المرور عبر قناة «السويس»، رداً على نكبة 1948، فطرح «بن غوريون» مشروع القناة، وفي العام 1963 قدّم رئيس مختبر «لورانس ليفرمور» الأميركي أول دراسة عن القناة.

كما تم منع الاحتلال الصهيوني من الإبحار في «السويس» ومضيق «تيران»، وغلق «السويس» في العامين «1956 - 1957» على خلفية تأميم «جمال عبدالناصر» القناة، وكذا خلال الفترة «5 يونيو 1967 - 4 يونيو 1975»، وآخر تعطيل للسويس في 21 مارس 2021، حيث عَلِقَت ناقلة الحاويات الأميركية الضخمة «إيفر غيفن» فيها بسبب انحرافها عن مسارها جراء عاصفة رملية، الأمر الذي أعاد الحديث عن قناة «بن غوريون» للواجهة وإبداء الدعم الغربي لها من أجل إيجاد قناة تسمح للسفن الكبيرة بالعبور، وإعراب «البنتاغون» الأميركي عن قلقه من إمكانية تعطّل وصعوبة وصول السفن العسكرية الاميركية إلى الاحتلال الصهيوني والقواعد الأميركية المنتشرة في المشرق العربي.

وكما عرفنا سابقاً فقد شهد النقاش «الأميركي - الصهيوني» في العام 1963 حول القناة الموعودة، اقتراح الجانب الأميركي استخدام التفجيرات النووية في المناطق الجبلية الوعرة من أجل تسريع عملية الشق وتخفيض الكلفة.

انشغل بعدها الاحتلال بصراعاته مع الفلسطينيين ودول الطوق العربي، وفي العام 2015، تم إعادة طرح المشروع في أروقة مراكز صُنع القرار الصهيوني.

وأعلن الكيان الصهيوني الغاصب في 31 مارس 2021 بدء العمل بشق القناة، وقبل هذا التاريخ بسنتين تحدثت الكثير من التقارير الصهيونية عن نية الكيان شق القناة المزعومة.

التسمية والمخططات:

أُطلق الاحتلال الصهيوني اسم «بن غوريون» على مشروع القناة تيمُّناً بالأب المؤسس لكيانه الغاصب ورئيس وزراء أول حكومة له بعد صدور قرار التقسيم الأممي المشؤم وقائد الاستيطان وحرب عام 1948، السفاح النافق «دافيد بن غوريون».

وتحدث الإعلام العبري في العام 2013 عن قيام مهندسين عبريين بوضع مخطط لإنشاء القناة، وتوقعوا إنجازها خلال 3 - 5 سنوات، بمشاركة 150 - 300 ألف عامل «مهندسين وفنيين» من كوريا وعددٍ من الدول العربية وجنوب شرق آسيا، في عمليات الشق والحفر، ونية الكيان الإبقاء على 30 ألفاً منهم بعد إنجاز المهمة من أجل تشغيل القناة.

تتكون القناة من مسارين متوازيين تسمح بمرور السفن ذهاباً وإياباً في نفس الوقت من البحر الأحمر إلى البحر الأبيض المتوسط والعكس.

عمق القناة 50 متراً، بزيادة 10 أمتار على قناة السويس، وعرضها 200 متر لكل قناة، وطولها 260 - 292.9 كيلو متر/ 182 ميل، بينما طول قناة السويس 193.3 كيلو متر.

لهذا أتى مخطط تدمير قطاع غزة وإعادة احتلاله وطرد سكانه من أجل اختصار مسافة القناة وتخفيف تكلفة حفرها، وهناك أطروحات صهيونية تُوصي بتمرير القناة بين وسط قطاع غزة وشماله، وليس بصورة التفافية حول القطاع كما كان مُقترحاً في العام 1963.

تمتدّ القناة وفقاً لوثيقة سرية تعود إلى العام 1963، رفعت عنها أميركا غطاء السرية في العام 1996، من ميناء أم الرشراش «إيلات» على خليج العقبة بالقرب من الحدود البحرية الأردنية وتمرّ بمحاذات حدود قطاع غزة الشمالية، وصولاً إلى وادي «عربة» بمسافة 100 كيلو متر بين جبال النقب والمرتفعات الأردنية، ومنه تنحرف غرباً قبل بلوغ البحر الميت وحوضه، والذي ينخفض 430.5 متر عن مستوى سطح البحر حيث تتجه القناة إلى وادٍ في سلسلة جبال النقب، ثم تنحرف شمالاً مرة أخرى متجهةً إلى «أسدود»/ أشدود على البحر الأبيض المتوسط متفاديةً قطاع غزة.

في يوليو 1963 اقترحت وزارة الطاقة الأميركية ومختبر «لورانس ليفرمور» دفن 520 قنبلة نووية وتفجيرها للمساعدة في عملية الحفر في تلال وادي النقب، ولاحظ المختبر يومها أن هناك 130 ميلاً من «الأراضي القاحلة الصحراوية غير المأهولة فعلياً، وبالتالي فهي قابلة لأساليب الحفر النووية».

ورغم ما لذلك من تداعيات كارثية على الأرض والبشر والمخزون المائي الجوفي والمياه السطحية الجارية والحياة النباتية والحيوانية والهواء والطقس، لن تقف عند حدود قطاع غزة بل سيكون الاحتلال أول المكتوين بنارها والمعانين من تبعاتها لعقودٍ قادمة، سمعنا العديد من قادة الاحتلال خلال العدوان الأخير على قطاع غزة يطالبون بقصفه بالقنابل النووية غير مكترثين لتبعات ذلك.

ونظراً لأن المخطط يُحدّد مسار ملتوي حول غزة رأى الاحتلال توجيه مسار القناة

للمرور عبر قطاع غزة بدل الدوران حوله، وبذلك يتمكن من خفض تكلفة الشق وتقليص مسافة عبور السفن، لكن تحقيق ذلك يتطلب أولاً إعادة احتلال غزة بالكامل، واحتلالها يتطلّب القضاء أولاً على حركة حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية الأخرى، وتالياً إخلاء غزة من سُكانها، أو إبادتهم بالكامل، ولذا أتت الحرب النازية التدميرية الأخيرة على غزة لاختصار الطريق ولو على حساب أرواح آلاف الفلسطينيين!.

وتُمثّل التكلفة الباهظة التي لا تغطِّ الايرادات المتوقعة من القناة أحد أسباب تأخّر عملية الشق، فهل تنجح الحلول البديلة؟.

القصف الصهيوني الكثيف بعشرات آلاف الأطنان من المتفجرات على قطاع غزة اليوم، وتسوية الأبنية بالأرض، لم يكن من أجل إيجاد مناطق آمنة كما يدعي الاحتلال بل من أجل شق قناة «بن غوريون»، كل المؤشرات تؤكد ذلك.

تأمين القناة:

تتحدّث المخططات المسرّبة عن تقنيات أمنية صهيونية بالغة التعقيد لتأمين الملاحة البحرية في القناة المزعومة ومنع استخدامها من قِبَل القوى المناهضة للاحتلال الصهيوني في ضرب أمنه الداخلي، وستتضمّن تلك المنظومة الأمنية:

1 - وضع أجهزة تجسس ومراقبة في عمق وقلب القناة.

2 - إقامة أكبر حاجز يكشف الأسلحة ويُصوّر بطريقة الأشعة الليزرية كل السفن التي تقطع القناة ذهاباً أو اياباً، وهذا غير متوافر في قناة السويس.

التكلفة والتمويل:

تكلفة أعمال شق القناة بحسب التقديرات الأولية التي نشرتها صحيفة «جيروزاليم بوست» العبرية عام 2015 نحو 55 ملياراً من الدولارات الأميركية، ينوي الكيان الصهيوني الغاصب الاتفاق مع 3 مصارف أميركية لإقراضه هذه المبالغ بفائدة 1 %، يتم تسديدها على مدى 30 عاماً.

والملاحظ هنا أن الطريق المقترح لشق القناة يبلغ ثلاث أضعاف طول قناة السويس

وسيمرّ من منطقة بئر السبع، وهذا سيكلف الكثير من الكُتل المالية، ومن غير المنطقي أن تُقدّم أميركا كل تلك الأموال للكيان الصهيوني على شكل قروض، تعي تماماً أنها غير قابلة للتسديد، ولكن قد يجد الكيان الغاصب ممولين عرب للأسف نتيجة لسلسلة اتفاقيات ومعاهدات التطبيع، والتي جعلت من العامل الاقتصادي عنواناً عريضاً لها تحت شعار ما بات يُعرف بـ «السلام الاقتصادي».

الأهمية الاقتصادية:

القناة في حال تمكّن العدو من شقها ستكون أكبر شريان يجمع البحر الأبيض المتوسط مع البحر الأحمر، وأهم ممر استراتيجي ومائي في المشرق العربي، وهذا سيمنح الاحتلال مزايا اقتصادية كبيرة تجعله متحكّماً بكل أوراق القوة على رُقعة الشطرنج في المشرق العربي.

كما أن الاحتلال بعد افتتاح القناة، سيكون المستفيد مادياً، والمتحكّم جُغرافياً، بحيث ستصبح مصلحة الأنظمة المُصدِّرة للغاز والنفط، أو المُستقبِلة للبضائع الأوربية والصهيونية، مرتبطة بالمحافظة على مصالح الاحتلال الصهيوني وقدرته ووجوده الدائم في البحر.

ومن أهم تلك المزايا الاقتصادية التي سيجنيها الاحتلال من وراء القناة وفقاً للمخططات المنشورة:

1 - توفير دخل سنوي خُرافي للخزينة الصهيونية يُقدّر بـ 4 - 10 مليارات من الدولارات الأميركية.

2 - بناء مُدن سياحية صغيرة وفنادق ومطاعم وملاهي ليلية على ضفاف القناة وإقامة موانئ ضخمة في شمال قطاع غزة.

3 - بناء مدن بطراز البيوت القديمة على مسافة ضخمة حول تلك القناة، تُحاكي مختلف الحضارات العالمية، ومعلومٌ أن المساحة من «أم الرشراش»/ إيلات باتجاه البحر الأبيض المتوسط شبه صحراء، وهذه مِيزة تُساعد على تشييد تلك المدن كما يعتقد الصهاينة.

4 - مدّ خط أنابيب لنقل النفط والغاز من «دبي» على الخليج العربي إلى «حيفا» المحتلة على البحر الأبيض المتوسط، ومروره عبر الأردن أو بطريق محاذي للأردن، ومن فلسطين المحتلة إلى أوربا، وسبق لنا نشر قراءة مطولة من عدة حلقات قبل ثلاثة أعوام على موقع وكالة الأنباء اليمنية سبأ بصنعاء عن مشروع خط أنابيب النفط «الإماراتي - الصهيوني» وتداعيات ذلك الخط على الأمن القومي العربي، وتواطؤ بعض الدول العربية للأسف مع هذا المخطط العبري، بما فيها الإمارات والسعودية المتوقّع مرور الخط من أجزائها الشمالية، ناهيك عن القابلية الأردنية ما دام هناك مزايا اقتصادية مُغرية، يعتقد النظام الأردني أن اقتصاده المُعاني من نُدرة الموارد الطبيعية أحقّ بها.

5 - استحواذ قناة السويس على 15 % من التجارة العالمية و10 % من واردات النفط العالمية، ويمرّ بها سنوياً نحو 18 ألف سفينة، وبالتالي فإنشاء القناة الصهيونية سيمنح الاحتلال فرصة ذهبية للسيطرة على خطوط الملاحة الأهم عالمياً لتُصبح موانئه حلقة الوصل بين آسيا وأوربا، وتُصبح مصالح الدول المُصدّرة للنفط والغاز مرتبطة بالحفاظ على مصالحه.

6 - زيادة قُدرات السفن والزوارق الحربية العبرية، ومنحها مرونة للحركة والتنقل بين البحرين الأحمر والأبيض.

7 - حصول المشروع الصهيوني على دعم غير مسبوق من أميركا وفرنسا وبريطانيا، بسبب الجدوى الاقتصادية والمالية المنافسة لقناة السويس المصرية.

المميزات:

تتفرّد قناة «بن غوريون» بالعديد من المزايا التي تمنحها الأفضلية على قناة السويس، من تلك المزايا:

1 - السماح بمرور سفينة طولها 300 متر وعرضها 110 أمتار، وهي أكبر قياس للسفن في العالم.

2 - طبيعة الأرض التي ستمرّ بها القناة صخرية وصلبة، وتتحمّل أي ضغط دون أي تأثير عكس قناة السويس، حيث طبيعة الأرض رملية وتحتاج إلى متابعة وصيانة مستمرة.

وتسببت رمال قناة «السويس» في مارس 2021 بحصول حادثة ناقلة الحاويات الضخمة «إيفر غيفن» وجنوحها في القناة، مما أدى إلى إغلاق القناة وعرقلة حركة الملاحة في أحد أكثر الممرات المائية ازدحاماً في العالم لمدة 7 أيام، وإلحاق ذلك خسائر قُدّرت بحوالي 400 - 900 مليون دولار في الساعة جرّاء تقليص حجم التجارة الدولية، وقُدّرت الخسائر التّجارية بنحو 54 مليار دولار، وتحمّل قطاع التأمين خسائر بنحو 31 مليار دولار، وتقلّص نموّ التجارة العالمية بنسبة 0.4 %، بحسب رئيس الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحري الدكتور «إسماعيل عبدالغفار فرج»، وزادت الأسعار بنسبة تخطّت 10 % على كلّ حاوية.

3 - المسافة بين «أم الرشراش»/ إيلات على خليج العقبة والبحر الأبيض المتوسط ليست طويلة، وهي بالضبط ذاتها في قناة السويس.

4 - تقليص المسافة التي تمرّ بها السفن عبر قناة السويس إلى البحر المتوسط.

5 - قناة «بن غوريون» ستكون أوسع وأعمق من قناة السويس وستسمح بمرور السفن الكبرى في الاتجاهين، بدل التناوب على اتجاه واحد مثل السويس حالياً، وحتى إذا وقع حادث مثل حادث سفينة «إيفر غفين» لن تتوقف الملاحة، وبدأت الدراسات تتناسل القول بأن العالَم يحتاج إلى القناة الصهيونية، لأن قناة السويس لن تتحمّل مرور السفن العملاقة المبرمجة للتصنيع، ثم إن من شأن قناة جديدة أن ترفع النمو الاقتصادي العالمي بنحو 1 % سنوياً.

ويخطط الاحتلال لحفر قناتين مستقلتين، واحدة تبدأ من خليج العقبة على البحر الأحمر إلى البحر الأبيض المتوسط، والثانية تبدأ من البحر الأبيض المتوسط إلى خليج العقبة على البحر الأحمر، بهدف منع تأخر مرور السفن، وجذبها إلى قناته وصرفها عن قناة السويس، حيث تعمل الأخيرة بنظام «التناوب» القائم على مرور السفن من اتجاه إلى آخر، وفي اليوم الثاني في الاتجاه المعاكس، ويتسبّب هذا النظام باستغراق

مـرور السـفن في قنـاة السـويس «14 - 25» يومـاً، مما يـؤدي إلى تأخرها وزيـادة النفقات التشـغيلية لعملية المرور.

الخسائر المصرية:

مـشروع القنـاة الصهيونيـة يُشـكل ضربـة قاصمـة للاقتصـاد المـصري، ورغـم إدراك النظـام المـصري للتداعيـات الكارثيـة التـي تنتظـر بـلاده إذا رأت تلـك القنـاة النـور عـلى كافـة الأصعـدة، نجـده أكـثر تماهيـاً وانبطاحاً للكيـان الصهيـوني، وهذا أمـر متوقّع، فمن بـاع النظـام السـعودي أهـم جزيرتـين في خليـج العقبـة كانتـا بمثابـة الشـوكة في خـاصرة العـدو الصهيـوني هـما «تـيران» و«صنافـير»، لا تتوقـع منـه أي ردة فعـل لحمايـة أمنـه القومـي مـن تبعات القنـاة الصهيونيـة المتوحّرة في رحـم المخططات الاسـتعمارية القديمة المتجـددة، ومـا نـراه مـن موقف رسـمي مـصري انبطاحي من العـدوان الصهيـوني الأخير عـلى غـزة، يُوحـي بإمكانيـة تقبُّـل نظام السـيسي تلـك القناة، ولـن يُعدم اختـلاق المبررات كـما هـي عادتـه منـذ توليـه السـلطة في بلاده.

منطقيـاً الاحتـلال سـيتخلى عـن مـصر، حتـى لـو ألغـت مـصر اتفـاق «كامـب ديفيـد» المشـؤوم، لأن الصهاينـة واثقـين بـأن مـصر إذا قـررت إلغاء «كامـب ديفيد»، فلن تسـتطيع اسـتعادة سـيناء، لأن القـوة العسـكرية الصهيونيـة قـادرة عـلى ضرب الجيـش المـصري في حـال تجـاوزه قنـاة السـويس، بالتـالي لـن يكـترث الاحتـلال لاعـتراض مـصر وتهديدهـا بقطـع العلاقـات - وهـذا افـتراض لـن يحـدث طبعـاً، لأن قوة طيرانه وسـلاحه قـادر على ردع الجيـش المـصري، مـا نجـد مداليلـه في الاسـتهدافات الصهيونيـة المتكررة عـلى ثكنات الجيـش المـصري في المناطـق الحدوديـة مع غزة خلال الفـترة «أكتوبر - ديسـمبر 2023»، ومقتـل العـشرات مـن الجنـود والضباط المصريـين، دون أن يُحـرّك النظام المصري سـاكناً، ولم يكتـفِ بالصمـت فقـط بـل وفـرض تعتيـماً إعلاميـاً كبيراً عـلى تلك الاسـتهدافات.

ومعلـومٌ أن قنـاة «السـويس» تسـتحوذ عـلى نحـو 20 % مـن السـفن المـارّة في البحـار، حيـث تمـر بهـا 92 سـفينة يوميـاً، وترفـد الخزينـة المصرية بــ 9.4 مليـارات دولار سـنوياً بحسـب تقديـرات العـام 2022، مـا يجعلهـا الممـرّ الملاحـي الأكثر أهميـة في حركـة التجارة

العالمية، لكن في حال رأت القناة العبرية النور ستفقد مصر نصف وارداتها من قناتها.

ورغم إدراك النظام المصري مدى ارتباط «تهجير الفلسطينيين» بمشروع قناة «بن غوريون»، ومدى خطورة مخططات الهدم «الجيوسياسية» العميقة التي تتعرض لها بلاده كسد النهضة والقناة العبرية، لكنه لا يُحرّك ساكناً تجاه العدوان الصهيوني الأخير على قطاع غزة.

المكاسب الأردنية:

في بند الإغراءات يعمل الاحتلال على إقناع الأردن بجرّ مياه هذه القناة إلى البحر الميت، التي تتناقص مياهه سنوياً، وفي حال الموافقة سيتم مدّ أنابيب ضخمة تصبّ من قناة «بن غوريون» إلى البحر الميّت، وتقديم تسهيلات لإقامة فنادق ومنتجعات أردنية على البحر الميّت، وغيرها من المشاريع السياحية المشتركة في منطقة البحر الميّت، وإرسال السيّاح الصهاينة إلى منطقة «بترا» الأردنية.

الخبير المائي «سفيان التل»، في مقابلة مع موقع «عربي 21» بتاريخ 14 نوفمبر 2022، أشار إلى عدة مؤشرات تُوحي بتساهل الأردن مع مشروع القناة العبرية، واعتبرها مقدمات تمهيدية للمشروع، منها:

1 - بيع الأردن مساحات واسعة من ميناء العقبة لشركة «المعبر» الإماراتية بما يُمثّل أكثر من 3.5 كيلو مترات على طول الساحل وبعمقٍ كافٍ لحفر القناة، كما باع الميناء القديم.

2 - تدمير صوامع الحبوب في السواحل الشمالية لخليج العقبة، ما يشير إلى أن ثمة حركة غير طبيعية على خليج العقبة، وهذه التغييرات تعني وجود اتفاق «صهيوني - أردني» كامل حول القناة، ولا نتوقع ممن ربط مصير شعبه بغاز وماء الكيان الصهيوني أن يُعارض قناة بحرية يظنّ أنها ستُدرّ عليه مشاريع سياحية، اقتصاده بحاجة لعائدتها ولو على حساب الأمن القومي العربي ولو على حساب كرامة وسيادة شعبه وأمته.

المراجـــع:

1 - حسين مجدوبي، مصر بين تهجير غزة وقناة بن غوريون، صحيفة القدس العربي، 14 نوفمبر 2023.

2 - خالد أبو شقرا، قناة بن غوريون أو الممرّ الهندي الأوربي .. غزّة تدفع الثمن، الصفا نيوز، 7 نوفمبر 2023.

3 - رنى سعرتي، احتلال غزة في سبيل شق قناة بن غوريون، نداء الوطن، 6 أكتوبر 2023.

4 - محمد إبراهيم مقداد ومحمد عبدالهادي نصار، غاز غزة بين الواقع والمأمول، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 5 ديسمبر 2022.

5 - شاهر الأحمد، لماذا تغرق غزة في الظلام بينما تزخر سواحلها بالغاز؟، قناة الجزيرة القطرية، 31 أكتوبر 2023.

6 - عز الدين أبو عيشة، ماذا اشترطت إسرائيل لتسمح لغزة بالاستفادة من الغاز؟، اندبندنت البريطانية باللغة العربية، 20 يونيو 2023.

7 - قاسم شعيب، تيران وصنافير وقناة بن غوريون، وكالة وطن للأنباء، 27 مارس 2021.

8 - كاظم فنجان الحمامي، قناة إسرائيلية منافسة للسويس، مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، 13يونيو 2013.

9 - لوسيان عون، لمعرفة مصير غزة... ابحثوا عن مخطط قناة بن غوريون والتنقيب عن الغاز والنفط!»، المرصد أون لاين اللبناني، 13 أكتوبر 2023.

10 - محمد الشحري، نزيف الإنسانية لأجل قناة بن غوريون، صحيفة عمان، 13 نوفمبر 2023.

11 - محمود جمال العبادلى، قناة بن غوريون مشروع إسرائيلي جديد للقضاء على قيمة قناة السويس، مركز الدراسات الاجتماعية، 28 مارس 2013.

12 - نسرين علي السلامه، قناة بن غوريون بين رفض الجغرافية وإلحاح المصالح الاستعمارية، الرابطة الدولية للخبراء والمحللين السياسيين.

13 - نـور أبـو عيشـة، كيـف سـتتعاطى حـماس مـع تطويـر حقـل الغـاز في غـزة؟، وكالـة الأناضـول، 13 يونيـو 2023.

14 - وائـل البتـيري، هـل تشـكل قنـاة بـن غوريـون الإسرائيليـة خطـرا عـلى الأردن؟، موقـع عـربي 21، 14 نوفمـبر 2022.

15 - وداد أبـو شـقرا، قنـاة السـويس تحـت التهديـد .. ومـا حقيقـة قنـاة بـن غوريـون؟، سي سي إن، 7 نوفمـبر 2023.

16 - الموسوعة الدولية الحرة ويكيبيديا، الغاز الطبيعي في قطاع غزة.

وكذا: مشروع قناة بن غوريون.

17 - اليـوم 24 المـصري، مـا علاقـة العـدوان الإسرائيـلي عـلى قطـاع غـزة بمحاولـة إحيـاء مـشروع قنـاة بـن غوريـون؟، 6 نوفمـبر 2023.

18 - أخبـار العدالـة العالميـة، قنـاة بـن غوريـون غـزة هـل هـي حقيقـة أم مجـرد إشـاعة؟، 16 أكتوبـر 2023.

19 - إذاعـة مونـت كارلـو الدوليـة، ثـروات غـزة مـن الغـاز الطبيعـي تُقـدر بمليـارات الـدولارات ولكـن إسرائيـل ترفـض السـماح للقطـاع باسـتغلالها، 30 أكتوبـر 2023.

20 - صحيفـة القـدس العـربي، مـشروع قنـاة بـن غوريـون تربـط البحريـن الأحمـر والمتوسـط، 23 مـارس 2013.

21 - قنـاة روسـيا اليـوم، قنـاة بـن غوريـون الإسرائيليـة.. تفاصيـل عـن المـشروع وحديـث عـن المخـاوف، 7 نوفمـبر 2022.

وكـذا: ثـروة غـزة .. هـل تسـعى إسرائيـل للسـيطرة عليهـا بدعـم غـربي؟، 13 نوفمـبر 2023.

22 - يورونيـوز، مـا علاقـة الحـرب الإسرائيليـة بالغـاز قـرب شـواطئ قطـاع غـزة؟، 26 نوفمـبر 2023.

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center
وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

«أم حسين».. بين «مطرقة السرطان» و «سندان زوجها الأسير»

قصة إنسانية من واقع العدوان على اليمن

نقلها من الميدان :
محمد القاسمي

كتبها :
سوسن الجوفي

سلسلة : قصص إنسانية من واقع العدوان على اليمن
2

لم يختلف تأثير عدوان المرض «السرطاني» الغاشم وحصاره جسد «أم حسين» عن عدوان تحالف الشرّ الأمريكي السعودي وحصاره على أرض الوطن منذ تسعة أعوام ..

... العدوان الذي أفرز إغلاق المطارات والمنافذ والطرقات في وجه أبنائه ليتجرّع الجميع ويلات هذا العدوان والحصار ابتداءً بالألم ومروراً بالأسرْ وانتهاء بالانتظار.

الاسم: أحمد محمد أحمد صباح
المهنة: موجه تربوي
العمر: 60 سنة
تاريخ الاختطاف: ديسمبر 2019م
منطقة الإختطاف: نقطة الفلج
السجن: سجن الأمن السياسي (مأرب)
وضع المختطف: لا يزال مسجون
حالة المختطف: مريض

سافر كي يعالج زوجته من مرض السرطان وبينما هو عائد اعتقلوه من نقطة الفلج وكان مع زوجته وابنته

استحضار :

استوطن مرض السرطان جسد «أم حسين» منذ أربع سنوات وبدأ ينهش عافيتها إلى أن فاق الألم قدرتها على التحمّل .. ليقرر زوجها «أحمد محمد صباح - محافظة الجوف» الموجّه التربوي الستّيني محاولة إيقاف تمادي «السرطان» بالسفر للخارج في العام 2019م .

تقول أم حسين : «كنا نعيش منذ زمن أنا وزوجي و4 أبناء و3 بنات في صنعاء بأمان حتى جاء العدوان .. كان زوجي يعمل موجه تربوي بالتربية ويسعى لعمل الخير

ومساعدة المحتاجين، وقبل 4 سنين قدّر الله بإصابتي بسرطان الثدي الذي بدأ ينهش جسمي وبدأت معاناتي وألمي تزيد وأنا من مستشفى إلى مستشفى، وتدهورت حالتي حيث والخدمات في القطاع الصحي باليمن ضعيفة بسبب الحصار الخانق على اليمن وأصبحنا في حيرة وحالتي أصبحت سيئة».

وتضيف «في شهر إبريل من العام 2019 قرر زوجي السفر بي إلى الخارج للعلاج وقمنا ببيع ما نملك وتديّن باقي تكاليف العلاج والسفر إلا أننا لا نستطيع أن نسافر عبر مطار سيئون أو مطار عدن والنزول برا إلى الجنوب وكان ذلك الوقت مطار صنعاء مغلق تماما وخوفا من أن يتقطعوا علينا ويحبسونا قسرا في إحدى النقاط بالطريق كما حصل مع كثير من الناس بتهمة أنهم حوثيين وهاشميين وغيره».

الجميع يدرك ما لهذا القرار من تبعات تُثقل الكاهل وتُغرق المواطن في دوّامة الديون بعد بيع ممتلكات ومقتنيات لتغطية تكاليف سفرٍ مجهول، في رحلة ذهاب اكتنفها الكثير من الخوف والقلق.

رحلة ذهاب :

تستذكر أم حسين : «بعد تفكير وحيرة قرر زوجي أن نسافر برا إلى عُمان عبر خط مأرب وتوكلنا على الله وحجزنا في واحدة من شركات الباصات أنا وزوجي وابنتي وسافرنا والحمد لله لم يوقفنا أحد رغم الخوف والقلق عندما عبرنا نقاط المرتزقة إلى أن وصلنا إلى مدينة مسقط عاصمة عُمان ومن هناك سافرنا جوا إلى إحدى الدول لتلقي العلاج وأجريت عملية استئصال الثدي وأخذت جرع كيماوي هناك واشترينا علاج تكلفته 2 مليون ريال لمدة 6 شهور لمواصلة الجرع الكيماوي في اليمن وقررنا العودة إلى صنعاء من نفس طريق الذهاب لأنه كان آمن ولا نعلم ماذا كان ينتظرنا».

رحلة إياب :

أتت رحلة الإياب في شهر ديسمبر 2019م، والتي خبأ القدر في طريقها تحديد المصير وتحديداً في نقطة الفلج بمأرب في الحافلة التي كانت تقلّ جميع المسافرين.

تتحدث أم حسين بألم : «بعد رحلتنا العلاجية عدنا جوا إلى عمان ومنها إلى صنعاء براً عبر حافلة حتى وصلنا إلى (نقطة الفلج بمأرب) .. وقف الباص فجأة وصعد عساكر إلى الباص بدأوا بتفتيش الجوازات وما أن وصلوا إلينا قاموا بالقبض على زوجي بتهمة أنه حوثي إيراني .. هكذا كان يقولوا له».

تضيف بحرقة: «وفوق هذا كسروا جميع علاجي البالغ بقيمة 2 مليون ريال بأرجلهم دعسا فوق الزفلت قلت لهم قبضتم على زوجي لا تكسروا علاجي لكن لا حياة لمن تنادي، فهم أيادي اليهود والسعودية لا رحمة في قلوبهم هم ِشد من الحجارة».

مشهد الانقضاض على الفريسة :

تربّصت عيون قوى المرتزقة كعادتها كل يوم بحثاً عن ضحية يُشبع روحها الجائعة ونهمها الدنيء، لتجد ضالتها في اصطياد زوج «أم حسين» كفريسةٍ ناضجة قادتها عفويتها ويقينها أنها عائدة لوطنها، لمدينتها، والتهمة جاهزة كالعادة: «حوثي إيراني»..

يا للبشاعة .. رغم يقينهم بأن صاحب « الجوف» ليس « إيرانياً» وليس « حوثياً» بالصيغة التي يريدونها ويطلقونها على كل من خالفهم، إلا أنهم قاموا بمهمة اقتياد «التربوي نصير المحتاجين» ضرباً وشتماً، ومروراً بتكسير وإتلاف الأدوية التي عادت

بها «أم حسين» متأملة الشفاء في محتواها الذي بلغت قيمته مليونيّ ريال، وليس انتهاءً بفشل توسّلات ودموع الزوجة في ترك زوجها الذي صار أسيراً في قبضتهم حتى اللحظة .. وأين؟ في غياهب سجون مرتزقة العدوان بمأرب.. هذا إذا لم يكن قاموا ببيعه للرياض أو أبو ظبي كما فعلوا بغيره من أبناء هذا الوطن .

تكاد تنزف روحها « أم حسين» وهي تستعيد مشهد قراصنة العمالة والارتزاق : «أهانونا بطريقة قذره .. كنت أتمسّك بزوجي أنا وابنتي وناشدتهم إذا كان هناك دم يمني وعربي وأخوة أن يتركوا زوجي، أين القبيَلة وحرمة الطريق؟ أنا مريضة بالسرطان وزوجي ذهب ليعالجني، دعوا زوجي هو مواطن يمني».

لا جدوى من صرخاتها ونداءاتها .. تضيف بوجعٍ يقتات روحها : «أخذوا المرتزقة زوجي واقتادوه أمام عيني وابنتي إلى جهة غير معروفة وأتلفوا جوازاتنا وبطائقنا، وأرجعوني أنا وابنتي إلى الباص الذي جئنا به ونحن نبكي لنواصل طريقنا إلى صنعاء بدون زوجي، بدون محرمنا، والدموع تذرف دماً من القهر».

والآن ؟

تقول « أم حسين» : «مضى على اختطاف زوجي اليوم ما يقارب أربع سنوات ونصف لم يتواصل معي إلا مرة أو مرتين، هو كبير السن ومريض في سجنه، وما زلت منتظرة خروج زوجي مع كل صفقة تبادل أسرى، مثلي مثل آلاف من نساء الأسرى المختطفين قسراً من طرقات مأرب ينتظرن أزواجهن وأبنائهن، منهم من سار للحج أو العمرة، ومنهم من سار يقطع جواز، ومنهم من ذهب للعمل بالسعودية ومنهم من ذهب للعلاج، وتقطّع المرتزقة لهم، وحتى النساء لم يسلمن من الخطف مثل الأسيرة نادية الجنيد والأسيرة المحررة سميرة مارش والمصرية سحر عبد المحسن وغيرهن، بحسب كلام من خرجن من الأسر والذين أُخذوا قسراً من الطريق إلى سجون مارب ويتعرضوا للضرب والتعذيب بشكل يومي في حقد كبير على شعب اليمن ورجاله ونسائه وبتوجيهات خارجية وأيدي مرتزقة يمنية».

تسترسل في حديثها بحرقة المظلوم والمنكسر بلوعة الفقدان .. قائلة :

« مرضي عاود لي مرة ثانية وبدأ بالانتشار في جسمي ولم أستطع أن نعود للخارج في موعد العودة، زوجي الذي كان يعيلنا ويتكلّف بعلاجي أسيراً في مأرب مريض بسجنه ونحن نعاني في بيوت الإيجار متنقلين من بيت إلى بيت بسبب غلاء الإيجار وتكاليف علاجي بصنعاء المتواصل».

مناشـــــدة :

وبعـد حديـث موجـع يكتـظّ بمـا يُقـال ومـالا يُقـال , وبمـا تخفيـه مـن أنـين تتفطّر له القلوب، تسـتجمع «أم حسـين» قواها، محاولةً إخفاء آلام جسـدها الذي أنهشـه «السرطان»، وأنـين روحهـا التي أرهقها وأرّقها وجع الفقدان، لتناشـد هي وأبناءهـا المنظمات الحقوقية، والإنسـانية، والحكومـة في صنعـاء، ولجنـة شـؤون الأسرى، بأن يتم الإفـراج عن زوجها في أول صفقـة تبـادل قادمـة لـلأسرى، عـلى أمـل أن تلتقـي بـه وتـراه بـين عائلتـه قبـل أن يجـري عليهـا قـدر الله الـذي سـتجتمع بين يديـه الخصوم.

وبعـد أن أحكـم «السرطـان» قبضتـه عـلى جسـد «أم حسـين»، وتمكّن الألم مـن الإحاطة بـكل تفاصيـل حياتهـا .. لم تعد تعلّق آمالها بالشـفاء مـن مرضها، بقدر ما تتوسّـل خالقها أن يمنحهـا «مهلـة بسـيطة مـن العمر» لا تتجاوز النظـر إلى وجه زوجها.. أسـيرها الغائب الـذي لم يعد.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـــوث والمعلومات

الدور الجهادي للمرأة الفلسطينية

مركز البحوث والمعلومات
نور الهدى الشريف

جمادى الآخرة 1445هـ - ديسمبر 2023م

المرأة الفلسطينية المؤمنة ركيزةٌ أساسية في تربية الأجيال قديماً وحديثاً على ثقافة الاستشهاد وحب التضحية في سبيل الله وسبيل الوطن المحتل بمشاركتها الفاعلة إلى جانب الرجل في الجهاد والمقاومة بحسب الدور المنوط بها، إذ قدّمت نموذجاً يُحتذى به في الصمود والتضحية , لتكون إما أسيرة أو جريحة أو شهيدة.

والمرأة الفلسطينية المجاهدة تُعدّ جُزءاً أصيلاً من معادلة تحرير الأرض والإنسان، إنها "أيقونة الحرائر" في كل العالم، فهي الأم التي أنجبت المقاومين والشهداء، وقامت بتربيتهم على العزة والكرامة، وهي الأخت التي صمدت وكانت الظهر الحامي للمقاومين الأبطال، وبثّت فيهم الحماس، وهي الثائرة والأسيرة والشهيدة.

مقاومة وكفاح

لعبت المرأة الفلسطينية المجاهدة دوراً مهماً وبارزاً في مقاومة الاحتلال الصهيوني، منذ النكبة الأولى عام 1948م, وتنوعت أدوارها ومشاركاتها في المقاومَة المسلحة، والعمل السياسي، وقبلهما في النشاط الاجتماعي والثقافي. . فهي الأم والأخت والزوجة والعاملة والمقاومة التي شاركت في جميع مراحل نضال الشعب الفلسطيني في مقاومة الغاصب المحتلّ.

وهي من حملت على عاتقها مسئولية المشاركة في المقاومة الشعبية منذ بداياتها، إذ برز دورها في المظاهرات والاحتجاجات ضد الاحتلال الصهيوني.. كما شاركت في أعمال المقاومة المسلحة منذ ثورة الحجارة وحتى يومنا هذا، يوم طوفان البندقية والطائرات المسيّرة والصواريخ.

أدوار اجتماعية رغم الاستهداف

أسهمت المرأة الفلسطينية بأدوار ملحوظة في الأنشطة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والزراعية والتعليمية والصحية , ورسمت لوحة الخلود من خلال حرصها على صناعة الأجيال وتنشئتهم على ثقافة الشهادة منذ نعومة الأظفار .. تلك الثقافة التي أثمرت كل هذا الضجيج والانبهار العالمي حول بطولات أبنائهن

وبطولاتهن وهن يصنعن دروس المستقبل في التضحية والفداء .

وبرز دورها بشكل خاص بتقدمها في خط الدفاع الأول عن المسجد الأقصى , وتصدّيها حتى اللحظة لكل التحديات المفروضة عليها من الكيان الغاصب الذي يتعمّد استهدافها خصوصا، بدءاً باقتحامات حُرمة المنازل وترويع الأهالي, مروراً بالاعتقالات الإدارية والتعسفية والسياسية والأمنية ، وتعرضها في المعتقلات لمختلف أنواع التعذيب والمعاملات اللاإنسانية والقتل المنهج والتضييق على كافة نواحي حياتها .

الغرب ونساء فلسطين :

أسقط الغرب كل الشعارات الزائفة التي يتغنّون بها عن حقوق المرأة , ودفعوا بكل ما استطاعوا من قوة عسكرية ومالية وإعلامية لرفع معنويات جيش الاحتلال في استمرار انتهاكاته وجرائمه البشعة بحق المرأة الفلسطينية.

وسقطت مع الشعارات الزائفة تلك , الأدوار المنوطة بالمنظمات الدولية المعنية بمختلف مجالات حقوق البشر , من خلال تغاضيها عما يحدث في "غزة هاشم" من جرائم جسيمة بحق المرأة , ومن خلال تحوّل الكثير من أفرادها إلى جواسيس وداعمين بتبرير وحشيّة العدو الصهيوني .

وأصبحت شعارات حقوق المرأة حبراً على ورق , إذ تعامت عيون مروجي الشعارات الكاذبة عن صلف وعدوانية الكيان المحتل ضد المرأة الفلسطينية والغزاوية بشكل خاص وهي مضرجة بدمائها ظلماً وعدواناً واستهدافاً مُتعمّداً , تنكيلاً وانتقاماً من صانعة الرجال الأشاوس الذين يلقنون العدوّ الصهيوني كل أشكال الوبال .

سرّ الصمود

وها نحن نشاهد هذه الأيام قوة وصمود المرأة الفلسطينية في "غزة" التي يشنّ عليها العدو الصهيوني حرب إبادة، وما أظهرته هذه المرأة العربية الأصيلة من شجاعة وبسالة وعنفوان في مواجهة العدوان العبري شاهد على عظمتها، ولا عجب أن نجد

المجاهدة الفلسطينية على الدوام في مقدمة الصفوف في كافة ميادين الجهاد، واقفة كالجبال الرواسي بشموخ وإباء وكبرياء، من نماذج ذلك:

1 - تقدّم صفوف المتظاهرين ضد العدوان في الأراضي الفلسطينية المحتلة لتشجّع الشباب الثائر للتقدم باتجاه العدو وعدم التراجع أو التقهقر.

2 - تسجيل حضور لافت في الأعمال الإنسانية والانقاذية خلال المواجهات العسكرية مع قطعان الاحتلال الصهيوني، فهي الطبيبة والمسعفة والممرضة، غير آبهة بالمخاطر المترتبة على هكذا نوع من الأنشطة الإنسانية.

3 - لعبها دور محوري في الانتفاضة الفلسطينية الأولى والثانية وتأكيد رسالتها النضالية بالحجر من قلب النار والمواجهة، لأن لديها إرادة وهوية وطنية تأبى الاندثار والتلاشي والاستسلام.

4 - مواجهتها حرباً ديمغرافية صهيونية مبرمجة هدفها الحد من التكاثر الفلسطيني، مداليل ذلك نجدها في إجابة "غولدا مائير" عندما سُئلت عن السبب الذي يمنع عنها النوم، فقالت: "ولادة طفل عربي".

ويشكل الهاجس الديمغرافي قلقاً دائماً في الذهنية الصهيونية، ولا تُخفِ تصريحات قادة الاحتلال الخوف المتعاظم لدى هذا الكيان المهترئ من تزايد عدد السكان الفلسطينيين، وتشكيل ذلك تهديداً وجودياً لأحلام نقاء الدولة العبرية، ووصلت قذارة أجهزته الأمنية لتسميم خزانات المياه في مدارس البنات بمواد كيماوية تُسبب العقم والإجهاض من أجل الحدّ من التناسل الفلسطيني وتغليب الوجود اليهود، خصوصاً في مدينة القدس الشرقية.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحوث والمعلومات

RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center

المشهد اليمني العظيم

بذكرى المولد النبوي الشريف 1445هـ

الفهـــــــــــــرس

م	الموضوع	الصفحة
1	المقـــــدمة : المعلومة الصادقة والمحتوى الرصين	5
2	الأهمية المرحلية للمدونة السلوكية	7
3	الصندوق الأسود للاحتلال البريطاني في اليمن	19
4	وضع المرأة في أمريكا والغرب .. شعارات زائفة وواقع سيئ	39
5	في اليوم العالمي للمرأة المسلمة.. السيدة فاطمة الزهراء.. النموذج الأكمل للمرأة المسلمة	53
6	اللوبي الصهيوني يمعن في الإساءة للمقدسات الإسلامية	93
7	التجلِّيات التاريخية لجُمعة رجب في اليمن	103
8	موجّهات عمليّة وتوعويّة عن الهويّة الإيمانيّة في بُعدها الأخلاقي والتحرّري والحضاري	115
9	المقاطعة الاقتصادية .. سلاح ردع وشهادة انتماء	139
10	الشهيد القائد ومدرسته القرآنية التجديدية الإحيائية	149
11	الثقافات الدخيلة وخطرها على الهوية اليمنية	155
12	أمريكا ودورها المباشر في الحرب على المشروع القرآني	159
13	الرئيس الشهيد صالح الصماد .. أيقونة وعي .. ومنار هُدى	171
14	شهداء..وشهيد : قصة إنسانية من واقع العدوان على اليمن	177
15	المرأة المسلمة في دائرة الاستهداف الناعم	193
16	أهمية الموالاة والمعاداة في حفظ دولة الإسلام من الضياع والانهيار	211
17	2015.. عام العدوان الدموي على دُور العبادة بصنعاء	223
18	ثمانية أعوام من استهداف العدوان للنساء والأطفال	231
19	ثمانية أعوام من الصمود السياسي والعسكري اليمني .. تجليات لا تنتهي	243
20	ثمانية أعوام من استهداف العدوان للبنية التحتية في اليمن	249
21	بعد 8 أعوام من العدوان : الزراعة في اليمن.. رؤى طموحة.. وواقع أخضر	265
22	غزوة بدر الكبرى معركة الوجود الأولى للمسلمين	275
23	تلاشي الحلم الأمريكي بعد 20عاماً على احتلال العراق	289
24	يوم القدس العالمي .. صرخة في وجه التحالف الشيطاني "الصهيو - أميركي"	295
25	أوساخ "توتال إنرجيز" الفرنسية في اليمن	303
26	المشهد اليمني العظيم بذكرى المولد النبوي الشريف "١٤٤٤هـ"	323
27	في ذكرى النصر .. "سيف القدس" يُضيء من جديد	325

الفهـــــــــــرس

م	الموضوع	الصفحة
28	التآمر الاستعماري القديم المتجدد ضد الوحدة اليمنية	331
29	اَلْبَهَائِيَّة .. نَبْتَة شَيْطَانِيَّة بِقُفَّازَاتٍ صَهْيُونِيَّة	345
30	البهائية وعقائدها الماسونية المسمومة	355
31	حروب الجيل الخامس والعدوان على اليمن	365
32	مَا اَلَّذِي أَبْقَاهُ اَلنِّظَامُ اَلسُّعُودِيُّ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ فَرِيضَةِ اَلْحَجِّ؟	425
33	وَهَجُ اَلْغَدِيرِ أَضَاءَ دُرُوبَ اَلْوِلَايَةِ اَلْحَيْدَرِيَّة	439
34	من الذي قتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء؟	467
35	المشهد العسكري والحِراك الدولي في البحر الأحمر خلال 9 سنوات	477
36	إمام اليمن الميمون الهادي إلى الحق القويم	501
37	اللوبي الصهيوني .. حصانةٌ لقيطة واعتقاد زائف	521
38	تجربة الهدنة في اليمن خلال عام (مارس 2022م - مارس 2023م)	537
39	صهينة المناهج التعليمية السعودية	563
40	التنافس الجيوسياسي الإماراتي السعودي في اليمن	579
41	التصنيع العسكري معجزة ثورة 21 سبتمبر المجيدة	593
42	الشعب اليمني العظيم يستعيد هويته الإيمانية بمولد النور طه	617
43	ثورة 14 أكتوبر .. التحديات السياسية في تجربة التحرر الوطني	627
44	ثورة 14 أكتوبر المجيدة تبحث عن ثوارها	679
45	صنعاء تتنفس برئة طوفان الأقصى	693
46	أمريكا ضد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير	711
47	إستراتيجيات وخيارات المواجهة لدى محور المقاومة والممانعة	725
48	مفهوم التحرّر الوطني في تجربة ثورة 14 أكتوبر	755
49	العدوان الصهيوأمريكي تحت المجهر.."غاز" غزّة يحرقها و" قناة بن غوريون" تدمرّها	771
50	" أم حسين ".. بين " مطرقة السرطان" و" سندان زوجها الأسير": قصة إنسانية	799
51	الدور الجهادي للمرأة الفلسطينية	807
52	المشهد اليمني العظيم بذكرى المولد النبوي الشريف "١٤٤٥هـ"	811
53	الفهـــــــــــرس	812

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)

مركز البحـــوث والمعلومات